

د. أحمد العدوي



# الصابئة

منذ ظهور الاسلام حتى سقوط الخلفاء العباسية

أريّة

# الصالحة

منظور الاسلام حتى سقوط الخلافة العباسية

د. محمد عيسى

إذا كنت أنا - كما وصفتني - قد أقيمت بحجر في الماء الراكد فيما يتعلق بالبحث في هذا الموضوع الشائك؛ فأنت قد حفرت نهراً عميقاً سيدفع بالمياه طويلاً للجريان والتدفق. عزيز سباهي

أفضل عمل علمي قرأته في العشرين عاماً الأخيرة على الإطلاق.

د. محمود إسماعيل

عمل مرجعي رائد . فيه تأصيل . ويسد فراغاً كبيراً في مكتبتنا العربية . ولست أظن أنه بإمكان أحد من الباحثين في تاريخ الصابئة وأصول عقائدهم أو دارسي أوضاع أهل الذمة بوجه عام - تجاهله كمرجع رئيسي . د. عبادة كحيلة

عندما تقرأ هذا العمل كاملاً لا تملك إلا أن تكبر ذلك الجهد الفائق الذي بذله المؤلف اطلاعاً وبحثاً وتقصيلاً . وسيأخذك الإعجاب كل مأخذ بمنهجه وطريقته معالجته للقضايا الشائكة بشكل يعكس ألمعية المؤلف . وقدرته الفائقة على تحليل المعطيات واستنباط النتائج .

د. محمود عرفة محمود



9 789774 990960

الغلاف  
حسين جميل



# الصابئة

منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية

أحمد عبد المنعم العدوي



للنشر والتوزيع

---

2012

الكتاب: المصافحة منذ ظهور الإسلام

حتى سقوط الخلافة العباسية

تأليف : دكتور أحمد عبد المنعم العدوي

المدير المسؤول : رضا عوض

رؤية للنشر والتوزيع

القاهرة : 012/3529628

8 ش البطل أحمد عبد العزيز - عابدين

تقاطع ش شريف مع رشدي

Email: Roueya@hotmail.com

فاكس : 25754123 (202) +

هاتف : 23953150 (202) +

الإخراج الداخلي : حسين جيبيل

جمع وتنفيذ : القسم الفني بالدار

الطبعة الأولى : 2012

رقم الإيداع : 2012/?????

الترقيم الدولي : 978-977-499-???-?



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

مُنْذُ الْقَرْنِ السَّادِسِ عَشَرَ وَحَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا؛ دَرَسَ عَدِيدٌ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ جَوَانِبَ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ تَرَاثِ الصَّابِنَةِ، وَأَصُولِهِمْ، وَعَقَائِدِهِمْ. رَكَّزَ الْمُسْتَشْرِقُونَ جُهُودَهُمْ فِي دَرَاسَةِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ، وَالْعَقَائِدِ، وَقَضَايَا الْأَصُولِ وَالنَّشْأَةِ، وَالْفُلُكُلُورِيَّاتِ، يَبْدُ أَنْ دَرَاسَةً وَاحِدَةً لَمْ تُفْرَدَ بِالْعَرَبِيَّةِ - أَوْ غَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ - تَصَدَّتْ لِتَارِيخِ تِلْكَ الْفِرْقَةِ الْغَامِضَةِ فِي أَزْهَى عَصُورِ أَرْدَهَارِهَا فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ، لَا سِيَّامَا الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، وَهُوَ الْعَصْرُ الَّذِي شَهِدَ أَوْجَ عَطَائِهَا الْفِكْرِيِّ وَالْحَضَارِيِّ.

وَعَلَى كَثَرَةِ الْبَحْثِ وَالدِّرَاسَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا هَؤُلَاءِ الْمُسْتَشْرِقُونَ، مَا تَزَالُ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْقَضَايَا الْخِلَافِيَّةِ وَالْمُعْلَقَةِ، وَالَّتِي لَا تَزَالُ تُثِيرُ جَدَلًا وَاسْتِعَابًا بَيْنَ جُمْهُورِ الْبَاحِثِينَ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا أَصُولُ الصَّابِنَةِ الْعِرْقِيَّةِ، وَجَذُورُ دِيَانَتِهِمْ، وَعِلَاقَةُ الصَّابِنَةِ الْمُنْدَائِيَّةِ بِالصَّابِنَةِ الَّذِينَ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَكَذَلِكَ طَبِيعَةُ عِلَاقَةِ صَابِنَةِ حَرَّانَ بِالْمُنْدَائِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ بِالصَّابِنَةِ الَّذِينَ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. بَلْ تَطَرَّقَ الْجَدُلُ إِلَى مُنَاقَشَةِ مَا يُقْصَدُ بِمُصْطَلَحِ الصَّابِنَةِ فِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَاللُّغَةِ الْأُولَى الَّتِي اشْتَقَّ مِنْهَا، وَإِلَى أَيِّ قَوْمٍ يُشِيرُ، وَهِيَ كُلُّهَا قَضَايَا بِاللُّغَةِ التَّعْقِيدِ كَمَا سَنَرَى بَعْدَ.

وَبَيْنَ يَدَيْكَ الْآنَ دَرَاةٌ أَوَّلِيَّةٌ - أَمَلُ أَنْ تَعْقُبَهَا دَرَاةَاتٌ - تُحَاوِلُ سَدَّ ثَغْرِ طَالَمَا أَهْمَلْتَهَا هَذِهِ الدِّرَاسَاتِ، وَتَنْشُدُ كَشَفَ الثَّقَابِ عَنْ تَارِيخِ هَذِهِ الطَّوَائِفِ الْغَامِضَةِ وَالتِّي لَقَّبَهَا الْمُسْلِمُونَ بِالصَّابِنَةِ، وَأَوْضَاعَهَا فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ، وَإِسْهَامَاتِهَا الْفِكْرِيَّةَ وَالْعِلْمِيَّةَ فِي الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.



مَا كَانَ لِهَذَا الْبَحْث أَنْ يَخْرُجَ بِهذه الصُّورَةَ لَوْلَا الْمُؤَنَةُ الصَّادِقَةُ الَّتِي قَدَّمَهَا لِي الْعَدِيدُ مِنْ أَسَاتِدَتِي الْأَجَلَاءِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ أَسْتَاذِي الْجَلِيلِ، الْأَسْتَاذُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ عَرَفَةُ مُحَمَّدُ، وَالْعَالِمُ الْجَلِيلُ الْأَسْتَاذُ الدُّكْتُورُ عُبَادَةُ كُحَيْلَةَ، وَلَا أَنْسَى أَيْضًا فَضْلَ الْأَسْتَاذِ الدُّكْتُورِ أَيْمَنَ فُؤَادِ سَيِّدٍ. كَمَا أَتَقَدَّمُ بِوَافِرِ الشُّكْرِ وَعَمِيقِ الْاُمْنِانِ لـ «الْإِتِّحَادِ الْجَمْعِيَّاتِ الْمُنْدَائِيَّةِ بِالْمَهْجَرِ» وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْأَسْتَاذُ «صُهَيْبُ النَّائِي» مُدِيرُ عَامِ الْإِتِّحَادِ، وَالْبَاحِثُ الْمُنْدَائِيُّ الْكَبِيرُ الْأَسْتَاذُ عَزِيزُ سَبَاهِي، مَتَّعَهُ اللَّهُ بِالصَّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ.

الشُّكْرُ؛ كُلُّ الشُّكْرِ لِمَكْتَبَةِ جَامِعَةِ لِيدِنِ يُونَلَنْدَا، وَخَاصَّةً لِلدُّكْتُورِ أَرْنُولْدِ فِرُولِيْجِك A. VROLIJK أَمِينِ عَامِ الْمَجْمُوعَاتِ الْخَاصَّةِ بِمَكْتَبَةِ جَامِعَةِ لِيدِنِ، وَكَذَلِكَ لِلدُّكْتُورِ جُونِ فِرَانْكهُيْزِنِ J. FRANKHUIZEN الْمُسْتَوِلِ بِقِسْمِ الْمَجْمُوعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْمَكْتَبَةِ عَلَى مُعَاوَنَتِهَا الصَّادِقَةِ.

وَفِي الْآخِرِ: لَا أَقُولُ اسْتَوْفَيْتُ تِلْكَ الدِّرَاسَةَ حَقَّهَا، لَكِنِّي أَقُولُ اسْتَنْفَدْتُ جَهْدِي، وَمَا أَذْخَرْتُ وَسْعًا فِي الْبَحْثِ وَالتَّقْصِي، وَاعْتَذِرُ مُسَبِّقًا عَنِ الْأَخْطَاءِ وَالْهَنَاتِ الَّتِي لَا يَخْلُو مِنْ مِثْلِهَا عَمَلٌ عِلْمِيٌّ، عَلَى أَنَّيْ بَذَلْتُ وَسْعِي فِي سَبِيلِ تَلَاوُفِهَا، لَكِنَّ طِبَاعَ الْبَشَرِ غَالِيَةٌ، وَالْكَفَالُ لِلَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - وَخَدُّهُ. وَحَسْبِي أَنِّي اجْتَهَدْتُ، وَمُنْتَهَى أُمْنِيَّتِي أَنْ تَسْتَقْبَلَ الْأَوْسَاطُ الْعِلْمِيَّةُ دِرَاسَتِي هَذِهِ بِقَبُولٍ حَسَنٍ، فَإِنْ مَثَلَتْ لَهُمْ إِسْهَامًا لَهُ قِيَمَتُهُ؛ فَلَا شَرَفَ عِنْدِي يَغْدِلُ ذَلِكَ.

د. أَحْمَدُ الْعَدَوِي

القَاهِرَةُ فِي: 26 مِنْ الْمَحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ 1431 لِلْهِجْرَةِ

الْمُؤَارِقِ الْأَوَّلِ مِنْ يَنَآيِرٍ مِنْ عَامِ 2011 لِلْمِيلَادِ.

# مَهْيَدٌ

## أهم المصادر والوضع الراهن للدراسات الحديثة

«الصَّابِلُونَ - فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى - مُقَرَّرُوا  
الذِّكْرَ بِالطَّوَائِفِ الَّتِي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا؛ فَأَمَّا  
الكَائِنُونَ بِسَوَادِ الْعِرَاقِ حَوْلِي قُرَى وَاسِطٍ؛  
فَمَا حَصَلَتْ مِنْهُ سَبَابُهُمْ عَلَى شَيْءٍ الْبَيِّنَةِ،  
وَأَمَّا التَّلَقُّبُونَ بِلَقَبِهِمْ مِنْ بَقَايَا الْيُونَانِيِّينَ  
الكَائِنِينَ بِمَجْرَّانٍ؛ فَهُمْ مِنْهُ الصَّيَانَةُ  
لَشَرَائِعِهِمْ بِمِثْلِ لَا يَتَكَادُ مُخَالَفَتُهُمْ يَقْفُونَ  
عَلَيْهَا».

البيروني

بادئ ذي بدء فإنّ الأدب المندائي<sup>1</sup> هو أدب ديني بامتياز، فالنصوص المندائية المعاصرة لم تكثر إلّا للقضايا الدينيّة، والطّقوس التي يجب أن يُراعى مؤدّيها الصرامة والدقة الشديدة أثناء تأديتها، ومن ثمّ فإنّه من النادر العثور داخل هذه الكتابات على معلومات ذات بُعد تاريخي. مع ذلك فإنّ بعض النصوص الدينيّة تضمّ بين دفتيها معلومات ذات قيمة تاريخيّة كبيرة، فيُعطينا ديوان «حرّان جويشا» [حرّان الداخلة (السفلى؟)] *The Haran Gawaita* معلومات قيّمة عن علاقة صابئة حرّان بالصابئة المندائيين، ويُرجّح أن يكون قد تمّ تدوينه للمرّة الأولى في أواسط العصر العبّاسي<sup>2</sup>.

كما تتضمّن تعليقات النساخ في خواتيم المخطوطات *Colophons* الدينيّة المندائية معلومات تتسم بالأهميّة، بسبب ما أشاروا إليه عرّضاً من ظروف تعرّضوا لها إبان تدوين تلك المخطوطات، وبعضها تعود لعصور ما بعد الفتوحات الإسلاميّة نفسها؛ أبرزها: «ديوان القلستا»<sup>3</sup> أو الصلوات الكهنوتيّة *the canonical prayer book of the Mandaean* وديوان «العالم الرئيس الصّغير»<sup>4</sup> *Alma Risaia Zuta* وبها تردّ عرّضاً معلومات قيّمة عن العلاقات بين المسلمين والمندائيين.

<sup>1</sup> تُشتق لفظة «مندائي» من جذر آرامي قديم هو «مَدَع» بمعنى عَرَفَ أو عَلِمَ، أي هم «أهل المعرفة والعلم»، وهي معرفة إلهية لدنيّة اختصّوا بها دون سائر البشر، وهي تسمية لها علاقة بمعتقدات الطوائف الغنوصية الطابع.

<sup>2</sup> انظر مقدمة الليدي دراور للنشرة الوحيدة التي صدرت لهذا الديوان:

E. S. DROWER: *The Haran Gawaita, and the Baptism of Hibil Ziwa*, Citta del Vaticana, 1953, p. x.

<sup>3</sup> قام مارك ليدزبارسكي بترجمة جزء من هذا الديوان من المندائية إلى الألمانية، لكن النشرة الأكمل والأكثر تداولاً بين الباحثين هي نشرة السيّد دراور، والتي قامت بترجمته كاملاً من المندائية إلى الإنجليزية في نشرتها المعنونة بديوان الصلوات الكهنوتيّة عند المندائيين:-

*The Canonical Prayer Book of the Mandaean, Lieden 1959.*

<sup>4</sup> قامت السيّد دراور - أيضاً - بترجمة هذا الديوان من المندائية إلى الإنجليزية في عملها: *Diwan Alma*

*Risaia Zuta, in: A pair of Nasorean commentaries, two priestly documents, Trans. & Editing.*

Lieden 1963.



أما عن الحرانانية<sup>5</sup> فلم يصلنا شيء ذو بال من أدبياتهم الدينية - كما سئرى بالتفصيل عند التعرض للمصادر الأدبية - ولو وصلنا منها شيء لكان ذلك كفيلاً بتوضيح موقف الحرانانية الدينية، وتسييل الضوء بعمق على علاقة المندائيين بالحرانانية، بدلاً من تلك التكهّنات والاختلافات المتروحة بين المؤرخين في تقدير أبعاد العلاقة بين كلتا الطائفتين.

## المصادر العلمية

### 1- الآثار

لم يُقدّم علم الآثار - بعدُ - الكثير لدارسي الصابنيّات، وكان من الممكن أن يتمّ حلُّ الكثير من القضايا الخلافية والمعقدة من خلال دراسة ما تخلف من آثار مادية عن المندائيين في بيئة البطائح جنوبي العراق، وصابئة حرّان بمدينة حرّان وأعمالها، لكنّ هذا لم يحدث؛ ويبدو أنه لن يحدث - على الأقلّ خلال المستقبل المنظور - فقد استقرّ المندائيون منذ القدم في منطقة البطائح إلى الشمال من البصرة، وقد أدّت حرب الخليج الأولى التي خاصها العراق ضدّ إيران (1980-1988) إلى فساد الطبقة الأثرية السطحية بالمنطقة، بمتوسط عمق وصل إلى 20 متراً في بعض المناطق، وبطبيعة الحال أصبحت تلك المنطقة غير آمنة تماماً للقيام بأعمال التنقيب بسبب الألغام ومخلفات الحرب.

وعلى ذلك فقد أضربت البعثات الأثرية عن التنقيب في تلك المناطق منذ اشتعال تلك الحرب وحتى يومنا هذا، وما قد تمّ اكتشفه بالفعل من كتابات وشقف فخارية عليها نقوش وكتابات مندائية هي في الأغلب نصوص دينية وأدعية لا تُعطي أيّ أبعاد تاريخية، لكنّها قد تكون مفيدة في دراسة تطوّر اللغة المندائية، وطبيعة التطوّرات التي ألمّت بالديانة نفسها<sup>6</sup>.

<sup>5</sup> الحرثاني (ج. حرثانية) نسبة إلى حرّان على غير قياس في العربية، وهي تسمية لا تنطبق إلا على صابئة حرّان فحسب، وذلك تمييزاً لهم عن «الحرثانية» وهي النسبة القياسية في اللغة إلى حرّان، والتي تضمّن الإشارة إلى ساكني حرّان والمتّسمين إليها دون اعتبار للديانة، ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندبي، بيروت 1990، 2: 271.

<sup>6</sup> تفصيلاً أنظر: - RUDOLPH MACUCH: The origins of the Mandeans and their scripts, the Journal of the Semitic studies, vol.16, No. 2, 1971.

وليسَ نَمَّ أَمَلٌ يُراودُ البَاحِثِينَ في مادَّةِ أثرِيَّةٍ جَديدةٍ ويَكر؛ إِلَّا بِاكتِشافِ بَقاعِ عِدَّةٍ أشارت إليها الكِتاباتُ المَندائيَّةُ والمَصادِرُ العَرَبِيَّةُ المُعاصِرَة على أَنَّها أَمَكانٌ كانَ المَندائيُّون يُشكِّلون نَقْلاً سَكَّانِيًّا بها، كَمَدِينَةِ مَيْسَانَ إلى الجَنُوبِ مِن واسِط، ومَدِينَةِ دُشْتَمَيْسَانَ إلى الجَنُوبِ مِن مَيْسَانَ والتي رُبَّما تَقَعُ إلى الجَنُوبِ الشَّرقي مِن مَدِينَةِ العِمَّارةِ الحالِيَّةِ، بِالإِضافةِ إلى مَدِينَةِ الطَّيِّبِ الغَامِضَةِ، والتي وَصَفَتِها المَصادِرُ العَرَبِيَّةُ بِأَنَّها كانتَ تَقَعُ إلى الشَّرقي مِن واسِط، وفي مُنتَصَفِ الطَّرِيقِ بَينَ واسِطَ وخُوزِستانَ<sup>7</sup>، والتي رُبَّما تَقَعُ أَطْلَافُها في مَكانٍ ما على خُطِّ الحُدُودِ العِراقِيَّةِ الإِيرانِيَّةِ، أو رُبَّما تَضُمُّها اليَومَ الحُدُودُ السِّياسِيَّةُ الإِيرانِيَّةُ، لا سِيَّما إِذا أَخَذنا عِبارَةَ «وَسَطِ الطَّرِيقِ» على أَنَّها وَصَفٌ دَقِيقٌ لِمَوقِعِها.

أما حَرَّانُ فَقَدَ سَوَّتُها جَحَافِلُ جِيُوشِ هُولاكُو خانَ بالأَرضِ بَعدَ أن أحرَقتَ المَدِينَةُ ودمَرتَها تَدميرًا تامًّا عامَ 657هـ/ 1258م، ولم تُقدِّمِ الحَفَرِيَّاتُ الأَثَرِيَّةُ التي جَرتَ بِمَوقِعِ المَدِينَةِ الأَثَرِي الكَثيرِ مِنَ المَعلُومَاتِ، لَكنَّها نَجَحَتْ في اكْتِشافِ أَساساتِ هيكَلِ الإِلَهِ «سِين» إِلَهِ القَمَرِ، وَبَعضِ المَقابِرِ لِأَهْلِ المَدِينَةِ مِنَ الحَرَّانِيَّةِ، إلى جَانِبِ بَعضِ التَّماثيلِ والعُمُلاتِ المَعْدِنِيَّةِ<sup>8</sup>، لَكنَّها لَسُوهُ الحَظَّ لَم تَعُثِرْ على كِتاباتٍ دِينِيَّةٍ مِن شَأِها إِماطَةُ اللُّثامِ عَن طَبِيعَةِ دِيانَةِ الحَرَّانِيَّةِ. وَآراءُ البَاحِثِينَ في عَقائِدِ الحَرَّانِيَّةِ وَعَلاقَتِها بِالمَندائيِّينَ ما تَزالُ إلى اليَومِ تَدخُلُ في بابِ التَّكهُنَّاتِ أَكثَرُ مِنها إلى التَّوَصِيفِ العِلْمِيِّ، وَذلكَ بِسَبَبِ التَّعَقُّيداتِ التي تُحِيطُ بِاسْتِقاءِ المادَّةِ المُتَيسِّرةِ عَنْهُم وَعَن عَقائِدِهِم مِن خِلالِ المَصادِرِ الأَدبيَّةِ.

## 2- الوِثاق

كانَ مِنَ المُمكِنِ أَيضًا أن تُعْطِينا الوِثاقَ - وَبِخَاصَّةٍ يَلكَ المُتَعلِّقَةُ مِنها بِالخِزْيَةِ - صُورَةً صَادِقَةً عَن أَوْضاعِ كِلتَا الطَّائِفَتَيْنِ في عَصرِ الخِلافةِ العَباسِيَّةِ، لا سِيَّما الأَوْضاعَ

<sup>7</sup> ياقوت الحموي: مُعْجَمُ البُلدان، 4: 60.

<sup>8</sup> E. LAROCHE: *Divinités lunaires d' Anatolie*, Revue de l' Histoire des Religions, vol. 148, pp 7-9.

وانظر أيضًا: - W. Brice; S. Loyd: *Haran*, Anatolian Studies, vol. 1, 1951, pp 87-96.

الصابنة منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية

الدِّيمُوجَرافِيَّة والمَعِيشِيَّة والاقتصادِيَّة، ولكن لسوء الحظ فُقدت جَمِيعُهَا نَتِيجَةُ عَدَمِ اكْتِرَاتِ المُسْلِمِينَ لِحِفْظِ الوَثَائِقِ الَّتِي تَسْقُطُ قِيَمَتُهَا عَمَلِيًّا بِالتَّقَادُّمِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى التَّكَاتِ المُتَابَعَةِ الَّتِي تَعَرَّضَتْ لَهَا الحَوَاضِرُ والمُدُنُ الرَّئِيسِيَّةُ بِالعِرَاقِ، لَا سِيَّما مَا وَكَبَ اسْتِيلَاءُ هُوَلَاكُو ثُمَّ تَيَمُّور لَنُكْ عَلَى بَغْدَادِ مِنْ أَعْمَالِ تَذْمِيرٍ وَإِحْرَاقٍ وَاسِعِ المَدَى.

لَا يَنْطَبِقُ الحَالُ عَلَى وَثَائِقِ الحِزْبِيَّةِ فَحَسَبَ بَلْ يَنْسَجِبُ عَلَى الوَثَائِقِ الأُخْرَى المُتَعَلِّقَةِ بِالحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالإِدَارَةِ المَالِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ والقَضَائِيَّةِ وَغَيْرِهَا. وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْ تِلْكَ الوَثَائِقِ سِوَى تِلْكَ المَجْمُوعَةِ الفَرِيدَةِ المُسَمَّاةِ بِ«رِسَائِلِ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ»، لِأَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ (ت 384هـ/ 994م) إِذْ تُعَدُّ أَهَمُّ مَجْمُوعَةٍ وَثَائِقِيَّةٍ تَخَلَّفَتْ إِلَيْنَا مِنَ العَصْرِ العَبَّاسِيِّ عَلَى الإِطْلَاقِ، فَهِيَ ثَمَرَةُ عَمَلِ الرَّجُلِ لِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِينَ عَامًا بِدَوَاوِينِ الخِلَافَةِ الإِدَارِيَّةِ - لَا سِيَّما دِيَوَانَ الإِنشَاءِ - وَأَغْلَبُ مَجْمُوعِ تِلْكَ الرِّسَائِلِ عِبَارَةٌ عَنْ وَثَائِقِ رِسْمِيَّةٍ صَادِرَةٍ إمَّا عَنْ دَارِ الخِلَافَةِ أَوْ دَارِ الإِمَارَةِ البُويِّيَّةِ، وَتُعَوِّدُ أَهَمِّيَّتَهَا إِلَى أَنَّ العَدِيدَ مِنْهَا لَهُ عِلَاقَةٌ مُبَاشِرَةٌ بِطَائِفَةِ الصَّابِنَةِ، وَأَهَمُّهَا عَلَى الإِطْلَاقِ، مُنْشُورُ الأَمَانِ الَّذِي مَنَحَهُ الخَلِيفَةُ الطَّائِعُ لِلَّهِ لَصَابِنَةِ حَرَّانَ. فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ؛ فَهِيَ تَسْجِيلٌ كَامِلٌ لِنُفُوذِ صَاحِبِهَا وَصُعودِهِ فِي سُلَّمِ الحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي ذَلِكَ العَصْرِ، وَتَأْثِيرِ ذَلِكَ عَلَى بَنِي جَلَدَتِهِ، كَمَا تُعْطِيَانَا مَعْلُومَاتٍ مُفْصَلَةً عَنْ أَوْضَاعِ الجَالِيَّةِ الحَرْنَائِيَّةِ بِبَغْدَادِ، لَا تَجِدُ لَهَا مِثِيلًا فِي المَصَادِرِ المُعَاَصِرَةِ.

وَحَتَّى ذَلِكَ القِسْمُ الَّذِي يَتَضَمَّنُ المُرَاسَلَاتِ الشَّخْصِيَّةَ وَالخِطَابَاتِ الَّتِي تُخَصُّ أَبَا إِسْحَاقَ الصَّابِيَّ نَفْسَهُ، فَهُوَ يُلْقِي الضَّوءَ - بِدَوْرِهِ - عَلَى أَوْضَاعِ الجَالِيَّةِ الحَرْنَائِيَّةِ بِبَغْدَادِ مِنَ النُّوَاجِحِ المُتَعَلِّقَةِ بِالحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالدِّيْنِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ، أَخْصَصُ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الوَثَائِقِ رِسَائِلَ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ إِلَى ثَمَرِ بْنِ حَكِيمٍ بْنِ يَحْيَى رَأْسِ الصَّابِنَةِ الحَرْنَائِيَّةِ بِحَرَّانَ، وَالَّتِي شَكَلَ لَهَا فِيهَا أَوْضَاعُ الطَّائِفَةِ المُتَرَدِّةِ بِبَغْدَادِ، وَالَّتِي نَقِثُ مِنْ خِلَالِهَا عَلَى مَعْلُومَاتٍ فِي مُتَهَمِي النُّذْرَةِ عَنْ أَوْضَاعِ الجَالِيَّةِ الحَرْنَائِيَّةِ خِلَالَ العَصْرِ البُويِّيِّ، وَكَذَلِكَ مَجْمُوعَةُ الخِطَابَاتِ المُتَبَادِلَةِ بَيْنَ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ وَبَيْنَ شَقِيقِهِ أَبِي الفَضْلِ جَابِرِ بْنِ هِلَالٍ، أَوْ ابْنِهِ أَبِي سَعِيدِ سَنَانٍ، أَوْ ابْنِ

عنه أبي الخطّاب المُفَضَّل الصّائبي، وغيرها من مجموعة المراسلات الشخصية والتي يُعوّل عليها كثيرًا عند دراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والمعيشية للجالية الحرنانية ببغداد.

لم يُنشر من تلك المجموعة الوثائقية الفريدة حتّى يومنا هذا سوى أقلّ من العُشر على يد شكيب أزيلان، والذي نشر القسم الأوّل من «المختار من رسائل أبي إسحاق الصّائبي»<sup>9</sup>، ولسبب ما لم يُقَمَّ باستكمال نشر القسم الثّاني من ذلك المجموع، وبالتالي ظلّ ما يقرب من 90% من مجموع هذه الرسائل الفريدة غير متّاح للباحثين<sup>10</sup>.

جديرٌ بالذكر أنّه لم تُكتشف - لالآن - نسخة خطيّة كاملة من تلك الرسائل بأيّ من مكتبات العالم، ويُمكن تشبيه ما تحلّف إلينا من مخطوطات الرسائل بأنّ كلّاً منها أشبه بقطعة من لوحه فسيفساء كبيرة، لا تكتمل ملاحظتها إلّا إذا أُعيد ترتيبها وصُفّت كلّ في موضعه، وأبرزُ تلك النسخ الخطيّة: نسخة مكتبة الجامع الأزهر بمصر والتي تحمّل أرقام 561 خاص، 7156 أدب. ونسخة دار الكتب المصريّة وتحمل عنوان «مُنشآت الصّائبي»، وتحمل رقم 32588 أدب. ونسخة مكتبة مجلس الشورى الإيراني (مجلّسي شوراي إيران) وتحمل رقم 4849. ونسخة مكتبة تيشستر بيتي بأيرلندا، وتحمل رقم AR.35/522؛ ونسخة مكتبة جامعة ليدن بهولندا وتحمل رقم OR.766. وتعود أهمية تلك النسخة إلى أنّها النسخة الوحيدة التي تحمّل منشور الحليّة الطائع الذي حَسَم الآثار السياسيّة التي ترتّبت على السّجال الفقهي الذي دار بين الفقهاء حول مُعاملة صابئة حرّان، هذا بالإضافة إلى نسخة مكتبة عاشر إفتدي بتركيا وتحمل رقم 117 أدب عربي، وتحتوي على مُختارات من الرسائل اختارها ورّاق مجهول، ومن

<sup>9</sup> نشر شكيب أزيلان القسم الأوّل فحسب من «المختار من رسائل الصّائبي»، وهو عبارة عن مجموعة مُختارة من الرسائل، انتقاها ورّاق مجهول في قسمين كبيرين، نشر أزيلان أوّلها فحسب، وصدرت طبعته الأوّل في بغداد ببلقان عام 1898.

<sup>10</sup> عن أهمية رسائل أبي إسحاق الصّائبي في التاريخ لعصر بني بويه انظر:- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربيّة عبد الحليم النّجار، القاهرة 1959، 2: 120؛ كلود كاهن: بُو بويه، مقال بدائرة المعارف الإسلاميّة، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد، وآخرين، دار الشعب، القاهرة 1970، 8: 476.



ثم منحتها اسمها التي اشتهرت به وهو «المختار من رسائل الصَّابِي» والقسم الأول منها فحسب هو الذي سبق ونشره أريسلان، كما سبق التتويه.

ثمة مجموعة - أيضًا - من مراسلات أبي إسحاق الصَّابِي سبق نشرها من قبل، يأتي على رأسها مجموعة الخطابات والرُّدود المتبادلة بين كُلٍّ من أبي إسحاق الصَّابِي والعالم الفارسي الشهير ويحْجُ بن رُسْتَم المعروف بأبي سهل الكُوْهي<sup>11</sup> (كان حيًا عام 372هـ / 982م)، والتي تمكنا بمعلوماتٍ مهمّةٍ عن إسهامات العلماء الصَّابئة على الصَّعيد العلمي. ومن أهم تلك المراسلات أيضًا مجموعة المراسلات المتبادلة بين أبي إسحاق الصَّابِي وبين الشَّريف الرُّضي<sup>12</sup> (ت 406هـ / 1015م)، والتي تُلقي أضواءً على أخبار أيام أبي إسحاق الصَّابِي، كما تحل مجموعة الرِّسائل المتبادلة بين الطَّبَّيين ابن بطلان البغدادي (ت 444هـ / 1052م) وعلي بن رضوان المِصري<sup>13</sup> (ت 460هـ / 1067م) أهميّة خاصّة - في هذا الصِّدد - من خلال ذكر الصَّابئة عَرَضًا ببعض تلك الرِّسائل، والتَّركيز على بعض عاداتهم، وبعض قِيَمهم الدِّينيَّة والخلقيَّة.

## المصادر الأدبية

مدخل: الطَّبَّيعة الخاصَّة للمصادر الأدبيَّة في دراسات الصَّابِنِيَّات

لِعبت طَبَّيعة الدِّيانة الحُرانيَّة - كوُثُها دِيانة باطنيَّة، لا يُرْخَصُ لِاتِّباعِها إطلاَعُ الغَيرِ على طَبَّيعة مُعتقدائهم، وكذلك حِفْظُهم الصَّارم لكتَّابائهم الدِّينيَّة - دورها في عَدم وُصول أيِّ

<sup>11</sup> نشرها ج. ل. برغرن بعنوان: *The correspondence of Abu Sahl Al-kuhi and Abu Ishaq Al sabi, journal for the history of arabic Science, vol 7, 1983.*

<sup>12</sup> نشرها مُحَمَّد يُوْسُف نجم عن نسخة خطيَّة فريدة كان يحفظُ بها المرحوم حسن حُسني عبد الوهاب، وقد صدرت تلك النشرة بالكُوَيْت عام 1961.

<sup>13</sup> نشرها كل من يُوْسُف شَخْت؛ مأكس ماير هوف، بالقاهرة عام 1937.

من الكتابات الدينيّة الخاصّة بالحرانيّة إلينا. ورغم أنّ طليعة المهاجرين الحرانيّة إلى بغداد كانت مختلفة عن بني جلدتهم من حيث حفاظهم على باطنيّة الديانة، وسريّة ممارساتها، فقد لعبت علاقتهم بالمؤسسة الدينيّة الرسميّة بحران - والتي اعتبرتهم من المارقين والخارجين عليها، وكذلك وجودهم في مجتمع مُفتّح على مختلف الثقافات والديانات - دوراً في تخفيف سمة الباطنيّة عند الحرانيّة البغاددة، فتخلّوا طواعيّة عن حذر أسلافهم في وجوب عدم إطلاع الأجنبيّ على حقائق الديانة.

ولسوء حظنا فإنّ جميع ما دوّنه أبناء الجاليّة الحرانيّة ببغداد من كتابات ذات بُعد دينيٍّ أو عقائديٍّ قدّر لها ألاّ تصلنا مطلقاً، ولم يتبقّ لنا منها سوى فقرّة واحدة نقلها ابن العبري عن ثابت بن قرة تخصّ التعامل مع القرابين الحيوانيّة<sup>14</sup>. خلا ذلك لم يتبقّ من تلك المؤلفات القيّمة سوى عناوينها، ولو قدّر لها الوصول إلينا لأمدّتنا بمعلوماتٍ لا تنقصها المضادّة عن عقائد الحرانيّة، وطليعة موقفهم الديني، وكذلك طليعة علاقتهم بالمندائيّين.

كان لثابت بن قرة (ت 288هـ/ 900م) عدّة تصانيف لها طليعة الشروحات الدينيّة فيما يتعلّق بمذهب الصابئة في الرّسوم والفروض والسّنن، وتكفين الموتى ودفنهم، وأُمُور الطّهارة والنّجاسة وفقاً لعقائد الحرانيّة، وما يصلح من الحيوان للمضحايا وما لا يصلح، وكذلك ما يخصّ أوقات العبادة ومواقيت الصّلاة، بالإضافة إلى رسالة مُطوّلة في «وصف مذهب الصّابئين». كما كان لولده سنان بن ثابت بن قرة (ت 331هـ/ 942م) رسالة أيضًا في شرح مذهب الصّابئين، ورسالة أخرى في قسمة أيام الجمعة على الكواكب السّبعة، ورسالة في أخبار آبائه وأجداده وسلفه. بالإضافة إلى كتاب في السُّور والصّلوات التي يُصلّي بها الصّابئون. كما كان لحفيده - لأمه - أبي إسحاق الصّابي رسالة في وصف نخلّة الصّابئة، ورسالة أخرى حول أخبار أهلِهِ وولَدِ أبيه<sup>15</sup>.

<sup>14</sup> ابن العبري: تاريخ مختصر الدّول، منشورات دير الآباء اليسوعيّين، بيروت د.ت. 153.

<sup>15</sup> ابن أبي أصيبعة: عيُون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت د.ت. 304، القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، بيروت د.ت. 133.

وقد أُلْحِقَ ذلك النَّقْصُ الكَمِّي والكَيْفِي للمادّة - حَوْل طَبِيعَةِ دِيَانَةِ الصَّابِنَةِ ومَذَاهِبِهِم - الْكُتَّابُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى اسْتِقْأَاءِ مَاذِهِم عَنِ الصَّابِنَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ مِنْ خِلَالِ كِتَابَاتِ النَّصَارَى الشَّرِيَانِ، وَهُمْ قَوْمٌ اسْتَحْكَمَ عِدَاؤُهُم لِلْحَرْنَانِيَّةِ مِنْ خِلَالِ مِيرَاثِ طَوِيلٍ مِنَ الْكَرَاهِيَةِ الْمُتَبَادَلَةِ بَيْنَ النَّصْرَانِيَّةِ وَالْوَنْثِيَّةِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنَ التَّقْصِي والتَّحْرِيَّاتِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي قَامَ بِهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ - وَعَلَى الْأَخْصَصِ أَحْمَدُ بْنُ الطَّيِّبِ السَّرَخْسِيُّ، وَالْمَسْعُودِيُّ، وَالْبَيْرُونِيُّ - حَوْلِ الْحَرْنَانِيَّةِ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا أُوْرِدَتْهُ الْمَصَادِرُ الْعَرَبِيَّةُ بِخُصُوصِ صَابِنَةِ حَرَّانٍ إِنَّمَا جَاءَ نَقْلًا عَنْ هَذِهِ الْمَصَادِرِ الشَّرِيَانِيَّةِ<sup>16</sup>.

وطَبِيعَةُ تِلْكَ الْمَصَادِرِ تَجْعَلُنَا أَكْثَرَ تَحْفَظًا تَحَاةِ التَّسْلِيمِ بِمَا وَرَدَ بِهَا، ذَلِكَ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمَوْضُوعِيِّ دِرَاسَةِ تَارِيخِ قَوْمٍ وَعَقَائِدِهِمْ مِنْ خِلَالِ رُؤْيَةِ أَعْدَائِهِمْ هُمْ. وَكَتَيْبَةُ مُبَاشِرَةِ اعْتَادِ الْبَاحِثُونَ فِي الصَّابِنِيَّاتِ الْمُبَالِغَةِ فِي الْحَذَرِ عِنْدَ مُعَالَجَةِ الْأَخْبَارِ الَّتِي تَرِدُ عَنِ الْحَرْنَانِيَّةِ فِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَبَلَّغَ بَعْضُهُمْ حَدَّ الْإِفْتِتَاحِ بِإِنْعِدَامِ الْقِيَمَةِ التَّارِيخِيَّةِ لِلْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ حَوْلِ الْحَرْنَانِيَّةِ<sup>17</sup>؛ بَلْ إِنَّ بَاحِثًا جَلِيلًا بِحُجْمِ لُؤَيْسِ مَاسِينِيُونٍ انْتَقَدَ بِجِدَّةٍ مَا أُوْرِدَتْهُ الْمَصَادِرُ الْعَرَبِيَّةُ بِخُصُوصِ الْحَرْنَانِيَّةِ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الثَّرَاثِ الْأَدَبِيِّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ مَاخَذَ الْجَدِّ أَوْ يُعَوَّلَ عَلَيْهِ. وَفِي الْوَاقِعِ فَإِنَّ الزِّيمَامَ الْحَذَرَ عِنْدَ التَّعَامُلِ مَعَ الْمَصَادِرِ الْأَدَبِيَّةِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَالتَّحَقُّقِ مِنْ مَصَادِرِهَا وَمَدَى مُضْدَاقِيَّتِهَا هِيَ أَهْمُ سِمَاتِ الْأَبْحَاثِ التَّارِيخِيَّةِ الْجَادَّةِ، لَكِنْ الْمُبَالِغَةُ فِي هَذَا الْحَذَرِ إِلَى حَدِّ طَرَحِ الْمَصَادِرِ الْأَوَّلِيَّةِ بِرُمُوتِهَا وَالتَّوَقُّفِ عَنِ الْبَحْثِ وَالدِّرَاسَةِ فِي انْتِظَارِ ظُهُورِ مَادَّةٍ جَدِيدَةٍ لَهَا طَبِيعَةُ مُخْتَلِفَةٍ لَيْسَ لَهُ مَا يُبَرِّرُهُ - مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرِي - وَذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ، أَوَّلُهُمَا: أَنَّ زَعْمَ أَنَّ كُلَّ مَا قَدَّمَتْهُ الْمَصَادِرُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ أَخْبَارٍ عَنِ الْحَرْنَانِيَّةِ مُسْتَقْفَى مِنَ الْمَصَادِرِ الشَّرِيَانِيَّةِ هُوَ وَصَفٌ غَيْرُ دَقِيقٍ ابْتِدَاءً، كَمَا سَنَرَى بَعْدَ، فَبَعْضُ الْكُتَّابِ الْمُسْلِمِينَ عَرَفَ نَظْرَاءَهُ مِنَ الصَّابِنَةِ عَنْ قُرْبٍ، وَاخْتَلَطَ بِهِمْ، وَنَقَلَ عَنْهُمْ مُبَاشَرَةً، وَبَعْضُهُمْ اِزْجَلَ إِلَى حَرَّانٍ وَخَالَطَ الْحَرْنَانِيَّةَ، بَلْ وَزَارَ هَيْكَلَهُمْ، وَتَحَرَّى تَرْجَمَاتِ نَقُوشِهِمْ.

J. HJARB: *Analyse critique des traditions Arabes sur les Sabeens Harraniens*, Upsala 1972, pp. 124 - <sup>16</sup>

<sup>17</sup> ميشيل تارديو: صابنة القرآن وصابنة حران، ترجمة سلمان حرفوش، دمشق 1999، 7.

أَمَّا السَّبَبُ الثَّانِي: فَإِنَّهُ حَتَّى فِي الْقِسْمِ الَّذِي تَسْتَقِيهِ الْمَصَادِر الْعَرَبِيَّة عَنْ نَظِيرَتِهَا السُّرْيَانِيَّة مُبَاشَرَةً؛ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّن التَّسْلِيمَ بِأَنَّهُ - فِي مَجْمُوعِهِ - مَخْضُ اخْتِلَافٍ وَتَلَفُيقٍ، فَلَا يُغْفَلُ أَنَّ السُّرْيَانَ اخْتَلَفُوا مِنْ وَخِي الْحَيَالِ كُلِّ مَا دَوَّنُوهُ عَنْ صَابِنَةِ حَرَّانَ، وَالذَّلِيلُ فِي هَذَا هُوَ مَا أَوْرَدَهُ الْمَسْعُودِي فِي كِتَابِهِ «مَرْوُجُ الذَّهَبِ» مِنْ أَنَّهُ سَأَلَ أَحَدَ عُلَمَاءِ الْحَرْنَانِيَّةِ وَيُدْعَى «مَالِكُ بْنُ عَقْبُونٍ» عَمَّا يُشِيعُهُ السُّرْيَانُ حَوْلَهُمْ وَحَوْلَ دِيَانَتِهِمْ، وَذَكَرَ أَنَّهُ - أَيُّ ابْنِ عَقْبُونٍ - أَنْكَرَ بَعْضًا وَأَقَرَّ بَعْضًا<sup>18</sup>. وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ ذَلِكَ الْقِسْمَ الْمَنْقُولَ عَنِ الْمَصَادِرِ السُّرْيَانِيَّةِ يَخْتِاجُ إِلَى التَّدْقِيقِ وَالنَّقْدِ، لَا إِلَى طَرَجِهِ بِرُمَّتِهِ بِاعْتِبَارِهِ مَخْضُ تَلَفُيقٍ، وَمَا لَا يُدْرِكُ كُلَّهُ لَا يُتْرَكُ جُلُّهُ.

### 1- المصادر السريانية

عَاشَرَ النَّصَارَى السُّرْيَانَ الصَّابِنَةَ الْحَرْنَانِيَّةَ قَبْلَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ لِإِقْلِيمِ الْجَزِيرَةِ الْفَرَاتِيَّةِ بِعَهْدٍ طَوِيلَةٍ، وَأَظْهَرُوا اخْتِمَامًا خَاصًّا بِنَحْلَتِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ، وَالتِّي أَفْرَدُوا لَهَا مُؤَلَّفَاتٍ خَاصَّةً، فَقَدْ مُعْظَمُهَا لَكِنْ مُؤَلَّفَاتِهِمُ اللَّاحِقَةُ - فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ - ظَلَّتْ تَتَنَاوَلُهَا كَثْرَاتُ شَائِعٍ بَيْنَهُمْ<sup>19</sup>. جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ جَوَّ الْعَدَاءِ بَيْنَ الْحَرْنَانِيَّةِ وَالسُّرْيَانِ أَثَّرَ كَثِيرًا عَلَى مَوْضُوعِيَّةِ الْكُتَابِ السُّرْيَانِ فِي تَنَاوُلِهِمْ لِعَقَائِدِ الصَّابِنَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ، بَلْ وَرَبَّمَا تَدَخَّلُوا فِي بَغْضِ الْأَخْيَانِ لِحَثِّ وُلَاةِ الْأُمَرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِاتِّخَاذِ تَدَابِيرٍ أَكْثَرَ صَرَامَةً مَعَ الْحَرْنَانِيَّةِ، تَحْتَ دَعَاوَى مُخْتَلِفَةٍ مِنْهَا أَنَّهُمْ وَثِيُونُ، وَأَنَّهُمْ أَيْضًا مَا زَالُوا عَلَى عَادَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ فِي تَقْدِيمِ الْأَصَاحِي الْبَشَرِيَّةِ كَقَرَّابِينَ لَأَهْلِهِمْ<sup>20</sup>.

وهي - على كُلِّ حَالٍ - اتِّهَامَاتٌ سَلَّمَتْ بِهَا بَعْضُ الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ نَقْلًا عَنْهُمْ، كَمَا

<sup>18</sup> المسعودي: مَرْوَجُ الذَّهَبِ وَمَعَادِنُ الْجَوْهَرِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ مَحْيِي الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، الْقَاهِرَةُ 1966، 1: 468-467.

<sup>19</sup> J. HJARB: *Analyse critique*, p. 127.

<sup>20</sup> النديم: الزَّيْهَرَسْتُ، حَقَّقَهُ وَقَابَلَهُ عَلَى أَصُولِهِ أَيْمَنُ فُؤَادِ سَيِّدٍ، لُنْدُنَ 2009، 2: 365.



عند المَجْرِبِي، وَشَيْخُ الرُّبُوعِ الدَّمَشْقِي، فِي حِينِ أَوْرَدَهَا بَعْضُ الْكُتَّابِ الْمُسْلِمُونَ دُونَ أَنْ يَلْقُوا عَلَيْهَا كَالْتَدِيمِ الَّذِي أَسْنَدَ تِلْكَ الْأَرْاءَ لِمَصَادِرِهَا، وَدُونَ أَنْ يُذِلِّي بِدَلْوِهِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ الشَّائِكِ، فِي حِينِ رَفَضَهَا وَتَشَكَّكَ فِي مَصَادِرِهَا بَعْضُهُمْ كَالْمُسْعُودِيِّ وَالْبِيرُونِيِّ. لَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَمْنَعُ مِنَ الْعَوْدَةِ لِبَعْضِ تِلْكَ الْمَصَادِرِ، لَا سِيَّامَا كُتِبَ التَّارِيخُ وَالْحَوَالِيَّاتُ وَالتِّي تُمَدُّنَا بِمَعْلُومَاتٍ نَادِرَةٍ عَنْ أَوْضَاعِ الْحَرَنَانِيَّةِ، وَبَعْضِ الْأَخْبَارِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالصَّدَاقَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَحْدُثُ بَيْنَ الْفَيْئَةِ وَالْأُخْرَى بَيْنَ الْخُلَفَاءِ وَالْحَرَنَانِيَّةِ، وَهِيَ مَعْلُومَاتٌ لَا تَكْثُرُ لَهَا الْمَصَادِرُ الْعَرَبِيَّةُ عَادَةً.

وَمِنْ أَهَمِّ تِلْكَ الْمَصَادِرِ السُّرْيَانِيَّةِ كِتَابُ «الْأَيَّامِ السَّتَّةِ» لِمَارِ يَعْقُوبَ الرَّهَّائِي<sup>21</sup> مُطْرَانُ الرَّهَّاءِ (ت 90هـ / 708م)، بِالإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ «تَارِيخِ إِيْلِيَا بَرَشَنِيَا» لِإِيْلِيَا بَرَشَنِيَا<sup>22</sup> الْمَعْرُوفِ بِإِيْلِيَا النَّصِيبِيِّ (ت 438هـ / 1046م) وَالَّذِي تَرَجَمَ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى السُّرْيَانِيَّةِ مُخْتَصَرَاتٍ مِنْ تَارِيخِ ثَابِتِ بْنِ سِنَانِ الصَّائِبِ (ت 365هـ / 975م)، هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى أَكْبَرِ التَّوَارِيخِ السُّرْيَانِيَّةِ وَأَوْسَعُهَا مَجَالًا وَهُوَ تَارِيخُ مِيخَائِيلِ السُّرْيَانِيِّ الْكَبِيرِ (ت 596هـ / 1199م)<sup>23</sup>. هُنَاكَ أَيْضًا تَارِيخُ الْمُوَرِّخِ الرَّهَّائِيِّ الْمَجْهُولِ (كَانَ حَيًّا عَامَ 635هـ / 1237م) وَالْمُسَمَّى «تَارِيخُ الرَّهَّائِيِّ الْمَجْهُولِ»<sup>24</sup>، بِالإِضَافَةِ إِلَى التَّارِيخِ السُّرْيَانِيِّ الْمَطُولِ وَالْمَعْرُوفِ بِ«تَارِيخِ الزَّمَانِ» لِابْنِ الْعَبْرِيِّ<sup>25</sup> (ت 685هـ / 1286م).

<sup>21</sup> نشره مترجمًا إلى العربية مؤخرًا مار غريغوريوس صليبا شمعون، وصدرت تلك النشرة بحلب عام 1990.

<sup>22</sup> نشره مترجمًا إلى العربية الأب يوسف حبي، وصدرت تلك النشرة ببغداد عام 1975.

<sup>23</sup> تُرجمت أقسام صغيرة من هذا الكتاب إلى العربية في عدة رسائل جامعية أُجيزت بقبول اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة، وللأسف لم ترتبط تلك الترجمات بمشروع مُطَوَّر لترجمة النص الكامل للكتاب، بل شابتها العشوائية والانتقائية، ولا تزال ترجمة شابو J. B. CHABOT الفرنسية للنص السرياني الكامل للكتاب والتي صدرت بباريس عام 1899 هي النشرة المُفضَّلة لمن يُروم الاعتماد على هذا الكتاب.

<sup>24</sup> نشره معرَّبًا عن السريانية الأب ألبير ثونا، وصدرت تلك النشرة ببغداد عام 1986.

<sup>25</sup> نقله إلى العربية الأب إسحاق أزملة السرياني، وصدرت تلك النشرة ببيروت عام 1986.

تَحْتَلُّ الْمَصَادِرُ الَّتِي دَوَّنَتْ بِأَيْدِي الْعُلَمَاءِ الصَّابِنَةِ أَنْفُسَهُمْ أَهْمِيَّةً بِالْغَةِ فِي اسْتِقْصَاءِ أَوْضَاعِهِمْ وَأَنْمَاطِ حَيَاتِهِمْ، وَأَوْضَاعِهِمُ الْمَعِيشِيَّةَ وَنَظْمِيَّاتِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ وَعَادَاتِهِمْ، هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهَا تُلْقِي أَضْوَاءً مُتَنَوِّعَةً عَلَى إِسْهَامَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْثَّقَافِيَّةِ فِي ظِلِّ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَيَأْتِي عَلَى رَأْسِهَا مَجْمُوعَةُ رِسَائِلِ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةٍ فِي الرِّيَاضِيَّاتِ وَالَّتِي سَبَقَ وَنُشِرَ مُعْظَمُهَا ضَمَّنَ مُقْتَنِيَّاتِ مَجْمُوعَةِ بَانْكِي بُورْ بِخَيْدَرِ أَبَادِ الدُّكْنِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ «الْمُسْتَرْغُ مِنْ كِتَابِ التَّاجِي» لِأَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِي، وَكِتَابِ «الرَّيْجُ الصَّابِي» لِلْبِتَائِيِّ الصَّابِي (ت 317هـ / 940م)، وَمَجْمُوعُ رِسَائِلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَسَّانِ الصَّابِي (ت 335هـ / 946م)؛ وَهِيَ وَإِنْ كَانَ مَوْضُوعُهَا يَنْحَصِرُ فِي عِلْمِي الْفَلَكَ وَالرِّيَاضِيَّاتِ، إِلَّا أَنَّ بَهَا بَعْضَ الْأَخْبَارِ الْمُهِّمَةِ عَنْ أَوْضَاعِ بَنِي جَلْدَيْهِ، لَا سِيَّمَا خِلَالَ عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْقَاهِرِ بِاللَّهِ.

وَفِي السِّيَاقِ نَفْسِهِ تَأْتِي الْمَصَادِرُ الَّتِي تَخَلَّفَتْ إِلَيْنَا مِنْ مَجْمُوعَةِ مُدَوَّنَاتِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِي (ت 448هـ / 1056م) وَعَلَى الْأَخَصِّ كِتَابُهُ «رِسُومُ دَارِ الْخِلَافَةِ»، وَكِتَابُ «مُخَفَّةُ الْأُمَرَاءِ فِي تَارِيخِ الْوُزَرَاءِ»، وَالشُّذْرَاتُ الَّتِي عُثِرَ عَلَيْهَا مِنَ الْقِسْمِ الثَّامِنِ مِنْ تَارِيخِهِ الْكَبِيرِ الْمُسَمَّى بـ «تَارِيخِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِي»، وَكِتَابُ «غُرَرِ الْبَلَاغَةِ»؛ وَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ مَصَادِرُ مُتَنَوِّعَةِ الْمَشَارِبِ، فَإِنَّهَا تُلْقِي أَضْوَاءً عَلَى نَفُوذِ الْحَرْنَانِيَّةِ بِيَلَاطِ الْخِلَافَةِ آنَذَاكَ، وَكَذَلِكَ بَعْضُ الضَّرْوِ عَلَى أَوْضَاعِ الْحَرْنَانِيَّةِ بِيَعْدَادِ فِيمَا أَغْقَبَ وَفَاةِ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِي. وَيَجِبُ الْأَنْغْفَلُ كِتَابَاتِ مُحَمَّدِ غَزْسِ النُّعْمَةِ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِي (ت 480هـ / 1078م) وَيَأْتِي عَلَى رَأْسِهَا كِتَابُ «الْهَقُوتِ النَّادِرَةِ»، وَلِهَذَا الْمَصْدَرُ الْأَخِيرُ أَهْمِيَّةً بِالْغَةِ فِي تَقْصِي الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ طَائِفَتَيْ الْمُنْدَانِيَّيْنِ وَالْحَرْنَانِيَّةِ.

وَلِكِتَابَاتِ ابْنِ وَخْشِيَّةِ النَّبْطِيِّ (كَانَ حَيًّا عَامَ 318هـ / 930م) أَهْمِيَّةٌ بِالْغَةِ فِي دِرَاسَةِ عَقَائِدِ الصَّابِنَةِ، خَاصَّةً كِتَابُهُ الْأَشْهُرُ «الْفَلَاحَةُ النَّبْطِيَّةُ» الَّذِي يُعْتَمَدُ أَنَّهُ رَبَّمَا كَانَتْ لَهُ أَصُولُهُ الْبَابِلِيَّةُ الْقَدِيمَةُ، وَبَعِيدًا عَنِ الْجَدَلِ الدَّائِرِ حَوْلَ وَجُودِ أَصْلِ بَابِلِي قَدِيمٍ لِلْكِتَابِ أَوْ اخْتِلَاقِ ابْنِ الصَّابِنَةِ مِنْذُ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ حَتَّى سَقُوطِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ.

وخشيته له<sup>26</sup>؛ فقد تطرّق مؤلّفه إلى ديانة الصابئة، ووصف بعض أعيادهم، كما تعود أهميته إلى أنه جسّم بعض نقاط التشابه بين كلّ من المتدائنين والحرثانية، كما يُعدُّ كتاب «شوق المستهَام في معرفة رموز الأعلام»<sup>27</sup> للمؤلّف نفسه؛ واحدًا من أهمّ المصادر في هذا الصّدّد، فقد أسهب مُصنّفه في الحديث عن عقائد الصّابئة الحرثانية.

وتُعدُّ كتابات المسعودي (ت346هـ/957م) - خاصّة كتابيه «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، و«التنبية والإشراف» - من أهمّ مصادرنا عن الصّابئة، ذلك أنّ المسعودي لم يكتفِ بتحريّ مذاهب الصّابئة من خلال كتابات القدماء، بل رَحَلَ بنفسه إلى حرّان وعایش الحرثانية، وتعرّف إلى علمائهم عن قُرب، وزار هيكلهم وجمّع فلاسفتهم، وتعرّف إلى واحد من علماء الحرثانية ويدعى مالك بن عقّبون كما سبق بيّانه، وكان ابنُ عقّبون مصدر المسعودي المباشر عن الحرثانية - إلى جانب ما عاينه بنفسه بطبيعة الحال - فقد كان يعود إليه كلّما أشكل عليه أمرٌ، أو عنّ له استفسارٌ.

<sup>26</sup> يستحقّ توفيق فهد الشّاء على الجهد الذي بذله في نشره الممتازة من هذا الكتاب، والذي تأخّر نشره أكثر من قرْن كامل بسبب صعوبات خاصّة بطبيعة الكتاب وتبعثُر مخطوطاته، فنُنذ أن فكّر دانيال خوالسون D. CHWOLSOHN في تحقيق كتاب الفلاحة النبطية ونشره في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ثم ضرب صفحًا عن الفكرة بسبب انتقادات لاذعة له وُجّهت له من قِبَل نولدكه NÖLDEKE بسبب بعض تصوّرات خوالسون حول الكتاب وزمن تأليفه، وإضافات ابن وحشية وشروحاته على متن الكتاب. من ثم عاد مشروع نشر وتحقيق كتاب الفلاحة النبطية إلى التّجديد لأكثر من قرْن كامل، حتّى استطاع توفيق فهد عام 1998 بدعم من المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة بدمشق إنجاز تلك المهمّة الصّعبة.

<sup>27</sup> أفرد ابن وحشية هذا الكتاب لدراسة لغات الأقوام البائدة والمعاصرة، وهو كتاب فريد في بابهِ، حقّقه ونشره المُستشرق النمساوي جوزيف هامر بلندن عام 1806، ومُنذ تلك النشرة الفريدة لا أعلم لهذا الكتاب طبعة أخرى، وحبذا لو يُعاد نشر طبعة هامر الآن، وربّما توفّرت على ذلك في القريب، الجدير بالذكر أنّ كتاب «شوق المستهَام» كان ضمن أهمّ مصادر العالم الفرنسي الشهير ج. فرانشوا شامبليون في دراسته التي استطاع فيها أن يقدّم نظريّة متكاملة حول اللّغة المصرية القديمة، وقد أعان كتاب ابن وحشية النبطي شامبليون على تصوّر أن الهيروغليفية القديمة (لغة الطّير كما عند العلماء المسلمين) تنضمّن إلى جانب الحروف المُجرّدة صورًا تعبيرية محدّدة للأشياء، وقد أعانت هذه المرونة شامبليون على تلافي خطأ نظريّة من حاول دراسة الهيروغليفية قبله وهو تصوّر أن كلّ الرُّسومات الهيروغليفية عبارة عن حروف ومقاطع صوتيّة مُجرّدة فحسب كما هي الحال في اللّغات الحيّة الآن.

وإلى جَانِبِ مُشَاهَدَاتِ الْمَسْعُودِي فَقَدْ اعْتَمَدَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَوْسَعُ فِي النُّقْلِ عَنْهَا فِي حَدِيثِهِ عَنْ عَقَائِدِ الصَّابِنَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ، وَلَمْ يُقَدِّرْ لَنَا الْإِطْلَاعَ عَلَيْهَا كَوْنَهَا قُودَتْ جَمِيعًا، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا كِتَابِيَّةٌ هُوَ نَفْسُهُ «الْإِبَانَةُ عَنْ أَصُولِ الدِّيَانَةِ»، وَ«الْمَقَالَاتُ فِي أَصُولِ الدِّيَانَاتِ»، بِالْإِضَافَةِ إِلَى اعْتِمَادِهِ عَلَى كِتَابِ قَيْمٍ لِأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنِ زَكَرِيَّا الرَّازِي (ت 320هـ / 925م) عَنْوَانُهُ «مَذَاهِبُ الصَّابِنَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ دُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ مِنَ الصَّابِنَةِ»، هَذَا إِلَى جَانِبِ قَصِيدَةِ طَرِيفَةَ لِلْقَاضِي ابْنِ عَيْشُونَ الْحَرَّانِي (تُوفِّيَ نَحْوَ عَامِ 300هـ / 912م) تَعَرَّضَ فِيهَا لِنَقْدِ مَذْهَبِ الصَّابِنَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ.

وَلِكِتَابِ الْفَهْرُسْتِ لِمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقِ النَّدِيمِ (ت 383هـ / 993م) أَهْمِيَّةٌ قُصْوَى، فَقَدْ أَفْرَدَ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ مِنْ مَقَالَتِهِ التَّاسِعَةِ لِلْحَدِيثِ بِاسْتِيفَاضَةٍ عَنِ الصَّابِنَةِ سِوَاءِ الْمُغْتَسِلَةِ [الْمُنْدَائِيَّةِ] أَوْ الْحَرَنَانِيَّةِ، وَلَا تَرْجِعُ قِيَمَةُ كِتَابَاتِ النَّدِيمِ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ إِلَى غَزَاةِ الْمَادَّةِ الَّتِي أَمَدَّنَا بِهَا فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا لِأَنَّهُ - أَيْضًا - اعْتَمَدَ عَلَى نَقُولَاتٍ مِنْ مَكْتَبَةِ كَامِلَةٍ مِنَ الْمَصَادِرِ النَّادِرَةِ الَّتِي لَمْ يُقَدِّرْ لَهَا الْوُصُولَ إِلَيْنَا، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا رِسَالَةُ أَحْمَدَ بْنِ الطَّيِّبِ السَّرَخْسِيِّ (ت 286هـ / 899م) وَهِيَ بِعَنْوَانِ «رِسَالَةٌ فِي وَصْفِ مَذَاهِبِ الصَّابِنِينَ»، وَالَّتِي تَرْجِعُ قِيَمَتَهَا إِلَى أَنَّ السَّرَخْسِيَّ كَانَ صَدِيقًا وَنَدِيًّا لِثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ، أَكْبَرُ الْمَرْجِعِيَّاتِ الدِّيْنِيَّةِ لِلْحَرَنَانِيَّةِ بِيغْدَادَ، وَكَانَ السَّرَخْسِيُّ - بِكُلِّ تَأَكِيدٍ - عَلَى إِطْلَاعٍ عَلَى مُؤَلَّفَاتِ ثَابِتِ ذَاتِ الطَّابَعِ الدِّيْنِي، بَلْ وَرُبَّمَا رَاجَعَ ثَابِتٌ رِسَالَةَ السَّرَخْسِيِّ بِنَفْسِهِ.

مِنْ ضِمْنِ مَصَادِرِ النَّدِيمِ أَيْضًا رِسَالَةُ لِكَاتِبٍ نَسْطُورِيٍّ غَيْرِ مَعْرُوفٍ لَنَا وَيُدْعَى أَبَا يُوسُفَ إِشْعَاقَ الْقَطِيعِيِّ، وَمِنْ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَاشَ خِلَالَ النُّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ / الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ، وَعَنْوَانُ رِسَالَتِهِ - كَمَا أوردَهَا النَّدِيمُ - «الْكُشْفُ عَنْ مَذَاهِبِ الْحَرَنَانِيِّينَ الْمَعْرُوفِينَ فِي عَصْرِنَا بِالصَّابِنَةِ»، وَهِيَ رِسَالَةٌ نَادِرَةٌ فِي اعْتِقَادَاتِ الْحَرَنَانِيَّةِ، وَكَانَ لِنَقُولَاتِ النَّدِيمِ الْمُطَوَّلَةِ عَنِ الْقَطِيعِيِّ كَبِيرُ شَأْنٍ فِي الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَنَاقَلَتْ تَارِيخَ الصَّابِنَةِ وَعَقَائِدُهُمْ بِوَجْهِ عَامٍ. كَمَا اعْتَمَدَ النَّدِيمُ أَيْضًا عَلَى رِسَالَةٍ أُخْرَى لِأَحَدِ النَّصَارَى النَّسَاطِرَةِ مِنَ



غَيْرِ الْمَعْرُوفِينَ لَنَا أَيْضًا، وَيُدْعَى أَبُو سَعِيدٍ وَهَبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ النَّضْرَانِي، وَلِسُوءِ الْحِظِّ لَمْ يَذْكُرِ النَّدِيمُ عُنْوَانَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ، وَيَبْدُو أَنَّ مُؤَلَّفَهَا خَصَّصَهَا لِدِرَاسَةِ مَذَاهِبِ الصَّابِيَّةِ - خَاصَّةً صَابِيَّةَ حَرَّانَ - وَنَقَلَ عَنْهُ النَّدِيمُ فُقَرَاتٍ مُطَوَّلَةً عَنْ قَرَابِينِ الْحَرَنَانِيَّةِ وَأَعْيَادِهِمْ.

اعْتَمَدَ النَّدِيمُ - أَيْضًا - عَلَى كِتَابِ نَادِرٍ وَقَعَ عَلَيْهِ، وَهُوَ كِتَابُ «أَسْرَارِ الصَّابِيَّةِ الْحَقْمَسَةِ»، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَرْجَمَةٍ عَرَبِيَّةٍ رَدِيئَةٍ لِأَصْلِهِ السُّرْيَانِي، وَيَخْتَوِي عَلَى بَعْضِ أَسْرَارِ الصَّابِيَّةِ الْحَرَنَانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، وَمَا نَعْرِفُهُ أَنَّ هَارُونَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَمَّادِ بْنِ إِسْحَاقَ قَاضِي حَرَّانَ فِي عَصْرِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ - وَالْمَعْرُوفِ بِعَدَائِهِ لِلْحَرَنَانِيَّةِ - كَانَ قَدْ حَصَلَ بِطَرِيقَةٍ مَا عَلَى نُسخَةٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، فِيهِ أَمْرٌ مَذَاهِبُهُمْ وَصَلَوَاتُهُمْ، فَأَخْضَرَ مُتَرَجِّمًا مُتَمَكِّنًا مِنَ السُّرْيَانِيَّةِ فَنَقَلَهُ بِخَضْرَتِهِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ بَعَثَ بِهِ إِلَى الْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى بِيغْدَادَ نِكَابَةً فِي الْحَرَنَانِيَّةِ<sup>28</sup>، وَإِذَا اسْتَبْعَدْنَا احْتِمَالًا أَنْ يَكُونَ النَّضْرَانِيُّ السُّرْيَانِي وَرَاءَ دَسِّ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى الْحَرَنَانِيَّةِ، فَرَبَّمَا كَانَتْ تِلْكَ الْأَنْطُرُ الَّتِي نَقَلَهَا النَّدِيمُ - حَرْفِيًّا مِنْهُ - هِيَ الْفُقَرَاتُ الْوَحِيدَةُ الْبَاقِيَّةُ وَالَّتِي قُدِّرَ لَهَا أَنْ تَصِلَنَا مِنَ الْأَدْبِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ الْحَرَنَانِيَّةِ.

وَتَعُدُّ كِتَابَاتُ الْبَيْرُونِيِّ (ت 440هـ / 1048م) مِنْ أَهَمِّ مَصَادِرِنَا عَنْ الصَّابِيَّةِ، وَخَاصَّةً كِتَابَهُ «الْأَثَارُ الْبَاقِيَةُ عَنْ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ» وَالَّذِي أَفْرَدَ الْبَيْرُونِيُّ قِسْمًا خَاصًّا مِنْهُ لِلْحَدِيثِ عَنْ دِيَانَةِ الصَّابِيَّةِ وَمَذَاهِبِهِمْ، وَقَدْ حَاولَ الْبَيْرُونِيُّ - فِيمَا يَبْدُو - الْإِتِّصَالَ بِالْمُنْدَائِيِّينَ أَوْ جَمَاعَةِ مِمَّا تَبَقَّى مِنْ صَابِيَّةِ حَرَّانَ لِاسْتِفَاءِ مَادَّةٍ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ مُبَاشَرَةً، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْجَحْ فِي هَذَا الْمَسْعَى<sup>29</sup>، فَاضْطُرَّ إِلَى الْإِعْتِيَادِ عَلَى بَعْضِ الْكِتَابَاتِ النَّادِرَةِ وَالَّتِي لَمْ تَصِلْنَا بِكِتَابِ أَبِي مَعْمَرٍ الْبَلْخِي (ت 272هـ / 885م) «بَيُوتُ الْعِبَادَاتِ»، وَالَّذِي تَعَرَّضَ فِيهِ لِذِكْرِ دِيَانَةِ الصَّابِيَّةِ وَبُيُوتِ عِبَادَاتِهِمْ، بِالِإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْإِيرَانِشَهْرِيِّ الْمُسَمَّى بِ«مَقَالَاتِ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ»، وَاعْتَمَدَ الْبَيْرُونِيُّ فِي مَعْرِضِ حَدِيثِهِ عَنْ أَعْيَادِ الصَّابِيَّةِ وَرُسُومِهِمُ الدِّينِيَّةِ عَلَى مَصْدَرَيْنِ قُدِّرَ لِهَمَا أَنْ يَصِلَا أَيْضًا وَهُمَا «زَيْجُ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْهَاشِمِيِّ»، وَكِتَابُ أَبِي

<sup>28</sup> النديم: الفهرست، 2: 375-378.

<sup>29</sup> الْبَيْرُونِيُّ: الْقَانُونُ الْمُسْتَوْدِي، مَنُشُورَاتُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ، حَيْدَرُ آبَادِ الدُّكْنِ 1954، 1: 367.

الفرج الزنجاني لم يذكر البيروني عنوانه بكل أسف، استقصى فيه المؤلفان أعياد الصّابئة ومواسم صومهم واختلافاتهم الدينيّة.

كما اعتمد بحذر على بعض المصادر النسطورية، وفي مقدّمها كتاب عن الحرانيّة لكتاب نصراني يدعى ابن سنجلا النصراني (١٩)، ويرجع لديّ أنّه هو نفسه أبو الحسن بن سنجلا الكاتب<sup>30</sup>، أحد كبار الكتّاب في ديوان الوزارة في عصر الخليفة المقتدر، وقد وجّه له البيروني نقدًا حادًا بسبب ما قصده في نقض ملة الحرانيّة بحشو كتابه بالباطيل والمحالات عنهم - على حدّ قوله. اعتمد البيروني أيضًا على كتاب آخر لكتاب نسطوري يدعى عبد المسيح بن إسحاق الكندي، وكنت اعتقد في بادئ الأمر أنّ للكندي المذكور رسالة في وصف مذاهب الصّابئة الحرانيّة، إلّا أنّني سرعان ما تبين أنّ الرواية التي نقلها البيروني عن الكندي ما هي إلا بضعة أسطر وردت في ثانيا رسالة نادرة كتبها الأخير للرّد على شخص يدعى «عبد الله بن إسماعيل الهاشمي» يدّعه فيها لاغتناق النصرانيّة<sup>31</sup>، ومنها نستنتج أنّ عبد المسيح الكندي المذكور كان حيًّا في زمن الخليفة المأمون.

كذلك يعدّ كتاب «القانون المسعودي» للبيروني من الأهميّة بمكان عند دراسة عقائد الصّابئة ورؤسومهم الاجتماعيّة، فقد أفرد البيروني أقسامًا منه للحديث عن أعياد الصّابئة وتقويمهم، وما اعتادوا تمارسته في تلك الأعياد، وهو من الأهميّة بمكان عند دراسة الحياة الاجتماعيّة لطائفة الصّابئة الحرانيّة خلال العصر العبّاسي، كما يعدّ كتابه الشهير «تخديد نهايات الأماكن لتضييح نهايات المساكن» مضدرا لا غنى عنه في دراسة إسهامات العلماء الصّابئة في الحياة العلميّة، إذ يبدو البيروني في كتابه هذا مؤرّخًا قديرًا لتاريخ العلوم، وبالشكل العصري الذي نعرفه الآن.

من جهة أخرى يُصنّف كتاب المجريطي (ت 398هـ / 1007م) المسمّى «غاية

<sup>30</sup> عنه انظر: - ماري بن سليمان: أخبار بطارقة كرسي المشرق، قسّم من كتاب «المجدل الكبير» تحقيق هنري كوس جيسموند، رومية 1899، 92-97.

<sup>31</sup> نشرت في لندن عام 1880، ولا أعلم لها نشرة أخرى خلا تلك النشرة النادرة.

الحكيم وأولى التَّيَجِّينَ بالتَّقديم» وكذلك كتاب شَيْخُ الزَّيْنَةِ الدَّمَشَقِي (ت 727هـ/ 1326م) المُسَمَّى «نُخْبَةُ الدَّهْرِ فِي عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» فِي دَرَجَةِ أَذْنَى مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْمَصَادِر، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَرْكِيزِهَا عَلَى دِيَانَةِ الصَّابِنَةِ وَعَقَائِدِهِمْ، وَذَلِكَ لِشُيُوعِ بَعْضِ الْمَثَالِبِ فِيهَا، كَغَلَبَةِ رُوحِ الْخُرَافَةِ عَلَيْهَا، وَانْعِدَامِ إِسْنَادِ الْأَخْبَارِ إِلَى مَصَادِرِهَا، وَيَرْتَبِطُ بِهَذَا الصَّدَدِ رِسَالَةُ لِكَاتِبٍ يُدْعَى الطَّبْرِي الْمُنْجَمَ (عَاشَ فِي النُّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ) وَعُنْوَانُهَا «رِسَالَةٌ فِي اسْتِجْلَابِ قُوَى الْكَوَاكِبِ عِنْدَ الصَّابِنِينَ»، وَهِيَ مَا تَرَالِ مَخْطُوطَةٌ لَمْ تُنَشَّرْ بَعْدَ<sup>32</sup>، وَهِيَ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ فِي دِرَاسَةِ أَوْضَاعِ الصَّابِنَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ بِبَغْدَادَ، لَا سِيَّمَا خِلَالِ عَصْرِ الْحَلِيفَةِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ، كَمَا يَتَجَلَّى مِنْ يَخْلَاهَا أَنَّ ذَلِكَ الْمُنْجَمَ الطَّبْرِي نَفْسَهُ - وَالَّذِي عَاشَ فِي النُّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ تَقْدِيرًا - كَانَ الْمَصْدَرُ الْمُبَاشِرَ لِلْمَجْرِبِيِّ فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي أَوْرَدَهَا عَنْ الصَّابِنَةِ.

كَمَا تَحْتَلُّ كُتُبُ التَّأْرِيخِ أَهَمِّيَّتَهَا الْبَالِغَةَ فِي تَقْصِي أَوْضَاعِ الصَّابِنَةِ فِي ظِلِّ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَالتَّحَوُّلَاتِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَيْهَا، بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهَا تُلْقِي بِأَضْوَاءٍ عَدِيدَةٍ عَلَى جَوَانِبِ تَتَعَلَّقُ بِرِاثِ الصَّابِنَةِ وَعَقَائِدِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَيَأْتِي عَلَى رَأْسِهَا تِلْكَ الْمَصَادِرُ الَّتِي انْصَبَّ اِهْتِمَامُهَا عَلَى التَّأْرِيخِ لِلدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا: كِتَابُ الْمُؤَلَّفِ الْمَجْهُولِ الَّذِي رَبَّمَا عَاشَ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ وَالْمُسَمَّى بِ«الْعِيُونِ وَالْحَدَائِقِ فِي أَخْبَارِ الْحَقَائِقِ»، وَالَّذِي عَاصَرَ فِتْرَةَ أَوْجِ نَفُوزِ الْحَرَنَانِيَّةِ فِي الْبَلَاطِ الْعَبَّاسِيِّ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ «تَجَارِبِ الْأُمَمِ، وَتَعَاقِبِ الْهَمَمِ» لِأَبِي عَلِيٍّ مِسْكُوه (ت 421هـ/ 1030م) وَذِيْلُهُ الْمُسَمَّى بِ«الذَّيْلِ عَلَى تَجَارِبِ الْأُمَمِ» لِلْوَزِيرِ أَبِي شُجَاعِ الرَّوْذَرَاوَرِيِّ (ت 488هـ/ 1095م)، وَكِتَابُ

<sup>32</sup> ذَكَرَ الْمَرْحُومُ فَوَادِ سَيِّدٌ أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ الْمَخْطُوطِ كَانَ مَحْفُوظًا بِدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ بِرَقْمِ 177 غَيْبِيَّاتٍ يَتِمُّورُ، وَبِالْبَحْثِ تَبَيَّنَ لِي أَنَّ الْأَصْلَ قَدْ فُقِدَ تَمَامًا، بَلْ وَمَعِي ذِكْرُهُ مِنْ سِجَلَاتِ الدَّارِ!!، وَلَمْ يَتَبَقَّ سِوَى نُسْخَةٍ نُسِخَتْ عَنْ ذَلِكَ الْأَصْلِ الْمَفْقُودِ، يُعَوِّدُ تَارِيخَ انْتِسَاجِهَا إِلَى عَامِ 1355هـ/ 1937م، وَهِيَ مَحْفُوظَةٌ بِالْدَّارِ بِرَقْمِ

«الْمُنْتَظَمُ فِي تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ» لابن الجوزي (ت 597هـ / 1200م)، هذا إلى جانب القسم الخاص بتاريخ الدولة العباسية من كتاب «تاريخ الدول المنقطعة» للأزدي (ت 613هـ / 1216م) والتي تُعدُّ من أهمِّ المصادر التي نَقِف من خلالها على التحوُّلات التي طرأت على أوضاع الجالية الحرنائية ببغداد. هذا بالإضافة إلى الكتاب المجهول المؤلف والعنوان والذي نُجِّل لابن الفوطي (ت 723هـ / 1323م) وسُمِّي باسم أحد كتبه الضائعة لأسباب تجارية، وهو كتاب «الحوادث الجامعة، والتجارب النافعة بعد المائة السابعة»، وتردُّ في هذا الكتاب وثيقة نادرة بشأن المعاملة الشرعية للمندائيين.

وبطبيعة الحال لا تخلو كتب التاريخ العام من كبير فائدة في هذا السياق نفسه، ويأتي على رأسها كتاب «تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء» لحمزة الأصفهاني (ت 360هـ / 970م)، وكتاب «تاريخ الأنطاكي» ليحيى بن سعيد الأنطاكي (ت 458هـ / 1067م) والذي تَرَبُّه معلومات فريدة عن نهايات نفوذ الحرنائية بحرَّان، بالإضافة إلى كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (ت 630هـ / 1232م)؛ وكتاب «مِراة الزَّمان في تاريخ الأعيان» لسبط ابن الجوزي (ت 654هـ / 1256م)، وكتاب ابن العبري (ت 685هـ / 1286م) والمُسَمَّى بـ«تاريخ مختصر الدول»، وتاريخ الذهبي الكبير (ت 748هـ / 1344م) والمُسَمَّى بـ«تاريخ الإسلام، ووفيات المشاهير والأعلام»؛ وكتاب «البداية والنهاية» لابن كثير الدمشقي (ت 774هـ / 1372م). بالإضافة إلى تاريخ ابن خلدون (ت 808هـ / 1405م).

وفي السياق نفسه تردُّ بعض الأخبار المهمة عن الصَّابئة في بعض كتب التاريخ المحلي، وعلى رأسها كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر الدمشقي (ت 571هـ / 1175م)، وكتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم (ت 588هـ / 1192م)، وكتاب «الأغلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» لابن شدَّاد (ت 684هـ / 1285م) والذي يُعدُّ مصدرًا لا غنى عنه في دراسة أوضاع الحرنائية بحرَّان وأعمالها، بالإضافة إلى كتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بَردي الاتابكي (ت 874هـ / 1469م).

ولكنّ التّراجم أهميّة خاصّة، لا سيّما تلك التي أفردت لتراجم العلماء، حيثُ اهتمّت بتقصّي حياة العديد من العلماء الصّابئة وإسهاماتهم، ومن خلال هذه المصادر نقفُ جليّاً على طبيعة إسهامات هؤلاء العلماء في الحياة العلميّة والثّقافيّة، ويأتي على رأسها كتاب «طبقات الأطباء والحكّماء» لابن جلدجل (ت372هـ/ 982م)، وكتاب «صّوان الحِكْمة» لأبي سُلَيْمَانَ السّجِسْتَانِي الْمُنْطِقِي (ت391هـ/ 1000م)، وذيلهُ الْمُسَمَّى «تَمَمّةُ صِوَانِ الْحِكْمَةِ» لِلْبَيْهَقِي (ت565هـ/ 1170م)، وكذلك كِتَاب «تَارِيخُ حُكَمَاءِ الْإِسْلَام» لِلْمُؤَلِّفِ نَفْسِهِ، وَكِتَاب «طَبَقَاتِ الْأُمَم» لِمُصَاعِدِ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت462هـ/ 1070م)، وَكِتَاب «إِخْبَارُ الْعُلَمَاءِ بِأَخْبَارِ الْحُكَمَاءِ» لِلْقِفْطِيِّ (ت646هـ/ 1248م)، وَكِتَاب «عُيُونُ الْأَنْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ» لِابْنِ أَبِي أُصَيْبَةَ (ت668هـ/ 1269م).

كما لا تخلو أيضًا كُتُب التّراجم العامّة من فائدةٍ من خلال تركيزها على سِير الأعلام من الصّابئة، ويأتي على رأسها كِتَاب «تَارِيخُ بَغْدَاد» لِلخَطِيبِ الْبَغْدَادِي (ت463هـ/ 1070م)، وَكِتَاب «وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، وَأَنْبَاءُ أَرْبَاءِ الزَّمَانِ» لِابْنِ خَلِّكَان (ت681هـ/ 1282م)، وَكِتَاب «سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» لشمس الدين الذّهبي (ت748هـ/ 1344م)، وَكِتَاب «شَذَرَاتُ الذَّهَبِ فِي أَخْبَارِ مَنْ ذَهَبَ» لِابْنِ الْعِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ (ت1089هـ/ 1678م).

أمّا الْمَصَادِرُ الجُغْرَافِيَّةُ، فهي ذاتُ أهميّة بالغة خاصّة عند التّعرُّضِ لِمَسَاكِنِ الصّابئة وَأَوْضَاعِهِم الدِّيْمُوجْرَافِيَّةُ، وعلى رأسِ تلكِ الْمَصَادِرِ كِتَابُ «الْمَسَالِكِ وَالْمَهَالِكِ» لِابْنِ خُرْدَادْزِبَةِ (كَانَ حَيًّا نَحْوَ عَامِ 280هـ/ 893م)، وَكِتَابُ «عَجَائِبِ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ إِلَى نَيْتَاةِ الْعِمَارَةِ» وَهُوَ مِنْ تَصْنِيفِ جُغْرَافِي ذِمِّي يُدْعَى سَهْرَابَ [اشْتَهَرَ فِي أَوْسَاطِ الْاِسْتِشْرَاقِ بِاسْمِ ابْنِ سِيرَايُون] (كَانَ حَيًّا نَحْوَ عَامِ 287هـ/ 900م)، بِالإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ «صُورَةُ الْأَرْضِ» لِابْنِ حَوْقَلِ النَّصَّيبِيِّ (ت367هـ/ 977م)، وَكِتَابُ الْمُقْدِسِيِّ (كَانَ حَيًّا سَنَةَ 379هـ/ 989م) الْمُسَمَّى «أَحْسَنُ التَّقَايِيمِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَقَالِيمِ»، وَكِتَابُ الْإِذْرِيصِيِّ (ت560هـ/ 1164م) الْمُسَمَّى «نُزْهَةُ الْمُشْتَقَاتِ فِي اخْتِرَاقِ الْأَقَايِقِ»، بِالإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ يَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ الرُّومِيِّ

(ت626هـ/1228م) والمُسَمَّى بـ«مُعْجَم الْبِلْدَانِ»، إلى جَانِبِ كِتَاب «أَثَارِ الْبِلَادِ وَأَخْبَارِ الْعِيَادِ» لِلْقَزْوِينِي (ت628هـ/1230م)، هَذَا فَضْلًا عَنْ كِتَاب «الرَّوْضِ الْمُنْعَطَارِ فِي خَبَرِ الْأَفْطَارِ» لِعَبْدِ الْمُتَنَعِمِ الْحِمِيرِيِّ (ت727هـ/1326م).

كَمَا إِنَّ كُتُبَ الْأَدَبِ مِنَ الْأَهَمِّیَّةِ بِمَكَانٍ فِي هَذَا الصَّدَدِ أَيْضًا، فَتَرَدُّ فِي ثَنَائِهَا بَعْضُهَا أَخْبَارُ تَخْصُ نَشَاطِ رِجَالِ الصَّابَةِ فِي بِلَاطِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَيَخْتَوِي بَعْضُهَا عَلَى تَفَاصِيلِ نَادِرَةٍ تَخْصُ حَيَاتِهِمْ وَقِيمَتَهُمُ الْاجْتِمَاعِيَّةَ وَالِدِينِيَّةَ، وَمُشَارَكَاتِهِمْ فِي الْمَجَالِسِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، وَمُسَاهَمَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الْأَدَبِيَّةِ، وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ لَا تَرَدُّ فِي سِوَاهَا، وَهُوَ مَا يُبْرِزُ أَهَمِّيَّتَهَا، أَخْصُصُ بِالذِّكْرِ مِنْهَا كِتَابَ «حِكَايَةِ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغْدَادِيِّ» لِابْنِ الْمُطَهَّرِ الْأَزْدِيِّ (عَاشَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ)، وَدِيَوَانُ أَبِي الْفَرَجِ الْبَيْغَاءِ (ت396هـ/1005م) وَالَّذِي تَرَدُّ بِهِ شَذَرَاتٌ مِنْ دِيَوَانِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي الْمَفْقُودِ. بِالْإِضَافَةِ إِلَى دِيَوَانِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ (ت406هـ/1015م) وَالَّذِي تَرَدُّ بِهِ عِدَّةُ قِصَائِدٍ نَادِرَةٍ نَجْدُ بِهَا تَحْسِيدًا لِبَعْضِ مُحَارَبَاتِ الصَّابَةِ الدِّينِيَّةِ، وَكِتَابَ «الْإِمْتِنَاعِ وَالْمُؤَانَسَةِ» لِأَبِي حَيَّانِ التَّوْحِيدِيِّ (ت416هـ/1025م)، وَكِتَابَ «يَتِيمَةُ الدَّهْرِ فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ» لِلثَّعَالِبِيِّ (ت429هـ/1037م) وَالَّذِي عَرَضَ مِنْ خِلَالِهِ صُورَةٌ وَافِيَةٌ لِحَيَاةِ بَعْضِ الْأَدْبَاءِ الصَّابَةِ وَنَشَاطِهِمْ عَلَى صَعِيدِ الْحَيَاةِ الْأَدَبِيَّةِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِهِ «آدَابُ الْمُلُوكِ» وَالَّذِي يَسْتَقِي الثَّعَالِبِيُّ بَعْضَ مَادَّتِهِ مِنْ كِتَابَاتِ مَفْقُودَةٍ لِأَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي. بِالْإِضَافَةِ إِلَى كِتَابِ «التَّطْفِيلِ»، وَحِكَايَاتِ الطُّفُلِيِّينَ، وَأَخْبَارِهِمْ وَنَوَادِرِ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ» لِلْحَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ.

هُنَاكَ أَيْضًا بَعْضُ الْمَصَادِرِ ذَاتِ الطَّبِيعَةِ الْخَاصَّةِ، فَتَنْظَرُ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ خَصَّ الصَّابَةَ بِالذِّكْرِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعٍ؛ فَقَدْ اِهْتَمَّ الْمُفَسِّرُونَ اِهْتِمَامًا خَاصًّا بِهَذِهِ الْفِرْقِ، وَتَحَرَّى رِوَايَاتِ الْقُدَمَاءِ عَنْ هَذِهِ الْفِرْقَةِ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ كُتُبَ التَّفْسِيرِ تَحْتُلُ أَهَمِّيَّةً خَاصَّةً فِي تَفْسِيرِ لَفْظَةِ «الصَّابَةِ» وَدِلَالَتِهَا، وَعِلَاقَتُهَا بِالْفِرْقَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عُرِفْنَا بِالْأَسْمِ نَفْسِهِ، وَمِنْ أَهْمِّهَا تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (ت310هـ/922م)، وَتَفْسِيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ (ت327هـ/938م)، وَيَحْتُلُّ تَفْسِيرُ أَبِي بَكْرٍ الْجَصَّاصِ (ت370هـ/980م) لِآيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْمُسَمَّى بـ«أَحْكَامِ الْقُرْآنِ» أَهَمِّيَّةً

خاصّة، وذلك لأنّه من القلائل من المؤلّفين المسلمين الذين تعرّفوا عن كتب على الصّابئة المندائيّين، كما تعرّض تفصيلاً لفتوى أبي حنيفة النعمان التي أخذ بها الخليفة أبو جعفر المنصور في شأن كلّ من صابئة حرّان والصّابئة المندائيّين. هذا بالإضافة إلى أوسع تفاسير القرآن الكريم وأغناها وهو تفسير أبي عبد الله القرطبي (ت 671هـ / 1272م).

كما تحتلّ المصادر التي اهتمّت بدراسة الأديان وعقائد الفرق الدينيّة المختلفة في ظلّ الإسلام أهميّة خاصّة أيضاً، وذلك بوصفها قد تطرّقت لذكر الصّابئة ورفيقهم وعقائدهم، على أنّ أهمّ ما فيها هو تطرّقها للعلاقة المبهمة والغامضة بين الصّابئة والحنفاء، ويأتي على رأس تلك المصادر: كتاب «التبصير في الدّين»، وتتميّز الفرقة النّاجية عن الفرق الهالكين» للأُسقرائيني (ت 418هـ / 1027م)، وكتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم الأندلسي (ت 423هـ / 1031م)، وكتاب «الفرق بين الفرق» لأبي منصور عبد القاهر البغدادي (ت 429هـ / 1037م) بالإضافة إلى كتابه الآخر المسمّى «الملل والنحل»، إلى جانب كتاب «الملل والنحل» للشّهريستاني (ت 548هـ / 1153م)، وكتاب «بيان مذاهب الفرق الضّالة» لعبد الرحمن بن الجوزي، بالإضافة إلى كتابه الأشهر «تليّس إبليس»، وكتاب «اعتقادات فرق المشركين» لفخر الدّين الرّازي (ت 606هـ / 1029م)، وكتاب «تنقيح الأبحاث للملّ الثلاث» لابن كمونة اليهودي (كان حيّاً عام 683هـ / 1284م)، بالإضافة إلى كتاب «أحكام أهل الدّمة» لابن قيم الجوزيّة (ت 751هـ / 1350م).

وفي السياق نفسه؛ تُعتبر المصادر التي وُضعت لدحض آراء بعض الفلاسفة، والتي لا تُوافق العقيدة الإسلاميّة من الأهميّة بمكان، إذ كان بعض مؤلّفيها على اطلاع على آراء بعض فلاسفة الصّابئة، وعلى الأخصّ مؤلّفات ثابت بن قُرة، ويأتي على رأسها كتاب «نهاية الإقدام في علم الكلام» للشّهريستاني. وكتاب «محصل أفكار المُقدّمين والمتأخّرين من العلّماء والحكّماء والمتكلّمين» لفخر الدّين الرّازي، بالإضافة إلى كتاب ابن تيميّة (ت 728هـ / 1327م) المسمّى «بُغية المُرتاد في الردّ على المُتفلسفة والقرامطة والباطنيّة».

## المراجع والدراسات الحديثة

يعودُ اهتمامُ المُجمّع البَحْثي بالصّابئة إلى وجود بقيةٍ باقيّةٍ مِنْهُمْ بين ظَهْرَانِنَا

بالعراق، قُدِّرَ لها أن تكونَ الفرقة الغنوصية<sup>33</sup> الوحيدة التي تمكَّنت من البقاء، ألا وهي طائفة الصَّابئة المندائيين، وفي الحقيقة يُمكنُ القولُ إجمالاً أن الدَّرَاسَاتِ الخاصَّةَ بتاريخ الصَّابئة وعقائدهم قد جرت - باستثناءاتٍ طَفيْفةٍ - تحتَ رايةِ البَحْثِ في تاريخ الصَّابئة المندائيين وعقائدهم، حيثُ بدأ المُستَشْرِقُونَ في الاهتمامِ المتزايدِ بالصَّابئة المندائيين ببلاد ما بين النهرين، وتركزتِ دراساتهم حولَ ديانتهم وأصولهم العِرقِيَّة، منذَ وقتٍ مُبَكِّرٍ جداً.

ففي القرنِ السَّادسِ عَشَرَ نَقَلَ بعضُ المُبَشِّرِينَ - وخاصةً البرُتغاليين مِنْهُمْ - الذين اقْتَرَبُوا عن كُتُب من تجمُّعاتِ الصَّابئة المندائيين حولَ البَصرة - اعتقادهم بأن المندائيين هم إحدى الفرقِ النَّصْرانيَّة، جَرَّهم إلى ذلك الاعتقاد مُمارسة هذه الفرقة الغامِضة - والتي تَلْتَزِمُ

<sup>33</sup> الغنوصية *Gnosticism* نزعة فلسفية - دينية برزت منذ القرن الأول الميلادي، وبعض الدراسات الحديثة تردُّ بداياتها إلى زمن أقدم بكثير من ظهور النَّصْرانية، ومن الخطأ اعتبار الغنوصية مذهباً واحداً له ملامحه الفكرية المميزة، وإنما هي خليط من المذاهب والاعتقادات التي لم تستطع في أي وقت توحيد صفوفها ضدِّ مُناوئِها من النَّصارى، بل ظَلَّتْ مذاهبهم تتحارب فيما بينها، وكان ذلك من عوامل ضعفها وانحيارها في نهاية الأمر، عزيز سباهي: أصول الصابئة وعقائدهم الدينية، الطبعة الثالثة، دمشق 2003، 140. وعند الغنوصيين فإنهم وحدهم هم الذين يمتلكون المعرفة السَّامية، وحقيقة الذات الإلهية والإنسان، وهي معرفةٌ تفيض عليهم من قبل الذات الإلهية، وهذه المعرفة أيضاً هي سبيل الإنسان للخلاص، وإذن فالأعمال الطيبة هي وسيلة التَّرقِّي إلى هذه المعرفة، وليست غايةً في حدِّ ذاتها، ويكفُّ خلاص البشر - عند الغنوصيين - في الجنوسيس *Gnosis* وهي كلمة يونانية معناها مَعْرِفة الله، والتي تتجَلَّى فقط للمُخْتَارِينَ من أنبياء الرُّوح، وهذا التَّجَلِّي لا يأتي للمُريدِينَ المُستَترِينَ إلّا من خلال طُقُوسٍ تتضمَّن ما يُشبه المُناجاة والتأمل الصَّوفي، وهي جميعاً مُمارسات تتسم بالسريَّة والغُصُوض، ولم يقف الباحثون بعد على أبعادها بوضوح، وقد آمن الغنوصيون بوجود الله الكائن الأعلى الذي ليس كمثله شيء، والذي لا يُمكن للعقل البشري أن يدركه، ومن هذا الكائن الأعلى تنزَّلُ أيونات [فيوضات] شتَّى تنبثق منها النَّفُوس والملائكة، أما مادَّة الجسد نفسها فهي رمز الانحطاط والشر، والتي تُولَّد بدورها قوَّة الخلق *Demiurge* وهي التي أوجدت العالم المادي، وهذه القوَّة الخلاقة هي التي سيطرت على الأرض التي كانت مليئة بالشرور ولا تعرف الرُّوحانيات. انظر: هنري س. عبود: مُعجم الحضارات السامية، بيروت 1991، 638. وعن الغنوصية وصراعها مع المسيحية الأولى انظر:-

K. RUDOLPH: *Gnosis, the nature and history of Gnosticism*, London 1998, pp 275 - 343.

ALASTAIR LOGAN: *Gnostic truth, and Christian Heresy*, Glasgow 1996, p71-98.

يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة 1936، 326-327؛ عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة إسحاق عبيد، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2005، 53.

الصابئة منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية



الصَّنَت حِيَال ما يَتَعَلَّق بِدَيَانَتِهَا وَطُقُوسِهَا - لَطْفَسِ التَّعْمِيد<sup>34</sup> فِي الْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ، مَّا جَعَلَهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ نَصَارَى عَلَى مَذْهَبِ الْقُدَيْسِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ [يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ]، وَوَضَعُوا عَنْهُمْ تَقْرِيرًا أَوَّلِيًّا بِالْبَرْتَغَالِيَةِ بِعَنْوَانِ *Diversi avisi particolari dall' Indie di Portogallo Riccuti*، وَفِي هَذَا التَّقْرِيرِ الْمُشَارُ إِلَيْهِ تَحَدَّثَ عَنْهُمْ أَوَّلِيكَ الْمُبَشِّرُونَ عَلَى أَنَّهُمْ - أَيِ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيَّةِ - فِرْقَةٌ نَصْرَانِيَّةٌ غَيْرُ تَامَّةٍ الْإِيَّانَ، كَمَا اعْتَقَدَ كَتَبَةُ التَّقْرِيرِ خَطَأً أَنَّ الْقُدَيْسَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ كَانَ قَدْ بَشَّرَ فِي بِلَادِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ. لَكِنَّ تَقْرِيرًا تَالِيًا أُرْسِلَ إِلَى «جُوا» *Goa* - قِصَّةُ مُسْتَعْمَرَاتِ الْبَرْتَغَالِ فِي الْمَحِيطِ الْهِنْدِيِّ - اسْتَدْرَكَ عَلَى هَذَا الْخَطَأِ، وَذَكَرَ أَنَّ الْمُنْطَقَةَ الْمَحِيطَةَ بِالْبَصْرَةِ بِهَا عِدَّةٌ كَبِيرٌ مِنْ أَتْبَاعِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَظَلَّتْ دَوَائِرُ الْبَحْثِ تَعْتَقِدُ وَجُودَ صِلَةٍ مَا بَيْنَ الْمَنْدَائِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، وَلَمْ يَتِمَّ اعْتِبَارُ تِلْكَ الطَّائِفَةِ طَائِفَةً مُسْتَقَلَّةً تَمَامًا عَنِ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَّا بَعْدَ عَامِ 1615<sup>35</sup>.

وَفِي عَامِ 1622 أَشَارَ الرَّحَّالَةُ الْإِيطَالِي دِي لُوجْلِيُو DI LUGLIO إِلَى أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَةَ تُعْرَفُ بِالْمَنْدَائِيِّ [الْمَنْدَائِي]، أَوِ الصَّابِيِّ، كَمَا دَعَاهُمْ إِغْنَاطْيُوسُ - وَهُوَ مِنَ الْمُبَشِّرِينَ الْكَاثُولِيكَ - بِأَتْبَاعِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ وَبِالْمَنْدَائِيَا، وَقَدْ ظَلَّ الْخَلْطُ فِي التَّسْمِيَّاتِ وَالْأَوْصَافِ قَائِمًا حَتَّى النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ، وَكَانَ الْبَاحِثُونَ يَخْلُطُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّبِّيَّيْنِ *Sabeans* فِي جَنُوبِ

<sup>34</sup> التَّعْمِيد *Baptism* كَلِمَةٌ أُخِذَتْ عَنِ الْكَلِمَةِ الْيُونَانِيَّةِ *Baptizein* وَتَعْنِي الْإِنْفِغَارَ فِي الْمَاءِ، وَيَكُونُهَا الْجَذَرُ الْعِبْرِيُّ الْأَرَامِي «عَمَد» وَمَعْنَاهُ «وَقَفَ مُتَّصِبًا»، وَهَذَا شَأْنُ الْمُتَعَمِّدِ فِي الْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ، وَهُوَ مُصْطَلَحٌ يَجْرِي عَلَى كُلِّ طَقْسٍ دِينِي يَشْتَرِطُ الْعَمْرَ فِي الْمَاءِ الْجَارِيِ، إِمَّا لِلتَّطَهُّرِ مِنَ الْخَطَايَا، أَوْ لِلنَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَهُوَ طَقْسٌ كَانَ يُمَارَسُ فِي الْعَدِيدِ مِنْ أَدْيَانِ الشَّرْقِ قَبْلَ ظُهُورِ الْمَسِيحِيَّةِ بِصُورٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَالْبَابِلِيُّونَ - وَمِنْ قَبْلِهِمُ السُّومَرِيُّونَ وَالْأَكَادِيُّونَ - كَانُوا يَرُونَ فِي الْإِرْتِمَاسِ فِي الْمَاءِ الْجَارِيِ امْتِلَاءًا بِالْحَيَاةِ، سِبَاهِي: أَصُولُ الصَّابَةِ 63. وَلَا يَزَالُ الطَّقْسُ يُسْتَعْمَلُ إِلَى الْيَوْمِ عِنْدَ الْهِنْدُوسِ، وَهِيَ ذَاتُ الطَّقُوسِ الَّتِي يُمَارِسُهَا الْمَنْدَائِيُّونَ الْيَوْمَ، سِبَاهِي: الْمَرْجِعُ نَفْسَهُ 18، وَدَخَلَ الطَّقْسُ فِي طَوْرٍ جَدِيدٍ بَعْدَ ظُهُورِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَالَّذِي أَدَّى إِلَى حَدُوثِ طَفَرَةٍ بِالطَّقْسِ حِينَ عَمَّدَ الْيَهُودَ وَلأَوَّلَ مَرَّةٍ عَلَى نَحْوِ جَمَاعِي بَنِي الْأُرْدُنِّ، وَكَانَ عِمَادُهُ بِمِثَابَةِ إِعْلَانِ لِلتَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ عَلَى الْخَطَايَا، لَكِنَّ الطَّقْسَ ذَاتَهُ اتَّخَذَ مَعْنَى جَدِيدًا فِي ظِلِّ الْمَسِيحِيَّةِ الْيُوسُفِيَّةِ، فَقَدْ أَصْبَحَ رَمْزًا لِلدَّخُولِ فِي الْعَهْدِ، وَيَلْزَمُ الطِّفْلَ حَدِيثَ الْوِلَادَةِ، أَوِ الْمُعْتَقَ الْبَالِغَ لِلْمَسِيحِيَّةِ أَنْ يَتَعَمَّدَ لَمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي حَيَاتِهِ كَعَلَامَةٍ عَلَى دَخُولِهِ فِي الْعَهْدِ وَقَبُولِهِ لِأَسْرَارِ الْإِيَّانِ. انْظُرْ:

EVERETT FERGUSON: *Baptism in the Early Church, History, Theology, and Liturgy in the First five centuries*, Cambridge 2009, P 75.

<sup>35</sup> تَفْصِيلًا: انْظُرْ: W. BRANDT: *Mandaeans*, in: *Encyclopedia of religion and ethics*, edited by JAMES HASTINGS & others, Edinburgh, Vol. VIII, P. 391 - 393. مَرْجِعٌ سَابِقٌ 33 - 35.

اليمن؛ للتقارب الصوتي، خاصة حين يُنطق الاسم أو يُكتب بالحروف اللاتينية<sup>36</sup>.

كما أخذت بعض التسميات العامة التي عُرف بها الصابئة كـ«الصَّبة»، و«الصَّبة»، و«الصَّابئة»، و«الْمُنْدائي» و«الْمُنْدائي»، بعض الازدباك في دوائر البحث، كَذَا عَمَّ الحَلَط تلك الدِّراسات الأولية بشأن تلك التسمية التي ترد في كُتُبهم «النَّاصُورائا» و«النَّاصُورائين» و«النَّاصُورائي»<sup>37</sup> وكان من نَتِيجَةِ ذلك الحَلَط بينهم وبين التَّصَيِّرين - وهُم فِرْقَةٌ مِنْ غِلَاةِ الشَّيْعَةِ !! - أو إِزْجَاج أَصُولِهِمْ إِلَى مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ فِي الْجَلِيل، وَهِيَ الْمَدِينَةُ نَفْسُهَا الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا الْمَسِيحُ عليه السلام. مُنْذُ ذَلِكَ الْحِين تَزَايَدَتِ الْإِشَارَاتُ إِلَى الصَّابَةِ الْمُنْدَائِيَّين، وَمَعَ تَزَايُدِهَا بَدَأَ الْبَاحِثُونَ يُوَلِّونَ تَارِيخَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ أَهْتِيَامًا أَكْبَرَ، فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ وَصَلَ إِلَى أَوْرُوبَا 25 تَقْرِيرًا عَنْهُمْ، وَفِي الْقَرْنِ التَّالِي تَضَاعَفَ عَدَدُ تِلْكَ التَّقَارِيرِ إِلَى 74 تَقْرِيرًا.

وَحَفَظَتْ الْأَخْطَاءُ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الرَّحَالَةُ - بِسَائِهِمْ - الْبَاحِثِينَ إِلَى تَرْجَمَةِ كُتُبِهِمْ الْمُقَدَّسَةِ، فِي عَامِ 1660 نَشَرَ الْمَارُونِي إِيْخَلِيْنِسُ مُقْتَبَسَاتٍ مِنْ بَعْضِ كُتُبِهِمْ تَرْجَمَهَا بِمُسَاعَدَةِ أَحَدِ الصَّابَةِ مَنَّا اعْتَقَفُوا النَّصْرَانِيَّةَ وَأَقَامُوا بَرْوَمَا، ثُمَّ تَتَابَعَتِ التَّرْجَمَاتُ، بَرغم أَنَّهَا افْتَقَرَتْ إِلَى الدَّقَّةِ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ، وَكَانَ أَتْبَرُهَا تَرْجَمَةُ الْبَاحِثِ السُّوَيْدِيِّ م. نُوزِيرِغ عَامَ 1816 لِكِتَابِ «الْكَنْزِ أَرْبَا» [الْكَنْزُ الْعَظِيمُ]، وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ الرَّئِيسُ لِلصَّابَةِ الْمُنْدَائِيَّين، وَفِي عَامِ 1867 نَشَرَ بِيْتَرْمَانُ تَرْجَمَةً جَدِيدَةً «لِلْكَنْزِ أَرْبَا» إِلَّا أَنَّهَا هِيَ الْأُخْرَى أَعَادَتْ أَخْطَاءَ نُوزِيرِغ، وَتَلَاهُ

<sup>36</sup> مِنْذُ ذَلِكَ الْحِين دَرَجَ الْمُسْتَشْرِقُونَ عَلَى رِسْمِ كَلِمَةِ الصَّابَةِ بِالْحُرُوفِ اللَّاتِينِيَّةِ Sabians حَتَّى يَتَجَنَّبُوا الْحَلَطَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَمِنَ الطَّرِيفِ أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ الْإِجْرَاءِ الشَّكْلِي الْحَائِصِ؛ فَإِنَّ الْعَدِيدَ مِنَ الْبَاحِثِينَ اخْتَلَطَ عَلَيْهِمُ الْأُمْرُ، فَاعْتَقَدُوا أَنَّ الصَّابَةَ هُمُ أَنْفُسُ السَّبْيِيِّينَ مِنْ أَهْلِ سَبَا، وَأَبْرَزَهُمُ الْمُسْتَشْرِقُ أُولَيْرِي، وَالباحث العراقي مُصطفى جواد.

<sup>37</sup> لَا تَزَالُ دَلَالَةُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ غَامِضَةً، لَكِنْ الْبَاحِثِينَ الْآنَ يَحْمِلُونَ أَمْرَهُمْ عَلَى أَنَّهَا تَعْنِي رَجُلَ الدِّينِ الْحَادِثَ بِمُجَرَّدَةِ الشَّعَائِرِ وَالطُّقُوسِ، وَالْمُلاحِظُ بِالْفِعْلِ أَنَّ أَغْلَبَ الْمَوَاضِعِ فِي الْكِتَابَاتِ الدِّينِيَّةِ الْمُنْدَائِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي ذَكَرْتُ فِيهَا كَلِمَةَ نَاصُورَانِي لَا تَنْتَبِهُ إِلَّا عَلَى رِجَالِ الدِّينِ فَحَسْبُ، لَكِنَّا قَدْ تَأْتِي أَيْضًا فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ كَاسْمٍ يَطْلُقُ عَلَى الدِّيَانَةِ ذَاتِهَا، أَمَّا الْعَامَّةُ مِنْ أَتْبَاعِ الدِّيَانَةِ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ فِي أَغْلَبِ الْمَوَاضِعِ بِلَقَبِ الْمُنْدَائِيِّينَ، انْظُرْ: - دراور: الصَّابَةُ الْمُنْدَائِيُون، 42-43.

تَرْجَمَةُ «إِنْتِنَغ» لِكِتَابِ «الْقَلَسْتَا» وَهُوَ كِتَابٌ يَخْتَصِي عَلَى شُعَائِرِ طُقُوسِ التَّعْمِيدِ وَصَلَوَاتِ الْمُنْدَائِيِّينَ.

وَحِلَالِ عَامِ 1820 زَارَ الرَّحَّالُ الْأَلْمَانِي ج. بِيْتَرْمَان J. H. PETERMAN الْأَهْوَارَ جَنُوبِي الْعِرَاقَ، وَقَضَى ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ هُنَاكَ، مُرَاقِبًا عَنْ كُتُبِ أُنْبَاءِ الطَّائِفَةِ الْمُنْدَائِيَّةِ وَطُقُوسِهِمْ، وَكُتِبَ تَقْرِيرًا وَافِيًا عَنْ مُشَاهَدَاتِهِ ضَمَّنَهَا كِتَابُهُ الصَّخْم *Reisen im orient* (رَحْلَةٌ إِلَى الشَّرْقِ) وَقُدِّرَ لِلْمَعْلُومَاتِ الَّتِي دَوَّنَهَا بِيْتَرْمَانُ عَنْ طُقُوسِ الْمُنْدَائِيِّينَ وَعِبَادَاتِهِمْ أَنْ تَكُونَ الْمَرْجِعَ الْأَوَّلَ لْجُمْهُورِ الْمُسْتَشْرِقِينَ لَوْ قَتِ طَوِيلٌ.

وَفِي عَامِ 1856 نَشَرَ الْمُسْتَشْرِقُ الْأُوْكَرَانِي دَانِيَالُ خُوَالْسُون D. CHWOLSOHN دِرَاسَةً كَبِيرَةً الْحُجْمُ عَنَوْنَهَا *Die Ssabier und der Ssabismus* (الصَّابِيَّةُ وَمَذْهَبُ الصَّابِيَّةِ) فِي جُزْئَيْنِ كَبِيرَيْنِ، صَدَرَتْ طَبْعَتُهَا الْأُولَى بِسَانَ بَطْرُسْ بَرَجْ بَرُوسِيَا الْقَيْصَرِيَّةِ، وَكَانَ خُوَالْسُونُ مِنْ أَوَائِلِ الْمُسْتَشْرِقِينَ الَّذِينَ دَرَسُوا الْمَوْضُوعَ بِشَكْلِ أُسَاسِيٍّ مِنْ خِلَالِ الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ وَالسُّرْيَانِيَّةِ وَالْعِزْبِيَّةِ، وَتَعُودُ أَهْمِيَّةُ دِرَاسَتِهِ إِلَى أَنَّهَا بَحَثٌ بِشَكْلِ جَدِّيّ - رُبَّمَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ - عِلَاقَةُ الْمُنْدَائِيِّينَ بِطَائِفَةٍ أُخْرَى التَّصَقَّ بِهَا الْمُسَمَّى نَفْسُهُ - أَعْنِي الصَّابِيَّةَ - وَهُمْ الْحَرَنَانِيَّةُ أَوْ صَابِيَّةُ حَرَّانَ.

وَفِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ تُعَدُّ دِرَاسَةُ خُوَالْسُونِ دِرَاسَةً مُحَوَّرَةً فِي تَارِيخِ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَبَاوَلَتْ عَقَائِدُ الصَّابِيَّةِ وَتَارِيخُهُمْ بِشَكْلِ عَامٍ، وَمَا تَزَالُ طُرُوحَاتُهُ وَالتَّنَاجِجُ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا نَجْدُ طَرِيقِهَا حَتَّى الْيَوْمِ فِي دِرَاسَاتِ الْبَاحِثِينَ الْمُحَدِّثِينَ، وَفِي الْمَوْسُوعَاتِ الْكُبْرَى وَالْمَعَاجِمِ وَدَوَائِرِ الْمَعَارِفِ الْعَالَمِيَّةِ، وَكَانَتْ أَهَمُّ هَذِهِ التَّنَاجِجِ مَا طَرَّحَهُ خُوَالْسُونُ مِنْ أَنَّ الصَّابِيَّةَ الْمُنْدَائِيَّةَ هُمُ الصَّابِيَّةُ الْحَقِيقِيُّونَ، وَأَنَّهُمْ هُمُ «صَابِيَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ»، وَأَنَّهُ لَا عِلَاقَةَ لَهُمُ الْبَتَّةَ بِصَابِيَّةِ حَرَّانَ، الَّذِينَ انْتَحَلُوا الْأِسْمَ أَيَّامَ الْحُلَيْفَةِ الْمَأْمُونِ لِأَغْرَاضٍ سِيَاسِيَّةٍ.

وَفِي عَامِ 1880 نَشَرَ نِيُقُولَا م. سِيُوفِي N. M. SIOUFI دِرَاسَةً ضَخْمَةً فِي عَقَائِدِ الصَّابِيَّةِ الْمُنْدَائِيِّينَ *Etudes sur la religion des Seubbis ou Sabeens* (دِرَاسَاتُ فِي عَقَائِدِ الصَّابِيَّةِ أَوْ الصَّابِيَّةِ)، صَدَرَتْ طَبْعَتُهَا الْأُولَى بِبَارِسَ، اعْتَمَدَ سِيُوفِي بِشَكْلِ رَئِيسِي خِلَالَهَا

على أحد المندائيين الذين اعتنقوا النصرانية، ورغم التّضليلات التي أوقع ذلك المندائي فيها سيوفي عمداً، والاستنتاجات الحاططة من قبل سيوفي لبغض الرموز والأسرار الدينيّة المندائيّة؛ إلا أنّها عُدَّت بين المُستشرقين أعظم إسهامٍ علميٍّ في عقائد الصّابئة ممّا كُتِب خارج نطاق تحقيق كُتب الطائفة المقدّسة ونشرها.

وفي عام 1895 نشر عالم السّاميات المرموق ثيودور نولدكه TH. NÖLDEKE كتابه عن القواعد القياسيّة للنحو والصّرف في اللّغة المندائيّة *Mandäische Grammatik* والذي صدرت طبعته الأولى بمدينة هاله *Halle* الألمانية عام 1895. ثم تلاه وليام برانت W. BRANDT والذي يُعد أحد أكبر المُستشرقين الذين توفّروا على دراسة عقائد وتاريخ المندائيين، وكان أعظم نتاج جهوده هو مؤلفه الكبير *Die Mandäische Religion* (الديانة المندائيّة) والذي صدرت طبعته الأولى بليبتسج *Leipzig* عام 1889، كما ساهم أيضًا بمادّة غنيّة عن الديانة المندائيّة في دائرة معارف الدّين والأخلاق، ودائرة المعارف اليهوديّة.

أمّا عن مارك ليدزبارسكي M. LIDZBARSKI فهو نقطة تحوّل حقيقيّة في تاريخ الدّراسات المندائيّة، فقد عمل بجهدٍ في ترجمة العديد من المصادر المندائيّة ونشرها، سواء تلك التي وُجدت منها نُسخٌ بالمتاحف العالميّة، أو التي نجحت بعثات التّفتيش بالعراق في العثور عليها، وترجم العديد من الكُتب المندائيّة، أهمها: «دراسة ديهّا» (دراسة تعاليم يحيى) عام 1905، ثم استغرقه العمل في إعداد ترجمة دقيقة لكتاب «الكَتْرَارْبَا» تتلاقى أخطاء نُورزيرغ عام 1925، بالإضافة إلى نشره العديد من النّصوص المندائيّة الأخرى، وبالتالي توافرت لدى الباحثين ثروة أوّليّة من الكتابات المندائيّة الأصليّة.

في غُصون عام 1922 وفي أثناء اعتزام مجلة الدّراسات الشرقيّة *Oriental Studies* [عَجَب نامة] إعداد عددٍ تذكاري مُهدى إلى المُستشرق إدوارد براون EDWARD BROWN بمناسبة بلوغه السّتين، نشر جُوس بيدرسن J. PEDERSEN في هذا العدد مقالَه *The Sabians*، وبرغم صغر حجمه النّسبي (احتلّ الصّفحات 383-391)، إلا أنّه كان له شأنٌ عظيم في تاريخ داريبي الصّابيّات، إذ تعود أهمّيته إلى أنّه مثّل أوّل دراسة نقدية لطروحات خوالسُون، الصّابئة منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العبّاسيّة

بل وطعنها في الصِّميم، خاصّة ما يتعلّق بقضيّة الاشتقاق اللُّغوي لمُسمّى «الصّابئة» كما تطرّحه المصادر العربيّة، وبالتالي مهّد السَّيل لظهور مدرّسة جديدة من مُناوئي خوالِصِ السُّنن.

بُعَيْدَ ذلك بعامين، وبالتّحديد عام 1924 نشر ج. ر. ميد G. R. MEAD دراسته التي أسّسها *The Gnostic John the Baptizar* (غنوصيّة يوحنا المعمدان) تعرّض خلالها لحياة يوحنا المعمدان وآثاره، وعلاقة الصّابئة المندائيين به، ودعا من خلاله أن تتّمسّ دراسة التّراث المندائي من خلال تعاون المُستشرقين وأبناء الطائفة، الذين هم الأقدر على شرح طقوسهم ودقائق ديانتهم على نحو أفضل ممّا قد يفهمه المُستشرقون بمُجرد النّظر والمُراقبة. وأعاد د. بُورخيت D. BURKITT كتابة علاقة الكنيسة بالحركات الغنوصيّة الأولى من خلال دراسته القيّمة *Church and Gnosis* (الكنيسة والغنوصيّة) والتي صدرت بكمبريدج *Cambridge* بالمملكة المتّحدة عام 1932، ومن ثمّ تعرّض لنشأة المندائيّة وتطوّرها بوصفها الديانة الغنوصيّة الوحيدة التي قدّرها البقاء.

كَانَ من الواضح أنّ دوائر البحث تشكّو من نقص المادّة العلميّة الأصليّة، فمِن ناحية كان المندائيون يضيئون بكتاباتهم الدينيّة، حيثُ تحرّم الديانة مُطلقاً إطلاع الأُغْيَار على كُتب الطائفة المُقدّسة، بل وتحرّم على رجال الدين إطلاع عامّة المندائيين أنفُسِهِم عليها، وقد أدّى ذلك النّقص الكميّ في المادّة إلى تضارب آراء الباحثين، وبُعد البّون بين آرائهم خاصّة مسائل أصل المندائيين، من أين استقوا أبجديّتهم، وعلاقتهم بصابئة حرّان، والأصل اللُّغوي لكلمة «الصّابئة»، وكيف التّصقت بهم؟، وكان من الواضح أن حَسَمَ الكثير من هذه التّساؤلات يكمنُ في وضع كُتب المندائيين المُقدّسة على طاولة البحث علّها تُسفر عن حَسَم تلك القضايا، وباتت المسألة تتمثّل في نجاح الباحثين في حثّ الطائفة على تقديم تلك الرُّقُوم والكتابات المُقدّسة لتخضع للدراسة.

كان المُجتمع العلمي على مُؤعد مع ذلك الحراك في موقِف الطائفة من إطلاع الأُغْيَار على كتاباتهم المُقدّسة وأدبيّاتهم الدينيّة، ذلك أنّ الطائفة المندائيّة التي عاشت في عزلة لُقُرون طويّلة، كان وعيها قد بدأ يتفتّح على مُشاركة القُوى الوطنيّة العراقيّة لسلطات الاختلال

البريطاني في الحكم، وأزادت الطائفة تحديدها وضعها السياسي في المجتمع العراقي من حيث الاعتراف الدستوري بها كإحدى الديانات الرسمية المعترف بها، وذلك ضماناً لحقوقها السياسية. اضطلع ذلك الطموح بدعاية مضادة نشأت على إثر نشر أحد الكتاب العراقيين - ويدعى عبد الرزاق الحسيني - دراسة عنونها بـ «الصابئة قديماً وحديثاً» وصدرت طبعتها الأولى بالقاهرة عام 1925، وحظيت تلك النشرة بمراجعة وتقديم العلامة أحمد زكي باشا، وفي هذه الدراسة خلط الحسيني بين صابئة حرّان وبين المندائيين؛ عبر مراحل تطوّر اخترعها اختراعاً، ومن ثمّ اتهم عموم الصابئة بالشرك وعبادة الكواكب والنجوم.

أثار نشر كتاب الحسيني عاصفة من الغضب بين أبناء الطائفة، التي كانت تتطلع إلى اعتراف الأغلبية المسلمة بالبلاد بهم كأقلية شرعية، وأدى ذلك إلى خروجهم عن الصمت وعدم الاختراش بما يكتب عنهم، فقاصت الطائفة المؤلف، وذهب رئيس الطائفة الروحي إلى المحكمة يحمّل في يده كتاب الطائفة المقدّس «الكنز» ويقرأ على القاضي فقرات منه يُثبت بها الاتجاه التّوحيدي لديّانته. ودفعت الخصومة التي وقعت بين الحسيني والطائفة المندائية إلى توثيق الطائفة علاقتها بباحثة إنجليزية شابة، كان لها أكبر الأثر في حقل دراسات الصّابئيات، ألا وهي السيدة إثيل استيفانا دراوّر E. S. DROWER والتي اشتهرت في أوساط البحث باسم الليدي دراوّر.

كانت إثيل ستيفنسون - في الأصل - روائية بريطانية مغمورة، وكان اهتمامها منصباً على كتابة الرواية، ونجحت في نشر عدد من رواياتها، لكنها لم تحقّق ما كانت تصبّو إليه من شهرة بين النّقاد والمهتمين بهذا الصّنف من الأدب، ثمّ لم تلبث أن تزوّجت من أحد الديبلوماسيين البريطانيين العاملين بالعراق وهو السيّد إدوين دراوّر E. DROWER، وعندما ذهبت إلى العراق استهوتها دراسة أساطير ديانات بلاد ما بين النهرين القديمة، فأصدرت باكورة دراسات الفلكلورية بعنوان *Wine in water* (خمر في الماء)، وسرعان ما أولت انتباهها إلى إحدى الديانات القديمة التي كانت ما تزال تنبض بالحياة، وهي المندائية، فقامت بالاتصال الودّي برؤساء الطائفة ومُنقذها الحضور الطقوس وتسجيل ملاحظات عنها، فأذنوا لها بعد صابئة منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية.

لأبي، وكتبَتْ عَنْهُمْ مَقَالًا أَوَّلًا بِعُتْوَان *Mandaean writings* (الكتابات المندائية) نُشِرَتْ بِمَجَلَّةِ  
العِرَاقِ، فِي الْعَدَدِ الْأَوَّلِ الَّذِي صَدَرَ فِي نُوفَمْبَرٍ مِنْ عَامِ 1934، ثُمَّ قَدِّمَتْ لِلْعَالَمِ أَوَّلَ دِرَاسَةٍ  
فُلْكلُورِيَّةٍ شَامِلَةٍ لَقِيَتْ تَرْحِيْبًا وَاسِعًا مِنْ قَبْلِ دَارِسِي الصَّابِنِيَّاتِ جَاءَتْ بِعُتْوَان *Mandaeans*  
*in Iraq and Iran, their cults, customs, magic legends, and folklore* (الْمَنْدَائِيُّونَ فِي  
العِرَاقِ وَإِيْرَانِ: دِيَانَتُهُمْ، أَغْرَافُهُمْ، أَسَاطِيرُهُمْ، مُمَارَسَاتُهُمُ الشَّعْبِيَّةُ) وَالتِّي صَدَرَتْ طَبْعَتُهَا  
الْأَوَّلَى بِلَنْدُنَ عَامَ 1937<sup>38</sup>.

كَانَ الْجَدِيدُ فِي دِرَاسَةِ دِرَاوَرٍ هُوَ أَنَّهَا دَوَّنَتْهَا بِالتَّعَاوُنِ مَعَ أَبْنَاءِ الطَّائِفَةِ ذَاتِهَا، تَمَامًا كَمَا  
أَمِلَ مِيد MEAD ذَاتَ يَوْمٍ، ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَا جَرَى مِنْ دِرَاسَاتٍ عَنِ الْمَنْدَائِيِّينَ حَتَّى صَدُورِ  
دِرَاسَةِ دِرَاوَرٍ جَرَى بَيْنَ أَرْوَقَةِ الْمَكْتَبَاتِ وَجُذْرَانِ دُورِ الْبَحْثِ الْاَكَادِمِيَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ تَعَاوُنٍ  
جَدِّيٍّ بَيْنَ عُمُومِ الْبَاحِثِينَ وَبَيْنَ أَتْبَاءِ الطَّائِفَةِ، وَكَانَتْ مُلَاحِظَاتُ الرَّحَالَةِ الْعَابِرَةِ، وَمَا دَوَّنَهُ  
بِيْتْرْمَانُ وَنِيْقُولَا سِيُوْفِي هِيَ كُلُّ الْمَادَّةِ الْمُتَاحَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِطُقُوسِ الصَّابِنَةِ الْمَنْدَائِيِّينَ، وَبَيَّنَتْ  
دِرَاوَرُ أَنَّ حُضُورَهَا الطُقُوسِ وَإِجْرَاءَ بَعْضِهَا بِنَفْسِهَا بِكُلِّ دَقَّةٍ قَدْ أَثْبَتَ خَطَأَ تَصَوُّرَاتٍ  
وَاسْتِنْتِاجَاتٍ وَهَمِيَّةٍ سَادَتْ فِي أَوْسَاطِ الْاِسْتِشْرَاقِ حِيَالِ بَعْضِ تِلْكَ الطُقُوسِ.

ازْدَادَتْ ثِقَةُ الطَّائِفَةِ الْمَنْدَائِيَّةِ بِالسَّيِّدَةِ دِرَاوَرٍ، فَبَدَأُوا بِالِانْفِتَاحِ عَلَيْهَا بَعْدَمَا لَاحِظُوا  
نَزَاهَتَهَا، وَأَمَدُّوْهَا بِالْكَتَابَاتِ الدِّيْنِيَّةِ الَّتِي كَانُوا يَضُنُّونَ بِهَا حَتَّى عَلَى عَامَّةِ الْمَنْدَائِيِّينَ، فَتَسَرَّتْ  
تِبَاعًا تِلْكَ الرُّقُومِ وَالْمَخْطُوطَاتِ الثَّمِينَةِ، الَّتِي طَالَمَا تَلَهَّفَتْ دَوَائِرُ الْبَحْثِ عَلَيْهَا، فَتَرَجَمَتْ عَدَدًا

<sup>38</sup> تُرْجِمَتْ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ بِوَسَاطَةِ الْبَاحِثِينَ الْمَنْدَائِيِّينَ نَعِيمُ بَدْرِي، غَضَبَانُ رُومِي، وَصَدَرَتْ طَبْعَةُ التَّرْجُمَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
الْأَوَّلَى بِبَغْدَادِ عَامَ 1969، وَقَدْ أَقَرَّ الْمُتَرَجِّمَانِ بِرَغْبَتِهِمَا فِي تَأْلِيفِ كِتَابٍ مُسْتَقِلٍّ عَنِ الطَّائِفَةِ الْمَنْدَائِيَّةِ وَدِيَانَتِهَا،  
وَأَقَرَّا أَنَّهَا أَنْتَاهَا بِالْفِعْلِ، إِلَّا أَنَّهُمَا ضَرَبَا صَفْحًا عَنْ هَذِهِ الْفِكْرَةِ وَاخْتَفَا بِتَرْجُمَةِ كِتَابِ دِرَاوَرِ الْقِيَمِ وَالْفَرِيدِ فِي  
بَابِهِ، اَنْظُرْ مُقَدِّمَةَ الْمُتَرَجِّمِينَ فِي الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ الصَّادِرَةِ بِبِيْرُوتَ. وَمُؤَخَّرًا قَامَتِ الدَّارُ الْعَرَبِيَّةُ لِلْمَوْسُوعَاتِ  
بَبِيْرُوتَ بِطَرَحِ الطَّبْعَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّيْدِي دِرَاوَرِ عَامَ 2005، وَالبَّوْنُ الْوَاسِعُ بَيْنَ تَارِيخِ الطَّبْعَتَيْنِ  
يَكْثِفُ عَنْ أَنَّ الْمَوْضُوعَ نَفْسَهُ لَمْ يَدْخُلْ بَعْدَ فِي نِطَاقِ اِهْتِمَامِ الْبَاحِثِينَ الْعَرَبِ.

كبيراً من الدَّوَائِن والرُّقُوم المَندائيَّة أبرزها *Sfar Malwasia* (سِفَرُ البُرُوج)، والذي ظَهَرَتْ طَبْعَتُهُ الأُوْلَى بِلَنْدَن عام 1949، *Diwan Abatur* (دِيَوَانُ أَبَاتُر) الذي رَأَى الثَّوْرَ بِالفَاتِيكَانَ عام 1950، *Harran Gawaita* (حَرَّانُ الدَّاخِلِيَّةِ [السُّفْلَى]؟) والذي ظَهَرَ بِالفَاتِيكَانَ عام 1950، وديوان القِلْسَتَا المعروف بِالصَّلَوَاتِ الكَهَنُوتِيَّة بِعُتْوَان *The Canonical Prayerbook of the Mandaean*، وظهر بِلَيْدَن عام 1959، وكتاب *The secret Adam* (أَدَمُ الحَقِيقِي) والذي ظَهَرَتْ طَبْعَتُهُ الأُوْلَى بِأَوَكْسُفُورْد عام 1960. وديوان *Alf trisar suialia* (أَلْفَا وَائِثَى عَشَرَ سُؤَالَا) والذي ظَهَرَ بِبِرْلِين عام 1960، وديوان *Alma risaia rba* (العَالَمُ الرَّئِيسُ الكَبِير) والذي رَأَى الثَّوْرَ بِلَيْدَن عام 1963، وَتَوَجَّتْ أَغْمَالُهَا بِنَشْرِ قَامُوسٍ لِلْمَندائيَّةِ، مُسَاعِدَةً مِنْ يَرْعَبٍ مِنَ البَّاحِثِينَ بِتَعَلُّمِهَا بِالتَّعَاوُنِ مَعَ عَالَمِ السَّامِيَّاتِ رُودُلف مَاشُوخ R. MACHUCH عام 1963.

خَلَقَ الإِفْرَاجُ عَنْ كُتُبِ المَندائيين المُقَدَّسَةِ وَوَضَعَهَا عَلَى طَاوِلَةِ البَحْثِ بَيْنَ يَدَيِ المُتَخَصِّصِينَ تَعْقِيدَاتٍ تُمَاطِلُ تِلْكَ التَّعْقِيدَاتِ الَّتِي خَلَقَتْهَا نَشْرُ مَجْمُوعَاتٍ وَتَأَنَّقَ قَمُرَان<sup>39</sup>،

<sup>39</sup> بَدَأَتْ مَعْرِفَةُ العُلَمَاءِ بِتِلْكَ الوَثَائِقِ فِي رَجَبِ عام 1947 عِنْدَمَا جَاءَ اثْنَانِ مِنْ تِجَّارِ العَادِيَّاتِ السُّورِيِّينَ إِلَى المَطْرَانِ مَارِ أَتْنَاسِيُوسِ صَمُونِيلِ بَدِيرِ القُدَّيسِ مُرَقَّصٍ بِالقُدَّسِ الشَّرْقِيَّةِ؛ يَحْمِلَانِ إِخْدَى المَخْطُوطَاتِ القَدِيمَةِ، وَعِنْدَمَا تَفَحَّصَ المَطْرَانُ المَخْطُوطَةَ لِلوَهْلَةِ الأُوْلَى بَدَتْ لَهُ قَدِيمَةٌ لِلغَايَةِ، وَمُتَهَالِكَةٌ وَمَكْتُوبَةٌ بِخَطِ عِبْرِي قَدِيمٍ مِنَ الصَّعْبِ قِرَاءَتِهِ، وَعِنْدَمَا سَافَهُمَا المَطْرَانُ عَنْ كَيْفِيَّةِ عَثُورِهِمَا عَلَى تِلْكَ المَخْطُوطَةِ أَجَابَاهُ بِأَنَّهُمَا اشْتَرِيَاهَا مِنْ أَحَدِ رِعَاءِ الشَّاةِ البَذْوِ، وَالَّذِي زَعَمَ لَهَا أَنَّهُ عَثَرَ عَلَيْهَا فِي إِخْدَى المَغَارَاتِ أَثْنَاءَ مُطَارَدَتِهِ لِمَاعِزٍ ضَلَّتْ عَنْ قَطِيعِهِ بِمَنْطِقَةِ خَزْبَةِ قَمُرَانِ بِالقُرْبِ مِنَ البَحْرِ المَيِّتِ. وَبِطَبِيعَةِ الحَالِ فَقَدْ أَثَارَ قَدَمُ المَخْطُوطَةِ فَضُولَ المَطْرَانِ أَتْنَاسِيُوسِ، فَطَلَبَ مِنْهَا إِمْدَادَهُ بِكُلِّ مَا يَقَعُ تَحْتَ أَيْدِيهِمَا مِنْ تِلْكَ المَخْطُوطَاتِ، وَعَلَى مَدَارِ صَيْفِ ذَلِكَ العَامِ نَفْسُهُ اسْتِطَاعَ المَطْرَانُ شِرَاءَ خَمْسِ مَخْطُوطَاتٍ إِضَافِيَّةٍ. فِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ نَفْسُهَا أَثَارَ ظُهُورَ هَذِهِ المَخْطُوطَاتِ الغَرِيبَةِ فِي أَسْوَاقِ العَادِيَّاتِ فَضُولَ أَحَدِ أَسَانِدَةِ الأَثَارِ اليَهُودِ بِجَامِعَةِ القُدَّسِ وَهُوَ الأَسْتَاذُ أ. سَكِينِيك E. SUKENIK. وَالَّذِي نَجَّحَ فِي شِرَاءِ ثَلَاثَةِ مَخْطُوطَاتٍ مِنْ تِجَّارِ العَادِيَّاتِ، وَمِنْهُمْ عَرَفَ أَيْضًا أَنَّ المَطْرَانِ أَتْنَاسِيُوسَ يَحْتَفِظُ بِخَمْسِ مَخْطُوطَاتٍ كَامِلَةٍ مِنْ نَوْعِ تِلْكَ المَخْطُوطَاتِ نَفْسِهَا، وَتَوَالَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَغْزَالُ التَّنْقِيبِ بِالمَوْقِعِ، وَأُسْفِرَتْ عَنِ العَثُورِ عَلَى كَمِيَّاتٍ هَائِلَةٍ مِنَ المَخْطُوطَاتِ وَالشَّقْفِ وَالْأَثَارِ المَادِّيَّةِ لِأَخَوِيَّةِ يَهُودِيَّةٍ مَارَقَةٍ انْشَقَّتْ عَنِ المَوْسَسَةِ الدِّينِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ بِأَوْرُشَلِيمَ، وَعَاشَتْ بِالْمَكَانِ قُرَابَةِ القَرْنِ الأَوَّلِ المِيلَادِي، وَدَعَا أَنْفُسَهُمْ بِأَسْمِ أَصْحَابِ المِيثَاقِ أَوْ «الْأَيْسِيَّينَ»، وَاسْتَطَاعَتْ إِسْرَائِيلُ بَعْدَ ضُغُوطِ كَبِيرَةٍ مَارَسَتْهَا عَلَى الحَيَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُعْتَبَرَةِ بِالمُكْتَشَفَاتِ تَجْمِيعَهَا لِحَسَابِ وَزَارَةِ الأَثَارِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ، ثُمَّ حَجَبَتْهَا تَمَامًا

=



فبدلاً من أن تُحيط اللثام عن ديانة الطائفة وأصول معتقداتهم زادت الغموض غموضاً، خاصة فيما يتعلق بمسألة الأصل والجذور والنشأة. وفي جميع الأحوال مثلت الليدي دزاور بدراساتها وتربحاتها وتحقيقاتها نقطة انتقال حقيقتية، إلى درجة أنه من الناحية الوصفية للطقوس والعادات وسائر الممارسات الفلكلورية للمندائين، فإنني أقر بثقة أن إسهاماً جدياً لم يجز في هذا المجال منذ وفاة هذه الباحثة العظيمة عام 1972<sup>40</sup>.

تابع إريك سيجلبرج E. SEGELBERG - من بعد - خطأ السيّد دزاور، ونشر

=

عن جمهور الباحثين، وماطلت في نشرها لأكثر من أربعين عاماً ذُفقت خلالها جهود الباحثين في حث الحكومة الإسرائيلية على الإفراج عن تلك الوثائق وإتاحة الميكروفيلمات الخاصة بها أذراج الرّياح، ثم تحوّلت جهودهم إلى محاولة إقناع الحكومة الإسرائيلية بتقديم قوائم بيلوجرافية من هذه المخطوطات تحتوي على توصيف لها، لا سيما بعد أن سرت شائعات قوية في الأوساط العلمية بأن بعض هذه الوثائق قد جرى إعدامها لأنها تحتوي على فتايل لاهوتية تمس الإيمان اليهودي والمسيحي معاً، وظل الأمر كذلك إلى أن حدثت انفراجة غير متوقعة عام 2000، حيث قام أحد العلماء الأمريكيين ويدعى فوشولدر بالاتصال بأشرة أحد العلماء الذين عملوا في أعمال التنقيب والترميم لهذه الوثائق، وتمكّن من الحصول منهم على ميكروفيلم به وصف بيلوجرافي للمخطوطات والوثائق الكاملة التي تم العثور عليها وتزيمها، ونشرها فوشولدر وسط مشاعر متناقضة من الغضب العام من قبل الحكومة الإسرائيلية، وتزجيب كبير من قبل الباحثين والمؤسسات العلمية المعنية، وفي نهاية الأمر رضخت إسرائيل لضغوط المؤسسات العلمية، وبدأت في الإفراج بشكل تدريجي عن تلك الوثائق، وقد عمقت تلك الوثائق معرفة الباحثين بمجتمع اليهود قبيل بدء دعوة المسيح عليه السلام، لكنها أثارَت قدراً أكبر من التساؤلات والإشكاليات خاصة ما يتعلق بعلاقة المسيحية الأولى بجماعة الأسينين، ويعتقد بعض الباحثين بوجود صلة قوية ما بين «الأسينيين» بفلسطين وبين المندائين ببلاد ما بين النهرين، ويتسع هذا الظن عند البعض للقول بوجود علاقة قوية بين المسيحية الأولى وبين المندائية، للتوسع حول هذه الوثائق الفريدة، وحول كيفية العثور عليها، والجدل الدائر حول نشرها، وتكثف الحكومة الإسرائيلية حولها ليُصنف قرن انظر مقال: وثائق قمران، مجلة تراث، ع 112، إصدارات مركز زايد للتأريخ والتراث، دبي 2009، ص ص 60 - 67.

<sup>40</sup> نالت دزاور تقدير المجتمع البعني لجهودها المتميزة في مجال تقديم دراسات الصّابنيّات، حيث تمّ الانتباه إلى تميز جهودها مبكراً، فقد منحتها جامعة أوكسفورد درجة الدكتوراه الفخرية عام 1954، رغم أن دزاور لم تتلقَ تعليمًا جامعيًا في صباها، ثم تلتها جامعة أوسلا السويدية في خطوة ثالثة عام 1959، ومنحتها الحكومة الألمانية أعلى وسام علمي وهو وسام ليدزبارسكي عام 1964، وأنعمت عليها الملكة بلقب ليدي بعد تكريمها في الجمعية الملكية الآسيوية عام 1969، وتوفيت دزاور عام 1972 عن عمر ناهز 93 سنة بإحدى دور رعاية المسنين بلندن.

درّاسته *Masbuta, Studeis in the ritual of the Mandaean Baptism* (المَصْبُطَا<sup>41</sup>)؛ دراسات في طَقْس التَّعْمِيد المَنْدَائِي (ظهرت طبعها الأولى عام 1958 بمدينة أُبَسَلا Upsalla السُّويديّة).

وبدأ جيلٌ جديدٌ يظهرُ من البّاحِثين المُهْتَمِّين بالمسألة المَنْدائيّة خلال النّصف الثّاني من القرنِ المُتصرِّم أمثال كُوزت رُودلف K. RUDOLPH الذي يُعدُّ الآن عميد البّاحِثين المُتخصّصين في الشّأن المَنْدائي، وقد نشر رُودلف عدّة دراسات عن مُختلف أوجه الدّيانة والعقائد والأصول المَنْدائيّة أبرزها: *Problems of a history of the development the Mandaean religion* (إشكاليّات في تّاريخ تطوُّر الدّيانة المَنْدائيّة) عام 1967، *Mandaeanism* (المَنْدائيّة) عام 1970، وتعدُّ دراسته *Die Gnosis* (الغنوصيّة) والتي صدرت في لِيستج عام 1977 من أحمّ درّاساته، وفيها نفى بالمُطلق وجود علاقة بين الصّابئة المَنْدائيّين والحرّثانيّة، وأبرز الانتقادات التي تُوجّه لدرّاسات رُودلف هو تأثره بخُوالسُون، وتبنيهِ بِياضِرارٍ وعِنادٍ لِعُظَم نظريّاته.

كما يُعدُّ إدوين ماتسوياموچي E. M. YAMAUCHI من العُلَماء البارزين في هذا الحقل، وقد تعرّض للمسألة المَنْدائيّة في درّاسته: *Gnostic Ethics and Mandaean origin* (الغنوصيّة وأصول المَنْدائيّة) عام 1970، بالإضافة إلى العديد من المقالات التي نشرها بالدوريات المعنيّة حول جَوانب مُختلفة من المَوْضوع.

في أُوبَسَلا مُجدِّداً وبالتّحديد عام 1972 - وهو العام نفسه الذي شَهِد وفّاة الليدي درّاور - قدّم باحثٌ شابٌ يُدعى جَان هَارِب J. HJARPE أطروحتَه للدُّكتوراه بعنوان *Analyse critique des traditions Arabes sur les Sabeens Harraniens* (تَحليل نقديّ

<sup>41</sup> «المَصْبُطَا» كلمة مَنْدائيّة ذات أَصلٍ آرامي تعني التَّعْمِيد، انظر:-

لِلأَعْرَافِ الْعَرَبِيَّةِ حَوْلِ الصَّابِنَةِ الْحَرَّانِيَّةِ) أَعَادَ فِيهَا إِخْيَاءَ نَقَدَاتٍ يَبْدُرُ سَنَ لَطُرُوحَاتٍ خُوالِسُونَ وَمَذَرَسَتُهُ، وَحَاوَلَ جَاهِدًا جَمَعَ الْأَدَلَّةَ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ يَبْدُرُ سَنَ مِنْ قَبْلِ وَتَقْدِيمِهَا، وَذَلِكَ بِتَوْسِعِ أَكْبَرٍ. وَقَدْ وَفَّقَ فِي ذَلِكَ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ، وَأَهْمٌ مَا قَدَّمَتْهُ أُطُرُوحَتُهُ هُوَ وَجُوبُ دَرَاةِ تَارِيخِ صَابِنَةِ حَرَّانٍ وَعَقَائِدِهِمْ بِمَعْزِلٍ عَنْ دَرَاةِ تَارِيخِ الْمُنْدَائِيِّينَ وَعَقَائِدِهِمْ، حَيْثُ أَنَّهُمْ لَا يُشْكَلُونَ فَرِيقًا وَاحِدًا لَا مِنْ النَّاحِيَةِ الْإِثْنِيَّةِ، وَلَا الدِّيْنِيَّةِ الْعَقَائِدِيَّةِ، كَمَا قَلَّ مِنْ أَهْمِيَّةِ الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ فِي دَرَاةِ عَقَائِدِ صَابِنَةِ حَرَّانٍ، وَلَمْ يُعْطَ أَوَّلُويَّةٌ لِلْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا مِنْ خِلَالِ كِتَابَاتِ النَّدِيمِ وَالْمُسْعُودِيِّ، وَالْبِرُونِيِّ جُزْئِيًّا.

وَبَرَّغَمَ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ فِي تَقْدِيرِي دَرَاةَ مُتَمَازَةٍ، تَشْهَدُ بِذَاتِهَا عَلَى الْجَهْدِ الَّذِي بَذَلَهُ صَاحِبُهَا، وَهِيَ بِلا شَكٍّ إِسْهَامٌ مُتَمِيزٌ فِي تَارِيخِ الدَّرَاسَاتِ الصَّابِنِيَّةِ، كَمَا قَرَّظَهَا الْفَرَنْسِيُّ مِيْشَلْ تَارْدِيُو MICHEL TARDIEU فِي دَرَاةِ التَّقْدِيَةِ الَّتِي أَعَدَّهَا لِلرَّدِّ عَلَى هَارِبٍ فِي بَعْضِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، وَالَّتِي جَاءَتْ بِعُتْوَانِ *Sabiens Coraniques et Sabiens de Harran* (صَابِنَةُ الْقُرْآنِ وَصَابِنَةُ حَرَّانٍ)<sup>42</sup>.

تَابَعَ هَارِبُ أَبْحَاثَهُ عَنْ صَابِنَةِ حَرَّانٍ، وَنَشَرَ مَقَالَهُ *The holy year of the Harranians. Some remarks on the festival calendar of the Harranians Sabians* (الْعَامُ الْمُقَدَّسُ لِلْحَرَّانِيَّةِ، بَعْضُ مُلَاحَظَاتٍ عَلَى تَقْوِيمِ الْأَعْيَادِ عِنْدَ صَابِنَةِ حَرَّانٍ) وَذَلِكَ بِدَوْرِيَّةٍ: *Orientalia Succana* مُجَلَّد 23 / 24 لَعَامِ 1976، وَفِيهَا تَخَلَّى جُزْئِيًّا عَنْ حَذَرِهِ بِخُصُوصِ الْاِعْتِمَادِ عَلَى الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ وَالسَّرِّيَانِيَّةِ فِي دَرَاةِ دِيَانَةِ وَعَقَائِدِ صَابِنَةِ حَرَّانٍ، وَتَوْسِعَ فِي الْاِعْتِمَادِ عَلَى الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ كَمُؤَلَّفَاتِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ وَأَبُو الْفِدَا، وَالْمَقْدِسِيِّ، وَشَيْخِ الرُّبُوعَةِ الدَّمَشَقِيِّ، وَالْمِجْرِيطِيِّ.

أَمَّا فِي عَالَمِنَا الْعَرَبِيِّ - بِكُلِّ أَسَفٍ - فَإِنَّ عِدَدَ الدَّرَاسَاتِ الْمُتَخَصُّصَةِ وَالْحَدِيثَةِ عَنْ الصَّابِنَةِ لَا يَتَجَاوَزُ أَصَابِعَ الْيَدِ الْوَاحِدَةِ، فَمُنْذَ أَنْ نَشَرَ الْمُشْتَرِقُ صَمُونِيلَ زُويمِرَ مَقَالَهُ

<sup>42</sup> تُرْجِمَتْ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ بِوَايِسَةِ الْبَاحِثِ السُّورِيِّ سَلْمَانَ خَرْفُوشَ، وَنُشِرَتْ بِدِمَشْقَ عَامَ 1999.

المقتضب عن الصَّابِنة بمَجَلَّة المَقْتَضَف عام 1899، ونَشَر الأب أُنِسْتاس مَارِي الكَرْمَلِي مَقَالَهُ  
عن الصَّابِنة المُنْدائِيَّةِينَ بِمَجَلَّة المَشْرِق البِيروُنِيَّة على حَلَقَاتٍ بِدءًا من عام 1900 وَحَتَّى 1902،  
وَنَشَر عبد الرَّزَّاق الحَسَنِي كِتَابَهُ «الصَّابِنة قَدِيمًا وَحَدِيثًا» عام 1925، وَكَتَب المُفَكِّر الكَبِير  
الرَّاحِل الأستاذ عَبَّاس مَحْمُود العَقَّاد بَضْع صَفَحَاتٍ عَنِ المُنْدَائِيَّةِينَ فِي كِتَابِهِ «إِبْرَاهِيم أَبُو  
الْأَنْبِيَاء» وَالَّذِي صَدَرَتْ طَبْعَتُهُ الْأَوَّلَى بِالقَاهِرَةِ عام 1956، جَاءَتْ دَرَأَسَات البَاحِثِينَ العَرَب  
عِيَالًا عَلَى هَذِهِ الكِتَابَاتِ، وَمَا تَزَالُ تُرَدَّدُ مَا جَاءَ بِهَا، وَكَثِيرٌ مِمَّا وَرَدَ بِهَا لَا يَخْلُو مِنْ كَوْنِهِ خُرَافَةً  
أَتَّخَذَتْ شَكْلَ الحَقِيقَةِ العِلْمِيَّة بِكَثْرَةِ التَّوَاتُرِ.

وَبَدَلًا مِنْ أَنْ تَبْدَأَ الدَّرَأَسَات العَرَبِيَّة مِنْ حَيْثُ انْتَهَى المُسْتَشْرَفُونَ، آتَتْ جَمِيعُهَا دُونَهَا  
فِي المُسْتَوَى، وَغَلَبَ عَلَيْهَا انْعِدَامُ الإِلْمَامِ بِجَوَانِبِ المَوْضُوعِ وَتَعَقِيدَاتِهِ، كَمَا غَلَبَ عَلَيْهَا الطَّابِعُ  
الْإِيدِيُولُوجِي، وَالتَّخَرُّجَاتِ المَذْهَبِيَّةِ فِي مُحَاولَاتٍ مُطَّرَدَةٍ لِلتَّوْفِيقِ بَيْنَ أَخْبَارِ الرُّوَاةِ وَالمُفَسِّرِينَ  
وَنظَرِيَّاتِ العِلْمِ الحَدِيثِ، فَكَتَبَ مُحَمَّدٌ عُمَرُ حَمَادَةَ دِرَأَسَةٍ بِعُتْوَانِ «تَارِيخِ الصَّابِنة المُنْدَائِيَّةِينَ»  
نُشِرَتْ بِدمشق عام 1992، وَنَشَرَ عَلِيٌّ مُحَمَّدٌ عبد الوَهَّابِ دِرَأَسَةً بِعُتْوَانِ: «الصَّابِنة» ظَهَرَتْ  
طَبْعَتُهَا الْأَوَّلَى بِالقَاهِرَةِ عام 1996، وَنَشَرَ عبد الله سَمَكُ دِرَأَسَتُهُ المَعْنُونَةَ بِـ«الصَّابُون»  
بِالقَاهِرَةِ عام 1995. وَنَشَرَ أَحْمَدُ حِجَازِي السَّقَّا دِرَأَسَتَهُ: «الصَّابُونِ [الصَّابُون؟]، الْأُمَّةُ  
المُقْتَصِدَةُ فِي التَّوَرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآن» بِالقَاهِرَةِ عام 2003.

لَمْ يُلْقَ بِحَجَرٍ فِي هَذَا المَاءِ الرَّاكِدِ سِوَى البَاحِثِ المُنْدَائِي عَزِيزِ سِبَاهِي، وَالَّذِي فَاجَأَ  
الدَّوَاتِرَ المَعْنِيَّةَ بِدِرَأَسَةِ عُتْوَانِهَا «أَصُولُ الصَّابِنة وَمُعْتَقِدَاتُهَا الدِّينِيَّة»، صَدَرَتْ طَبْعَتُهَا الْأَوَّلَى  
بِدمشق عام 1996، وَبِالرَّغْمِ مِنْ صِغَرِ حَجْمِ دِرَأَسَتِهِ (259 صَفْحَةً مِنَ القَطْعِ الصَّغِيرِ) إِلَّا  
أَنَّهَا جَاءَتْ بِمَثَابَةٍ مَدْخَلٍ لَا غِنَى عَنْهُ لِلبَاحِثِ المُبْتَدِئِ الرَّاغِبِ بِدِرَأَسَةِ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ هَذَا  
المَوْضُوعِ الشَّائِكِ، فَقَدْ اسْتَعْلَ سِبَاهِي مَعْرِفَتَهُ العَمِيقَةَ بِالدَّرَأَسَاتِ الَّتِي تَمَّتْ فِي هَذَا الصَّدَدِ،  
وَأَبْرَزَ المُسْتَجِدَّاتِ وَالْإِشْكَالَاتِ وَالتَّعَقِيدَاتِ المُحِيطَةَ بِالمَوْضُوعِ مِنْ مُخْتَلَفِ وَجْهَاتِ النِّظَرِ،  
وَدُونَ أَنْ يَقْطَعَ فِي القَضَايَا الخِلَافِيَّةِ المُعْقَدَةِ بِرَأْيٍ، وَمُنْذُ أَنْ نَشَرَ سِبَاهِي دِرَأَسَتَهُ، لَمْ يَسْتَجِدْ شَيْءٌ  
ذُو بَالٍ - عَلَى حَدِّ عِلْمِي - حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا فِي حَقْلِ الدَّرَأَسَاتِ الصَّابِئِيَّةِ.

## الفصل

### الأول

#### 1

### الصابئة :

## إشكالية الاشتقاق اللغوي

«لأَيْدٍ - وأولاً - منه السَّعْيُ جَمْعٌ فِي  
مَحَاوَلَةٍ مُتَعَدِّدٍ مِنْهُ لُحْمٌ صَابِئَةُ الْقُرْآنِ. فَهِيَ  
بَيْنَ الْفِرَنِ الدِّيْنِيَّةِ الْأَرْبَعِ الَّتِي عَرَّفَهَا  
الْقُرْآنُ وَأُفِرِدَ أَسْمَاءُهَا تَنَزَّلُ الصَّابِئَةُ  
الْفِرَقَةُ الْبَهِيمَةُ الَّتِي لَا نَعْلَمُ مِنْهَا  
شَيْئًا !!».

موشيل تارديرو

يَرْتَبِطُ ذِكْرُ الصَّابِئَةِ بِصُورَةٍ ذَهْنِيَّةٍ تِلْقَائِيَّةٍ، تُصَوِّرُهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ قَوْمٌ - أَوْ رَبُّمَا أَقْوَامٌ - من عبدة الكواكب والنُّجُوم، وقد انتشروا في أنحاءٍ مُختلفةٍ في شبه الجزيرة العربيَّة قبل الإسلام، وأنَّهم هُم المَعْنِيُّونَ بِالذِّكْرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وهي صورةٌ غَالِبًا ما ترسَّبت في الأذهان بتأثيرِ صَابِئَةِ حَرَآن<sup>1</sup>، مع العلم بأنَّه ليس في القرآن الكريم، ولا الأحاديث النبوية ما يؤيدُ هذا التَّصوُّرَ، ناهيك أنَّ الروايات الإسلاميَّة المُبَكِّرة لم تُشير مُطلقًا إلى أنَّ عبادة الكواكب والنُّجُوم هي أحد مظاهر ديانة هؤلاء الصَّابِئَةِ. على هذا كان رَفَضُ أَغْلَبِ المُفَقِّهَاءِ المُسْلِمِينَ في العصور الوسطى كَوْنَ صَابِئَةِ حَرَآن - من عبدة الكواكب - المَعْنِيِّينَ بِالذِّكْرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، بل كان منهم من رَفَضَ اعتبارهم من أهل الدِّمَةِ من الأُصل.

على صعيدٍ آخر إذا ما تَبَعْنَا الدِّرَاسَاتِ العربيَّةَ الحَدِيثَةَ، وَأَغْلَبَ دِرَاسَاتِ المُسْتَشْرِقِينَ سنجدها تُشيرُ إلى أنَّ الصَّابِئَةَ الوارِدَ ذِكْرُهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُمُ الصَّابِئَةُ الْمُتَدَانِيُونَ<sup>2</sup>، أَخْذًا بِالاعتِبَارِ أَنَّ الصَّابِئَةَ الْمُتَدَانِيَّةَ لَا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَالنُّجُومَ!، وسنُخْلِصُ من هذا إلى أنَّ ثَمَّةَ تَنَاقُضَاتٍ حَادَّةٍ في تعريفِ صَابِئَةِ الْقُرْآنِ، من هُم؟، وما هي دِيَانَتُهُمْ؟، وأين مَسَاكِنُهُمْ؟، ما هي كُتُبُهُم التي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِمْ؟، من رُسُلِهِم الذين أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ؟، وما هي طَبِيعَةُ الْعِلَاقَةِ التي تربط الصَّابِئِيَّةَ بِالْأَدْيَانِ السَّامِيَةِ الثَّلَاثِ؟.

<sup>1</sup> جَوَادُ عَلِي: المُفَصَّلُ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، الطَّبعة الثَّانِيَّة، بَغْدَاد 1993، 6: 701 - 702؛ وَاَنْظُرْ نموذجًا لهذه الصُّورة الذَّهْنِيَّة إِزَاءَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ الْمَجْرَدِ لِلجذر «صَبَأ» فِي الْمَعْجَمِ الْوَجِيزِ الَّذِي أَصْدَرَهُ مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ: «صَبَأٌ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ صُبُوءًا: انْتَقَلَ، وَيُقَالُ صَبَأَ الرَّجُلُ: تَرَكَ دِينَهُ وَدَانَ بَدِينٍ آخَرَ، فَهُوَ صَابِئٌ. وَالصَّابِئُونَ مَنْ يَتْرَكُونَ دِينَهُمْ وَيَدِينُونَ بِدِينٍ آخَرَ. وَقَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ». الْمَعْجَمُ الْوَجِيزُ، مَنَشُورَاتُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ 1995، مَادَّةُ صَبَأٌ، 358.

<sup>2</sup> يَقُولُ الْأَسَاطِذُ عَبَّاسُ الْعَقَادِ: «وَكَانَ الْبَاحِثُونَ يَعْبُجُونَ بِتَنْوِيهِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِهَذِهِ الْمِلَّةِ [يَعْنِي الْمُتَدَانِيَّةَ] مَعَ قَلَّةِ عَدَدِهَا وَخَفَاءِ أَمْرِهَا، لَكِنْ الدِّرَاسَاتُ الْحَدِيثَةُ بَيَّنَّتْ لِلْبَاحِثِينَ الْعَصْرِيِّينَ شَأْنَ هَذِهِ الْمِلَّةِ فِي دِرَاسَاتِ الْأَدْيَانِ كَافَّةً. إِبْرَاهِيمُ أَبُو الْأَنْبِيَاءِ، الْقَاهِرَةُ 1958، 87. وَاَنْظُرْ أَيْضًا ذَلِكَ التَّصَوُّرَ فِي: مُحَمَّدُ عَمْرُ حَمَادَةَ: تَارِيخُ الصَّابِئَةِ الْمُتَدَانِيَّةِ، بِيروت 1992، 39 - 46؛ عَلِيٌّ مُحَمَّدُ عَبْدِ الْوَهَّابِ: الصَّابِئَةُ، الْقَاهِرَةُ 1996، 45 - 58؛ عَبْدِ اللَّهِ سَمَكٌ: الصَّابِئُونَ، الْقَاهِرَةُ 1995، 51 - 63؛ أَحْمَدُ حَجَّازِي السَّقَّاءُ: الصَّابِئِينَ [الصَّابِئُونَ؟!]. الْأُمَّةُ الْمُتَقْتَصِدَةُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، الْقَاهِرَةُ 2003، 48 وَمَا بَعْدَهَا.

وَرَدَ ذِكْرُ الصَّابَةِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ فَحَسَبَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الْمَوْضِعَ الْأَوَّلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62]، والثَّانِي فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾<sup>3</sup> [المائدة: 69]، أما الثَّالِثُ فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: 17].

بالإضافة إلى ذَلِكَ فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُطْلِقُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَقَبَ «الصَّابِي»، وَكَذَلِكَ عَلَى صَاحِبِهِ الْأَوَائِلِ ﷺ لَقَبَ «الصَّابِئِينَ» وَ«الصُّبَاةَ»، وَقَدْ أَثَارَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ - وَلَا تَزَالُ - تَسْأُولَاتٍ بَيْنَ الْبَاحِثِينَ حَوْلَ إِذَا مَا كَانَتْ هُنَاكَ ثَمَّةَ عِلَاقَةٍ بَيْنَ الصَّابِئِينَ الْوَارِدِ ذِكْرُهُمْ فِي الْآيَاتِ، وَبَيْنَ وَصْفِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ لِلْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ بِالصَّابَةِ؟ وَمَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ الصَّابِئُونَ الْمَذْكُورُونَ فِي الْآيَاتِ؟، وَهَلْ يُنْطَبِقُ هَذَا الْمُسَمَّى الْقُرْآنِي عَلَى الْفِرَقَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عُرِفَتَا بِهَذَا الْأَسْمِ نَفْسَهُ؟ - أَعْنِي الْمُنْدَثِئِينَ، وَصَابَةِ حَرَّانَ - فَإِذَا لَمْ يَكُنْ الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ أَفَيُنْطَبِقُ هَذَا الْمُسَمَّى عَلَى فِرْقَةٍ مِنْهُمَا دُونَ الْأُخْرَى؟، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَمِنْ مِنْهُمَا هِيَ تِلْكَ الْفِرْقَةُ الْمَعْنِيَّةُ؟.

فِي الْوَاقِعِ فَإِنَّ دَرَأَسَاتِ الْمُفَسِّرِينَ، وَعُلَمَاءِ الْحَدِيثِ، وَعُلَمَاءِ اللُّغَةِ تَمِيلُ إِلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ لَا عِلَاقَةَ بَيْنَ الصَّابَةِ الْوَارِدِ ذِكْرَهُمْ فِي الْآيَاتِ وَبَيْنَ وَصْفِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ لِلْمُسْلِمِينَ بِالصَّابَةِ<sup>4</sup>،

<sup>3</sup> وَهَذَا الْمَوْضِعُ مِنَ الْمَوَاضِعِ الْمُشْكَلَةِ عَلَى الْمُفَسِّرِينَ وَعُلَمَاءِ اللُّغَةِ، فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِي بَيَانِ انْفِرَادِ الصَّابِئِينَ « فِي الْآيَةِ بِالرُّفْعِ وَهِيَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ عَطْفًا عَلَى الْمَنْصُوبِ كَأَسْمٍ لِأَنَّ الْوَارِدَةَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ، وَسَتَجِدُ مُنَاقَشَاتٍ وَاسِعَةً جَمْعِيهَا الْمُفَسِّرُونَ مِنْ أَقْوَالِ اللُّغَوِيِّينَ لِتَفْسِيرِ انْفِرَادِ الصَّابِئِينَ بِالرُّفْعِ فِي الْآيَةِ لَا بِالنَّصَبِ عَطْفًا عَلَى الْمَنْصُوبِ كَمَا تُوجِبُ قَوَاعِدُ النُّحُو فِي الْعَرَبِيَّةِ، انْظُرْ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ: - الطَّبْرِي: جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَفْسِيرِ آيِ الْقُرْآنِ الْمَعْرُوفِ بِتَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ، تَحْقِيقُ عَمُودٍ مُحَمَّدٍ شَاكِرٍ؛ أَحْمَدُ مُحَمَّدٌ شَاكِرٍ، الْقَاهِرَةُ 1374 هـ، 9: 395 - 399.

<sup>4</sup> عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ يَقُولُ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ: «صَبَّأَ خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ الصَّابِئِينَ فِرْقَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَفْتَرُونَ الزُّبُورَ»، الْجَامِعُ الصَّحِيحُ الْمَعْرُوفُ بِصَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، بِاعْتِنَاءِ مُحَمَّدٍ زُهَيْرِ بْنِ نَاصِرِ النَّاصِرِ، الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ 1422 هـ، 1: 77.

فالصَّابِئَةُ في الآيات اسم عَلَمٌ على دِيَانَةٍ ما من الدِّيَانَاتِ، بدليل وُرودها معطوفةً على الأذيان الثلاثة الواردة بنص الآيات، ووجود أداة العطف كافٍ من النَّاحِيَةِ الدَّلَالِيَّةِ لإِعْطَاءِ معنى الاستِقْلَالِيَّةِ والمُغَايَرَةِ، وهذا التَّصَوُّرُ يُوجِبُهُ الْمُنْطَقُ بِالْفِعْلِ؛ فإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ صَابِئَةً - كما دعاهم الْمُشْرِكُونَ - فليس ثَمَّةَ حَاجَةٍ إِلَى تَكَرُّارِ الْإِشَارَةِ إِلَيْهِمْ، مَرَّةً بوضفهم الذين آمنوا، ومَرَّةً أُخْرَى بوضفهم «الصَّابِئِينَ» كما في الآيات، وَيُسْتَشْتَجُّ أَيْضًا مِنْ سِيَاقِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ هَذِهِ الْفِرْقَةَ تُعَدُّ مِنَ الْفِرْقِ الْمُوَحَّدَةِ الْمَرْضِيَّةِ عَنْهَا مِنَ اللَّهِ، بدليل قَوْلِهِ تَعَالَى فِي آيَةِ الْبَقَرَةِ ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وفي آيَةِ الْمَائِدَةِ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، أَمَّا فِي آيَةِ الْحَجِّ فَقَدْ تَرْتَّبَ عَلَى دُخُولِ الْمُشْرِكِينَ وَالْمَجُوسِ فِي نَصِّ الْآيَةِ ارْتِفَاعُ الْوَعْدِ بِالثَّوَابِ وَحُسْنُ الْجَزَاءِ إِلَى الْفَضْلِ بَيْنَهُمْ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أَمَّا عَنْ وَصْفِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَصَحْبِهِ الْأَوَائِلِ بِالصَّابِئَةِ فِي عَصْرِ صَدْرِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَدْ اضْطَلَحَ اللَّغَوِيُّونَ عَلَى اسْتِقْفَاقِهِ مِنَ الْجَذْرِ الثَّلَاثِيِّ الْمَهْمُوزِ الْآخِرِ «صَبَأً»، وَهُوَ يُفِيدُ مَعَانِيَ الْمُسْتَحْدِثِ دِينًا سِوَى دِينِهِ، أَوْ الْمُرْتَدِّ عَنْ دِينِهِ إِلَى دِينٍ لَا يَعْرِفُهُ قَوْمُهُ<sup>5</sup>، وَالْجَمْعُ قِيَاسِيٌّ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ عَلَى صَابِئِينَ وَصَابِئَاتٍ<sup>6</sup>، أَمَّا صِيغَةُ جَمْعِ التَّكْسِيرِ «صَابِئَةٌ» فَهِيَ صِيَاجَةٌ مُتَأَخِّرَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ عَنْ عَصْرِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ.

وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ نَعْتَ الْمَرْءِ «بِالصَّابِئِ» كَانَ نَعْتًا عَلَى الذَّمِّ وَالِاسْتِهْجَانِ، وَرُبَّمَا كَانَ يُعْطَى عِنْدَ الْعَرَبِ الْمُعَاصِرِينَ الْوَقْعَ نَفْسَهُ الَّذِي يُحْدِثُهُ نَعْتُ «الْمُلْجِدِ» الْيَوْمِ<sup>7</sup>. أَمَّا بَقِيَّةُ الْمَعَانِي

<sup>5</sup> ابن منظور: لسان العرب، بيروت 1981، 4: 2385.

<sup>6</sup> الرَّعَنْسَرِيُّ: أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ، تَحْقِيقُ عَمْدِ بَاسِلِ عَيُونِ السُّود، بَيْرُوتُ 1998، 522، أَبُو حَامِدٍ الْمُقْدِسِيُّ:

رسالة في الرد على الرافضة، تحقيق عبد الوهاب خليل الرحمن، بومباي 1983، 138.

<sup>7</sup> يقول ابن حجر العسقلاني: «إِنَّ قُرَيْشًا كَانُوا يَقُولُونَ لِكُلِّ مَنْ أَسْلَمَ صَبَأً حَتَّى اسْتَهْزَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ وَصَارُوا يَطْلُقُونَهَا فِي مَقَامِ الذَّمِّ». انظر: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت 1379 هـ: 8: 57. قَارَنَ أَيْضًا جَوَادَ عَلِيٍّ الَّذِي يَفْهَمُ مِنَ السِّيَاقَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْمَصَادِرِ بِشَأْنِ إِطْلَاقِ قُرَيْشٍ هَذِهِ الصِّفَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَصَحْبِهِ أَنَّ الْكَلِمَةَ كَانَتْ بِمِثَابَةِ سُبَّةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِلْمُسْلِمِينَ، انظر: المُفَصَّل، 6: 704.



الفرعية الأخرى التي يُعطيها الجذر «صَبَأَ» فهو تَحْضُ الظهور، أو البُرُوع، أو الخُرُوج الظاهر  
 البين<sup>8</sup>، فيقال «صَبَأَ النَّجْمُ» بمعنى طَلَعَ وَبَزَغَ<sup>9</sup>، و«صَبَأَتِ السَّنُّ» بمعنى شَقَّتِ اللَّتَّةَ وَخَرَجَتْ  
 وَبَانَتْ، وهناك معنى آخر أَقْلَ اسْتِخْدَامًا في تراكيب العربية للفعل «صَبَأَ» وهو بمعنى «هَجَمَ»  
 وهو لا يُعطي المعنى المجرد للجذر هَجَمَ، بل يُراد به الانْقِصَاضُ المُفَاجِئُ المُبَاغِتِ، فيقال «صَبَأَ  
 بِالْقَوْمِ» أَيِ بَاغَتْهُمْ عَلَى حِينِ غَرَّةٍ مِنْهُمْ<sup>10</sup>. تلك فقط هي المعاني التي يُعطيها الجذر «صَبَأَ» في  
 العربية والتي توقَّف اللُّغَوِيُّونَ وَعُلَمَاءُ السَّامِيَّاتِ عِنْدَهَا. وعلى ذلك فقد استقرَّ اللُّغَوِيُّونَ  
 والمُفَسِّرُونَ على أَنَّهُ ليس ثمة علاقة مُباشرة بين الصَّابئة الواردة ذِكْرُهُم في سياق الآيات، وبين  
 وصف قُرَيْشٍ للنبي ﷺ وأصحابه بالصَّابئة<sup>11</sup>. وهذا من شأنه أن يُعوِّدِنَا إلى التَّساؤل من  
 جديد؛ من هُم هؤلاء الصَّابئة المُعَيَّنُونَ في الآيات؟.

واقع الأمر أَنَّ قِضية الاشتقاق اللُّغوي لمُصْطَلَح الصَّابئة تُعدُّ من أعقد القَضَايا التي  
 تُواجه الباحثين، فلم يختلف الباحثون في تاريخ الصَّابئة وأصول عقائدهم في قِضية ما قَدَر  
 اختلافهم حَوْلَ اشتقاق هذا اللفظ، واللُّغة الأولى التي اشتقَّ منها، ومدلول اللفظ ومعناه.  
 وإلى اليوم لم يتفق الباحثون حول أيٍّ من تلك القَضَايا الخلافية، وجزء كبير من الخلط واللفظ  
 والتَّشويش في قَضَايا خلافة كُبرى نشأت بينهم حول الصَّابئة يرجع بالدرجة الأولى إلى  
 الاتجاهات اللُّغوية التي ذهبوا إليها في مُحاولاتهم لتفسير ذلك الاسم العامض.

<sup>8</sup> ولعلَّه من هنا أتى معنى الخُرُوج من دين إلى دين، انظر: السُّكُكِيُّ الحَنْبَلِيُّ: البُرْهَانُ في معرفة عقائد أهل  
 الأديان، تحقيق خليل الحاج، القاهرة د.ت، 117.

<sup>9</sup> ورَبِمَا لعب هذا المَعْنَى من معاني «صَبَأَ» دورًا كبيرًا في تكريس علاقة الصَّابئة بعبادة النُّجُوم والكواكب.  
<sup>10</sup> ابن منظور: لسان العرب، 4: 2385.

<sup>11</sup> حاول القُرْطُبِيُّ إيجاد علاقة ما بين الصَّابئين وبين وصف المُشْرِكِينَ للمُسلمِينَ بالصَّابئة فقال إنَّها تسمية تُلَزَّمُ  
 كل من خرج عن دينه، وقيل للصَّابئة صابئة لأنَّهم خرجوا عن دين أهل الكتاب، القُرْطُبِيُّ: الجامع لأحكام  
 القرآن، المعروف بتفسير القُرْطُبِيِّ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التُّرْكِي، بيروت 2006، 2: 161.

وما يُلفتُ النَّظَرَ حقًّا هو خُلو الحديث النَّبوي من حديث مَوْثُوقٍ به عن هؤلاء الصَّابئة<sup>12</sup>. وبذلك وَقَعَ عِبءُ البَحْثِ عن تلك الفِرقة التي وَرَدَ ذِكْرُها في القرآن الكريم ثلاث مَرَّاتٍ على عَاتِقِ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ، الذين حَاوَلُوا تَقْصِي مَاهِيَّةِ هؤلاء الصَّابئة وما دِيَانَتُهُمْ؟، وأين مَسَاكِنُهُمْ؟. إنَّ لدينا عدَّةَ رواياتٍ مُبْكَرَةٍ لهؤلاء التَّابِعِينَ: الرَّوَايَةُ الأولى تُعَوِّدُ لِأبي العَالِيَةِ زِيَادَ بنِ فيروز البَصْرِيِّ مَوْلَى قُرَيْشٍ (ت 90هـ/ 708م):

«حَدَّثَنَا عِصَامُ بْنُ رَوَّادٍ، ثنا آدَمُ، ثنا أَبُو جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: «وَالصَّابِيَيْنَ» فِرْقَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَقْرَأُونَ الزَّبُورَ، وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ، وَالسُّدِّيِّ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَجَابِرِ بْنِ زَيْدٍ مِثْلَ ذَلِكَ»<sup>13</sup>.

<sup>12</sup> تخُلُو كتب الحديث السُّنَّةُ بالإضافة إلى مُوطَّأ مَالِكٍ، ومُسْنَدُ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ تَمَامًا من أي إِشَارَةٍ إلى الصَّابئة، باستثناء تلك التي تَعَلَّقَ بالإِشَارَةِ إلى وصف مُشْرِكِي قُرَيْشٍ لِلنَّبِيِّ وصحبه بالصَّابئة، وهي على سبيل الخُصْر: حديثُ الْمَرْأَةِ التي اسْتَشْفَاهَا الصَّحَابَةُ بِالْبَادِيَةِ وسألوها الْمَضِي إلى النَّبِيِّ ﷺ «إِذَا قَالَتْ: إِلَى أَيْنَ؟ قَالَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِيُّ؟!» صحيح البخاري، باب التيمم، 1: 76-77؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤاط وآخرين، بيروت 2001، 33: 130؛ وحديث إسلام عمر بن الخطاب ﷺ «قالوا تريد هذا ابن الخطأب الذي صابأ البخاري: باب مناقب الأنصار، 5: 48؛ وحديث إسلام أبي ذرٍّ ﷺ «فَقَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِيِّ فَقَامُوا؛ فَصُرْتُ لَأَمُوتَ؛ فَأَذْرَكَنِي الْعَبَّاسُ» البخاري: نفسه؛ باب المناقب، 4: 182-183؛ مُسْلِم: صحيح مسلم، باعتناء نظر محمد الفارياي، الرياض 1426هـ باب فضائل الصحابة، 2: 1155؛ أحمد بن حنبل: مسند أحمد، 35: 414. وحديث أبي جهل لسعد بن معاذ «فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ يَا أَبَا صَفْوَانَ مَنْ هَذَا مَعَكَ؟» فَقَالَ هَذَا سَعْدٌ فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ أَلَا أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آيَنًا وَقَدْ أَوَيْتُمُ الصَّبَاةَ وَرَزَعْتُمُ أَتْكُمْ تَنْصُرُوهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ» البخاري: نفسه، باب المغازي، 5: 71؛ وذكر ما جرى في بيعة العقبة «فَلَمَّا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَعْدِ صَوْتٍ سَمِعْتُهُ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجَبَاكِجِ [وَالْجَبَاكِجُ الْمَنَازِلُ] هَلْ لَكُمْ فِي مُدَمِّمِ الصَّبَاةِ مَعَهُ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى خَرَبِكُمْ» مسند أحمد بن حنبل، 25: 94؛ وحديث ربيعة بن عباد الدبلي: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ....، إِلَّا أَنَّ وَزَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوُجْهِ ذَا عَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ إِنَّهُ صَابِيٌّ كَاذِبٌ....» مسند أحمد، 25: 405.

<sup>13</sup> ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، مُسْتَدًا عن رسول الله ﷺ والصَّحَابَةُ والتَّابِعِينَ، المعروف بتفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطَّيْب، الرياض 1997، 2: 127.

الرَّوَايَةُ الثَّانِيَّةُ: تُعَوَّدُ إِلَى الْفَقِيهِ التَّابِعِيِّ الْجَلِيلِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ (ت 95هـ / 713م)

وَهُوَ أَحَدُ كِبَارِ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ:

«حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجُ، ثنا أَبُو نُعَيْمٍ، ثنا شَرِيكٌ، عَنْ  
سَالِمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: «وَالصَّابِيَّينَ» مَنْزِلَةٌ بَيْنَ الْيَهُودِ  
وَالنَّصَارَى»<sup>14</sup>.

الرَّوَايَةُ الثَّلَاثَةُ: وَتُعَوَّدُ إِلَى التَّابِعِيِّ الرَّاوِيَةِ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ (توفي نحو 100هـ / 718م،

أو بعدها بقليل):

«أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّهْرَانِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ، ثنا إِسْمَاعِيلُ  
بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، ثنا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ، عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، أَنَّهُ  
قِيلَ لَهُ: مَا الصَّابِيُّونَ؟ قَالَ: الَّذِي يَعْرِفُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَيْسَتْ لَهُ  
شَرِيعَةٌ يَعْمَلُ بِهَا، وَلَمْ يُحْدِثْ كُفْرًا»<sup>15</sup>.

الرَّوَايَةُ الرَّابِعَةُ: وَتُعَوَّدُ إِلَى التَّابِعِيِّ مُجَاهِدِ بْنِ جُبَيْرِ الْمَخْزُومِيِّ (ت 101هـ / 719م):

«حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَحْمَسِيُّ، ثنا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ،  
عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: «وَالصَّابِيَّينَ» قَوْمٌ بَيْنَ الْمُجُوسِ وَالْيَهُودِ  
وَالنَّصَارَى، لَيْسَ لَهُمْ دِينٌ، وَرُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ<sup>16</sup> نَحْوُ ذَلِكَ»<sup>17</sup>.

<sup>14</sup> المصدر نفسه، نفس الصفحة.

<sup>15</sup> ابن أبي حاتم: المصدر نفسه، نفس الجزء، والصفحة؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، الرياض 1997، 1: 286.

<sup>16</sup> عطاء المشار إليه في الرواية هو عطاء بن أبي رباح الفهري (ت 114هـ / 732م).

<sup>17</sup> ابن أبي حاتم: المصدر نفسه، والجزء، والصفحة؛ قارن أيضًا الرواية نفسها بإسناد آخر عن مجاهد، الطبري: تفسيره، 2: 146؛ وأوردها القرطبي مع حذف الإسناد على سبيل الاختصار، القرطبي: تفسيره، 2: 161؛ وعند ابن كثير عن طريق سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، تفسير ابن كثير، 1: 286.

الرَّوَايَةُ الْخَامِسَةُ: لِلإِمَامِ الْجَلِيلِ الرَّاهِدِ أَبِي سَعِيدِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ  
المعروف بالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ (ت 110هـ / 728م):

«حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيُّ، ثنا عَبْدُ  
الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ، قَالَ: سَمِعْتُ  
الْحَسَنَ، فَذَكَرَ الصَّائِبِينَ، فَقَالَ هُمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ»<sup>18</sup>.

الرَّوَايَةُ السَّادِسَةُ: تُعَوَّدُ إِلَى مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفِ الْحَارِثِيِّ (كَانَ حَيًّا سَنَةَ  
141هـ / 758م):

«ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَرَزِيُّ، ثنا هُشَيْمٌ، عَنْ مُطَرِّفٍ  
قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الْحَكَمِ، فَحَدَّثَهُ رَجُلٌ مِنَ الْبَصْرَةِ، عَنِ الْحَسَنِ [يعني  
الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ] أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي الصَّائِبِينَ: إِنَّهُمْ كَالْمُجُوسِ، قَالَ  
الْحَكَمُ: أَلَمْ أَخْبِرْكُمْ بِذَلِكَ؟»<sup>19</sup>.

الرَّوَايَةُ السَّابِعَةُ: وَهِيَ رَوَايَةُ أَبِي جَعْفَرِ الرَّازِيِّ (ت 160هـ / 766م):

«حَدَّثَنَا عِصَامُ بْنُ رَوَادٍ، ثنا آدَمُ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ  
الرَّازِيُّ: بَلَّغَنِي أَنَّ الصَّائِبِينَ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَيَقْرَأُونَ  
الرُّبُورَ، وَيُصَلُّونَ إِلَى الْقِبْلَةِ»<sup>20</sup>.

الرَّوَايَةُ الثَّامِنَةُ: هِيَ رَوَايَةُ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى (ت 174هـ / 790م):

<sup>18</sup> ابن أبي حاتم: نفسه، 2؛ 128؛ القُرطبي: تفسيره، نفس الجزء والصفحة؛ ابن كثير: تفسيره، نفس الجزء والصفحة.

<sup>19</sup> ابن أبي حاتم: تفسيره، نفس الجزء والصفحة؛ ابن كثير: تفسيره، نفس الجزء والصفحة.

<sup>20</sup> ابن أبي حاتم: تفسيره، نفس الجزء والصفحة؛ ابن كثير: تفسيره، نفس الجزء والصفحة.

«الصَّابُّونَ، أَهْلُ دِينٍ مِنَ الْأَذْيَانِ كَانُوا بِجَزِيرَةِ الْمَوْصِلِ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَ هُمْ عَمَلٌ وَلَا كِتَابٌ وَلَا نَبِيٌّ، إِلَّا قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ: وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِرَسُولٍ، فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ: «هَؤُلَاءِ الصَّابُّونَ»، يُشَبِّهُوهُمْ بِهِمْ»<sup>21</sup>.

الرواية التاسعة لشريك بن جريج في حوارهِ مع عطاء بن أبي رباح الفهري (ت 114هـ/732م):

«حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ قَالَ، حَدَّثَنِي حَجَّاجٌ قَالَ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ مُجَاهِدٌ: الصَّابُّونَ بَيْنَ الْمُجُوسِ وَالْيَهُودِ، لَا دِينَ لَهُمْ. قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قُلْتُ لِعَطَاءِ الصَّابِّينَ: زَعَمُوا أَنَّهَا قَبِيلَةٌ مِنْ نَحْوِ السَّوَادِ<sup>22</sup>، لَيْسُوا بِمُجُوسٍ وَلَا يَهُودٍ وَلَا نَصَارَى. قَالَ: قَدْ سَمِعْنَا ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ: قَدْ صَبَّأَ»<sup>23</sup>.

من الواضح أنَّ أيًّا من الروايات السابقة - على تعدُّدها - لا تُشيرُ إلى قَوْمٍ مُخَدَّعِينَ، وَلَا مَسَاكِنَهُمْ وَلَا دِيَارَهُمْ، وَلَا تُلقِي الضَّوءَ على طَبِيعَةِ دِيَانَتِهِمْ<sup>24</sup>، بِاسْتِثْنَاءِ رَوَايَةِ يُونُسَ بْنِ

<sup>21</sup> ابن أبي خاتم: تفسيره، نفس الجزء والصفحة، الطبري: تفسيره، 2: 147؛ ابن كثير: تفسيره، نفس الجزء والصفحة.

<sup>22</sup> المراد بالسَّوَادِ هُنَا هُوَ سَوَادُ الْعِرَاقِ.

<sup>23</sup> الطبري: تفسيره، 2: 146؛ ولاحظ كيف تتجلى هُنَا حَيْرَةُ الْعُلَمَاءِ حَوْلَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الصَّابَةِ كَدِينٍ، وَوَصْفِ الْمُشْرِكِينَ لِلْمُسْلِمِينَ الْأَوَّلِ بِالصَّابَةِ.

<sup>24</sup> لَعَلَّ التَّشْوِيشَ النَّاتِجَ عَنْ عَدَمِ اتِّفَاقِ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ جَمِيعًا هِيَ مَا جَعَلَتِ الْإِمَامَ الطَّبْرِيَّ يُعَبِّرُ عَنْ حَيْرَتِهِ إِزَاءَ هَذَا التَّضَارُّبِ بِقَوْلِهِ: «وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِيمَنْ يَلْزَمُهُ هَذَا الْأَسْمُ مِنْ أَهْلِ الْمَلَلِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَلْزَمُ ذَلِكَ كُلُّ مَنْ خَرَجَ مِنْ دِينٍ إِلَى غَيْرِ دِينٍ. وَقَالُوا: الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ بِهَذَا الْأَسْمِ قَوْمٌ لَا دِينَ لَهُمْ» الطبري: تفسيره، 2: 146؛ قَارَنَ أَيْضًا ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةَ حَيْثُ يَقُولُ: - «وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِمْ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَاشْتَكَلَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْأُمَمَةِ، لِعَدَمِ الْإِخَاطَةِ بِمَذْهَبِهِمْ وَدِينِهِمْ» أَحْكَامُ أَهْلِ الذِّمَّةِ، تَحْقِيقُ يُوسُفُ أَحْمَدُ الْبَكْرِيُّ؛ شَاكِرُ تَوْفِيقِ الْعُرُورِيِّ، الدِّعَاءُ 1997، 2: 231.

عبد الأعلى، وحوار عطاء مع ابن جريج، فرواية يؤنس تُشير إلى قوم سَكَنُوا جزيرة المَوْصِل،  
وَهُمْ مُوحِّدُونَ بِلا كِتَابٍ أَوْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، وليس لَهُمْ عَمَلٌ إِلَّا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، في حين يُشير  
ابن جريج لعطاء أَنَّهُ سَمِعَ أَنَّ الصَّابِئِينَ قَبِيلَةٌ تَسْكُنُ سَوَادَ الْعِرَاقِ، وَأَنَّ دِينَهُمْ يُخَالِفُ الْيَهُودَ  
وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ<sup>25</sup>، لكن المُلَفَّتَ لِلنَّظَرِ حَقًّا أَنَّ أَيًّا مِنْ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ لَا تُشِيرُ مِنْ قَرِيبٍ  
وَلَا مِنْ بَعِيدٍ إِلَى عِبَادَةِ النُّجُومِ كَمَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ دِيَانَةِ الصَّابِئَةِ، وَسَرَى فِيهَا بَعْدَ انْعِكَاسِ ذَلِكَ  
عَلَى قَضِيَةِ ذِمَّةِ صَابِئَةِ حَرَّانَ.

لَا حَظَّ الْمُسْتَشْرِقُونَ تَبَايُنَ تَصَوُّرَاتِ الْفُقَهَاءِ وَالتَّابِعِينَ الْأَوَائِلَ فِي تَحْدِيدِ تِلْكَ الْفِرْقَةِ،  
وَذَهَابِهِمْ فِي ذَلِكَ مَذَاهِبَ شَتَّى، وَكَانَ ذَلِكَ أَحَدَ الْعَوَامِلِ الرَّئِيسَةِ الَّتِي جَعَلَتْ أَغْلَبَهُمْ  
يَنَاقِشُونَ جَدْوَى الْاعْتِمَادِ عَلَى الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ فِي دِرَاسَةِ تَارِيخِ الصَّابِئَةِ وَعَقَائِدِهِمْ مِنْ  
الْأَسَاسِ، وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِانْعِدَامِ قِيَمَتِهَا التَّارِيخِيَّةِ إِذْ مَا اعْتَبَرُوهُ تَضَارُفًا فِيمَا  
بَيْنَهَا<sup>26</sup>.

إِذَنْ كَيْفَ بَحَثَ الْمُسْتَشْرِقُونَ قَضِيَّةَ صَابِئَةِ الْقُرْآنِ فِي غِيَابِ الثَّقَةِ بِالْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ لَا  
سِيَّامَا الْمُبَكَّرَةَ مِنْهَا؟. الْوَاقِعُ أَنَّ أَغْلَبَ الْمُسْتَشْرِقِينَ تَبَنُّوا الْفَضْلَ بَيْنَ وَصْفِ الْمُشْرِكِينَ لِلْمُسْلِمِينَ  
الْأَوَائِلَ، وَبَيْنَ الْفِرْقَةِ الدِّينِيَّةِ الْمُسَارِ إِلَيْهَا فِي الْآيَاتِ، وَذَهَبُوا فِي مُحَاوَلَاتِهِمْ لِتَفْسِيرِ الْاسْمِ  
مَذَاهِبَ شَتَّى، لَكِنَّهُمْ جَمِيعًا يَنْصَوُّونَ تَحْتَ لَوَاءِ ثَلَاثِ مَدَارِسٍ رَئِيسِيَّةٍ، الْأُولَى اعْتَقَدَتْ بِأَنَّ  
صَابِئَةَ حَرَّانَ هُمْ أَصْلُ الصَّابِئَةِ، وَهُمْ الصَّابِئَةُ الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الثَّانِيَّةُ

<sup>25</sup> ومرجليوث بُنِيَ عَلَى هَاتَيْنِ الرِّوَايَتَيْنِ يَعْتَبِرُ أَنَّ إِشَارَةَ الْمُحَدِّثِينَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى سَوَادِ الْعِرَاقِ وَجَزِيرَةِ الْمَوْصِلِ  
عَلَى أَنَّهَا مَسَاكِنُ الصَّابِئَةِ تَضُمُّ فِي طَيَّامِهَا الْإِشَارَةَ إِلَى حَرَّانَ وَكَذَلِكَ الْبَطَّانِحِ وَالْأَهْوَارِ جَنُوبِي الْعِرَاقِ، عَلَى  
اعْتِبَارِ أَنَّ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ يَسْكُنَانِ فِي النَّطَاقِ الْجُغُرَافِيِّ نَفْسِهِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْعُلَمَاءُ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَائِلَ عَلَى أَنَّهُ  
مَوْطِنُ الصَّابِئَةِ، وَعَلَى ذَلِكَ فَلَيْسَ هُنَاكَ مُشْكَلَةٌ فِي نَظَرِ مَرْجَلِيُوثٍ فِي كَوْنِ صَابِئَةِ حَرَّانَ، وَالصَّابِئَةِ الْمَدَائِنِ  
هَمَّ الْمَعْنِيُّونَ بِالذِّكْرِ مَعَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. انظر: — MOHAMMAD, what did they teach?, London 1939, P

اتَّخَذَتِ الْأَنْجَاءُ الْمُعَاكِسَ، وَقَالَتْ أَنَّ الصَّابِنَةَ الْمُنْدَائِيَّينَ هُمُ الْمَعْنِيُّونَ بِلِقَبِ الصَّابِنَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَمَّا الثَّلَاثَةُ فَلَمْ تَتَقَيَّدْ بِالْبَحْثِ عَنْ جَذُورِ التَّسْمِيَةِ تَحْتَ رَايَةِ الْفِرْقَتَيْنِ الرَّئِيسِيَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ اتَّصَقَ بِهِمَا مُسَمَّى الصَّابِنَةِ.

## المدرسة الأولى

وَهُمُ الْقَائِلُونَ أَنَّ صَابِنَةَ حَرَّانَ هُمُ أَصْلُ الصَّابِنَةِ. فِي عَامِ 1649 قَدَّمَ الْمُسْتَشْرِقُ الْإِنْجِلِيزِي إِدْوَاردُ بُوكُوكُ E. POCKOCK فَرْضِيَّةً مَفَادُهَا أَنَّ لَفْظَةَ «الصَّابِنَةِ» مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْجِذْرِ الْعِبْرِي «صَبَأ»<sup>27</sup>، وَهُوَ الْجِذْرُ الْعِبْرَانِي الْمُكَافِئُ لِلْجِذْرِ الْعَرَبِي «صَبَأٌ» مِنْ نَاحِيَةِ الرَّسْمِ فَقَطْ، وَالْجِذْرُ الْعِبْرِي الَّذِي اقْتَرَحَهُ بُوكُوكُ مَعْنَاهُ الْحَرْفِي «اِخْتَسَدَ»، وَلَيْسَ هُنَاكَ ثَمَّةُ عِلَاقَةٍ بَيْنَ الْجِذْرَيْنِ الْعِبْرَانِيَّ وَالْعَرَبِيَّ إِلَّا إِمْكَانِيَّةٌ اسْتِخْدَامِ الْجِذْرِ الْعِبْرِي عَلَى نَحْوِ نَادِرٍ فِي الْعِبْرِيَّةِ أَيْضًا بِمَعْنَى هَجَمٍ وَبَغَاةٍ، وَهُوَ الْمَعْنَى نَفْسُهُ الَّذِي اخْتَفَظَ بِهِ أَيْضًا مَثِيلُهُ الْعَرَبِي.

وَتَأْتِي «صَبُوتُ» الْعِبْرِيَّةُ بِمَعْنَى الْجَيْشِ وَجُمْهُوعِ الْجُنُودِ، لَكِنَّهَا لَا تَعْنِي جُنُودًا وَجِيُوشًا حَقِيقِيَّةً، وَإِنَّمَا مَعْنَاهَا الْمَجَازِي هُوَ «الْمَلَايِكَةُ»، أَوْ حَرَسُ السَّمَاوَاتِ الَّذِينَ يَتَخَذُونَ مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ أَوْكَارًا وَمَسَاكِينًا لَهُمْ، إِذْ إِنَّ عِبَارَةَ «رَبُّ الْجُنُودِ» الَّتِي تَتَكَرَّرُ كَثِيرًا فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ هِيَ حَرْفِيًّا بِالْعِبْرِيَّةِ «إِلُوهِي هَصَبُوتُوتُ»، وَفِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ تَتَكَرَّرُ أَيْضًا صِيغَةُ «صَبُوتُوتُ هَسَبَايِمُ» بِمَعْنَى جُنْدِ السَّمَاءِ<sup>28</sup>، أَيْ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ<sup>29</sup>، وَبِذَلِكَ الطَّرْحِ اعْتَقَدَ بُوكُوكُ أَنَّهُ وَجَدَ رَابِطًا

<sup>27</sup> ميشيل تاردويو: صابنة القرآن وصابنة حَرَّانَ، ترجمة سلمان حَرْفُوش، دِمَشْقُ 1999، 41.

<sup>28</sup> ZAVI RADAY; CHAIM RABIN: *The new Bible dictionary*, Jerusalem 1989, Art of "Saba", p 492.

<sup>29</sup> لَا شَكَّ أَنَّ تَعْظِيمَ الْيَهُودِيَّةِ لِسَانِ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ نَاشِئٌ عَنْ فِتْرَةِ الشُّنَاتِ الْأَوَّلِ الَّتِي قَضَوْهَا فِي بَابِلَ، وَلِلْمَزِيدِ عَنْ تَأْثِيرِ الثَّرَاتِ الْبَابِلِي فِي الْعَقِيدَةِ الْيَهُودِيَّةِ انْظُرْ أَسْفَارُ: الْمُلُوكُ الثَّلَاثِي - الْأَخْبَارُ الثَّلَاثِي - عِزْرَا - نَحْمِيَا - طُوبِيَا - يَهُودِيَّت - إِسْتِيرَ، وَسَتَجِدُ فِي سِفْرِ إِسْتِيرَ أَنَّ عَمَّ إِسْتِيرَ الَّتِي تَسَبَّيَتْ فِي إِنْقَاذِ الْيَهُودِ مِنْ ذُلِّ حَيَاةِ الْأَسْرِ وَعُودِهِمْ إِلَى أَوْرُشَلِيمَ يُدْعَى «مُزْدَنْجَاي» وَيَعْنِي اسْمُهُ حَرْفِيًّا «الْمُزْنَجِي» أَوْ الْمُنْتَمِي إِلَى الْمَرْيُخِ!!، انْظُرْ حَوَاشِي تَرْجُمَةِ أَوْرُشَلِيمَ الْفَرَنْسِيَّةِ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، الْإِصْدَارُ الْعَرَبِي، طَبْعَةُ دَارِ الْمَشْرِقِ، بَيْرُوت (د.ت) 932، وَسَتَجِدُ أَيْضًا مَا يُشِيرُ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْإِعْتِقَادِ بِالْمَلَايِكَةِ السَّبْعَةِ الْعِظَامِ (وَالرُّقْمُ سَبْعَةٌ هُنَا يُشِيرُ إِلَى عِدَدِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ وَفَتْكَانَ، انْظُرْ: طُر 12: 1 - 16. وَتَأَثَّرَتِ الْمَسِيحِيَّةُ كَثِيرًا بِهَذَا الْإِعْتِقَادِ، قَارِنْ سِفْرَ رُؤْيَا يُوَحْنَا اللَّاهُوتِي: رُؤ 8: 1 - 2.

بين اعتقادات صابئة حرّان القائمة على عبادة الكواكب والنجوم، وبين تلك الفرقة التي ذُكرت في القرآن الكريم، ولقي رأيه تأييداً واسع النطاق بين جمهور المُستشرقين استمرّ حتى بدايات القرن العشرين، وكان من أبرز من شايعة على هذا الاعتقاد عالم اللغات السامية الألماني جُسنوس، وصمويل زويمر<sup>30</sup>.

أما الأب أنستاس ماري الكرّملي فقد كان يعتقد بوجود وحدة من نوع ما بين صابئة حرّان وبين المندائيين، وكان يعتقد أنّ عبادة صابئة حرّان للكواكب والنجوم لا يتعد كثيراً عن الاعتقادات المندائية بأن الكواكب والنجوم هي مساكن الملائكة، ويُناء على هذا الطرح فقد تبنّى رأياً غريباً مفاده أن الصّابئة مُصطلح ظهر أيام كانت اللغات السامية لغةً واحدة، وهي مُصحّفة عن «صَوَأ» التي قلبها العرب في لغتهم إلى صَاء، ولفظ الصّابئة شأنه عند الكرّملي شأن ألفاظ أخرى نُحِتَت من كلمة أُميتت جذورها في الساميات الأخدث، ومعناها عنده «عبادة الضّائية» أو الأجرام المُضيئة<sup>31</sup>!!

فيما اعتقد الأثري اليهودي يوليوس ليفي JULIUS LEVY أن الصّابئين هم أبناء «سَبَا بن إبراهيم الخليل عليه السلام» وكانت مساكنهم واحدة تسمّى شمال الحجاز<sup>32</sup>، حسبما ورد ذكرهم بالإصحاح الخامس والعشرين من «سفر التكوين» على أنّهم من ولد إبراهيم عليه السلام من زوجته «قطورة»<sup>33</sup>. ولم يقدم ليفي أي إيضاحات أخرى بشأن اعتقاده هذا، ويبدو أنه استند فحسب

<sup>30</sup> صمويل زويمر: الصّابئة والصّابئون، مقال منشور بمجلة المُقتطف، مج 23، القاهرة 1899، 87.

والمؤلف نفسه بشكل أكثر تفصيلاً في: 289 - 286 Arabia: the cradle of Islam, London 1960, pp 286 - 289.

<sup>31</sup> أنستاس ماري الكرّملي: الصّابئة المندائيون، مقال منشور بمجلة المشرق، بيروت 1902، مج 4: 552.

<sup>32</sup> JULIUS LEVY: The late Assyro - babyliokian, cult of the moon and its Culmination of the time of

Nabonidus, Hebrew Union college annual, vol. XIX, , 1945 - 1946, p 405 .

<sup>33</sup> جاء في التوراة: «وعاد إبراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة \* فولدت له زمران، ويثشان، ومّدان، ويشباق، وشوْحا \* وولد يثشان سَبَا، ودّدان، وكان بنو دّدان آشوريم، ولطوشيم، ولايم \* وبنو مّدان عيقة، وعفر، وحنوك، وإبيداع، والدّعة، جميع هؤلاء بنو قطورة» [تك: 25: 1-4].



إلى المقاربة في النطق بن «شبا» و«صبا»، كما تغلبت عليه التزعات الأيديولوجية، بالاستناد إلى العهد القديم الذي لم يُشير - صراحةً - إلى تلك الفرقة الغامضة، كما أنه لا يُفسّر لنا كيف تأتّى أن المصادر العبرية لم تذكر قوماً يعيشون إلى الشمال من الحجاز، ويدعون بالصّابنة.

## المدرسة الثانية

وهم القائلون بأن الصّابنة المندائيين هم صابنة القرآن الحقيقيون. في عام 1856 قدّم المستشرق الأوكراني دانيال خوالسون D. CHWOLSOHN اعتماداً على روايات آباء الكنيسة الأوائل هيبوليتوس (القرن الثاني الميلادي) وأيقانيوس (القرن الرابع الميلادي) حول ذلك اليهودي الصّارم الذي يدعى EL-KESAI، والذي عُرّب في المصادر العبرية إلى الحشح أو الحسيح أو الحشح، والذي عاش في فلسطين، وهناك نشر تعاليمه اليهودية الأصولية المتزمتة تاركاً قيادة جماعته من بعده إلى تلميذ له يُقال له «صويباي»، والذي قدّم إلى بلاد ما بين النهرين. وقدّم خوالسون تصوّره أن كلمة «صابنة» اشتقت من اسم ذلك التلميذ نفسه «صويباي»، مُستنداً في ذلك على رواية النديم المثيرة للجدل حول علاقة ذلك الحشح أو الحشح بالمندائيين<sup>34</sup>.

فيما لم يجد خوالسون في دراسته الواسعة أي أدلة تُؤيد وجود علاقة حقيقية بين صابنة حرّان، وبين الصّابنة المندائيين، ولم يجد غصاصة في اعتماد أكثر روايات النديم عن الصّابنة إثارة للجدل، تلك التي استقاها من نصراني مجهول تماماً لنا ويدعى أبا يوسف إشع القطيعي النصراني، والقائلة بأن صابنة حرّان انتحلوا لقب الصّابنة أيام المأمون ليحطّوا بمعاملة أهل الذمة<sup>35</sup>.

<sup>34</sup> CHWOLSOHN: *Die Ssabier und der Ssabismus*, St. Petersburg 1856, vol. 1, p 114. وعن علاقة

الحشح بالمندائيين تفصيلاً انظر الفصل الثالث.

<sup>35</sup> النديم: الفهرست، 2: 362 - 364. وعن رواية النديم عن القطيعي تفصيلاً، انظر الفصل السادس.

وبذلك قدّم خوالسُون أوّل نظريّة متكاملة الأركان عن أصول الصّابئة تقوم على

مُرتكزات ثلاث، وهي:-

- اشتقاق لفظ الصّابئة ليست من صَبَأَ العربية، وإنّما من اسم «صُوبياي» تلميذ الحنّج أو الحنّج القادم من فلسطين إلى بلاد ما بين النّهرين في القرن الأوّل الميلادي لِيشكّل بمُريديه أوائل المندائيّين المُغتسلين أو المُتعمّدين في بلاد ما بين النّهرين.
- الصّابئة الحقيقيّون الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم هم أنفسهم هؤلاء المندائيّون - أو المُغتسلّة - المقيمون بالبطائح جنوبي العراق، والذين يُمارسون التّعميد.
- صابئة حرّان انتحلوا الاسم قبيل وفاة المأمون عام 218هـ/ 833م، وليس ثمة علاقة حقيقة تربطهم بالصّابئة المندائيّين<sup>36</sup>.

لم يكن الألمانّيّان نيربرج ونُولدكه على قناعة بما توصّل إليه خوالسُون في دراسته، ذلك أنّ المُجانسة في النّطق بين «صُوبياي» و«الصّابئة» لا تمثّل أساساً سليماً للقول بأنّ هذا مُشتقّ من ذاك، فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ «الحنّج» وتلميذه «صُوبياي» لا ذكّرهما في الكتابات المندائيّة القديمة، وأنّ التّديم يُشير إلى أنّ تلميذ الحنّج الذي تولّى رئاسة الطّائفة بعده يُدعى شَمْعُون وليس صُوبياي، وأنّ العلاقة بين الحنّج وبين المندائيّين محلّ شكّ من الأساس عند أغلب الباحثين لأسبابٍ ستناوّلها تفصيلاً فيما بعد، فإنّ نظرية خوالسُون حول الاشتقاق اللّغوي لن تصمد طويلاً أمام النّقْد.

اعتقد كل من نيربرج ونُولدكه أنّ التّوصّل لاشتقاق لفظة الصّابئة بشكّل سليم يتوجّب العَوض في اللغات السّاميّة القديمة، وعلى ذلك قدّمَا نظريتهما القائلة بأنّ كلمة

36 CIIWOLSOHN: op. cit, vol. I, p 182.

الصَّابِئَة مأخوذة من الفعل الآرامي «صَبَا» بمعنى «غَمَسَ» أو «غَمَرَ»، في إشارة إلى أشهر الطَّقُوس الدينية التي تمارسها طائفة الصَّابِئَة المندائيين، وهو طَقْسُ التَّعْمِيد<sup>37</sup>. وبذلك دَعِمَ نيربرج وتولدكه نظرية خوالسُون بأن الصَّابِئَة المندائيين هم صابئة القرآن، مع اختلاف النَّظَرَة إلى أصل اللفظ الذي اُسْتُقِيَ - وفقاً لهما - من جذر آرامي الأصل هو «صَبَّ»، وهو موجود بذاته ورسمه ومعناه في العربيَّة، وهذا الاسم أطلقته الأقوام المجاورة على المندائيين لاشتغالهم بممارسة التَّعْمِيد نهائاً جهاراً على شواطئ الأنهار والمجاري المائية<sup>38</sup>.

وسيراً على الدَّرب نفسه - في اشتقاق كلمة الصَّابِئَة من المعاني التي يُعْطِيها فعل التَّعْمِيد في السَّامِيَّات - اقترح ب. كارا دي فو B. CARRA DE VAUX أن أصل كلمة الصَّابِئَة عبري مأخوذ من الجذر «صَبِعَ» مكافئ «صَبَغَ العربي» أي غَطَسَ، مُفْتَرِضاً سِلْسِلَةً من التَّحْوِيرَات التي لم يعنِ حتَّى يذكر ضروراتها اللغويَّة كسقوط اليَين واستبدالها بالألف<sup>39</sup>.

وقد فُطِنَت الليدي دراور إلى أغلب الصُّعُوبات التي تَكْتَفُفُ الأخذ بآراء خوالسُون ونيربرج وتولدكه، وكارا دي فو، وأهمُّها اِشْتِيْعَاد صابئة حَرَّان من الدخول في نِطاقِ الصَّابِئَة، فقد كانت دراور تَقِفُ موقِفَ المُشْكِكِ المُتَحَفِّظِ من رواية القطيعي، وكانت تَرى في صابئة حَرَّان طبقة من مُتَقَفِّي الصَّابِئَة المُتَأَثِّرِينَ بالفَلَسَفَة اليُونَانِيَّة<sup>40</sup>، لكنَّها لم تَفْعَلْ شَيْئاً إلا تَطْوِير

<sup>37</sup> أنستاس ماري الكرُملي: مرجع سابق، 551، S. M. ZWEMER: op. cit, p 286.

<sup>38</sup> وقد أضعف جان هارب من اتِّجَاه كل من تولدكه ونيربرج، وقال أن العربية تحتوي بالفعل على الجذر صَبَغَ في مقابل «صَبَا» الآرامي، وأنه بالقياس لقال العرب «صابغين وصابغون» بدلاً من صابئين وصابئون. HJARPE: op. cit, p 28. وهنري عبود يرفض الاعتراف بأن صابئة القرآن هم المندائيين، ويعتقد أن القرآن الكريم رُبِعا عَنَى طائفة يهوديَّة نصرانيَّة مُوحَّدة، دون أن يمسَّ بحقائق انطباق الاسم ذاته على المندائيين والحرثانية، مُعْجِم الحضارات السَّامِيَّة، 547.

<sup>39</sup> كارا دي فو: الصَّابِئَة، دائرة المعارف الإسلاميَّة، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، الطبعة الأولى، القاهرة 1933، 14: 89.

<sup>40</sup> دراور: الصَّابِئَة المندائيون، 24.

نظريّة تولدكه - نيربرج، فبدلاً من الفعل الآرامي الأصلي «صبا» ذهببت إلى المصدر المندائي المتحوّر عنه «مضببنا»، أي «الارتعاش في الماء»<sup>41</sup>، وشايعها على ذلك الباحث المندائي غضبان رومي مؤكّداً على استبعاد الاشتقاق من صبا العربي<sup>42</sup> لا لشيء إلا أنّ افتراض اشتقاق الصّابنة من «صبا» العربي لا يجنّدهم طُرُوحاته في قضية اعتبار المندائيين هم الصّابنة الحقيقيون. ورغم أنّ السيّد دارور كانت تعرفُ معرفةً يقينيّة أنّ المندائيين لم يطلقوا على أنفسهم اسم الصّابنة قط، لا في أدبيّاتهم الدينيّة ولا في غيرها، وأنّ التّسمية هي تسمية أطلقها عليهم مجاوروهم، فإنّها لم تنبّه إلى أنّ افتراض مندائيّة الكلمة التي اختارها تقفُ حائلاً أمام الافتراض نفسه، فكيف تسنّى لهؤلاء الأقوام أن يُسمّوا المندائيين بلفظة مُستقاة من لغة من المؤكّد أنّهم لا يعرفونها؟!، أخذاً في الاعتبار أن هؤلاء المجاورين قد جهلوا تماماً الاسم الذي كان صابنة البطائح يُطلقونه على أنفسهم وهو «المندائيون»<sup>43</sup>.

وإذا افترضنا جدلاً إمكانيّة أن يكون هؤلاء المجاورون قد سمعوا المندائيين يطلقون على التّعמיד «مضببنا» فأطلقوا عليهم «المضبطين» يريدون بها هؤلاء الذين يمارسون التّعמיד، وتساهلنا مع الصّحاحات اللّغويّة التي استوجبت تحوّل المضبطين مع الوقت إلى الصّابنة، فإنّنا لن نلبّث وأن نصطدّم بعقبة أخرى، وهي كيف اتّفق وأن عُرِف صابنة حرّان بالاسم نفسه، وهم لا يمارسون التّعמיד؟. لا شكّ أنّنا سنلحظ ذلك الازتيك خاصّة مع موقف السيّد دارور المتحفّظ من رواية القطيعي<sup>43</sup>، لكنّها لم تُعِن بتقديم تفسير لهذا الموقف التناقض في أيّ

<sup>41</sup> المرجع نفسه، 59.

<sup>42</sup> انظر: مقدّمة الباحث المذكور. أعلاه لكتاب الليدي دارور الصابنة المندائيون، 1.

<sup>43</sup> ازداد موقف دارور الرّافض لرواية القطيعي صلابةً في أبحاثها الأخيرة، خاصّة بعد عثورها وترجمتها وتحقيقتها لكتاب حرّان جوبنا [حران الداخلية]، وهو من الكتابات المندائيّة النّادرة التي تتناول تاريخ المندائيين، وفيه تردّ بوضوح الإشارة إلى حرّان كمنطقة هاجر إليها المندائيون الأوائل المضطهدون من المؤسّسة الدينيّة اليهودية بأورشليم، ويتحدّث المخطوط كذلك أن النّاصورائي (المندائيون الأوائل) وجدوا في حرّان إخوة لهم في الدّين، وهو ما اعتبرته دارور إشارة واضحة لصابنة حرّان.

من دراساتها، وشايعها على الرأي نفسه الباحث المندائي عزيز سباهي<sup>44</sup>، دون أن يُغنى يسوى بتفنيد رواية القطيعي، لكنه بدوره لم يقترب من تفسير دخول صابئة حرّان تحت مُسمّى الصّابئة، رغم أنّهم لا يهارسون التّعميد.

أعاد كورت رُودولف إحياء رأي كارا دي فُو في قضية الاشتقاق اللّغوي، فاعتقد بأنّ كلمة الصّابئة اشتقت من أصل الجذر العربي «صَبَغَ»<sup>45</sup>، وعبر تحويرات لغويّة مُعقّدة أصبح حرف الغين «عيناً» في كُلّ من العبريّة والآرامية، ثم أصبحت العين «ألفاً»، ثم انتقلت بشكلها المُطوّر الأخير إلى العربية «صَبَأ»، و «صَبَا» إلى كل من المندائيّة والسّريانيّة، إذ إن حرفي العين والغين يُخفّفان إلى الألف بحسب القاعدة المندائيّة، وتعني كلمة «الاضطباغ» الغطس في الماء الجّاري «يَزِدْنَا» أي الـ «مَصْبُتًا» بمعنى الصّباغة أو التّعميد<sup>46</sup>.

<sup>44</sup> سباهي: أصول الصّابئة، 30 - 33.

<sup>45</sup> يأتي الجذر العربي «صَبَغَ» بمعنى الغمس، ابن منظور: لسان العرب، 4: 2395. أما الجذر «صَبِغَ» فيأتي بعدّة معاني، فهو يَضْمَنُ الإشارة إلى شيء مادي بالإضبع، كما يتضمن في معانيه اغتابه أو أراده بشراً، لكن ما يستوقف النظر من ضمن معاني ذلك الجذر هو إساءة الماء من إثناء بكيفية معينة على الرأس، وذلك بوضع معين للإبهام والسبابة، انظر: - الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي؛ إبراهيم السامرائي، بيروت د.ت، 1: 311.

<sup>46</sup> يرى جان هارب بعد عدد من المقاربات اللغوية أنه من المستحيل أن يكون صبغ العربي قد تحول عن صبا الآرامي بأي صورة من الصّور، انظر: - HJARPE: op. cit, p 28، وأنا أدعّم هارب تماماً فيما توصل إليه، فلم يُسمع من العرب «صَبِغَ» بمعنى صبا، والدليل القاطع في هذا هو عهد عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه مع نصارى تغلب والذي قبل منهم الجزية مضاعفة، على ألا يقوموا بتنصير أبنائهم، والعبارة التي استخدمت في هذا العهد نصيّا هي «وعلى ألا يَصْبُغُوا أولادهم»، فدّامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، بغداد 1981، ص 224. وفهم فدّامة يصبغوا بمعنى يغمسونهم في الكُفّر، وهو تأويل مجازي على كل حال، أمّا المعنى الواضح الذي أراده عمر رضي الله عنه هو ألا يقوموا بتعميد أبنائهم قور ولادتهم، وهي علامة دخولهم في النصرانية، إذن كان العرب يستخدمون الفعل صبغ مُكافئاً للجذر صبا الآرامي، أي أن الصّباغة كانت مُكافئة لمعاني التّعميد.

وَيُمْكِنُ أَنْ نُطْلِقَ عَلَيْهَا اسْمَ مَدْرَسَةِ التَّحَرُّرِ مِنَ الْإِفْتِرَاضَاتِ الْمُسَبِّقَةِ، وَنَحْتِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةَ مَنْحَى مُخْتَلَفًا تَمَامًا عَنْ كِلْتَا الْمَدْرَسَتَيْنِ الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ، وَيُمَثِّلُ جُوسِبِيدِرْسِن J. PEDERSEN وَاحِدًا مِنْ أَهَمِّ رُؤَادِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ، وَقَدْ هَاجَمَ خُوالِسُون ومدرسته بشدّة، الَّتِي تَرَى فِي الْمُنْدَائِيَّيْنِ صَابِئَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتَمَخَّضَ بَحْثُهُ عَنْ أَنَّ مُصْطَلَحَ الصَّابِئَةِ فِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ يُشِيرُ إِلَى الْفِرْقِ الْغُنُوصِيَّةِ بِشَكْلِ عَامٍ، وَأَنَّ الْمُنْدَائِيَّيْنِ وَاحِدَةٌ مِنْهَا فَحَسَبَ، وَوَقَفَ بِيدِرْسِن مَوْقِفًا شَدِيدَ التَّحَفُّظِ مِنْ رِوَايَةِ الْقَطِيعِيِّ، وَخَلَصَ إِلَى أَنَّ الْاسْمَ نَفْسَهُ أَطْلَقَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى صَابِئَةِ حَرَّانَ، وَلَمْ يَنْتَحِلْهُ الْآخِرُونَ مُطْلَقًا<sup>47</sup>.

وَيُعَدُّ جَان هَارِب J. HAJARPE وَاحِدًا مِنْ أَهَمِّ رُؤَادِ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ، وَقَدْ أَسْفَرَتْ دَرَأَاتُهُ عَنْ أَنَّ هُنَاكَ عِلَاقَةً وَاضِحَةً تَمَامًا بَيْنَ صَابِئَةِ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ مَنْ دَعَاهُمْ الْقُرْآنُ بِالْحَنْفَاءِ<sup>48</sup>، وَبِأَنَّ أَتَّعَبَرَ الْحَنْفَاءَ إِخْدَى الْفِرْقِ الْغُنُوصِيَّةِ، فَإِنَّهُ خَلَصَ إِلَى أَنَّ الصَّابِئَةَ الْمَذْكُورِينَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُمُ الْغُنُوصِيَّونَ بِشَكْلِ عَامٍ، مُؤَكِّدًا عَلَى مَا سَبَقَ وَأَنَّ رَأْيَ بِيدِرْسِن مِنْ قَبْلِ<sup>49</sup>.

كَمَا يَعُدُّ الْفَرَنْسِييَ مِشِيلَ تَارْدِيُو M. TARDIEU وَاحِدًا مِنَ الْقَلَائِلِ أَيْضًا الَّذِينَ تَخَلَّصُوا مِنْ عِبْءِ اتِّخَاذِ مَوْقِفٍ مُسَبِّقٍ وَالْبِنَاءِ عَلَيْهِ، وَقَدْ انْتَهَجَ نَهْجَ سَلْفِهِ هَارِبَ، وَقَامَ بِبَحْثِ الْمَوْضُوعِ مُنْطَلَقًا مِنْ فَرْضِيَّةِ هَارِبَ حَوْلَ عَدَمِ وَجُودِ عِلَاقَةٍ مُبَاشِرَةٍ بَيْنَ الصَّابِئَةِ الَّذِينَ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عُرِفَتَا بِالْاسْمِ نَفْسِهِ فَيَا بَعْدَ، وَتَبَنَّى رَأْيَ بُوْكُوكِ السَّابِقِ بِشَأْنِ عِبْرِيَّةِ أَضَلِّ الْكَلِمَةِ، وَأَنَّهَا هِيَ نَفْسُهَا «صَبِئُوت» لَكِنَّهُ لَمْ يَتَبَنَّى شُرُوحَ بُوْكُوكِ الَّذِي خَلَصَ

<sup>47</sup> PEDERSEN: *The Sabians, in: "Agab-nama" a volume of oriental studies presented to Edward*

*Brown, 1922, pp 387 – 391.*

<sup>48</sup> يَجِدُ جُوزِفَ هُورْفِيزَ ارْتِبَاطًا قَوِيًّا بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْحَنْفَاءِ وَبَيْنَ الصَّابِئَةِ بِشَكْلِ عَامٍ، انْظُرْ: J. HOROVITZ: -

*Koranische Untersuchungen, Berlin 1926. p 58.*

<sup>49</sup> J. HAJARPE: *op. cit, p 492.*

إلى أن هذا يُشيرُ إلى عبادة الكواكب والأجرام السماوية بشكلٍ صريح، بل أعطى كلمة «صَبُوت» بُعداً صوفيّاً جديداً من خلال التركيز على أن جُندَ السماوات المَعْنُيون هم الملائكة، وليست الكواكب في حد ذاتها، وهم مُتوسّطات بين الله والبشر، وخُلص من هذا كله إلى أن تعبير «الصَّابئة» القرآني يُقابله تعبير *Stratitiques* اليوناني (الإيمان بالمتوسّطات بين الله والخلق)، أي الغنوصية بالمعنى العام للغنوصية دون زيادة أو نقصان<sup>50</sup> - على حدّ تعبيره - وبذلك انتهى إلى نفس النهاية التي انتهى إليها هارب، ولكن بمنهج آخر وبطريقة أخرى.

كانت هذه هي أبرز تطوّرات النقاش والجدل واللّغظ الدائر بين الباحثين من مُتصنّف القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا حول قضية الاشتقاق اللّغوي للفظ الصَّابئة، ومدلوله ومعناه، وأكثر ما يُمكن توجيّه من نقدٍ إلى هذه الفرضيات جميعاً يتلخّص في النقاط التالية:-

▪ كلا الفريقين - أغني المندائيين والحرثانية، مع استبعاد رواية النديم عن القطيعي - لم يطلّخوا على أنفسهم اسم الصَّابئة، وتلك التسمية جاءتهم من خارج المحيط، وأطلقها عليهم مجاوروهم. وهذه النقطة تُعدّ من النقاط القليلة التي ليس عليها خلافٌ بين جمهور الباحثين، بالتالي فإنّه من العبث البحث عن أصولها في لغات المندائيين والحرثانية أنفسهم.

▪ شاب البحث عن أصول لفظة الصَّابئة الاعتماد المفرط على المقاربات اللّغوية لتفسير كيف عُرف الصَّابئة بهذا الاسم، وكان من شأن ذلك تعقيد القضية بدلاً من العمل على حلّها<sup>51</sup>. أخذاً في الاعتبار أن جميع من قدّموا تفسيرات مُتباعدة للاسم والمذلول لم يستطيعوا تقديم دليل ماديّ أو بُرهان على صحّة ما ذهبوا إليه، فجميعهم لم ينجح في التوصل إلى

<sup>50</sup> تارديو: مرجع سابق، 42-43.

<sup>51</sup> أورد جان هارب مثلاً على ما قد يقود إليه الإفراط في الاعتماد على المُجانسة في التطق وتجاهل ما سواها بأن قال بأن الصَّابئة كذلك يُمكن اشتقاقها بسهولة - ودون الحاجة إلى الكثير من الافتعال - من اسم مدينة

نصّيين "Suba" أو "Subaya"، HAJARPE: op. cit, p 29.

نصّ واحد في أدبيّات اللغات التي ادّعوا اشتقاق ذلك الاسم منها يعودُ إلى حَقْب ما قَبْل الإسلام، ويتضمَّن في طَيَّاته صراحةَ الإشارة إلى الصَّابئة، وكل تلك التفسيرات - وبلا استثناء - جاءت مبنية على الظَّن والتَّخمين، وليس لواحدٍ منها أفضليَّة على الآخر، إذ لا يرتبط أحدها بِبُرْهَانٍ قاطع، وكما لاحظ جَان هارب عن حقٍّ: «إنَّ هذه الفرضيَّات جميعاً هي فرضيات لم تُبَيَّن صَحَّتُها، وهي في جَوْهرها مُجرَّد افتراضات جاء بها المُستشرقون، وليست لها أيَّة قيمة من النَّاحية التَّاريخيَّة»<sup>52</sup>.

▪ مُعظم الفرضيَّات التي تنطبق بشكلٍ آليٍّ على المندائيِّين وعلى طقوسهم التَّعميديَّة - بشكلٍ تَبْريْريٍّ مُخْص - لم تكن بالإجابة على كيفية انطباق الاسم ذاته على صابئة حرَّان؟ وهم لا يمارسون التَّعميد قط، وبالتالي جرَّ هذا الاتجاه هؤلاء الباحثين - قسراً - إلى رفض وجود علاقة مُباشرة بين المندائيِّين وصابئة حرَّان، وكانوا أكثر من غيرهم حمَّاسة للقبول بما جاء عند النَّدِيم اعتماداً على كتابات أحد النَّساطِرة الذي ادَّعى انتحال صابئة حرَّان للاسم زمن المأمُون لأغراضٍ سياسيَّة، وذلك تَحُلُّصاً من الحرج الذي يُسبِّبه القولُ بازنتباط الكلمة بشعيرة التَّعميد<sup>53</sup>، وحتى الذين قبلوا

<sup>52</sup> HJARPE: op. cit, pp 17 - 18.

<sup>53</sup> أوضح مثال على ذلك موقف الأستاذ أوليري الذي يقول ما نصّه: «إن قصة الحرَّانيِّين مع المأمُون ما هي إلى محاولة لتفسير كيف أصبح الحرَّانيُّون يُسمون بالصَّابئين، وهو اسم ناكَّد لدينا الآن أنه لا ينطبق عليهم». انظر: - دي لاسي أوليري: علوم اليونان وسُبل اتِّيقالها إلى العرب، ترجمة وهيب كامل، القاهرة 1962، 237؛ وانظر أيضاً كارا دي فو الذي قال ما نصّه: «من الواضح أن الصَّابئة الذين ذكَّروهم القرآن وجعلهم في ثلاث مواضع يعدُّون من المنديا (المندائيُّون)، ولا شك أن اسم الصَّابئة مُشتقٌّ من الأصل العبري «صَبَعَ» أي غَطَّس، ثم أُسْقِطت العين، وهو يدلُّ بلا ريب على المَعْمَدائيِّين، أولئك الذين يمارسون شعيرة التَّعميد أو الغَطَّاس، وربما كان الصَّابئة الوثنيُّون الذين لم يعرفوا هذه الشَّعيرة على الإطلاق قد اصطنعوا هذا الاسم من قَبيل الحِيطة مُبتغين أن ينعموا بالسَّاحة التي أظهرها القرآن لليهود والنَّصارى»، كارا دي فو: الصَّابئة، مرجع سابق، 14: 89، وماكس مايرهوف يُشاطرهم الاعتقاد بأنَّ انتحال الحرَّانيَّة للاسم، انظر: مايرهوف: من الإسكندريَّة إلى بَغْداد، مقال منشور ضمن كتاب التُّراث اليوناني في الحضارة الإسلاميَّة، دراسات لكبار المُستشرقين، ترجمة عبد الرحمن بدوي، الكويت د.ت، 70.



بهذا التفسير ورفضوا رفضاً قاطعاً قضية انتحال صابئة حرّان للاسم، فلما تمّ وقّعوا في ذات الحرج فتهرّبوا عمداً من الإجابة على سؤال جوهرى وهو: كيف انطبّق المسمّى ذاته على الحرثانيّة أيضاً؟.

■ الأمر ذاته ينطبق على الفرضيات التي تربط الاسم بعبادة النجوم والتي اضطُيعت اضطِناعاً لتبرير كيف عُرف صابئة حرّان بهذا الاسم. وهي أيضاً لا تُفسّر لنا كيف تأتّى انطباق المسمّى نفسه على صابئة البطائح المندائيين؟، وهم الذين لا يعبدون الكواكب والنجوم!!، كما إنّ أكثر هؤلاء الباحثين لم يغن بدراسة علاقة تسمية المسلمين الأوائل بالصابئة، باستثناءات قليلة كما عند بيدرسن وهارب وتارديو، وإذا كانت الصابئيّة بصورتها المجردة تعني مُمارسة التعميد، وإذا كان القرآن الكريم يعني الصابئة المندائيين، لماذا أطلق مُشركو قُريش على النَّبي وصَّحبه لقب الصَّابئة؟<sup>54</sup>.

■ رغم أنّ كلمة «الصَّابئة» عربيّة الجُرس والمعنى، وتُشتقّ من فعل عربي ثلاثي بسلاسة، ودون الحاجة إلى الافتعال، وعلى نحوٍ قياسيٍّ في قواعد

<sup>54</sup> يشير بيدرسن إلى صعوبة تصوّيب ما رآه خوالسون من أن صابئة القرآن هم المندائيون، وأن ذلك يخلّق تعقيدات كبيرة أبرزها عدم استطاعة تفسير تسمية قُريش للنبي ﷺ وصحبه بالصابئة في ضوء هذا، انظر: PEDERSEN: *The sabians*, p 386. في حين يُبدى يوليوس فلهاوزن دهشته من تلقّب المُشركين للمسلمين الأوائل بالصابئة، لكنه في الوقت نفسه يرفض مطلقاً الربط بين التسمية وبين أي من المندائيين والحرثانية على السواء، تاريخ الدولة العربيّة من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأمويّة، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة 1968، 3. وجواد علي ينص أنه لا يستقيم فهم كلمة صابئ التي عرفها العرب قبل الإسلام تحت راية المندائيّة والحرثانيّة جيماً، وأن هاتين التسميتين إنما تمّتا في الإسلام، لا قبله، المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 6: 702، في حين يلمح سباهي إلى رأي غريب وهو أن قريشاً أطلقت على النبي ﷺ وصحبه اللقب نفسه الذي اتصف به المندائيون لتشابه العقائد. (!؟)، انظر:-

عزيز سباهي: إلى أي قوم ينتمي الصَّابئة المندائيون؟، مقال منشور ومُتاح على الشبّكة الدولية للمعلومات

على الرابط التالي:- [http://www.mandaeanunion.org/History/AR\\_History\\_033.htm](http://www.mandaeanunion.org/History/AR_History_033.htm)

العربية ذاتها. على الرغم من ذلك فإن جميع هؤلاء الباحثين - باستثناء خوالسُون وغُضْبَان رُومي - لم يهتموا بإبراز أسباب استبعاد اشتقاق الكلمة من الجذر العربي «صَبَأ».

■ إلى جانب ذلك كان هناك خطأ منهجي يجري في دوائر الانشِراق على نحو مُتعمَّد، وهو رفضُ أصالة الجذور العربية كُلِّها كان ذلك مُمكنًا!!، وقد كان بعض المُستشرقين يعمدون في حال غُموض الجذر العربي إلى البحث عن معاني الجذر العبري المُقابل، صاريين عرض الحائط بقدِّم العربية وراثتها غير المحدود بالجذور اللغوية مُقارنةً بالعربية، وبالرغم من أن المُستشرقين المُحدثين قد أفلحوا عن هذا المنهج المُعكَّوس الآن؛ فقد تراكت مِئات من المُصطلحات التي اعتقد الباحثون بأصلها غير العربي، وما زالت دوائر البحث تأخذ بهذه التفسيرات دون إعادة النظر فيها<sup>55</sup>، لذا كان من الطَّبيعي أن يُوجد من بين المُستشرقين من يرد لفظة الصَّابئة إلى أقرب لفظٍ عبري مُمكن.

■ افتراضُ الباحثين لقدم التسمية، وردُّها إلى ما قبل العصور المسيحية<sup>56</sup>، ليس له ما يُبرِّره اللهم إلا إطلاق مُشركي قريش اللقب نفسه على المُسلمين الأوائل، ولكن الإيغال به في القدم حيث سادت اللغة الآرامية ربُّوع الشَّرق الأذني، يعد - في نظري - تطرُّفا لا شك فيه، وبالتالي التماس الجذر نفسه في الآرامية وهي اللغة الأم لكل من العربية والعبرية، كما فعل نُولدكَه، قاده - وغيره - إلى أنه من الصَّعوبة بمكان

<sup>55</sup> انظر أمثلة من هذه التَّخبطات في دراسة جُوزيف هُوروفيتس عن الدَّخيل في القرآن الكريم. *Jewish Proper Names and derivatives in the Koran*, Berlin 1930، وخاصة تعليقه على مادة قُسطَّاس.

<sup>56</sup> سباهي: أصول الصابئة المندائيين، 32.

القول بأن الصَّابِئَة اشتُقَّت من «صَبَأ» العَرَبِيَّة، لا سِيَّما وأن الجذر العربي لا يحملُ في طَيَّاته مَغْزًى دِينِيًّا ما ذا مَعْنَى خاص، كما لا يرتبط بدلالة ما لها علاقة بأيٍّ من الفرقين اللتين عُرفتا بالاسم نفسه فيما بعد.

■ أصاب خُوالِ السُّونِ البَحْثُ في تاريخ الصَّابِئَة بِسَهْمٍ نافذٍ عبر افتراضاته حول الصَّابِئَة الحَقِيقِيَّين، وأنَّهم وحدهم هم الصَّابِئَة المَندائِيُّون، وقد ظَلَّتْ دوائر البحث أسيرة لهذه التَّصَوُّرات - أو كما يَحُلُّو للبعض وصفها بالتَّخْطُّطات - حتى يومنا هذا، رغم عدم وجود أدلَّة تؤيد ذلك لا في القرآن الكريم نفسه، ولا في المَصادر العربيَّة المُعاصرة. فيما شَقَّت هذه التَّفْسِيرات طريقها إلى المَعاجِمِ والمُوسَّوعات ودوائر المَعَارِف، ليس بفضل وجاهتها وإنَّما بفضل إضْراب الباحثين على ثَوَائرها، والثَّقَلِ العِلْمِيِّ لبعض قائلِها<sup>57</sup>. ولقد وُجد بالفعل بعض المُستشرقين الذين رفضوا مُسلَّمات خُوالِ السُّون، حول الصَّابِئَة الحَقِيقِيَّين، وحول الاشتقاق من طقس التَّعْمِيد، وفَضَّلُوا البحث من البَدءِ بعيدًا عن هذه التَّصَوُّرات، وكان منهم شيرنجِر، وجان هارب، وميشيل تارديو، ووصلوا إلى نتائج مُهمَّة في هذا الصَّدَد، أبرزها: صَابِئَة القرآن ليسوا بحالٍ من الأخوال هم الصَّابِئَة المَندائِيُّون<sup>58</sup>، كما لا يُمكن أن تكون الكلمة مُشتَقَّة من جِذْرِ آرامي أو حتَّى مَندائي بها يُفِيد التَّعْمِيد والازْتِماس في الماء<sup>59</sup>.

57 يعلّق تارديو على الارتباك الذي أصاب الأوساط البحثية منذ صدور دراسة خُوالِ السُّون بقوله: «ما أجمل أن يقوم باحثٌ بتعقب الآثار التي خلفها خُوالِ السُّون في الأجيال اللاحقة!، حيث سيُكون بالإمكان عندهُ توضيح العديد من التَّحليلات التي سيطرت على الاستِشراق [بخصوص الصابئة] من أواسط القرن التاسع عشر وإلى يومنا هذا، خصوصًا عندما لا يظهر اسم خُوالِ السُّون». تارديو: صابئة القرآن، 51 - 52.

58 يطلق كورت رُودلف على هؤلاء الباحثين اسم «المُشكِّكين»، ويَتَّهمهم بضعف الإلمام بطبيعة الأدب والميثولوجيا المَندائيَّة، ويُطالبهم بمزيد من البراهين على آرائهم، انظر: - K. RUDOLPH: Problems of a

إن رَفُضَ تصوّرات المستشرقين حَول مَغزى الاسم واشتقاقه من شأنه أن يُعوّد بنا إلى نُقطة البداية، من حيث التّساؤل من جَدِيد، من هُم هؤلاء الصّابئة؟، وهل تُضاربت المصادر العربية حَقًّا في تَحْدِيدهم؟. وما علاقة هؤلاء الصّابئة بتسمية المُشركين للمُسلمين الأوائل بالاسم نفسه؟، وكيف عُرف كل من المندائيّين والحَرَنائيّة على السّواء بالصّابئة؟، هذا ما سَيُناقشه الفصل التّالي تَفْصِيلاً.

في حين يَتَّهمه ميشيل تاردِيُو *history of the development of the Mandaean religion*, 1966, p 211. بإعادة صياغة وتقديم مُخْططات خُوالِسون «بإصرارٍ لا يَتَزَعَّع»، وأنه كان يتوجّب عليه إعادة النظر في آرائه بعدما ظهرت دراسة هَارِب النّقديّة التي هدمت نظرية خُوالِسون من جذورها، انظر: - تاردِيُو: صابئة القرآن، 53.

59 HJARPE: op. cit, pp 17 – 18; A. SPRENGER: *Des Leben und die des Mohammed nach bisher grosstenteils unbenutzten quellen bearbeitet*, Berlin 1865, Vol. 1, p 498. و انظر أيضًا ميشيل تاردِيُو: صابئة القرآن وصابئة حران، 10.

## الفصل

### الثاني

# 2

## دلالة مُصطلح:

## الصَّابئة في المصادر العربية

«إِنَّ السَّجَّ القَائِم على تَقْدِيم المُتَدَايِينَ دون غيرهم على أَشْهُم العِنُيُون يوصف الصَّابئة في القرآن يجب أن يتم استبعادُه فوراً، فلا شيء يُوجي بأن هذه الطائفة كانت ذات إصْنَة خاصة في غرب سِبْه جزيرة العرب. كما أن الصَّابئة المذكورين في القرآن جنباً إلى جنب مع اليهود والنصارى والمجوس كانوا يؤمنون بالله تَبَل بعنة مُحَمَّد ﷺ، كما أنَّها كلمة يجب أن يَكُون لها ارتباطها المباشر - وعنه كتب - بمعتقدات النَّبِيِّ ﷺ، وإلا فلسه نفرهم أبداً كيف تُعت النَّبِيُّ ﷺ بالصَّابئ؟، وكذلك كل من يبادر إلى الدَّخُول في الإسلام».

تعرّضت المصادر العربيّة لهجومٍ واسعٍ من قِبَل بعض المُستشرقين بدعوى تضاربها في تحديد المعنيتين بالصّابئة في القرآن الكريم، بل وامتدّ النقاش بين بعض الباحثين إلى تقييم قيمتها في دراسة عقائد الصّابئة وتأريخهم بوجه عام. على صعيد آخر - وكما رأينا - حاول بعض المُستشرقين التّمسك اللفظ في كُلٍّ من الآرامية والعبريّة والمندائيّة القديمة، لكنّهم جميعًا - ودون استثناء - لم يتوصّلوا إلى نصٍّ واحد بهذه اللّغات يتحدّث صراحةً عن الصّابئة، ويُشير إلى صابئة حرّان أو المندائيين بلقبهم الذي عُرفوا به في ظلّ الإسلام، ألا وهو «الصّابئة».

لذا فالحديث عن قِدَم اللّقب وعُودته إلى ما قبل العصور المسيحيّة ليس في الواقع إلّا فرضيّة لا تقوم عليها قريّة واجدة. وعلى العكس فإنّ هناك ما يُشير إلى أن لقب الصّابئة قد استُحدث في ظلّ الإسلام، يُؤيّد ذلك ما جاء عند مار يعقوب الزّهاوي مُطران الرّها (ت90هـ/ 708م) في كتابه «الأيام السّنة» والذي عدّد أسماء الحرّانيّة بقوله: «وهؤلاء القوم عند النّاس هم أسماء مختلفة، منها: الكلّدان والحرّانيون والحنوفون»<sup>1</sup>.

ولا شك أن إغفال الزّهاوي ذكر لقبهم الأوسع انتشارًا - أعني الصّابئة - أمر مُلفت للنّظر، وهذا من شأنه أن يُؤكّد احتمالًا من اثنين: إمّا أن التسمية قد أطلقها المسلمون على أقوام مُعيّنين من أهل الدّمة، وأنّها لم تكن شائعة إلّا بين العرب الفاتحين في هذا العصر المبكر، لذا لم يُلق لها يعقوب الزّهاوي بالآ، أو ربّما لم يعرفها أصلًا. أو أنّ القطيعي كان يُقرّر واقعيًا حين ادّعى انّتحال الحرّانيّة للاسم، وهو ما لا أميلُ إليه أو أقولُ به<sup>2</sup>، ولا شك أن المرحوم جواد علي كان ناقد البصيرة - رغم عدم تعرّفه على نص الزّهاوي المُتقدّم ذكره - حين قرّر أن تسمية الصّابئة؛ سواء المندائيين أو الحرّانيّة إنّما تمت في ظلّ الإسلام لا قبله<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> كتاب الأيام السّنة، نقله إلى العربيّة مار غريغوريوس صليبا شمعون، ضمن منشورات الثّراث الشّرياني (الكتاب الرابع) حلب 1990، 100.

<sup>2</sup> سأناقش رواية القطيعي بالتّفصيل لاحقًا، انظر الفصل السّادس.

<sup>3</sup> المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 6: 702.

إنَّ الاشتقاق الصَّحيح للفظ «الصَّابئة» يأتي من «صَبَا» العربي ودُونَ الحاجة للاشتغال، أو افتراض التعريب. ولكن لا اعتقدُ أنْ حوَرَ هذا الجذر يدور حول «صَبَا» بمعنى خرج من دينٍ إلى دينٍ آخر، وإنَّما من «صَبَا» بمعنى مَال. فثَمَّة ملاحظة هامة لاحظها العلماء واللُّغويون القُدَّامى، لكن الباحثين المعاصرين لم يُعيروها - على أهميتها - أذنى التفات، وهي اشتباك معاني الفعلين «صَبَا» المَهْمُوز الآخر، و«صَبَا» المَعْتَل الآخر، والذي يُشتق من الجذر «صَبَو» في لفظة «الصَّابئين» رَغْم التَّفَاوُت في المعاني التي يُعطيها كل منهما.

وكما يتَّضح من خلال المقارنة بين الجذرين أنَّهما يتَّفَقان رَسْمًا، ولا يختلفان نُطْقًا إِلَّا في وجوب الهمز في «صَبَا»، لكنَّهما يختلفان جذريًّا في المعاني التي يُعطيها كُلُّ منهما، فبينما لا يُعطي صَبَا المَهْمُوز الآخر سوى معاني: الخروج من دينٍ إلى دينٍ آخر، وعَحْض الظُّهُور البَيْن، والهَجُوم المَبَاغِت؛ لا يُعطي «صَبَا» المَعْتَل الآخر سوى عَحْض المَيْل عن الجَادَّة<sup>4</sup>، وبالرَّغم من أنَّهما لا يلتقيان في معنى واحد؛ فَإِنَّهُ كَثِيرًا ما سُمِع من العرب «صَبَا» في مقام صَبَا<sup>5</sup>.

فقد سُمِع منهم قولهم «الصُّبَاة» و«الصَّابِين»، و«الصَّابُون»، و«الصُّبُوءة». وقالوا أيضًا «صَبُوت» بدلًا من «صَبَات»<sup>6</sup>. ولم يقف الأمر حول كلام العرب فحَسْب، بل امتدَّ إلى

<sup>4</sup> كما يُفهم ذلك بجلاء من قوله تعالى: ﴿وَالْأَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: 33]. ومن «صبا» تُشتق الصُّبَاة بمعنى الميل إلى الحق الذي يُخْرِجُ الرِّجَال عن حدود الوقار، ويقال أيضًا الصَّبِي والصَّبِيان وذلك لغلبة الميل والطَّيَش والخِفَّة عليهم، وسُميت رِيحُ الصَّبَا بهذا الاسم لأنها تَمِيلُ وتَجَنَّبُ وتُشْمَلُ، وصَبَا إلى الشيء: حَنَّ إليه، وصَبَا فلان إلى فلانة: مال إليها، وبالجملة لا يُعطي الفعل «صَبَا» إلا المعاني التي تفيد عَحْض الميل، وضد الاشتقاقات، الرَّخْشَرِي: أساس البلاغة، 535-536؛ ابن منظور: لسان العرب، 4: 2397-2399.

<sup>5</sup> أورد ابن منظور تسمية قُرَيْش للنبي ﷺ وصحبه «الصُّبَاة» ضمن معاني صَبَا، ولم يدرجها ضمن اشتقاقات صَبَا، لسان العرب، 4: 2398.

<sup>6</sup> ومن الأمثلة على اشتباك معاني «صَبَا» و«صَبَا» ما رواه القُرْطُبِي عن الدَّارِقُطَنِي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرج عُمر مُتَقَلِّدًا بسيف فقليل له إن خَتَكَ وأختك قد صَبَا، القُرْطُبِي: تفسيره، 14: 5. وقال ابن منظور في مُعْجَمه: «وكانت العرب تسمي النبي ﷺ الصَّابِيَّ لِأَنَّهُ خَرَجَ مِنْ دِينِ قُرَيْشٍ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَيُسَمُّونَ مَنْ يَدْخُلُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ صَبِيًّا». انظر: - لسان العرب، 4: 2385. وقد لفت تشابك الجذرين «صَبَا» و«صبا» في «الصَّابئين» و«الصَّابُون» نظر المُتَشَرِّق فَنَسَكَ خلال استعراضه لمادة

قراءات القرآن الكريم نفسه، ففي إحدى القراءات؛ وهي قراءة نافع المدني (ت169هـ/785م) - والمعروفة بقراءة أهل المدينة - عُدِلَ فيها عن نطق «الصَّابِثين» و«الصَّابِثون» إلى «الصَّابِثين» و«الصَّابِثون»<sup>7</sup>. وقد لَفَّتَتْ تلك الظَّاهرة نظر عالم مُفسِّر ولُغوي مُدقِّق هو الإمام القُرطبي (ت671هـ/1272م)، فقال بجواز اشتقاق الصَّابِثين من كل من «صَبَا» و«صَبَا» معًا بحسب النِّية، فَمَنْ هَمَزَ آخِرَهُ جَعَلَهُ مِنْ صَبَا يَصْبُو، وَمَنْ لَمْ يَهْمِزْهُ جَعَلَهُ مِنْ صَبَا يَصْبُو<sup>8</sup>.

إذن فهل هُنَاكَ دِلَالَةٌ ما لاشتباك الجذرين؟ في الواقع نعم، ويزداد الأمرُ تعقيدًا إذا أخذنا في الاعتبار اشتباك جذرٍ ثالث مع «صَبَا» و«صَبَا» في المعنى نفسه، ألا وهو «خَنَفَ»، الذي لا يُعطي من المعاني - أيضًا - سوى مُحَضُّ المِثْلِ<sup>9</sup>. ومن المُتعارَف عليه بين علماء اللُغة أنَّ الجذرَ خَنَفَ، هو جذرُ سُريانيٍّ الأصل، تعرَّب وانتقل إلى العربيَّة عبر اتِّصال العرب بالسُريان، فهو تعريب لجذر سُرياني هو «خَنْبُو»<sup>10</sup> وهو يعني في السُريانية المعنى نفسه الذي تعرَّب به

«صَبَا» في معجمه المُفهرس لألفاظ الحديث النبوي، فأحال في حاشية جانبية على مادة «صَبَو»، فنسبك: المُعْجَم المُفْهَرَس لألفاظ الحديث النبوي، ليدن 1936، 3: 231. والشَّهرستاني على سبيل المثال يُعطي «صَبَا» معاني «صَبَا» كُلِّيًّا غير عابئ بالفروق اللغوية الدقيقة بينها حين يقول: «الصَّبوة في مُقابلة الحَنيفيَّة. وفي اللُغة: صَبَا الرَّجُلُ إذا مَالَ وَزَاغ، فبحُكم ميل هؤلاء عن الحقِّ، وزيغهم عن تهج الأتبياء قيل لهم الصَّابِثَة، وقد يُقال: صَبَا الرَّجُلُ إذا عَشَقَ وَهَوَى، وهم يقولون: الصَّبوة هي الانحلال عن قيد الرُّجال»، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت 1982، 2: 5.

<sup>7</sup> القُرطبي: تفسيره، 2: 161.

<sup>8</sup> المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

<sup>9</sup> أصلُ الخنف في اللُغة ميلٌ إحدى القَدَمين على صاحبتها، وهو ما يُسبِّب بدوره ميلٌ في المشيَّة، ورجلٌ أَخْنَفَ وامرأةٌ خَنْفَاءٌ لا يمشيان مشيًا مُستقيماً، ومن أسماء العرب: الأَخْنَفُ، بمعنى المائل المشية خَنْفٌ في باطن قدمه، ولقب أحد أشهر رجالات العرب وهو الأَخْنَفُ بن قيس بالأخْنَفَ لا عوجاج كان في رجله، وفي مسند أحمد بن حنبل حديث الرجل الذي استأذن النبي ﷺ في رفع إزاره بقوله: «إني أَخْنَفُ، تَصْطَلُّكُ رُكْبَتَيَّ» مسند أحمد، 32: 223.

<sup>10</sup> لا وجود لحرف الفاء في السُريانية، وكان السُريان يستعصِمون عنه بما نعرفه اليوم بحرف الباء الثقلية، ولذلك كان من المعتاد قلب الباء الثقلية إلى فاء في أغلب المُعَرَّبَات من اليُونانيَّة والسُريانيَّة معًا، والجذر السُرياني Hanpa معناه الحرف في مال أو زَاغ أو ضَلَّ، لكن صِفة ونسب Pagan ليست ضمن المعاني الحرفية



وهو «قال»، وقد استخدمها السريان لوصف صابئة حَرَآن بالضالين أو الزائغين، ومن الغريب أن من العلماء المسلمين من تنبه إلى هذا<sup>11</sup>.

وقد تسرب ذلك اللفظ السرياني إلى شبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام، فقد اشتهرت به فرقة دينية عُرفت بالحنفاء، وهم قوم من الموحدّين، منهم من توصّل إلى وحدانية الله - عزّ وجل - عقلاً، فرفض الشّرك وعبادة الأصنام<sup>12</sup>، ومنهم من تمسّك بديانة إبراهيم الخليل عليه السلام وعقيدته في التّوحيد الخالص<sup>13</sup>، وعلى آية حال فإن المعلومات التي نستقيها عن الحنفاء من خلال المصادر شحيحة جدّاً، ومع ذلك فإننا نعرف أن هذا الاصطلاح قد أطلق على المتمسّكين بسنة إبراهيم عليه السلام في التّوحيد، والحنّان، وحجّ البيت دون تعظيم الأصنام، إذ كان العرب يُسمّون من يفعل هذا «حنيفاً»<sup>14</sup>. وأهم معلوماتنا عن الحنفاء نستقيها من القرآن الكريم نفسه، في قوله تعالى:-

للکلمة السّريانية، لكن السريان ربّما أرادوا بالفعل ذلك المعنى وصفًا لصابئة حَرَآن، كما يذهب فون جرونباوم، انظر:- G. E. VON GRUNEBAUM: *Classical Islam, a history, 600 AD to 1258 AD*, 4<sup>th</sup> Printing, New Jersey 2009, p 25. وهذا يتطابق مع قول البيروني: «وقد قيل أن هؤلاء الحارانية ليسوا هم الصابئة بالحقيقة، بل هم المسمون في الكتب بالحنفاء والوثنية»، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق إدوارد سخاوا، لبيزج 1923، 206، ويذهب كل من سينغ وأجوان إلى أن الجذر السرياني «حنّيو» ربّما كان مصري الأصل، فقد وجدت كلمة «حنّيو» Hanapu في نقوش تل العمارنة بمعنى «المعارضين» أو «المنافقين»، انظر:- N.K. SINGH, A. R. AGWAN: *Encyclopedia of the Holy Qur'an*, New Delhi, 2000, p 1203، والمثير للدهشة أن المقرئ استخدم كلمة الحنفاء بنفس هذا المعنى المصري القديم في عنوان كتابه «أعماظ الحنفا بأخبار الأئمة الحنفا».

<sup>11</sup> المسعودي: التنبيه والإشراف، بيروت 1968، 79-80.

<sup>12</sup> أحمد أمين سليم: جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة، الإسكندرية 1997، 249.

<sup>13</sup> JONATHAN PORTER BERKEY: *The formation of Islam; religion and society in the Near East*,

Cambridge 2003, p 48.

<sup>14</sup> ابن منظور: لسان العرب، 2: 1026، وانظر أيضًا:- FRANCIS E. PETERS: *The Arabs and Arabla on the*

MAHIMOUD AYOUB: *The Qur'an and its* 1<sup>st</sup> eve of Islam, New York 1999, p 267.

interpreters, New York 1984. vol. 1, p 164.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾  
 [البقرة 135]. ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ  
 الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران 68]. ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾  
 [آل عمران 95]. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ  
 ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم 30]. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ  
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة 5].

إذا تأملنا الآيات السابقة فسنخرج بالتالي:-

- الحنيفية هي صورة التوحيد الخالص النقي، وهي تقيض الشرك بالله، كما أنها فطرة الله في خلقه.
- هي تراث إبراهيم الخليل عليه السلام، تمسك بها بعض العرب ممن رفضوا عبادة الأوثان والأصنام.
- الحنيفية الحققة جاءت الإسلام لإقرارها لا لنسخها، ونبيذ ما دون ذلك من مظاهر الشرك بالله.
- الحنيفية كانت اتجاهًا توحيدياً نقيًا خالصًا لم يتأثر باليهودية ولا بالنصرانية<sup>15</sup>.

ويبدو أن ديانة الحنفاء لم تكن مُنتشرة انتشارًا واسعًا في شبه الجزيرة العربية<sup>16</sup>، فلم يحفظ لنا التاريخ سوى أسماء بضعة نفرٍ ممن كانوا عليها<sup>17</sup>، وعلى الرغم من هذا كان للحنيفية تأثيرها

<sup>15</sup> روى البخاري في صحيحه بعضًا من مظاهر حنيفية زيد بن عمرو بن نفيل: وأبرزها أنه على دين إبراهيم لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا ولا يعبد إلا الله. صحيح البخاري: باب مناقب الأنصار، 5: 40. وقد أيد كل من وات وييل أن يكون حنفاء شبه الجزيرة العربية قد كونوا تيارًا توحيديًا مستقلًا تمامًا عن اليهودية والنصرانية وكذلك بعيدًا عن مؤثرات صابئة حران ذات الطابع الوثني، انظر: - W. MONTGOMERY WATT,

RICHARD BELL: Introduction to Qura'n, Edinburgh university press, 1970, p16.

<sup>16</sup> وهذا ما يفهم بجلاء من مقولة المسعودي: «ولما أكثر عمرو بن لحي من نصب الأصنام حول الكعبة وغلب على العرب عبادتها، وأنمحت الحنيفية منهم إلا لمعًا». مروج الذهب ومعادن الجوهر، 1: 326.

<sup>17</sup> أمثال زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وسويد بن غامير المصطلق، وعُمير بن جندب الجهني، وزهير بن أبي سلمى. للتفصيل عن اتجاهاتهم الدينية والعقائدية انظر: - محمود عرفة محمود: العرب قبل الإسلام، القاهرة 1998، 273-276.

الفكري والعقدي الواسع في البيانات التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية، حتى أن التوحيد وعبادة الله - عز وجل - انتقلت إلى العقائد ذات الطابع الوثني لأغلب القبائل العربية من عبدة الأصنام، فنحن نلاحظ أنه حتى البيانات الوثنية كانت ذات طابع توحيدي في نهاية المطاف، وإن اضطلع بطابع وثني متأثر إلى حد ما بالغنوصية عبر الإيمان بالوسائط بين الباري وخلق<sup>18</sup>.

وكيفما كان الأمر فقد استخدم مُشركو قُريش كلا التعبيرين «صبا» و«صبا» بدون تمييز لوصف ميل المسلمين عن دينهم. كما واستخدموا تعبير «الحنفاء» والصَّابِئين بالمعنى نفسه، فنحن نعرف أن الحنفاء كان قد التصق بهم المسمى نفسه «الصَّابِئون» قبل ظهور الإسلام<sup>19</sup>، ونفهم من ذلك أن المراد بالصَّابِئين المائلين أو الزَّانِغين، وليس الخارجين عن ديانة قومهم كما قد يتبادر إلى الذهن من خلال المعنى اللغوي الدقيق للفعل صَبَأَ. إلا أن الحنفاء كانوا يرتضون تسميتهم بالحنفاء، طالما أن نبيهم وإمامهم - أعني إبراهيم عليه السلام - كان يُوصف بالحنيف، كما أن اللفظة عندهم اتخذت معاني المائلين عن كل دين أعوج، أو المائلين إلى الدين الحق<sup>20</sup>، إلا أنهم كانوا في الوقت نفسه يستقبلون وصفهم بالصَّابِئين بنوع من الحساسية المفرطة، ولعلَّ العرب المُشركين كانوا يستخدمون اللفظة الأخيرة في مقام الاستهجان أو السب<sup>21</sup>.

<sup>18</sup> يقول تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾. [يوسف 106] ويقول أيضاً: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر 3].

<sup>19</sup> المسعودي: التنبيه والإشراف، 79، والجدير بالذكر أن جواد علي أشار إلى أن كلتا الكلمتين «صبا - حنف» كانتا تُستخدمتا بمعنى واحد في لهجات العرب الجنوبية، وخرج جواد علي من هذا بنتيجة وهي: أنه لا فرق يُذكر بين الكلمتين من ناحية المعنى، انظر: - المفضل، 6: 451.

<sup>20</sup> يقول ابن منظور أن «الحنيف» اصطلاحاً هو المائل إلى الحق، لسان العرب، 2: 1025-1026؛ وعند الرَّحْطَرِيِّ أن الحنيفية هي الميل عن كل دين أعوج، أساس البلاغة، 1: 218، كما عند ابن عرفة الذي نقل عنه ابن منظور قوله: «إنما قيل للمائل أخنف تفاولاً بالاستقامة» لسان العرب، 2: 1026، وبهذا المعنى أخذها محمد بيكثال في ترجمته لمعاني القرآن الكريم فقد ترجم «الحنفاء» بمعنى "those who turn away" MUHAMMAD M. PICKTHALL: The meaning of the glorious - انظر: from the existing idolworship

Qur'an; text and explanatory translation, 2 edition New York 1996, P. iv.

<sup>21</sup> وهذا - في اعتقادي - ما يبرر غضب المسلمين من تسميتهم بالصَّابِئين، فإذا كانت الصَّابِئَة هذه كلمة مشتقة من «صبا» بمعنى خرج عن دين قومه؟، فلماذا يعتبرها المسلمون سبة وقد نزل القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ \* لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* وَلَا أَنَا عَابِدُ مَا عَبَدْتُمْ \* وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ \* لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. [الكافرون 1-6].

والثَّابِتُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلَ دَعُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْحَنْفَاءِ رَافِضِينَ تَسْمِيَةَ الْمُشْرِكِينَ لَهُمْ بِالصَّابَةِ فِي عَصْرِ صَدْرِ الدَّعْوَةِ<sup>22</sup>، فَقَدْ نَزَلَتْ بَعْضُ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَكِّيِّ اخْتِفَاءً بِالْحَنِيفِيَّةِ، وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالتَّمَسُّكِ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، وَفِي أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»<sup>23</sup>، «وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»<sup>24</sup>، وَدَعْوَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ بِقَوْلِهِ «هَلْ لَكَ فِي الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِيَّةُ؟»<sup>25</sup>، وَمِلَّةَ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ<sup>25</sup>، وَبِذَلِكَ صَارَتْ كَلِمَةُ «حَنِيفٌ» فِي ذِهْنِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَلَى السَّوَاءِ مُرَادِفَةً تَمَامًا لِكَلِمَةِ «مُسْلِمٌ».

وَنَخْرُجُ مِمَّا سَبَقَ بِتَبَيُّنِ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ أَنَّهُ لَا فَرْقَ يُذَكَّرُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْاِصْطِلَاحِيَّةِ بَيْنَ أَلْفَافِ الصَّابَةِ - الْحَنْفَاءِ، وَأَنَّ «حَنْفًا» وَ«صَبًا» وَ«صَبًا» كَانَتْ جَمِيعًا تُسْتَخْدَمُ بِالْمَعْنَى نَفْسُ، وَهُوَ الْوُضْعُ بِالْمَلِيلِ. وَفِي هَذَا فَإِنَّ الْمُسْتَشْرِقَ جُوسَ بِيَدْرِسَنَ يَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ عَلَى جُحُودِهِ الْاِسْتِثْنَائِيَّةِ فِي هَذَا الصَّدَدِ، فَقَدْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ نَوَّهَ إِلَى وَجُودِ عِلَاقَةٍ قَوِيَّةٍ بَيْنَ صَابَةِ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ الْحَنْفَاءِ، بَلْ ذَهَبَ إِلَى أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ حِينَ قَرَّرَ أَنَّ صَابَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُمْ هَؤُلَاءِ الْحَنْفَاءِ أَنْفُسُهُمْ<sup>26</sup>.

وَفِي الْوَاقِعِ لَمْ يَنْطَلِقْ بِيَدْرِسَنَ مِنْ قَرَاغٍ، فَالْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْحَنْفَاءِ وَالصَّابَةِ فِي الْعُرْفِ الْعَرَبِيِّ هِيَ عِلَاقَةٌ مُحَقَّقَةٌ كَمَا رَأَيْنَا، وَلَكِنْ يَجْدُرُ التَّسَاوُلُ، هَلْ يَتَوَقَّفُ اِصْطِلَاحُ الصَّابَةِ عِنْدَ الْحَنْفَاءِ فَحَسَبَ كَمَا يَذْهَبُ بِيَدْرِسَنَ؟، وَإِذَا كَانَ الصَّابَةُ هُمْ هَؤُلَاءِ الْحَنْفَاءِ فَحَسَبَ فَلِمَ إِذَا كُلُّ هَذَا التَّضَارُّبِ الَّذِي نَشَأُ بَيْنَ عُلَمَاءِ التَّابِعِينَ فِي تَحْدِيدِهِمْ؟، وَمَا هِيَ طَبِيعَةُ الْعِلَاقَةِ الَّتِي تَرْتَبِطُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْحَنْفَاءِ وَبَيْنَ الْمُنْدَثَائِيِّينَ وَالْحَزَنَانِيَّةِ، وَهُمْ جَمِيعًا قَدْ اشْتَرَكُوا فِي حَمْلِ اللَّقَبِ ذَاتِهِ؟، وَهَلْ اشْتَمَلَ ذَلِكَ اللَّقَبُ عَلَى أَقْوَامٍ آخَرِينَ؟، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَنْ هُمْ؟ وَمَا هِيَ الْقَوَاسِمُ الْمَشْتَرَكَةُ الَّتِي تَجْعَلُهُمْ يَشْتَرِكُونَ جَمِيعًا فِي حَمْلِ اللَّقَبِ ذَاتِهِ؟.

<sup>22</sup> ابن منظور: لسان العرب، 2: 1026.

<sup>23</sup> البخاري: صحيحه، باب الإيثار، 1: 16.

<sup>24</sup> ابن حنبل: مسنده، 36: 624.

<sup>25</sup> المصدر نفسه، 24: 417.

<sup>26</sup> D. S. MARGOLIOUTH: *The relation between* - قارن أيضًا - PEDERSEN: *the Sabians*, pp 387- 389

*Arabs and Israaellites prior to the rise of Islam*, London 1924, p 82.

الواقع أنّه لن يتأتّى لنا الإحاطة والفهم العميق لمصطلح الصّابئة بوضوح وجلاء إلا من خلال تحليل النصوص الواردة في المصادر العربيّة على اختلافها، خاصّة تلك التي تتضمّن في طيّاتها الإشارة إلى تحديد دقيق للأقوام التي حملت هذا اللقب، ثم إخضاع ما يُسفر عنه ذلك التحليل من نتائج للدراسة، ثم الخروج بنظرية عامّة حول ذلك اللقب، والسّمات المشتركة بين الأقوام التي حملته.

إنّ تحليل النصوص المهمّة والتي جاءت في ثنايا المصادر، وتضمّنت الإشارة بوضوح إلى الأقوام التي لُقبت بالصّابئين، أو وُسمت بالصّابئيّة، يكشفُ بجلاءٍ عن مدلول وكُنّه كلمة «الصّابئة» في الكُتابات الكلاسيكيّة الإسلاميّة، فليس هو المفهوم الضيق الذي يعني كُلاً من الحنفاء والمندائيّين والحرثانيّة فحسب، بل امتدّ ليشمل سائر أديان العالم القديم برُمّتها في مرحلة ما قبل ظهور الديانات السماوية الثلاث الكبرى، فأديان العالم القديم انحصرت عند العلماء المسلمين في ديانة واحدة وهي «الصّابئيّة». فقد دَخَلَ تحت هذا المصطلح كُلٌّ من: الهنود<sup>27</sup> والفرس حتّى ظهور الزرادشتيّة<sup>28</sup>، وأهل العراق من النبط<sup>29</sup> والكلدان والسريان<sup>30</sup> قبل اعتناقهم للنصرانية. واليونان<sup>31</sup> [الإغريق]، والرّوم<sup>32</sup> [الرّومان] عصور ما قبل قُسطنطين الكبير، والذي كان أوّل من اعترف بالمسيحيّة كديانة مُعترف بها ضمن ديانات الإمبراطوريّة

<sup>27</sup> الأسفرايني: التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق كمال يوسف الحوت، بيروت 1983، 150.

<sup>28</sup> صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق لويس شيخو اليسوعي، بيروت 1912، 17.

<sup>29</sup> الشهرستاني: الملل والنحل، 1: 231.

<sup>30</sup> أبو بكر الجصاص: أحكام القرآن، تحقيق عبد السلام شامين، بيروت 1994، 1: 51. قارن أيضًا المجريطي: غايّة الحكيم، 80؛ قارن أيضًا ابن وحشية النبطي الذي يعدّ كُلٌّ من النبط القدماء والسُورانيون [السريان] والكلدان والكسّدان والحرثانية ضمن فرق الصّابئة، انظر: - شوقُ المُستهم في معرفة رموز الأَقلام، تحقيق جُوزيف هاتمر، لندن 1806، 114.

<sup>31</sup> المسعودي: التنبيه والإشراف، 106؛ البيروني: الآثار الباقية، 205.

<sup>32</sup> المسعودي: المصدر نفسه، 118.

الرُّومَانِيَّة، بالإضافة إلى قِبْطٍ مِصر<sup>33</sup> [المصريُّون القُدَماء] عَصُور ما قَبْلَ انْتِشَارِ الْمَسِيحِيَّةِ بَيْنَهُمْ، كما دَخَلَ ضِمْنَ هَؤُلَاءِ الصَّابِئَةِ أَيْضًا أَهْلُ الصِّينِ<sup>34</sup>، وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ قَبْلَ دُخُولِ النَّصْرَانِيَّةِ الْبِلَادِ<sup>35</sup>، بِالْإِضَافَةِ إِلَى الصِّقَالِيَّةِ<sup>36</sup>، وَكَذَا الْأَثْرَاكُ مِنْ سُكَّانِ الْأَضْفَاقِ الَّتِي تَلِي بِلَادَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ. هَذِهِ الْأُمَمُ عَلَى تَنَوُّعِ دِيَانَاتِهَا وَتَعَدُّدِهَا كَانَ يَشْمَلُهُمْ جَمِيعًا مُسَمًّى الصَّابِئَةِ.

وَإِذَا أَمَعْنَا النَّظَرَ، فَلَمْ يَكُنِ الْخُتْفَاءُ هُمْ كُلُّ الصَّابِئَةِ، كَمَا لَمْ يَكُنْ مُسَمًّى الصَّابِئِينَ يُرَادُ بِهِ الْغُنُوصِيُّينَ بِشَكْلِ عَامٍ، بَلْ إِنَّمَا نَجِدُ أَنَّ تَسْمِيَةَ «الصَّابِئَةِ» كَانَتْ شَدِيدَةً الْعُمُومِيَّةَ إِلَى حَدٍّ يُثِيرُ الدَّهْشَةَ، وَأَنْسَحَابَهَا عَلَى الْخُتْفَاءِ وَالْفِرْقِ الْغُنُوصِيَّةِ فَحَسَبَ هُوَ جُزْءٌ فَقَطْ مِنَ الْحَقِيقَةِ.

فَقَطْ كُلُّ مَا يُلْفَتُ النَّظَرُ فِي الْمَعْطِيَاتِ السَّابِقَةِ هُوَ تِلْكَ الْعَلَاqَةُ الدَّقِيقَةُ وَالْحَسَّاسَةُ بَيْنَ الْخَنَفِيَّةِ وَالصَّابِئَةِ كَمُضْطَلَحَيْنِ مُتَدَاخِلَيْنِ فِي الْمَصَادِرِ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَرَى جَانِ هَارِبٍ أَنَّ كِلَا الْمُضْطَلَحَيْنِ اتَّخَذَا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مَعْنَى عَكْسَتِهِ عِلَاقَةُ الْإِسْلَامِ بِالْأَدْيَانِ الْكِتَابِيَّةِ الْآخَرَى، فَنَجِدُ صُورَةَ الْخُتْفَاءِ تَعَكِّسُ صُورَةَ الْإِسْلَامِ وَهِيَ تَرْمِزُ إِلَى التَّوْحِيدِ النَّقِيِّ الْخَالِصِ، وَتَتَضَمَّنُ فِي طَيَّانَاتِهَا الْإِسَادَةَ، بِعِبَارَةِ أُخْرَى يَظْهَرُ الْخُتْفَاءُ فِي الْكِتَابَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكَأَنَّهُمْ مُسْلِمُو عَصُورِ مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ، أَمَّا صُورَةُ عَامَّةِ الصَّابِئَةِ فَهِيَ تَعَكِّسُ صُورَةَ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِيمَا بَعْدَ، وَتَتَضَمَّنُ فِي طَيَّانَاتِهَا التَّنِيدَ، وَتَعَكِّسُ صُورَةَ الضَّلَالِ وَالزَّيْغِ، أَيْ صُورَةَ أَقْرَبِ أَهْلِ الذِّمَّةِ كَمَا عَرَفَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَأَنْسَحَبَتْ عَنْهُمْ عَلَى عَصُورِ مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ عَلَى حَدِّ تَشْخِيصِ هَارِبٍ<sup>37</sup>.

وَلَا أَظُنُّ أَنَّ الصَّوَابَ قَدْ حَالَفَ هَارِبَ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، إِذْ إِنَّ الْكِتَابَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ - لَا سِيَّامَا الْمُبَكَّرَةَ مِنْهَا - تَتَعَامَلُ مَعَ اضْطِلَاحِي الْخَنَفِيَّةِ وَالصَّابِئَةِ عَلَى اعْتِبَارِ أَتَّهَمَا مُتَرَادِفَانِ، مَعَ

<sup>33</sup> القفطي: إخبار العلماء، 20.

<sup>34</sup> السعودي: أخبار الزمان، ومن أبادة الحدثان، وعجائب البلدان، والغامر بالماء والعمران، القاهرة 1938، 71.

<sup>35</sup> السعودي: مروج الذهب، 1: 244؛ أبو بكر الدوداري: الدرة اليتيمة في أخبار الأمم القديمة، القسم الثاني

من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق إدوارد بدين، بيروت 1994، 95.

<sup>36</sup> الدوداري: المصدر نفسه، 2: 90.

<sup>37</sup> HAJARPE: Analyse critique, P 24.

مُراعاة عدم المسّاس بحقيقة أن الخُفَاء في شبه الجزيرة العربيّة قبل الإسلام هم من المُوحّدين من أتباع إبراهيم عليه السلام، ولا علاقة لهم البتّة بالخُفَاء من أهل الملل القديمة، ويظهر ذلك بجلّاء عند المشعُودي<sup>38</sup>، والبيروني<sup>39</sup>، وصاعد الأندلسي<sup>40</sup>، بينما تحاول الكتابات المتأخّرة تجنّب ذلك الخلط في استخدام مُصطلح الحنيفيّة كمُرادف للصّابئيّة، بل كمُقابل لها، فتقتصر على إثبات الصّابئيّة فقط كصفة لأذيان الأمم القديمة، والحنيفيّة كصفة للتّوحيد، كما نرى بوضوح عند الشّهريستاني والذي جعل الصّبوة - أي الوثنيّة - في مقابل الحنيفيّة أي التّوحيد الحاصل<sup>41</sup>، وحذا حذوه القفطي وأبو الفدا<sup>42</sup> وابن كثير<sup>43</sup> وابن خلدون<sup>44</sup> والقلقشندي<sup>45</sup>.

وقد رأينا من قبل أن اصطلاح الخُفَاء هو اصطلاح سُرياني قديم أُريد به الإشارة إلى هؤلاء الوثنيين القدماء، لذا كان من الطّبيعي ألا يندرج تحته بقاياهم من صابئة حرّان فحسب من دون أن يشمل أسلافهم من الإغريق والرّومان والمصريّين وسائر الأمم القديمة قبل اعتناقهم للنّصرانيّة. كما رأينا فيما سبق كيف دخل هذا المُصطلح نفسه - أعني الخُفَاء - إلى لغة العرب فخصّوا به هؤلاء المُوحّدين على ملّة إبراهيم عليه السلام، أو هؤلاء الذين اعتقدوا في التّوحيد عقلاً ورفضوا عبادة الأصنام، كما رفضوا اعتناق الملل الكنيّسيّة كاليهوديّة والنّصرانيّة. ومن الواضح أن هذا التّداعُل في استخدام مُصطلحي الصّابئة والخُفَاء هو نتيجة اختلاف معاني كلا المُصطلحين في التراثين السّرياني ونظيره العربي.

<sup>38</sup> التنبيه والإشراف، 106.

<sup>39</sup> الآثار الباقية، 206.

<sup>40</sup> طبقات الأمم، 17.

<sup>41</sup> الملل والنحل، 2: 5.

<sup>42</sup> المختصر في أخبار البشر، القاهرة د.ت، 1: 81 - 82.

<sup>43</sup> البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المُحسين التركي، القاهرة 1997، 3: 86.

<sup>44</sup> ديوان المُبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأثبَر، المعروف بتاريخ ابن خلدون، نشره خليل شحادة؛ سهيل زكار، بيروت 2000، 2: 89.

<sup>45</sup> صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصريّة، القاهرة 1922، 5: 392.

لذا فقد مالت الكتابات العربية المتأخرة - والتي تخلصت من ذلك التشويش الذي سببه ذلك التأثير السرياني - إلى تقسيم هؤلاء الصابئة إلى صابئة حنفاء، أي هؤلاء الموحدين، وقد أدرجت المصادر العربية ضمن هؤلاء الحنفاء من وُحِدَ الله وفقاً لدعوة نبي الله إبراهيم عليه السلام بعيداً عن كلتا المؤثرات اليهودية والنصرانية، إلى جانب من توصل إلى وُحْدَانِيَّةِ الله - عزَّ وجل - عقلاً، وهؤلاء هم الصابئة الفلاسفة، وهذا المسمى الأخير ربما أراد العلماء المسلمين به - على الأرجح - الإشارة إلى الفرق ذات التوجه الغنوصي الفلسفي القائم على التوحيد بلا كتاب ولا نبي.

أما الصابئة المشركون فقد كانوا ينقسمون بدورهم إلى قسمين عظيمين: القائلون بالهياكل، وهم عبدة الكواكب والنجوم والأجرام السماوية، والآخرُونَ هم القائلون بالأشخاص، وهم عبدة الأضنام والأوثان<sup>46</sup>. وهي عبادات تميّزت بها حضارات مِصر وبلاد الرافدين، والإغريق، والرومان، وأهل الهند والصين، والأتراك والاندلس قبل انتشار المسيحية.

نخرج مما سبق بالتّاتج التالية:

- تسمية الصّابئة هي تسمية عربية محلية مُشتقة من الجذر العربي «صَبَا» بمعنى مال، وتعني أهل الليل القديمة قبل ظهور الديانات السماوية، ونشأت بين العرب بتأثير انتشار لفظة سُرْيَانِيَّة وصف بها السريان ديانة الحرثانية، فالجذر المعرب «حَنَف» بمعنى «قال» إنّما هو جذر سُرْيَانِي عَرَب بنفس معناه، وهو في الأصل تسمية أطلقها النصارى السريان على الحرثانية<sup>47</sup> بمعنى المائلين أو الزائغين، وتعرّب الجذر السرياني في العربية

<sup>46</sup> نفسه، 2: 58-60.

<sup>47</sup> وفي شأن إطلاق السريان لفظة الحنفاء على عابدي الكواكب والنجوم، راجع: - يعقوب الزهاوي: الأيام



إلى «حَنَفٍ»، واستُخدمت لفظة «الحَنَفَاء» محلياً في شبه الجزيرة العربية على الذَّم من قبل المُشركين لوصف مُناوئهم في الدِّين، بمعنى: «الزَّائِغين» أو «المَائِلين» أو «الصَّالِّين»، وبين هؤلاء الحَنَفَاء أنفُسهم بمعنى المَائِلين إلى الدِّين الحق، أو المَائِلين عن كُلِّ دينٍ أعوج. كما استُخدمت المعاني المُشتقة من مُكافئ «حَنَفٍ»، «صَبَا»، كـ «الصُّبُوءة» و«الصُّبَاءة» و«الصَّابِين» كمُرَادِفَاتٍ للفظ «الحَنَفَاء»، وأجاز العرب همز «صبا»، فسمِع منهم «الصَّابِين والصَّابِتُون».

■ اتَّسع نطاق اللفظ اصطلاحياً مع الوقت نتيجة تداخلات مُعقدة بين التُّراث العربي القائم على اعتبار الحَنَفَاء قَوْم من المُوحِّدين من أتباع ديانة إبراهيم عليه السلام، وبين التُّراث السُّرياني والذي يَعتبر الحَنَفَاء قَوْم من الوثنيين الذين فضَّلوا البقاء على وثنيَّتهم ورغبوا عن المسيحية، ومن ثمَّ شمل لفظ الصَّابِئِينَ اصطلاحاً كلَّتا الفِرقتين، فانقسموا إلى صابئة مُوحِّدين، وصابئة مُشركين، وهؤلاء انقسموا بدورهم إلى قِسْمين هُما: أَصْحَاب الهَيَاكِل، وَأَصْحَاب الْأَشْخَاص. وبذلك امتدَّ اللقبُ ليُصبح علماً على الديانات الوثنية القديمة، ليشمل المُضريين والبابليين والإغريق والرومان في مرحلة ما قبل ظُهور الديانات السَّماوية.

السته، 100. وانظر أيضاً: - ماري بن سُلَيْمَانَ: أخبار بطارقة كرمي الشرق، 56. ويُشير المجريطي إلى كتاب مُقدس لصابئة حرَّان يُدعى مُصحف الحَنَفَاء، انظر: - غَايَةُ الْحَكِيم وَأَوَّلَى التَّجَبُّجَاتِ بِالتَّقْدِيم، تحقيق هيلموت ريتز، هامبورج 1927، 205. ولا تُخبرنا المصادر عن موقف صابئة حرَّان إزاء تلقيبهم بالحَنَفَاء قبل انتشار الإسلام، ولعلَّهم كانوا يضيفون بها. لكنَّهم تَمَسَّكُوا كثيراً بهذا اللقب بعد ظُهور الإسلام، نظرًا لما لهذه الكلمة في الإسلام من وقع مُقدس في نفوس المسلمين، ففي ترجمة ابن خَلِّكَان لأبي إسحاق الصَّابِئ يُشير إلى أنَّه كان من الحَنَفَاء، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزَّمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1968، 1: 54. قارن أيضاً: - ابن العِزَّاد الحَنْبَلِي: شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط؛ محمود الأرناؤوط، دمشق 1989. 4: 438-439.

- صَابِئَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُمْ الْمُوحِدُونَ فَحَسَبَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمِلَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَالَّذِينَ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ الْآخَرِيِّ، عَلَى اخْتِلَافِ هَذِهِ الْأُمَمِ وَاخْتِلَافِ دِيَانَاتِهَا، يُدْعَمُ ذَلِكَ أَنَّ آيَتِي الْبَقَرَةِ وَالْمَائِدَةِ جَعَلَتِ الصَّابِئِينَ إِلَى جَانِبِ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِمَّنْ يَحْظَوْنَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا يُلْفَتُ النَّظَرُ فِي الْآيَتَيْنِ حَقًّا - وَلَمْ يَتَّبِعْهُ إِلَى ذَلِكَ الْمُفَسِّرُونَ - هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْيَهُودِيَّةَ وَالْمَسِيحِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ تَشْتَرِكُ جَمِيعًا فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهَذَا الشَّرْطُ قَدْ وُضِعَ خَصِيصًا لِتَجْدِيدِ مَنْ هُمُ مِنْ بَيْنِ هَؤُلَاءِ الصَّابِئِينَ الْمُعْتَبَرُونَ بِالِدُخُولِ فِي رِضْوَانِ اللَّهِ، أَيْ هَؤُلَاءِ الْمُوحِدُونَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَبِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ فَحَسَبَ مِنْ بَيْنِ جُمُوعِ الصَّابِئِينَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمِلَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَذَلِكَ قَبْلَ ظَهْوَرِ الْإِسْلَامِ الَّذِي نَسَخَ تِلْكَ الشَّرَائِعَ جَمِيعًا.<sup>48</sup>

وَفِي ضَوْءِ مَا تَقَدَّمَ يُمَكِّنُ فَهَمُ رَوَايَةِ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةٍ فِي الْفَخْرِ بِقَوْمِهِ مِنَ الصَّابِئِينَ، يَقُولُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ<sup>49</sup>:-

«وَأَبِي الْحَسَنِ [ثَابِتُ بْنُ قُرَّةٍ] حُطْبَةٌ وَصَفَ بِهَا حَبْرَانَ  
وَالصَّابِئَةَ وَرَدَّ فِيهَا مَا تُعْرِيهِ:-  
«لَقَدْ اضْطَرَّ الْكَثِيرُونَ أَنْ يَتَقَادُوا لِلضَّلَالِ خَوْفًا مِنْ

<sup>48</sup> وَيُدْعَمُ وَجْهَ نَظَرِي أَنْ سَبَبَ نَزُولِ الْآيَةِ 62 مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ كَمَا جَاءَ فِي كُتُبِ التَّفَاسِيرِ: هُوَ وَصَفَ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ ﷺ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ عَاشَ بَيْنَهُمْ قَبْلَ اعْتِنَاقِهِ الْإِسْلَامَ، وَحَدِيثُهُ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ سَيَعْتَنِي نَبِيًّا خَاتَمًا يُدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، فَلَمَّا فَرَّغَ سَلْمَانُ ﷺ مِنْ ثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: يَا سَلْمَانُ! هُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى سَلْمَانَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا...﴾ الْآيَةَ. وَهَذَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُؤَيَّدَ مَا أَقُولُ بِهِ مِنْ أَنَّ صَابِئَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هُمْ أَهْلُ الْمِلَّةِ الْقَدِيمَةِ مِنَ الْمُوحِدِينَ الْقَائِلِينَ بِالتَّوْحِيدِ وَالْبَعْثِ، مَا يَبَادُ مِنْهَا وَمَا يَبْقَى زَمَنِ ظَهْوَرِ الْإِسْلَامِ. وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَقْصُودِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

<sup>49</sup> ابْنُ الْعَرَبِيِّ: تَارِيخُ الزَّمَانِ، تَرْجَمَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ الْأَبْ إِسْحَاقُ أُرْمَلَةُ السَّرْيَانِي، بَيْرُوتَ 1986، 48-49.

العذاب. أمّا أبائنا فقد اختَمَلُوا ما اختَمَلُوا - بعونه تعالى -  
 ونَجُوا ببِسالَةٍ. ولم تَدُنْسْ مدينةُ حَرَّانَ هذه المَباركة بِضَلالِ  
 النَّاصِرَةِ قَطْعاً. فنحنُ هُم الوارثون والمُورَثون لِلصَّابِئَةِ المُتَشِيرَةِ  
 فِي الدُّنْيَا، فالذي يَحْتَمِلُ بِرجاءٍ وثيقٍ أَثقالَ الصَّابِئَةِ يُعَدُّ ذَا حِظٍّ  
 سَعِيدٍ. لَيْتَ شِعْرِي مَنْ عَمَرَ الْمَسْكُونَةَ؟ وَابْتَنَى الْمَدْنَ؟، أَلَيْسَ  
 خَيْرَ الصَّابِئَةِ وَمُلُوكِهِمْ؟! مَنْ أَسَّسَ الْمَرافِئَ والأَنْهَارَ؟، مَنْ  
 شَرَحَ الْعُلُومَ الْغَامِضَةَ؟، مَنْ تَجَلَّتْ الأَلُوهِيَّةُ الْمُلقَنَةُ لِلْكَهَانَةِ،  
 وَالْمُعلِّمَةُ الْمُستَقْبَلاتِ؟ إِلا لَمُشاهيرِ الصَّابِئَةِ. فَهُم الذين أَوْضَحُوا  
 ذلك كُلَّهُ، وَكُتِبُوا عَن طِبِّ النُّفُوسِ وَخِلاصِها، وَلَقِّنُوا كَذَلِكَ  
 طِبَّ الأَجْسَادِ، وَأَفْعَمُوا الدُّنْيَا أَعْمالاً صالِحَةً وَحَكِيمَةً. هِيَ  
 دُعامةُ الفَضِيلَةِ، فَلَوْلَا عُلُومُ الصَّابِئَةِ لَأُمْسَتْ الدُّنْيَا قَفَرًا  
 فارِغَةً، مُتقلِّبَةً فِي العُوزِ».

لا يُمكن أن نَفْهَمَ حَدِيثَ ثابت بن قُرَّة في ضَوْءِ المنظُورِ الضَّيقِ الذي يَعتبرُ الصَّابِئَةَ  
 فَرِيقَيْنِ فَحَسَبَ هُما: المَندائِيُّونَ والحَرَنائِيُّ، خاصَّةً حَدِيثُهُ عَن «الصَّابِئَةِ المُتَشِيرَةِ فِي الدُّنْيَا»، وَعَن  
 تَعميرِ الْمَسْكُونَةِ، وَبِناؤِ الْمَدَنِ وإنشاءِ الْمَرافِئِ والأَنْهَارِ، وَبِصفَةِ أَخصِ الفُقَرَةِ التي يَتَحَدَّثُ فِيها  
 عَن «خَيْرَةِ الصَّابِئَةِ وَمُلُوكِهِمْ»، وَمِنَ الواضِحِ أن ثابت بن قُرَّةَ يَعْنِي بِوصفِهِ الصَّابِئَةَ مَفهُومًا  
 أَكْبَرَ وَأَشْمَلَ مَن هاتينِ الْفَرِقتينِ الدِّينِيَّتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ. إِنَّهُ - وَبِساطَةٍ - يَتَحَدَّثُ عَن أَهْلِ  
 الحَضاراتِ القَدِيمَةِ، فِي عَصُورٍ ما قَبْلَ ظَهورِ وانتِشارِ المَسِيحِيَّةِ، وَحَدِيثُهُ هَذَا يَعمِيسُ نَفْسَ  
 المَفْهُومِ الإِسْلامِيِّ الواسِعِ لِمُصْطَلَحِ الصَّابِئَةِ كما مَرَّ بِنَا، وَيَتَرَتَّبُ عَلى هَذَا دُخُولُ كُلِّ مَن  
 المَندائِيِّينَ والحَرَنائِيَّةَ مَعًا ضِمْنَ مُصْطَلَحِ الصَّابِئِينَ بِمعنائهِ الكَبيرِ العامِّ، ودُونَ الحاجةِ لِلخُوضِ  
 فِي المَزالِقِ التي فَرَضَتْها قَضِيَّةُ الصَّابِئَةِ الحَقِيقِيَّينَ، والتي أَثَرَتْ تَأثيرًا عَميقًا عَلى الدِّرَاساتِ  
 وَالبَحْوثِ المُتعلِّقَةِ بِالصَّابِئَةِ مُنْذُ طَرَحَ حُوالِ السُّونِ رُؤْياهُ فِي هَذِهِ القَضِيَّةِ وَحَتَّى يَومِنا هَذَا.



## الفصل

### الثالث

#### 3

## أصول الصابئة المندائيين

«إِنَّ الْبَحْثَ فِي نَشْأَةِ الْمُعْتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةِ لِلصَّابِئَةِ  
الْمَنْدَائِيِّينَ وَتَطَوُّرِهَا، وَتَارِيخِ هَذِهِ الْجُمُوعَةِ وَتَفَاعُلِهَا مَعَ  
الْبَيْثَاتِ النَّكَرِيَّةِ الَّتِي وُجِدَتْ فِيهَا يُعَدُّ أَمْرًا فِي غَايَةِ  
الصَّغِيرَةِ وَالتَّعْقِيدِ. وَلَيْسَ أَمَامَ الْبَاخِتِ فُرْصَةُ الْقَطْعِ فِي  
أَيِّ مِنْهَا دُونَ أَنْ يُفَاعَلَ بِمَوْضُوعِيَّتِهِ، إِنَّ الْفُرْصَةَ الَّتِي  
يَلْفُ تَارِيخِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ وَتُعْتَقَدَاتِهَا لَا يَدْعُ سِوَالًا  
لِلْبَاخِتِ فِي التَّعْقِيدِ بِطَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ يَتَارَهَا لِلْمُعَايَاةِ؛ فَهِيَ  
سَا أَنْ يَشْرَعَ فِي تَنْتَاقِلِ الْأَشْرَ، اسْتِنْدَارًا إِلَى الْمُعْطِيَّاتِ  
النَّكَرِيَّةِ - وَهِيَ بِحَدِّ ذَاتِهَا نَزْرًا يَسِيرًا جَدًّا، وَتَنْطَوِي  
عَلَى تَعْقِيدَاتٍ وَاشْتِكَالَاتٍ كَثِيرَةٍ - حَتَّى يَجِدَ نَفْسَهُ بَعْدَ  
لَا فِي أَمَامِ أَبْوَابِ مُوَصَّدَةٍ، فَيُضْطَرُّ لِلْعُودَةِ سَهْ أَجَلِ تَنْتَاقِلِ  
الْمَوْضُوعِ سَهْ زَاوِيَةٍ أُخْرَى أَمْلًا فِي دَفْعِ التَّخَصُّصِ حُلُومَةٍ  
أُخْرَى إِلَى الْأَمَامِ».

عزير سباهي

حَوْلَ صِفَتَيِ الرَّافِدِينَ، وبِخَاصَّةٍ فِي الْمَنَاطِقِ السُّفْلَى مِنَ النَّهْرَيْنِ - وفيما يصطَلح الجُغرافِيُّونَ على تسميته بِالْبَطَانِجِ - حيثُ يَصُبُّ النَّهْرَانِ الْعَظِيمَانِ مِيَاهَهُمَا فِي تِلْكَ الْأَهْوَارِ، اسْتَوْطَت - ولا تَزَالُ - طَائِفَةُ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيَّينَ، وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِمْ مُجَاوِرُوهُمْ اسْمَ الصَّابَةِ، بَيْنَمَا لَمْ يَعْرِفُوا هُمْ أَنْفُسَهُمْ بِهَذَا الْاسْمِ قَطْ - كَمَا سَبَقَ الْقَوْلُ - بَلْ أَطْلَقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ اسْمَ «الْمَنْدَائِيِّينَ» وَهِيَ لَفْظَةٌ أَرَامِيَّةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْجِذْرِ الْأَرَامِيِّ «مَنْدَع» بِمَعْنَى «عَرَفَ». فَهُمْ: «أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ»، أَوْ «الْعِرْفَانِيُّونَ»<sup>1</sup>، وَهِيَ تَسْمِيَةٌ لَهَا دَلَالَتُهَا الْغَنُوصِيَّةُ الَّتِي لَا تُخْفَى.

وَبِفَضْلِ بَاطِنِيَّةِ هَذِهِ الْمِلَّةِ، وَالْقِيُودِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَى إِطْلَاعِ الْأَغْيَارِ عَلَى دِفَاقَتِي هَذَا الدِّينِ؛ لَمْ يَعْرِفْ جِيرَانُهُمْ - وَعَلَى الْأَخْصَ الْمُسْلِمِينَ - هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الْبَسِيطَةَ، وَظَلُّوا يَدْعُونَهُمْ بِالْاسْمِ الَّذِي أَطْلَقُوهُ عَلَيْهِمْ - وَهُوَ الصَّابَةِ، أَوْ صَابَةِ الْبَطَانِجِ، أَوْ الْمُتَغَسِّلَةِ - فَقَدْ أَحَاطَ الْمَنْدَائِيُّونَ دِينَهُمْ وَعَقَائِدَهُمْ بِسِيَاحِجِ هَائِلٍ مِنَ السَّرِّيَّةِ بِحَيْثُ لَمْ يَتِمَكَّنْ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْوُقُوفِ عَلَى حَقِيقَةِ دِيَانَتِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ، رَغْمَ الْمُحَاوَلَاتِ الْجَادَّةِ الَّتِي حَاوَلَهَا الْبَعْضُ مِنْهُمْ، حَتَّى إِنَّ الْبِيرُونِيَّ ذَكَرَ أَنَّهُ بَحَثَ طَوِيلًا فِي أَمْرِ هَؤُلَاءِ الصَّابَةِ الْكَاثِفِينَ بِسَوَادِ الْعِرَاقِ حَوْلَ قُرَى وَاسِطَ فَمَا حَصَلَ مِنْ أَسْبَابِهِمْ شَيْئًا بَثَّةً، عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ<sup>2</sup>.

تَدُورُ اعْتِقَادَاتُ الْمَنْدَائِيِّينَ حَوْلَ وَجُودِ خَالَتِي أَرْيَ وَاحِدَ مُنْزَرَةٍ<sup>3</sup>، وَاعْتِقَادَهُمْ فِي اللَّهِ يُشَبِّهُ كَثِيرًا اعْتِقَادَ بَاقِي الطَّوَائِفِ الْغَنُوصِيَّةِ، فَهُمْ يُدْرِكُونَهُ عَنْ طَرِيقِ الْفَيْضِ الْإِلَهِيِّ، وَهُمْ لَا يُعْبَرُونَ عَنْهُ إِلَّا بِصِغَةِ الْجَمْعِ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ انْبَعَثَ مِنْ ذَاتِهِ<sup>4</sup>، وَيَلِي الْإِلَهَ - الْكُلِّيَّ الْقُدْرَةَ - مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ التُّورَانِيَّةِ (الْمَلَائِكَةُ)، وَهُمْ الْقُدْرَةُ عَلَى أَفْعَالِ الْآلِهَةِ لَكِنَّهُمْ لَيْسُوا بِالْآلِهَةِ،

<sup>1</sup> J. JACOBSEN BUCKLEY: *Mandaean religion*, in: the encyclopedia of religion, Vol. 9, p 150.

<sup>2</sup> الْقَائِنُ الْمَسْجُودِي، 1: 367.

<sup>3</sup> E. S. DROWER: *The canonical prayer book of the Mandaeans*, p 9.

<sup>4</sup> الْعِبَارَةُ الْمَنْدَائِيَّةُ «إِلَهَ إِذْ مِنْ نَافَثِي أَفْرِشٍ» وَتَرْجَمُ بِالْعَرَبِيَّةِ إِلَى «الْإِلَهُ الَّذِي انْبَعَثَ مِنْ ذَاتِهِ»، نَعِيمٌ بِدَوِي؛ غَضْبَانُ رُومِي، مَقْدَمَةُ النُّشْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِكِتَابِ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيَّينَ لِلْيَدِيِّ دِرَاوَر، 19.

فلهم القدرة على الخلق، وهم مخلوقات مُتوسّطة بين الرُّوحانيّة والماديّة، فالروحانيّات لديهم مخلوقة من كلام الله، وكلام الله لا يصل إلا بواسطة مخلوق بين النور والتراب<sup>5</sup>، ويُعد ذلك تجسيداً للمعتقدات الغنوصية بوجود وسائط بين الخالق وخلقهِ، وهذه المخلوقات تعمل على إدارة الكون وتحقيق مشيئة الخالق.

كما يعتقد المندائيون بالبعث والحساب والحياة الأخرى بعد الوفاة، لكن العقيدة المندائيّة تميّز بنظرية العالم المُوَازي، إذ يعتقد المندائيون بنهاية العالم<sup>6</sup>، لكنهم لا يعترفون بقيام الحياة الأبديّة على أنقاض الحياة الأولى في هذا العالم، وإنّما يعرفون العالم الآخر بأنّه عالم مُوازٍ، أي كائناً في اللحظة نفسها، كما هي الحال بالنسبة لعالمنا الماديّ، فالروح مُحاسب بعد الموت مباشرة، ولا وجود للبرزخ ولا للقيامة في المندائيّة، فالمندائيون يؤمنون بنهاية العالم ولكن ليس بالضرورة قيام الدنيوتة لأنّها قائمة الآن بالفعل، لذا فهم يعتقدون أنّ الروح خالدة بينا الجسد فإن<sup>7</sup>.

ويؤمن المندائيون بالحساب والعقاب، وأنّ الأبرار منهم يذهبون بعد الوفاة إلى عالم النور، بينما يذهب المُنديون إلى عالم الظلام، ولا يصوم المندائيون بالامتناع عن الطّعام والشراب، وإنّما يُحظَر عليهم أكل اللحوم لخمسة أسابيع فحسب من العام، وهم كذلك يُتَزّهون الله، ويُعظّمون ملائكته، ويعتقدون أنّ مقرّ الملائكة في الكواكب السّبع السّيّارة، ولذلك فإن تعظيمهم للنجوم هو تقدّيس للملائكة لا للكواكب نفسها<sup>8</sup>.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، 21.

<sup>6</sup> دراور: الصابئة المندائيون، 49.

<sup>7</sup> بدوي؛ رومي: مقدّمة كتاب الصابئة المندائيون، 19.

<sup>8</sup> بدوي؛ رومي: المرجع نفسه، 21. قارن أيضاً تشابه بعض الأفكار ذات الأصل الغنوصي مع بعض الفرق المسيحية التي وُسمت بالهرطقة بشأن خلق الملائكة السّبعة للعالم في: - ماري بن سُلَيان: أخبار بطارقة كُرسى المشرق، 14-15. ومن الواضح أنّ عبادة الملائكة واعتبارها خالقة العالم قد تسرّبت بشكل ما إلى شبه الجزيرة العربيّة حيث وُجدت فيها بعض الأفكار الغنوصيّة المُشابهة، نستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [سبا: 40].

يُؤْمِنُ الْمَنْدَائِيُّونَ أَيْضًا أَنَّ دِينَهُمْ دِينٌ قَدِيمٌ، بَلْ إِنَّهُ أَقْدَمُ الْأَدْيَانِ عَلَى الْأَرْضِ، فَهَمُ يَنْسُبُونَ كِتَابَهُمُ الْمُقَدَّسَ الرَّئِيسَ «الْكَتَرُ رُبَا» إِلَى آدَمَ ~~الْكَتَرُ~~، كَمَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ سَامَ بْنَ نُوحٍ هُوَ جَدُّهُمْ الْأَعْلَى، وَنَبِيُّهُمْ بَعْدَ آدَمَ وَنُوحٍ<sup>9</sup>، كَمَا يَعْتَقِدُونَ بِوُجُودِ صِلَاتٍ قَوِيَّةٍ بَيْنَ عَالَمِ الْأَخْيَاءِ وَعَالَمِ الْأَمْوَاتِ، وَهُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ الطُّقُوسِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِخِدْمَةِ أَزْوَاجِ الْأَسْلَافِ، أَهْمُهَا: الْوَجْبَةُ الطَّقُوسِيَّةُ لِأَزْوَاجِ الْأَسْلَافِ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ تَقْدِيمِ أَطْعِمَةٍ وَصَدَقَاتٍ لِأَزْوَاجِ الْأَسْلَافِ «رَدَقَةَ بَرِيحًا»، كَمَا يَعْتَقِدُ الْمَنْدَائِيُّونَ فِي الْأَزْوَاجِ الْحَيَّةِ «مَلُوحُونَ»، وَيَعْتَقِدُونَ بِتَعَدُّدِ جَنَسِيَّاتِهَا وَأَدْيَانِهَا كَمَا عِنْدَ الْبَشَرِ، وَأَنَّ مِنْهَا مَا هُوَ مُوَكَّلٌ بِعَذَابِ النَّفُوسِ «الْمُطْرَائِي»<sup>10</sup>.

عَلَى أَنَّ أَهَمَّ مَا تَتَمَيَّزُ بِهِ الْمَنْدَائِيَّةُ هُوَ تِلْكَ الطُّقُوسُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْتَّعْمِيدِ، فَالْتَّعْمِيدُ عِنْدَ الْمَنْدَائِيِّينَ يُخَالِفُ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي الْمَسِيحِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ الْأُولَى، فَهُوَ لَيْسَ طَقْسًا لِلنَّدَمِ وَإِعْلَانِ التَّوْبَةِ بِالضَّرُورَةِ كَمَا نَجِدُهُ فِي الْيَهُودِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ الْأُولَى، وَإِنَّمَا هُوَ طَقْسٌ تَطْهَرِيٌّ بِأَمْتِيَّازٍ، فَكُلُّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَنَجَّسَ بِهِ الْبَدَنُ مِنْ أَنْوَاعِ النَّجَاسَاتِ - كَالْجَنَابَةِ، أَوِ الطَّمْثِ، أَوِ الْوِلَادَةِ، أَوْ مَسِّ الْمَيِّتِ وَالْحَائِضِ، وَغَيْرِهَا - تَسْتَوْجِبُ الْعِمَادَ فِي الْمَاءِ الْجَارِي قَبْلَ مُمَارَسَةِ أَيِّ نَشَاطٍ دِينِيٍّ أَوْ حَيَاتِيٍّ اِعْتِيَاديٍّ، وَالتَّعْمِيدُ فِي الْمَنْدَائِيَّةِ لَا يَنْبَغُ مِنَ الْإِيمَانِ بِقُدْرَةِ الْمَاءِ فِي حَذِّ ذَاتِهِ عَلَى الذَّهَابِ بِالنَّجَاسَاتِ، وَإِنَّمَا يَنْبَغُ مِنَ تَقْدِيسِ الدِّيَانَةِ الْمَنْدَائِيَّةِ لِلْمَاءِ الْجَارِي، فَلَا يَجُوزُ الْعِمَادُ إِلَّا فِيهِ<sup>11</sup>.

وَيَعْتَقِدُ الْمَنْدَائِيُّونَ كَذَلِكَ فِي نُبُوَّةِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا ~~الْمَسِيحِي~~ (يَهْيَى يُوَهَانَا)، لَكِنَّهُ عِنْدَهُمْ لَيْسَ نَبِيٌّ كَصُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ التَّقْلِيدِيِّينَ كَمَا فِي الْأَدْيَانِ السَّامِيَّةِ، وَإِنَّمَا تَدَوَّرُ اعْتِقَادَاتُ الْمَنْدَائِيِّينَ فِيهِ عَلَى أَنَّهُ مَبْعُوثُ الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ، جَاءَ إِلَى الْأَرْضِ لَتَنْفِيزِ مَهْمَةٍ خَاصَّةٍ، وَلَيْسَ كَنَبِيِّ يُسَرُّ

<sup>9</sup> بدوي، رُومي: المرجع نفسه، 20، W. BRANDT: *The Mandaean*, Encyclopedia of religion and ethics,

edited by J. Hastings, Vol. VIII, p 380.

<sup>10</sup> وهي قرية من مفهوم التطهير، ففي هذا المحل تُعَذَّبُ الْأَرْوَاحُ الَّتِي اقْتَرَفَتْ الْخَطَايَا، وَيَكُونُ عَذَابُهَا مَحْدُودًا بِأَمَدٍ مَعْلُومٍ، وَحَسَبَ نَوْعِ تِلْكَ الْخَطَايَا وَدَرَجَاتِهَا، ثُمَّ تَسْتَطِيعُ تِلْكَ الْأَرْوَاحُ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِلْتِقَاقِ بِعَالَمِ النُّورِ «الْمِي دَنْهُورَا».

<sup>11</sup> KURT RUDOLPH: *Mandaicism*, Leiden 1978, p 10.



أَمَّا عَنْ كُتُبِ الْمَنْدَائِيِّينَ الدِّينِيَّةِ؛ فَيُضْطَلَحُ الْبَاحِثُونَ عَلَى تَقْسِيمِ الْأَدَبِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ الْمَنْدَائِيَّةِ إِلَى سِتٍّ مَجَامِعٍ:

- المجموعة الأولى: نصوصٌ سرية خاصة بالكهنة، وهي مُدَوَّنة في شكل لَفَافٍ، الواحدة منها تُدعى - اضْطِلَاحًا - بِالْذِّبْوَانِ، ككتاب «أَلِفٍ يَرِيرُ شِيَالَةَ» [ألف واثنَا عشر سُؤلاً]، «أَلْمَا رِيشَا رُبَا» [العالمُ الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ] «أَلْمَا رِيشَا زُوطَةَ» [العالمُ الرَّئِيسُ الصَّغِيرُ] «دِيَوَانُ مَلَكُوتَا إِيْتَا» [دِيَوَانُ مَمْلَكَةِ السَّمَاءِ الْعُلْيَا].
- المجموعة الثانية: وهي كَرَارِيس تُشْرَحُ كَيْفِيَّةَ آدَاءِ الطُّقُوسِ الدِّينِيَّةِ ومنها: «شرح طِرَاسَةِ دِتاغَةَ شِيَشْلَامِ رُبَا» [شرح تنوِيجِ شِيَشْلَامِ الْعَظِيمِ]، «شرح د قَاينِ شِيَشْلَامِ رُبَا» [شرح زَوَاجِ شِيَشْلَامِ الْعَظِيمِ]، «شرح دُبُرَوَانِيَا» [شرح الأَيَّامِ الْحَمْسَةِ]، «دِيَوَانُ مَصْبُتَا دِهِيْلَ زِيوَا» [دِيَوَانُ تَعْمِيدِ هِيْلَ زِيوَا].
- المجموعة الثالثة: وتضمُّ مجموعة الأناشيد والتَّراتيل والصَّلَوَاتِ الَّتِي تُتْلَى فِي طُقُوسِ التَّعْمِيدِ، وكذلك الصَّلَوَاتِ عَلَى أَرْوَاحِ الْمَوْتَى، ككتاب «إِنْيَانِي» أو «الْقِلْسَتَا» [كتاب الصَّلَوَاتِ الْقَانُونِيَّةِ].
- المجموعة الرَّابِعَةُ: النُّصوصُ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَسَاطِيرِ الْمَنْدَائِيَّةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ خَلْقِ الْكَوْنِ وَالْإِنْسَانِ وَالصَّرَاعِ بَيْنَ قُوَى النُّورِ وَالظُّلَامِ وَيَوْمِ الْحِسَابِ،

<sup>12</sup> أَدَّى اعْتِقَادُ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيِّينَ فِي نُبُوَةِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا إِلَى اعْتِبَارِ الْمُسْلِمِينَ إِيَّاهُمْ فِرْقَةً مِنَ النَّصَارَى مِنْذُ دُخُولِ الْإِسْلَامِ الْعِرَاقَ وَحَتَّى نِهَايَةِ الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ، وَهَذِهِ الْمِيزَةُ أَتَاحَتْ لَهُمْ طَوَالَ الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُعَامَلَةُ أَهْلِ الذِّمَّةِ، وَقَدْ أَدْرَكَ الْمَنْدَائِيُّونَ بِالْفِطْرَةِ أَمِيَّةَ اعْتِقَادِهِمْ فِي نُبُوَةِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَضْيِيقِ الشُّرُوءِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى، وَقَدْ لَاحِظَتْ دِرَاورُ أَنَّ الْمَنْدَائِيِّينَ يُحْسِنُونَ نَقَاطَ التَّشَابُهِ الصَّغِيرَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُجَادِلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ الْأُخْرَى، فَهَمْ يُجَيِّوْنَ السَّائِلَ بِأَنَّ يَحْيَى نَبِيًّا كَمَا أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ مُحَمَّدٌ ﷺ - حَسْبَمَا يَتَطَلَّبُ الْحَالُ - نَبِيُّكُمْ، دِرَاورُ: الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيُّونَ، 41.

ومن أبرزها: «الكتَرُ رُبا» [الكتَرُ العظيم]، «دِرَاشَةُ دِينِيَا» [دارسةُ تعاليم يحيى

الكتَر]، «ديوان أبائِر»، ديوان «حَرَان جُويثا» [حَرَان السُّفلى (الدَّاخِلِيَّة ١٩)].

• المجموعة الخامسة: وهي المجموعة التي تُضمُّ كُتب الفلك وفقاً للعقيدة المندائية ومنها: «سفر ملوآشة» [كتاب البروج]، وكتاب «شَباني شَباني» [ساعات النهار].

• المجموعة السادسة: وهي تتألف من كُتب الطَّلَاسم والأذعية والنُصوص السَّحرية لطرد الأرواح الخبيثة، وأذعية أخرى لاستِجلاب عطف القُوى الروحانية، وما أشبه<sup>13</sup>.

ومنذُ بدأ اهتمام العلماء بالصَّابئة المندائيين تَصَارِبَت آراؤهم حول أصل هذه الطائفة، وأصول عقائدها ونشأتها، والموطن الذي انحدرُوا منه، حتَّى بات مُجرَّد عرض هذه الآراء على كثرتها وتضاربها - فيما تَنَقَّ بِشأنه وما تَخْتَلَفُ فيه - أمراً شديداً التعقيد. ويُعدُّ النقصُ الكميَّ الشَّدِيد في المادة سواء التاريخية منها أو الأثرية أبرزُ عوَامِل هذا التَّضَارُب، وهو الأمر الذي يَسْتَلْزِم من المؤرِّخ الكثير من الاجتهاد في مُحاولَة لَرَأْي تلك النقاط الخلافية التي لا تحسُّمها الأدلة المادية.

فمسألة أصل الصَّابئة المندائيين هي مسألة خلافية شائكة، فالأساطير المندائية تُقدِّم المندائيين الأوائل على أنَّهم من أهل الشَّمال، وهذا يعني أنَّهم قدَّمُوا من الشَّمال من جهة فلسطين، كما يظهر ذلك جلياً في كتابهم «حَرَان جُويثا»<sup>14</sup>، فالمندائيون يعتقدون أنَّ أصولهم

<sup>13</sup> BUCKLEY: *The great stem of souls; reconstructing Mandaean history*, New Jersey 2005, pp 9-12.

مباهي: أصول الصابئة، 13 - 16، ومباهي يُقرُّ بأنه من الصَّعب الضرب بسهم في مسألة تحديد الفترة الزمنية بين بُنْي المندائيين لهذه العقائد وبين بداية تدوينها، مباهي: المرجع نفسه، 19.

<sup>14</sup> لم تكن السيِّدة دراور تُعبر - في بادئ الأمر - أقوال الكهنة بأنهم جاءوا من الشَّمال أي التَّفات، لكنها اكتشفت فيما بعد أن هناك سيَّاوراء إصرار رجال الدين المندائيين على القول بأنهم جاءوا من الشَّمال، فقد لاحظت أن المندائيين يعتقدون أنَّ الشَّمال هي الأرض المرتفعة، وهي أرض الثَّور، أما الجنُوب فهي الأرض المنخفضة، وهي أرض الظلام، وأولئك الذين يسكنون في الشَّمال يتميَّزون ببياض البشرة، أما أولئك

الضاربة في القدم مصرية الأصل، وأنهم كانوا على ديانة المصريين القدماء<sup>15</sup>، وأن أسلافهم الأوائل هاجروا من مصر إلى أورشليم، وهناك اضطهدهم اليهود فغادروا فلسطين إلى حرّان، وتستطرد الأسطورة المندائية بأنه في حرّان وجد «النّاصورائي» (أي المندائيّ الأوائل) إخوة لهم في الدين (يعنون صابئة حرّان على الأرجح)، ثم هاجروا إلى منطقة أسطورية تُدعى جبل ماداي وهناك تخلّصوا كلياً من مضطهديهم، ثم هاجروا منها إلى جنوب العراق لاحقاً<sup>16</sup>. يبدأ مخطوط حرّان جويثا هكذا<sup>17</sup>:

«واستقبلهم [أي النّاصورائي] حرّان؛ المدينة التي كان فيها النّاصورائي، ولهذا فليس من سبيل للملوك اليهودائي [اليهود] إليهم، وكان على رأسهم ملك أردوان<sup>[18]</sup>، وقد عزّلوا أنفسهم عن العلامات السبع، ودخلوا في جبل ماداي، حيث أصبحوا أحراراً من تسلّط جميع الأجناس»<sup>18</sup>.

لقد تمخّض البحث طوال قرنين تقريباً عن نظريتين: هما نظريّتا الأصل الشرقي

الجنوبيون فهم سود ومظهرهم قبيح كالشياطين، وبالتالي طرحت دراور احتمال أن يكون ذلك الإضرار مبني على اعتقادات دينية أكثر منها على ذكريات هجرة تاريخية واقعية، دراور: مرجع سابق، 49. 15 تجد دراور صعوبة في فهم إصرار المندائيين على أن المصريين القدماء كانوا على دينهم، وتعتقد أن ذلك عصي على التفسير، دراور: مرجع سابق، 50 - 51. الطريف أن المندائيين لا يزالون يحتفلون بإقامة وجبة طقسية (لوقاني) لأرواح الموتى المصريين الذين غرقوا في البحر أثناء مطاردتهم لبني إسرائيل، دراور: الصابئة المندائيون، 139.

16 دراور: مرجع سابق، 45 - 46؛ رُشدي عليان: أصحاب الروحانيات، مقال منشور بمجلة المورد العراقية، مج 5، ع 2، بغداد 1976، 61.

17 لسوء الحظ فالصفحات الأولى مفقودة كما نوهت السيدة دراور.

18 *The Haran Gawaita, and The Baptism of Hibil-Ziwa*, trans. By E. S. DROWER, cita del Vaticano

3. p. 1953، ويصف ديوان حرّان جويثا اليهود بأنهم خبيثاء وأنهم حليفي الروحة [روح الشر والظلام] بل إنهم جندهم الطمّيعون، رُشدي عليان: أصحاب الروحانيات، 63. وطبقاً للأساطير المندائية فإن يسوع المسيح كان ناصورائياً لكنه «حرف كلمات التور، وأبدلها بالظلام، وغير دين أولئك الذين كانوا على الدين الصحيح، وبذل جميع الشعائر»؛ رُشدي عليان: أصحاب الروحانيات، 62، أما بالنسبة ليحيى بن زكريّا فالأسطورة المندائية تصفه بأنه كان معلّم ومُعتمد وشاف، وتصفه أيضاً بأنه علّم الحواريين، وجعل الكسحيين يسيرون على أرجلهم، دراور: الصابئة المندائيون، 47.

والأصل الغربي، وِكِلْتَاهُمَا تَنْطَوِي عَلَى قَدَرٍ كَبِيرٍ مِنَ التَّعْقِيدِ، فَضْلًا عَنْ افْتِقَارِهَا لِأَدَلَّةٍ قَاطِعَةٍ، وَكِلْتَاهُمَا أَيْضًا لَا تَسْتَطِيعَان السَّيْرَ قُدَمًا إِلَى آخِرِ الدَّرَبِ دُونَ أَنْ تَتْرَكَ بَعْضَ الثَّغَرَاتِ الْعَصِيَّةِ عَلَى التَّفْسِيرِ، وَسَبَبُ هَذَا الْخَلْطِ وَالتَّعْقِيدِ هُوَ ذَلِكَ الْمَزِيجُ الْعَجِيبُ الَّذِي تَتَلَقَّى فِيهِ عَقَائِدُ الصَّابَةِ، وَتِلْكَ الطُّقُوسُ الَّتِي هِيَ خَلِيطٌ مِنْ عَقَائِدَ وَمَذَاهِبَ شَتَّى جُمِعَتْ بَيْنَ عَقَائِدِ بِلَادِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ وَفَلَسْطِينَ بِحَيْثُ يُمَكِّنُ الْقَوْلُ بَأَنَّ الْمُعْتَقِدَاتِ الْمَنْدَائِيَّةَ ذَاتَ طَبِيعَةٍ تَوْفِيقِيَّةٍ، وَأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ التَّنْطِيطِ الْقَوْلُ بَأَنَّ لَهَا مَصْدَرًا وَاحِدًا فَقَطْ.

وَتَلَخَّصُ نَظَرِيَّةُ الْأَصْلِ الشَّرْقِيِّ فِي أَنَّ الْمَنْدَائِيِّينَ إِمَّا هُمْ بَقَايَا سُكَّانِ بِلَادِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ الْقَدَمَاءِ، أَوْ رُبِمَا كَانُوا مِنَ الْوَاغِدِينَ الْآرَامِيِّينَ عَلَى الْبِلَادِ<sup>19</sup>، وَفِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ فَهُمْ قَدْ وَرَثُوا قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ الْبَابِلِيَّةِ، لَكِنَّهُمْ تَأَثَّرُوا إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ بِالْمُعْتَقِدَاتِ الدِّينِيَّةِ الْفَارَسِيَّةِ - وَبِخَاصَّةِ الزَّرَادُشْتِيَّةِ، بِحُكْمِ تَحَاوُرِهِمْ مَعَ الْفُرسِ، وَبِالْيَهُودِيَّةِ مِنْ خِلَالِ الْجَمَاعَاتِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَسْكُنُ بِلَادَ<sup>20</sup> مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، كَمَا تَأَثَّرُوا بِالْمَسِيحِيَّةِ مِنْ خِلَالِ الْاِخْتِكَافِ الْمُبَاشِرِ بِالْمَانَوِيِّينَ وَالنَّسَاطِيرَةِ. وَأَخِيرًا بِالْمُسْلِمِينَ بِحُكْمِ الْجَوَارِ الْمُبَاشِرِ. وَقَدْ تَزَعَّمْ هَذِهِ النَّظَرِيَّةَ خُوَالِسُون، وَبِرَانْدِيَّت، وَكَيْسَلِر، وَزَيْمِرِن، وَلِيدْزَارْسْكِي (لَا سِيَّيَا فِي أَبْحَاثِهِ الْأَخِيرَةِ) وَاللِيدِي دَرَاوَر (فِي أَبْحَاثِهَا الْأُولَى)<sup>21</sup>.

<sup>19</sup> الطَّرِيفُ أَنَّ الْأَنْثُرُوبُولُوجِي الْأَمْرِيكِي هِنْرِي فِيلْد الَّذِي عَمِلَ بِالْعِرَاقِ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الصَّابَةَ الْمَنْدَائِيَّةِينَ رُبِمَا يَنْحَدِرُونَ مِنْ أَصُولٍ آرَامِيَّةٍ قَدِيمَةٍ، اسْتِنَادًا إِلَى الدِّرَاسَةِ الَّتِي أَجْرَاهَا لِقِيَاسَاتِ الْجُمُوعَةِ وَبَعْضِ السَّهَاتِ الْجَسَدِيَّةِ لَعْنَةٍ مِنَ الْكَهَنَةِ الْمَنْدَائِيِّينَ الَّذِينَ لَا يَتَزَاوَجُونَ إِلَّا فِيمَا بَيْنَهُمْ طَبَقًا لِمَا تَقْتَضِيهِ شَرِيعَتُهُمْ، وَهَذَا جَعَلَ مِنَ الْكَهَّانِ الْدِّينِ طَبَقَةً مُتَغَلِّقَةً عَلَى نَفْسِهَا، انْظُرْ: - دَرَاوَر: مَرْجِعُ سَابِقٍ، 64.

<sup>20</sup> يَهُودُ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ تَوَزَّعُوا وَفَقًا لِمُعْطَيَاتِ تَارِيخِيَّةٍ بَيْنَ الْأَمَاكِنِ النَّائِيَةِ بِمُرْتَفَعَاتِ كُردِسْتَانِ وَهُمْ أَسْرَى السَّيْبِ الْبَابِلِيِّ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَ بَابِلِ الْقَدِيمَةِ إِلَى الْجَنُوبِ مِنَ الْأَثْبَارِ، أَحْمَدُ سَوْسَةَ: مَلَامَحُ مِنْ تَارِيخِ الْيَهُودِ الْقَدِيمِ فِي الْعِرَاقِ، عَمَّانَ 2000، 40 - 44. قَارِنْ أَيْضًا: يَوْسُفُ رَزَقِ اللَّهِ غَنِيمَةَ: نَزْهَةُ الْمُشْتَاكِ فِي تَارِيخِ يَهُودِ الْعِرَاقِ، بَغْدَادَ 1924، 50 وَمَا بَعْدَهَا.

<sup>21</sup> EDWIN M. YAMAUCHI: *Gnostic ethics and Mandaean origins*, Cambridge 1970, p 8.

وَيَسْتَنْدُ أَصْحَابُ نَظَرِيَةِ الْأَصْلِ الشَّرْقِيِّ إِلَى ذَلِكَ التَّشَابُهِ الْقَوِيِّ بَيْنَ الْمُنْدَائِيَّةِ فِي صُورَتِهَا الْحَدِيثَةِ وَبَيْنَ الْعَقَائِدِ الْبَابِلِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، فَالْمُنْدَى - وَهُوَ بَيْتُ الْعِبَادَةِ الْمُنْدَائِيِّ - عِبَارَةٌ عَنْ كُوخٍ يَشْبَهُ فِي رَسْمِهِ وَتَصْمِيمِهِ «الْبَيْتَ» وَهُوَ الْمَعْبَدُ الْبَابِلِيُّ الصَّغِيرُ الْمَقَامُ مِنَ الْقَصَبِ الْمَطْلِيِّ بِالطِّينِ<sup>22</sup> وَهُوَ تَقْلِيدٌ بَابِلِيٌّ قَدِيمٌ، حَيْثُ كَانَ الْكَهَنَةُ الْبَابِلِيُّونَ يَجْلِسُونَ بِالْخَارِجِ، وَيَسْتَقْبِلُونَ النَّاسَ لِعَرْضِ مَسَائِلِهِمْ عَلَى الْإِلَهِ الْقَائِمِ فِي الْكُوخِ الطِّينِيِّ.

كَمَا تَقْتَرِبُ شَعَائِرُ الْمَوْتِ وَالْوَفَاةِ عِنْدَ الْمُنْدَائِيِّينَ بِنَظِيرَتِهَا الْبَابِلِيَّةِ، فَاعْتِقَادُ الْمُنْدَائِيِّينَ بِأَنَّ رُوحَ الْمُتَوَفَّى يَحْمِلُهُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ حَوْلَ الْقَبْرِ، ثُمَّ تَبْدَأُ رَحَلَتُهَا فِي الْحَيَاةِ الْأُخْرَى لِلْحِسَابِ، وَيَتَوَلَّى رَاشِنُو الْبَابِلِيِّ - وَهُوَ نَظِيرُ أَبَاثَرِ الْمُنْدَائِيِّ - وَزْنَ أَعْمَالِ الشَّخْصِ، فَإِذَا مَالَتْ مَوَازِينُهُ نَحْوَ الْخَيْرِ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ أَمَامَهُ فُرْصَةٌ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ ذُنُوبِهِ، وَيُلْزَمُ ذَوِيهِ أَنْ يَقْدُمُوا كَفَّارَةً عَنْهُ، وَهَذَا مَا يُقَابَلُ «الْمُسَخَّةَ» فِي الْعَقِيدَةِ الْمُنْدَائِيَّةِ<sup>23</sup>.

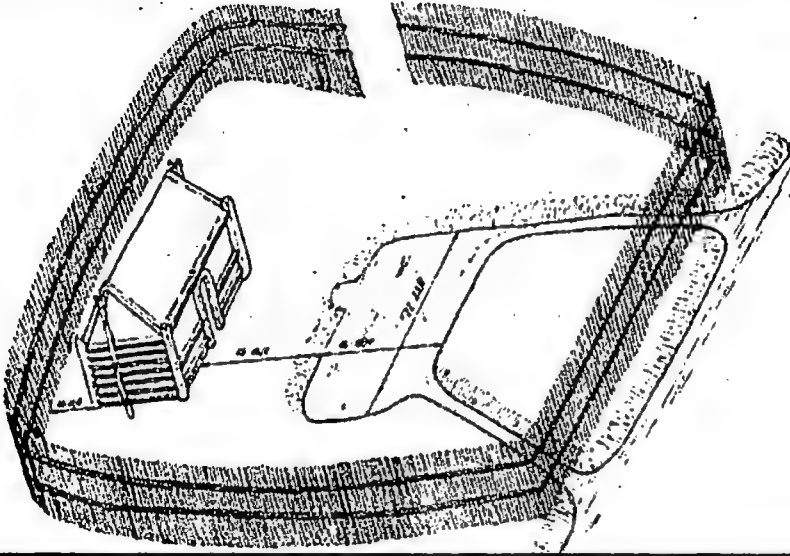
لَقَدْ قَرَّرَ دَارُور - لَا سِيَّامَا فِي أَبْحَاثِهَا الْأُولَى - أَنَّ طُقُوسَ الْمُنْدَائِيِّينَ الدِّينِيَّةَ تَقْتَرِبُ مِنَ الْمَنَاجِمِ الْمَزْدَكِيَّةِ إِلَى دَرَجَةٍ عَبَّرَتْ عَنْهَا بِأَنَّهَا جَاءَتْ أَكْثَرَ مِمَّا تَوَقَّعْتَ، فَالتَّشَابُهِ بَيْنَ الطَّقُوسِ الصَّابِنِيَّةِ [الْمُنْدَائِيَّةِ] وَالْمَسِيحِيَّةِ النَّسْطُورِيَّةِ وَالْبَارِثِيَّةِ<sup>24</sup> قَوِيٌّ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ تُخَفِّ دَهْشَتُهَا مِنْ وَجُودِ طَائِفَةٍ بَابِلِيَّةٍ قَدِيمَةٍ يُمْكِنُ تَمْيِيزُهَا بِسُهُولَةٍ فِي دِيَانَةِ الْمُنْدَائِيِّينَ، وَخَاصَّةً فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِبِنَاءِ «الْمُنْدَى» وَوُضُوعِهِ كَمَا سَبَقَ الْقَوْلُ، كَمَا أَنَّ الْمَبَادِئَ الَّتِي تُشَخِّصُ الطَّقُوسَ الْمُنْدَائِيَّةَ وَالْبَارِثِيَّةَ مُتَطَابِقَةٌ بِشَكْلِ مُذْهِلٍ، بَيْنَمَا تَبْتَعِدُ كَثِيرًا فِي الرُّوحِ وَالْمَبَادِئِ عَنِ الطَّقُوسِ الْمَسِيحِيَّةِ، وَهَذَا وَخَدَهُ كَانَ دَافِعًا لِكَيْ تَقَرَّرَ دَارُورُ أَنَّ الشَّعَائِرَ الْمُنْدَائِيَّةَ فِي جَوْهَرِهَا أَقْرَبُ لِلرُّوحِ الْإِيرَانِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الرُّوحِ الْيَهُودِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ<sup>25</sup>.

<sup>22</sup> دارور: الصَّابِنَةُ الْمُنْدَائِيَّةُ، 199؛ سباهي: أَصُولُ الصَّابِنَةِ، 65.

<sup>23</sup> سباهي: أَصُولُ الصَّابِنَةِ، 67 - 68.

<sup>24</sup> الْبَارِثِيُّونَ هُمْ بَقَايَا الْفَرَسِ الزَّرَادَشْتِيِّينَ الَّذِينَ انْتَقَلُوا بَعْدَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى الْهِنْدِ وَاسْتَقَرُّوا هُنَاكَ، سَبَاهِي: أَصُولُ الصَّابِنَةِ، 100.

<sup>25</sup> دارور: الصَّابِنَةُ الْمُنْدَائِيَّةُ، 28.



كروكي للمندى (بيت العبادة المندائي)<sup>26</sup>

وفي نظر أنصار الأصل الشرقي فإنَّ المؤثرات الرئيسيَّة في ديانة الصَّابئة والخطوط العريضة في هذه الديانة يمكن اقتفاء أثرها بعمق في التراث البابلي القديم<sup>27</sup>، في حين تظهر بعض المؤثرات الأخرى وكأنَّها مؤثرات ثانويَّة تطورت إليها الديانة فيما بعد، فالاعتقاد بقُدرة الأجرام السماوية في التأثير على مصير الإنسان هو تأثيرٌ بابليٌ مخض كما يبدو لأوَّل وهلة، وكذلك تشابه نظريَّة الخلق البابليَّة الأولى مع نظرية نشأة الكون عند الصَّابئة المندائيين، بالإضافة إلى بعض التأثيرات الرئيسيَّة الأخرى في ديانة المندائيين كمظاهر الحياة الأخرى بعد

<sup>26</sup> المصدر: - Kurt Rudolph: *Mandaism*, P 8، ويُلاحظ أن المندى لا تصحُّ إقامته إلا على تجرى مائي، وتغفر قناة من ذلك المجرى إلى داخل المندى - كما هو مبين في الشكل - كي يتسنى للكهنة إجراء الطقوس الدينيَّة التي تتطلب التَّطهُّر بالماء الحي (الجاري) وعلى رأسها التَّعميد، وتطهير الأواني الطَّقسية.

<sup>27</sup> شرحت دراور تفصيلاً تشابه دور ووظيفة الكهَّان المندائيين مع وضع ووظائف كهنة بابل القديمة، انظر: الصَّابئة المندائيون، 28 وما بعدها.

الموت والحساب والدينونة وبعض الظواهر العقائدية كتحديد الماء الجاري<sup>28</sup>، فرسوم التعميد لها ما يُماثلها على نحو أو آخر في التراث البابلي القديم<sup>29</sup>، كما إن بعض ما ورد في الأساطير المندائية القديمة يظهر أكثر تناسبا مع بيئة الأهوار - جنوب بلاد ما بين النهرين - أكثر منها مع بيئة مجرى نهر الأزدن جنوبي فلسطين<sup>30</sup>.

أما عن كيفية وصول التقاليد والعادات الغنوصية وبعض الشعائر اليهودية والتعميد والاعتقاد بنبوة «يوحنا المعمدان» [يحيى بن زكريا عليه السلام] فهي - في نظر أنصار نظرية الأصل

<sup>28</sup> طقوس تقديس الماء - الذي تدعوه المندائية بالماء الحي - وممارسة التعميد لها ما يناظرها في التراث البابلي القديم الذي يُقدّس الماء الجاري. بل هناك من بين الباحثين من يشك في أن تلك الطقوس والممارسات عبارة عن تقاليد تسربت إلى اليهودية من الشرق. وليست طقوسا أصيلة في اليهودية - سيما في عصورها الأخيرة - ولم تُمارس على نطاق واسع بين مختلف الجماعات المنشقة عن اليهودية إلا في الجنوب حيث تصلح بيئة نهر الأردن لذلك. أمّا عن مهد تلك الممارسات فيعتقد الباحثون القائلون بالأصل الشرقي أنّها سادت في حوض ما بين النهرين حيث البيئة المناسبة أكثر لتلك الطقوس. سباهي: أصول الصابنة، 62-63.

<sup>29</sup> طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، تاريخ الفترات القديم، الطبعة الثانية، بغداد 1955، 225. فعلى سبيل المثال كان ينبغي على كبير كهنة بابل الاغتسال في ماء الفرات الجاري قبل دخول قدس الأقداس في أعياد بابل القديمة، انظر: - مارجريت روثن: تاريخ بابل، ترجمة زينة عازر؛ ميشال أبي فاضل، باريس 1984، 133، وكان الماء المقدس وحده هو الذي يُستخدم لتطهير المعبود، المرجع نفسه، 131 - 132.

<sup>30</sup> مثال شديد الوضوح كما في كتاب «دراشة ديبيا» أو «كتاب تعاليم يحيى» يرد في فصل «الصيد وقصة الأنفس» الكثير من الرموز والمصطلحات، وهو ما يدل على أن المؤلف - أو ربما المؤلفين - لهذا السفر من بيئة الصيادين بالأهوار، وقد علّق ميد MEAD على هذا الجزء بقوله إنه عسير بالفعل على الترجمة، وذلك لكثرة الاصطلاحات التقنية المتعلقة بعملية الصيد التي ترد فيه، ورغم كل الجهود والتحريات اللغوية الواسعة التي بذلها المترجم فقد عجز عن فهم معنى عدد غير قليل من الكلمات التي وردت فيه، وفي هذا ما يؤكد أيضا عملية البيئة العراقية التي كُتب في ظلّها هذا النص. انظر: - G. R. MEAD : *The Gnostic, John the Baptizer*, London, 1924, pp 72 - 73. قارن أيضًا: - سباهي: مرجع سابق، 79. وفي الوقت ذاته نجد ارتباطا يمكن وصفه بالوثيق بين الأساطير المندائية وبين مثيلتها السومرية، من ذلك الارتباط بين ليليث الشيطانة في الفكر السومري والتي تسبّب في وفاة الأطفال وبين زهريل زوجة هيبيل زيو في الفكر المندائي، وذلك حسب ملاحظة أحد رجال الدين المندائيين، انظر: - عبد الحميد أفندي عبادة: مندائي، أو الصابنة الأقدمون، باعتناء رشيد الخيون، لندن 2003، 23.

الشرقي - تقاليد وافدة، أتت من فلسطين إلى المندائيين في بيئتهم الأصلية بحوض ما بين النهرين بالعراق، فذلك الأثر الغنوصي الواضح في الديانة وفد على ديانة الصابئة على مراحل وبتعاً لاحتياجات معينة.

وقد مثلت رواية النديم عن علاقة الحنحج أو الحنحج<sup>31</sup> بالمندائيين جسراً مناسباً لتلك التأثيرات الغنوصية القادمة من الشرق، فحسبما جاء في رواية النديم:-

«المُعْتَسِلَة؛ هؤلاء القوم كثيرون بنواحي البطائح،  
وهم صابئة البطائح، يقولون بالاغتسال، ويغسلون جميع ما  
يأكلونه، ورئيسهم يُعرف بالحنحج، وهو الذي شرع الملّة،  
ويزعم أن الكوثيين ذكروا وأثنى، وأن البقول من شعر الذكر،  
وأن الأكنشوت من شعر الأنثى، وأن الأشجار عروقه. وهم

<sup>31</sup> رُسم اسم الحنحج [وهي الصيغة الأكثر تداولاً بين جموع الباحثين] بطرق مختلفة في مختلف نشرات الفهرست للنديم، فقرأها فلوجل في أول نشرة من نشرات الفهرست والتي صدرت في لبيز عامي 1871 - 1872م «الحنحج»، وفي طبعة القاهرة التي قدّم لها وراجعها الأستاذ أحمد أمين والتي ظهرت للمرة الأولى عام 1929 «الحسيح»، وفي نشرة رضا تَجَدَّد التي صدرت بطهران عام 1971 «المَحْسَح» [؟] وإن ذكر في خواشيه أن إحدى النسخ التي اعتمدها فلوجل تُؤكّد على قراءة نشرة القاهرة للاسم «الحسيح»، وقرأها أيمن فؤاد سيّد في أفضل النشرات التي حظي بها كتاب الفهرست على الإطلاق، وهي نشرته الصادرة بلندن عام 2009 «الحنحج»، وقد تَقَصَّيت من الدكتور أيمن فؤاد سيّد عما إذا كان متأكّداً من أن هذه هي القراءة الصحيحة لاسم رئيس المُعْتَسِلَة من واقع مطالعته لعدد كبير من النسخ الخطيّة لكتاب الفهرست فأفادَ بالإيجاب، واستبعد قراءة نشرة القاهرة لاسم الحسيح لأسباب فنيّة، وقد أثار ورود الاسم بهذه الصيغة «الحسيح» التساؤل في أوساط البحث عما إذا كان المقصود به هو المسيح عليه السلام ووقع التّحريف بفعل أخطاء النساخ!، انظر:- PEDERSEN: *The Sabians*, p 386؛ سباهي: أصول الصابئة، 105، غير أنّ التمعن في نص النديم الوارد أعلاه، خاصة عبارته التي يقول فيها «ورئيسهم يُعرف بالحنحج» لو قرأناها «ورئيسهم يُعرف بالمسيح» فستتباينا الدهشة، فلو أراد النديم الإشارة إلى علاقة المُعْتَسِلَة بالمسيح عليه السلام لما استخدم أبداً كلمة يُعرف، وعلى ذلك لا أميلُ إلى ذلك الرأي الذي يميل إلى ربط المسيحيّة مباشرة بالمندائيّة عبر افتراضات واهية لا تضمّد أمام النّقد.



أَقَاوِيلَ شَنِيعَةٍ تَجْرِي مَجْرَى الْخُرَافَةِ، وَكَانَ تَلْمِيزُهُ يُقَالُ لَهُ  
 سَمْعُون، وَكَانُوا يُوَافِقُونَ الْمَانَوِيَّةَ فِي الْأَصْلَيْنِ، وَتَفْتَرِقُ مِلَّتَهُمْ  
 بَعْدَ، وَفِيهِمْ مَنْ يُعَظِّمُ النُّجُومَ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا»<sup>32</sup>.

من غير المعروف من أين استقى النديم روايته عن الحسج EL-KESAI، لكن روايته  
 مثلت مخرجاً مريحاً للقائلين بأن يقال شعائر التعميد من بيئة نهر الأزدن إلى بلاد ما بين النهرين،  
 وكذا علاقة المندائيين بيوحنا المعمدان، ولذلك تمسك بها الخوالسون بشدة<sup>33</sup>. لكن القول  
 بوجود علاقة مباشرة بين الحسج وبين المندائيين لا يخلو من تعقيدات كثيرة يغض أصحاب  
 نظرية الأصل الشرقي النظر عنها، فمن المعروف أن الحسج كان يهودياً معروفاً بصرامته  
 وتزاهته، وكانت له شعبية كبيرة بين طوائف البحر الميت، وكانت دعوته يهودية أصولية تقوم  
 على التمسك بالشريعة اليهودية، والتقيّد بأحكام السبت، وممارسة الحتان، وكان يُقرّ الزواج  
 ويتوجّه بالصلاة نحو الهيكل بأورشليم<sup>34</sup>.

ليست أول تلك التعقيدات الناجمة عن التصديق على وجود علاقة مباشرة بين  
 الحسج وبين المندائيين هو خلو كتب المندائيين من أي إشارة إلى هذا الحسج وجماعته، هذه  
 واحدة. أمّا الثانية: كيف تأتى أن تحولت جماعته من جماعة يهودية أصولية محافظة تتقيّد بأحكام  
 السبت إلى ما هي عليه الآن من شدة العداوة لليهود واليهودية؟! أمّا الثالثة: فهي أنه لا شيء  
 مما ذكره النديم عن جماعة الحسج يمتّ بصلة للمندائيين اللهم سوى الاغترسال في مياه النهر  
 الجارية (التعميد)، خلا ذلك فجميع ما ذكره النديم بعد ذلك لا ينطبق على المندائيين بحالٍ من  
 الأحوال.

<sup>32</sup> الزهرشت، 2: 411.

<sup>33</sup> CHWOLSOHN: *Die Ssabier*, Vol. I, p 119

<sup>34</sup> عن الحسج وحياته وتعاليمه وبيته التي عاش فيها انظر: - W. BRANDT: *El-Kesaites*, Encyclopedia of

Religion und Ethics, Vol. IX, pp. 202 - 209. صباهي: أصول الصابئة، 105 - 107.

وكما يترتب على قبول رواية النديم على علاقتها بخصوص علاقة الحنج بالمندائيين من إثارة إشكاليات كثيرة فإنه يترتب أيضًا على رفضها مشكلة كبيرة، فالتسليم برفض العلاقة بين الحنج والمندائيين من شأنه أن يضرب الذهن تلقائيًا إلى افتراض خطير، وهو أن النديم كان يتحدث عن طائفة أخرى هي المعنية بوصفه «صابئة البطائح» وكانت تُدعى بالمغتسلة، ومارست التعميد، وعاشت في المنطقة نفسها التي عاش المندائيون فيها، وهذا من شأنه أن يجعلنا على حذر كلما تكررت عبارة «صابئة البطائح» في المصادر العربية - والتي - وبموجب هذا الطرح - لا تشير إلى المندائيين وحدهم في كل الأحوال كما يذهب ج. ب. سيجال<sup>35</sup>، وهذا من شأنه أن يزيد الأمر تعقيدًا.

ويُعلّل أنصار نظرية الأصل الشرقي كراهية المندائيين لليهود بأن الجاليات اليهودية الكبيرة على ضفتي الفرات هي التي دار بينها وبين المندائيين النزاع، وربما وصل الأمر إلى حدّ إزغام يهود العراق لأعداد من المندائيين على الازتداد عن دينهم، حيث تُشخص الأساطير المندائية ذلك النزاع في محاولات اليهود المستمرة إزغام ميرياي ابنة هيرودس الملك على الازتداد عن المندائية لدينها القديم (اليهودية)، ثم ما أعقب ذلك من اضطهادات قاسية وقعت من قبل اليهود للناصريين (المندائيون الأوائل)، وعلى هذا يعتقد أنصار نظرية الأصل الشرقي أن الصراع بين اليهود والمندائيين دار فعليًا على شواطئ الفرات، وحين استعادت الذاكرة المندائية - حينها بدأ تدوين الكتابات المقدسة - جعلت أماكن هذا الصدام أورشليم نفسها<sup>36</sup>.

تبقى مسألة شائكة أخرى عند أصحاب نظرية الأصل الشرقي، وهي علاقة

J. B. SEGAL: *Pagan Syriac Monuments in the Vilayet of Urfa*, in: *Anatolian studies*, Volumes 3-4. <sup>35</sup>

1953, p 110.

<sup>36</sup> سباهي: أصول الصابئة، 139.

الْمَنْدَائِيِّينَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ. وَأَنْصَارَ نَظَرِيَّةِ الْأَصْلِ الشَّرْقِيِّ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ لَيْسَتْ ثَمَّةُ عَلاَقَةٍ مُبَاشِرَةٍ تَرْتَبِطُ بَيْنَ الْمَنْدَائِيِّينَ وَبَيْنَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، فَهَمَ لَيْسُوا مِنْ تَلَامِيذِهِ، فَيُوحَنَّا لَا يَظْهَرُ فِي نَصُوصِ الطُّقُوسِ وَالسَّخَرِ وَالتَّعْمِيدِ فِي الثَّرَاثِ الْمَنْدَائِيِّ الْقَدِيمِ، كَمَا إِنَّ الْإِشَارَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ بِشَأْنِهِ - وَيَدُونِ اسْتِثْنَاءً - مُتَأَخِّرَةٌ تَمَامًا، وَلَا تَظْهَرُ فِي النُّصُوصِ الْمَنْدَائِيَّةِ الْأَوَّلَى، وَفِي الْغَالِبِ تَذَكُّرُ اسْمِهِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِالصِّيْغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يَحْيَى «يَهْيَا»، أَوْ مُقْتَرَنَةً - جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ - بِالصِّيْغَةِ الْعِزْرِيَّةِ الْأَرَامِيَّةِ يُوحَنَّا «يَهْيَا يُوْهَانَا»، وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الصِّلَةَ مُفْتَعَلَةٌ وَبَدَأَتْ مَعَ دُخُولِ الْإِسْلَامِ الْعِرَاقَ وَلَيْسَ قَبْلَ ذَلِكَ.

هَذَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ تَعَالِيمُهُمْ، وَلَمْ يُصَوِّرْ كَنِيَّ تَقْلِيدِيٍّ، أَوْ حَتَّى كَمَسِيحٍ أَوْ مُخْلِصٍ أَوْ كُمُؤَسَّسٍ لِلطَّائِفَةِ، بَلْ إِنَّهُ لَمْ يُؤَسِّسْ حَتَّى طَقْسَ التَّعْمِيدِ فِي دِيَانَةِ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيِّينَ<sup>37</sup>، كَمَا إِنَّ الْإِشَارَاتِ الْوَارِدَةَ بِشَأْنِ الْأُرْدُنِّ لَا تُقَرَّنُ بِيَحْيَى ~~الْمَنْدَائِيِّ~~ فِي أَيِّ مِنَ الْحَالَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ بِهَا، يُضَافُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ أَنَّ التَّعْمِيدَ عِنْدَ الْمَنْدَائِيِّينَ لَيْسَ طَقْسًا لِلنَّدَمِ وَالتَّوْبَةِ ائْتِدَاءً كَمَا فِي تَعَالِيمِ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَأَنَّ كُلَّ الْمَادَّةِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ يَحْيَى مُسْتَمَدَّةٌ مِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُنَاكَ مَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ تَأْخُذْ صُورَتَهَا النَّهَائِيَّةَ فِي الْمُعْتَقَدَاتِ الْمَنْدَائِيَّةِ إِلَّا مَعَ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ، أَيْ لَيْسَ قَبْلَ الْقَرْنِ السَّابِعِ<sup>38</sup>، وَذَلِكَ لِأَغْرَاضٍ تَعَلَّقَتْ بِتَطْلُعِ الْمَنْدَائِيِّينَ لِمُعَامَلَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنْ قِبَلِ الْمُسْلِمِينَ.

<sup>37</sup> التُّورَانِي «هَيْلِ زِيوَا» هُوَ مَنْ تَنَسَّبَ إِلَيْهِ الْأَسَاطِيرُ الْمَنْدَائِيَّةُ تَأْسِيسَ ذَلِكَ الطَّقْسِ، وَتَأْخُذُ دَرَاوَرُ هَذِهِ النُّقْطَةَ كَحُجَّةٍ عَلَى أَنَّ عَلاَقَةَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ بِالْمَنْدَائِيِّينَ غَيْرُ مُصْطَنَعَةٍ، وَأَنَّهُ كَانَ عَلَى عَلاَقَةٍ فَعْلِيَّةٍ بِالنَّاصُورَانِي الْقَدَمَاءِ، الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيَّوْنَ، 41.

<sup>38</sup> 100. p. WALTER WINK: *John the Baptist in the Gospel tradition*, Cambridge 1968, وانظر أيضًا تَفْنِيدَ

سِبَاهِي لِلدَّلِيلِ الَّتِي سَاقَهَا وَنَكَ عَمَاوَلًا لِإِبْثَاتِ صِلَةِ يَحْيَى ~~بِالْمَنْدَائِيِّينَ~~ قَبْلَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ، أَصُولُ الصَّابَةِ، 124 - 130.



كاهن مندائي يُباشر تعميد أحد أبناء طائفته<sup>39</sup>

أما أنصار نظرية الأصل الغربي للصابئة المندائيين، وهي النظرية التي تمثل الوجه المعكوس لنظرية الأصل الشرقي؛ فيعتقد أنصارها أن منشأ الصابئة كان إلى الغرب من العراق وبين طوائف البحر الميت - في بيئة شرقي الأردن - ممن كانوا يمارسون طقوس التعميد هناك، وقد تزعّم هذا الاتجاه ليدزبارسكي (في أبحاثه الأولى ثم تراجع عنه إلى القول بالأصل الشرقي في أبحاثه الأخيرة)، وعلى العكس منه تخلّت الليدي دراور في أبحاثها الأخيرة عن حماسها لنظرية الأصل الشرقي وتبنّت بحذر نظرية الأصل الغربي، دون التخلي عن علاقة الحسج بالمندائيين، كما تحمّس لها رُودلف ماكوخ، وكُورت رُودلف<sup>40</sup>.

ويرى أصحاب هذه النظرية أن الصابئة المندائيين هم في الأصل أنصار أحد المذاهب التي تفرّعت عن اليهودية، وأنهم هاجروا هرباً من اضطهاد المؤسسة الدينية اليهودية، وذلك على نحو أقرب لما تؤدّيه الأسطورة المندائية، ويحتجّ القائلون بنظرية الأصل الغربي للصابئة بأن

<sup>39</sup> المصدر: - BUCKLEY: *The Mandaean; ancient texts and modern people*

<sup>40</sup> EDWIN M. YAMAUCHI: *Gnostic*, pp. 9-10.

الصَّابِئَةُ المُنْدَائِيَّةُ هُم خَلِيطٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ مِنْ فَلَاسْطِينَ مَن يَحْمِلُونَ مُعْتَقَدَاتٍ يَهُودِيَّةً مَسِيحِيَّةً مُشْتَرَكَةً هَرَبًا مِنَ الاَضْطِّهَادِ، وَاخْتَلَطَ هَؤُلَاءِ المُهَاجِرِينَ بِأَهْلِ بِلَادِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ فِي بِيْشَاتِهِمْ، وَالَّذِينَ كَانُوا يَحْمِلُونَ بِدَوْرِهِمْ بَقَايَا مِنْ دِيَانَةِ البَّابِلِيِّينَ الْأُولَى، وَأَدَّى هَذَا إِلَى الْاِمْتِزَاجِ إِلَى ذَلِكَ التَّعْقِيدِ فِي أَصُولِ الْعَقَائِدِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِه دِيَانَةُ الصَّابِئَةِ المُنْدَائِيَّةِ.

وَمِنَ الْقَرَانِ الثَّانِي الَّذِي يُسَوِّقُهَا أَنْصَارُ الْأَصْلِ الْغَرَبِيِّ أَنَّ الْأَسَاطِيرَ المُنْدَائِيَّةَ تُظْهَرُ المُنْدَائِيَّةِ عَلَى أَتَمِّهِمْ قَوْمٌ جَاءُوا مِنَ الشَّامِ، وَأَتَمُّهُمْ هَاجَرُوا مِنْ فَلَاسْطِينَ بِتَأْثِيرِ اضْطِّهَادِ الْمَوْسَسَةِ الدِّينِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ هُمْ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ ذَلِكَ تَحْضُرَ اخْتِلَاقٍ. كَمَا إِنَّ قُوَّةَ أَثَرِ الْغَنُوصِيَّةِ فِي المُنْدَائِيَّةِ جَعَلَتْ الْعَدِيدَ مِنَ الْبَاحِثِينَ الْقَائِلِينَ بِالْأَصْلِ الْغَرَبِيِّ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْغَنُوصِيَّةَ هِيَ الْعُنْصَرُ الْأَصِيلُ فِي الدِّيَانَةِ، وَمَا عَدَاهَا هِيَ تَأْثِيرَاتٌ ثَانَوِيَّةٌ، حَتَّى أَتَمُّهُمْ يَنْعَتُونَ المُنْدَائِيَّةَ بِأَنَّهَا آخِرُ الدِّيَانَاتِ الْغَنُوصِيَّةِ الْحَيَّةِ.

وَقَدْ أَصَابَ الرَّخْمَ نَظَرِيَّةُ الْأَصْلِ الْغَرَبِيِّ لِلْمُنْدَائِيَّةِ بَعْدَ اكْتِشَافِ مَخْطُوطَاتِ الْبَحْرِ الْمِيَّتِ الشَّهِيرَةِ بَوَثَائِقِ قَمْرَانَ، وَكَذَلِكَ اكْتِشَافِ مَكْتَبَةِ كَامِلَةَ لِبَعْضِ الطَّوَائِفِ الْغَنُوصِيَّةِ فِي نَجْعِ حَمَّادِي بِصَعِيدِ مِصْرٍ<sup>41</sup>، وَأُظْهِرَتْ هَذِهِ الْوَثَائِقُ تِلْكَ الْجَذُورَ الْعَمِيقَةَ لِبَعْضِ الْمَهَارَسَاتِ الدِّينِيَّةِ

<sup>41</sup> اكْتُشِفَتْ مَخْطُوطَاتٌ نَجْعِ حَمَّادِي عَامَ 1945م، وَقِصَّةُ اكْتِشَافِهَا وَأَخِيرًا اسْتِقْرَارُهَا بِالْمَتْحَفِ الْقِبْطِيِّ بِالْقَاهِرَةِ لَا تَخْلُو مِنَ الطَّرَافَةِ، حَيْثُ اكْتُشِفَ أَخَوَانِ أَمِيَّانِ يَعْملَانِ بِالزَّرْعَةِ، وَبُدْعِيَّانِ خَلِيفَةُ وَعَمَدُ ابْنَا عَلِيِّ السَّيَّانِ عِنْدَمَا كَانَا يَبْحَثَانِ عَنْ يَسَادٍ لِحَقْلِيهَا جَزَّةً خَزَفِيَّةً أَسْفَلَ هَضْبَةِ «جَبَلِ الطَّرِيفِ» بِالْقُرْبِ مِنْ دِيرِ الْقُدَيْسِ بِأَخُومٍ، عَلَى الضَّفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ لِلنَّيْلِ قُبَالَةَ نَجْعِ حَمَّادِي، فَظَنَّا أَنَّهَا عَنَرًا عَلَى خَشِيشَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، وَقَامَا بِكَسْرِ الْجَزَّةِ، فَوَجَدَا بِدَاخِلِهَا عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ اللَّفَافِيفِ وَالْمَخْطُوطَاتِ الْبَرْدِيَّةِ، وَلَمْ يَقْطِعَا أَوَّلَ الْأَمْرِ لِقِيمَتِهَا، وَاسْتَعْدَمَا أَكْثَرَهَا كَوُفُودَ لِلْفُرْنِ بِمَنْزِلِهَا، وَسَلِمَتْ مِنْ ذَلِكَ الْإِعْدَامِ الْعَفْوَِي 13 مَجْمُوعَةً تَقْبِيسَةً (مَخْطُوطَةٌ مَجْلُودَةٌ) مِنَ الْبَرْدِيِّ بِطَرِيقِ الصَّدْفَةِ، حَيْثُ هَرَبَ الشَّقِيقَانِ مِنَ الْقَرْيَةِ لِنِزَاعَاتٍ ثَارَتْ بَعْدَ أَنْ تَوَرَّطَ وَالدُّهُمَا فِي جَرِيْمَةِ قَتْلِ، وَسَلَّمَا دَارَهُمَا وَمَا تَحْوِيهِ لِأَحَدِ الْفَسَاوِسَةِ عَلَى سَبِيلِ الْأَمَانَةِ، وَعِنْدَمَا شَهِدَ مُدَرِّسُ قِبْطِي كَانَ زَوْجَ شَقِيقَةِ الْقَيْسِ تِلْكَ اللَّفَافِيفِ شَكَّ فِي أَنَّهَا مُدَوَّنَةٌ بِالْقِبْطِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَرَبِّمَا كَانَ لَهَا بَعْضُ الْأَهْمِيَّةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأَثَرِيَّةِ، فَحَمَلَ وَاجِدَةً مِنْ تِلْكَ الْمَخْطُوطَاتِ إِلَى الْقَاهِرَةِ حَيْثُ تَوَجَّهَ بِهَا إِلَى الْمَتْحَفِ الْمِصْرِيِّ، وَعَلَى الْفَوْرِ أَثَارَتْ اهْتِمَامَ الْبَرُوفِيسُورِ إِبْرَاهِيمَ دِرِيوتُونِ مَدِيرِ الْمَتْحَفِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَاسْتَشَارَهَا لِحَسَابِ الْمَتْحَفِ بِمَبْلَغِ 250 جَنْيَةٍ مِصْرِيَّةٍ، وَأَثَارَ ظُهُورِ تِلْكَ الْمَخْطُوطَاتِ فَضُولَ مُجَّارِ الْأَثَارِ وَالْعُلَمَاءِ الْأَجَانِبِ فَبَدَأُوا مَفَاوِصَاتٍ جَادَّةً مَعَ مَالِكِيَّهَا الَّذِينَ اسْتَشْطَرُوا فِي مَطَالِبِهِمُ الْمَادِيَّةِ، وَكَانَ الْمُقَابِلُ الْمَادِي الَّذِي طَلَبُوهُ فَوْقَ امْتِكَانَاتِ الْمَتْحَفِ

المندائية وتشابهها الشديد مع طقوس أتباع هذه المذاهب على نحو يُرجَّح أنَّها ظهرت في البيئات التي انتشرت فيها تلك العقائد على الأقل.

فمثلاً تقارب الاعتقاد بشنائية الظلام والثور، والحقير والشر، وهي ثنوية شاعت بتأثير التعاليم البابلية الفارسية في منطقة الشرق الأدنى<sup>42</sup>، كما يقترب المندائيون من الأسينيين<sup>43</sup> في

القبطي، وخوفاً من تسرب المخطوطات إلى خارج مصر وتكرار مأساة أوراق الجنييزة القاهرية الشهيرة؛ نجح المتحف القبطي في استصدار إذن من النيابة العامة بمصادرة تلك المخطوطات وتوبيخ مالكيها وفقاً للأحكام التي كانت تنظم الإتجار في الآثار آنذاك، وسرعان ما توفر العلماء على دراسة المخطوطات لمعرفة أصحابها، وعُرفت المجموعة لاحقاً بين العلماء «بمكتبة نجع حمادي». وهي عبارة عن مُصنَّفات لإحدى الفرق الغنوصية التي عاشت بصعيد مصر، وتحتوي هذه المخطوطات الثمينة على بعض الأناجيل والكتابات الغنوصية المحظورة كنسياً، وكان لها شأن عظيم في معرفة الغنوصية عن كتب، وبأفلام الغنوصيين أنفسهم، إذ حتى زمن اكتشاف تلك المخطوطات لم تكن نعرف عن الغنوصية إلا ما وصل إلينا عن طريق آباء الكنيسة المعادين لها، بصفة خاصة إيريناوس، هيوليس، أيفانيوس، وتشمل مخطوطات نجع حمادي الثلاثة عشر على 48 كتاباً، تبلغ في مجملها 1000 صفحة، من بينها 794 صفحة حُفظت كاملة وبحالة مُمتازة، واللغة التي كُتبت بها هي اللغة القبطية، حيث دُوت 10 مجلدات «بالقبطية الصعيدية»، أما الثلاث الأخر فقد دُوت «بالأخميمية الجنوبية». ويمتد زمن تدوين هذه المجموعة من المخطوطات من نهاية القرن الثالث إلى بداية القرن الرابع الميلادي، عن تلك الوثائق الفريدة وأهميتها وكيفية العثور عليها انظر مقدمة النشرة الإنجليزية لتلك الوثائق: *The Nag-Hammadi library in English*, trans. and edited by JAMES RICHARD SMITH, Leiden 1977, pp 3 - 26. ، وللتوسع حول مكتبة نجع حمادي تجد مجموعة متنوعة من الدراسات عن تلك المخطوطات من مختلف الجوانب الدينية والتاريخية في العمل التجميعي:-

*Essays on the Nag-Hammadi texts*, edited by PAHOR LABIB, MARTIN KRAUSE, Leiden, 1975.

WAYNE A. MEEKS: *The prophet-king; Moses traditions and the Johannine Christology*, Leiden 1976,<sup>42</sup>

p 267.

<sup>43</sup> الأسينيون: أخوية مارقة تأسست بعيداً عن سُلطة كهنة الهيكل اليهودية، وأقامت مُستوطنات جنوب البحر الميت، واشتهروا بورعيتهم، وكرهيتهم للمظاهر الدنيوية الفانية، واحتقارهم للمال والثروات، وكذلك كراهيتهم للنساء الذي وصل عند البعض منهم إلى حد التبتل ورفض الزواج، كما عرفوا بحرصهم على التطهر الجسدي، وذلك بواسطة المبالغة في الاغتسال بالماء، وعلى الأرجح فإن نشأة التعميد كرمز للتوبة والتدم قد نشأت في وسط أسيني، أو متأثر بالأسينية انظر:- مقدمة موسى ديب خوري للنشرة العربية من مخطوطات قمران، القسم الأول:- التوراة: كتابات ما بين العهدين، دمشق 1998، ص 35 وما بعدها،

DOLORES CANNON: *Jesus and the Essenes*, New York 1992, pp 28 - 56. ; CHRISTIAN DAVID

*Ginsburg: The Essenes; their history and doctrines*, London 1955, pp 5-31.

طقوس التطهر وارتداء الملابس البيضاء أثناء طقس التطهر، وهو أمر مماثل عند المندائيين، وكذلك في نظرهم العامة تجاه صرامة مراعاة المقاييس الأخلاقية كاحترام الناس، والزهادة في التعامل، والالتزام بالعدالة والحق، وتوقير من هم أكبر سنًا، والتقوى بشكل عام، وهي قيم شاعت في منطقة الشرق الأدنى بتأثير الفلاسفة الرواقية الإغريقية. وهناك بعض النواحي الأخرى التي يقترب فيها المندائيون من الأسينيين كطرق الدفن، واستقبال الشمال كقبلة<sup>44</sup>، وهي أمور تثير التساؤل عن علاقة كلتا الفرقتين ببعضهما البعض، والأهم من ذلك وجود تماثل بين بعض النصوص المندائية ونصوص إنجيلية لا سيما في افتتاحية إنجيل يوحنا<sup>45</sup> إضافة إلى العثور على كتابات مندائية وسط أوراق الجنيزة اليهودية<sup>46</sup>.

كما إن ذلك العداء الشديد الذي تُضمّره المندائية لليهودية في كتاباتها المقدسة، تُشير بوضوح - في نظر أصحاب نظرية الأصل الغربي - إلى حقبة مريّة من الصراع بين الديانتين، ومن الطبيعي أن تكون فلسطين هي مسرح النزاع في صراع مثل هذا، فاله إسرائيل الذي تدعوه المندائية بـ «أدوناي» هو إله شيرير، لا يُضمّر للمندائيين ودًا، وهو يُقرن بشامش (أحد الكواكب السبعة الأشرار المكلف بالشمس)، وإن ميسا (موسى عليه السلام) هو نبي للروها (قوى الظلام)<sup>47</sup>. كذلك مكانة يوحنا المعمدان المتميزة في العقيدة المندائية مقارنة بالموقف العدائي الذي تتخذه من دعوة المسيح عليه السلام على نحو يمكن تفهّمه في ضوء العداء الشهير والمعروف بين تلاميذ المسيح وتلاميذ يوحنا المعمدان<sup>48</sup> بالإضافة إلى مراسم التعميد، والتطهير بالماء الجاري

<sup>44</sup> سباهي: أصول الصابئة، 99 - 101.

<sup>45</sup> نفسه، 36.

<sup>46</sup> EDWIN M. YAMAUCHI: *Gnostic*, p 2.

<sup>47</sup> سباهي: نفسه، 102.

<sup>48</sup> إن الفقرات الواردة في إنجيل متى: «أَنَا أَعْمِدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلَكِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَجْلِسَ جِدَاهُ، هُوَ سَيُعْمِدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ». متى 3: 11؛ «حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الْأُرْدُنِّ إِلَى يُوْحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ، وَلَكِنْ يُوْحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلًا: أَنَا عَاجِزٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ، فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: اسْمَحْ الْآنَ لِأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيْقُ بِنَا أَنْ نُكْمِلَ كُلُّ بَرٍّ». متى 3: 13-16؛ «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمُؤَلَّوْدِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلَكِنَّ الْأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ». متى 11: 9-12، وهي فقرات لها علاقة - في نظر البعض - بالمعارك والنزاعات التي كانت مُستعرة بين تلاميذ

هي - كما يُرجَّح أنصار نظرية الأصل الغربي - ما يُميِّز طقوس تلاميذ يوحنا المعمدان، ويُشير بوضوح إلى بيئة البحر الميت جنوبي فلسطين.

على ذلك يُرجَّح أنصار نظرية الأصل الغربي أن المندائيين الفارَّين بدينهم من فلسطين هم قوام المهاجرين إلى بلاد ما بين النهرين، حيث اختلطوا بسكانها وتأثروا إلى حدٍّ ما بتعاليم الديانة البابلية الأولى، وبالتالي خرجت لنا تلك العقائد الدينية الفريدة التي تُميِّز المندائية اليوم. وهذه الهجرة المُفترضة إلى جنوب العراق حدثت في وقتٍ مُتأخر بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وهناك اكتسبت تلك الديانة ذلك المظهر الشرقي الحاصل ذي السمات البابلية والآشورية، بالإضافة إلى ذلك المظهر الغنوصي المميِّز لها<sup>49</sup>.

أمَّا اللغة المندائية؛ فهي بدورها أجنبية أخرى، لكنها تميل إلى تغصيد نظرية الأصل الشرقي، فهي لغة تفرَّعت - لا شك - عن الآرامية القديمة<sup>50</sup>، فالمندائية تحوي قدرًا هائلًا من المفردات ذات الأصل الآرامي والأكدِّي والبابلي والفارسي في مزيج واحد يُوحى بتأثرها بظروف بلاد ما بين النهرين؛ تاريخيًا وجغرافيًا، في حين أن تأثرها بالعبرية كان في أضيق نطاق،

يوحنا وبين تلاميذ المسيح وقت تدوين متى للإنجيل، وأراد فيها تمجيد المسيح وإظهار يوحنا على أنه مُهدٍ لدعوته، ولعلَّ تلاميذ يوحنا كانوا يَختبئون بتقديم أستاذهم بأنَّه قام بتعميد المسيح كما يتَّضح من قراءة ما بين السطور لفقرات إنجيل متى سألقة الذكر.

<sup>49</sup> E. S. DROWER: *The secret Adam*, Oxford 1960, pp 95 - 101; E. M. YAMAUCHI: op. cit., pp 60 - 62

سباهي: أصول الصابئة، 111.

<sup>50</sup> كانت اللغة الآرامية قد أصبحت منذ القرن الرابع ق.م لغة عالمية، فقد ابتلعت جميع اللهجات واللغات الأخرى في منطقة الشرق الأدنى باستثناء شبه الجزيرة العربية ومصر، شُورس لومبار: الإسلام في مجده الأول، من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري، ترجمة إسماعيل العربي، الدار البيضاء 1990، 136، وعن اللغة المندائية وعلاقتها بالآرامية الأم وتأثيرات العربية فيها بصورتها الأخيرة بصورة أخص انظر:- أوبية الخميسي: علاقة المندائية بالعربية، مجلة المورد العراقية، مج 4، ع 2، بغداد 1975، 67 - 70؛ إبراهيم السامرائي: دراسات في اللغة، بغداد 1961، 211 وما بعدها؛ صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، بيروت 1968، 51.



وعَزَّزَ ذلكَ نظريةَ القائِلينَ بالأُصولِ الشرقيَّةِ للمندائيِّينَ. وعلى ذلكَ قرَّرَ كلٌّ من بركيت وتُولِدَكِه أن لُغةَ المندائيِّينَ بِشكلِها الحَالي لا تَدَعُمُ نظريَّةَ الأُصلِ الغَربيِّ<sup>51</sup>، فاللُغةُ المندائيَّةُ أَقربُ إلى لُغةِ التَّلُمُودِ البابليَّةِ، وكِلتا اللُغَتَينِ مُتجاوِرتَينِ مِنَ النَّاحِيَةِ الجُغرافيَّةِ، وعُلماءُ السَّامِيَّاتِ يَميلُونَ الآنَ إلى أن لُغةَ التَّلُمُودِ البابليَّةِ كانت تُستخدَمُ في بابِلِ العُليَّا، والمندائيَّةُ في بابِلِ السُّفلى<sup>52</sup>.

أما الأَبجَدِيَّةُ المندائيَّةُ؛ فأحدُ أَبرزِ مُناصري قضِيَّةِ الأُصلِ الغَربيِّ لِلصَّابئةِ المندائيِّينَ وهو رُوبرت مَأكُوخُ يَعتقدُ أنَّ الأَبجَدِيَّةَ المندائيَّةَ هي صُورةٌ مُطوَّرةٌ عن الأَبجَدِيَّةِ النَّبطيَّةِ، وقد جَاءَ بها المندائيُّونَ مِنَ الغَربِ، ولكنَ بعضُ البَاحِثينَ أَشالَ نيفيهِ وكوَكِّسَ يَعتقدونَ أنَّ الأَبجَدِيَّةَ المندائيَّةَ هي صُورةٌ مُطوَّرةٌ عن الأَبجَدِيَّةِ العِيلاميَّةِ التي انتشرتْ في فارِسَ وبلادِ ما بينَ النَّهْرَينِ قُبيلَ ظَهورِ المَسيحيَّةِ.

خُلاصَةً القَولُ لم يَتمخَّضَ عن البَحثِ في أُصولِ الصَّابئةِ المندائيِّينَ بينَ الشَّرقِ والغَربِ أيُّ حَسمٍ لقضِيَّةِ الأُصلِ سواءَ على الصَّعيدِ الإثني أو العَقائِدي، فكِلتا النِّظَريَّتينِ لا يَقومُ عليهما دَليلاً، وإن كانَ البَاحِثونَ اليَومَ يَميلُونَ أَكثَرَ للقَولِ بالأُصلِ الغَربيِّ للمندائيِّينَ فَذلكَ بِتأثيرِ عامِلينَ فَحَسَبَ، أوَّلُهما: ظَهورُ ونشرِ وثائقِ قَمُرانَ ووثائقِ نَجْعِ حَمَّادي في وَقتِ مُتزامنٍ وتأثيرِهما العميقُ في الدَّفعِ بالدراساتِ الخاصَّةِ بالغرُوصيَّةِ إلى آفاقٍ أَرَحَبَ من ذي قَبلَ، وبطَبيعةِ الحَالِ انعَكَسَ ذلكَ جُزئِيًّا على قضِيَّةِ أَصلِ المندائيِّينَ ونَشأتِهِم. وثانيها: ميلُ ثلاثةٍ من كبارِ العُلماءِ المُتَخَصِّصينَ في المندائيَّاتِ - في الحِقْبَةِ الأخيرةِ - وهُمُ السَّيِّدة دَراور، ورُودلف مَأكُوخُ، وكُورت رُودلف لِنظريَّةِ الأُصلِ الغَربيِّ قد أثَّرَ تأثيرًا جَمًّا في دَعْمِ الأَوساطِ العِلَميةِ لها،

<sup>51</sup> BURKITT F. C: *Church and Gnosis*, Cambridge university press, 1932, p 111; NOLDEKE:

*Mandaean bibliography*, Oxford university press, 1933, p 63.

<sup>52</sup> مُراد كَامِل؛ مُحَمَّد حَمدي البَكري؛ زَاكِيَّة مُحَمَّد رُشدي: تاريخُ الأدبِ الشَّرياني، القَاهِرَةُ د.ت، 12.

خاصّة في صَوء خفُوت صوت أَصْحَابِ نَظَرِيَّةِ الأَصْلِ الشَّرْقِيِّ، التي أَصْبَحَ يُنْظَرُ إليها على أنها نظريّة كلاسيكيّة قَدِيمَة. مع ذلك فإنَّ جميعَ ما سَاقَهُ دُعَاةُ الأَصْلِ الغَرَبِيِّ لا تكفي - باعترافهم أنفُسِهِم - لِحُسْمِ هذه القَضِيَّة. وتَظَلُّ فِكْرَةُ البَحْثِ عَن أَصُولِ الصَّابِنَةِ بَيْنَ مَنْ تَبَقَّى بَيْنَ الْبَابِلِيِّينَ أَوْ بَيْنَ مَنْ أُنْدمِجَ مَعَهُمْ مِنَ الْجَمَاعَاتِ الأَرَامِيَّةِ تُغْري المَرءَ رَغمَ اِفتقَارِهَا إلى أدلّةٍ مَادِيَّةٍ حَاسِمَةٍ<sup>53</sup>.

<sup>53</sup> سباهي: المرجع نفسه، 61-62.

## الفصل

### الرابع

4

## أصول صابئة حرّان

«وَأَمَّا هَذِهِ الطَّائِفَةُ أَيْضًا أَيْعْنِي  
الْمَرْثَانِيَّةُ فَلَمَّا لَمْ تُطْلِعْ أَحَدًا مِنْ  
الْأُسَمِّ شَيْئًا مِنْهُ الْأَسْرَارُ الْغَيْبِيَّةُ  
وَالذِّخَائِرُ الْهَرُوسِيَّةُ، بَلْ كَانُوا  
يَتَدَاوَلُونَهُ بَيْنَهُمْ جِيلًا جِيلًا إِلَى يَوْمِنَا  
هَذَا».

أبيه وَحُشِيَّة

في العراق الأعلى<sup>1</sup>، وإلى الجنوب من مدينة الرُّها<sup>2</sup>، وعلى نهر بانْيَاس<sup>3</sup> تقع مدينة حَرَّان *Charrae*<sup>4</sup>، مهْد عِبَادَةِ إِلَه الْقَمَر الْأَكْدِي «سِين»<sup>5</sup>. وقد اضْطَبَعَت المدينة خِلال الْعَصْرِ

<sup>1</sup> اضْطَلَح الجُغْرَافِيُون الْمُسْلِمُونَ عَلَى فَصْلِ إِقْلِيمِ الْعِرَاقِ (بِلَاد مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ) عَنْ امْتِدَادِهِ الْجُغْرَافِي الطَّبِيعِي أَعْلَى نَهْرِ الْفُرَاتِ، وَاعْتَبَرُوهُ إِقْلِيمًا مُسْتَقْلًا، أَطْلَقُوا عَلَيْهِ اسْمَ إِقْلِيمِ الْجَزِيرَةِ الْفُرَاتِيَّةِ؛ وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ الَّذِي دَرَجَ عَلَيْهِ الْجُغْرَافِيُون الْمُسْلِمُونَ مُسْتَمَدٌّ مِنْ تَقْسِيمَاتٍ قَدِيمَةٍ تُعَوِّدُ لِبَطْلِيمُوسِ الْجُغْرَافِي - أَرَادَ مِنْهَا - فِيمَا يَبْدُو فَصْلَ بَابِلِ الْقَدِيمَةِ عَنْ مَا عَدَاهَا مِنَ الْبِقَاعِ، وَتَرْتَّبَ عَلَى ذَلِكَ خُرُوجُ أَجْزَاءٍ تُعَدُّ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّءُ مِنْ إِقْلِيمِ الْعِرَاقِ جُغْرَافِيًّا كَالْمَوْصِلِ، وَالْأَثْبَارِ وَحَرَّانَ وَرَأْسِ الْعَيْنِ وَالرَّقَّةِ، وَهُوَ مَا يُصْطَلَحُ عَلَى تَسْمِيَتِهِ «بِالْعِرَاقِ الْأَعْلَى».

<sup>2</sup> تُعْرَفُ الْآنَ بِأُورْفَا *Urfā*، وَتَضُمُّهَا الْيَوْمَ الْخُدُودُ السِّيَاسِيَّةُ لِلْجُمْهُورِيَّةِ التُّرْكِيَّةِ.

<sup>3</sup> أَحَدُ زَوَائِدِ الْفُرَاتِ.

<sup>4</sup> حَرَّانُ أَكْبَرُ مَدَنٍ دِيَارِ مُقَرَّرٍ بِالْجَزِيرَةِ، وَكَانَتْ تَقَعُ عَلَى طَرِيقٍ تِجَارِيٍّ قَدِيمٍ كَانَ يَرْبِطُ الْحَلِيجَ الْعَرَبِيَّ بِالشَّامِ وَالْأَنْاضُولِ وَشَرْقِيٍّ أَوْرُوبِيٍّ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الرُّهَا مَسِيرَةٌ يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَرَغْمَ أَنَّ اسْمَهَا تَعَرَّبَ وَاضْحَ لَاسْمِهَا الْقَدِيمِ *Charrae* فَإِنَّ الْجُغْرَافِيَّيْنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَتَعَرَّفُوا عَلَى اسْمِهَا الْقَدِيمِ، وَمِنْ ثَمَّ اعْتَقَدُوا أَنَّهَا مِنْ بَنَاءِ «هَارَانَ» أَخِي إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْهُ اسْتَمَدَّتْ اسْمُهَا، وَقَدْ وَصَفَهَا الْجُغْرَافِيُون الْمُسْلِمُونَ بِأَنَّهَا وَاسِعَةٌ الْعِمَارَةُ، بُنِيَتْ عَلَى أَرْضٍ سَهْلَةٍ مُنْبَسِطَةٍ، مُسَوَّرَةٌ، وَلَهَا أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ كَبِيرَةٍ، وَلَهَا فِي غَرْبِهَا دُورَاتٌ، وَسُحُلَاهَا خَرِبٌ، وَلَهَا قَرْيٌ مُتَّصِلَةٌ بِهَا تَضُمُّ كُلَّ قَرْيَةٍ خَلَقْنَا كَثِيرًا. وَبِأَعْلَاهَا ثَلَاثَةٌ فِيهَا يَوْجَدُ مُصَلَّى الصَّابَتَيْنِ (هَيْكَلُ الْقَمَرِ). عَنْ حَرَّانَ وَمَوْقِعِهَا وَبَعْضِ التَّفَاصِيلِ الْجُغْرَافِيَّةِ عَنْهَا انْظُرْ: - الْجُمْهُورِيَّةُ: الرُّؤُوسُ الْمُعْطَارُ، 191 - 192؛ بِأَثَوْتِ الْحَمَوِيِّ: مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، 2: 271 - 272؛ ابْنُ حَوْقَلٍ النَّصِيبِي: صُورَةُ الْأَرْضِ، الْقَاهِرَةِ د.ت، 190؛ ابْنُ خُرْدَاذْبَةِ: الْمَسَالِكُ وَالْمَمَالِكُ، 54؛ أَبُو الْفَيْدَا: تَقْوِيمُ الْبُلْدَانِ، تَحْقِيقُ رَيْنُود؛ م. كُوكَيْنِ دِيَسْلَان، بَارِيسَ 1840، 277.

<sup>5</sup> أَقْدَمُ ذِكْرٍ لِعِلَاقَةِ إِلَهِ الْقَمَرِ الْأَكْدِي سِينَ بِمَدِينَةِ حَرَّانَ وَرَدَ فِي الْكِتَابَاتِ الْأَشُورِيَّةِ، حَيْثُ وَرَدَ فِي أَحَدِ النُّقُوشِ أَنَّ شُلْمَا نَاصِرَ الثَّالِثِ دَخَلَ حَرَّانَ سَنَةَ 857 ق.م وَجَلَبَ إِلَيْهَا جَالِيَةً أَشُورِيَّةً اخْتَلَطَتْ بِشُعْبِهَا الْآرَامِيِّ، وَابْتَنَى بِهَا قَصْرًا وَمَعْبَدًا لِلإِلَهِ سِينِ إِلَهِ الْقَمَرِ، مُحَمَّدُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحَمْدُ: صَابِتَةُ حَرَّانَ وَإِخْوَانُ الصَّفَا، دِمَشْقَ 1998، 8؛ وَعَنْ عِبَادَةِ إِلَهِ الْقَمَرِ سِينِ انْظُرْ: TAMARA M. GREEN: *The city of the Moon god, religious traditions of Harran*, Leiden 1992, pp 21- 27. الطَّبْعَةُ الثَّامِنَةُ، دِمَشْقَ 2008، 72 - 73. جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّهُ قَدْ عُثِرَ عَلَى تَمَائِيلَ لِلإِلَهِ سِينِ بِأَرْضِ حَرَّانَ، وَكَذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْأَخْتِمَاتِ الْأَسْطُوَانِيَّةِ، وَعَلَى بَعْضِ الْمُنْحُوتَاتِ الْحَجَرِيَّةِ، وَهُوَ يَصُورُ عَلَى هَيْئَةِ هِلَالٍ ذِي قَرْنَيْنِ بَارِزَيْنِ، انْظُرْ: الْأَبُ سَهِيلٌ قَاشَا: أَثَرُ الْكِتَابَاتِ الْبَابِلِيَّةِ فِي الْمَدُونَاتِ التُّورَانِيَّةِ، بِيروتَ 1998، 299. وَمِنْ الْمُدْهَشِ أَيْضًا أَنَّ نَعْرَفَ أَنَّ عَرَبَ الْيَمَنِ كَانُوا يَرْمُزُونَ لِلإِلَهِ لِلْقَمَرِ بِرَأْسِ الثَّوْرِ وَقَرْنَاهُ، تَوْفِيقُ بَرْو: تَارِيخُ الْعَرَبِ الْقَدِيمِ، دِمَشْقَ 1996، 97. وَقَدْ أَدْرَكَ الْعُلَمَاءُ الْمُسْلِمُونَ عِلَاقَةَ حَرَّانَ بِعِبَادَةِ إِلَهِ الْقَمَرِ، انْظُرْ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ قَوْلَ الْبِيروني «إِنَّ حَرَّانَ مَدِينَةٌ مَنْشُوءَةٌ لِلْقَمَرِ، وَبُنِيَتْ عَلَى صُورَتِهِ»، الْأَثَارُ الْبَاقِيَّةُ، 205.

الهللينستي ثقافته حرّان الدّينيّة ذات الأصول الشّرقية بصبغة هللينية قويّة كما هي الحال في أزجاء الشّرق الأدنى كافّة، وذلك نتيجة هجرة أعداد كبيرة من اليونانيّين إليها منذ تم فتحها على يد الإسكندر المقدوني، وبالتالي اضطبغت الرّوح الوثنيّة الشّرقية بالغربيّة في مزيج مُدهش شكّل جوهر عقيدة صابنة حرّان<sup>6</sup>.

وبرغم وقوع حرّان في منطقة تُعدُّ مهد الثقافة السّريانيّة المسيحيّة الكلاسيكيّة، فقد وقفت تلك المدينة بالرّصاد لانتشار المسيحيّة وقاومتها بكلّ قوّة، حيث تجمّعت بها جاليات كبيرة من الذين فضّلوا البقاء على وثنيّتهم ورفضوا اعتناق المسيحيّة من مختلف بقاع شرق أوروبا والأناضول والشرق الأدنى.

وكان لغلبة الرّوح اليونانيّة على المدينة أن أسماها جيرانهم من النّصارى السّريان *Helleno-polis* بمعنى مدينة الهلّينين أو اليونانيّين الوثنيّين<sup>7</sup>. كما أطلقوا على صابنة حرّان أسماء متعدّدة، كالخرّانيّة والكلدان والحنّفاء.

نالت حرّان شهرةً واسعة في أرجاء العالم القديم بوصفها المعقل الوحيد الباقي من معازل الوثنيّة بالإمبراطورية الرّومانيّة<sup>8</sup>. إذ كان الوثنيّون يُشكّلون الغالبية السّاحقة من

<sup>6</sup> TAMARA M. GREEN: op. cit, p 44.

<sup>7</sup> ماكس ماير هوف: من الإسكندرية إلى بغداد، مرجع سابق، 70. ولم تغب تلك الصّبغة الهلّينية في ديانة الحرّانيّة عن المسلمين، فالمسعودي وصف صابنة حرّان بأنّهم «بقايا اليونان وحشويّة الفلاسفة المتقدّمين»، مروج الذهب، 1: 71.

<sup>8</sup> زار الإمبراطور جوليّان المُلقّب بالمرتد حرّان عام 363م، وقدم القرابين لألهتها، فيما رفض زيارة الرّها ذات الأغلبية المسيحيّة، وأدرك مسيحيو الرّها أنّ الإمبراطور أراد الحطّ من شأن مدينتهم، وإعلاء قيمة حرّان بإزائها، وهو ما سبّب أجواء من الكراهية المتبادلة بين المدينتين استمر حتى ما بعد الفتح الإسلامي

لكلتاهما. انظر: - TAMARA M. GREEN: *The city of the Moon*, p 50.

سُكَّانِهَا<sup>9</sup>، وِيَاءَتِ جُهُودِ الْأَبَاطِرَةِ الرُّومَانِ - الْمُتَحَمِّسِينَ لِلْمَسِيحِيَّةِ - بِالْفَقْشِ فِي إِقْنَاعِ أَهْلِ حَرَّانَ بِهَا، فَقَنَعُوا مِنْهُمْ بِدَفْعِ ضَرِيَّةِ الرَّأْسِ مُقَابِلَ الْأَمَانِ<sup>10</sup>.

كَانَ الْحَرَنَانِيَّةُ يَتَحَدَّثُونَ الْأَرَامِيَّةَ بِأَفْصَحِ لَهْجَاتِهَا، كَمَا كَانُوا يَتَقَنُّونَ إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ الْيُونَانِيَّةَ وَالسَّرْيَانِيَّةَ، وَيُعَلِّلُ الْبَاحِثُونَ ذَلِكَ بِتَحَرُّرِ الْمَدِينَةِ نِسْبِيًّا مِنَ الْمُؤَثَّرَاتِ الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ<sup>11</sup>. وَكَانَتْ نِخْلَةُ الصَّابَةِ الْحَرَنَانِيَّةُ بَاطِنِيَّةً، تَقُومُ عَلَى كِتْمَانِ الْمُعْتَقِدَاتِ وَالطُّقُوسِ، وَغَالِبًا مَا نَشَأَ هَذَا فِي الْمَرَحَلَةِ الَّتِي كَانَتْ الدِّيَانَةُ مُهَدَّدَةً بِتَأْثِيرِ انْتِشَارِ الْمَسِيحِيَّةِ الْوَاسِعِ، وَانْهِيَارِ سُمْعَةِ الْوُثْنِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، فَتَقَوَّعَتِ الْوُثْنِيَّةُ - ذَاتُ الْأُصُولِ الْبَابِلِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِعِبَادَةِ الْأَجْزَامِ السَّمَاوِيَّةِ، وَالْمُخْتَلَطَةِ بِالْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ الْوَافِدَةِ - وَبِصِفَةِ خَاصَّةِ الْفِيثَاغُورِيَّةِ<sup>12</sup> وَالْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْمُحَدَّثَةِ<sup>13</sup> - عَلَى نَفْسِهَا مُكَوَّنَةً دِيَانَةً سِرِّيَّةً غَيْرَ قَائِمَةٍ عَلَى التَّبَشِيرِ، اعْتَبَرَتْ نَفْسَهَا

<sup>9</sup> زَاتِ إِخْدَى الرَّاهِبَاتِ - وَتَدْعَى إِيجِيرِيَا - حَرَّانَ وَذَكَرَتْ أَنَّهَا لَمْ تَجِدْ بِهَا مَسِيحِيَّينَ عِداً بِعَظْمٍ رِجَالِ الْإِكْلِيْرُوسِ وَالرُّهْبَانِ الْآتِقِيَاءِ السَّكَنِينَ هُنَاكَ، لِأَنَّ السَّكَّانَ كَانُوا جَمِيعًا مِنَ الْوُثْنِيِّينَ، تَارْدِيُو: مَرْجِعُ سَابِقٍ، 49، وَيَفْهَمُ مِنَ الْبَلَادَرِيِّ أَنَّ الْحَرَنَانِيَّةَ كَانُوا يُسْكَلُونَ أَيْضًا أَغْلِيَّةَ السَّكَّانِ عِنْدَ دُخُولِ فَاتَحِهَا عِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ، فَقَدْ أَغْلَتْهَا دُونَهُ أَبْوَابُ الْمَدِينَةِ، وَشَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الرُّهَّا أَوَّلًا، فَمَا صَالَحُهُ عَلَيْهِ نَصَارَى الرُّهَّا قَبْلَ بِهِ الْحَرَنَانِيَّةَ وَصَالَحُوهُ عَلَيْهِ أَيْضًا، فَقَبِلَ عِيَاضُ وَتَوَجَّهَ إِلَى الرُّهَّا وَصَالَحَهُمْ عَلَى الْجَزِيَّةِ، فَقَبِلَتْ حَرَّانَ بِالشَّرْطِ نَفْسَهَا. الْبُلْدَانُ، فَتُوْحَهَا وَأَحْكَامُهَا، تَحْقِيقُ سُهَيْلُ زَكَّارُ، بِيْرُوتُ 1992، 205 - 207.

<sup>10</sup> الْفِقْطِيُّ: إِنْجَارُ الْحَكَمَاءِ، 24؛ النَّدِيمُ: الْفَهْرَسْتُ، 2: 143 - 144.

<sup>11</sup> أُولِيرِي: عُلُومُ الْيُونَانِ، 235؛ مُرَادُ كَامِلٍ؛ مُحَمَّدُ حَمْدِي الْبَكْرِي: تَارِيخُ الْأَدَبِ السَّرْيَانِيِّ، 20 - 21.

<sup>12</sup> الْفِيثَاغُورِيَّةُ نَسَبَةٌ إِلَى مُؤَسَّسِهَا فَيثَاغُورُسِ الْحَكِيمِ (عَاشَ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ ق.م)، وَهِيَ مَدْرَسَةُ فِلَسْفِيَّةٍ قَامَتْ عَلَى أَسَاسِ تَنْظِيمِ أَخْوِي يَشْبُهُ أَخَوِيَّاتِ الرُّهْبَانِ فِي الْأَدْبَرَةِ، وَتَقُومُ الْفِلَسْفَةُ الْفِيثَاغُورِيَّةُ عَلَى رُكْنَيْنِ: أَحَدُهُمَا رِيَاضِي وَالْآخَرُ أَخْلَاقِي، أَمَّا الرِّيَاضِي مِنْهَا فَقَدْ اخْتَصَّ بِدْرَاسَةِ خَصَائِصِ الْأَعْدَادِ وَاسْتِنبَاطِ الْعِلَاقَةِ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ هَنْدَسَةِ الْعَالَمِ وَطَبِيعَةِ الْحَقْلِ وَالْحَالِقِ، أَمَّا الشَّقُّ الْأَخْلَاقِي الْفِلَسْفِي مِنْهَا فَيَسْتَلْغِصُ فِي أَنْ يُلَوِّغَ السَّعَادَةَ الْقُصْوَى لَا يَتِمُّ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ تَطْهِيرِ النَّفْسِ، وَالْإِعْتِقَادِ بِسُوءِ النَّفْسِ عَلَى الْجَسَدِ، وَأَقْرَبَتْ الْفِيثَاغُورِيَّةُ أَيْضًا مَبْدَأَ التَّنَاسُخِ، انْظُرْ: - أَحْمَدُ فُؤَادُ الْأَهْوَانِي: الْمَدَارِسُ الْفِلَسْفِيَّةُ، الْقَاهِرَةُ 1965، 16 - 26.

<sup>13</sup> الْأَفْلَاطُونِيَّةُ الْمُحَدَّثَةُ: تَبَارَّ فِلَسْفِي أَثَرُ تَأْثِيرًا وَاسِعًا فِي دِيَانَاتِ الشَّرْقِ الْأَدْنَى الْقَدِيمِ، حَتَّى أَنْ أَبَاءَ الْكَنِيسَةِ أَنْفُسَهُمْ اعْتَرَفُوا بِتَأْثِيرِهَا فِي الْمَسِيحِيَّةِ الْأَوَّلَى، وَأَنَّهَا صَارَتْ جَوْهَرُ الْمِيْتَاْفَرِيْقَا فِي الْمَسِيحِيَّةِ، وَهَذِهِ الْمَدْرَسَةُ

ورثة المجد العابر للحضارات القديمة - وعلى الأخص المصرية والبابلية والإغريقية الرومانية - في حقب ما قبل ظهور المسيحية والإسلام<sup>14</sup>، ولم يكن هذا هو السبب الوحيد في كتمان أمور

نسب إلى مؤسسا أفلوطين (ت270م)، وهو فيلسوف سكتندري يعود أصله إلى مدينة أسبوط بصعيد مصر، ولا نعرف إلا القليل عن حياته بسبب ما عُرف عنه من احتقار للعالم المادي، حتى أنه كان خجلاً من ذكر نسبه وتاريخ أجداده، وندين بمعلوماتنا عنه لجرينورثيوس الصوري (ت304م)، ومنه نعرف أن أفلوطين بدأ دراسته للفلسفة بالإسكندرية في السابعة والعشرين من عمره، وغالباً فإن ولعه بديانة الفرس جرّه للانخراط في حملة عسكرية قادها الإمبراطور جودليان على فارس، ونجّاه بحياته بأعجوبة وعاد أدراجه إلى أنطاكية، ثم لم يلبث أن توجه إلى روما وهو في الأربعين من عمره، وهناك بدأ محاضراته عن مذهب الذي لُقّب بالأفلاطونية المحدثة، تمييزاً لها عن فلسفة أفلاطون الإغريقي القديم، للمزيد عن سيرة أفلوطين انظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، 324-329؛ أوليري: علوم اليونان، 29؛ ماجد فخري: تاريخ الفلسفة اليونانية، بيروت 1991، 190 وما بعدها. والأفلاطونية المحدثة فلسفة تلفيقية أكثر منها مذهباً جديداً، استقى أفلوطين مذهب من أفكار أفلاطون الإلهي - كما كان يدعوه - ومن أمونيوس ونونيوس، وتقوم على مبدأ تفسير الوجود بنظرية الفيض، عن طريق ثالث عُرف بثالث أفلوطين، ويُعتقد أن نظرية التثليث المسيحي هي مجرد تطوير لثالث أفلوطين، وثالث أفلوطين يتكوّن من الباري الذي فاض عنه العقل الأول، والعقل الأول فاضت عنه النفس، أوليري: المرجع نفسه، 32. وتُنكر الأفلاطونية كل قيمة للعالم المادي، وتُقرّ أن العالم الروحاني صدر عن العلة الأولى (العقل الأول) أو الإله الأعلى، الذي صنع العقل الثاني، والذي بدوره خلق العالم المادي، والعالم قسبان روحاني وسُفلي، والنفس هي محور الالتقاء بين العالمين، وتعكس كالمِرآة روائع العالم الإلهي، وهي عند الموت تعود إلى صفاتها الإلهية بعد تحرّرها من تدنيس الجسد الذي يعود للعالم السفلي، وتدور في دوائر حدّتها سلفاً العناية الإلهية، فهي إمّا تُرْجى فتعود إلى جسد أذنّى رتبة كحيوان أو نبات وخلافه، وإما خيرة فتتحد بالذات الإلهية، ويختلف موقف أفلوطين عن الغنوصيين في نقطة جوهرية، فأفلوطين يُنكر تماماً أي دور للمعرفة في الخلاص، ويقول بأن التقوى واحتقار العالم المادي هما وسيلتا الخلاص. للتوسع حول الأفلاطونية المحدثة، انظر: عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، القاهرة 1979، 109 - 122؛ كامل حمود: تاريخ الفلسفة العربية، بيروت 1991، 55 - 58؛ أحمد فؤاد الأهواني، مرجع سابق، 106. والغريب أن الفلاسفة المسلمين لم تعرّفوا على أفلوطين المؤسس الحقيقي للأفلاطونية الحديثة، والتي تأثروا بها بشدة، وإنما تعرّفوا على الأفلاطونية الحديثة من خلال تلميذه بروقلس، يوسف كرم: المرجع نفسه، 330؛ نيكلسون: الصوفية في الإسلام، ترجمة نور الدين شريّة، القاهرة 2002، 22. وعلى الرغم من أنهم كانوا يعرفون كتاب أفلوطين الشهير «التأشوعات» إلا أن ناقله للعربية ابن نعمة الجُمَيْصِيّ نسب خطأ إلى أرسطو طالس.

<sup>14</sup> ابن العربي: تاريخ الزمان، 48-49.

المِلَّة، فبعض التّقاليد اليُونانيّة الفلسفيّة القديمة قد لعبت دورًا كبيرًا في حرص الحُرانيّة على كتمان عقيدتهم أيضًا<sup>15</sup>، يُضاف إلى ذلك رغبة الحُرانيّة في عدم التّشويش على لقبهم الذي أكسبهم احترام المسلمين، وهو «الحنّفاء» وهو ما كان من شأنه أن يؤثر على وضعهم كأهل ذمّة<sup>16</sup>، كل هذه العوامل مجتمعة جعلت الحُرانيّة يُبطنون أكثر ممّا يظهرون من الحقائق حول ديانتهم.

لسوء الحظ لم تصل إلينا أيّ من كتابات الحُرانيّة الدينيّة، رغم أن بعض علماهم ألف في أصول الديانة والطّقوس الدينيّة كتبًا عديدة، ولم يتبق سوى مقولة لثابت بن سنان، حفظها لنا أبو حيّان التّوحّيدي (ت416هـ/1025م)، قد يكون لها مدلول على أن الكتابات الدينيّة لدى صابئة حرّان كانت مُخلّطة بالشّئون الدّنيويّة - وعلى الأخصّ الفلاحة - وذلك على غرار كتاب الفلاحة النّبطيّة الذي ترجمه ابن وحشيّة عن لغة النّبط القُدّماء<sup>17</sup>.

ومحور اعتقادات الحُرانيّة أن للعالم صانعًا مُدبّرًا حكيمًا، مُنزّها عن مُماثلة المصنوعات، واحد في ذاته، وكثير في رُؤى العين<sup>18</sup>، وهو الاعتقاد ذاته الذي ذهب إليه الفيلسوف الإغريقي «برقْلُس» PROCLUS (ت485م) من أن المعبود واحدٌ أزليّ في الأصل، يتكثّر بتكثّر

<sup>15</sup> قد يكون منشأ نظرية الضنّ بالعلم على غير أهله هو ممارسات المدرسة الفيثاغورسية القديمة التي كانت تُخصّص دروسًا للعامة، وأخرى للخاصّة، وكان المُعلّمون يتقنون ما يُدرّس ويُشرح في الحلقتين، مُخذّرين من خلط هذا بذلك، وبذل العلم إلى غير أهله، وقد بقي هذا التّقليد سائدًا في كثير من المدارس الفلسفيّة اليونانيّة، فأرسطو كان يُعطي دروسًا بالنّهار للخاصّة، ودروسًا أخرى ليلاً للجمهور، انظر: أحمد فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفيّة، 17. قارن أيضًا: ابن وحشيّة الذي يقول ما نصّه: -«اعلم أيها الحكيم العارف أن التّراصة الخاصّة لم يُطلعوها على أشرارهم غير أبناء جنيّهم، خوفًا على أشرارهم لتلاّ تضع مع غير أهلها من أولاد السّفلة وفُساد العالم وخُرابه». شوق المُستهام، 91.

<sup>16</sup> يرى خُوالسون في هذا ضربة من ضروب الخداع استخدمه الحُرانيّة بمهارة لتثوية المسلمين فيما يخصّ ديانتهم وعقائدهم وطّقوسهم، انظر: - CHIWOLSOHN: op. cit, vol. I, pp 470- 471.

<sup>17</sup> أبو حيّان التّوحّيدي: المُقابسات، باعْتِناه حسن السّندوي، الكُويت 1992، 272.

<sup>18</sup> النّدِيم: الفهرست، 2: 357-358؛ الشّهرستاني: الملل والنحل، 1: 54؛ شيخ الرّبوّة: نُخبّة الدّهْر، 44؛

CHIWOLSOHN: op. cit, Vol. II, p 3.



مخلوقات وتعدّد صورها، باعتبار كل صورة فيضاً عنه<sup>19</sup>. كما أنّ هناك أرسطيّة ملحوظة في عقائد الحرنائيّة، فقد جاء على لسان أحمد بن الطيّب السرخسيّ بأن الحرنائيّة يقولون بالهيوولي<sup>20</sup> والصورة والعدم والزمان والمكان والحركة كما قال أرسطو في «سمع الكيان»<sup>21</sup>.

واعتقدوا أيضاً أن الباري أبدع الفلك وجميع ما فيه من الأجرام والكواكب، وجعلها مدبّرات هذا العالم، وهم الآباء، والعناصر هُنَّ الأمّهات، والمركبات هُنَّ المواليد، والآباء أحياء ناطقون، يؤدّون الآثار إلى العناصر، فتقبلها العناصر في أرحامها، فيحصل من ذلك المواليد، فيتشخص الإله به في العالم المادي<sup>22</sup>.

وهم يُقرّون بأنهم عاجزون عن الوصول إلى الباري بدون الوسائط، والواجب التقرّب إليه بتوسط الرّوحانيين المقدّسين المُطهّرين عن الموادّ الجسديّة، والمُنزّهين عن الحركات المكانيّة

<sup>19</sup> صنّف يحيى بن عديّ النّصراني (ت 364هـ / 974م) رسالته المعنونة بـ «مقالة في التّوحيد» وخص منها قسمًا عنوانه: «هل الله واحد، أم واحد وكثير؟» للرد على الحرنائيّة بالذات في عقيدتهم بأن الله واحد في ذاته، ويتكثّر بكثرة مخلوقاته في ذات الوقت، انظر رسالة مؤلف المذكور أعلاه: نشر وتحقيق الأب سمير خليل اليسوعي، روما 1980، 195 - 221.

<sup>20</sup> الهيوولي: اصطلاح إغريقي نقل إلى العربية، وهو يعني جوهر كل جسم حامل لصورته، أي المادة الأصلية التي يتألف منها هذا الجسم، كالخشب للسرير، والنفّضة للخاتم. وكالدّهَب للدينار. فالهيوولي هو المادة، والعنصر، والطينة، وإذا أطلق مُصطلح الهيوولي - دون تحديد - فإنه يعني طينّة العالم، أي جسم الفلك الأعلى وما يحويه من الأفلاك والكواكب، ثم العناصر الأربعة التي تتألف منها كافة العناصر في نظر الفلاسفة الطبائعيين وهي: التراب، النار، الماء، الهواء، أما الصورة، فهي هيئة الشّيء وشكله التي يتصوّر الهيوولي بها، وبها يتم الجسم، ويتخذ شكله المرئي، كشكل السرير بالنسبة لهيولته وهي الخشب، واستدارة الدّينار بالنسبة لهيولته وهي الدّهَب، وبصفة عامة فالجسم مؤلف من الهيوولي، والصورة معاً وفي نفس الوقت، ولا وجود لهيوولي يخلو من الصورة إلا في الوهم، والعكس صحيح. فالصورة هي الشّكل والهيئة والصّيغة، الخوارزمي: مفاتيح العلوم، 131.

<sup>21</sup> النّديم: الفهرست، 2: 361. فخر الدّين الرّازي: مُحصّل أفكار المُتقدّمين والمُتأخّرين من العلّماء والحكّماء والمُتكلّمين، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة د.ت، 84. جدير بالذكر أن ثابت بن قُرة هو الذي شرّح كتاب سَمْع الكيان لأرسطو، وقد شجع هذا البعض بالقول بأن كل مقولات الحرنائيّة التي تناقلتها المصادر العربيّة تُنسب بالضرّورة إلى ثابت بن قُرة، الحمد: مرجع سابق، 120.

<sup>22</sup> شيخ الزبوة: نُخبة الدّهَر، 47؛ الشّهَرستاني: المِلل والنّحل، 2: 54؛ CHWOLSOHN: op. cit, vol. II. P 401.

والتغيرات الزمانية، وهي السيارات السبع، ولذلك فهم يتوسلون بالنجوم والكواكب للوصول إلى ملك الملوك<sup>23</sup>.

ومن الجلي أن عبادة الأجرام السبعة السيارة<sup>24</sup> كانت ميراث مدينة حرّان العربية ممّا تبقى من أطلال الديانة البابلية القديمة التي كانت حرّان أحد قلاعها، ولما كانوا يعتبرون أنفسهم ورثة المصريين القدماء، والإغريق، والرومان؛ فقد قدّسوا كلّ ما كان من بنائهم، واعتبروه رمزاً لهيكل من الهياكل السبع المخصصة لعبادة وتقديس الكواكب السيارة، فهيكल الحرنائية الرئيسي بحرّان، والأهرام بمصر، والمسجد الأموي في دمشق، والذي زعموا أنه بُني على أطلال هيكل قديم لهم، وبيت المقدس<sup>25</sup>، وهيكل قديم بقرغانة<sup>26</sup>، وهيكل قديم ببُلخ - كان بيتاً مقدساً للنار عند المجوس<sup>27</sup>، وحتى الكعبة المشرفة اعتبرها الحرنائية ضمن هياكلهم السبعة<sup>28</sup>، وكانوا يُصلّون لرذّها عليهم وعودة دولتهم كما كانت أيام ازدهارها<sup>29</sup>. ومن ثم لم يكن بين أيدي الحرنائية من هياكلهم سوى هيكلين فحسب، استنزّهم عياض بن غنم عن أحدهما فأصبح مسجد حرّان الجامع، وأقرّهم على هيكلهم الثاني والذي عُرف بهيكل القمر.

<sup>23</sup> البيروني: الآثار الباقية، 205؛ ابن قيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، 2: 238؛ الفخري: تلخيص البيان في ذكر فروق أهل الأديان، تحقيق رشيد البندر، لندن 1994، 222؛ المقدسي: البدء والتاريخ، القاهرة (د.ت) 4: 22.

<sup>24</sup> وهي: الشمس والقمر (التّيرين). وزحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد (الخمسة السيارة). الخوارزمي: مفيد العلوم، ومفيد المهوم، القاهرة 1323 هـ 75؛ فخر الدين الرازي: اعتقادات فرق المشركين، تحقيق محمد عبد الرزاق، القاهرة 1938، 90.

<sup>25</sup> ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، 1: 444.

<sup>26</sup> شيخ الزبوة: نخبة الدهر، 43.

<sup>27</sup> المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

<sup>28</sup> ياقوت: معجم البلدان، 4: 529؛ القريري: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بخطوط القريري، القاهرة 1999، 1: 115؛ القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والتدليل، تحقيق محمود محمد الحصري، القاهرة 1958، 5: 152؛ القريري: السلوك، 1: 29؛ CHWOLSOHN: op. cit., vol. II, p. 29.

605.

<sup>29</sup> النديم: الفهرست، 2: 371.

كما آمن الحَرَنَانِيَّةُ أَيضًا أَنَّ الْفَلَكَ حَثَّهْمُ عَلَى طَلَبِ الْحِكْمَةِ، وَعَنْ دَفْعِ كُلِّ مَا نَاقَضَ الْفِطْرَةَ، وَأَنْ يَلْزُمُوا الْفَضَائِلَ وَأَنْ يَتَجَنَّبُوا الرَّذَائِلَ<sup>30</sup>، وَاعْتَقَدُوا أَيْضًا أَنَّ كُلَّ رُوحٍ مِنْ أَرْوَاحِ هَذِهِ الْكَوَائِبِ قَدْ تَجَلَّى لِلإِنْسَانِ فِي أَزْمِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَعَلَّمَتْهُ تِلْكَ الرُّقُومَ وَالتَّعَاوِيذَ وَالرُّقَى الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَجْعَلَهُ يُخْطِئُ بِرِضَاهَا<sup>31</sup>.

وَلِكِتَابَاتِ الْمُسْعُودِيِّ عَنْ عَقَائِدِ صَابِنَةِ حَرَّانٍ أَهْمِيَّةٌ بِالْغَيْةِ، ذَلِكَ أَنَّ الْمُسْعُودِي اقْتَرَبَ مِنْهُمْ وَزَارَ هَيَاكِلَهُمْ، وَرَبَطَتْهُ أَوَاصِرُ الصَّدَاقَةِ بِعَالَمِ حَرَّنَانِي مِنْهُمْ يُدْعَى مَالِكُ بْنُ عَقْبُونٍ، تَرْجَمَ لَهُ بَعْضًا مِنَ النُّقُوشِ الْيُونَانِيَّةِ عَلَى جُذْرَانِ هَيَاكِلِهِمْ، يَقُولُ الْمُسْعُودِي<sup>32</sup>:-

«وَلِهَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْحَرَّنَانِيِّينَ وَالصَّابِنَةِ فَلَاسِيفَةٌ، إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ حُسُوفِ الْفَلَاسِيفَةِ وَعَوَامِهِمْ، مُبَايِنُونَ لَخَوَاصِّ حُكْمَائِهِمْ فِي مَذَاهِبِهِمْ، وَإِنَّمَا أَضَفْنَاهُمْ إِلَى الْفَلَاسِيفَةِ إِضَافَةً سَبَبٍ لَا إِضَافَةَ حِكْمَةٍ، لِأَنَّهُمْ يُونَانِيَّةٌ، وَلَيْسَ كُلُّ الْيُونَانِيِّينَ فَلَاسِيفَةً، إِنَّمَا الْفَلَاسِيفَةُ حُكْمَاؤُهُمْ.

وَرَأَيْتُ عَلَى بَابِ مَجْمَعِ الصَّابِنَةِ بِمَدِينَةِ حَرَّانٍ مَكْتُوبًا عَلَى مَدَقَّةِ الْبَابِ بِالسُّرْيَانِيَّةِ قَوْلًا لِأَفْلَاطُونٍ؛ فَسَّرَهُ مَالِكُ بْنُ عَقْبُونٍ وَغَيْرُهُ مِنْهُمْ وَهُوَ: «مَنْ عَرَفَ ذَاتَهُ تَأَلَّهَ»<sup>33</sup> وَقَدْ قَالَ

<sup>30</sup> الْمُقَدِّسِيُّ: الْبَدْءُ وَالتَّارِيخُ، 4: 22.

<sup>31</sup> الرَّازِيُّ: السُّرُ الْمَكْتُومُ فِي أَشْرَارِ النُّجُومِ، نُسْخَةٌ مَطْبُوعَةٌ عَلَى الْحَجَرِ صَدَرَتْ بِاِغْتِنَاءِ الْمُسْتَشْرِقِ فِرْمَانِشَ، عَنْ نُسْخَةٍ نَادِرَةٍ دَخَلَتْ فِي يَدِ الْمَلِكِ شَخْصٍ يُدْعَى مِيرْزَا مُحَمَّدُ شِيرَازِي، وَلَا يُعْرَفُ أَيْنَ يَسْتَقَرُّ الْأَصْلُ الْآنَ، الْقَاهِرَةُ د.ت، 11؛ وَيَتَحَدَّثُ ابْنُ وَحْشِيَّةٍ عَنِ السَّيِّدِ «دَوَانَايِ» الصَّابِي [!؟] الَّذِي تَحَدَّثَ إِلَيْهِ كُلُّ مَنْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ، 126.

<sup>32</sup> مَرْوَجُ الذَّهَبِ، 1: 467-468.

<sup>33</sup> هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَرَدَتْ بِنَصِّهَا فِي كِتَابِ أُولُو جِينِ لِأَفْلَاطُونٍ كَمَا تَرْجِمُهَا مِشِيلُ تَارْدِيُو: «إِذَا مَا بَحِثْتَ بِخُتَا كَامِلًا فَإِنَّكَ سَتَعْرِفُ عَلَى الْإِلَهِ الْكَامِينَ فِيكَ، وَحِينَهَا تَعْرِفُ عَلَى ذَاتِكَ نَفْسِيهَا، بِاعْتِبَارِكَ ذَلِكَ الَّذِي يَصْدُرُ عَنْ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ الْوُجُودَ حَقًّا، تَارْدِيُو: مَرْجِعُ سَابِقٍ، 30، قَارَنَ: - DAVID PINGREE: *The Sabians of Harran and*

*the classical tradition*, international journal of the classical tradition, Vol.9, No.1, 2002, pp 27-28.

أَفْلَاطُون: «الإنسان تَبَات سَمَاوِي، والدَّلِيل على هذا أَنَّهُ شَبِيهُ شَجَرَةٍ مُنْكَوَسَةٍ أَصْلُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَفُرُوعُهَا فِي الْأَرْضِ».

لم يَتَبَقْ لَنَا مِنْ وَصْفِ الْمَسْعُودِيِّ الْحَيِّ لِلْحَرَنَانِيَّةِ سِوَى حَدِيثِهِ الْقِيَمِ عَنْ «بَيْتِ مَغْلِيَّتِيَا» وَهُوَ آخِرُ هَيَاكِلِهِمْ بِحَرَان<sup>34</sup>:-

«وَالَّذِي بَقِيَ مِنْ هَيَاكِلِهِمُ الْمُعْظَمَةِ فِي هَذَا الْوَقْتِ - وَهُوَ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَثُلُثَانَةً - بَيْتٌ هُمْ بِمَدِينَةِ حَرَانَ فِي بَابِ الرَّقَّةِ يُعْرَفُ بِمَغْلِيَّتِيَا، وَهُوَ هَيْكَلُ آزَرَ أَبِي إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَهُمْ<sup>35</sup>، وَلِلْقَوْمِ فِي آزَرَ وَابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ كَلَامٌ كَثِيرٌ لَيْسَ كِتَابُنَا هَذَا مُوَضَّعًا لَهُ.

<sup>34</sup> نَالَ حَدِيثُ الْمَسْعُودِيِّ عَنْ هَيْكَلِ مَغْلِيَّتِيَا اهْتِمَامًا خَاصًا مِنْ مَرْجَلِيوْت، وَهُوَ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ هَيْكَلًا آخِرًا لَصَابِنَةِ حَرَانَ، مَعَ مَعْلُومَاتٍ أُخْرَى تُؤَكِّدُ إِزَالََةَ تَمَائِيلِ الْأَلْهَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ، مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُشِيرَ إِلَى أَنَّ صَابِنَةَ حَرَانَ لَمْ يَمُودُوا بِشِكْلُونِ أَغْلَبِ الشُّكَّانِ وَقْتَ زِيَارَةِ الْمَسْعُودِيِّ لِحَرَانَ، انْظُرْ:- MARGOLIOTH: *Harranians*, in

Ency. of religion and ethics, vol. 6, pp 519 -520.

<sup>35</sup> وَاقَعَ الْأَمْرُ لَا نَعْرِفُ الْكَثِيرَ حَوْلَ عِلَاقَةِ إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعَقَائِدِ الْحَرَنَانِيَّةِ، فَالْمَسْعُودِيُّ الَّذِي زَارَ حَرَانَ عَامَ 332هـ/ 943م لَسُوهُ الْحِظْ لَمْ يُفَسِّرِ الْقَوْلَ فِي اعْتِقَادِ صَابِنَةِ حَرَانَ فِي إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَذَكَرَ أَنَّ لَهُمْ فِيهِ وَفِي أَبِيهِ آزَرَ مَقَالَاتٍ لَمْ يَسْعَ إِيرَادَهَا غَفَاةَ الْإِطَالَةِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ أَغْلَبَ سُكَّانِ حَرَانَ كَانُوا مِنَ الْوَثْنِيِّينَ إِلَّا أَنَّ رَاهِبَةً مَسِيحِيَّةً تُدْعَى إِيجِيرِيَا زَارَتْ الْمَدِينَةَ فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ بُغْيَةً تَقْدِيسِ مَزَارِ إِبْرَاهِيمَ وَزَوْجَتِهِ رِفْقَةً، تَارْدِيُو: مَرْجِعٌ سَابِقٌ، 49. وَلَعَلَّ الْمَكَانَ الَّذِي زَوَاتِهِ إِيجِيرِيَا الرَّاهِبَةُ هُوَ نَفْسُ الْمَكَانِ الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ جُبَيْرٍ وَذَكَرَ أَنَّهُ مَأْوَى وَمُسْتَرَاخٌ لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَوْجَتِهِ سَارَّةَ، وَاصِفًا إِيَّاهُ بِأَنَّهُ عَلَى بُعْدِ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخٍ مِنَ الْبَلَدَةِ مِنَ الْجِهَةِ الْقِبْلِيَّةِ، رَحْلَةُ ابْنِ جُبَيْرٍ، 220. وَابْنُ الْبَرَوْنِيِّ نَقَلَ عَنْ ابْنِ سُنُجُلَا النَّصْرَانِيَّ قَوْلَهُ «إِنَّ الْحَرَنَانِيَّةَ يَقُولُونَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا خَرَجَ عَنْ جُمْلَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ لِأَنَّهُ ظَهَرَ فِي قَلْبَتِهِ بَرَصٌ، وَكَانَتْ يَخْلُتُهُمْ أَنَّ مِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فَهُوَ نَجِسٌ، وَيُحْرَمُ عَلَى عَائِمَتِهِمْ مُخَالَطَتُهُ، وَلِذَلِكَ اخْتَصَنَ النَّبِيُّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَخَلَ إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ أَصْنَانِهِمْ بِحَرَانَ، فَسَمِعَ مِنَ الصَّنَمِ صَوْتًا يَقُولُ لَهُ: يَا إِبْرَاهِيمَ خَرَجْتَ مِنْ عِنْدِنَا بَعِيدٌ وَاحِدٌ، وَجِئْنَا بِعَيِّينَ، أَخْرُجْ وَلَا تُعَاوِدِ الْجَمْعَ إِنَّمَا، فَحَمَلَهُ الْغَيْظُ عَلَى تَحْطِيمِهَا، وَخَرَجَ مِنْ جُمْلَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ، ثُمَّ أَنَّهُ نَدِمَ عَلَى مَا فَعَلَهُ وَأَرَادَ ذَبْحَ ابْنِهِ لِلْمُسْتَرَى، فَلَمَّا عَلِمَ كَوْنَهُ الْمُسْتَرَى صَدَقَ نَوَيْتُهُ فَذَاهُ بِكَبْشٍ»، الْأَنْصَارُ الْبَاقِيَّةُ، 204 - 205. فَارَنَ أَيْضًا:- الْجَمْعِيَّ: الرُّؤُوسُ الْمُنْفَطَّرُ، 191؛ الْقَضَاعِي: عَيُونُ الْمُتَّارِفِ وَفُنُونُ أَخْبَارِ الْخِلَافِ، تَحْقِيقُ جَمِيلِ الْمَصْرِيِّ، مَكَّةُ الْمَكْرَمَةِ 1995، 90، عَبْدُ الْحَكِيمِ الدَّنُونُ: تَارِيخُ الشَّامِ الْقَدِيمِ، دِمَشْقُ 1999، 174.

ولابن عَشُونِ الحَرَّانِيُّ القَاضِي - وكان ذا فَهْمٍ ومَعْرِفَةٍ،  
وُتُو في بَعْدِ الثُّلُثِائَةِ - قَصِيدَةَ طَوِيلَةٍ يَذْكُرُ فِيهَا مَذَاهِبَ  
الحَرَّانِيِّينَ المَعْرُوفِينَ بِالصَّابَةِ، ذَكَرَ فِيهَا هَذَا الْبَيِّنَتِ وَمَا نَحْتَهُ مِنْ  
السَّرَادِيبِ الْأَرْبَعَةِ الْمُتَّخَذَةِ لِأَنْوَاعِ صُورِ الْأَصْنَامِ الَّتِي جُعِلَتْ  
مِثَالًا لِلْأَجْسَامِ السَّمَاوِيَّةِ، وَمَا اِرْتَفَعَ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْخَاصِ  
الْعُلُوتِ، وَأَسْرَارِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ، وَكَيْفِيَّةِ إِيْرَادِهِمْ لِأَطْفَالِهِمْ إِلَى  
هَذِهِ السَّرَادِيبِ، وَعَرَضَهُمْ لِهَذِهِ الْأَصْنَامِ، وَمَا يُخْبِرُ  
ذَلِكَ فِي أَلْوَانِ صِبْيَانِهِمْ مِنَ الْاِسْتِحَالَةِ إِلَى الصُّفْرِ وَغَيْرِهَا لِمَا  
يَسْمَعُونَ مِنْ ظُهُورِ أَنْوَاعِ الْأَصْوَاتِ وَفُنُونِ اللُّغَاتِ مِنْ تِلْكَ  
الْأَصْنَامِ وَالْأَشْخَاصِ، بِحِيلٍ قَدْ اتَّخَذَتْ وَمَنَافِيخٍ قَدْ عُمِلَتْ:  
تَقِفُ السَّدَنَةُ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ فَتَتَكَلَّمُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْكَلَامِ، فَتَجْرِي  
الْأَصْوَاتُ فِي تِلْكَ الْمَنَافِيخِ وَالْمَخَارِقِ وَالْمَنَافِذِ إِلَى تِلْكَ الصُّورِ  
الْمَجُوقَةِ وَالْأَصْنَامِ الْمُشَخَّصَةِ، فَيُظْهِرُ مِنْهَا نُطْقًا عَلَى حَسَبِ مَا  
قَدْ عُمِلَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، فَيَضْطَاطُونَ بِهِ الْعُقُولَ، وَتُسْتَرْقُ بِهَا  
الرُّقَابُ، وَيُقَامُ بِهَا الْمُلْكُ وَالْمَمَالِكُ، وَمَا ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ  
قَوْلُهُ:-

إِنَّ نَفْسَ الْعَجَائِبِ      يَنْتَ هُمْ فِي سَرَادِيبِ  
تُعْبِدُ فِيهِ الْكَوَائِبُ      أَصْنَامُهُمْ خَلْفَ غَائِبِ

وَيَعْتَقِدُ مِثْشِيلُ تَارْدِيُو أَنَّ صَابَةَ حَرَّانٍ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَ النُّجُومَ كَمَا تُصَوِّرُهُمُ الْمَصَلَدَرُ  
الْعَرَبِيَّةُ، وَالَّتِي نَقَلَتْ بِدَوْرِهَا مُعْظَمَ أَخْبَارِهِمْ عَنِ الْمَصَادِرِ السُّرْيَانِيَّةِ، وَأَنَّ دِيَانَتَهُمْ كَانَتْ ذَاتَ  
طَّابَعٍ غَنُوصِيٍّ<sup>36</sup>، وَاسْتِنَادًا إِلَى رِوَايَةِ الْمَسْعُودِيِّ السَّابِقَةِ مِيزَ تَارْدِيُو بَيْنَ عَامَّةِ الصَّابَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ،

<sup>36</sup> صَابَةُ حَرَّانٍ وَصَابَةُ الْقُرْآنِ، 42 - 43.

وهم عبدة الكواكب ومقدمي القرابين والدُّخن، وبين حكماء الحرثانية، وكانوا غنوصيو التَّوَجُّه، متأثرين بالفيشاغورثية والأفلاطونية الحديثة، وكانوا يرفضون عبادة الكواكب، وتقديم القرابين وغيرها من مظاهر عبادات العامة من بني جلدتهم<sup>37</sup>.

ولا أعتقد في صحّة ما ذهب إليه تارديو، والذي استنتج أن المسعودي يتحدث عن خواصّ وعوام الصّابنة الحرثانية، وأنّ الخواص هم حكماءهم، وأن العوام هم عامة صابنة حرّان، وكان هؤلاء مبائنين لهؤلاء في العقيدة، بينما في الحقيقة: وكما يُخبر النص بذاته يُقارن المسعودي بين فلاسفة صابنة حرّان (وهم حشوية وعوام الفلاسفة) وبين حكماء يُونان القدماء (الخواص) ويقول إنّهم مبائنون لهم في مذاهبهم، وأنّه - أي المسعودي - أضافهم (أي فلاسفة صابنة حرّان) إليهم - أعني حكماء اليونان - لا لشيء إلا رابطة الانتماء العرقي، وليس إضافة حكمته، فليسوا امتداداً لهم، فشتان بين فلاسفة يُونان الأوائل، وما آل إليه شأن الفلسفة في حرّان على عصره.

إذن لم يكن المسعودي يتحدث عن ديانتين، ولا عن شروخ مذهبيّة، كما أن رفض حكماء الطائفة تقديم القرابين والدُّخن، ورفض عبادة الكواكب ما هي في نهاية الأمر إلاّ تحض استنتاجات لتارديو لم يتطرّق المسعودي إليها مطلقاً. فعبادَةُ النُجوم وتقديسها ظاهرة أصيلة في ديانة الحرثانية، والشواهد من داخل نطاق المصادر العربيّة وخارجها كثيرة على ذلك، من ذلك أن أسقف الرُّها إمبريوس قد أصدر منشوراً يأنطال عادة الضرب على النحاس المرافق لحسوف القمر لأنّه طقس وثني يمارسه صابنة حرّان فيه تمجيد للإله سين<sup>38</sup>. وهناك ردّ عنيف من قبل مار يعقوب الرُّهاوي على أحد فلاسفة الحرثانية - للأسف لم يُسمّه - وكان ذلك الفيلسوف يُدافع بشدّة عن القضاء والقدر الصادر عن الكواكب السبعة<sup>39</sup>.

<sup>37</sup> المرجع نفسه، 20 - 21.

<sup>38</sup> الحوري عبد الله الشّبابي: تاريخ الكنيسة الأنطاكية المارونية، بيروت 1900، 1: 29.

<sup>39</sup> كتاب الأيام الستة، مصدر سابق، 45.

ولدينا كذلك عُملة تُعوَد إلى أَحَد ملوك حَرَّان ويُدعى الأَبَجَر أُرْيُو (١٩) يظهر عليها  
ثَلُوث حَرَّان المُقَدَّس: القَمَر والزَّهْرَة والشَّمْس<sup>40</sup>. كما تَنُي أسماء المَوَاضِع بِحَرَّان وَصَوَاحِيهَا  
كَتَرَعُوز (قرية الزهرة «ترعانا»)<sup>41</sup> وسَلَمْسِين (صَنَمُ القَمَر)<sup>42</sup> بِاعْتِقَاد الحِرْنَانِيَّة فِي الكَوَاكِب  
وَالْأَجْرَام السَّمَاوِيَّة، لَيْسَ عَلَى الْمُسْتَوَى الشَّعْبِي فَحَسَبَ كَمَا يَذْهَب تَارْدِيُو؛ بَلْ عَلَى مُسْتَوَى  
النُّخْبَةِ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَالْحُكَّامِ.

كَمَا أَنَّ ثَابِتَ بَنِ قُرَّةَ الَّذِي يَنْتَمِي لَهُذِهِ النُّخْبَةُ نَفَهَسَا - أَغْنَى فِلَاسِيفَةَ صَابِنَةَ حَرَّانَ، وَالتِّي  
يَعْتَقِدُ تَارْدِيُو أَنَّهَا مُبَايَنَةٌ لِلْعَامَّةِ فِي اعْتِقَادَاتِهَا - قَدْ أَفْرَدَ عِدَّةَ رِسَائِلَ حَوْلَ مَا يَصْلُحُ وَمَا لَا  
يَصْلُحُ مِنَ الْقَرَايِينِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَأَنْوَاعِ الدُّخَنِ (الْبُخُورِ) لِلْكَوَاكِبِ، بِحَسَبِ اعْتِقَادَاتِ الْحِرْنَانِيَّةِ،  
كَمَا يَرَوِي الْمَسْعُودِي نَفْسَهُ خَبَرَ اسْتِثْنَانِ ثَابِتُ بَنِ قُرَّةَ لِلْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ - إِيَّانَ مُطَارِدَتِهِ لِحَادِمِهِ  
وَصَيْفِ التُّرْكِيِّ - كَيْ يَذْهَبَ وَيُقَدَّسَ وَيُقَدَّمَ الْقَرَايِينِ بِأَطْلَالِ هَيْكَلِ «اسْقَلَابِيُوس» بِأَنْطَاكِيَّةِ،  
وَالْمَخْصَصِ لِعِبَادَةِ الشَّمْسِ<sup>43</sup>، وَهَذَا وَحْدَهُ كَفِيلٌ بِإثْبَاتِ أَنَّ ثَابِتَ بَنِ قُرَّةَ الْفِيلَسُوفُ لَمْ يَكُنْ  
يُخَالِفُ عَامَّةَ الْحِرْنَانِيَّةِ فِي تَقْدِيرِهِمْ لِلْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ.

وَهُنَاكَ دَلِيلٌ آخَرُ وَرَدَ عَلَى لِسَانِ فخر الدِّين الرَّازِي (ت 606هـ / 1209م) نَقَلَهُ عَلَى  
لِسَانِ ثَابِتِ بَنِ قُرَّةَ أَيْضًا، وَهِيَ رِوَايَةٌ طَوِيلَةٌ مُؤَدَّاهَا أَنَّ الْمُؤَفَّقَ طَلَحَ غَضَبَ عَلَى ثَابِتِ بَنِ قُرَّةَ  
لَأَمْرِ سَعَى فِيهِ يُخَصُّ وَلَدَهُ الْمُعْتَصِدَ، وَهِيَ جَرِيرَةٌ قَالَتْ عَنْهَا ثَابِتُ بَنِ قُرَّةَ نَفْسُهُ أَنَّهَا تَسْتَوْجِبُ

<sup>40</sup> الحمد: صابنة حَرَّانَ وإخوان الصِّفا، 10.

<sup>41</sup> يعتقد أن الرِّبَةَ «الزَّهْرَة» عِنْدَ الْحِرْنَانِيَّةِ هِيَ نَفْسُهَا رِبَةُ الْخَصْبِ وَالتَّهَاءِ السُّورِيَّةِ «اتْرَعَنَا» كَمَا أَنَّهَا هِيَ نَفْسُهَا  
«اللَّات» مَعْبُودَةٌ عَرَبُ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ، وَكَذَلِكَ الْإِتْبَاطُ بِالْبَرَاءِ شِمَالِ الْجِجَازِ، وَالتِّي يَظُنُّ الْمُتَخَصِّصِينَ أَنَّهَا  
تَجَسَّدُ لِلشَّمْسِ، وَلَا يُعْرَفُ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ مَتَى وَكَيْفَ أَصْبَحَتْ «ترعانا» رَمَزًا لِلزَّهْرَةِ بَدَلًا مِنْ  
الشَّمْسِ، وَرَبَّمَا كَانَتْ كَذَلِكَ مُنْذُ الْبَدَأِ كَمَا يُرَجِّحُ إِحْسَانُ عَبَّاسٍ، انظر: - تاريخ دولة الأنباط، عَيَّان 1987،  
128.

<sup>42</sup> عن هذه المَوَاضِعِ الْمُحِيطَةِ بِحَرَّانَ انظر: - ياقوت: مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، 2: 27 - 3: 271.

<sup>43</sup> مَرْوَجُ الذَّهَبِ، 1: 459؛ وَعَنْ هَيْكَلِ اسْقَلَابِيُوسِ انظر: - أَرْسَطُو طَالِيْس: سُرُّ الْأَشْرَارِ الْمَعْرُوفُ بِكِتَابِ  
السِّيَاسَةِ وَالْفَرَاثَةِ فِي تَدْبِيرِ الرِّئَاسَةِ، الْمُنْسُوبُ إِلَى أَرْسَطُو طَالِيْس، نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ يُوحَنَّا بَنِ الْبَطْرِيقِ، طَبْعَةٌ  
حَجَرِيَّةٌ د.م، د.ن، د.ت؛ مُحَمَّدُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحَمْدُ: التَّأثيرُ الْآرَامِيُّ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، دِمَشَق 1999، 16.

القتل، فسأعده رُوح رُحَل التي كانت مُتَّصِلَةٌ به وأيقظته وسأعده على الحرب من رجال الموفَّق، واستترَ إلى حين، وتضرَّع إلى رُحَل ليُصلِّح له قلب الموفَّق - على حدِّ تعبيره - وكيف أنَّ ذلك تعدَّر لأن رُحَل كوكبٍ بارد الطَّبع، بطى الحرَّكة، فلم يزل يُراضي روحانية رُحَل بالقرابين وأشكال الدُّخن فلم يَسْتَجِب، فاستعان بالزَّهرة فأدَّت الغرض المطلوب<sup>44</sup>.

كما نقلَ الثَّعالبي بينين من قصيدة لأبي إسحاق الصَّابي أحسبه يمدِّح فيها الأمير عضد الدولة البُوَيْهي، لها دلالتها على مكانة الكواكب والأجرام السَّماوية في اعتقادات الحرَّانية:

وَالصَّابِثُونَ يَرَوْنَ أَنَّكَ مُفْرَدٌ      فِي الْحُسْنِ إِفْرَارًا لِفِرْدِ مَا جِدَ  
كَالزَّهْرَةِ الزَّهْرَاءِ أَنْتَ لَدَيْهِمْ      مَسْعُودَةٌ بِالْمُسْتَرَى وَعُطَّارِدُ<sup>45</sup>

ومن أهمِّ مظاهر عبادات الحرَّانية الصَّلَاة، وصَلواتهم ثلاث، الأولى عند طلوع الشَّمس، والثَّانية عند زوالها، والثَّالثة عند غروبها، وقيلتهم جهة الجنُوب<sup>46</sup>، ويصلُّون كلَّ يومٍ للكوكب الذي هو ربُّ ذلك اليوم، فالسَّبَّ لِرُحَل (فُرْقُس)، والأحد للشَّمس (إيلْيُوس)، والاثنين للقمر (سِين)، والثلاثاء للمريخ (لَارِيس)، والأربعاء لعُطَّارِد (نَابِق)، والخميس للمُسْتَرَى (بَال)، والجمعة للزَّهرة (بَلْثِي)، والصَّلَاة عندهم لا تكون إلَّا على طهور<sup>47</sup>.

ويؤمن الحرَّانية بأنَّ النَّبي هو البريء من المذمومات في النَّفس، ومن الآفات في الجِسم، وأنَّ في مذاهبهم صلاح للفرد وللعمارة في الأرض، وهم لا يُكذِّبون الأنبياء ولكنهم في الوقت نفسه لا يُوجبون اتِّباعهم، فمن أطاعهم فهو سعيد ناج، وأنَّ من أذرك بعقله ما دعوا إليه فوافقهم فيه وعمل بوصاياهم فهو سعيد أيضًا، وإنَّ لم يتقيَّد بهم، فدعوة الأنبياء حقٌّ، لكنها

<sup>44</sup> الرازي: السَّر المكتوم، 4 - 5.

<sup>45</sup> يتيمة الذَّهر في بحاسن أهل العصر، تحقيق إبراهيم صفرا، القاهرة د.ت، 2: 247.

<sup>46</sup> المسعودي: التَّنبيه والإشراف، 138.

<sup>47</sup> المقدسي: البَدْء والتَّاريخ، 4: 23؛ التَّنديم: الفهرست، 2: 359 - 366؛ البيروني: الآثار الباقية، 206.



ليست الطريق الوحيد للنَّجاة<sup>48</sup>. وعدد الأنبياء الذين دُعُوا إلى الله لا تُحصى كثرة<sup>49</sup>، ولا يرى الحُرانيَّة النبوات عن طريق الوحي - كما تعرفها الأديان السَّابِقة - بل عندهم أنَّ النَّفوس الطَّاهرة التي سَلِمَتْ من أذناس هذا العالم تَتَّحِدُ بها مَوَادُّ عُلُوِّيَّة، وبالتالي فهم يرون ما لا يرى النَّاس<sup>50</sup>.

ومن أنبيائهم ومُعَلِّمهم هِرْمِس<sup>51</sup> وأَعَاذِيْمُون<sup>52</sup>، وفيثاغورس، وبابا الصَّابئ<sup>53</sup>،

<sup>48</sup> ابن قيم الجوزيَّة: أحكام أهل الدِّمة، 2: 239؛ ابن الجوزي: بيان مذاهب الفرق الصَّالَّة، القاهرة 1999، 63.

<sup>49</sup> القُدسي: البدء والتَّاريخ، 4: 24.

<sup>50</sup> القريني: الخطط، 1: 115.

<sup>51</sup> يعتقد الباحثون أنَّ أصل شخصية هِرْمِس الحكيم الذي عُرف باسم «هِرْمِس الهرامسة» أو «هِرْمِس المثلث بالحكمة» *Hermes Trismegiste*، والذي عاش قبل الطوفان، هو هِرْمِس المصري (أوزيريس)، واعتقد علماء المسلمين - نقلًا عن مصادر ذات طبيعة كتابيَّة - أنه هو نفسه أَخْنُوخ النَّبي الوارد ذكره في التَّوراة، أي النَّبي إِدْرِيس عند المسلمين، وأنَّه الذي أخيا تعاليم آدم وشيث، ولا شك أنَّ المعتقدات الهرمسية التي شاعت في العصور الهلنستية هي مصریَّة الأصل، اختلطت فيها بعد بثراث هَلَليني، إلى جانب بعض المؤثرات اليهودية والبارثيَّة-البابليَّة، مرسيا إلیاد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدِّينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دمشق 1987، 2: 322. وارتبط ذكره عند الفرق جميعًا بالعديد من الأساطير، منها أنه كان يجيد 72 لسانًا (لغة)، وأنَّه علَّم النَّاس أصول السِّياسة المدنيَّة، وعيَّن لهم أعيادهم، وبنى الهياكل، وكان أوَّل من درَّس في الكُتب، وقرأ العلوم، وخاط الثَّياب، وأمر بالقرايين والبُخور، وهو أوَّل من عرَّف النَّاس البروج والكواكب ومقادير دوران الفلك، ونَبَّه النَّاس على عجائب صُنْع الله فيها، انظر: القُصَّاصي: عيُون المعارف، 74؛ أبو بكر الدَّوادري: الدُّرة اليتيمة في أخبار الأُمم القديمة، 66؛ ابن قُتيبة: المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة 1981، 20-21؛ ابن رُؤلاق: فضائل مصر وأخبارها وخَواصِّها، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة 1999، 17. وهو بالنسبة لصابئة حرَّان نبيٌّ، وتعرف شريعته بينهم - كما جاء عند القفطي - بالقيِّمة، إخبار العلماء، 2-3؛ ويحاول سيباهي أن يجد صلة ما بين إِخْنُوخ وإدريس وأسطورة «إنش إئرا» [الإنسان الأثيري أو الملاك حرفيًّا بالندائية] على اعتبار أنَّ إِدْرِيس أَرْتَفَعَ إلى السَّماء، وشخصيَّة «إنش إئرا» تُشير إلى ذلك الإنسان السَّابِقي [وسط بين الإنسان والملاك]، سيباهي: أصول الصَّابئة، 140.

<sup>52</sup> أعَاذِيْمُون: هو شيث بن آدم ~~عليه السلام~~، الشَّهرستاني: الملل والنحل، 2: 4، ويقال أنَّ شيث حملت به حواء بعد فجيعة آدم في ولديه هَابِيل وقَابِل، وأنَّ معنى اسمه «هبة الله»، ويرتبط اسم شيث بن آدم عند الحُرانيَّة بالحكمة، وينسبون إليه تعاليمهم عن القُدماء الخمسة وهم الباري، والنفس، والعقل، والمكان، والخلاء. (الوجود والعدم) الشَّهرستاني: نفسه، 2: 45، وعن شيث وحياته انظر: - المسعودي: مروج الذهب، 1: 29-27.

<sup>53</sup> ليس لدينا شيء موثوق عن بابا الحُرَّاني هذا، كُلُّ ما نعرفه عنه مُستمدٌّ من مُجَادِليهِ من كُتَّاب النَّصرانية، وكان أكثرهم يُطلق عليه اسم «نبي حرَّان». مراد كامل؛ محمد حمدي البكري: تاريخ الأدب السُّرياني، 41-42.

وسوار جدُّ أفلاطون لأُمِّه<sup>54</sup>. وهم يأخذون بمحاسن ما عند أهل الشرائع، ولا يؤالون أهل مِلَّةٍ ويُعادون أُخرى، ولا يتعصبون لمِلَّةٍ على مِلَّةٍ، والمِلَّةُ عندهم نَواميس لصالح العالم، فلا معنى لمُحاربة بعضها بعضًا، بل يُؤخذ بمحاسنها وما تُكَمِّلُ به النُفوس، وتتهذَّبُ به الأخلاق<sup>55</sup>.

وهم يحتفظون من التُّراث الإغريقي القديم بنشابه مملكة الآلهة بالبشر، فهم يعتقدون أنَّ هذه النُجوم السبعة التي هي الآلهة ذُكُورٌ وإناث، وأنها تتناكحُ ويتعشَّقُ بعضها بعضًا، وأنها تُنجِسُ وتُسعِدُ<sup>56</sup>. وعلى الأرجح كان الحرثانية يُمارسون عادة إخراج الطَّعام للموتى، تمامًا كالمندائيين<sup>57</sup>، كذلك آمَنَ الحرثانية بنوعٍ من أنواع التَّناسُخ، وانتقال الأرواح في أجساد حَيَّةٍ أُخرى. وقد نقل أبو بكر الرَّايزي عن ثابت بن قُرَّة الصَّابِغ الحرَّاني قوله: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْتَقَلَتْ رُوحُهُ إِلَى نَوْعِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي تُوَافِقُ خُلُقَهُ فِي الْحَيَاةِ»<sup>58</sup>، كما نقل ابن الجوزي عن يَحْيَى بن بَشِيرِ النَّهْاوِنْدِيِّ قوله إِنَّ: «الصَّابِغَةَ الْحَرِثَانِيَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْأَرْوَاحَ الْخَيْرَةَ تَصْعَدُ إِلَى الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ، وَإِلَى الصُّيَاءِ، وَأَنَّ الشَّرِيرَةَ تَنْزِلُ إِلَى أَسْفَلِ الْأَرْضِينَ وَإِلَى الظُّلْمَةِ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ هَذَا الْعَالَمُ لَا يَفْنَى، وَأَنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ فِي التَّنَاسُخِ»<sup>59</sup>.

<sup>54</sup> البيروني: الآثار الباقية، 205؛ ابن وخشيَّة: شوقُ المُستهام، 130؛ ابن كَمُونَةَ الْيَهُودِي: تنقيحُ الأبحاث لليلال الثلاث، تحقيق مُوشِي بِيْرْمَان، منشورات جامعة كاليفورنيا 1967، 21.

<sup>55</sup> ابن قِيَمِ الْجُوزِيَّة: أَحْكَامُ أَهْلِ الذُّمَّة، 2: 241.

<sup>56</sup> النَّدِيم: الْفَهْرِسْتُ، 2: 372.

<sup>57</sup> المصدر نفسه، 2: 370.

<sup>58</sup> محصل أفكار المتقدمين، 92؛ وانظر أيضًا إخوان الصِّفا: رسائل إخوان الصِّفا، القاهرة 1996، 4: 296؛ الشَّهْرَسْتَانِي: الْمِلَلُ وَالنَّحَل، 2: 55.

<sup>59</sup> ابن الجوزي: تَلْبِيسُ إِبْلِيسَ، بيروت 1991، 80؛ المقدسي: الْبَدءُ وَالتَّارِيخُ، 2: 143؛ قَارَنَ ابْنَ الْعَبْرِي الَّذِي يَقُولُ بَأَنَّ أَنْفُسَ الْمَارِقِينَ مِنْهُمْ تَعَذَّبُ عِنْدَ اللَّهِ تِسْعَةَ آلَافِ دُورٍ ثُمَّ تَعُودُ إِلَى بَارْنِهَا، تَارِيخٌ مُخْتَصَرٌ الدُّول، 153.

ويتضح من ذلك مدى تأثير الفيثاغورثية على عقائد الحرانية<sup>60</sup>، فالقول بالتناسخ هو ميراث فيثاغورثي واضح، وإن لم يكن بنفس عمق مؤثرات الأفلاطونية الحديثة، والتي اعتنقها الحرانية على مذهب الفيلسوف الإغريقي بروقلس، والتي شكّلت جوهر عقائد الحرانية لا سيما الميتافيزيقية منها، فعقائدهم حول الباري، ونشأة الكون، ونظرية الفيوضات، واعتقاداتهم في ذات الباري وتكثّره بتكثّر مخلوقاته، توضّح ما للأفلاطونية المُحدثة من تأثير عميق بحق في ديانة الحرانية، هذه العقائد اتّحدت في مزيج فريد مع ميراث حرّان البابلي في عبادة الكواكب والنجوم واعتقاداتهم بتأثيرها على مصائر البشر، لتخرج إلى الوجود ديانة الحرانية ذات الطابع التلفيقي المميّز والفريد، والذي جعلهم في نظر أصحاب الديانات السماوية التوحيدية في منزلة وسط بين التوحيد والوثنية القديمة.

<sup>60</sup> من المعروف أن ثابت بن قرة كان يُجلّ فيثاغورس، ويعتقد في مذهبه الطبائعي، ويُترّفه وأصحابه عن الخطأ واللبس، انظر: - السُّجُستاني: صِوانُ الحكمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، طهران 1974، 301-302. ولعلّ هذا ما جعل لويس ماسينيون على سبيل المثال يدعُو ثابت بن قرة بالفيلسوف الطبائعي، انظر: - آلام الحلاج، ترجمة الحُسين مُصطفى حلاج، دمشق 2004، 193-194، مع ملاحظة أن ماسينيون لم يكن ليُفرّق كثيراً بين صابئة حرّان والنَّبَط القدماء، فهو يدعُو ابن وحشية وتلميذه ابن الزيات بالصابئين.



## الفصل

### الخامس

# 5

## الأوضاع الديموغرافية

«وغمه وأسلافنا - رحمهم  
الله - منذ دهر طويل نقابل  
القضاء والقدر في استبقاء هذه  
الشيلة الضعيفة، والذماء القليل،  
وسبيلنا أن نصبر ونثبت».

أبو إسحاق الصابئ

إنَّ دراسة الأَوْضَاع الدَّيْمُ جِغرافية لطَوَائِف الصَّابِئَةِ أَمْرٌ مُحْفُوفٌ بِمَصَاعِبٍ شَتَّى؛  
فَمِنْ جِهَةٍ تُشَكِّلُ ثَدْرَةَ الوُثَائِقِ إِحْدَى أَهَمِّ تِلْكَ المَصَاعِبِ، فَوُثَائِقُ رَسْمِيَةِ كِصْكُوكِ الجِزْيَةِ وَمَا  
شَبَّاهُ كَانَ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ تُعْطِيَنَا قَدْرًا أَدَقَّ وَأَغْزَرَ مِنَ المَادَّةِ العِلْمِيَّةِ حَوْلَ أَمَّاكِنِ اسْتِقْرَارِ الصَّابِئَةِ  
وَأَعْدَادِهِمْ، بَلْ وَأَوْضَاعِهِم المَعِيشِيَّةَ أَيْضًا. لَكِنْ ضَيَاعُهَا لَا يَتْرُكُ أَمَانًا فِي هَذَا الصَّدَدِ سِوَى  
المَعْلُومَاتِ الَّتِي نَسْتَقِيهَا عَنْهُمْ مِنْ خِلَالِ المَصَادِرِ المُعَاَصِرَةِ، وَالتِّي لَا تَكَادُ تُلْقِي الضَّوْءَ عَلَى  
أَوْضَاعِ سُكَّانِ سَوَادِ العِرَاقِ المَعِيشِيَّةَ وَالحَيَاتِيَّةَ إِلَّا لِيَامًا، وَهِيَ مُشْكَلَةٌ عَامَّةٌ يَتَعَرَّضُ لَهَا البَاحِثُونَ  
فِي أَوْضَاعِ الطَّوَائِفِ وَالْأَقْلِيَّاتِ، كَمَا إِنَّمَا أَبْرَزَ مُعَوَّقاتُ تَقَدُّمِ دِرَاسَاتِ التَّارِيخِ الاجْتِمَاعِي فِي  
المُجْتَمَعَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي العَصُورِ الوُسْطَى.

وبالنسبة للمُتَدَائِنِينَ فَسَوَاءٌ هَاجَرُوا مِنْ فَلَاسْطِينَ إِلَى بِلَادِ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ، حَسْبَمَا  
يَعْتَقِدُ أَنْصَارُ نَظَرِيَّةِ الأَضَلِّ العَرَبِيِّ، أَمْ كَانَتْ بِلَادُ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ هِيَ مَوْطِنُهُمُ الأوَّلُ حَسْبَمَا  
يَعْتَقِدُ البَاحِثُونَ مِنَ القَائِلِينَ نَظَرِيَّةِ الأَضَلِّ الشَّرْقِيِّ؛ فَإِنَّ تِلْكَ المُنْطَقَةَ الوَاسِعَةَ وَالمُتَمَدِّدَةَ مَا بَيْنَ  
وَاسِطِ وَالبَصْرَةِ وَالتِّي أُطْلِقَ عَلَيْهَا الجُغْرَافِيُّونَ المُسْلِمُونَ اصْطِلَاحًا اسْمَ البَطَائِحِ<sup>1</sup> - تِلْكَ  
الجُزُرُ الَّتِي شَكَّلَتْهَا مُنْذُ القِدَمِ البُحَيْرَاتُ العَذْبَةُ وَالرَّوَادِفُ وَالنَّهْرَاتُ المُتَفَرِّعَةُ عَنْ نَهْرِ الفُرَاتِ -  
كَانَتْ هِيَ المَنَاطِقُ الَّتِي اسْتَوَطَنَهَا المُنْدَائِيُّونَ الأوَّيْلُ مُنْذُ عَصُورِ مَا قَبْلَ الفَتْحِ الإِسْلَامِيِّ  
لِلْعِرَاقِ وَحَتَّى يَوْمِنَا هَذَا. فَفِي تِلْكَ البِيئَةِ الزَّرَاعِيَّةِ الخِصْبَةِ وَالعَنِيَّةِ بِمَجَارِي الأَنْهَارِ وَالرَّوَادِفِ  
والمُسْتَنْقَعَاتِ العَذْبَةِ تَبَلُّورَتْ عَقَائِدُ المُنْدَائِيِّينَ المُتَعَلِّقَةُ بِتَقْدِيرِ المَاءِ الجَارِي وَاعْتِبَارِهِ رَمْزًا  
لِلْحَيَاةِ.

<sup>1</sup> البَطَائِحُ (جَمْعُ بَطِيخَةٍ) هِيَ الجُزُرُ الَّتِي تُحِيطُ بِهَا البُحَيْرَاتُ وَالمُسْتَنْقَعَاتُ وَالمِيَاهُ الجَارِيَةُ، وَتَكْتَنِفُهَا غَابَاتُ  
القَصَبِ، وَتُسَمَّى بِالبَطَائِحِ لِأَنَّ المِيَاهَ تَبَطَّحَتْ فِي تِلْكَ الأَرْضِ، أَيْ سَالَتْ وَاتَّسَعَتْ مَجَارِيهَا، يَاقُوت: مُعْجَم  
البُلْدَان، 1: 534-535؛ شَهْرَاب: عَجَائِبُ الأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ، تَحْقِيقُ هَانِزُ فُونْ مَزِيك، فِينَا 1929، 79؛  
البَكْرِي: مُعْجَمُ مَا اسْتُعْجِمَ، تَحْقِيقُ مُصْطَفَى السَّقَا، بِيْرُوت د.ت، 1: 259.

ومنطقة البطائح - جنوبي العراق - عبارة عن جُزر من اليابس تُحيط بها مُستنقعات المياه العذبة التي نتجت عن فيوضات روافد الفُرات، وتكتنفها غابات كثيفة من القصب<sup>2</sup>. أمّا تلك الأراضي المكشوفة والتي لا تنتشر بها غابات القصب فكانت تُسمّى بالأهوار<sup>3</sup>، وتمتدُ منطقة البطائح والأهوار من جنوبي واسط وحتى مدينة البصرة المطلّة على الخليج العربي، وكانت قديمًا تبدأ بغابات كثيفة من القصب يليها هُور كبير يُسمّى بخي<sup>4</sup>، ثم غابات أخرى من القصب، ثم الهور الثاني ويُسمّى بكمهي<sup>5</sup>، وبعده غابات أخرى كثيفة من القصب ثم الهور الثالث ويُسمّى بصريّاتا<sup>6</sup>، تمتدُ من بعده أزقة من القصب الكثيف، ثم الهور الرابع ويُطلق عليه اسم المُحمديّة<sup>7</sup>، وهو أعظم تلك الأهوار وأكبرها من حيث المساحة، ثم غابات كثيفة من القصب تمتدُ حتى فم نهر أبي الأسد على مشارف البصرة<sup>8</sup>.

وكانت بيئة البطائح والأهوار بيئة زراعية بالدرجة الأولى، إذ كانت تضمُ أخصب السهول الفيضية الطينية التي شكّلتها روافد الفُرات. ولما كانت طبيعة تلك الأرض غنيّة بالمياه والمستنقعات؛ فقد جادت بها بعض الزراعات التي تجود في تلك المناطق عادة كالأرز<sup>9</sup> وقصب السكر<sup>10</sup>، كما كان صيد الأسماك وما يتعلّق بها كالتجارة فيها، وصنع الشباك والقوارب من أبرز نشاطات السكّان الاقتصادية. في الوقت نفسه حالت ظروف المنطقة الجغرافية - والتي

<sup>2</sup> الإذريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة د.ت، 1: 292-393.

<sup>3</sup> سهراب: عجائب الأقاليم السبعة، 135.

<sup>4</sup> هُور السعدية الآن.

<sup>5</sup> هُور السنية الآن.

<sup>6</sup> هور العودة الآن.

<sup>7</sup> هُور الحمار الآن.

<sup>8</sup> سهراب: المصدر نفسه، 135.

<sup>9</sup> القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت د.ت، 152.

<sup>10</sup> ابن سعيد المغربي: الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت 1970، 112.

جعلت منها بيئةً شبيهةً مُنزعلة - دون انتشار التيارات المدنيّة بها، إلى الحدّ الذي جعل أحد الجغرافيين يصفُها بأنّها «منطقة قفر من العلوم والآداب»<sup>11</sup>، ولعلّ هذا ما يُفسّر جزئيّاً حفاظها على تراثها البابلّي القديم، ومن ثمّ فإنّ السّفر إلى البطائح والاستقرار بها لم يكن مُحبيّاً لدى النّاس آنذاك، خصوصاً لمن لم يألّفها، فقد انتشرت بها الأوبئة، لا سيّما الحمّى النّاجمة عن انتشار البعوض بتلك البيئة الحارّة الرّطبة<sup>12</sup>.

وظلّت بيئة سّواد العراق - حتى بعد الانتشار الواسع للإسلام في مُختلف أرجاء العراق - بيئةً نبطيّة خالصة، وظلّ اسم النّبط - والذي أطلقه سُكّان المُدن على أهل السّواد بصفةٍ عامّة - لقباً عامّاً وشاملاً يُطلَق على مُختلف فئاتهم وطوائفهم<sup>13</sup>. وذلك رَغم كون السّواد الأعظم من السّكان يدينون بالإسلام إلّا أنّ النبطيّة ظلّت لغة التّعامل اليومي بين الفلاحين من أهل السّواد، وكانت العربيّة تُستخدم بشكلٍ ثانويٍّ في القرى والتّجمعات السّكانيّة خارج نطاق المُدن الكبيرة كواسط والرّضافة وكسّكر والبصرة، وربّما لهذا السّبب كان سُكّان المُدن الكُبرى ممن يتفّاصحون بالعربيّة يتهكّمون على سُكّان البطائح ويصفوّنهم بأنّهم عَفْطِيّون<sup>14</sup>.

وقد تركّزت أكثر أعداد الصّابئة المندائيّين بأماكن مُختلفةٍ من البطائح، فديوان حرّان جويثا على سبيل المثال يتحدّث عن وجود أربع مائة مَسْكَنَة<sup>15</sup> كانت مُنتشرة بأرجاء العراق

<sup>11</sup> القزويني: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

<sup>12</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>13</sup> بدري محمد فهد: المُجتمع العراقي في العصر العبّاسي، مقال منشور ضمن موسوعة حضارة العراق، بغداد 1985، 55.

<sup>14</sup> المقدسي: أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، باعتناء دي غويه، ليدن 1909، 34. والقَفْط هو اللكنة، ويُقال فلان أغْفَط أي يَلْكِن ويَلْعَن في الحديث. الرّغْشري: أساس البلاغة، 1: 666.

<sup>15</sup> المَسْكَنَة هي المندى أو المَعْبَد المندائي.



خلال العصر العبّاسي<sup>16</sup>، وهذا كفيّل بتوضيح كثرة أعداد المندائيّين وانتشارهم الكثيف جنوبي العراق خلال العصر العبّاسي، فإذا افترضنا أنّ كلّ مَشَكَنَة كانت تُدعم روحياً ما بين 10 إلى 20 أسرة مندائيّة - وهو افتراض معقول - في متوسط عدد خمسة أفراد للأسرة الواحدة فإنّنا نكون بإزاء تعداد يتراوح ما بين 20.000 إلى 40.000 مندائيّ انتشروا بأنحاء البطائع المختلفة، وربّما كان التّقدير الأخير - أو قريباً منه - هو الأقرب للواقع في ضوء إشارة النّديم إلى غزارة أعدادهم بنواحي البطائع<sup>17</sup>.

وتُعَدُّ مدينة مَيْسَانَ - وهي مدينة كبيرة تقع في مُتَصف الطّريق بين واسط والبصرة - وكذلك دَسْتُمَيْسَانَ التي تقع إلى الجنوب منها من أكثر الأماكن التي انتشر بها الصّابئة المندائيّون<sup>18</sup>، وكان أكثر سُكَّانها من الشّيعَة، كما تركّزت بها أقلّيّة لا بأس بها من اليهود<sup>19</sup>. فقد نصّ النّديم على ذلك في مَعْرِض ذكره لأصل ماني مؤسّس الدّيانة التي نُسبت إليه، إذ وفقاً للنّديم فقد أمر فتق - والد ماني - بالالتحاق بالمُعْتَسِلَة الذين كانوا يكثرُون بنواحي مَيْسَانَ والإقامة معهم والدّخول في مذهبهم<sup>20</sup>.

ونصّ النّديم لا يُشير إلى أنّ المندائيّين كانوا يُشكّلون طائفة رئيسيّة بنواحي دَسْتُمَيْسَانَ فحسب، بقدر ما يُشير إلى أنّه بالرغم من أنّ المندائيّة كانت ديانة غير تبشيريّة، إلّا أنّ بعض الزّرادشتية المهاجرين من فارس إلى العراق قد اعتنقوها وعاشوا جنباً إلى جنب

<sup>16</sup> E. S. DROWER: *Harran Gawaita*, p 10.

<sup>17</sup> الفهرست، 2: 411. وكان يقول سيوفي قد قدر أعداد المندائيين بالعراق عام 1887 بنحو أربعة آلاف

نسمة فحسب، انظر: - M. N, SIOUFFI: *Etudes sur la religion des soubbas ou subéens leurs dogmes*,

*leurs moeurs*, paris 1880, p 158.

<sup>18</sup> E. YAMAUCHI: *Jewish Gnosticism. The prologue of John Mandaean parallels*, in: *Studies in*

*Gnosticism and Hellenistic religions*, presented to Gilles Quispel, Leiden 1981, p 475.

<sup>19</sup> ياقوت الحموي: مُعْجَم الْبِلْدَان، 5: 280؛ بنيامين التّطيلي: رحلة بنيامين التّطيلي، ترجمها عن العبريّة عزرا حدّاد، بيروت 1996، 150.

<sup>20</sup> الفهرست، 2: 379-380.

بجوار المندائيين حتى ذابوا فيهم بشكل تام<sup>21</sup>، ولعل هذا هو السبب في وجود بعض المؤثرات الزرادشتية والتي يمكن تمييزها بسهولة في المندائية، كالاعتقاد بثنائية قوى النور والظلام.

انتشر المندائيون أيضًا بأعداد متفاوتة باماكن مختلفة في قلب منطقة البطائح، إذ يتحدث النديم عن ذلك قائلاً<sup>22</sup>: «المغتسلة: هؤلاء القوم كثيرون بنواحي البطائح، وهم صابئة البطائح يقولون بالاغتسال، ويغسلون جميع ما يأكلونه».

كما انتشر الصابئة المندائيون بأعداد كبيرة بمدينة الطيب ونواحيها، وهي مدينة كبيرة بين واسط وخوزستان، ولم يُحقّق بعد موقعها إلى الآن<sup>23</sup>. لكننا نعرف أن معظم أهلها كانوا من النبط الذين أسلموا، وحتى عصر ياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1228م) فإن أعدادا لا بأس بها من سكّانها كانوا من الصابئة المندائيين<sup>24</sup>.

وبتلک المدينة هذه دون أحد الكهنة المندائيين الديوان المعروف بـ«القليستا» أو الصلوات الكهنوتية *The Canonical Pray Book*. ومن خلال خاتمته نعرف أن العرب المسلمين الفاتحين قد تعرّفوا إلى المندائيين للمرة الأولى بتلك المدينة، فقبلوا منهم الجزية وأقروهم على ديانتهم<sup>25</sup>، فقد جاء في خاتمة النسخ لهذا الديوان ما ترجمته السيدة دراور من المندائية إلى الإنجليزية<sup>26</sup>: -

<sup>21</sup> G. WIDENGREN: *Manichaeism and its Iranian background*, in: *The Cambridge history of Iran*,

Cambridge University Press, 2<sup>nd</sup> edition, Cambridge university press, 1986, pp 965-966.

<sup>22</sup> الفهرست، 2: 411؛ قارن أيضا: - المسعودي: مروج الذهب، 1: 169.

<sup>23</sup> رُبما تقع إلى الشرق من مدينة العمارة بالعراق، وهناك شك في أنها ربما تقع داخل الحدود الإيرانية طالما أنها وُصفت بأنها كانت تقع في منتصف الطريق بين واسط وخوزستان، وسيباهي يُعرب عن تفاوله إزاء اكتشاف موقع هذه المدينة يومًا ما، ويتوقع أن تُسفر الحفريات بها عن مزيد من المعلومات التي من شأنها أن تُعطي اللّثام عن كثير من الأحاجي حول تاريخ وعقائد المندائيين. انظر: أصول الصابئة، 216.

<sup>24</sup> مُعجم البلدان، 4: 60.

<sup>25</sup> E. S. DROWER: *Harran Gawāta*, p 16.

<sup>26</sup> E. S. DROWER: *The Canonical Praybook*, p 71.

«and RAMUJA son of QAIMAT said: «I worte this  
Diwan in the town of Tib in the years when ANUS  
sun of DANQA departed with the heads of the people  
in the years when the Arabs advanced».

«وَقَالَ رَامُوجَا بْنُ قَابَاتٍ: كَتَبْتُ هَذَا الدِّيَّوَانَ فِي مَدِينَةِ  
الطَّيِّبِ فِي السَّنَاتِ الَّتِي ذَهَبَ فِيهَا أَنْشُ بْنُ دُنْقَا وَبَصُحْبَتِهِ  
رُؤَسَاءُ الْقَوْمِ فِي السَّنَاتِ الَّتِي تَقَدَّمَ فِيهَا الْعَرَبُ».

كذلك تركزت جموع من الصّابئة المندائيين بالبِقَاعِ المُحِيطَةِ بَيْنَ نَهْرِيٍّ مَغْفَلٍ  
وَالْأُبْلَةِ<sup>27</sup>. كما تحدّث البيروني عن أَمَاكِينٍ تَمَرَّكُزُ الْمَنْدَائِيِّينَ قُرْبَ كَسْكَرٍ<sup>28</sup> وَالْقُرَى الْمُحِيطَةِ بِهَا  
حَوْلَ مَدِينَةِ وَاِسْطٍ بِقَوْلِهِ<sup>29</sup>: «وَقَدْ يُوجَدُ أَكْثَرُهُمْ بِوَاِسْطٍ وَسَوَادِ الْعِرَاقِ بِنَاحِيَةِ جَعْفَرٍ  
وَالْمَخَامَةِ وَنَهْرِيٍّ الصَّلَةِ<sup>30</sup>».

ويُشير الحطّيب البغدادي عبر ترجمته للزّاهد مَعْرُوف الكَرْخِي (ت 200هـ / 815م)  
إِلَى انْتِشَارِ الصّابئة المندائيين بِمَنْطَقَةِ نَهْرَبَانَ مِنْ أَعْمَالِ وَاِسْطٍ<sup>31</sup>. كما تُشير رسائل أبي إسحاق

<sup>27</sup> الجُمَيْرِي: الرُّوضُ الْمُعْطَارُ، 8، بدري محمد فهد: المُجْتَمَعُ الْعِرَاقِي، 57.

<sup>28</sup> كَسْكَرُ مَدِينَةٍ بَيْنَ وَاِسْطٍ وَالبَصْرَةِ عَلَى طَرَفِ الْبَطَانِحِ. تَقَعُ إِلَى الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ وَاِسْطٍ، اِسْتُثْهَرَتْ بِزِرَاعَةِ  
الْأُرْزِ الْجَيِّدِ. الْقَزْوِينِي: آثَارُ الْبِلَادِ، 466.

<sup>29</sup> الْبَيْرُونِي: الْقَانُونُ الْمُسْعُودِي، 1: 267.

<sup>30</sup> نَهْرُ الصَّلَةِ: نَهْرٌ يَنْبُعُ مِنْ وَجْهَةِ قُرْبِ كَسْكَرٍ وَيَسْتَمِرُّ فِي جَرَيَانِهِ حَتَّى يَصُبَّ بِالْأُبْلَةِ قُرْبَ الْبَصْرَةِ، وَيُقَالُ إِنَّ  
الْخَلِيفَةَ الْمُهَدِّيَّ هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِحِفْرِهِ، وَجَعَلَ الْمُتَحَصِّلَ مِنْ خَرَايجِهِ لِنَفَقَةِ وَعِيَارَةِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، انْظُرْ:-  
يَاقُوتُ الْحَمَوِي: مُعْجَمُ الْبِلَادِ، 5: 371.

<sup>31</sup> الْحَطِيبُ الْبَغْدَادِي: تَارِيخُ بَغْدَادٍ، تَحْقِيقُ بَشَّارِ عَوَّادٍ مَعْرُوفٍ، بَيْرُوتَ 2001، 15: 264-265؛ قَارَنَ  
أَيْضًا:- ابْنُ الْجَوْزِيِّ: مَنَاقِبُ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ وَأَخْبَارُهُ، تَحْقِيقُ صَادِقِ مُحَمَّدٍ الْجَمِيلِيِّ، مَجْلَدُ الْمَوْرَدِ الْعِرَاقِيَّةِ،  
ع 4، مَج 9، بَغْدَادُ 1980، 617.

الصَّابِي إلى أَنَّ بعضَ المَندائِيِّينَ الذينَ كانوا يعملُونَ بصيدِ السَّمَكِ على نَهرٍ يُسمَّى بُريه<sup>32</sup> استشفَّعُوا به - وهو إذْ ذاكَ رَهْنُ الاِعتِقَالِ - عندما أَمَرَ مُتَوَلِّي بيتِ المالِ أَبِي الحَسَنِ بنَ شاذَّانَ بأنْ تُجَمَعَ مِنْهُمُ ضَرِيبةٌ على صَيْدِ السَّمَكِ مِنَ النَّهْرِ، فأرسلَ أَبُو إِسْحاقَ لَهُ لافِتًا نَظَرَهُ بأنَّه لَمْ تُجَرَّ سَابِقَةٌ في عَصُورِ الخُلَفَاءِ بأنَّ لَبِيَّتِ المالِ حَقُوقًا في الصَّيْدِ مِنَ النَّهْرِ، ويَلْتَمِسُ مِنْهُ رَفْعَ الظُّلْمِ عَنِ القَوْمِ<sup>33</sup>.

وَمِنَ المَدَّهِشِ أَنَّ لَدِينَا أَيْضًا ما يُشيرُ إلى وَجُودِ جَالِيَّةٍ مِنَ الصَّابَةِ المَندائِيِّينَ ببغدادِ نَفْسِها، فَغَرَسَ النُّعْمَةُ بنَ هِلالِ بنِ الصَّابِي يَنْقُلُ بعضَ الرِّوايَاتِ الَّتِي ضَمَّنَها كِتابُهُ المَهَقَّواتِ النَّادِرَةَ عَنِ شَخْصٍ يُدعى أَبَا سَعْدٍ مُحَمَّدَ بنِ عَلِيِّ المَاندائِيِّ<sup>34</sup>، وَأشارَ إلى أَنَّهُ كانَ يَسْكُنُ بِمَحَلَّةِ نَهرِ طابِقِ<sup>35</sup> غَربيِ بَغدادَ، إِضافةً إلى ذلِكَ فَإِنَّ وَجُودَ العَديدِ مِنَ الأَشْخاصِ الَّذِينَ حَمَلُوا لِقَبِ «المَندائي» أو «المَاندائي» مِنَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا وَتَرَكُوا سُكْنى قُرى واسِطَ وَرَحَلُوا إلى بَغدادَ كَمَعْرُوفِ الكَرخِيِّ، وَأَبِي الفَتْحِ مُحَمَّدَ بنِ أَحْمَدَ المَندائِيِّ الواسِطِيِّ<sup>36</sup>. وَأَبِي العَبَّاسِ المَاندائِيِّ، وَكانَ أَحَدُ المَندائِيِّينَ مِنَ الَّذِينَ أَشْهَرُوا إِسلامَهُمْ<sup>37</sup>، وَهُناكَ أَيْضًا أَحَدُ الفُقَهاءِ المُسْلِمِينَ مِنَ ذَوِي الأُصولِ المَندائِيَّةِ وَهُوَ أَحْمَدُ بنُ بُخْتِيارِ المَندائِيِّ الواسِطِيِّ<sup>38</sup>.

وَقَدْ لَفَّتَتْ هَذِهِ النُّسْبَةُ العَرَبِيَّةُ - أعني المَندائي - أَنْظارَ عُلَماءِ المُسْلِمِينَ، يَشْهَدُ بِذلِكَ

<sup>32</sup> نَهر بُريه نُجَيرٌ صَغيرٌ بالبَصْرةِ يَقطَعُها مِنَ جَهةِ الشَّرْقِ مِنَ دِجْلَةٍ، يَأْخُذُ الحُمُوي، مَعْجَمُ البُلدان، 1: 484.

<sup>33</sup> رِسائِلُ الصَّابِي، نُسخةٌ مَكْتَبَةُ جَامِعَةِ لَيْدِنَ، وَرَقَةٌ 77و-77ظ.

<sup>34</sup> كَذَا وَرَدَ رِسامُها بِالمَهَقَّواتِ النَّادِرَةِ.

<sup>35</sup> غَرَسَ النُّعْمَةُ بنَ هِلالِ الصَّابِي: المَهَقَّواتِ النَّادِرَةِ، تَحْقِيقُ صالِحِ الأَشْتر، دِمَشقُ 1967، 60. وَنَهرِ طابِقِ

إِحدى عَمَلاتِ (أَحْياء) بَغدادَ غَربَ دِجْلَةٍ، كَي لِيسترنج: بَغدادُ في عَهْدِ الخِلافةِ العَباسِيَّةِ، تَرْجَمَةُ بِشِيرِ يوسُفِ

فَرَنْسِيْس، بَغدادُ 1936، 79-81.

<sup>36</sup> المِزِّي: تَهذِيبُ الكَمالِ، تَحْقِيقُ بِشارِ عِوادَ مَعروفَ، بَيرُوتُ 1980، 5: 16.

<sup>37</sup> ابنُ الجَوَزي: المِنتَظَمُ، 18: 83.

<sup>38</sup> الذَّهَبِيُّ: تارِخُ الإِسلامِ، 43: 187.

هذا الحوار القصير الذي دار بين الفقيه مُحَمَّد بن أحمد بن بُخْتِيار المندائي وبين مجموعة من مُريديه وتلاميذه، يقول الذهبي<sup>39</sup>: «وُسئِلَ عن معنى الماندائي فقال: كان أجدادي قوماً من العجم تأخّر إسلامهم فُسُمُوا بذلك». وتُلاحظ كيف راوَعَ أحمد بن بُخْتِيار وابتعدَ عن الحقوض في الدلالة الدينية للقب المندائي حتى لا يُشوّش على اللقب الذي عرف به المسلمون قومه وهو «الصّابئة»، ومن ثمّ لا يُؤثّر على وضع بني جلدته كأهل ذمّة.

وربّما كان بالقرب من مقابر الشونيزيّة غربيّ بغداد تواجد لبعض المندائيّين، وبصفة خاصّة على ضفاف نهر كَرخايا<sup>40</sup>. فعلى الأقل كانت هناك مقابر لهم بتلك البقعة، فقد نصّ الشّريف الرّضي على أنّ أبا إسحاق قد دُفِنَ بأرض الجُنيّة قرب الشونيزيّة<sup>41</sup>، على مقربة من نهر كَرخايا<sup>42</sup>، ولَمَّا كان أبو إسحاق الصّابي قد دُفِنَ على الشّعائر الدّينية المندائيّة<sup>43</sup>، فإن وجود الجبّانة إلى جانب وجود رجال الدين المندائيّين الذين قاموا بشعائر الدفن يُشير على الأرجح إلى تواجد للمندائيّين شرقيّ بغداد.

أمّا بالنسبة للصّابئة الحرّثانيّة فقد تركّزوا بمدينة حرّان نفسها، حيث شكّلوا أغلبيّة السّكان بها<sup>44</sup>، لكن عوامل طبيعيّة وسياسيّة لعبت دورها في قلب الموازين الدّيموجرافيّة

<sup>39</sup> الذهبي: المصدر نفسه، 43: 188.

<sup>40</sup> نهر كَرخايا: نهر ينبع من الفُرات ويشقّ حيّ الكرخ شرقيّ بغداد، ليسترنج: المرجع نفسه، 58.

<sup>41</sup> الشونيزيّة: مقبرة كبيرة ببغداد بالجانب الغربي من بغداد، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3: 424.

<sup>42</sup> الشّريف الرضي: رسائل الصّابي والشّريف الرّضي، تحقيق مُحمّد يوسف نجم، الكويت 1961، 56؛ قارن أيضاً الصّفدي: الوافي بالوفيات، باعثناء أحمد الأرناؤوط؛ تركي مصطفى، بيروت 2000، 6: 103؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت د.ت، 4: 169.

<sup>43</sup> تفصيلاً انظر الفصل التاسع.

<sup>44</sup> المقدسي: أحسن التقاسيم، 42؛ MICHAEL G. MORONY: *Iraq After the Muslim Conquest*, Georgia

2005, p 409.

بالمدينة لصالح المسلمين والنصارى السريان، فمن ناحية ساهمت نكباتهم المتتابعة خلال عصر الرّشيد على خلفيّة قضية الرّأس - والتي ستعرض لتفاصيلها لاحقاً<sup>45</sup> - إلى إعلان بعضهم للإسلام، في حين اعتنق بعضهم النّصرانيّة وربّما اليهوديّة أيضًا على سبيل التّقيّة<sup>46</sup>. وتكرّر ذلك مرة ثانية على يد المأمون - كما سيأتي أيضًا<sup>47</sup> - فأعلنت عائلاتُ بأَكْمَلِها من الصّابئة الحرّانيّة إسلامها خوفًا من تهديد الخليفة، في حين هرب من المدينة عددٌ آخر فرارًا بدينه<sup>48</sup>. كما ساهمت الطّبيعة أيضًا في خروج عددٍ كبير من الحرّانيّة من حرّان، تمثّل هذا في السيول القويّة التي ضربت المدينة عام 226هـ/840م وأدّت إلى تصدّع أسوارها وإلحاق أضرارٍ جسيمة بمبانيها<sup>49</sup>.

أقامت جالياتٌ مُتفاوتة في العدد من الحرّانيّة بالمدن والقرى المجاورة لحرّان وعلى رأسها «تُرْعَوْز» وهي قرية كبيرة بالقرب من حرّان، وكان الحرّانيّة يُمثّلون غالبية سكّانها، وكان لهم بها هيكلُ الزّهرة، ويقول ياقوت أنّ معنى «تُرْعَوْز» بلغة الصّابئة هو بابُ الزّهرة<sup>50</sup>. كما كانت «سَلْمُسِين» أو «صَلْمُسِين» والتي تعني بالسّريانية «صَنَم القمر»، وهي قرية قريبة من حرّان كان أغلب سكّانها من الحرّانيّة، وكان بها هيكلٌ صغير لإله القمر يسين، ومنه اتّخذت اسمها<sup>51</sup>.

كذلك تَمَرَّكَت أعدادٌ كبيرة من الحرّانيّة بقرية دير كاذبي على مقربة من حرّان أيضًا،

<sup>45</sup> انظر الفصل السادس

<sup>46</sup> ماري بن سُلَيان: أخبار بطارقة كُرْسِي المشرق، 75.

<sup>47</sup> انظر الفصل السادس

<sup>48</sup> التّديم: الفهرست، 2: 361-363.

<sup>49</sup> ابن العبري: تاريخ الرّمان، 34.

<sup>50</sup> ياقوت الحموي: مُعْجَم البلدان، 2: 27.

<sup>51</sup> ياقوت الحموي: المصدر نفسه، نفس الجزء، نفس الصفحة.

وكان الحرانية يخرجون إليها في شهر نيسان (أبريل) للاحتفال بعيد صنم الماء<sup>52</sup>، كما كانت هناك جالية من الحرانية تعيش بكفر ثوثا<sup>53</sup>، وكانت كفر ثوثا هي المدينة نفسها التي هاجر إليها ثابت بن قرة إبان خروجه هجرته من حرّان. وهناك عدد آخر من الحرانية استوطن قرية تُدعى بَتّان، وهي من أعمال حرّان، ويُنسب إليها الفلكي الحراني الشهير أبو عبد الله مُحَمَّد بن جَابِر بن سِنَان البَتّاني<sup>54</sup>، كما كان بالرُّها - ذات الأغلبية النصرانية - جالية لا بأس بها من الصّابئة الحرانية<sup>55</sup>.

ومن حرّان هاجرت أيضًا أعدادٌ غفيرة من الحرانية إلى الرّقة<sup>56</sup> حتى شكّلوا بها جالية كبيرة العدد، وحول الرّقة انتشرت جالياتٌ متفاوتة من الحرانية بسائر مُدن وقرى ديار مُصّر<sup>57</sup>. وقد شكّل الحرانية المهاجرون إلى الرّقة ومُدن وقرى ديار مُصّر طلائع المهاجرين إلى بغداد، وعلى الأخص آل زهرون الصّابئ، والذين هاجروا من حرّان إلى الرّقة أولاً، ثم من الرّقة إلى بغداد في نهاية المطاف. وليس ممّا بين أيدينا ما قد يُعيننا على تحقيق تاريخ خروج آل زهرون من حرّان إلى الرّقة.

لكنّ هناك بعض الإشارات التي قد تكون مُفيدة في تحقيق تاريخ هجرتهم الثانية من الرّقة إلى بغداد، من ذلك إشارة القفطيّ إلى أنّ أبا الحسن الحرّاني قد وُلد بالرّقة سنة

<sup>52</sup> النّديم: الفهرست، 2: 373؛ إخوان الصّفا: رسائل إخوان الصّفا، 4: 306. وعن عيد صنم الماء عند الحرانية انظر الفصل التاسع.

<sup>53</sup> ابن خَلِّكان: وفيات الأعيان، 1: 314.

<sup>54</sup> ابن خَلِّكان: وفيات الأعيان، 5: 164؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، 2: 397.

<sup>55</sup> المقدسي: أحسن التقاسيم، 142.

<sup>56</sup> الرّقة قصبة ديار مُصّر على الفُرات، تقع إلى الشّرق من حرّان. المقدسي: أحسن التقاسيم، 141.

<sup>57</sup> رسائل الصّابئ، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقات 212 و - 213 و.

283هـ/896م<sup>58</sup>. ولما كُنَّا نعرف أنَّ ابن أخيه أبي إسحاق الصَّابِئ قد ولد ببغداد عام 313هـ/925م<sup>59</sup> فإنَّنا نستطيعُ القول بأن هجرة آل زهرون من الرِّقَّة إلى بغداد تَمَّت ما بين العقد الأخير من القرن الثالث الهجري/التَّاسع الميلادي والعقد الأوَّل من القرن الرَّابِع الهجري/العاشر الميلادي.

وكَيْفَمَا كان الأمرُ فلم يَكُنْ آل قُرَّة ولا آل زهرون طليعةَ المهاجرين الحِرنانيَّة إلى قلب العراق، فهُنَاكَ دلائلٌ تُشير إلى تواجد الحِرنانيَّة بالعراق مُنذ وقتٍ مُبَكَّر جدًّا، فقد تواجدت في البَصْرة جاليةٌ من الحِرنانيَّة مُنذ عصر الخليفة أبي جعفر المنصور على الأقل، فالصَّفدي يسوق عرضًا في ترجمة حماد عَجْرَد الشَّاعر (ت155هـ/771م) الحديث عن شاعرٍ حِرنانيٍّ كان مُقيمًا بالبَصْرة ويُدعى رُوح بن سنان الحِرناني الصَّابِئ<sup>60</sup>. ما يُشير إلى وجود الصَّابئة الحِرنانيَّة بالبَصْرة بأقصى جنوب العراق مُنذ مُتَّصَف القرن الثاني الهجري/الثَّامن الميلادي على الأقل.

وعلى أيِّ حالٍ فقد كانت هجرات العلماء الحِرنانيَّة من حِرنان والرِّقَّة إلى بغداد استجابةً للظُّروف والتَّغيرات التي شَهدتها الحياة الثقافيَّة مُنذ بدايات القرن الثالث الهجري/التَّاسع الميلادي، فقد أَضحت بغداد أَحد أكبر مراكز إحياء التُّراث الهلِّليني والسُّرياني، فقد ترتَّب على إنشاء بيت الحكمة في عصر المأمون أن صارت بغداد مقصد العلماء من كُلِّ حَدْبٍ وَصَوْب، وكان العلماء من الحِرنانيَّة يُمَيِّزون عن غيرهم بأنَّهم كانوا على اطلاع عميق بالتُّراثين اليُوناني والسُّرياني، وخاصَّة فيما يتعلَّق بعلوم الفلك والطب والفلسفة، هذا إلى جانب معرفتهم المُمتازة بالسُّريانيَّة واليُونانيَّة والعربيَّة، ومن هؤلاء المهاجرين من العلماء الحِرنانيَّة العالم الفلكي الشَّهير أبو عبد الله مُحَمَّد بن جابر بن سنان البِتَّاني الحِرناني (ت317هـ/929م) وكان قد هاجر من حِرنان إلى الرِّقَّة، ثم تَرَكَها وقَدِم إلى بغداد وخدم الخليفة المُكْتَفِي، وكان مُعلِّمًا لولده جَعْفَر بن المُكْتَفِي<sup>61</sup>.

<sup>58</sup> القَفْطِي: إخبارُ العلماء، 80؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأتباء، 311.

<sup>59</sup> ياقوت الحموي: مُعْجَم الأَدَباء، 1: 131.

<sup>60</sup> الصَّفدي: الوافي بالوفيات، 13: 89.

<sup>61</sup> القَفْطِي: إخبارُ العلماء، 184-185.



كما لعب الاضطهاد الديني الذي مارسه الكهنة الحرنائية بحرّان في حقّ مُناوئهم في العقيدة دورًا كبيرًا في ترك مُعظم هؤلاء المُناوئين لِمَسْقُط رأسه والالتجاء إلى مَا حَوْلَهَا، وكان من أبرز هؤلاء المُارقين عن المؤسسة الدينية الرّسميّة للحرنائيّة ثابت بن قُرّة الذي كان صَيرفيًا ميسُور الحال بحرّان واختلف مع المرجعيّة الدينيّة للطائفة حول بعض أمور الدّين<sup>62</sup>، كان الحرنانية أيضًا مُعتادين على السّفر إلى جُوف العراق خاصّة إلى مدينة سامراء<sup>63</sup>، وربّما كان هذا في حدّ ذاته مُؤثّرًا على وجود جالية بها من الحرنائيّة بها يعملون بالتّجارة والصّيرفة وما شابه.

وفي أخريات العصر البُويهيّ، وكتّيجة للأوضاع المتردية للطائفة عقب وفاة أبي إسحاق الصّائب، وإسلام حفيده هلال بن المُحسن الصّائب في مطلع القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي نجد أنّ بعض آل قُرّة قد ترك بغداد وهاجر إلى قُرَى بابل النّائية واستقرّ بها، كحسّ بن فرج بن عليّ بن دُواد بن يَسنان بن ثابت بن قُرّة، والذي هاجر واستقر بنو قان كما نفهم ذلك بجلاء من خلال خاتمة *Colophon* مخطوط شُوق المُستهام لابن وحشيّة النّبطي<sup>64</sup>.

كما كانت قد نَزَحَتْ أعدادٌ كبيرةٌ من الحرنائيّة من حرّان إلى مُختلف أنحاء العراق والشّام عقب سُقوط المدينة في أيدي بني نُمير عام 422هـ/ 1030م، ثم خرابها بشكلٍ نهائيّ وتسويتها بالأرض على أيدي جحافل المغول بقيادة هُولاكُو عام 657هـ/ 1258م، وقد استقرّ بعض هؤلاء المهاجرين الحرنائيّة بدمشق وظلّوا بها حتى سُقوطها في يدي سُلطان المغول غازان خان<sup>65</sup>.

<sup>62</sup> ابن خَلِّكان: وفياتُ الأعيان، 1: 313-315.

<sup>63</sup> صِوان الحِكْمة، 300.

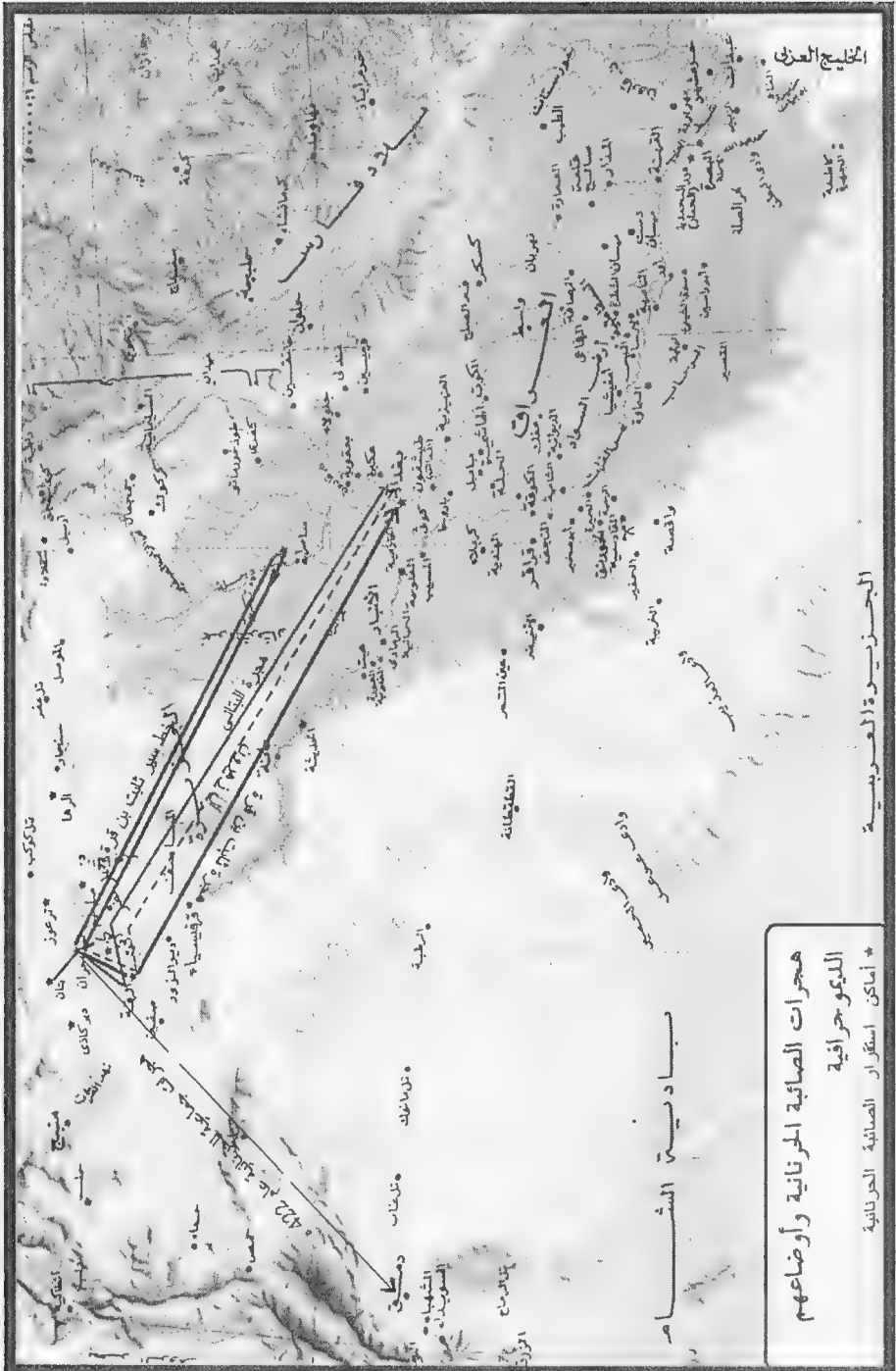
<sup>64</sup> نُسخة مكتبة ميُونخ، Cod. Ara 789، ورقة 77ظ.

<sup>65</sup> تفصيلًا انظر الفصل الثامن.

فرغ من كتابه الف نسخة المتعبد بن المصطفى  
 للملك حسن بن خروج بن علي بن دلوود بن منان  
 بن ثابت بن قسح الحارثي البابلجي المتوفى يوم الثلاثاء  
 المبارك شوال شهر ربيع الآخر سنة ٤١٣ الهجرية وبلغ  
 عشرين وقد تم الف نسخة المتعبد هذه الف نسخة  
 عن شيخها يوم رعد المبارك ثاني شهر محرم ٦٦٦ الهجرية  
 سنة ستين وماية وكفى ولحق نقلت هذه عن  
 ثلث يوم الجمعة المبارك عاشوراء ذي الحجة ٦٦٦ الهجرية  
 سنة ستين وماية وكفى

خاتمة مخطوط شوق المشتهام لابن وحشية، نسخة مكتبة ميونخ





هجرات الصائبة الحرثانية وأوضاعهم  
الديكور حراقية  
\* أماكن استقرار الصائبة الحرثانية

## الفصل

### السادس



## الصابئة من ظهور الإسلام

### وحتى نهاية عصر المأمون

«وقد ينبغي يا أيها المؤمنون - أيّدك الله - أن تتقدّم في الرّكن بأهل ذمّة نبيّك وأبيه عنك محمد ﷺ، والتقدّم لهم؛ حتّى لا يظلموا ولا يؤذوا، ولا يكلّفوا فروع طاعتهم. ولا يؤخذ شيءٌ من أموالهم إلاّ من بحسب علمهم. فقد روي عنه رسول الله ﷺ أنّه قال: «مَن ظلم مَعاوِدًا أو كلفه فروع طاعته فانا حَمِيْجُهُ».

من وصايا القاضي أبي يوسف يعقوب الرشيد

عقب مَوْقِعَةِ الْقَادِسِيَّةِ 15هـ/ 636م توغَّلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي أَرَاظِي السَّوَادِ بِالْعِرَاقِ مِنْ دُونِ عَائِقٍ يُذَكَّرُ، وَمَعَ اقْتِرَابِهِ مِنْ مَدِينَةِ الطَّيِّبِ خَرَجَ إِلَيْهِ وَفَدَّ مِنَ الصَّابَةِ الْمَنْدَائِيِّينَ بِزُعَامَةِ رَجُلٍ دِينَ مَنْدَائِي يُقَالُ لَهُ «أَنْشُ بْنُ دُنْقَا» اضْطَحَبَ مَعَهُ نَفَرًا مِنْ زُعَمَاءِ الْمَنْدَائِيِّينَ؛ رَحَّبُوا بِالْأَمِيرِ، وَحَلُّوا إِلَيْهِ نُسخَةَ مِنْ كِتَابِهِمْ «الْكَتَرُ رُبَّا»، فَرَحَّبَ بِهِمُ الْأَمِيرُ، وَأَقْرَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَأَمَّنَهُمْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَذَرَائِعِهِمْ، مُقَابِلَ أَدَائِهِمْ لِلْجِزْيَةِ أَسْوَةً بِأَهْلِ الْكِتَابِ<sup>1</sup>.

بُعِيدَ ذَلِكَ - وَبِالتَّحْدِيدِ عام 18هـ/ 639م - وَقَفَ الْقَائِدُ عِيَاضُ بْنُ غَنَمٍ الْفَهْرِيُّ تَحْتَ أَسْوَارِ حِرَّانَ، طَالِبًا مِنْ أَهْلِهَا التَّسْلِيمَ مُقَابِلَ الْأَمَانِ، وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلٍ خَرَجَ إِلَيْهِ وَفَدَّ مِنْ رُؤَسَاءِ الْحَرَنَانِيَّةِ، طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَبْعَثَ بِجُيُوشِهِ إِلَى الرَّهَّا، فَمَا صَالَحَهُ عَلَيْهِ نَصَارَى الرَّهَّا أَقْرَهُ الْحَرَنَانِيَّةَ أَيْضًا. فَوَافَقَ الْأَمِيرُ، وَوَجَّهَ بَعُوثَهُ إِلَى الرَّهَّا؛ فَسَلَّمَتْ لَهُ، وَصَالَحَتْهُ عَلَى الْجِزْيَةِ، فَفَتَحَ الْحَرَنَانِيَّةَ أَبْوَابَ مَدِينَتِهِمْ لِلْقَائِدِ عِيَاضَ، وَصَالَحُوهُ عَلَى الشَّرُوطِ نَفْسِهَا الَّتِي صَالَحَهُ عَلَيْهَا نَصَارَى الرَّهَّا<sup>2</sup>.

إِذَنْ فَكِلْتَا الْفِرْقَتَيْنِ - الْمَنْدَائِيَّةِ وَالْحَرَنَانِيَّةِ - تَمَتَّعَتَا بِوَضْعِيَّةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنْذَ عَصْرِ الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، إِذْ قُبِلَتْ مِنْهَا الْجِزْيَةُ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْآيَةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي نَزَلَتْ لِنَتْظِيمِ شُئُونِ الْجِزْيَةِ لَمْ تُثَرِ إِلَّا بِقَبُولِهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ (الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: - «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ» [التوبة 29]. إِلَّا أَنَّ الْخَلِيفَةَ الثَّانِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ؓ اسْتَنْزَسَ النَّبِيَّ ﷺ فِي جَوَازِ اخْتِاقِ الْعَجَمِ - مِمَّنْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ - بِأَهْلِ الْكِتَابِ فِي قَبُولِ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ، وَإِقْرَارِهِمْ عَلَى دِينِهِمْ، فَقَدْ قَبِلَ النَّبِيُّ ﷺ الْجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ<sup>3</sup> قَائِلًا لِأَصْحَابِهِ «سُئِلُوا بِهَمْ سُنَّةُ أَهْلِ الْكِتَابِ»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> DROWER: *The canonical praybook of the Mandaeans*, p 71.

<sup>2</sup> الْبَلَّاذُورِيُّ: الْبُلْدَانُ وَفَتْوحُهَا وَأَحْكَامُهَا، 205 - 206.

<sup>3</sup> هَجَرَ؛ قِصَّةُ الْبَحْرَيْنِ، فَتَحَتْ صَلُحًا عَلَى عِضْرِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى يَدِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضَرَمِيِّ، إِذَا سَنَةِ 8هـ أَوْ 10هـ وَصَالِحِ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلَهَا - وَكَانُوا مِنَ الزَّرَادَشْتِيَّةِ عَلَى الْجِزْيَةِ، وَبِذَلِكَ تَأَصَّلَ فِي الشَّرْعِ الْإِسْلَامِيِّ جَوَازُ قَبُولِ الْجِزْيَةِ مِنَ الْعَجَمِ مِمَّنْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ، انْظُرْ: - يَاقُوتُ: مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، 5: 452-453.

<sup>4</sup> مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ: الْمَوْطَأُ، دِي 2003، 2: 670؛ ابْنُ زَنْجَوِيَّةٍ: الْأَمْوَالُ، تَحْقِيقُ شَاكِرِ ذَيْبٍ فَيَّاضَ، الرِّيَّاضُ 1986، 1: 136.

وخلال عصر الخليفة معاوية بن أبي سفيان كاد أن يحدث تعديل جوهري في وضع الصابئة المندائيين في العراق، ذلك أن عامله على العراق زياد بن أبيه سمع من بعض ندمائه أن المندائيين كالمسلمين يصلون خمس صلوات في اليوم، كما أنهم يستقبلون قبلة المسلمين في صلواتهم؛ فهم أن يضع عنهم الجزية، فنصح بعض العلماء بالعدول عن ذلك، لأنهم سمعوا أنهم يعبدون الملائكة<sup>5</sup>.

ولا تكاد المصادر المعاصرة تمدنا بمعلومات ذات طبيعة أدق عن التنظيمات الإدارية وأبرز المستجدات في أوضاع المندائيين عقب فتح العراق؛ باستثناء ما تقدم من إقدام زياد بن أبيه على وضع الجزية عنهم ثم تراجع عن ذلك. ولكن بالنسبة للحرانية فقد حرص الأمويون - رُبما منذ عصر عبد الملك بن مروان - على تنصيب رئيس للطائفة، غالبا ما يكون من أخصر نبلاتها ليكون بمثابة همزة الوصل بين الدولة والطائفة. وقد ظل هذا التقليد متبعا بين الحرانية طوال العصر العباسي. فقد أمدنا محمد بن إسحاق النديم بقائمة كاملة تُخصي رؤساء الصابئة الحرانية منذ عصر عبد الملك بن مروان حتى ما بعد عصر الخليفة العباسي الراضي بالله، بقوله<sup>6</sup>:-

تاريخ رؤساء الصابئين الحرانيين الذين جلسوا على  
كرسي الرئاسة في الإسلام منذ عهد عبد الملك بن مروان وذلك في  
سنة أربع وألف للإسكندر.

أولهم: ثابت بن أخوسا، رأس أربعا وعشرين سنة. ثابت  
بن طبون، رأس ست عشرة سنة. ثابت بن قزثيا، رأس سبع عشرة  
سنة. ثابت بن إيليا، رأس عشرين سنة. قرة بن ثابت بن إيليا رأس  
إحدى وعشرين سنة. جابر بن قرة بن ثابت، رأس عشر سنين.

<sup>5</sup> ابن كثير: تفسيره، 1: 286.

<sup>6</sup> الفهرست، 2: 374-375.

سِنَان بن جَابِر بن قُرَّة بن ثَابِت بن إيليا. رأس تِسْع سِنين.  
عَمْرُوس بن طِيَّيَا، رأس سَبْع عشرة سنة. مِيخَائِيل بن أَهْر بن  
بُقْرَارِيس، رأس ثلاث عشرة سنة، يَتَقِين بن قُضْرُونَا، رأس خمس  
سِنين. مِغْلَس بن طِيَّيَا، رأس خمس سِنين. عُثْمَان بن مَالِي، رأس  
أربعًا وعشرين سنة. قُرَّة بن الْأَشْتَر، رأس تِسْع سِنين، الْقَاسِم بن  
الْقَوْقَانِي، رأس تِسْع سِنين، وكان هذا الرَّجُل - أَغْنِي الْقَاسِم -  
مُسَافِرًا ثم عَاد فَرَأْس أَرْبَع سِنين، نِسْطَاس بن يَحْيَى بن زُوْنَق،  
رأس اثنتين وأربعين سنة. وبعد هؤلاء مَن لم يجلس على كُرْسِيِّ  
وكان مُطَاعًا يَجْرِي مَجْرَى الرُّؤْسَاء سَعْدُون بن خَيْرُون من بني  
هَرَقْلِيس؛ حَكِيم بن يَحْيَى من بني هَرَقْلِيس.

تَكْتَم النَّدِيم مَصْدَرَهُ فِيمَا يُخَصُّ هَذِهِ الْقَائِمَةُ، مَعَ ذَلِكَ لَا تَنْقُصُهَا الْمِضْدَاقِيَّةُ، فَهَنَّاكَ  
رِسَالَةً ضَمِنَ رِسَائِلَ أَبُو إِسْحَاق الصَّابِيُّ، مُوَجَّهَةً إِلَى شَخْصٍ يُدْعَى نَوْرُ بْنُ حَكِيمٍ بَحْرَّان<sup>7</sup>،  
يُخَاطِبُهُ فِيهَا عَلَى أَنَّهُ رَأْسُ الْحَرَنَانِيَّةِ بَحْرَّانَ وَالْجَزِيرَةِ الْفُرَاتِيَّةِ، وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ نِمْرًا هَذَا مِنْ وَلَدِ  
حَكِيمِ بْنِ يَحْيَى مِنْ آلِ هَرَقْلِيسِ آخِرِ هَذِهِ السَّلَالَةِ الَّتِي تَحَدَّثُ عَنْهَا النَّدِيمُ. وَيُمْكِنُ إِعَادَةُ  
تَرْتِيبِ تِلْكَ السَّلْسَلَةِ مِنْ وِلَاةِ أُمُورِ الْحَرَنَانِيَّةِ تَارِيخِيًّا، بَلْ وَمُقَابَلَتِهَا عَلَى عُهُودِ الْخُلَفَاءِ، لِأَنَّ  
النَّدِيمَ - لِحُسْنِ الْحِظِّ - أَعْطَانَا مُفْتَاخًا لَهَا، وَهُوَ تَارِيخُ وَلايَةِ ثَابِتِ بْنِ أَحُوسَا فِي عِضْرِ عَبْدِ  
الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَامَ 1004 بِالتَّقْوِيمِ الشَّرْيَانِيِّ<sup>8</sup>، وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِعَامِ 74هـ/ 693م.

<sup>7</sup> رِسَائِلُ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ، نُسخةٌ مَجْلِسِي شُورَايِ إِيْرَانِ، 82 ط - 83 و.

<sup>8</sup> التَّقْوِيمُ الشَّرْيَانِيُّ وَيُنْسَبُ عَلَى سَبِيلِ الْخَطَأِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِ الْأَكْبَرِ، وَالْآخَرَى أَنَّ يُنْسَبُ إِلَى سَلِيْقُوسِ نِيْكَاتُورِ  
أَحَدِ كِبَارِ قَادَةِ الْإِسْكَانْدَرِ الْأَكْبَرِ، وَمُؤَسِّسِ الدَّوْلَةِ السَّلِيُوقِيَّةِ، فَهُوَ الَّذِي وَضَعَ ذَلِكَ التَّقْوِيمَ وَافْتَحَهُ يَوْمَ  
الْإِثْنَيْنِ 1 تَشْرِينِ الْأَوَّلِ [أَكْتُوبَر] مِنْ عَامِ 312 ق.م، وَهُوَ الْعَامُ نَفْسُهُ الَّذِي وَافَقَ اسْتِيلَاؤُهُ عَلَى فَلَاسْطِينِ،  
وَالسَّنَةِ الشَّرْيَانِيَّةِ تَعْمَدُ التَّقْوِيمَ الشَّمْسِيَّ، وَتَعْدَادُ أَيَّامِهَا لِلْسَّنَةِ الْبَسِيطَةِ 365 يَوْمًا، تُكْبَسُ كُلُّ أَرْبَعَةِ سَنَوَاتٍ  
لِتُصْبِحَ 366 يَوْمًا، وَشَهْرُ شَبَاطٍ [فَبْرَايِر] ثَانِيَّةٌ وَعِشْرِينَ يَوْمًا فِي السَّنَةِ الْبَسِيطَةِ، يُكْبَسُ كُلُّ أَرْبَعَةِ سَنَوَاتٍ  
لِيُصْبِحَ 29 يَوْمًا، وَتَبْدَأُ السَّنَةُ الشَّرْيَانِيَّةُ بِشَهْرِ كَانُونِ الثَّانِي [بَنَائِر] وَتَنْتَهِي بِكَانُونِ الْأَوَّلِ [دِيْسَمْبَر] وَهُوَ  
بِذَلِكَ مُطَابِقٌ لِلتَّقْوِيمِ الْجُولْيَانِيِّ الَّذِي طُوِّرَ فِيْمَا بَعْدَ لِيُسَمَّى التَّقْوِيمُ الْمِلَادِي الْمُسْتَعْمَلُ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ وَالَّذِي  
يَعْتَمَدُ تَارِيخَ مِيلَادِ الْمَسِيحِ بَدَايَةَ لَهُ.



رئيس الطائفة	تاريخ الرئاسة بالقرن الثاني	تاريخ انتهاء الرئاسة بالقرن الثاني	مدة الرئاسة (بالسنة)	الكتاب بالقرن الثاني	الكتاب بالقرن الثاني	الطائفة بمصر الخلفاء
ثابت بن أحوسا	1004	1028	24	717-693	99-74	عبد الملك بن مروان - الوليد بن عبد الملك - سليمان بن عبد الملك - عمر بن عبد العزيز
ثابت بن طبرون	1028	1044	16	733-717	115-99	عمر بن عبد العزيز - يزيد بن عبد الملك - هشام بن عبد الملك - الوليد بن يزيد
ثابت بن قرقيا	1044	1061	17	750-733	133-115	الوليد بن يزيد - يزيد بن الوليد - إبراهيم بن الوليد - مروان بن محمد - أبو المعالي السفاح
ثابت بن إيليا	1061	1081	20	770-750	153-133	أبو المعالي السفاح - أبو جعفر المنصور
قراين ثابث بن إيليا	1081	1102	21	791-770	175-153	أبو جعفر المنصور - المهدي - هادي - هارون الرشيد
جابر بن قرة بن ثابت	1102	1112	10	801-791	185-175	هارون الرشيد
سنان بن جابر بن قرة بن ثابت بن إيليا	1112	1121	9	810-801	195-185	هارون الرشيد - الأمين
عمر بن طيب	1121	1138	17	827-810	212-195	الأمين - المأمون
ميخائيل بن إمر بن يقرأوس	1138	1151	13	840-827	226-212	المأمون - المعتصم
نقش بن قسرونا	1151	1156	5	845-840	231-226	المعتصم - الواثق
مفلس بن طيب	1156	1161	5	850-845	236-231	الواثق - المتوكل
عشيان بن مالي	1161	1185	24	874-850	261-236	المتوكل - المنتصر - الستين - المعتز - المهدي - المعتصم
قرة بن الأشر	1185	1194	9	874-853	270-261	المعتصم
القاسم بن طوقان	1194	1203	9	882-853	279-270	المعتصم - المنتصر
قدطاس بن يحيى بن زوق	1203	1245	42	892-854	323-279	المنتصر - القائم - الراضي

سعدون بن خيرون	يقوم مقام	؟	؟	؟	؟	؟
من بنى هرقليس	الرئيس	؟	؟	؟	؟	؟
حكيم بن يحيى من	يقوم مقام	؟	؟	؟	؟	؟
بنى هرقليس	الرئيس	؟	؟	؟	؟	؟
نمر بن حكيم	يقوم مقام	؟	؟	؟	؟	؟
	الرئيس					

جدول بقوائم رؤساء الصابئة استناداً إلى قائمة النديم، ورسائل أبي إسحاق الصّابني<sup>9</sup>

وما كاد الأمر يستقر للعبّاسيين حتى استفتى الخليفة أبو جعفر المنصور الإمام أبا حنيفة النعمان في شأن الصّابئة، وجواز إقرارهم على دينهم وقبول الجزية منهم، فأفتاه الإمام بجواز إقرارهم على دينهم، وجوب أخذ الجزية منهم قياساً على موقف النبي ﷺ من مجوس هجر، وأسوة بما سبق وأن أقره عمر بن الخطاب معهم، مع كراهة أكل ذبائحهم، وتحريم الزواج منهم<sup>10</sup>.

وهذا الاستثناء الأخير خصّ به الإمام أبو حنيفة صابئة حرّان دون المندائيين، وترتب على ذلك أن دخل الصّابئة المندائيون في عداد أهل الذّمة في الإسلام كغيره من فرق النّصارى، فقد دفعت صلات المندائيين يحيى بن زكريّا عليه السلام - وكذلك ممارستهم للتعميد -

<sup>9</sup> اعتمدت قوائم ابن العبري الواردة في كتابه تاريخ الزمان في التحويل من التقويم السرياني إلى الميلادي، ومن ثم الهجري، لكنني لا أفرص دقة القائمة بطبيعة الحال، فهي تعتمد مدد الولاية التي ذكرها النديم، ولا تتضمّن في طياتها احتمال فراغ المنصب لأي سبب من الأسباب، كما أنّ هناك نوعاً من التداخل والتشويش بدءاً من ولاية القاسم بن القوقاني ومن جاء بعده، فالنديم ينص على أنه رأس تسع سنين، ثم سافر وعاد ورأس أربع سنوات أخرى، دون أن يبين دخول تلك السنوات الأربع ضمن نطاق إجمالي مدته البالغة تسع سنوات أم لا. وعلى كل حال سيكون من الجيد أن نضع باعتبارنا هامشاً للخطأ يتراوح ما بين عشرة إلى عشرين عاماً عن التواريخ المعطاة بأعلاها.

<sup>10</sup> المأوردي: الأحكام السلطانية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، الكويت 1989، 183؛ ابن بطلان: مقالة في مناقضات علي بن رضوان، المعروفة بالمقالة المصرية، ضمن كتاب تحس رسائل لابن بطلان ولابن رضوان الميصرى، جمع وتصحيح يوسف شحّ، ماكس ماير هوف، القاهرة 1937، 66-67.

الفُقهاء المسلمين إلى إلحاقهم بالنصارى، فأطلقوا عليهم لقب «الصَّابئة اليُوحَناسِيَّة» نسبةً إلى يوحنا المعمدان<sup>11</sup>. هذا إلى جانب لقبهم الأوسع انتشاراً وهو «الصَّابئة المُغتسِلة»، ولا شك أنَّ كِلْتا التَّسميَّتان تعكسان ما تبلَّور في أذهان المسلمين من علاقة مُؤكَّدة للمُندائيين بالنَّصارى، وبالتالي كان طَبِيعِيًّا أَنْ يُلْحَقُوا بِهِمْ عَلَى قَدَمِ الْمَسَاوَةِ فِي الْمُعَامَلَةِ الشَّرْعِيَّةِ، فَرُفِعَ الْحَرْجُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي أَكْلِ ذَبَائِحِهِمْ وَالزَّوْجِ مِنْ نَسَائِهِمْ. وكان لهم ما لأهل الكتاب إجمالاً، وعليهم ما عليهم، كما أُلْزِمُوا الْجِزْيَةُ أَسْوَةً بِهِمْ<sup>12</sup>.

أما الحرثانيَّة فقد أُجْرُوا بِغَيْرِ مَنَافِعٍ، فقد حُرِّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نِكَاحُ نِسَاءِ الْحَرْثَانِيَّةِ وَالْأَكُلُ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ<sup>13</sup>، لكنَّ هَذِهِ الْأَسْتِثْنَاءَاتِ الطَّفِيفَةَ لَمْ يَكُنْ لَهَا عَلَى الصَّعِيدِ الْعَمَلِيِّ أَيْ تَأْثِيرٌ سَلْبِيٌّ عَلَى وَضْعِهِمْ بِشَكْلِ عَامٍ. خَاصَّةً وَأَنْ كِلْتَا النَّحْلَتَيْنِ كَانَتَا مُحَرَّمَانِ عَلَى اتِّبَاعِهِمَا الزَّوْجِ مِنَ الْأَغْيَارِ مُطْلَقًا، وَمِنْ ثَمَّ يُمَكِّنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْتِثْنَاءَاتِ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَيْ تَأْثِيرٌ يُذَكِّرُ عَلَى الصَّعِيدِ الْاجْتِمَاعِيِّ.

مع ذلك لَقِيَ الْحَرْثَانِيَّةُ بَعْضَ الْمَتَاعِبِ خِلَالَ عَصْرِ الْمَنْصُورِ عَلَى يَدِ وَآلِيهِ عَلَى الْجَزِيرَةِ مُوسَى بْنِ كَتَبِ التَّيْمِيمِيِّ الَّذِي كَانَ مَعْرُوفًا بِتَشَدُّدِهِ مَعَ أَهْلِ الذِّمَّةِ عُمُومًا، لَا سِيَّمًا أَنَّهُ أَمْرٌ بِمَنْعِ اخْتِفَالَاتِ أَهْلِ الذِّمَّةِ بِأَعْيَادِهِمْ خَارِجَ الْهَيْآكِلِ وَالْكَتَائِسِ وَالْمَعَابِدِ<sup>14</sup>. وقد ظَلَّ هَذَا الْخَطَرُ يَسْرِي عَلَى الْحَرْثَانِيَّةِ حَتَّى عَصَرَ الْخَلِيفَةُ الْأَمِينُ كَمَا سَنَرَى بَعْدَ.

وخلال عصر هارون الرَّشيد لَمَسَ الْخَلِيفَةُ غِيَابَ نَظَرِيَّةٍ شَرْعِيَّةٍ مُتَكَامِلَةٍ لِمُعَامَلَةِ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَكَلَّفَ الْقَاضِي أَبَا يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ حَبِيبِ الْأَنْصَارِيِّ، تَلْمِيزَ أَبِي حَنِيفَةَ

<sup>11</sup> أبو بكر الجصاص: أحكام القرآن، 3: 318.

<sup>12</sup> CHWOLSOHN: op. cit, vol. 1, p 567.

<sup>13</sup> أبو يوسف يعقوب: الحراج، 139.

<sup>14</sup> الرَّهَآوِيُّ الْمَجْهُولُ: تاريخ الرَّهَآوِيِّ الْمَجْهُولِ، عَرَبَهُ عَنِ الشَّرْيَانِيَّةِ الْأَبِ الْبَرِّ تُونَا، بَغْدَاد 1986، 1: 256-

(ت 182هـ / 798م) بإعادة هيكلة أوضاع أهل الذمة وفقاً لقواعد الشرع الخفيف، وأمره بتصنيف رسالة في ذلك ليستفيد منها في التطبيق، فصنّف أبو يوسف رسالته الشهيرة المسماة بالخراج<sup>15</sup>.

ولم يُخالف أبو يوسف أستاذه أبي حنيفة في جواز إلحاق الصّابنة بأهل الكتاب فيما يخصّ قبول الجزية منهم<sup>16</sup>. وبذلك تأسّل وضع الصّابنة عمومًا كقوم يجرى أهل الذمة في ديار الإسلام، يُقرّون على دينهم، وتؤخذ منهم الجزية كغيرهم من اليهود والنصارى، ويُمارسون شعائرهم واحتفالاتهم وأعيادهم شريطة أن تمارس داخل هياكلهم، وألا يجهروا بها علنًا. وكان هذا الإجراء قد اتُخذ من قبل في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، ولم يكن هذا الشرط الأخير محلّ ازتياع من قبل الحرانية، خاصّة وأنهم كانوا يُمثلون أغلب سكّان مدينة حرّان آنذاك، لكنهم التزموا بهذا الشرط على مَضَض.

وكان من الممكن أن تمضي أيام الرّشيد بسلام على الحرانية لولا وقوع حادثة خطيرة ترتبت عليها نتائج وخيمة أثناءها - وبعدها أيضًا لعقود طويلة - فقد اتهم بعض الكهنة

<sup>15</sup> راجع في ذلك مقدمة كتاب الخراج، وغالبًا لمس الرّشيد الحاجة إلى وضع مثل هذا التنظيم بعد أن هرب كثير من أهل الذمة من أراضيهم، وتركوا العمل فيها بعد أن أمر الرّشيد في مُستهلّ حكمه برفع قيمة الجزية على نحو عجز الفقراء والمزارعين منهم عن دفعها، انظر: الرّهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، 2؛ 1. ويؤكد الأزدي ما ردّده الرّهاوي المجهول بحديثه عن والي الرّشيد على الجزيرة يحيى بن سعيد الحرشي، وكان معروفًا بعسفه مع أهل الذمة، خاصّة عند جمع الجزية، فقد قدّر الأزدي ما جباّه الحرشي بأكثر من ستة آلاف ألف درهم [ستة ملايين درهم] بعد أن طالب ذمّة الجزيرة جميعهم - ومنهم الحرانية - بخراج ستين تمثًا قبل ولايته. الأزدي: تاريخ الموصل، تحقيق على حبيبة، القاهرة 1967، 287. كل هذا جعل أصوات احتجاجات أهل الذمة تصل إلى أذن الرّشيد ببغداد، فطلب الرّشيد من قاضيه أبي يوسف يعقوب أن يضع له ناصيلًا فقيهاً للجزية وحدودها المقررة على أهل الذمة، خاصّة وأنّ أبا يوسف يُشير بالفعل في مقدّمة رسالته - بعبارات واضحة ولا تحتمل التأويل - إلى رغبة الرّشيد الملحة في رفع ظلم وقع بالفعل على أهل الذمة، مقدمة كتاب الخراج، 5.

<sup>16</sup> الخراج، 131-132.

الخرناتية بتقديم قربانٍ بشريٍّ للكواكب في هيكل القمر بحرّان. لا نعرفُ الكثير عن تفصيل ووقائع تلك القضية من خلال المصادر التي بين أيدينا، فماري بن سليمان الكاتب النُصراني يروى تلك الواقعة بأفْضاضٍ شديد، بقوله<sup>17</sup>: «وتناول الخرائثون رجلاً على رسمهم ليُجعلونه قُرباناً، ويُقطعون رأسه؛ فأفلت، وخبرَ الرَّشيد بحالهم؛ فأمر بقتلهم واستبصّالهم، وتفرّقوا في البلاد». هناك أيضاً إشارة عابرة - لكنها مبثيرة - إلى تلك القضية من خلال رواية النديم على لسانِ إيشع القطيعي النُصراني الكاتب، إذ وصفَ المأمون الخرناتية في الحوار الذي دار بينه وبين رؤسائهم بـ «أصحاب الرأس في زمن والده الرَّشيد»<sup>18</sup>.

إذن كان الدليل الذي أمسك به الرَّشيد في تورط الخرناتية في هذا الأمر هو شهادة الضحية نفسها، وتصدت المصادر تماماً عن هويّة هذا الرَّجل، كما تصدّت أيضاً عما إذا كان الرَّشيد قد تحقّق من اتّهام هذا الرَّجل للخرناتية في شأن احتجازه ومحاولة قتله وتقديمه كقربان لأهّتهم، لكن الخليفة - على الأرجح - قد توسّع في التّحقيقات التي جرت في هذا الشأن، لأنّ أحكاماً بهذه الصّرامة لم تكن لتصدّر من قبل خليفة كالرَّشيد دون تنبّث كافٍ<sup>19</sup>.

<sup>17</sup> أخبار بطارقة كُوسي المشرق، 75.

<sup>18</sup> الفهرست، 2: 362.

<sup>19</sup> لا نستطيع إثبات ما تردده المصادر حول ظاهرة تقديم الخرناتية للأصاحي البشرية أو نفيه، لكنني قد أكون أقرب إلى الشك في صحة ما تناقلته المصادر عن تلك العادات، فهذا الاتّهام ظلّ يتردّد من آن لآخر من قبل الشّريان للخرناتية، وعلى ذلك فاختيال تعرّض الخرناتية لمكيدة مُحكّمة من قِبَل التّساطرة ليس ببعيد عن التّصور، كما إن تلك الروايات نفسها ردّدت الكثير من الخرافات التي لا يقبلها العقل حول تلك الممارسات الشرية المنسوبة للخرناتية. فمثلاً ينقل النديم عن إيشع القطيعي قوله أن الخرناتية يعمدّون إلى الجيلة في خطف رجل له سمات معينة كلّما بلغ عطارده شرفه (أعلى مدار له)، فيُوضع ذلك الرَّجل في الزّيت، حتّى تلين مفاصله، وتُجذب رأسه وتُفصل عن فقرائهما يرفق، فتخرج حيّةً بعروقه [!!!]، وعينها مبصرة ولكن من دون أن تُطرف. وتُجيب تلك الرأس عمّا تُسأل عنه من أحوال الغيب والرّخص والغلاء وقيام وسقوط الدّول، واحتياجات الكواكب السّبعة من العبادات والدّخن والبُخور. انظر: - الفهرست، 2: 365 وما بعدها؛ قارن أيضاً المجريطي: غاية الحكيم، 139 - 140؛ البيروني: الآثار الباقية، 205.

ويُبدى جنان هارب تشكّكه في حقيقة تقديم الخرناتية للأصاحي البشرية، وقد تتبّع مقولات تقديم الخرناتية للأصاحي البشرية لأهّتهم في المصادر العربيّة، ويعتقد - وهو محقّ تماماً - أنّها جميعاً منقولة من مصادر

ورغم أنَّ المصادر العربيَّة لم تتطرَّق إلى هذه الواقعة ولم تُؤرِّخ لها، إلا أنه بالإمكان تأريخها بشيء من الدقة، فاعتمادًا على الجُهَشِيَّارِيِّ الذي نقل خبر إعدام أحد الحُرَّانِيَّة لِرُقْعَةٍ رفعها إلى الرَّشيد يُلومُه فيها على ما أَلْحَقَهُ بِقَوْمِهِ، خَتَمَ الجُهَشِيَّارِيُّ رِوَايَتَهُ بِتَغْلِيْقٍ لِه قِيَمَتِهِ، إذ ذكر أنَّ إعدام ذلك الحُرَّانِيِّ كان قبل نكبة البرامكة بثلاث سنوات أو نحوها<sup>20</sup>، وبما أنَّ الرَّشيد قد أمر بإعدام جَعْفَر بن يَحْيَى البَرَمَكِيِّ عام 187هـ/ 803م<sup>21</sup> يمكن القول بأنَّ وقعة الرَّأس قد حَدَثَتْ أَثْنَاء إقامَةِ الرَّشيد بالرَّقَّة - قَربًا من حَرَّان - بين عامي 183هـ/ 799م - 184هـ/ 800م وذلك قبل أن يتركها ويعود إلى بغداد.

ومن الواضح أنَّ الخليفة قد أَلْغَى - على خلفيَّة تلك القضية - تلك العلاقة بين الدولة والطائفة الحُرَّانِيَّة، والمبنيَّة على الإقرار على الديانة مُقابل أداء الجزية، وهو ما نستنتجهُ مُباشرة من المؤرِّخ الرَّهاوِيِّ المَجْهُول الذي يُنصُّ على أنَّ صَلَاحًا أُبرِمَ بين إبراهيم القرشي - والي حَرَّان من قِبَل الأُميين - وبين الحُرَّانِيَّة عام 1126 من تقويم الإسكندر، ويُنصُّ على أنَّ يَسْمَحَ الوالي لِلحُرَّانِيَّة بِمُمارَسَةِ طَقُوسِهِمْ واختفالاتهم علنًا مُقابل العودة لأداء الجزية<sup>22</sup>، ونستنتج من ذلك أنَّ الحُرَّانِيَّة ظَلُّوا حتى قُرب نهاية عصر الأُميين لا يُؤدُّون الجزية، إذ إنَّ عام 1126 من تقويم الاسكندر يُقابل عام 198هـ/ 813م وهي السَّنة الأخيرة من خِلافة مُحَمَّد الأمين، أي أنَّ الرَّشيد قام بِالغَءاء اعتراف الدولة بالطائفة، ورفض قبول الجزية منهم، وهو وضعٌ خطيرٌ

سُريانيَّة، فاللَّدِيم ينقل عن اثْنَيْنِ منهم هُما: أَبُو يُوسُفَ إِسْبُع القطيعي، وسَعِيد بن وهب بن إبراهيم النَّصْراني، وابن الجوزي يستمدُّها من نصرانيٍّ يُدعى يَحْيَى بن بشير النَّهاوَنْدِي، والبَيرُونِي يستمدُّها من عبد المسيح بن إِسْحاق الكِنْدِي النَّصْراني. فبما لم يتعرَّف هارب على مصادر شيخ الزبوة الدمشقي في كتابه نُجْبة الدَّهر، والمجريطي في كتابه غاية الحكيم، ولكنه واصل تَتْبِيع الروايات التي تعرف عليها حتى توَصَّل إلى أنَّ المصدر الأول لها هو أَيْفانُوس في كتابه *Panarion*، وهي رُوايات مُستقاة من مُناظرات وضعها السُّريان

بغرض دحض الوثنيَّة والمناويَّة معًا، للتفصيل انظر: - J. HJARB: op. cit, pp 124 - 129.

<sup>20</sup> الوُزراء والكَتَّاب، تحقيق مُصطفى السَّقا؛ إبراهيم الإيتاري؛ عبد الحفيظ شَلبي، القاهرة 1938، 238 - 239.

<sup>21</sup> الطَّبْرِي: تاريخ الرُّسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1964، 8: 287.

<sup>22</sup> الرَّهاوِي المَجْهُول: تاريخ الرَّهاوِي المَجْهُول، 2: 22.

لأي طائفة أو نخلة في ديار الإسلام، إذ يعني ذلك الوضع بالتبعية الإقرار الضمني بإباحة الدماء والأموال، وعدم وجود أي التزام من قبل الدولة تجاه الطائفة فيما يتعلق بصيانة النفوس والممتلكات.

لكن لا يجب أن نقودنا عبارة «فأمر بقتلهم واستئصالهم» إلى استنتاج أن الرشيد قد قام بمذابح جماعية بحق صابئة حرّان، إذ اعتقد أن ما فعله الرشيد لم يتعد الأمر بقتل كل من تورط من الكهنة الحرنائية في قضية القربان البشري، وعرض أبناء الطائفة على الإسلام أو دين مُعترف به مع أداء الجزية أو السيف، فهرب منهم من هرب، كما ينص على ذلك ماري بن سُلَيْمان<sup>23</sup>.

على إثر ذلك انتحل عدد من الحرنائية النصرانية أو الإسلام خوفاً من القتل، وكان منهم أيضاً من رفض ترك دينه، فاستتر حتى تهدأ ثورة غضب الخليفة، ثم عاد إلى ممارسة حياته الطبيعية دون أن يمسّه أذى، فمن حسن حظهم أن الخليفة غادر الرقة في السنة نفسها إلى بغداد واستقر بها، وهو ما ساعد على عدم تنفيذ أوامره بالصرامة التي كان يُمكن أن تنفذ بها حال وجوده بنفسه، وقريباً على هذا النحو من مساكن الحرنائية، وإلا فكيف نُفسر وجود من فاوض إبراهيم القرشي من الحرنائية فيما بعد على إعادة اعتراف الدولة بطائفتهم مقابل أداء الجزية، هذا بالإضافة إلى أن مذابح جماعية ضد طائفة بأكملها هو عمل كان لا بد وأن يُلفت نظر المؤرخين المسلمين والشريان والبيزنطيين، والذين لا نجد في حوارياتهم أي تسجيل لشيء من هذا القبيل، وهذا ما يقودنا للاعتقاد بأن عقاب أبناء الطائفة بالقتل كان في أضيق نطاق، وشمل المتورطين مباشرة في تلك القضية، فيما ترك الباب مفتوحاً لمن يرغب منهم في الإفلات من السيف باعتراف الإسلام أو النصرانية، هذا بخلاف من فرّ منهم من المدينة.

وخلال عصر الأمين - القصير نسبياً - عاد شأن الحرنائية إلى الازدهار، فيُقرّر ميخائيل الشرياني أنه خلال عصر الأمين عاد شأن الوثنية بحرّان إلى الظهور، فسيقت

<sup>23</sup> أخبار بطارقة كرسي المشرق، 75.

أُضْحِيَّاتِ الحَرْنَانِيَّةِ مِنَ الثَّيْرَانِ إِلَى الْمَعَابِدِ وَهِيَ مُزَيَّنَةٌ وَالْأَجْرَاسُ عَلَى قُرُونِهَا، وَسَارَ خَلْفَهَا الرِّجَالُ بِالْمَزَامِيرِ<sup>24</sup>، وَذَلِكَ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَشِيَّ - وَالِي حَرَّانَ مِنْ قَبْلِ الْأَمِينِ - كَانَ قَدْ أَذِنَ لِلْحَرْنَانِيَّةِ أَنْ يَحْتَفِلُوا بِأَعْيَادِهِمْ عِلَانِيَّةً، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي لَمْ يَحْدُثْ مِنْذُ عَصْرِ الْمَنْصُورِ، فَاطْمَأَنُّوا وَبِالْغَا فِي مَظَاهِرِ احْتِفَالَتِهِمُ الدِّينِيَّةِ، وَطَافُوا فِي الْأَزْقَةِ بِالْأَهَازِيكِ وَآلَاتِ الطَّرَبِ، وَقَرَّبُوا الْقَرَّابِينَ لِأَهْلَتِهِمْ<sup>25</sup>.

MICHAEL LE SYRUS: *Chronique de Michael le Syrus*, tr. By J. B. Chabot, Paris 1899, tom II, p 497.<sup>24</sup>

ابن العبري: تاريخ الزمان، 23؛ وقد نقل لنا ابن وحشية صورة طريقة عن هذا السر والقربان الذي كان الحرنانية يارسونه، يقول ابن وحشية: «ولهم أيضا سر آخر من أعظم أسرارهم. فإذا كان يوم عيدهم يأخذون سبع ثيران وسبع حملان [لاحظ دلالة الرقم 7 الذي يتكرر في طقوس الحرنانية كثيرا، وغالبا له مغزى ديني يتعلق بعبادات السيارات السبع] ويطعمونهم النبات المعروف بحشيشة الزهرة وتاج الملوك [الحشخاش] - ويسمونه بلسانهم شيكرك - فيعلقونهم بها سبعة أيام ويسقونهم من الماء الطهور، فإذا كان يوم الأسبوع كللون [كذا والصواب كللوا] تيجانهم بالذهب وأنواع الجواهر. ويجعلونهم مربوطين بسلاسل الذهب، ويبدون [ويبدأ] الكهنا [الكهنة] يصلون ويسبحون ويقرءون في الهيكل الكبير الجامع. والتأس في مراتبهم ساجدين لله خاشعين، ثم يتقدم رئيس المذبح للقرايين، ويشير بالعصا المثلث للثيران والحملان فتحلل قيودهم من غير فعل فاعل، ويتقدمون بلذبح [للذبح] ويمدنون أغناقهم بإرادتهم فيذبحون. ويأخذ الرئيس الرؤوس يجعلها على تابوت السر. [وأيقربوا الأجساد مخزقة بأنواع الطيب كالعود والعنبر والمسك والكافور واللويان [اللبنان] والاضطرأك. ويقوموا للصلاة الكبرى، وقد ليس كل ذي زي زيه، وهم يقرأون الصحف، ثم يخروا ساجدين ساعة، ويرفعوا رؤوسهم، فحينئذ يشتد أول رأس من المذبوحة يتكلم بجميع الحوادث التي تقع في ذلك، ثم الثاني ثم الثالث هكذا حتى يتموا، فيثبت الكاهن جميع ما يسمعه ويستعدوا لوقوعها، وهكذا لهم أمور لا يعرف حقيقتها غيرهم، وكل هذه الأشياء تدل على شدة خيانتهم لخفايا أسرارهم، ويقولون هكذا أمرنا أبونا آدم وشيث وهريس أي إدريس المثلث بالنعمة عليهم السلام». ابن وحشية: شوق المستهام، 98-99؛ ويروي المجريطي قريبا بقوله: «يقولون أن أولى القرابين لزحل الثور؛ وهو الخلق الحسن، وهم يعظمون التاج الذي على رأسه من القرون، [رمز عبادة إله القمر سين] ويقولون أنه أملك التهانم وأولاها بالقرايين، فهم يقربونه له - خاصة بعد أن يعلقوه - حشائش تلتقطها الأبقار عند طلوع الشمس، ويرجعن في طرق مختلفة لتنام سر أسير إليهن، ويكون العجل دون شعرة بيضاء، وهم يجعلون على عينيه سلسلة من ذهب إلى تجمع بين قرنيه، ويحكون هذا أيضا عن هريس، فإذا أرادوا ذبحه لم يستعص عليهم ولم يحتج أن يشدوه بالفخار - وهو الحبل - ثم يشتدون قدأه



وعلى أي حال فتوقيت ذلك الصلح لافِت للنظر، فهَذَا العام كما ينصُ كلُّ من الزَّهَّاءِوي المجهول وميخائيل السُّرياني هو عام 1126 بالتَّقويم السُّرياني؛ المُوافقة لعام 198هـ/ 813م وهي تلك السَّنة نفسها التي تمكَّن فيها المأمون من التَّخلُّص من أخيه الأمين والأئمَّراء بالخِلافة. قد يعني هذا أنَّ حَاجة الأمين المُلحَّة إلى المَال هي - على الأَرْجَح - السَّبب وراء إبرامه لذلك الصُّلح مع الحَرَنائيَّة، وتأسيسًا على هذا فقد لا يَكُون التَّسامُح فقط وراء خُرُوج الصُّلح بهذه الصورة التي خرج بها، فاشتراط الحَرَنائيَّة الاختفال بأعيادهم علائيَّة - وهو أمر لم يحدث منذ عصر المنصور - يُشير إلى أنَّ الحَرَنائيَّة قد صَغَطُوا بِقُوَّة لتَسْمَح لهم الدَّولة لهم بهذا الاستثناء، واحتفلوا بأعيادهم علنًا للمرَّة الأولى مُنذ زمنٍ طويل، على حين ظلَّ الحَظَر نفسه على الاختِفاضات العلنيَّة مُطبَّقًا على النَّصارى واليهود، وهذا ما يُفسِّر اهتمام المَصَادِر السُّريانيَّة بهذا الحَدَث.

استمرَّ ازدهار الطَّائفة خلال عصر المأمون، وكان من الواضِح أن الحَرَنائيَّة قد تجاوزوا تلك المِحنة التي سبَّها مرسُوم الرَّشيد من قبل. ومع العفو الذي منحه لهم الأمين منذ الاتِّفاق الذي نجحوا في إبرامه مع واليه إبراهيم القُرشي، ومع تلك الحُرِّيَّة التي نعم بها الحَرَنائيَّة في عصر الأمين وعودتهم إلى مُمارسة حياتهم وتجارهم بشكلٍ طبيعي فقد حقَّقوا ثراءً ملحوظًا، وبسبب ذلك الثَّراء كادوا يَقعون في مازقٍ عظيم في أواخر أَيَّام المأمون، فقد كادَ المأمون أن

بيخُور وصلاة من صلاة اليُونانين، فيدثو إلى مكان الذَّبح، فيضع قرنه على حافة المِشْكَن، وهو نقيِر صغيرٌ مُستدير، ويذبحه الذَّابِح ذبَاحه لا يعود في جَرِّ السُّكَّين عليه، ويقطعون الرأس، ويعملونه على العِلاشا [كذا]، فيترجم عَمَّا يتحرك من لسانه وأذنيه وشفثيه وعينه، ثم ينظرون إلى الدَّم الذي في المِشْكَن من عُصْفُرتيه ورَغُوته، وما يستدير عليه من الزَّيْد فيستدثُّون بذلك على ما في دولتهم لأنَّ الدَّولة عندهم زُحليَّة، وما ابتداء به زُحَل من الأذوار فاله يهود. وهذه الذَّبيحة تكون عندهم من انتقال الشمس إلى الثَّور المجرطي: غاية الحكيم، 228. وهذه الطَّقُوس التي يتحدَّث عنها المجرطي كانت تُمارس بالفعل في المعابد الرومانية، ويقال أن اضطهاد دقلديانوس للنصارى بدأ مع إفساد طقوس فحص كبِد أضحية بواسطة الكهنة من فاحصي أحشاء الحيوانات Hauruspices. انظر: PHILIP FRANCIS ESLER: *The early*

.Christian world, London 2000, Vol II, p 848.

يتخذ - مجدداً - قراراً بعدم قبول الجزية منهم، ويرفض الاعتراف بهم كأهل ذمة، ومن ثم يُعيد تحجيرهم بين الإسلام أو السيف. فلسوء حظَّ الحرانيَّة زار المأمون حرَّان وهو في طريقه إلى بلاد الروم متأهباً للغزو، وأثناء إقامته بحرَّان قابل وفداً من رؤسائهم خرجوا لاستقباله والدُّعاء له، ولَفَتَ نظر المأمون أنَّ زِيَّهم من الأقيَّة<sup>26</sup> - وكان لباس الملوك والأمراء - وأحفظه ذلك، خاصَّة أنَّه لم يكن قد مرَّ وقتٌ طويل على مرسوم الرِّشيد بإلزام أهل الذمة جميعاً بلبس الغيار<sup>27</sup>.

في الواقع لدينا رواية تفصيليَّة ووحيدة عن تلك الأحداث أوردتها النَّدِيم على لسان إيسع القطيعي، وهو كاتب نصرانيٌّ مجهول، لا نعرف عنه سوى انتبائه إلى القطيعة<sup>28</sup> كما يتَّضح من التَّمعن في نسبته. بخلاف ذلك لا نعرف شيئاً عنه، ولم يصلنا عنه سوى عنوان كتابه الذي

<sup>26</sup> الأقيَّة (المفرد قباء) ضربٌ من الأثواب الفاخرة، مفتوحةٌ من الأمام كالعباءة، وتمتاز في الغالب بالطول المفرط الذي يمتد لأكثر من طول مُرتديها ذاته، كما كان لها كُتَّان وإسعاد. للتفصيل عن ذلك النوع من الملابس انظر: R. DOZY: *Dictionnaire des Noms des Vetements Chez Les Arabes*, Amsterdam 1854, pp 52-62.

<sup>27</sup> الغيار زيٌّ مُحدَّد كان يُفرض على أهل الذمة في حال تطبيق الشروط العمرية عليهم، ويبدو أنَّ الخليفة عُمر ابن الخطَّاب كان يكرِّه تشبُّه أهل الذمة بالمسلمين الفاتحين لأسباب أمنيَّة في زمن الفتوحات، ومن ثم فرض على أهل الذمة مخالفة المسلمين في المظهر والهيئة، ويتكوَّن الغيار من أزدية طويلة عسليَّة اللون، تُحكم على البدن بواسطة زنار [منطقة]، بالإضافة إلى قلنسوة [غطاء للرأس] حيث مُنع أهل الذمة - حال تطبيق الشروط العمرية - من ارتداء العمامة، عن أحكام الغيار أنظر تفصيلاً: - ابن قسيم الجوزية: أحكام أهل الذمة، 2: 1262 وما بعدها.

<sup>28</sup> هناك عدَّة محالٍ في بغداد عُرِفَت باسم القطيعة، وهي على وجه الحُصْر قطيعة إسحاق، قطيعة أم جعفر، قطيعة بني جدار، قطيعة الرِّقيق، قطيعة الرِّبيع، قطيعة ريسانة، قطيعة زُهَيْر، قطيعة العَجَم، قطيعة العَكِّي، قطيعة عيسى، قطيعة النُّقهاء، قطيعة أبي النُّجم، قطيعة النُّصاري، وعلى الأرجح نسبة القطيعي زبياً كانت إلى قطيعة النُّصاري ببغداد، وهي محلة مُتصلة بنهر طابن من روافد دجلة شرقي بغداد. ياقوت الحموي: مُعجم البلدان، 4: 427-429.

استقى منه النديم تلك الرواية، وهو كتاب «الكشف عن مذاهب الحرنانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة»، يقول محمد بن إسحاق النديم<sup>29</sup>:-

«قال أبو يوسف إيشع القطيعي النصراني في كتابه: «في الكشف عن مذاهب الحرنانيين المعروفين في عصرنا بالصابئة»:

إن المأمون اجتاز في آخر أيامه بديار مضر يريد بلاد الروم للغزو، فتلقاه الناس يدعون له، وفيهم جماعة من الحرنانيين، وكان زعيم إذ ذاك ليس الأقيية، وشعورهم طويلة بوقرات - كوقرة قرة جد سنان بن ثابت - فأنكر المأمون زعيمهم، وقال لهم: من أنتم من الذمة؟! فقالوا: نحن الحرنانية. فقال: أنصاري أنتم؟ قالوا: لا. قال: فيهود أنتم؟ قالوا: لا. قال: فمجوس أنتم؟ قالوا: لا. قال لهم: أفلكم كتاب أم نبي؟ فجمجموا في القول، فقال لهم: فأنتم إذن الرنادقة عبدة الأوثان وأصحاب الرأس في أيام الرشيد والدي. وأنتم حلال دماؤكم، لا ذمة لكم، فقالوا: نحن نؤدي الجزية، فقال لهم: إنما تؤخذ الجزية ممن خالف الإسلام من أهل الأديان الذين ذكرهم الله - عز وجل - في كتابه، وهم كتاب، وصالحهم المسلمون عن ذلك، فأنتم ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء، فاختاروا الآن أحد أمرين: إما أن تتحلوا دين الإسلام، أو ديناً من الأديان التي ذكرها الله في كتابه، وإلا قتلناكم عن آخركم، فإني قد أنظرْتُكم إلى أن أرجع من سفرتي هذه، فإن أنتم دخلتم في الإسلام أو في دين من هذه الأديان التي ذكرها الله في كتابه، وإلا أمرت بقتلكم واستيصال سائتكم.

<sup>29</sup> الزاهرست، 2: 362-364.

ورحل المأمون يُريد بلد الروم، فغيّروا زيّهم، وحلّقوا شعورهم، وتركوا لبس الأقيية، وتنصّر كثيرٌ منهم، ولبسوا زنانيِر، وأسلم منهم طائفَةٌ، وبقي منهم شِرْذمةٌ بحالهم، وجعلوا يَحْتَالُونَ ويضطربون، حتى انتدب لهم شيخٌ من أهل حرّان فقيه، فقال لهم قد وجدتُ لكم شيئاً تنجون به، وتسلمون من القتل، فحملوا إليه ما لا عظيمًا من بيت مالهم - أحدثوه منذ أيام الرّشيد إلى هذه الغاية، وأعدّوه للنّوائب - وأنا أشرح لك أيّدك الله السّبب في ذلك - فقال لهم إذا رجع المأمون من سفره فقولوا له نحنُ الصّابئون، فهذا اسم دينٍ قد ذكره الله - جل اسمه - في القرآن، فانتحلّوه فانتم تنجون به.

وقضى أن المأمون تُوفي في سفرته تلك بالبدندون<sup>30</sup>، وانتحلّوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت؛ لأنّه لم يكن بحرّان ونواحيها قومٌ يُسمّون بالصّابئة. فلما اتّصل بهم وفاة المأمون ارتدّ أكثر من كان تنصّر منهم، ورجع إلى الحرّانية، وطوّكوا شعورهم حسب ما كانوا عليه قبل مرور المأمون بهم على أنّهم صابئون، ومنعهم المسلمون من لبس الأقيية لأنّه من لبس أصحاب السّلطان، ومن أسلم منهم لم يمكنه الارتداد خوفًا من أن يُقتل؛ فأقاموا مُتسرّين بالإسلام، فكانوا يتزوجون بنساء حرّانيّات، ويعملون الولد الذّكر مُسلمًا، والأنثى حرّانيّة، وهذه كانت سبيل كلّ أهل يَزْعَوُز، وسَلَمَسِين - القريتين المشهورتين العظيمتين بالقرب من حرّان - إلى مُنذ نحو عشرين سنة، فلما الشّيخين المعروفين بأبي زّارة وأبي عزّوبة - علماء شيوخ أهل حرّان بالفقه والأمر بالمعروف - وسائر مشايخ أهل حرّان وفقهائهم احتسبوا

<sup>30</sup> البدندون: قرية صغيرة تقع بالقرب من طرسوس، عنها انظر: - باقوت: مُعجم البلدان، 1: 430-431.

عليهم ومنعواهم من أن يتزوجوا بنساء حرانيات - أغني صابنات - وقالوا لا يحل للمسلمين نكاحهم لأنهم ليس من أهل الكتاب، وبحرآن أيضًا منازل كثيرة إلى هذه الغاية بعض أهلها حرانية ممن كان أقام على دينه في أيام المأمون، وبعضهم مسلمون، وبعضهم نصارى ممن كان دخل في الإسلام وتنصر في ذلك الوقت إلى هذه الغاية، مثل قوم يُقال لهم بنو أبلوط وبنو قيطران، وغيرهم مشهورين بحرآن»<sup>31</sup>.

اختلف الباحثون في تحليل هذه الرواية، فقد تمسك بها خوالسُون بشدة، وكانت دعامته التي أقام عليها نظريته أن المندائيين هم الصابنة الحقيقيون، وأن صابنة حرآن انتحلوا الاسم أيام المأمون ليضمّنوا بهذا معاملة المسلمين لهم على أنهم أهل دمة<sup>32</sup>، كما أخذ بها على

<sup>31</sup> والمصادر العربية التي حلّصت تلك الرواية لا تشير إلى مصدرها التي اشتقت منه تلك الرواية، وعلى الأرجح أخذتها عن التديم نفسه (ت383هـ/ 993م) باستثناء حزة الأصفهاني (ت360هـ/ 970م) الذي رُيّا تعرف على رواية القطيعي من خلال كتاب الأخير مباشرة، والذي يقول ما نصه: «وهؤلاء الأمم كانوا في قديم الدهر - قبل ظهور الشرائع صفًا واحدًا، مُسمّين باسمين، سمينين وكلدانيين، ... وبقاياهم الساعة بمدينتي حرآن والرّها، وقد أسقطوا عن أنفسهم هذا الاسم من أيام المأمون وتسموا بالصّابنين لأمر يطول شرحه». تاريخ سني ملوك الأرض والآباء، بيروت د.ت، 7، أما باقي النقولات فجميعها متأخرة عن كتاب الفهرست، من ذلك رواية الخوارزمي (ت387هـ/ 997م) «والكلدانيون هم الذين يُسمون الصّابنين، والحرنانيين، وبقاياهم بحرآن والعراق.... وسُمّي هؤلاء صابنين في أيام المأمون». الخوارزمي: مفاتيح العلوم 46؛ وكذلك القاضي عبد الجبار (ت415هـ/ 1024م) والذي يقول ما نصه: «ولا يمتنع أن تكون الفرقة التي حكينا عنها أنّها تدعى التمسك بشريعة شيت بن آدم هي التي أراد الفقهاء دون الحرانيين. وقد قيل أنّه جرى في أمرهم في أيام بعض الخلفاء ضربٌ من الجيلة اغتصموا به من القتل». المغني في أبواب التوحيد والعدل، 5: 154. والبيروني (ت440هـ/ 1048م) بقوله: «وقد يقع الاسم على الحرانية.... وهذا الاسم أشهر بهم من غيرهم وإن كانوا تسموا به في الدولة العباسية في سنة ثمان وعشرين ومائتين، ليعدّوا في جملة من يؤخذ منه الجزية ويُرى له الدّمة، وكانوا قبلها يُسمون الخلفاء والوثنية والحرانية». الآثار الباقية، 318. ومن الواضح أن سنة 228هـ التي أشار إليها البيروني هي سنة 218هـ وهي سنة وفاة المأمون، وحصل التحريف من عشر إلى عشرين بفعل النسخ. وجاء عند المقرئ (ت845هـ/ 1442م): «... وعرفوا بالنبط وبالحرنانيين ولم يبق لهم إذ ذاك ملك منذ غلبهم فارس، فلما كانت أيام المأمون أسقطوا عن أنفسهم اسم الكلدانيين وتسموا بالصّابنين» السُّلوك، 1: 29.

علائها إدوارد جيئون<sup>33</sup>، أوليري<sup>34</sup>، كارا ديفو<sup>35</sup>، ماير هوف<sup>36</sup>، نعيم بدوي، غضبان رومي<sup>37</sup>، عادل العوا<sup>38</sup>. في حين تحفظت عليها دراور كوون مصدرها هو كاتب نستوري يضر العدا لصابئة حران<sup>39</sup>، ورفضها عزيز سباهي رفضاً قاطعاً<sup>40</sup>.

EDWARD GIBBON: *The decline and fall of the Roman empire*, London 2004, vol. V, p 570.

علوم اليونان، 237.

في مقاله الصابئة، دائرة المعارف الإسلامية، 14: 89.

من الإسكندرية إلى بغداد، 70.

انظر مقدمتهما لكتاب الليدي دراور، الصابئة المندائيون، 16-17. وقد دفع الحماش الباجين المذكورين أعلاه - كونها مندائين - نظرية أن المندائيين هم صابئة القرآن الكريم، ومن ثم تبرءا من عقائد صابئة حران - عبدة الكواكب والنجوم - وقد أثار هذا موجة من الاستياء بين أبناء الطائفة المندائية، فالمندائيون لا ينظرون بعين الرضا للقائلين بأن الحرنائية فرقة أخرى لا تنتمي إليهم، إذ أن المنجزات العلمية للعلماء الحرنائيين ومكانتهم في البلاط العباسي جعلت المندائيين يشعرون بأن هذا جزء لا يتجزأ من تاريخهم، والتنازل عنه لصالح القول بأن الحرنائية يمثلون فرقة أخرى لا تنتمي إليهم بمثابة التنازل طوعية عن قسم عزيز من تاريخهم القومي، وقد نقل عبد الحميد أفندي عبادة عن الشيخ دجيل أحد الرؤساء الدينيين للمندائيين (ت 1965م) قوله أنه يعتقد أن المندائيين أنفسهم هم أحد عشائر الحرنائية!!، انظر: - مندائي، أو الصابئة الأقدمون، 53. وبالطبع ينطلق هذا الموقف من مقدمات عاطفية يمكن تفهيمها، لكنه في الوقت ذاته لا يشكل موقفاً موضوعياً ابتداءً، بل إن أكثر الباحثين المندائيين موضوعية ونزاهة وهو عزيز سباهي جاهر علناً بهذا الموقف المبني على أسس عاطفية أكثر منها علمية موضوعية بقوله: «وقد مال بعض الكتاب في العهد العباسي، وفي الحاضر أيضاً إلى تصديق ما ذهب إليه القطيعي، وحاولوا أن يفسروا الأمر بوجود جماعتين متباينتين، واحدة موحدة هم الصابئون المندائيون، وأخرى وثنية انتحلت اسم الصابئة كما يقول القطيعي، وذهب غيرهم إلى أن من قصدهم القرآن باسم الصابئة هم صابة البطائع أو المغتسله كما يدعوههم النديم، أما الحرنائيون فهم كفر انتحلوا اسم الصابئة لكي يدخلوا في عداد أهل الكتاب، وقد تبني بعض كتاب الصابئة الحديثين التفسير الأول [الإيلاء لنعيم بدوي وغضبان رومي] دون أن يدركوا أنهم يوقعون أنفسهم في تناقض واضح، فهم أولاً لا يملكون ما يميز بين الفتيين سوى الزعم بأن الحرنائيين - أو الحرنائيين كما كان يدعوهم المؤرخون آنذاك - يعبدون الكواكب، وهو زعم يخلط بين عبادة الكواكب والأهمية التي يُعطىها الأقوام التي تأثرت بالفلك البابلي لدور الكواكب والبروج والأفلاك في التأثير على ما يجري على الأرض، وهو ما يخالف المعتقدات المندائية، إن هؤلاء الكتاب المندائيين يفخرون - شأن كل المندائيين - بالمنجزات العلمية والفلسفية التي حققها عديد من المندائيين في المجتمع العباسي، وبالمكانة العالية التي نالها علماءهم آنذاك، متناسين أن من قصدهم القطيعي بروايته هم هؤلاء الحرنائيون البارزون بالذات». أصول الصابئة، 30 - 31.

حقيقة إخوان الصفا، دمشق 1993، 35.

دراور: الصابئة المندائيون، 24.

بنى سباهي (انظر: أصول الصابئة، 31 وما بعدها.) دُفوعه في نقض الرواية على القرائن التالية: 1- رواية أحاد، إذ لم يُشر إليها أحد، في حين أن حياة المأمون ونشاطاته كانت موضع عناية خاصة من جانب الرواة والمؤرخين.

فقد كتاب القطيعي، ولم يتبق منه سوى تلك السطور التي نقلها عنه النديم، وفقدان الكتاب يُضاعف من صعوبة نقد الرواية اعتيادًا عليها وحدها، فالرواية في حد ذاتها ليس بها ما يُفيد تاريخ تدوينها، وليس أمامنا سوى البحث في الرواية نفسها عمّا عساه أن يثري بتاريخ تدوينها، وهو ما من شأنه أن يجيب على تساؤلاتنا حول ما إذا كان القطيعي مُعاصرًا لتلك الأحداث أم لا؟.

أول تلك الإشارات التي قد تُفيد في معرفة تاريخ تلك الرواية حديث القطيعي عن أن أهل نساء ترعوز وسلمسين كن يتزوجن من حرثانية دائوا بالإسلام تقيّة، وأن هذا كان سبيلهم إلى نحو عشرين عامًا مضت، وهذا من شأنه أن يلقي بظلال من الشك على مُعاصرة القطيعي للحديث، فقد توفي المأمون عام 218هـ/833م وإضافة 20 عامًا بعد هذا التاريخ سيجعلنا على يقين من أن القطيعي دون تلك الرسالة بعد عام 238هـ/852م على أقل تقدير.

-

وهذا ليس صحيحًا، فبعض المصادر العربية ردّت ما ذكره القطيعي، راجع الحاشية 31 أعلاه.

2- اختار القطيعي للواقعة - التي زعمها - زمانًا يسبق وفاة المأمون مباشرة، كي لا تبقى للقصة ذيول يتابعها المأمون من بعد. وهذا أيضًا لا يُعد دفعًا يُعوّل عليه، فالثابت بالفعل أن المأمون زار حرّان في طريقه إلى غزو بلاد الرّوم، وهذا حدث في أخريات أيامه. وكان أهل الدّمة والجزية أحد أهم أولوياته في غزواته تلك، المسعودي: مروج الذهب 2: 357-358.

3- لا يُعقل أن المأمون وهو الرّجل واسع العلم والأطلاع لا يعرف شيئًا عن صابئة حرّان. وهذا أيضًا دفع لا يُعوّل عليه، فهذا ثابت من خلال الحوار نفسه، إذ أن المأمون قد وصفهم «بأصحاب الرّأس» في عصر والده الرّشيد وهذا يعني أنه يعرفهم جيّدًا.

4- يذكر القطيعي أن الحرثانية كانوا يؤدّون الجزية، فعل أيّ أساس كانوا يدفعونها، إذا لم يكن قد أُعترِف بضابّتهم من قبل أسوة بأخوتهم بالعراق؟!، وإذا لم يكن الأمر كذلك فكيف سكّت عنهم الحكّام المسلمون؟!

من الواضح أن وضع الحرثانية مع المندائيين في كتّة واحدة بقبول الجزية منها لا يُشير من قريب أو بعيد إلى أن المسلمين اعتبروها فرقة واحدة، راجع في ذلك فتوى الإمام أبي حنيفة الذي فرق بينها بوضوح ولم يعتبرهما فريق واحد. ووفق القاعدة الشرعية تجب الجزية على من له كتاب وتحمل للمسلمين ذبائهم ونساءهم، وتجب أيضًا على من له شبهة كتاب، [من انتحل كتابًا سبًا أو قسّمًا منه كالسامرة] ومن ليس له كتاب مُطلقًا، مع كراهة الذبائح والنكاح، وكذلك تجب على من لم يُعرف عن ملّته شيئًا، انظر: أبو يعلى الفراء: الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت 2000، 153-154.

وإذا أخذنا بالاعتبار أيضًا إشارة القطيعي لِسنان بن ثابت في قوله: «وشعورهم طويلة بوفرات كوفرة قرة جد سنان بن ثابت». فسيُدلُّنا هذا على أنه كتب رسالته هذه وقت أن كان الشيخ الرئيس سنان بن ثابت (ت 331هـ/ 942م) رأس طائفة الحرانائية ببغداد، وهذا قطعًا يُشير إلى أن تلك الرسالة دُوِّنت بعد عام 288هـ/ 900م، وهو عام وفاة ثابت بن قرة طالما أن القطيعي لم يُشر إليه، وأشار إلى ابنه سنان بن ثابت. وسنخلص من هذا إلى أن تلك الرواية دُوِّنت بين عامي 289هـ/ 901م - 331هـ/ 942م.

إذن فمن حيث المبدأ فالقطيعي لم يُعاصر تلك الواقعة، أمّا من حيث جوهر الرواية؛ فلا بُدَّ وأن تتّاب المرء الدّهشة من الحوار الذي دار بين الخليفة المأمون وبين رؤساء الحرانائية - والذي يُفترض أنه تمّ عام 218هـ/ 833م - والذي بموجبه رَفَضَ المأمون اعتِبار الحرانائية من أهل الدّمة، فحتّى عصر المأمون كان الفقهاء المالكية والشافعية والحنفية يرون وجوب أخذ الجزية ممّن له كتاب ومن له شبهة كتاب أو نبيّ، ومن ليس له كتاب أو نبيّ، بل ومن لم تُعرف نيحلته<sup>41</sup>، مع التفريق بينهم في تحليل أكل الذبائح والمناكحة، ولم تكن تُقبل الجزية من المرتد عن الإسلام أو عرب شبه الجزيرة العربية، وهؤلاء وحدهم الذين لم يكن أمامهم من خيار يسوى الإسلام أو السيف<sup>42</sup>، ولم يتم إعادة النظر في هذه الآراء إلا بعد فتوى الفقيه الشافعي أبي سعيد الاضطخري في عصر الخليفة القاهر بالله - والتي سنعرض لها لاحقًا<sup>43</sup> - بعدم قبول الجزية من صابئة حران لأنّه ليس هم كتاب ولا نبيّ. ونخلص من هذا إلى أن الحُجج الفقهيّة

<sup>41</sup> وحتى عندما ظهر المذهب الحنبلي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي فإنّه أقرّ تلك

القاعدة الشرعية نفسها، انظر ذلك عند الفقيه الحنبلي أبي يعلى الفراء: الأخكام السلطانية، 153 وما بعدها.

<sup>42</sup> عملا بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ انْتِهَاءَ إِقَانِ اللَّهِ بِمَا يَمْلِكُونَ بَصِيرٌ﴾

[الأنفال: 39]، لكن العديد من الفقهاء يرون أن تلك الآية تُسخت بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ

الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، ولذلك قبل الخليفة عمر بن الخطاب الجزية من نصارى تغلب مُضَاعَفَةً،

انظر: - قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، 223-224.

<sup>43</sup> انظر الفصل السابع.



التي استند إليها المأمون في ذلك الحوار - أو بالأحرى نُسبت إليه - حول عدم قبول الجزية من الحرانية كانت متأخرة تمامًا عن عصره بقرن كامل على الأقل.

وما يُلفت النظر حقًا أنَّ الاضطخري في فتواه بعدم قبول الجزية من صابئة حرّان لم يُشير مطلقًا إلى واقعة المأمون مع الحرانية والتي كان من الممكن - حال معرفته بها أو اطلاعه عليها - أن تُعصّد فتواه بعدم قبول الجزية من صابئة حرّان، وهذا من شأنه أن يجعلني أقرّر أنَّ رسالة القطيعي دُوّنت بعد صدور فتوى الاضطخري لا قبلها، أي أنَّ القطيعي قد أعاد صياغة الأساس الفقهي لفتوى الاضطخري ناسبًا إيّاها إلى المأمون.

هناك - أيضًا - طابعٌ مسرحيٌّ واضحٌ برواية القطيعي، ففيما يحتاج الحيرة طائفةً بأكملها في البحث عن مخرجٍ للمأزق الذي وضعهم فيه الخليفة يأتي فقيه مجهول بالحلّ، ويطلب منهم أن ينتحلوا لدينهم اسمًا غير الذي عرفوا به منذ القدم، وتمنحه الطائفة مقابل ذلك الاقتراح أجرًا جزيلاً!! والسؤال الآن: لماذا يُجهّد الحرانية أنفسهم في البحث عن مُسمّى لديانتهم يُرضي الخليفة، وعندهم اسمٌ لطالما التّصق بهم قبل ظهور الإسلام، وهو «الحنّفاء»!!، والذي يغطّي باحترام أكثر بين المسلمين من المُسمّى الذي تزعم الرواية أنّهم دفعوا لمن اقترحه عليهم أموالًا طائلة. كما أنه ليس به شُبّهة انتحال.

لقد سبق تناول مُصطلح الصّابئة في المصادر العربية ودلالته ومعناه، وبطبيعة الحال فإنّ الحرانية يعدّون من بين تلك الأقوام التي أطلق عليهم المسلمون لقب الصّابئة، ومع ذلك فإنّ هناك عددٌ من الأدلّة التي تُثبت أنّ الحرانية كانوا يُدعون بالصّابئة قبل عصر المأمون، يأتي على رأسها:-

- أولاً: ذلك الصّابي الحرّاني الذي كان مسؤلاً عن ديوان الحاتم في أيام الوليد بن عبد الملك والذي كان يُدعى «شُعيب الصّابي»<sup>44</sup>.

<sup>44</sup> الجهنياري: الوزراء والكتاب، 47.

- ثانياً:- فتوى أبي حنيفة النعمان في عصر أبي جعفر المنصور في شأن صابئة حرّان وجواز أخذ الجزية منهم وحرمة نكاح نسائهم وأكل ذبائهم، وتفريقه بينهم وبين المتدائنين في المعاملة الشرعية.
- ثالثاً: ما جاء عند الصفدي في ترجمة حمّاد عجرد<sup>45</sup>:-

«قال خلفُ بن المُثنّى: كان يجتمعُ بالبصرة عشرةٌ في مجلسٍ لا يُعرفُ مثلهم: الخليل بن أحمد صاحب العروض؛ سُنيٌّ، والسيد الحميري الشاعر؛ رافضيٌّ، وصالح بن عبد القدوس؛ ثنويٌّ، وسفيان بن مجاشع؛ صفريٌّ، وبشار بن برد؛ خليعٌ ماجن، وحمّاد عجرد؛ زنديقٌ، وابنُ رأس الجالوت الشاعر؛ يهوديٌّ، وابن نظير التصرّاتي؛ متكلمٌ، وعمرو ابن أخت المؤيد؛ مجوسيٌّ، وروح بن سنان الحرّاني الشاعر؛ صابئيٌّ؛ فيتناشد الجماعة أشعاراً وأخباراً».

وحمّاد عجرد هذا توفّي عام 155هـ/ 771م، أي في خلافة أبي جعفر المنصور. وهذا يعني أن الحرّانية كانوا يتلقّبون بالصّابئة قبل ميلاد المأمون نفسه. كل هذه الأدلة من شأنها أن تهدم رواية القطيعي من أساسها فيما يخصّ انتقال صابئة حرّان لاسم الصّابئة.

ولكن يبدّر بنا التساؤل: هل كل ما جاء في رواية القطيعي محض تلفيق وكذب؟. في الواقع لا أميل إلى القول بهذا أيضاً، فلقاء المأمون بالحرّانية مؤكّد طالما أنّه دخل حرّان وبقي بها أياماً، ولا يمكن تصوّر أنّ رؤساء الطائفة لم يذهبوا إلى الخليفة للترحيب به، خاصّة وأنّها

<sup>45</sup> الصفدي: الروابي بالوفيات، 13: 89.

المرّة الأولى التي يزور خليفة المسلمين مدينتهم منذ مقتل مروان من مُحمّد آخر خلفاء بني أميّة، كما أنّنا نعرف أنّ ارتداء الأقيّة بحضرة المأمون كان يُضايّقه بالفعل<sup>46</sup>.

ويتجلّى عند فحص القسم الأخير من رواية القطيعي بدقة - وهو القسم الذي يذكّر فيه أسماء فقهاء مُسلمين من أهل حرّان ومن تولّوا الحُسبة بها، وأماكن وبيوتات وأسماء عائلات حرّانية أشهّرت إسلامها بعد تلك الواقعة مع المأمون - أنه من الصّعب التّسليم أنّ القطيعي اخترّع تلك الوقائع والأسماء اختراعاً، خاصّة إذا ما قارّنا هذا القسم من الرواية بالجزء الذي يتحدّث فيه عن انتحال صابئة حرّان لمُسمّى الصابئة، وينسب الفكرة إلى فقيه مجهول.

فالمقارنة بين هذين الشّقين توضّح لنا أنّ هناك قسماً واقعيّاً في الرواية، يتلخّص في أنّ المأمون غَضِب على صابئة حرّان - بالفعل - وخيّرهم بين الإسلام أو انتحال دين آخر أو السّيف، بناءً على ذلك أسلم عددٌ منهم، في حين اعتنق النّصرانيّة عددٌ آخر، وبقي البعض على دينه يتوجّس مما يتّويه المأمون معهم عند عودته، ويتنظر اللّحظة الأخيرة، فإذا استحكمت الأمور أعلن إسلامه، أو اعتنق النّصرانية ومارس شعائر دينه الأصلي سرّاً، أمّا إذا سارت الأمور على ما يرام وأنشغل عنهم الخليفة لم يُصبهم ضررٌ يذكّر، واستمرّوا في أداء الجزية، وهو ما حدث بالفعل؛ فقد توفّي الخليفة وهو في طريق العودة، وبذلك عاد من كان مُرتدّاً تقيّةً منهم إلى دينه، أما الذين أعلنوا إسلامهم منهم فإنّهم لم يتمكّنوا من العودة إلى دينهم القديم، خوفاً من إقامة حدّ الرّدة عليهم، وبناءً على ذلك مارسوا شعائرهم سرّاً، وتزوّجوا من بني جلدتهم، وهذا كان مثار سخط الفقهاء المُسلمين بحرّان وأعمالها.

ألا يُشير كلّ هذا إلى أنّ المأمون لم يفعل شيئاً إلا إحياء مرسوم والده الرّشيد بشأن الحرّانية، وأنّه أعلن رفضه لعفو أخيه الأمين عنهم، وبالتالي رفض قبول الجزية منهم، خاصّة وأنّ المأمون أشار إلى تورّطهم من قبل - في عهد والده الرّشيد - في واقعة الرّأس أثناء حوارهِ

<sup>46</sup> يقرر أبو طاهر طيفور أنّ أحدًا لم يكن يجرؤ على ارتداء قباء بحضرة المأمون، كتاب بغداد، تحقيق هنس كلر، بيروت د.ت، 8. ولعلّ جهل الحرّانية بهذا هو ما جعل المأمون يتحقّق تجاههم ويعالِمهم بهذه الغلظة.

معهم. لقد كان مرسوم الرشيد بخصوص صابئة حرّان شديد الشبه بما أمر به المأمون، القتل في حال الإضرار على البقاء على الديانة، الإسلام، أو دين آخر مُعترف به مع أداء الجزية.

إذن ما فعله المأمون لم يتعدّ كونه مُجرّد إحياء لمرسوم والده الرشيد لا أكثر ولا أقل، وترتّب على ذلك إسلام عددٍ منهم، فيما لم يستطع من أسلم منهم الازداد عن الإسلام خوفاً من القتل، مثل آل أبلوط وآل قيطران فلبجثوا إلى تلك الحيل التي منعهم منها بعضُ فقهاء المسلمين.

صفوة القول: كل ما فعله القطيعي هو أنّه أفحم - وبمهارة - في واقعة لها أصولها الحقيقية قصّة لا تنقصها الحبكة، لئشكّك في أمر دمتهم من الناحية الشرعية، ويُعيد إثارة تلك القضية من جديد، لا سيّما بعد صدور فتوى من فقيه شافعيّ جليل في حُجْم أبي سعيد الاضطخري، ودون أن يدري أن الجزء الذي أفحمه بالذات في تلك الرواية سيخلّق ارتباكاً لا حصر لآثاره في الدراسات التي ستتناول تاريخ هذه الطائفة فيما بعد.

الفصل

السابع

7

## الصابئة من مُنتصف القرن الثالث الهجري

### وحتى دخول البويهيين بغداد

«واصلُ رياسَةِ الصَّابئةِ في هذه البلاد  
ومَحْضَرَةُ الخُلَفَاءِ نَابِتٌ بِهِ قُرَّةٌ، ثُمَّ تَنَسَّتْ  
أَحْوالُهُمْ، وَعَلَّتْ مَرَاتِبُهُمْ وِبرَعُوا».

محمَّد بن إسحاق التميمي



كما رأينا؛ خرج الصّابنة الحرّانية من محنة كادت تعصف بهم في أخريات أيام المأمون، إذ لم يلبث الخليفة أن توفّي بالقرب من طرسوس بعد عدة أسابيع من وعيده للحرّانية، ولا تكاد المصادر تُعطينا أدنى فكرة عمّا إذا كانت الامتيازات التي حصلوا عليها في عصر الأمين قد استمرت أم لا عقب زيارة المأمون لحرّان، ولكن كيفما كان الأمر فقد وضع مرسوم الخليفة المتوكل الذي صدر عام ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م نهاية لها، فقد أمر الخليفة المتوكل بتطبيق الشروط التي يقال لها الشروط العمرية على أهل الدّمة، وإجبارهم على لبس الغيار، ووفقاً لمرسوم الخليفة فقد تمّ عماله وولاته على الأقاليم عن استخدام أحد من أهل الدّمة في الدّواوين العامة، فضلاً عن التشديد عليهم بمنعهم من الاحتفال بأعيادهم علانية، وأن تقتصر احتفالاتهم على معابدهم وكنائسهم وهياكلهم<sup>١</sup>.

على صعيد آخر تتابعت خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي موجات من الهجرات الجماعية لصابنة حرّان إلى بغداد<sup>٢</sup>، وكان من ضمن هؤلاء المهاجرين رجلٌ قدّر له أن يكون بحق مؤسس مجد الصّابنة الحرّانية ببغداد، هذا الرجل هو ثابت بن قرّة.

وُلد ثابت بن قرّة بحرّان عام ٢٢١هـ/ ٨٢٦م، وكان يعمل صيرفيّاً في بادئ الأمر، وهي مهنة كانت شائعة في مدينة احترّف أهلها العمل بالتجارة<sup>٣</sup>، كما كانت له اهتمامات

<sup>١</sup> الطبري: تاريخ الرّسل والملوك، ٩: ١٧١-١٧٤؛ ابن الأثير: الكامل، ٦: ١٠٦؛ السّيوطي: تاريخ الخلفاء، دمشق ١٣٥١هـ، ٢٣٠؛ اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزّمان، نشرة خليل المنصور، بيروت ١٩٩٧، ٢: ٨٦. ابن العبري: تاريخ الزّمان، ٣٧.

<sup>٢</sup> يتحدّث ابن العبري عن سيول قويّة ضربت حرّان عام ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م وأخربتها على حدّ تعبيره، تاريخ الزّمان، ٣٤. وربما كان لهذه الكارثة الطّبيعية أثر كبير في خروج بعض عائلات الحرّانية من حرّان إلى المناطق المحيطة بها كالزّقة وكفر ثونا وبغداد.

<sup>٣</sup> ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، تحقيق نزار رضا، بيروت د.ت، ٢٩٧؛ ابن طائوس البغدادي: فرج المهْموم بتاريخ علماء النّجوم، النّجف د.ت، ٢٠٢-٢٠٣.

<sup>٤</sup> SELMA TIBI: *The medicinal use of opium in ninth-century Baghdad*, Leiden 2006, p 93.

بدراسة الفلسفة والرياضيات والموسيقى، وولع أيضًا بدراسة التراث اليوناني والسرياني<sup>٥</sup>.  
وتلك العلوم واللغات التي أجادها ثابت قد تُشجّع على القول بأنّ له أصولًا أرسطوقراطية،  
ليس فقط لأنّ التفرّغ لدراسة ذلك الكمّ من العلوم يُشير - على الأرجح - إلى وضع ماديّ  
جيد. إضافة إلى أنّ حرصه على ذكر سلسلة نسبه - وفيهم نفرٌ من عصور ما قبل دخول  
الإسلام حرّان، ومن ثمّ شيوع الأسماء والكنى العربية بين أهلها - تُشي بفخر ثابت بن قُرّة  
بأصله. أمّا عن سبب هجرة ثابت من حرّان إلى بغداد فالنديم - وهو أقدم من ترجم لثابت بن  
قُرّة - يقول أن محمّد بن موسى بن شاعر قابله في طريق عودته من بلاد الرّوم، وأعجب بعلمه  
وفصاحته فاضطّجه معه إلى بغداد ليُعمل مترجمًا عنده، ثم لم يلبث أن أدخله في جملة مُنجمي  
الخليفة المعتضد<sup>٦</sup>.

أمّا المعلومات الأكثر تفصيلًا عن حياة ثابت بن قُرّة بحرّان فلأننا نستقيها من خلال  
ابن خلّكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) الذي يقول<sup>٧</sup>:-

«أبو الحسن ثابت بن قُرّة ... كان في مبدل أمره  
صيرفيًا بحرّان، ثم انتقل إلى بغداد واشتغل بعُلم الأوائِل  
فمهر فيها، .... وجرى بينه وبين أهل مذهبه أشياء  
أنكرها عليه في المذهب، فرافعوه إلى رئيسهم؛ فأنكر عليه  
مقالته ومنعه من دخول الهيكل، فتأب ورجع عن ذلك، ثم  
عاد بعد مُدّة إلى تلك المقالة، فمنعوه من الدُّخول إلى  
المجمّع، فخرج من حرّان ونزل كفر ثوثا، وأقام بها مُدّة إلى  
أن قَدِم محمّد بن موسى من بلاد الرّوم راجعًا إلى بغداد،  
فاجتمع به فرآه فاضلًا فصيحًا، فاستضجبه إلى بغداد وأنزله

<sup>٥</sup> النديم: الفهرست، ٢: ٢١٣.

<sup>٦</sup> المصدر نفسه، ٢: ٢١٢-٢١٣.

<sup>٧</sup> وفيات الأعيان وأنباء أهل الزّمان، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت ١٩٦٨، ١: ٣١٣-٣١٤.



في داره، ووصله بالخليفة، فأدخله في جملة المنجمين، فسكن بغداد وأولد الأولاد، وعقبه بها إلى الآن».

إذن فقد كان سبب خروج ثابت بن قرة من حرّان هو وجود خلافات مع المؤسسة الدينية الرسمية للطائفة، وهي خلافات لا ندرى كنهها تحديداً، ولم تُفصّل فيها المصادر<sup>٨</sup>، وتأسيساً على ذلك فقد حرّمه رئيس الطائفة - وهو عثمان بن مَالِي الحرّاني الصّابي - الذي تولّى رئاسة الطائفة ما بين عاميّ ١١٦١-١١٨٥ للإسكندر<sup>٩</sup>، والتي تُوافق ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م- ٢٨١هـ/ ٨٩٤م - من دخول الهيكل، فترك حرّان مُلتجئاً إلى كفر تُوثا، ثم إلى بغداد بعد ذلك بدعوة كريمة من مُحمّد بن موسى بن شَاكِر<sup>١٠</sup> ليعمل عنده في حقل الترجمة من اليونانية والسريانية. وأقام في داره وتعلّم على يده، فوجّب حقه عليه فوصله بالعتصم، وأدخله في جملة منجميه<sup>١١</sup>.

<sup>٨</sup> أوليري: علوم اليونان، ٢٣٨. ولا يزال سبب انشقاق ثابت بن قرة وخلافه مع الحرّانيين المحافظين المتمسّكين بالشريعة مجهولاً، ويعتقد خوالصون أن الخلاف مذهبي، CHWOLSOHN: *Die Ssabier*, vol. 1, pp. 484-488، في حين يعتقد قارب أن الخلاف شكلي لا يتعدّى رؤية كلّ منهما لبعض الطقوس، HAJARPE: *Analyse critique*, P.38. والطريف أن هذا الخلاف ليس له ما يبرّره، فكلاهما لا يملك أي أدلة أو حتى مجرد قرائن تُعزز دعواه.

<sup>٩</sup> عنه وعن مدة رياسته راجع الفصل السادس.

<sup>١٠</sup> محمّد بن موسى بن شَاكِر؛ أكبر الإخوة الثلاث (أحمد والحسن) الذين اشتهروا في التاريخ ببنّي موسى بن شَاكِر المنجم، نبغوا في دراسة علوم القدماء، وأرسلوا البعثات إلى بلاد الرّوم ليأتوا منها بالكتب النفيسة، كما عملوا على جلب من يترجمها إلى العربية، كما قاموا هم أنفسهم بترجمة جانب منها، وأنفقوا في سبيل ذلك أموالاً طائلة. ومن أبرز أعمالهم قياس محيط الأرض في زمن الخليفة المأمون اعتماداً على قياس زاوية القطب الشمالي في بقعة مستوية من الأرض، فقاموا بالتجربة الأولى في صحراء سينجار، ثم بالتأكد من نتائج ذلك القياس في برية الكوفة، عن الإخوة الثلاث وجهودهم في الحياة العلمية انظر: - النديم: الفهرست، ٢: ٢٢٤-٢٢٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٥: ١٦١-١٦٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق بشّار عواد معروف، بيروت، د.ت، ١٢: ٣٣٨-٣٣٩؛ الصّفدي: الوافي بالوفيات، ٥: ٥٧-٥٨.

<sup>١١</sup> أحمد فؤاد الأهواني: الكندي فيلسوف العرب، سلسلة أعلام العرب، رقم ٢٦، القاهرة د.ت، ٦١: سعيد الديوه جي: بيت الحكمة، بغداد ١٩٧٢، ١١٦؛ N.K. SINGH, M. ZAKI KIRMANI: *Encyclopaedia of Islamic science and scientists, art of, Thabit ibn Qurra*, New Delhi 2005, vol. I, pp. 1028-1030. وانظر أيضاً: ROSHDI RASHED: *Thabit ibn Qurra, from Harran to Baghdad*. in: *Thabit Ibn Qurra: Science and Philosophy in Ninth-Century Baghdad*, edited by ROSHDI RASHED, Berlin 2009. pp 18-20.

لا اعتقدُ في دَقَّةِ الشُّقِّ الثَّانِي من كِلْتَا الرِّوَايَتَيْنِ، إذْ إِنَّهُ من المعروف أن مُحَمَّدَ بنَ مُوسَى بن شَاكِرٍ قد تُوُفِّيَ عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م<sup>١٢</sup>، بينما تَوَلَّى الْمُعْتَصِدُ الخِلافةَ عام ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م، أي أنَّ مُحَمَّدَ بنَ مُوسَى لم يُدْرِكْ خِلافةَ الْمُعْتَصِدِ، كما أنَّ سِنَانَ بنَ ثَابِتٍ بن قُرَّةٍ يقولُ أنَّ والدَهُ وجَدَّهُ كانا بِسَامِرَاءَ عندما حَمَلَتْ والدَتُهُ بِهِ<sup>١٣</sup>، مع ذلك لم تذكر المصادر التي ترجمت لثابت أنَّ سَامِرَاءَ كانت من بين المُدُن التي هاجر إليها ثابت قبل اسْتِقْرَارِهِ ببغداد، كذا فإنَّ التَّأَمُّلَ فيما ورد على لِسَانِ حَفِيدِهِ ثَابِتِ بن سِنَانَ من أنَّ الموفق كان يَأْمُرُ ثابتَ بن قُرَّةٍ بالدخول على ولده أبي العَبَّاسِ - الذي لُقِّبَ فيما بعد بالمُعْتَصِدِ - لِيُرْفَهُ عَنْهُ بعدما أَمَرَ بِحَبْسِهِ لِأَمْرِ ما اقْتَرَفَهُ، من شأنِهِ أن يَجْعَلُنَا نُعِيدَ النَّظَرَ في هذه الرِّوَايَاتِ التي تَفْتَرِضُ أنَّ أَحَدًا ما قَدَّمَ ثَابِتًا إلى الخليفة المُعْتَصِدِ فَأُعْجِبَ بعلمه وفصاحته، ذلك أنَّ ثابتَ بن قُرَّةٍ كان معروفًا في البَلَاطِ في عهد المُعْتَمِدِ<sup>١٤</sup>.

تأسيًا على ذلك؛ نجدُ أنَّ رِوَايَاتِ معرفة مُحَمَّدَ بنَ مُوسَى بن شَاكِرٍ بثابت بن قُرَّةٍ بكفر ثُوثًا واستِصْحَابِهِ معه إلى بَغْدَادِ وإدخاله إلى جُمْلَةٍ منجَّمي المُعْتَصِدِ غير دقيقة، ويُمكن القَطْعُ بأنَّ العَلاقةَ بدأت بين ثابت وبين آل مُوسَى بن شَاكِرٍ - الذين عمل لديهم ثابت كُمُتَرِجِمٍ - عقب هجرة الأخير إلى بَغْدَادِ وليس قبلها بحالٍ من الأحوال.

التَّحَقُّقُ ثَابِتٍ فور هِجْرَتِهِ ببغداد ببني مُوسَى بن شَاكِرٍ المنجَّم ليُعمَلَ عندهم مُتَرَجِّمًا وناقِلًا من اللِّسَانِ السُّرْيَانِي إلى العَرَبِي، ثم ما لَيْثَ أن اِزْتَبَطَ بعَلاقةٍ وطيدة بالأمير أبي العَبَّاسِ أحمد الذي تَلَقَّبَ فيما بعد بالمُعْتَصِدِ بالله، وقد بَلَغَ من نَفُوذِ ثابت وتأثيره على الأمير الشاب أنَّ غَضَبَ الموفق طَلَحَهُ والد المُعْتَصِدِ على ثابت بن قُرَّةٍ وطلبه لِيَقْتُلَهُ لَأَنَّهُ بَلَغَهُ أن ثَابِتًا يَحْضُرُ المُعْتَصِدَ على أمرٍ يُعَارِضُهُ، وهي جَرِيرَةٌ قَدَّرَ ثابتُ نَفْسَهُ أن الموفق قد يَقْتُلُهُ بسببها، فحَشِيَ ثابت على نَفْسِهِ وهَرَبَ واستتر، وسُرَّعَانَ ما عَفَا عَنْهُ الموفق، لَكِنَّهُ غَضِبَ على ابْنِهِ، وأَمَرَ بِحَبْسِهِ<sup>١٥</sup>.

<sup>١٢</sup> التَّيْمِي: الفهرست، ٢: ٢٢٦؛ ابن خَلِّكان: وفيات الأعيان، ٥: ١٦٣؛ الدَّهْلِي: سِيرَ أعلام النبلاء، ١٢:

٢٣٩؛ الصَّفْدِي: الرافعي بالوفيات، ٥: ٥٨.

<sup>١٣</sup> السُّجِسْطَانِي نقلًا عن سنان بن ثابت، صِوَانِ الحِكْمَةِ، ٣٠٠.

<sup>١٤</sup> ابن أبي أصيبعة: عيُونُ الأَنْبَاءِ، ٢٩٥.

<sup>١٥</sup> الرَّازِي: السَّرُّ المَكْتُوم، ٤ - ٥.

وخلال حبس المعتضد ازدادت أواصر العلاقة بين الأمير الشاب وبين ثابت بن قرة، إذ أمر الموفق أن يدخل ثابت بن قرة على الأمير في محبسه ليرفه عنه، وخلال تلك الفترة ازداد إعجاب الأمير الشاب بثابت بن قرة<sup>١٦</sup>.

كانت مكانة ثابت التي بلغها في بلاط الخليفة المعتضد<sup>١٧</sup> قد شجعت غيره من الحرانية على الهجرة إلى بغداد، فأوكلوا إليه أمورهم الدنيوية والدينية معاً، وقد أغرى ذلك الباحثين إلى الاعتقاد بأن ثابتاً ومن هاجر معه من الحرانية إلى بغداد قد انشقوا عن الطائفة الأم بحرّان، وأسسوا مذهباً مستقلاً عنها في بغداد<sup>١٨</sup>. قد يكون ذلك صحيحاً، لا سيما إذا وضعنا بالاعتبار أن ثابتاً إنما ترك حرّان بسبب خلافات مع المؤسسة الدينية الرئيسية بحرّان، أي يمكن القول بحدوث انشقاق ديني، نجم عنه وجود مؤسستان متباينتان في الاتجاهات في كل من حرّان وبغداد<sup>١٩</sup>. وقد لمس ثابت نفسه ذلك الفراغ الذي سببه بُعد الشافة عن المؤسسة الدينية والهياكل المقدسة للطائفة، فشرع في تنظيم أمور الجالية الحرانية ببغداد وخاصة من الناحية الدينية، وبكل تأكيد كان ذلك أحد أسباب كثرة مؤلفاته الدينية، هذا ما نفهمه ضمناً من حديث السجستاني عن ثابت بن قرة والذي جاء به: «وقد رأيت له عدة مصنفات في مذاهبهم، هي عمدهم الآن»<sup>٢٠</sup>.

<sup>١٦</sup> ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ٢٩٥.

<sup>١٧</sup> كان المعتضد يخص ثابت بن قرة بمعاملة خاصة، فضلاً عن جلوسه بمجلسه والوزير وعلام الخليفة قائمين؛ كان الخليفة يكتفي ثابت في الخلوات، وفي الملايسميه، ويروي أبو إسحاق الصائغ أن ثابتاً بينما كان يمشي مع المعتضد في بستان في دار الخليفة للرياضة - وقد اتكأ المعتضد على يد ثابت ومها يمشيان، ثم سحب المعتضد يده من يد ثابت بغتة، ففرع ثابت - وكانت للمعتضد هيئة - فلما استقر ثابت من المعتضد عما عساه يكون قد بدر منه، قال له المعتضد: «يا أبا الحسن سهوت ووضعت يدي على يدك، واشتندت عليها، وليس هكذا يجب أن يكون، فإن العلماء يعلنون ولا يعلنون». ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ٢٩٦.

<sup>١٨</sup> CHWOLSOHN: *Die Ssabier*, vol. II, pp III- V.

<sup>١٩</sup> TAMARA M. GREEN: *The city of the Moon god*, p 164.

<sup>٢٠</sup> السجستاني: صوان الحكمة، ٢٩٩.

كان النفوذ والثروة الكبيرة التي أحرزها ثابت ببغداد بداية تحول حقيقي في أوضاع صابئة بغداد من الحرنائية، فقد كان رئيس الطائفة ببغداد من أخصّ مُنادمي الخليفة وأقرب مُستشاريه إليه. وليس هناك من دليل على قوّة العلاقة التي ربطت بين المعتضد وبين ثابت بن قرة سوى ما رواه المسعودي من أنّ المعتضد عندما اضطرّ إلى الخروج من بغداد إلى ثغور الشام لقتال وصيف التُّركي<sup>٢١</sup>، افتقد الجلوس إلى ثابت بن قرة والاستئناس به، فأرسل إليه رسالة يطلب منه فيها أن يوافيه بأنطاكية<sup>٢٢</sup>.

ومع ذلك كانت أزمة ثابت مع الموقف بمثابة درسٍ قاسٍ له حول وجوب التحلي بالحدّز وعدم التّدخل في السّياسة إلّا بقدر ما يطلب منه الخليفة المشورة، إذ اعتاد ثابت أن ينأى عمّا ليس من شأنه، مُكتفياً بالخطوة التي جلبها عليه كونه نديم الخليفة ومُستشاره<sup>٢٣</sup>.

توفي ثابت عام ٢٨٨هـ / ٩٠٠م، بعد أن أحدث طفرة في أوضاع الحرنائية، لا سيّما ببغداد، كما ثبتت أوضاعهم الماليّة والاقتصاديّة، وضمن لهم نفوذاً كبيراً في بلاط الخليفة، فبرزوا ضمن النخبة من أعيان مجتمع بغداد<sup>٢٤</sup>. ومن ثمّ آلت رئاسة صابئة بغداد بعد وفاة ثابت بن قرة إلى ابنه الطيّب القدير ستان بن ثابت بن قرة.

وفي خلافة المكتفي بالله بدأ نجم بيت آخر من بيوتات الصّابئة ببغداد في الصّعود، إذ استطاع الطيّب إبراهيم بن زهرون التّقرب من الخليفة المكتفي، وأن يصبح طبيبه الأثير، ومن أخصّ مُنادميه<sup>٢٥</sup>. ونتج عن زيادة نفوذ الصّابئة الحرنائية في بلاط الخلفاء أنّهم استطاعوا أن

<sup>٢١</sup> كان وصيف التُّركي غلاماً ليوسف بن أبي السّاج عامل المعتضد على أزمينية، وخرج عن طاعة إيمره وأعلن الثّورة عليه، فخشي المعتضد من استيفحال أمره فخرج إليه، وأوقع به قُرب عين زُربة بالشّام وعاد به إلى بغداد أسيّراً، الطّبري: تاريخ الرُّسل والملوك، ١٠: ٧٩-٨١.

<sup>٢٢</sup> المسعودي: مروج الذهب، ١: ٤٥٩.

<sup>٢٣</sup> هلال بن المحسن الصّائبي: رُسوم دار الخِلافة، تحقيق ميخائيل عرّاد، بغداد ١٩٦٤، ٨٩.

<sup>٢٤</sup> النّديم: الفهرست ٢: ٢١٢-٢١٣.

<sup>٢٥</sup> هلال الصّائبي: رُسوم دار الخِلافة، ٨٨.

يَقُومُوا بِدَوْرٍ نَشِيطٍ فِي الدَّفَاعِ عَنِ الطَّائِفَةِ وَكَيْفَ جَاحَ مُعَارِضِهِمْ، وَالْحَيْلُولَةَ دُونَ اسْتِصْدَارِ مَرَايِسِهِمْ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُهْدَدَ أَمْنُ الطَّائِفَةِ مُجَدَّدًا.

لَكِنْ نَقُودُهُمُ الْقَوِيُّ فِي تِلْكَ الْمَرْحَلَةِ كَانَ أَشْبَهَ بِنَقُودِ جَمَاعَاتِ التَّكْنُوقِرَاطِ فِي مَجْتَمَعَاتِنَا الْحَدِيثَةِ، فَقَدْ كَانُوا يَبْنُونَ نَقُودَهُمْ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ عَلَى تَخْصُّصَاتِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ، وَبِصِفَةِ خَاصَّةٍ إِجَادَتِهِمُ التَّامَةَ لِعُلُومِ الطَّبِّ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْأَدَبِ وَسَائِرِ عُلُومِ الْأَقْدَمِينَ وَعَلَى الْأَخْصَصِ الْفَلَكِ وَالتَّنْجِيمِ، وَبِذَلِكَ يَتَقَرَّبُونَ مِنَ السُّلْطَةِ دُونَ رَغْبَةِ حَقِيقَةٍ فِي الْمَنَاصِبِ السِّيَاسِيَّةِ. إِذْ كَانَ وَضْعُ طَائِفَتِهِمُ الْحَسَّاسِ كَقَرْمٍ يَجْرُونَ بِجُرَى أَهْلِ الذِّمَّةِ مِنْ أَكْبَرِ الدَّوَافِعِ الَّتِي دَفَعَتْهُمْ لِهَذَا الْحَذَرِ.

كَانَ الْحَرَنَائِيَّةُ قَدْ بَلَغُوا شَأْوًا كَبِيرًا فِي النُّقُودِ خِلَالَ عَصْرِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ، فَقَدْ كَانَ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ - رَئِيسُ الطَّائِفَةِ - وَوَلَدُهُ ثَابِتُ بْنُ سِنَانَ مِنْ أَخْصَصِ أَطِبَّاءِ الْمُقْتَدِرِ بِاللَّهِ وَأَخْطَاهُمْ بِثِقَتِهِ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَصْبَحَ الطَّبِيبُ الْأَوَّلُ فِي حَاضِرَةِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ أَنْ أَصْدَرَ الْخَلِيفَةُ الْمُقْتَدِرُ مَرْسُومًا عَامَ ٣٠٦ هـ/ ٩١٨ م يَقْضِي بِأَنْ يُشْرَفَ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى جَمِيعِ الْبِيَهَارِ سِتَانَاتِ بِيغْدَادٍ<sup>٢٦</sup>، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الْمُقْتَدِرُ أَنْ أَصْدَرَ مَرْسُومًا تَالِيًا بِزِيَادَةِ صَلَاحِيَّاتِ سِنَانَ بْنِ ثَابِتٍ بِالتَّرْخِيسِ لِلْأَطِبَّاءِ بِالْعَمَلِ، وَطَبِيقًا لِلْمَرْسُومِ فَقَدْ أُمِرَ مُخْتَصِبُ بَغْدَادَ بِمَنْعِ أَيِّ طَبِيبٍ مِنْ مُزَاوَلَةِ الطَّبِّ بِبَغْدَادَ بِأَسْرِهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَحْتَبِرَهُ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَيُرْخِصَ لَهُ كِتَابِيًّا بِذَلِكَ<sup>٢٧</sup>.

كَمَا اِزْتَبَطَ وَلَدُهُ ثَابِتُ بْنُ سِنَانَ اِزْتِبَاطًا قَوِيًّا بِالْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى بْنِ الْجَرَّاحِ، فَكَانَ مِنْ أَخْصَصِ مُسْتَشَارِيهِ وَتُدْمَانَتِهِ<sup>٢٨</sup>. وَقَدْ سَاهَمَ هَذَا الْوَضْعُ فِي تَحْقِيقِ اسْتِقْرَارِ لَا بِأَسْ بِهِ لِلطَّائِفَةِ بِبَغْدَادَ، وَأَدَّى إِلَى إِزْدِيَادِ مُضْطَرِّدِ فِي نَقُودِهِمْ وَمِنْ ثَمَّ ثِرْوَاتِهِمْ أَيْضًا، فَالْصَّابِتَةُ الْحَرَنَائِيَّةُ لَمْ يَنْسُوا أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ أَنْاسٍ اخْتَرَفُوا التَّجَارَةَ مِنْذُ الْقِدَمِ، فَلَمْ يَكْتَفُوا بِإِقْطَاعَاتِ الْخُلَفَاءِ وَإِنَّمَا اسْتَشْتَمَرُوا

<sup>٢٦</sup> ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ: عِيُونُ الْأَنْبَاءِ، ٣٠١.

<sup>٢٧</sup> ابْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ: الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ٣٠٢؛ الْقَفْطِيُّ: إِخْبَارُ الْعُلَمَاءِ، ١٣٠.

<sup>٢٨</sup> مَسْكُوتُهُ: تَحَارِبُ الْأُمَمِ، تَحْقِيقُ هـ. ف. أَمْدَرُوز، الْقَاهِرَةُ ١٩١٤، ٢٩: ١.

أموالهم في ضمان خراج البلدان<sup>٢٩</sup>، وهكذا تضخمت ثرواتهم إلى الحد الذي أصبح ملحوظاً؛ لا سيما في عهد القاهرة بالله.

ومع ذلك فقد وقعت في أخريات عهد المقتدر حادثة كادت تعصف بهم مرة أخرى، ذلك أن قاضي حرّان ويدعى هارون بن إبراهيم بن حمّاد بن إسحاق الأزدي قد وقع إليه كتاب فيه أدعية وتراويل وطلسمات للآلهة التي يعبدها صابئة حرّان، فأمر هارون القاضي على الفور أحد المترجمين السريان بترجمته، وأرسل به القاضي هارون مترجماً للعربية إلى الوزير علي بن عيسى ببغداد يسأله فيه تحكيم شرع الله في الحرانية. ولا نعرف شيئاً عن هذه الواقعة إلا من خلال النديم الذي ذكر ما نصّه<sup>٣٠</sup>:-

<sup>٢٩</sup> أبو إسحاق الصّابي: رسائل أبي إسحاق الصّابي، نسخة مكتبة الجامع الأزهر، ورقة ٦٦ ظ.

<sup>٣٠</sup> وفقاً للنديم كان هذا الكتاب يحتوي على أسرارهم الخمسة وجاء فيه:- «حكاية أخرى في أمرهم [أي الحرانية]:- وقع إليّ جزء قد نقله بعض الثقلة من كتبهم، ويحتوي على أسرارهم الخمسة فأما أول السر الأول فسقصة منه ورقة، وآخر كلمات فيه هذه الكلمات بلفظ الناقل:- «كالخروف في القطيع، والعجل في البقر، ومحادثة الرجال المعزّمين الرّعافين الأقربائين المرسلين إلى بيت البوغداريين [!؟] ربنا القاهرة ونحن نسره.

وأول السر الثاني، وهو سر الأبالسة والأوثان، فمن كلامهم: «يقول الكاهن لأحد الغلمان: أليس الذي أعطيتني قد أعطيتني، وما سلّمت إليّ منه فقد سلّمت، فيجيب ويقول: للكلاب والغربان والنمل، فيجيب قائلاً له: وما الذي يجب علينا للكلاب والغربان والنمل، فيجيب قائلاً: يا كمْراه إنهم إخواننا، والرّب القاهرة ونحن نسره. وآخر السر الثاني أيضاً: كالخراف في الغنم، والعجّاجيل في البقر، ومثل حادثة الرجال الرّعين الأقربائين الدّاخلين في بيت البوغداريين، بيت القاهرة ونحن نسره.

وأول السر الثالث: ويقول أيضاً أنتم بنو البوغداريين أي القول والتّنظر، فيجيب من اتّفق ويقول من خلفه نحن ناصتو، وآخر السر الثالث: وقد يتطهّر مثل الخراف والغنم والعجّاجيل في قطع البقر، ومثل حادثة الرجال يتردّدون إلى بيت البوغداريين، ربنا القاهرة ونحن نسره.

وأول السر الرابع: يقول الكاهن من بعد ذلك: يا بني البوغداريين كوئوا سامعين، فيجيب من خلفه من اتّفق قائلاً، نحن ناصتو، فينادي: كوئوا ناصتين، فيجيئون قائلين نحن سامعون. وآخر السر الرابع:

«... وقد كان هارون بن إبراهيم بن حماد بن إسحاق القاضي - لما كان يلي بحرّان وأعمالها القضاء - وقع إليه كتابٌ سريانيّ فيه أمرٌ مذهبهم وصلواتهم، فأخضّر رجلاً فصيحاً بالسريانيّة والعربيّة، ونقله له بحضّرتة من غير زيادة ولا نقصان، والكتاب موجودٌ، كثيرٌ بيدِ الناس، واحتسب هارون بن إبراهيم حمله إلى أبي الحسن عليّ بن عيسى».

=

التردّد إلى بيت البوغداريّين، ربّنا القاهر ونحن نسّره.  
وأول السّر الخامس يقول الكاهن: يا بني البوغداريّين كونوا سامعين، فيجيئون قائلين: نحن راضيون [كذا] فيقول: كونوا ناصتين، فيجيئون أيضاً قائلين: نحن سامعون، فيبتدي قائلًا: وأبي، فإني قائلٌ ما أعلم وما أقصّر عنه.

وآخر السّر الخامس: المتوجهين إلى بيت البوغداريّين، ربّنا القاهر ونحن نسّره.  
قال صاحب الكتاب وعدد الأمثال التي تُقال من الكاهن في هذا البيت في هذه السبعة الأيام، اثنان وعشرون مثلاً، تُقال فيهم على سبيل أحذوثة تُنشد وتُرثّل. فأما الغلمان الذين يترسمون بالدخول إلى هذا البيت فلأنهم يقيمون فيه سبعة أيّام يأكلون ويشربون، ولا تنظر إليهم امرأة في هذه السبعة أيّام، ويأخذون الشراب من السبعة الكاسات المصفوفة التي يُسمونها «يسورا»، ويمسحون ذلك الشراب على أعينهم، ومن قبل أن يقولوا أو يلفظوا بشيء يطعمونهم خبزاً وملحاً من تلك الأكؤس، ومن تلك القرص والفراريج. وفي اليوم السابع فلأنهم يأكلونه عن آخره. وقد يكون أيضاً في ذلك البيت قُرمسٌ من شراب موضوعاً في زاوية، ويسمونه «فاعاً» ويقولون لرئيسهم فيقرأ: مُبدع يا كبيرنا، فيجيب قائلًا: لتمام الإجابة مُسطبراً [كذا] انتقظا [كذا] الوتر، فهو سرّ السبعة الغير مقهور».

قال عمّاد بن إسحاق: - الناقل لهذه الأسرار الخمسة كان عفتياً غير فصيح بالعربيّة، أو أراد بنقلها على هذا النسيج والرّداء الصّدق عنهم، والتحرّي لألفاظهم، فتركها على حالها في بُعد الائتلاف وتقطّع الكلام». الفهرست، ٢: ٣٧٥-٣٧٨.

وقد يكون لكلمة «البوغداريين» الواردة مراراً بهذا النص الديني ارتباط ما باسم بغداد، حيث ذكر بعض العلماء أنه مُشتقٌّ من اسم صنم كان يُعبد بتلك الأنحاء، انظر على سبيل المثال: - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ١: ٣٦٤.

ويتحدّث كلّ من الجريطيّ والمنجّم الطّبري عن أنّ المقتدر أمر بتفتيش هياكل الحرانيّة بحرّان والرّقة، وعثر بالفعل داخل أحدها على جُجُمة بشرية، فأمر بإخراج كهّته وبدفني الرّأس<sup>٣١</sup>. وعلى الأزجج لم يتخذ المقتدر أيّ إجراءات أخرى ضد الحرانيّة، وربّما لعب طبيّاه الأثريين عنده سنان بن ثابت وولده ثابت دورًا كبيرًا في امتصاص آثار تلك القضية. وبذلك مرّت تلك الحادثة بسلام على الطّائفة.

بعد مقتل المقتدر على يد قائده التركي مؤنس عام ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م كانت التّطورات كلها تجري في اتجاه سلبي بالنسبة للطّائفة، بل وتأخذ منحى خطيرًا، وبات من الواضح أن الحرانيّة في بغداد على وشك الدّخول في محنة خطيرة، فقد نصّب مؤنس محمّدًا شقيق المقتدر لخلافة المسلمين فتلقّب بالقاهر بالله، فبدأ عهدُه بحملة تطهير مُنظمة لكلّ من عُرف بولائه لأخيه المقتدر، خوفًا من ضياع الخلافة من يده إلى أحد أبناء أخيه. وكان من الطّبيعي أن يتقلّص نفوذ اثنين من أقرب المقرّبين إلى المقتدر وهما سنان بن ثابت وولده ثابت بن سنان، لا سيّما أن القاهر وضع ثقته في طبيب نصرانيّ منافس هُما وهو عيسى بن يوسف المعروف بابن العطار<sup>٣٢</sup>.

ثم لم يلبث القاهر بالله، أن أقدم على خطوة خطيرة بدون مقدّمات معروفة، فقد استفتى الفقهاء في أمر قبول الجزية مجدّدًا من صابئة حرّان. لا تنصّ المصادر إلّا على أنّ القاهر بالله استفتى الفقهاء في أمر صابئة حرّان، فأفتاه اثنان من كبار فقهاء الشّافعية في عصره، وهما: أبو سعيد الإصطخريّ (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)<sup>٣٣</sup> وأبو الحسن المحاملي<sup>٣٤</sup> بعدم قبول الجزية إلّا من

<sup>٣١</sup> الجريطي: غاية الحكيم، ١٤٠؛ المنجّم الطّبري: رسالة في استجلاب قوى الكواكب عند الصّابئين، ورقة ١٥.

<sup>٣٢</sup> سنكويه: تجارب الأمم، ١: ٢٣٦-٢٣٧.

<sup>٣٣</sup> ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ٣٢٠؛ القفطي: إخبار الحكماء، ١٦٦؛ فيه: أحوال النّصارى، ٢٠٢.

<sup>٣٤</sup> أبو سعيد الحسن بن أحمد بن يزيد الإصطخريّ؛ شيخ الشّافعية، ترجع أصوله إلى مدينة اصفخر بقارس، النّووي: تهذيب الأسماء واللغات، بيروت د.ت، القسم الثاني، ١: ١٨-١٩. وليّ أولًا قضاء قم، ثم حُسبة بغداد وقضاءها فيما بعد، وكان مُتشدّدًا في تطبيق أحكام الشّريعة، فأخرق الملاحمي وأسواق التّبيذ، ابن



أهل الكتاب الذين ذكّرهم القرآن الكريم، وأنّ الصّابئة قومٌ لا ذمّة لهم، لأنّه تبينَ لهما أنهم يخالفون اليهود والنصارى، وأنهم يعبدون الكواكب والنجوم، ويعتقدون أنّها آلهة مُدبّرة. ومن ثم يُعرضون على السيف؛ فإنّ أبوا الإسلام يقتلون<sup>٣٦</sup>.

لا نستقي من خلال المصادر شيئاً ذي بال عن مُقدّمات استفتاء الخليفة المفاجئ للفقهاء ورجال الدّين في شأن صابئة حرّان، ومع ذلك فإنّ عدُول فقيهان شافعيّان عن رأي الإمام الشافعي في جواز إلحاق الصّابئة والمجوس باليهود والنصارى وإقرارهم على دينهم مُقابل الجزية<sup>٣٧</sup>، لا بُد وأن يُثير تساؤلات جمة عن ماهيّة تلك التغيّرات الجذريّة التي ساهمت في خروج تلك فتواهما على هذا النحو.

ربّما تكمن الإجابة في أنّ صابئة حرّان ببغداد كانوا يُشكّلون جالية مُنشقة عن مذهب عامة الحرانية بحرّان، وكانت أمور دينهم موكولة إلى رئيس الجالية ثابت بن قرة الذي تخلّى بشكلٍ ما عن الحذر الذي التزم به أسلافه تجاه كتمان المُعتقدات الدّينيّة، فرغبته في تنظيم أمور

---

الإخوة: معالم القرية في أحكام الحسية، تحقيق زوين ليفي، كمبردج ١٩٣٧، ٣٦-٣٧؛ وكان ورعاً زاهداً مُتقللاً من الدّنيا، وقد أوكل إليه المُقتدر قضاء سجستان، الصّفدي: الروافي بالوفيات، ١١: ٢٨٧، الدّهلي: سير أعلام النبلاء، ١٥: ٢٥٠؛ السبكي: طبقات الشافعية الكُبرى، تحقيق محمود محمد الطّناحي؛ عبد الفتّاح محمد الحلّو، القاهرة د.ت، ٣: ٢٣١.

<sup>٣٥</sup> أبو الحسن المَحاملي، ويُعرف بالمَحاملي الكبير، لم تذكر المصادر يسوّى كُنيته، وكل ما نعرفه عنه أنّه فقيهٌ من أصحاب أبي سعيد الاضطخري، ولم يكن في بغداد من يُفتي على مذهب الشافعي يسواه والاضطخري وأبي عليّ بن هُريرة، وهناك غموضٌ حول إذا ما كان هو جدّ الفقهاء الذين حملوا الاسم نفسه وتولّوا قضاء بغداد وأبرزهم القاضي أبي الحسين بن إسماعيل المَحاملي (ت ٣٧٧هـ / ٩٨٧م) وأبناؤه فيما بعد، والسبكي يفتي هذه النّسبة، ويقول أنّه ليس بجَدٍّ لهم، عنه انظر: - طبقات الشافعية الكُبرى، ٣: ٢٦٧-٢٦٨؛ ابن قاضي شُهبة: طبقات الشافعية، تحقيق حافظ عبد العليم خان، منشورات دائرة المعارف الإسلاميّة، حيّدر آباد الدكن ١٩٧٩، ١: ١٦٣-١٦٤.

<sup>٣٦</sup> الخطيبُ البغدادي: تاريخ بغداد، ٨: ٢٠٨؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، والتجارب النّافعة بعد المائة السابعة (المُنسوب لابن الفوطي؟)، تحقيق مُصطفى جواد، بغداد ١٣٥١هـ، ٧٠.

<sup>٣٧</sup> الشافعي: كتاب الأم، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ٤: ٢٥٤.

طائفته، وكذلك رغبته في توسيع قاعدة المؤمنين بمذهبه جعلته يُسرف في تصنيف الكتب والرسائل الدينية في شأن عقيدتهم، وإظهار دواخلها وأسرارها، بما فيها من طابع وثني قديم، فدَوَّن كتابًا في طبائع الكواكب وتأثيراتها، ورسالة في شرح مذهب الصّابّين، ورسالة في الرُّسوم والفروض والسُّنن، ورسالة في تكفين المَوْتى ودفنهم، ورسالة في اعتقاد الصّابّين، ورسالة في الطَّهارة والنَّجاسة، ورسالة فيما يصلح من الحيوان للضَّحايا وما لا يصلح. ورسالة في أوقات العبادات. ورسالة أخرى في ترتيب القراءة في الصَّلَاة، وصلوات الإتيهال إلى الله عز وجل.

كما تابع ابنه سَيَّان بن ثابت خطَّ أبيه من بعده، فألَّف رسالة في شرح مذهب الصّابّين، ورسالة أخرى في قِسمة أَيَّام الجُمعة على الكواكب السَّبعة، ورسالة في النُّجوم، ورسالة في أخبار آبائه وأجداده وسَلَفه، ورسالة في نَواميس هُرْمُس والصلوات التي يُصلي بها الصّابُّون<sup>٣٨</sup>، وبذلك توافرت بأيدي الفقهاء - آنذاك - عددٌ لا بأس به من الكِتابات عن عقائد الحرانِيَّة دَوَّنت بأيدي مُعتقديها.

سابقًا لم يكن الأمر يجري على هذا النّحو، فمصادر العلّماء المسلمين عن الصّابّة كانت تنحصر في كتابات النّصارى الشّريان، وحتى ذلك الوقت كان باستطاعة الصّابّة إنكار ما جاء في هذه الكِتابات، خاصّةً وأن بعض العلّماء المسلمين استوقفهم ذلك العداء المتبادل بين النّساطرة والحرانِيَّة، ولم يَكونوا يأخذون تلك الكِتابات على محمّل الجِد<sup>٣٩</sup>. ولكن بعد أن اطّمانَ الحرانِيَّة إلى وضعهم بالنّسبة للجزية على مذاهب أهل السُّنة الأربعة، ومع ازدياد نفوذهم المُضطرد منذ عصر المُعتضد بالله، وازدياد ثرواتهم على نحو ملحوظ؛ تخلَّوا كُلِّيَّةً عن ذلك الحذر الذي انتهجهُ أسلافهم في إطلاع الأعيان على أسرار الدِّيانة والعقائد.

إن التأمّل في أُسس فتوى الاضطخري والمحاملي يُوحى بذلك، خاصّة قولهما: - «لأنهم يقولون أن الفلك هو حيّ ناطق، وأن الكواكب السبعة آلهة مُدبّرة»<sup>٤٠</sup>. وهذه العبارة تُوجي

<sup>٣٨</sup> ابن أبي أصيبعة: عيُون الأنباء، ١٣٠٤؛ القفطي: إخبار العلماء، ١٣٣.

<sup>٣٩</sup> البيروني: الآثار الباقية، ٢٠٥.

<sup>٤٠</sup> الماوردي: الحاوي الكبير، بيروت د.ت، ١٤: ٢٩٥.

بأنَّ الاضطخري والمحاملي كانا على اطلاع على كتابات الخزانة الدنيَّة. وهو ما أدَّى إلى إعادة فتح قضية ذمة أهل حرَّان من جديد.

من جهة أخرى فقد أسرف المعتضد بالله في الاعتقاد على أهل الذمة، وبلغوا أعلى الرُّتب والمناصب في عصره<sup>١</sup>، واستمرَّ الوضع على ما هو عليه حتى عصر الخليفة المُقتدر، وكان ذلك الوضع يُثير استياء المُتعضِّين من العامة، وبعض المُتشدِّدين من رجال الدِّين والفُقهاء<sup>٢</sup>، ومن ثم كانت هذه الفتوى بمثابة تعبير عن موجة من موجات السَّخط من جانب بعض العلماء تجاه سياسة عامة اعتمدتها الدَّولة لسنوات طويلة.

وعلى صعيد آخر؛ تولى القاهر بالله الخلافة في أعقاب مقتل الخليفة المُقتدر وفي ظروف غاية في الصُّعوبة، فقد كانت الخزانة شبه خاوية عقب مقتل أكثر خلفاء بني العبَّاس إسرَافاً وتبذيراً، وكان الجُند على وشك الثَّورة بسبب إلحاحهم على الحُصول على رواتبهم وأعطياتهم المتأخِّرة<sup>٣</sup>، ومن ثم رأى الخليفة في تلك الفتوى فرصة سانحة لا يترَّاز طائفة ثريَّة كَوَّنت ثرواتها جرَّاء محاباة أسلافه لهم، ولذلك فإنَّ الخليفة سُرَّعان ما رضي بقبول مبلغ خمسين ألف دينار منهم ليقرَّهم على دينهم ويقبل منهم الجزية<sup>٤</sup>. وبذلك حقَّق القاهر ما كان يرومه من جرَّاء إضراره على تطبيق فتوى الاضطخري والمحاملي، وهو إنعاش خزائنه الخاوية بمبلغ مالي كبير.

<sup>١</sup> ج. مورييس فيه: أحوال النَّصارى في خلافة بني العبَّاس، ١٨٠-١٨٦.

<sup>٢</sup> كانت أحد مظاهر هذا الرِّفص الاجتماعي لتلك السِّياسة هو كثرة الادِّعاء على هؤلاء الذِّمَّيين بأنهم كانوا يسبِّون النبي ﷺ والإسلام علناً، وكانت شائعة كهذه كافية لإثارة العامة، وبلغ بهم الأمر ذات مرَّة إلى اقتحام دار الخلافة وكادوا يفتكُون بالوزير. انظر الطُّبري: تاريخ الرسل والملوك، ١٠: ٥٢.

<sup>٣</sup> أسرف القاهر في تعذيب شُعَب زوجة أبيه - والتي ظنَّ أنَّها تُخفي الكثير من الأموال - فعَلَّقها أساييع من قدميها حتى قيل أن بُولها كان يسيلُ على فيها، ثم لم تلبث أن تُوفيت بعد إطلاقه لسراحها متأثرة بذلك التعذيب، يسكويه: تجارب الأمم، ١: ٢٤٣-٢٤٤.

<sup>٤</sup> الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ٨: ٢٠٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ٢٤: ٢٢٧، مع ملاحظة أن الذهبي يُخطئ وينسب واقعة استفتاء الاضطخري إلى المُقتدر وليس لأخيه القاهر؛ الصَّفدي: الوافي بالوفيات، ١١: ٢٨٧؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامة، ٧٠.

وربما يُثور تساؤل حول كيفية اختيار تلك الفكرة في رأس القاهر بالله؟ ولماذا صابئة حرّان بالذات دونًا عن أهل الذمة جميعًا؟ في اعتقادي أنّ السر يكمن في نفس الشخص الذي احتسب على الصابئة في عهد المقتدر وخلال وزارة علي بن عيسى بن الجراح، ألا وهو هارون بن إبراهيم القاضي، فتبّع سيرة هذا الرجل في أواخر عهد المقتدر وفي عهد القاهر يُوحى بذلك، فعقب وفاة المقتدر تقرب هذا القاضي من الخليفة القاهر بشكلٍ ما حتى أصبح أثيرًا عنده، فاستدعاه القاهر بالله من حرّان ليؤيّه الحسبة ببغداد، وسرعان ما صُجّر أهل بغداد منه جرّاء تعسّفه وتشدّده، فولاه القاهر بالله قضاء مصر وأعمالها، فاستتاب هو أحد إخوته ليلي قضاء مصر، واستمرّ في الإقامة ببغداد<sup>٤٥</sup>. وعلى الأرجح فقد فاتح هذا الرجل القاهر بالله في أمر صابئة حرّان مرة أخرى، وربما عرض عليه الكتاب الذي سبق وأن حمل نسخةً مترجمة منه إلى الوزير علي بن عيسى، وهذه المرة وجدّ أذنًا صاغيةً من الخليفة، فأمر الخليفة باستفتاء الفقهاء في شأن صابئة حرّان بعد أن اختمرت في ذهنه فكرة ابتزازهم ليفدّوا أنفسهم بالمال.

على أي حال فخرّج فتوى كهذه تُعارض الأصول التي استقرّت عليها المذاهب الأربعة لم يكن ليُمرّ دون معارضة فقهية شديدة، فقد رفض أغلب الفقهاء بشدة إجبار الصابئة على الإسلام أو قتلهم في حال رفضهم التخلّي عن دينهم، فابن تيمية (ت ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) يُقرّر أن فقهاء كثيرين نازعوا أبي سعيد الاضطخري في فتواه<sup>٤٦</sup>، إلا أنّ الخليفة - ورغم تلك المعارضة القويّة - أثر الأخذ بفتوى الاضطخري والمحاملي، لدوافع اقتصادية بحثة لا علاقة لها بتطبيق الشريعة كما سبق القول. وبناءً على تلك الفتوى استدعى القاهر طييبه سنان بن ثابت بن قرة، وخيّره بين الإسلام أو السيف، فخشي سنان على نفسه وأعلن إسلامه بين يدي الخليفة<sup>٤٧</sup>، ثم لم يلبث أن اضطُرّ إلى الهرب والاستتار، ولا تُخبرنا المصادر بشيء عن أسباب هروب سنان من وجه القاهر سوى أنّه رأى أنّ القاهر كلّما أمره بشيء أخافه<sup>٤٨</sup>، وهذا أمر

<sup>٤٥</sup> القُصاعي: عيُون المعارف، ٥١٢.

<sup>٤٦</sup> رسالة الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ٤٥٧.

<sup>٤٧</sup> التديم: الفهرست، ٢: ٣١٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ١٥: ١٥٢؛ ابن الجوزي: المُتظّم، ١٤: ٢٨.

<sup>٤٨</sup> مجهول: العيُون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق عُمر السعيد، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات

العربية، دمشق ١٩٧٣، ٤: ٣٨١.

منطقي، فالخليفة لم يعد يثق بطبيعه لا سيّما وأنه يعلم في قرارة نفسه أن طبيبه الخاص يدين بالولاء لأبناء أخيه المقتدر، وزادت الجفوة بينهما بعد أن أجبره القاهر على ترك دينه، وسنان أدرك بغريزته أن الخليفة فقد ثقته به، ففر بنفسه قبل أن يأمر القاهر بحبيسه أو قتله.

كيفما كان الأمر فقد اضطر سنان إلى ترك العراق بأسره والهرب إلى خراسان، كما هرب واستتر سائر أهل بيته، فهرب الطيّب ثابت بن سنان، وشقيقه إبراهيم بن سنان بن ثابت الفلكي وعالم الرياضيات الشهير الذي كان يُراقب بدقة حركة الأجرام السماوية ويستعد لنشر نتائج الرصد الذي أجراه، لكنه هرب قبل أن يظفر به القاهر ويُجره على ترك دينه، وتحدث في مقدمة رسائله الفلكية عن تلك المحنة التي بقوله<sup>٩</sup>:

«وقد كانت لنا رغبة في التّعلم لم يحدث بعدها زهدٌ فيه. لكن حالت دونه حوائل، ومنعت عنه موانع، وأتصل الشُّغل بما لم نستدعيه ولا اخترناه، ولا سلكنا بجهلنا سبيلاً يؤدّي إليه، من نكبات مُتتابعة وثلم في الحال، وخوف في خلال ذلك مُخوّج إلى الاستتار ولم يمكن معه الاستقرار في موضع واحد».

ولم يعد آل قُرّة إلى بغداد إلا بعد عزل الخليفة القاهر عام ٣٢٢هـ / ٩٣٤م، وعودة الخلافة إلى أبناء المقتدر مرة أخرى. ولكن لما لم يكن في إمكان سنان بن ثابت الارتداد عن الإسلام فقد مات عليه عام ٣٣١هـ / ٩٤٢م. في الوقت ذاته فقد صمد آل زهرون بشدة إزاء هذه المحنة، ولعلهم أدركوا بحاستهم أن القاهر يبتزهم للحصول على أكبر قدر من المال ليفتدوا به أنفسهم، فقد أمر الوزير أبي جعفر عبيد الله بن القاسم بحبس أبي الحسن ثابت بن

<sup>٩</sup> إبراهيم بن سنان الصّابي: رسالة إبراهيم بن سنان في وصف المعاني التي استخرجها في الهندسة وعلم النجوم، ضمن مجموع رسائل ابن سنان الصّابي، تحقيق أحمد سليم سعدان، الكويت ١٩٨٣، ٢٣.

زهرُون الحرَّاني<sup>٥٠</sup>، ونَجَحَ في نهاية الأمرِ في إقناع الخليفة بقبُول خمسين ألف دينارَ منهم، فوافق الخليفة وعفا عنهم وتركهم على حالهم<sup>٥١</sup>.

وترتَّب على ذلك نتائج شديدة الوقع في بنية الطائفة نفسها في بغداد، فبينما اضطرَّ الشيخ الرئيس سنان بن ثابت إلى إشهار إسلامه تحت وطأة التهديد بالقتل ثم هرب واستتر، وكذلك فعل بنوه أيضًا، ولم يعودوا إلى بغداد إلَّا بعد عزل القاهر وعودة الخلافة إلى أبناء المقتدر، رفض طبيب حرَّاني من آل زهرُون التَّخلي عن دينه، فحُيِس وكاد يُقتل، حتى نجح وبُنوه في مُفاوضة القاهر على أن يفتدُوا أنفسهم وبني جلدتهم بمبلغ مالي كبير، ومن ثمَّ فقد ازداد نفوذ وثقل آل زهرُون الصَّابئ على حساب آل قُرَّة. وأصبح صابئةُ بغداد من الحرَّانية يلقَّبون أبي الحسن ثابت بن زهرُون بالشيخ الرئيس<sup>٥٢</sup>.

على هذا النحو انتهت أزمة الحرَّانية مع القاهر بالله، لكن تلك النهاية ذاتها خلقت وضعًا خطيرًا ومُتأزمًا بالنسبة لتلك الطائفة، لا سيَّما بعد أن شكَّلت فتوى الاضطخري والمحاملي ضربةً قويَّة لا اعتبارهم قوماً يجرُون مجرى أهل الذَّمة، وتسري عليهم أحكامهم، وتؤخذ منهم الجزية ويُقرَّون على دينهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان المخرج من تلك المحنة والذي ارتضاه الخليفة القاهر بقاء أنفسهم جعلهم أكثر عُرضةً للائزاز مُجدَّدًا.

وكان من شأن محنة الصَّابئة في عصر القاهر بالله أن جعلتهم أكثر ارتباطًا بأبناء المقتدر، فقد عاد سنان بن ثابت لسابق نفوذه كطبيب خاص للخليفة الرَّاضي بالله، كما استعاد ولده ثابت بن سنان نفوذه بتنصيبه طبيبًا خاصًا للمُتقي لله فيما بعد<sup>٥٣</sup>. لكن الحرَّانية ببغداد لم يلبسوا

<sup>٥٠</sup> ابن أبي أصيبعة: عيُون الأنباء، ٣١٠.

<sup>٥١</sup> الخطيبُ البغدادي: تاريخ بغداد، ٨: ٢٠٨؛ الذَّهبي: تاريخ الإسلام، ٢٤: ٢٢٧، الصفدي: الوافي بالوفيات، ١١: ٢٨٧.

<sup>٥٢</sup> ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ٣٢٧.

<sup>٥٣</sup> القفطي: إخبار العلماء، ٧٢؛ الزُّركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت ١٩٨٠، ٢: ٩٨؛ عمر رضا كحالة: مُعجم المؤلفين، بيروت د.ت، ٣: ١٠٠.

أَن تَعَرَّضُوا لِمِحْنَةٍ أُخْرَى فِي عَصْرِ أَمِيرِ الْأَمْرَاءِ أَبِي الْوَفَا تَوْزُونَ، وَلَا نَكَادُ نَقْفُ عَلَى آيَةٍ تَفَاصِيلُ عَنْهَا إِلَّا مِنْ خِلَالِ مَا نَقَلَ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ مِنْ خَطِّ الْمُحَسَّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالِ الصَّابِيِّ، فِي مَعْرِضِ حَدِيثِهِ عَنْ عَمَلِ وَالِدِهِ إِبْرَاهِيمَ هِلَالِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الصَّابِيِّ كَكَاتِبٍ لِلزَّوْجِ الْمُهَلَّبِيِّ، يَقُولُ يَاقُوتٌ<sup>٥٤</sup>:-

«مَنْ خَطَّ أَبِي عَلِيٍّ الْمُحَسَّنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هِلَالٍ:  
حَدَّثَنِي وَالِدِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: وَصِفْتُ وَأَنَا حَدَّثْتُ،  
لِلزَّوْجِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ، وَهُوَ يُومِئُ بِمُخَاطَبٍ بِالْأُسْتَاذِ،  
فَاسْتَدْعَى عَمِّي أَبَا الْحَسَنِ ثَابِتَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَسَأَلَهُ عَنِّي  
وَالْتَمَسَنِي مِنْهُ، وَوَعَدَهُ فِي بَكْلٍ جَمِيلٍ، فَخَاطَبَنِي عَمِّي فِي  
ذَلِكَ، وَأَشَارَ عَلَيَّ بِهِ، فَامْتَنَعْتُ لِانْقِطَاعِي إِلَى النَّظَرِ فِي  
الْعُلُومِ، وَكُنْتُ مَعَ هَذِهِ الْحَالِ شَدِيدَ الْحَاجَةِ إِلَى التَّصَرُّفِ،  
لِقُرْبِ الْعَهْدِ بِالنُّكْبَةِ مِنْ تَوْزُونَ<sup>٥٥</sup>، الَّتِي آتَتْ عَلَى أُمُومِنَا».

لِمَاذَا أَقْدَمَ تَوْزُونَ عَلَى مُصَادَرَةِ آلِ زَهْرُونَ؟ وَهَلِ اقْتَصَرَتِ الْمُصَادَرَةُ عَلَى آلِ زَهْرُونَ فَحَسَبَ أَمْ شَمِلَتْ جَمِيعَ صَابِئَةِ حَرَّانَ مِنَ الْمُقِيمِينَ بِبَغْدَادٍ؟ تَحْتَمِلُ عِبَارَةُ «النُّكْبَةِ مِنْ تَوْزُونَ الَّتِي آتَتْ عَلَى أُمُومِنَا» كَلَامَ التَّفْسِيرِينَ مَعًا. تَصُمُّتِ الْمَصَادِرُ تَمَامًا عَنْ أَسْبَابِ تِلْكَ

<sup>٥٤</sup> مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ، ١: ١٤٤.

<sup>٥٥</sup> كَانَ الْخَلِيفَةُ الْمُتَّقِي قَدْ وَلَّى الْأَمِيرَ التُّرْكِي تَوْزُونَ أَمْرًا بَعْدَ تَحْلُصِهِ مِنْ نَفْذِ الْبَرِيدِيِّينَ، إِلَّا أَنَّهُ سُرِعَانَ مَا سَاءَتِ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْمُتَّقِي وَتَوْزُونَ بِسَبَبِ رَغْبَةِ الْآخِرِ فِي الْإِسْتِثْنَاءِ بِالسُّلْطَةِ، فَاسْتَنْصَرَ الْمُتَّقِي بِالْحَمْدَانِيِّينَ، وَمَا لَبِثَ تَوْزُونَ أَنْ خَجِيَ مِنْ عَاقِبَةِ التَّدْخُلِ الْعَسْكَرِيِّ لِلْحَمْدَانِيِّينَ فَازْسَلَ يُطْمِئِنُّ الْخَلِيفَةُ، وَوَعَدَهُ إِنْ عَادَ إِلَى بَغْدَادٍ أَنْ يُضَيِّحَ مِنْ تَمَالِيكِهِ، فَاطْمَأَنَّ الْمُتَّقِي لَوْعُودِ تَوْزُونَ فَعَادَ إِلَى الْعِرَاقِ مُجَدَّدًا، فَعَزَلَهُ تَوْزُونَ بَعْدَ أَنْ سَمَلَ عَيْنَيْهِ، وَوَلَّى الْخِلَافَةَ لِلْمُسْتَكْفِيِّ بِاللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تُوفِيَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَغَرَقَتْ بَغْدَادُ فِي خِضَمٍّ مِنَ الْقَوَضَى بَعْدَ أَنْ آلَتِ السُّلْطَةُ الْفَعْلِيَّةُ لِكَاتِبٍ مِنْ كُتَّابِهِ يُدْعَى ابْنَ شَبْرَزَادَ، وَكَانَتْ تِلْكَ مُقَدِّمَاتُ دُخُولِ مُعْزِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهِ بَغْدَادَ دُونَ مَقَاوِمَةٍ وَدُونَ إِرَاقَةِ نُقْطَةِ دِمَاءٍ وَاحِدَةٍ، عَنْ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ انْظُرْ:-  
مُسْكَوِيَّة: تَجَارِبُ الْأُمَمِ، ٢: ٦٩-٨٤؛ مَجْهُول: الْعَيُونُ وَالْحَدَاتِقُ، ٤، ٢، ٤٠٥-٤٣١؛ ابْنُ الْأَثِيرِ الْكَامِلُ: ١٧٢: ٧ وَمَا بَعْدَهَا.

المصادر. فهل أعاد تَوْزُون الكَرَّة وابتزَّ الحرنائيَّة من جديد بفَتْوَى الاضطخريِّ والمحامليِّ؟، ليس هذا مُستبعدًا، فمع حاجة الجُنْد لِلْمَال في هذا العَصْرِ - المُضطرب سياسيًا - قد يفعل القادة كل ما يُمكنهم للحصول عليه.

لكن اللَّافِت لِلنَّظَر حقًا - رغم كونه لا يَرْتَبط مُباشرةً بحديث أبي إِسْحاق الصَّابِعي عن مُصادرة تَوْزُون هُم - هو ما رواه ابن الأثير في حوادث عام ٣٣٢هـ / ٩٣٣م من أنَّ الخليفة المُتقي خاف من غدر كاتب الأمير تَوْزُون ابن شيرزاد فأرسل إلى الحمدانيِّين بالمُوصل يطلب تجريدة من الجُنْد تأمِّن خروجه من بغداد، وتحوّل دون ظَفَر ابن شيرزاد به، فأرسلوا له فرقة من الجُنْد بقيادة الأمير الحسين بن سعيد بن حمدان، فخرج الخليفة من بغداد في حمايتها، وخرج معه نفرٌ من أعيان بغداد وفي جُمْلَتهم ثابت بن سنان بن ثابت بن قُرَّة<sup>٥٦</sup>. إذن فقد تخلّى ثابت بن سنان عن حذر أسلافه من التَّدخُل في مُجريات السِّياسة بشكل علنيّ ودفعه ولاؤه للمُقتدر وأبنائه - أولياء نِعْمته ونِعْمَةِ أبيه من قبل - إلى مُناصرة الخليفة المُتقي بشكلٍ سافرٍ ضِدَّ تَوْزُون، ورغم أنَّ المصادر لا تُحدِّثنا عمَّا إذا كان هذا الموقف هو موقف الحرنائيَّة جميعًا من المُتقي، أم هو موقفٌ فردي من جانب واحدٍ من كبار بيت آل قُرَّة فحسب، فليس من المُستبعد - في ضوء هذا - أن يَكُون الحرنائيَّة قد ناصرُوا الخليفة المُتقي في صِراعه ضد تَوْزُون بشكل علنيّ وسافرٍ، وجاء إجراء تَوْزُون بمُصادرتهم - عقب تَخْلُصه من المُتقي عام ٣٣٣هـ / ٩٤٤م - بمثابة عقاب جماعي هُم.

<sup>٥٦</sup> الكامل، ٧: ١٧٨.



## الفصل

### الثامن



## أوضاع الصَّابئة في العصور

### العبَّاسية المتأخرة

«وقد صغَّ أنَّه لا يجوز أن يرقى إلى هذه  
المرتبة إلا مُسلم، ولا يمتنع بالصَّابئ، وأنَّه كتب  
للمُطيع والطَّائع من خُلفاء بني العبَّاس؛ ونُعزَّ  
الدَّولة وعزَّ الدَّولة من ملوك الدَّيلم؛ وهما يومئذ  
عُندة الإسلام وعُضد الخِلافة؛ وهو على دِينه  
الصَّابئة. فإنَّ الصَّابئ كان من أهل ملةٍ قليلٍ  
أهلها، ليس لهم ذكرٌ ولا مملكة، وليس منهم  
محارب لأهل الإسلام، ولا لهم دولة قائمة  
فَنُخسَى غائِلته ونُخاف عاقِبته».

القلَّشْندي

بحلول عام 334هـ/ 945م دفعت الخلافة العباسية ثمنًا باهظًا إزاء استحداث منصب أمير الأمراء، إذ أقدم الخليفة الرّاضي على تلك الخطوة ظنًا منه أنها كفيلة بضبط أحوال البلاد وإعادة الهبة إلى الخلافة، وفي الواقع لم تُؤت هذه الخطوة بثمارها، بل زادت الأمور تعقيدًا، فقد استحكم النزاع بين الخليفة وبين أمير الأمراء على السّطة من جهة، كما تنافس عددٌ كبير من الأمراء على الاستيثار بهذا المنصب الرفيع من جهة أخرى<sup>1</sup>، وكتيجة مباشرة لتلك الفوضى وذلك الاضطراب السياسي سقط العراق بأسره فريسة سهلة في أيدي أمراء بني بويه من الشيعة الدّيلم<sup>2</sup>.

كان البويهيون شيعةً على المذهب الزّيدي، لكن ظروف اغتياقهم للتّشيع كانت ظروفًا استثنائية؛ قياسًا لباقي الفرق والطوائف الشّيعية، فقد كان أجداد البويهيين من الدّيلم يديّون - على الأرجح - بإحدى الديانات الوثنية<sup>3</sup> التي انتشرت في إقليم ديلمان<sup>4</sup> حيث يقطنون، ولم يعتنقوا الإسلام إلا على يد الدّاعية العلوي الحسن بن علي

<sup>1</sup> شهد عام 329هـ/ 940م وحده وصول أربعة أمراء إلى هذا المنصب عن طريق استخدام القوة العسكرية، وهم بجكم التركي، وأبو عبد الله البريدي، ومحمد بن رائق، ثم أبي الوفا توزون. للتفصيل انظر: - مسكويه: - تجارب الأمم، 2: 13 وما بعدها.

<sup>2</sup> الدّيلم هم إحدى القبائل التي تنتمي إلى الشعوب الهندو-أوربية والتي هاجرت في عصور موغلة في القدم من موطنها الأصلي بأواسط آسيا إلى أطرافها وشرق أوروبا، حيث ورد عند المؤرخ الإغريقي بوليبيوس POLYBEIUS في القرن الثاني ق.م الإشارة إلى شعب يُسمى *Delyamaioi* انظر: - S. MINORSKI. *La domination des Daylamites*, Paris, 1932, p 3.

<sup>3</sup> يكتنف الغموض ديانة الدّيلم قبل اعتناق الإسلام، لكن المقدسي يقول بأنهم لم يكونوا ينحازون لملة أو يعتنقون أي دين. أحسن التقاسيم، 369، ويذهب ميئورسكي بأنهم ربّما دائوا بإحدى الديانات الوثنية القديمة. MINORSKI : op. cit, p 5.

<sup>4</sup> وهو نفسه الإقليم الذي أشار إليه بطليموس الجغرافي في القرن الثاني ق.م باسم إقليم *Delymots*، ويجب أن يكون ثمة تفرقة بين إقليم ديلمان قبل وبعد قيام الدولة البويّية، ففي البداية لم يكن مُسمّى بلاد الدّيلم أو ديلمان يُطلق سوى على مساحة صغيرة محصورة داخل مقاطعة جيلان، وهي المنطقة الكائنة بين طبرستان والجبال وبحر الخزر، ليسترنج: بلدان الخلافة، 207؛ MINORSKI: Ibid. أما بعد قيام الدولة البويّية فقد مال الجغرافيون المسلمون إلى القول بأن إقليم ديلمان يضم كل المقاطعات الواقعة إلى الجنوب من بحر الخزر، ابن حوقل: صورة الأرض، 319؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، 353.

ابن الحسين الملقب بالأطروش (ت 304هـ/ 916م)<sup>5</sup>. ومن ثم تركت هذه الظروف نفسها تأثيراً كبيراً على نظام حكمهم، وعلى نظرتهم لمختلف الفرق والأديان والطوائف. فلم يكن البويهيون يحملون على عاتقهم ثقل صراع دام لقرون مع أهل السنة، لذا كانوا أكثر انفتاحاً على الآخر بالقياس لباقي الفرق الشيعية الأخرى، فلم يجدوا صعوبة تذكر في التعامل مع غيرهم سواء من المسلمين سنة أو شيعة على اختلاف طوائفهم، والحال نفسه مع أهل الذمة على اختلاف نحلهم.

ونظراً لأن الأطلع السياسية كانت هي ما يحركهم فقد أبقوا على الخلافة العباسية السنية كما هي، وفي الوقت نفسه خاضوا صراعاً ضارياً مع الحمدانيين بالموصل وهم شيعة مثلهم<sup>6</sup>. بل إننا نجد أن تلك الميوعة وعدم وضوح البعد الديني والمذهبي في سياسة بني بويه

<sup>5</sup> الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بالأطروش القلوي، أحد أبرز النوار العلويين ضد الخلافة العباسية، أعلن الثورة على الخليفة المعتذر، وبايعه الديلم بعد أن اعتنقوا الإسلام على يديه، وحاول أحمد بن إسماعيل الساماني والي خراسان التصدي له، فهزموه واستولوا على طبرستان عام 301هـ/ 913م وتلقب بالإمام الناصر لدين الله. ثم لم يلبث أن توفي بآمل سنة 304هـ/ 916م. الصفدي: الوافي بالوفيات، 12: 69-70.

<sup>6</sup> كما لم يعترفوا بشرعية الخلافة الفاطمية في مصر وكانوا شيعة مثلهم أيضاً، انظر: - محمد عبد الحفي شعبان: الدولة العباسية، بيروت 1981، 196. وكانت عوامل تلك المرونة الدينية نفسها كامنة في بنية النظام البويهي السياسي نفسه، فقد اعتمد البويهيون على جيشهم في التوسع الذي بدأ من إقليم ديلم، وشمل فارس وأجزاء من بلاد ما وراء النهر، حتى امتد - في أزهي عصور بني بويه - إلى الموصل وديار مصر بإقليم الجزيرة، وكان قوام جيش بني بويه من الديلم الشيعة والآثراك المرتزقة من السنة، وكان صراع على السلطة بين كلا القسمين كفيلاً بإحداث فتنة سرعان ما تأخذ أبعادها المذهبية، ومن ثم كانت لعبة التوازن التي مارسها حكام بني بويه هي ترك الخلافة العباسية السنية على حالها، والعمل على تخفيف حدة الصراع المذهبي بقدر الإمكان، فترك أمراء بني بويه المناصب السياسية الكبرى كالوزارة والقضاء بأيدي السنة، وألحقوا بهم أهل الذمة كمساعدين لهم في إدارة شؤون الدواوين، فكان منهم الكتاب، وولاة الدواوين، وجباة القراج، وضامني الضياع والإقطاعات، بل بلغ من تسامح بني بويه تجاه الأقليات الدينية بالساح باستخدام الزرادشتية المجوس في الدواوين. كأي سعد بهرام بن أردشير المجوسي الكاتب، وكان أحد كتّاب ديوان الرسائل المرموقين في عصر عز الدولة بختيار، وأبي سهل سعيد بن الفضل المجوسي، والذي عمل ككاتب بديوان الرسائل انظر: - رسائل الصائغ، نسخة عاشر أفندي، ورقة 80 ظ. ، ونسخة دار الكتب المصرية، ورقة 85 ظ؛ ونسخة تيسير بيتي ورقة 101و.

قَادَ الْبَاحِثِينَ لِلتَّخَبُّطِ فِي تَحْدِيدِ مَا إِذَا كَانُوا شِيعَةً عَلَى الْمَذْهَبِ الزَّيْدِيِّ أَمْ الْإِمَامِيِّ الْإِنْسَانِيِّ  
عَشْرِي، وَهُوَ الْمَذْهَبُ الْأَوْسَعُ انْتِشَارًا بَيْنَ الشَّيْعَةِ فِي فَارَسٍ<sup>7</sup>.

وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نُطْلِقَ عَلَى عَصْرِ بَنِي بُوَيَه - إجمالاً - لَقَبَ الْعَصْرِ الذَّهَبِيِّ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ  
بِالْعِرَاقِ، فَقَدْ مَالَ الْبُيُوتِيُّونَ إِلَى الْاعْتِمَادِ عَلَيْهِمْ، وَبِصِفَةِ خَاصَّةٍ طَائِفَتِي النَّصَارَى وَالصَّابَةِ.  
وَهُوَ تَوَجُّهُ ذَكِي، حَيْثُ أَنَّ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ لَمْ يَكُنْ يَعْنِيهِمَا سِوَى تَحْقِيقِ أَكْبَرِ نَفُوذٍ مُمَكَّنٍ، وَأَكْبَرِ  
مَكَاسِبٍ مَادِيَّةٍ دُونَ الْاِسْتِثَارِ بِالسُّلْطَةِ نَفْسِهَا، كَوْنَهُمْ يَفْتَقِرُونَ إِلَى أَهَمِّ مُقَوِّمَاتِهَا وَهِيَ الْإِسْلَامُ  
بِحَسَبِ شُرُوطِ الْوَلَايَةِ فِي الْاضْطِلَاحِ الْفِقْهِيِّ الْإِسْلَامِيِّ<sup>8</sup>. لَيْسَ مِنَ الْغَرِيبِ إِذْنُ أَنْ تَزْدَهَرِ  
أَوْضَاعُ أَهْلِ الذِّمَّةِ بِشَكْلِ عَامٍ فِي ظِلِّ حُكْمِ بَنِي بُوَيَه، وَأَنْ تَنْتَعِشَ أَوْضَاعُهُمُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ، وَأَنْ  
يَزْدَادَ نَفُوذُهُمْ، فَالاطَّلَاعُ عَلَى الرَّسَائِلِ ذَاتِ الصَّبْغَةِ الرَّسْمِيَّةِ فِي رِسَائِلِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي  
الَّذِي شَغَلَ مَنْصِبَ مُتَوَلِّي دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ كَفِيلٍ بِإِيضَاحِ سِيَاسَةِ بَنِي بُوَيَه  
فِي خَلْقِ مَسَاحَاتٍ وَاسِعَةٍ مِنَ التَّوَازُنِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ وَأَهْلِ الذِّمَّةِ بَلْ وَمَنْ يَجْرُونَ مَجْرَاهُمْ  
أَيْضًا.

لِذَا كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَزْدَادَ نَفُوذُ الصَّابَةِ فِي الْعَصْرِ الْبُيُوتِيِّ، فَقَدْ مَثَلَ التَّسَامُحُ

<sup>7</sup> يَعْتَقِدُ كَلُودُ كَاهَنُ أَنَّ بَنِي بُوَيَه كَانُوا أَقْرَبَ إِلَى الْإِمَامِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَشْرِيَّةٍ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ، انْظُرْ مَقَالَهُ: - بَنُو بُوَيَه،  
مَرْجِعٌ سَابِقٌ، 8: 465، وَلَا رَيْبَ لَوْ أَنَّهُ قَدَّرَ لِكَاهِنِ الْاطَّلَاعِ قَبْلَ وَفَاتِهِ عَلَى الْمَجْمُوعَةِ الْحَدِيثَةِ الَّتِي تَمَّ الْعُثُورُ  
عَلَيْهَا وَنَشَرَهَا مِنْ كِتَابَاتِ الْأَثَمَةِ الزَّيْدِيَّةِ لَغَيْرَ رَأْيِهِ، فَمَنْ خَلَّاهَا نَلْمَسُ بَوْضُوحَ أَنَّ حُكْمَ بَنِي بُوَيَه ظَلُّوا عَلَى  
الْوَلَاءِ وَالتَّبَعِيَّةِ لِلدَّعَاةِ الْعَلَوِيِّينَ الزَّيْدِيَّةِ، حَيْثُ ظَلَّ عِبَادُ الدَّوْلَةِ بَنُو بُوَيَه يَعْتَبِرُ نَفْسَهُ قَائِدَ جَيْشِ الْإِمَامِ  
الدَّاعِي إِلَى الْحَقِّ الْمَهْدِيِّ لِدِينِ اللَّهِ الزَّيْدِيِّ، بَيْنَمَا قَامَ مُعَزُّ الدَّوْلَةِ بِدَعْوَةِ هَذَا الْإِمَامِ إِلَى بَعْدَادَ لِيَتَّبِعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ،  
لَكِنَّهُ عَادَ وَخَشِيَ عَاقِبَةَ تَصَرُّفِهِ لِأَسْبَابٍ سِيَاسِيَّةٍ بَخْتَةٍ، انْظُرْ: - الْإِمَامُ النَّاطِقُ بِالْحَقِّ: الْإِفَادَةُ مِنْ تَارِيخِ الْأَثَمَةِ  
السَّادَةِ، ضَمِنَ كِتَابَ أَخْبَارِ الْأَثَمَةِ الزَّيْدِيَّةِ، 103، مُحَمَّدُ بْنُ الْمُحَلَّى: الْحَدَاتُ الْوَرْدِيَّةُ فِي مَنَاقِبِ الْأَثَمَةِ الزَّيْدِيَّةِ،  
ضَمِنَ كِتَابَ أَخْبَارِ الْأَثَمَةِ الزَّيْدِيَّةِ، 247.

<sup>8</sup> الْمَاوَرْدِيُّ: الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ، 30، JOHN J. DONOHUE: *The Buwayhid dynasty in Iraq 334H. / 945 to*

403 H./1012, Leiden 2003, p 189.

الذي أبداه بنو بويه تجاه أهل الدِّمة تشجيعاً لهم على لعب دور أكثر زخماً على السَّاحة، وساعدهم ذلك المناخ المواتي عن التَّخَلِّي تماماً عن الحذر الذي التزموه تجاه المناصب ذات الطَّبِعة السَّياسِيَّة من ذي قبل، حتى أنَّ أحدهم - وهو أبو إسحاق الصَّابِئ - استُخْلِفَ عدَّة مرَّات للقيام بمهامِّ الوَزيز، بل وكادَ أن يلي الوَزارَةَ نفسها، وهي سابقةٌ ليس لها مثيلٌ في تاريخ الخِلافة العَبَّاسِيَّة.

والشَّيء الملاحظ في هذا الطُّور من تاريخ الصَّابِئَة هو انجسار دور آل قُرَّة الرُّعَماء التقليديِّين للصَّابِئَة الحرنائيَّة، وبروز دور آل زهرون الصَّابِئ بنفوذهم الكَبير في العصر البُويهي، وقد يتبادر إلى الدَّهن التَّساؤل عن ماهيَّة تلك العوامل التي أدَّت إلى تراجع دور آل ثابت بن قُرَّة مُؤسِّس نِعْمة الصَّابِئَة ببغداد على حد تعبير المؤرِّخين المُعاصرين. لقد سبق لنا وأن تناولنا الأحداث التي واكبت نكبة الحرنائيَّة في عصر القَاهِر بالله من فشل آل قُرَّة في التَّصدي لِأزمَتهم مع الخليفة، بل وهرب رؤسائهم من وجْهه، واعتناق رئيس الطَّائفة للإسلام، في حين استطاع آل زهرون التَّوصل إلى اتِّفَاقٍ مع الخليفة، يضمن بقاء الطَّائفة على دينها. يُضاف إلى ذلك أنَّ النَّابِيين من آل زهرون لم يسلكوا نفس مسلك آل قُرَّة بظهورهم كَنُخبَةٍ من المُتَقَفِّين والعُلَماء والأطباء ومُنَادِمي الخُلفاء للحصول على النُّفوذ والجاه، كما سلك أمثالهم من آل قُرَّة من قبل، بل استند نفوذهم إلى مناصب رسميَّة.

ويُمكن القول بأن الصَّابِئَة في هذا الدَّور كانوا قد تعلَّموا درساً لا يُنسى خلال مُحنَّتهم أيام القَاهِر بالله. ولعلَّ ذلك أسَّهم في تغيير منهجهم من التَّقرب من الحُكَّام فَحَسَب وخدمتهم بعلومهم التي برعوا فيها - وعلى رأسها الطبَّ - إلى السَّعي لتسلُّم زمام السُّلطة نفسها، وهو ما يُعدُّ استجابة ذكيَّة وسريعة لِمُقْتَضَيات الوضع الجَدِيد الذي خلقه سيطرة البُويهيِّين على مقاليد السُّلطة بالعراق. هذا في الوقت الذي استمرَّ فيه آل قُرَّة في طريقتهم القَدِيمة في استِغلال التَّفوق العِلْمي للوصول إلى النُّفوذ. إن التأمُّل في تلك الأسْطر التي نقلها ياقوت الحموي عن هلال بن المُحسِّن الصَّابِئ عن كَيْفِيَّة صُعُود نجم جدِّه أبي إسحاق الصَّابِئ كافيَّة لإظهار كيف نجح آل زهرون في تخطِّي الحواجز النَّفْسِيَّة التي كانت تحُول بينهم وبين

الأنخراط في الحياة السَّياسِيَّة بشكلٍ فعَّال، يقول ياقوت<sup>9</sup>:-

«وحدَّثَ هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ: حَدَّثَنِي جَدِّي أَبُو إِسْحَاقَ -  
 - ثُمَّ وَجَدْتُ هَذَا الْخَبَرَ بِخَطِّ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ - قَالَ:  
 حَدَّثَنِي وَالِدِي أَبُو إِسْحَاقَ، قَالَ: كَانَ وَالِدِي أَبُو الْحَسَنِ  
 يُلْزِمُنِي فِي الْحَدَاثَةِ وَالصَّبَا قِرَاءَةَ كُتُبِ الطَّبِّ، وَالتَّحْلِي  
 بِصَنَاعَتِهِ، وَيَنْهَانِي عَنِ التَّعَرُّضِ لَغَيْرِ ذَلِكَ، فَقَوِّتُ فِيهَا قُوَّةً  
 شَدِيدَةً، وَجَعَلَ لِي بِرِسْمِ الْخِدْمَةِ فِي الْبَيْتَارِسْتَانِ عَشْرُونَ<sup>10</sup>  
 دِينَارًا فِي كُلِّ شَهْرٍ. وَكُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الرُّؤَسَاءِ،  
 خِلَافَةً لَهُ، وَنِيَابَةً عَنْهُ، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ كَارَهُ لِلطَّبِّ، وَكَانَ إِذَا  
 أَحْسَسْتُ بِهَذَا مَتْنِي، يُعَاتِبُنِي عَلَيْهِ، وَيَنْهَانِي عَنْهُ، وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ، لَا  
 تَعْدِلُ عَنْ صِنَاعَةِ أَسْلَافِكَ».

إن تتبَّع مراحل ترقِّي أبي إِسْحَاقَ الصَّابِي وَصُعُودَ نَجْمِهِ خِلَالَ النُّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ  
 الرَّابِعِ الْمُهْجَرِي/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِي مِنْ خِلَالَ الْمَصَادِرِ الْمُعَاصِرَةِ يَدْعُ أَمْرًا غَايَةً فِي الصُّعُوبَةِ، ذَلِكَ  
 أَنَّ تِلْكَ الْمَصَادِرَ لَمْ تُرَكِّزْ إِلَّا عَلَى وَلايَةِ أَبِي إِسْحَاقَ لِدِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ، ثُمَّ عَزَمَ عَزْرُ الدَّوْلَةِ بُخْتِيَارَ  
 عَلَى تَوَلِّيَتِهِ الْوِزَارَةَ فِيمَا بَعْدَ، لَكِنَّ الْعَدِيدَ مِنْ تِلْكَ الْمَرَا حِلِّ يُمَكِّنُ تَتَبُّعَهُ مِنْ خِلَالَ تِلْكَ الرِّسَالِ  
 الرِّسْمِيَةِ الَّتِي صَدَرَتْ عَنْ دِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ فِي عَهْدِهِ، فَقَدْ عَمِلَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي كَاتِبًا لِبَعْضِ  
 الرُّؤَسَاءِ فِي بَادِي أَمْرِهِ<sup>11</sup>، وَتَارِيخَ التَّحَاقُّهِ بِالْعَمَلِ ككَاتِبِ بَدِيَوَانِ الْإِنْشَاءِ غَيْرِ مُحَقَّقٍ، لَكِنَّهُ مَعَ  
 دُخُولِ مُعْزِّ الدَّوْلَةِ بِغَدَادَ كَانَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي وَاحِدًا مِنْ أَشْهُرِ الْكُتَّابِ بِدِيَوَانِ الرِّسَالِ،

<sup>9</sup> ياقوت الحموي: مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ، 1: 142-143.

<sup>10</sup> كَذَا وَرَدَتْ عِنْدَ يَاقُوتَ، وَصَوَابُهَا عَشْرِينَ.

<sup>11</sup> ياقوت الحموي: مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ، 1: 142.

وقد التحق بخدمة الوزير أبي مُحَمَّد الحسن بن مُحَمَّد المهلبي (ت 352هـ / 963م)<sup>12</sup>، وصار من أشدَّ خواصه قُرباً وإثرة، حتى قيل أنّه لم يكن يرى الدنيا إلّا به<sup>13</sup>. وقد أهّلت له تلك المكانة من الوزير المهلبي أن يُخاطب الأمير مُعزّ الدولة في شأن ولاية أبي إسحاق ديوان الإنشاء عقب وفاة مُتوّلّيه أبي إسحاق بن ثوابة عام 349هـ / 960م<sup>14</sup>. وحتى عام 351هـ / 962م لم يُسند لأبي إسحاق أي منصب آخر بخلاف رئاسته لديوان الرّسائل. نفهم ذلك بجلاء من خلال صدر إحدى الرّسائل المؤرّخة بهذا العام، كتبها عن الخليفة المُطيع لله، بشأن نقل خراج سنة 350هـ / 961م إلى سنة 351هـ / 962م، وفيها وصف أبو إسحاق نفسه بصاحب ديوان الرّسائل<sup>15</sup>.

وفي عام 352هـ / 963م استخلف الوزير المهلبي أبي إسحاق الصّابي ليُقوم بمهام الوزير في غيخته، عندما أمّره مُعز الدولة بالخروج مع الجيش إلى عَمّان لطرد القرامطة منها<sup>16</sup>، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يجمع فيها أبو إسحاق بين الوزارة وبين رئاسة ديوان الإنشاء، وهي أرفع مرتبة وصل إليها ذمّي في تاريخ الدولة العبّاسية، ففي رسالة لأبي إسحاق الصّابي أرسلها مُهنّئاً الوزير المهلبي على نجاحه في طرد القرامطة من عَمّان وإعادتها لسيادة بني بُويه مؤرّخة بعام 352هـ / 963م تطرّق أبو إسحاق الصّابي إلى شكر الوزير مُمتنّاً له على ثِقته به في استخلافه وتولّيته مهام الوزارة أثناء غيخته، ومُعذّداً أيّاده عليه<sup>17</sup>.

<sup>12</sup> كان خليفة أبي جعفر الصّيمري وزير مُعز الدولة المُتوفى 337هـ / 948م، وعندما خلا منصب الوزير بوفاة الصّيمري ولّاه مُعز الدولة الوزارة، ابن الأثير: الكامل، 7: 233.

<sup>13</sup> ياقوت: مُعجم الأدباء، 1: 132.

<sup>14</sup> ابن الأثير: الكامل، 7: 268؛ الحمّاذي: تكملة تاريخ الطّبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1982، 391؛ الدّهبي: تاريخ الإسلام، 27: 75؛ ابن خَلّكان: وفيات الأعيان، 1: 52؛ شوقي صيف: تاريخ الأدب العربي، العصر العبّاسي الثاني، دار المعارف، القاهرة 1973، 561؛ فيه: أحوال النّصارى، 228.

<sup>15</sup> رسائل الصّابي، نُسخة عاشر أفندي. ورقة 88ظ.

<sup>16</sup> مسكويه: تجارب الأمم، 2: 196؛ ابن الأثير: الكامل، 7: 278.

<sup>17</sup> رسائل الصّابي، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 29 و.

وقد نال أبا إسحاق ضررٌ بعد وفاة الوزير المهلبّي في طريق عودته من عُمان إلى بغداد عام 352هـ/963م، فأمر مُعزُّ الدولة بمُصادرة ورثته وكتّابه جميعًا، وذلك في محاولة منه لتدأرك العجز المالي الذي أصاب خزانة الدولة قُبيل وفاة المهلبّي<sup>18</sup>، إلا أنّه شرعان ما عفا عن أبي إسحاق، ففي صدر إحدى الرّسائل غير المؤرّخة أرسلها شخصٌ يدعى أبو علي بن محمد الأتباري، وصف فيها أبا إسحاق الصّابي بخليفة الوزير أبي الفضل العبّاس بن الحسين الشّيرازي بحضرة الأمير مُعزّ الدولة<sup>19</sup>. وهذه هي المرّة الثانية التي نعرف فيها أن أبا إسحاق شغل منصب خليفة الوزير، وهو ما يثني بكفاءته الإدارية، وثقة مُعزّ الدولة به.

وكان من الطّبيعي أن يُولي الأمير عزّ الدولة بُختيار ثقته لخواصّ والده، وفي مُقدّماتهم أبي إسحاق الصّابي، فعقب وفاة مُعزّ الدولة عام 356هـ/966م أعاد الوزير أبو الفضل العبّاس بن الحسين الشّيرازي تقليد ديوان الرّسائل لأبي إسحاق الصّابي، ثم لم يلبث أن نصّبهُ أميرًا على البصرة فجمع بذلك بين ديوان الرّسائل وإمارة البصرة، فاستخلف على ديوان الرّسائل ببغداد ابن عمّه أبي الخطّاب المُفضّل بن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الصّابي، وهذا ما نفهمه بجلاء من صدر إحدى الرّسائل الدّيوانيّة التي أرسلها أبو الخطّاب للأمير عزّ الدولة<sup>20</sup>. وفي صدر رسالة أخرى أرسلها أبو إسحاق إلى أبي أحمد الحسين بن موسى العلوي نقيب الطّالبيّن وصف فيها نفسه بأمر البصرة<sup>21</sup>.

ورغم أن كلّتا الرّسالتان غير مؤرّختين إلا أنّه ليس من الصّعب تحديد تاريخها بدقّة، فمن المعروف أن دخول الوزير الشّيرازي البصرة عنوة جاء في أعقاب عصيان الأمير حبّشي ابن مُعزّ الدولة لأخيه عزّ الدولة بُختيار، وامتناعه عن مُبايعته بالإمارة خلفًا لوالده، فأمر

<sup>18</sup> ابن الأثير: الكامل، 7: 287؛ ياقوت الحموي: مُعجم الأدباء، 1: 133.

<sup>19</sup> رسائل الصّابي، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 6و؛ نسخة تشيستر بيتي، ورقة 56ظ، نُسخة عاشر أفندي، ورقة 18 اظ.

<sup>20</sup> رسائل الصّابي، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 19 اظ.

<sup>21</sup> رسائل الصّابي، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 12 و.



بُخْتِيار وزيره الشيرازي بالتوجه للبصرة وإعادة الأمور إلى نصابها، وتمكّن الشيرازي بالفعل من دخول البصرة بعد مقاومةٍ سيرة، وأسر حبشي وأرسله إلى بُخْتِيار عام 357هـ/ 967م<sup>22</sup>، وبذلك نفهم من كلتا الرّسالتين أنّ بُخْتِيار ولّى إمرة البصرة لأبي إسحاق الصّابي بعد عزل أخيه حبشي عن إمارتها عام 357هـ/ 967م، وفي الوقت ذاته أقرّه على رئاسة ديوان الإنشاء بحضرته ببغداد، فتوجّه أبو إسحاق إلى البصرة، واستخلف على ديوان الرّسائل ابن عمّه أبي الخطّاب المفضّل بن ثابت بن إبراهيم. وهذا من شأنه أن يُعطينا فكرةً عن النفوذ الواسع لآل زهرون في الحياة السّياسية وقتئذٍ.

كذلك نجد في ثانيا إحدى الرّسائل التي أرسلها أبو إسحاق الصّابي إلى أحد أصدقائه بواسط - وهي غير مؤرّخة أيضًا - يُعبّر له فيها عن سعادته بتولية الأمير بُخْتِيار له النّظر في أمور واسط<sup>23</sup>. ولا نستطيع تخديد ما إذا كانت ولاية أبي إسحاق لواسط قد جاءت بعد ولايته على البصرة أم قبلها، وهل جاءت علاوةً على ولايته للبصرة ولديوان الرّسائل معاً أم عزل عن إحداهما أو كليّتهما.

على أيّ حال فلم يلبث بُخْتِيار أن انقلب على وزيره العبّاس بن الحسّين الشيرازي وعزله وصادره عام 362هـ/ 972م<sup>24</sup>، ومن غير المعروف على وجه التّحديد سبب انقلاّب الأمير البويهي على وزيره، ولكن - وعلى ما يبدو - لعب أبو إسحاق الصّابي دوراً ما في ذلك، لأنّ الوزير أبا العبّاس عندما عاد إلى الوزارة مرّة ثانية في نفس العام كان أوّل ما فعله هو مُصادرة أملاك أبي إسحاق وآله وإقطاعيّهم بها فيهم والدته نفسّها، ممّا استدعى من أبي إسحاق أن يكتب له مُستجدياً إيّاه أن يُطلق له ماله وإقطاعاته التي صادرها الوزير، ويُقسم له بأنّه برئ ممّا يتّهمه به الوزير بشأن الإيقاع به عند الأمير بُخْتِيار<sup>25</sup>.

<sup>22</sup> ابن الأثير: الكامل، 7: 304.

<sup>23</sup> رسائل الصّابي، نُسخة مكتبة جامعة ليدين، ورقة 100 ظ.

<sup>24</sup> ابن الأثير: الكامل، 7: 337.

<sup>25</sup> رسائل الصّابي، نُسخة تشيستر بيتي، ورقة 73 و. ونُسخة مجلّي شُراري إيران، ورقة 71 ظ.

وسُرعان ما عزل بُختيار وزيره الشِّيرازي، وعزم على تولية أبي إسحاق الصَّابِئ للوزارة إنْ هُوَ أَسْلَم، فطيقاً لقواعد الولايات الشَّرعية - التي استقر عليها الفُقهَاء آنذاك - يُجوز استخدام أهل الذِّمة في الولايات الصَّغرى إنْ كانوا أَهْلًا لها، أما الولايات الكُبرى كالإمامة والوزارة وإمارة الجيْش والقضاء فلا تُعقد إلا لمُسلم مُستوفٍ لشُروطها<sup>26</sup>، وبالتالي لم يَكُنْ أمام بُختيار إلا أنْ يعرض الإسلام على أبي إسحاق الصَّابِئ قبل أنْ يُؤليه النُّظر في شُئون الوزارة، ولما كان أَبُو إسحاق الصَّابِئ معروفًا بالتَّشدد في دينه فقد رَفَضَ اعتناق الإسلام<sup>27</sup>. وفيما يبدو لجأ بُختيار إزاء تَصَلُّب موقف أبي إسحاق إلى توليته مهام الوزارة بشكلٍ فِعْلي دون تسميته بها، وهذا ما نَسْتَتِجُهُ بشكل غير مُبايِث من خلال رسالة تعزية أُرسلها أَبُو إسحاق من واسط إلى عمِّه ورئيس الطَّائفة أبي الحَسَن ثابت بن زهُرُون، يُعْزِيهِ في ولده أبي الخطَّاب المُفَضَّل بن ثابت والذي كان يشغل منْصِب رئيس ديوان الإنشاء بالوكالة عن أبي إسحاق بِيَنِّداد، وقد اعتذر أَبُو إسحاق لعمِّه عن حُضور الجَنَازة وتلقِّي العزاء مُتَعَلِّلاً بأن خِدْمة الأَمير كلها مُنْوَطَةٌ به، وأنه لا يسعه التَّمَلُّس منها على حدِّ قوله<sup>28</sup>، وهذا العُذر الذي قدَّمه أَبُو إسحاق قد يُشجِّع على القول بأنَّ بُختيار اعتمد على أبي إسحاق لإدارة شُئون البلاد بعد رفض أبي إسحاق للوزارة، أي أنَّ بُختيار كلَّفَه بالقيام بمهام الوزير دُون تسميته بهذا اللَّقب.

على أيِّ حال فلم يلبث أَبُو الحَسَن ثابت بن إبراهيم بن زهُرُون الحَرَّاني - رئيس الطَّائفة - أنْ تُوفِّي عام 365هـ/975م<sup>29</sup>. وعقب وفاته غرقت الطَّائفة في خضمٍّ من الفوضى نتيجة عدم اتِّفاقها على رئيس، وكان أَبُو إسحاق الصَّابِئ يرى أنَّه أَحَقُّ بِرِثَاسَةِ الطَّائفة بِبَنِّداد من

<sup>26</sup> المأوردي: الوزارة، تحقيق محمد سليمان داود، فؤاد عبد المنعم أحمد، القاهرة 1976، 34 - 35.

<sup>27</sup> الثَّعالبي: يتيمة الذَّهر، 2: 233، الذَّهبي: تاريخ الإسلام، 27: 75؛ العبر في خبر من عَبر، 2: 164؛ ابن تَغْرِي بردي: النُّجوم الزَّاهرة، 4: 169؛ الصَّفدي: الوافي بالوفيات، 6: 101-102؛ ابن خُلِّكان: وفیات

الأعيان، 1: 52؛ ياقوت الحموي: مُعْجَم الأَدَباء، 1: 131؛ JOHN J. DONOHUE: *The Buwayhid*, p 188.

<sup>28</sup> رسائل أبي إسحاق الصَّابِئ، نسخة تَشَيَّر بيتي، ورقة 30 ظ.

<sup>29</sup> ابن أبي أصيبعة: عيُون الأَثَباء، 311.

غيره، بإزاء نفوذه المتعظيم في بلاط البُويهيّين، وحاول الظهور بمظهر زعيم الطائفة رغم المعارضة الشديدة من جانب أقربائه من آل زهرون الأكبر سنّاً منه، ومن آل قُرّة الذين نقموا اختيَار آل زهرون لهذا المنصب. هذا ما نفهمه بجلاء من شكوى أبي إسحاق في رسالته لشيخ الطائفة بحرّان نَور بن حكيم بن يحيى، وهي وثيقة على جانب كبير من الأهمية في معرض دراسة أوضاع الحرّانية ببغداد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. يقول أبو إسحاق<sup>30</sup>:-

«.... ووجدتُ أكثر أسباب هذا الضعف والوهن إنّها هو عَدم الرّئيس الرّاعي، وتخاذُل الرعيّة المروّسة، ونشوءها على سوء الطّاعة، وفساد العادة، وتشتّت الشّمل والجماعة، فكل واحد منها يرى أنّ الأمر لا يَنْتَظِم إلّا به وخده، وأنّ قِسْطه الأقلّ مِنْه، ومتى أقامُوا على هذا الرّأي وعمَّهُم الدُّخول فيه تداعي البُنيان، وتضعُضت الأركان، واستمرّ الانتِشار بعد الانتِظام، وإذا همّمنا بتقليد الأمر من يقوم [به]، ومن يُوجب للشريعة نصبه والاتباع له؛ لم يجد الاختيار يتفق، ولا التّساعد يقع، ثم إن وقعاً واجتماعاً؛ لم ينشط المنصوص عليه، وامتنع أشدّ الامتناع؛ لما يراه من ضيق الأحوال وفتور النّيات، ونقصان الطّاعة، وتضييع الفروض، والاستيخفاف بالحقوق، وهذا داءٌ نحن أطبّاؤه، وعليّنا وعندنا دواؤه، ومتى فعَدنا عنه فقد لحقنا بطبقة العامّة في الفشل وترك العمل، وأخللنا بها أوجه الله علينا من الاجتهاد الذي لا عُذر لمن ترّكه، ولا حُجّة بمن صدّف عنه».

<sup>30</sup> رسائل الصّايغ، نُسخة مجلّسي سُوراي إيران، ورقة 82و.

وكَيْفَمَا كَانَ الْأَمْرُ فَإِنَّ النُّفُوزَ الْكَبِيرَ لِأَبِي إِسْحَاقَ جَعَلَهُ عَمَلِيًّا الرَّئِيسَ الْفِعْلِيَّ لِلطَّائِفَةِ غَيْرِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ، لَيْسَ فَقَطْ لِعَامَّةِ صَابِئَةِ بَغْدَادَ مِنَ الْحَرْنَانِيَّةِ، وَإِنَّمَا لِلصَّابِئَةِ فِي حَرَّانَ وَالرَّقَّةِ وَدِيَارِ مُضَرَ بِأَكْمَلِهَا، حَتَّى إِنَّهُ مِنَ الْمُدْهَشِ أَنْ نَجِدَ أَنْ نَفُوزَهُ قَدْ تَخَطَّى حُدُودَ الدَّوْلَةِ الْبُيُوتِيَّةِ، وَأَنَّهُ كَانَ يُخَاطَبُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِي - رَغْمَ الْعَدَاوَةِ الَّتِي كَانَ الْحَمْدَانِيُّونَ يَكْتُونُهَا لِلْبُيُوتِيِّينَ - بِاسْمِ طَائِفَتِهِ. وَأَنَّ الْحَرْنَانِيَّةَ بِالرَّقَّةِ كَانُوا يَسْتَنْجِدُونَ بِهِ لِيَتَدَخَّلَ إِذَا مَا أَصَابَهُمْ ظُلْمٌ أَوْ عَسْفٌ، يَبْدُو ذَلِكَ وَاضِحًا خِلَالَ رِسَالَةٍ مِنْ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِي يَسْتَجِدِيهِ لِإِطْلَاقِ مِيرَاثِ أَحَدِ بَنِي جَلَدَتِهِ تُوْفِي بِالرَّقَّةِ وَصَادَرَتِ الدَّوْلَةُ تَرَكَّتْهُ كَوْنُهُ لَمْ يُخْلَفْ ذَكَرًا لِإِرْثِهِ<sup>31</sup>.

كَمَا عَمِلَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَلَى اسْتِغْلَالِ نَفُوزِهِ كَوْزِيرٍ فَعَلِيٍّ لِعِزِّ الدَّوْلَةِ بِخُتْيَارٍ وَلِلْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ لِلْحَصُولِ عَلَى اعْتِرَافٍ رَسْمِيٍّ مِنَ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ لِلَّهِ بِذِمَّةِ طَائِفَتِهِ وَحَقُوقِهَا، فَاسْتِطَاعَ الْحَصُولَ - لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مِنْذُ عَصْرِ الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ - عَلَى اعْتِرَافٍ رَسْمِيٍّ مِنْ قَبْلِ الْخِلَافَةِ بِطَائِفَتِهِ، عَلَى شَكْلِ مَنْشُورِ أَمَانٍ صَادَرَ عَنِ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ؛ يَعْتَرَفُ فِيهِ بِصَابِئَةِ حَرَّانَ كَأَهْلِ ذِمَّةٍ هُمْ مَا لِأَهْلِ الذِّمَّةِ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ، لِحُسْنِ الْحِطِّ فَقَدْ وَصَلَتْنَا الصُّورَةَ الرَّسْمِيَّةَ لِذَلِكَ الْمَنْشُورِ ضِمْنَ دِيْوَانِ رِسَائِلِهِ<sup>32</sup>:-

نُسْخَةٌ مَنْشُورِ كِتَابٍ لِلصَّابِئِينَ الْمُقِيمِينَ بِحَرَّانَ وَالرَّقَّةِ وَدِيَارِ

مُضَرَ

هَذَا كِتَابٌ مَنْشُورٌ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْكَرِيمِ لِلْجَمَاعَةِ

الصَّابِئِينَ الْمُقِيمِينَ بِحَرَّانَ وَالرَّقَّةِ وَدِيَارِ مُضَرَ:-

<sup>31</sup> رسائل الصابي، نسخة تشيستر بيتي، ورقة 96 ظ.

<sup>32</sup> رسائل الصابي، نسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقات 212 و - 213 و.

إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَأْمُرُ بِصِيَانَتِكُمْ وَحِرَاسَتِكُمْ، وَالذَّبَّ  
عَنْ حَرِيمِكُمْ، وَالْحِيَاطَةَ مِنْ وَرَائِكُمْ، وَدَفْعَ الظُّلْمِ وَالضَّيْمِ  
عَنْكُمْ، وَتَوْفِيَتَكُمْ مَا يُوجِبُهُ الْعَهْدُ وَالذِّمَّةُ لَكُمْ، وَإِنْصَافَكُمْ فِيهَا  
يُجْتَنَبُ مِنْ حَوَالِيكُمْ، وَخَلِّكُمْ فِيهَا عَلَى عَادِلٍ رُسُومِكُمْ،  
وَالْتَّخْلِيَةَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَوَارِيثِكُمُ الْحَشَرِيَّةِ<sup>33</sup> وَغَيْرِهَا. أَصُولُهَا  
وَفُصُولُهَا، وَكَثِيرُهَا وَقَلِيلُهَا، وَتَرْكُ مُدَاخَلَتِكُمْ فِيهَا،  
وَمُشَارَكَتِكُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، عَلَى الْوُجُوهِ وَالْأَسْبَابِ كُلِّهَا، إِذْ  
كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى فِيهَا - فِي مَوَارِيثِ الْمُخَالِفِينَ بِأَسْرِهَا  
- رَأْيَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فِي الْأَثَرِ الثَّابِتِ عَنْهُ،  
إِذْ يَقُولُ: «لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ». وَتَمَكِينُكُمْ مِنْ حُضُورِ  
مُصَلِّيَاتِكُمْ، وَمَسَاجِدِكُمْ وَجَمَاعِعِكُمْ وَمَشَاهِدِكُمْ؛ لِإِقَامَةِ  
فَرَائِضِ دِينِكُمْ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ عَادَاتُكُمْ، مِنْ غَيْرِ مَنَعٍ لَكُمْ،  
وَلَا إِلْحَاقِ أَذْيَةٍ، وَلَا هَضِيمَةٍ بِكُمْ.

فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمْرِهِ، وَلْيَعْمَلْ بِهِ  
جَمِيعٌ مِنْ عُرُضِ هَذَا الْكِتَابِ عَلَيْهِ مِنْ وُلاَةِ الْحَرَجِ، وَالْمُعُونَةِ،  
وَالْأَحْكَامِ، وَالْمَوَارِيثِ، وَالْحِسْبَةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمِنْ  
خَاصَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ، وَلِيَحْذَرُوا مِنْ مُخَالَفَتِهِ وَالتَّجَاوُزِ  
لَهُ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

<sup>33</sup> الموارث الحشرية هي تركات من يقضون نخبهم دون وريث شرعي، وكان الفقهاء يرون أن تؤول ثروات من يموتون دون وريث إلى الإمام ليتصرف بها في وجوه البر، ومن ثم أنشيء ديوان خاص للموارث الحشرية، كان موكلاً بالاستيلاء على تلك التركات. وامتد عمل هذا الديوان - لا سيما في أوقات الأزمات الاقتصادية - لتركات أهل الذمة الذين يقضون دون ورثة، وكان هناك نزاعاً بين أهل الذمة وبين المسلمين حول شرعية ما يقوم به الديوان من الاستيلاء على أموال أهل الذمة عن لا وريث لهم، ليس أولها أن الديوان كان يطبق الشريعة الإسلامية على أهل الذمة فيما يخص الإزث دون الرجوع إلى شرائعهم، وليس آخرها مطالبة كل طائفة من طوائف أهل الذمة بأن تؤول تلك التركات إلى الطائفة نفسها، وليس إلى بيت مال المسلمين. للتفصيل حول ديوان الموارث الحشرية وآليات عمله، والجدل الفقهي الذي ثار حول مدى شرعيته انظر: - قدامة بن جعفر: الحراج وصناعة الكتابة، 245 وما بعدها.

إنَّ ما يُلفت النَّظر في ذلك العهد هو عَدَم الإشارة إلى الحرنائيَّة ببغداد والبصرة وواسط والبطائح، واكتفاء العهد بالإشارة للصَّابئة المقيمين بحرَّان والرَّقة وديار مُضر بأسرها، وربَّما كان المغزى السَّياسي وراء اكتفاء المنشور بالإشارة لتلك البقاع أنها كانت خاضعة إجمالاً لسلطان الحمدانيِّين، لذا فإنَّ هذا المنشور كان مُوجَّهًا للحمدانيِّين بالدرجة الأولى، وربَّما يشجِّع هذا على القول بصُدور نُسختين من المنشور: خصَّت الأولى الحرنائيَّة بالبقاع التي كان يُسيطر عليها البويهيين كبغداد والبصرة وواسط والبطائح وغيرها، فيما قصد هذا المنشور الصَّابئة تحت حُكم الحمدانيِّين.

ولا شكَّ أنَّ استصدار منشور رسميٍّ بهذه القوَّة يتضمَّن الاعتراف بحقوق الصَّابئة في مُمارسة عباداتهم وحرِّية عقائدهم وحَقَّهم في موارِثهم الحثريَّة، قد ساعد أبا إسحاق الصَّابئ على تَبوُّأ مكانةٍ رفيعةٍ بين قومه، فقد ألغى هذا المنشور كلَّ الآثار التي تربَّت على فتوى الاضطخري، ونجح أبو إسحاق الصَّابئ في تويُّ زعامة طائفته دون مُنازع، وليس أدلَّ على ذلك ممَّا رواه القفطي أنَّ عَصْد الدولة عَرَض على أبي إسحاق أنَّ يَرَحَلَ معه إلى فارس وأنَّ يخدمه كوزيرٍ لَهُ، فاعتذر أبو إسحاق مُتعلِّلاً بأنَّ أحوال أهلِه من الصَّابئة تُفسدُ بغيَّته<sup>34</sup>. ويُعدُّ ذلك دليلًا على أنَّ أبا إسحاق كان رئيس الطائفة وقت دخول عَصْد الدولة ببغداد للمرَّة الأولى عام 364هـ/ 974م.

فعندما أَرَّاح عَصْد الدولة ابن عمَّه بُختيار وتمكَّن من الاستيلاء على العراق وضمَّها إلى إمارته بفارس؛ ازداد ارتباطه بأبي إسحاق الصَّابئ، حتَّى أنه عَرَض عليه - بعد تدخُّل والده رُكن الدولة وإجباره عن الجلاء عن العراق وإعادتها لابن عمَّه بُختيار<sup>35</sup> - أن يَرَحَلَ معه إلى

<sup>34</sup> القفطي: إخبار العللاء، 54.

<sup>35</sup> كان عز الدولة بُختيار قد استنجد في بادئ الأمر بابن عمَّه عَصْد الدولة عقب عصيان مُقدم الترك في جيشه سُبُكتكين الحاجب، وسُرَّعان ما تحوَّل الأمر إلى فتنة مذهبيَّة بين الدَّيلم والترك شارك فيها أهل بغداد ونتج

فارس<sup>36</sup>، إلا أن أبا إسحاق كان يخشى ضياع زعامته لطائفته التي عمل جاهداً للحصول عليها، فاعتذر من الأمير عضد الدولة عن السفر معه<sup>37</sup>. ورغم ذلك الاعتذار فإن عضد الدولة خشي أن يقيم بختيار من أبي إسحاق الصّابي كونه وخدمته وأعلن ولائه وأنحياز له، فاشتراط عضد الدولة على بختيار أن يكتب الأخير عهداً آمناً لأبي إسحاق الصّابي؛ يؤمّنه فيه على نفسه وماله وولده، فقبل بختيار بذلك على مضض<sup>38</sup>.

ورغم ذلك لم يأمن أبو إسحاق على نفسه فأثر الهرب والاستيثار، وتوسّط بعض أعيان الدولة لدى بختيار للعفو عن أبي إسحاق، وعودته إلى خدمته فقبل بختيار بذلك، وعاد أبو إسحاق إلى خدمة الوزير محمد بن بقیّة، لكنه سرعان ما قبض عليه وصودر مرة أخرى<sup>39</sup>. ثم لم يلبث أن أطلق سراحه لحاجته الملحة إليه، خاصّة أن نذر المواجهة الثانية كانت تلوح في الأفق مع ابن عمه عضد الدولة، فأجأته كفاية أبي إسحاق الصّابي الإدارية، وعلاقته الجيدة بأبي تغلب الحمّداني بالموصل - والذي كان بختيار بأمس الحاجة للتّحالف معه - إلى تنصيبه مجدداً كرئيس لديوان الإنشاء<sup>40</sup>.

=

عن ذلك طرد بختيار وأتباعه من الديلم من بغداد، ولما وصل عضد الدولة بجنوده اشتبك مع الترك قرب بغداد فهزمهم وشئت شملهم، ثم ما لبث أن اتهم ابن عمه بالسّفه والانشغال عن أمور الدولة باللّهو والنساء فأمر باعتقاله وخبيسه، وضم العراق فعلياً إلى إمارته بفارس، إلا أن تدخل الأمير ركن الدولة حال بين عضد الدولة وبين أطاعه بضم العراق، فقد أجبره والده على إطلاق سراح ابن عمه، وإعادة الإمارة إليه. وبالتالي لم يكن أمام عضد الدولة إلا الانصياع لوالده، فأطلق سراح ابن عمه، وأعاد إليه إمارته، وعاد أدراجه إلى فارس من حيث جاء، ابن الأثير: الكامل، 7: 350.

<sup>36</sup> الثعالبي: بيمّة الدّهر، 2: 233؛ الذّهبي: تاريخ الإسلام، 27: 75؛ اليعرب في خبر من غير، 2: 164؛ ابن تغري بردي: التّجوم الزّاهرة، 4: 169؛ الصّفدي: الوافي بالوفيات، 6: 101-102؛ ابن خلّكان: وفيات الأعيان، 1: 52؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 1: 131.

<sup>37</sup> القفطي: إخبار العلماء، 54.

<sup>38</sup> ياقوت: معجم الأدباء، 1: 135.

<sup>39</sup> نفسه، 1: 136.

<sup>40</sup> رسائل الصّابي، نسخة الجامع الأزهر، ورقة 78 أ.

وما لبثت أن اشتعلت نيران الحرب مُجدِّداً بين ابني العم من جديد، فاشتبكاً في معركة فاصلة بقصر الجصّ عام 367هـ/ 978م واستطاع عضد الدولة إلحاق الهزيمة بابن عمه والتخلص منه، وبذلك انفرد عضد الدولة بالجمع ما بين فارس والعراق بلا شريك<sup>41</sup>. وكان أبو إسحاق يُدرك بغريزته أن الأمير عضد الدولة قد فقد ثقته به، لا سيما أن أبا إسحاق كان قد وقف بقوة بجانب بُختيار في نزاعه الأخير مع عضد الدولة، وكان ممّا أخفظ عضد الدولة على أبي إسحاق الصّابي أنه كتب رسالة في شأن تقدم بُختيار على غيره من أقرانه من أمراء بني بُويه، وضمّن رسالته عبارات تُشهرُّ به من طرفٍ خفي<sup>42</sup>. على أي حال فقد استتر أبو إسحاق وإن طلب من أحد المُقرَّبين من الأمير - وهو كاتبه أبو سعد بُهرام بن أردشير المجوسي - التّوسط له عند عضد الدولة بعد أن أرسل له رسالة يطلب منه فيها العفو عنه، والإذن بالعودة إلى الخدمة ثانية، فقبل الأمير بذلك وكتبَ عهداً بالأمان إلى أبي إسحاق الصّابي<sup>43</sup>.

في غضون ذلك عاد أبو إسحاق الصّابي إلى خدمة عضد الدولة، وتولّى ديوان الإنشاء مرة أخرى، وزاد عضد الدولة في تكريمه، وأمر بتوسعة إقطاعاته<sup>44</sup>، لكن الأيام لم تصف كثيراً لأبي إسحاق، فعندما استعرت نيران الحرب مُجدِّداً بين عضد الدولة وبين أبي تغلب الحمّداني، زحف عضد الدولة إلى الموصل ودخلها بعد مقاومة شديدة من الحمّدانيين<sup>45</sup>. وعندما فتح الأمير البُويهي خزانة الأمير الحمّداني - الهارب - عثر على عديد الرّسائل التي كتبها أبو إسحاق بخطّه إلى الأمير الحمّداني نيابة عن بُختيار، ووُجد فيها ما أخفظه، فأرسل من الموصل إلى بغداد يطلب من وزيره أبي القاسم المطهر بن عبد الله مُصادرة أبي إسحاق الصّابي وأولاده

<sup>41</sup> ابن الجوزي: المتنظم، 14: 256.

<sup>42</sup> هلال بن المحسن الصّابي: رؤوس دار الخلافة: 121.

<sup>43</sup> ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 1: 136.

<sup>44</sup> غرر النعمة الصّابي: الحقوق النّادرة، 14 - 15.

<sup>45</sup> ابن الأثير: الكامل، 7: 378.



أبي سعيد سنان، وأبي علي المحسن على مبلغ مائة ألف درهم، واعتقلهم جميعاً ووضع القيّد في أرجلهم حتى يعود ويرى فيهم رأيه<sup>46</sup>.

إلا أن الوزير أحسن إلى أبي إسحاق فأمر بجعل اعتقاله هو وأبنائه في منزله، واستمرّ الحال على ذلك حتى طلب عضد الدولة من وزيره قيادة الجيش لقتال عمران بن شاهين صاحب البطيحة، فاقترح الوزير على عضد الدولة العفو عن أبي إسحاق الصّابي، والإذن في أن يستخلفه على الوزارة حين عودته، فقبل الأمير العفو عن أبي إسحاق الصّابي لسابق تاريخه في خدمة بني بويه، كما وافق أيضاً على إطلاق سراح أولاده، لكنه رفض توليته مهام الوزارة<sup>47</sup>. كما لم يكن عفو عضد الدولة عن أبي إسحاق مطلقاً، لكنّه كان عفواً مشروطاً، فقد أمره بتصنيف كتاب في مآثر الديلم، فشرع أبو إسحاق في تأليفه<sup>48</sup>، ويقال أنّه ما إن شرع في تحبسه بتأليف الكتاب الذي أرادته عضد الدولة، حتى دخل عليه أحد أصدقائه - وكان مُنْشَغِلاً بتعليق الكتاب - فسأله عما يفعل فقال: «أباطيل أنمّقها، وأكاذيب ألّفّقها»، فوصل ذلك إلى عضد الدولة فأمر بإلقائه تحت أرجل الفيلة. فشفع فيه الوزير ونفّر من المقرّين للأمير البويهّي؛ فأمر بتخفيف العقوبة إلى السّجن والمصادرة مجدّداً<sup>49</sup>. وبعد أربعة أعوام من الحبس والاعتقال قرّر عضد الدولة الإفراج عن أبي إسحاق الصّابي، وكان أبو إسحاق قد بلغ درجة من الفقر وشحّ الحال بعد اليسار والغنى بسبب توالي المصادرات عليه، تشهد بهذا رسالة

<sup>46</sup> ياقوت: مُعْجَمُ الْأَدْبَاء، 1: 137؛ أبو شجاع الرّوذرازي: الدّليل على تجارب الأمم، تحقيق هـ. ف. أميدروز، بغداد 1969، 3: 22-23.

<sup>47</sup> مُعْجَمُ الْأَدْبَاء، 1: 137-138.

<sup>48</sup> وهو الكتاب الشهير المسمّى بالتّاجي في أخبار الدّولة الديلميّة، وقد قيّد ولم تصلنا منه سوى شذرة يسيرة بعنوان «المنتزع من كتاب التّاجي في أخبار الدّولة الديلميّة» محفوظة بمعهد مخطوطات جامعة الدول العربيّة بالقاهرة، تحتوي قسمًا يبدو أنّه من الجزء الأوّل من الكتاب، نشرها فيلنرود ماديلونغ في كتابه المسمّى بأخبار الأئمّة الزّيدية.

<sup>49</sup> الثّعالي: يتيمة الدّم، 2: 235-236؛ الصّفدي: الوافي بالوفيات، 6: 101-102.

أرسلها إلى الوزير الصَّاحِب بن عَبَّاد بَقَارِس قدر فيها إجمالي ما صادرتَه الدولة من أمواله بنحو نصف مليون درهم<sup>50</sup>.

تركَّت مُصادرات عضُد الدولة المُتتابعة لأبي إِسْحَاق الصَّابِي تأثيرًا عميقًا على أوضاعه الماديَّة، حتَّى اضْطُرَّ للاعْتِياد بِشَكْلِ كُلِّ على المُساعدات الماليَّة والصَّلَات التي كان يُرسلها إليه أَصدَقَاؤُه، وعلى الأخصَّ الوزير الصَّاحِب بن عَبَّاد. ولم تتَحَسَّن أوضاعه الماليَّة بِشَكْلِ مَلُومٍ إلا بعد عودته مرَّةً أُخرى لِلخِدْمَةِ مُجَدِّدًا كرئيس لِدِيوان الإنْشَاء لِلأمير صِمَصَام الدَّولة؛ إذ سُرَّعان ما تُوِّفِّي عضُد الدولة عام 372هـ/ 982م بعد أن عَهِدَ بِحُكْم العِراق من بعده لابنه صِمَصَام الدَّولة، ولا تُعرف الكثير عن نشاط أبي إِسْحَاق خلال عَصْرِ صِمَصَام الدَّولة، جُلَّ ما نعرفه من خلال صَدْر إحدَى الرِّسائِل المُورَّخَةِ بِربيع الأوَّل عام 375هـ/ 985م أَنَّ أبا إِسْحَاق عاد لِلخِدْمَةِ بِدِيوان الإنْشَاء<sup>51</sup>.

وسُرَّعان ما اغْتزل أَبُو إِسْحَاق الحِياة السِّياسِيَّة بما جرَّته عليه من نِعمٍ وويلات، إذ فقد القُدرة على العَمَل في أواخر أَيَّامه وبِالتَّحديد بدءًا من عام 376هـ/ 976م بعد إصابته بِمرض من أمراض العِظَام جعل حركتَه ثَقِيلَةً، فقد كان أَبُو إِسْحَاق دائِم الشَّكوى لرفيقه وصديق عُمَره الشَّرِيف الرُّضَيِّ من إصابته في البِدَاية بِنوعٍ من أنواع الزَّمانة (الشَّلَل) بِشَكْلِ جُزْئِي<sup>52</sup>، ثم ما لبث أن تَحَوَّل إلى شَلَلٍ كامِل لدرجة اقْتَضَتْهُ اسْتِعْمال حَفَّة لِئَحْمِلَ عليها كُلَّما أراد قِضَاء الحاجَّة<sup>53</sup>. ثم ما لبث أن تُوِّفِّي عام 384هـ/ 944م عن عُمَر ناهِزٍ واحِدًا وسَبْعين عامًا<sup>54</sup>.

وكَما كان ثابت بن قُرَّة مُؤسِّس نِعمة الصَّابِنة بِبغداد، فإنَّه يُمكن اعتِبار أبي إِسْحَاق

<sup>50</sup> مجهول: المُختار من رِسائِل أبي إِسْحَاق الصَّابِي، تحقيق شَكيب أُرسلان، بَغدَاد 1898، 408-409.

<sup>51</sup> رِسائِل الصَّابِي، نُسخة عاشر أَفندي، ورقة 134و.

<sup>52</sup> الشَّرِيف الرُّضَيِّ: رِسائِل الصَّابِي والشَّرِيف الرُّضَيِّ، 7.

<sup>53</sup> الشَّرِيف الرُّضَيِّ: المصدر نفسه، 15.

<sup>54</sup> القِفْطِي: إخبار العُلَماء، 54.

الصَّابِيُّ مُجَدِّدَ هذه النِّعْمَةِ للصَّابِئَةِ الحَرْنَائِيَّةِ ببغداد، فقد اسْتَطَاعَ أَبُو إِسْحَاقَ بِفَضْلِ نَفْوَدهِ الواسِعِ تَأْمِينَ بني جَلَدتهِ بالعِراقِ وَحَرَانَ وَدِيَارَ مُضَرَ بِأَسْرَها، كما اسْتَطَاعَ القَضَاءُ على آثارِ فتوى الاضطخري بِاسْتِصدارِ عهدِ أَمَانٍ مِنَ الخليفةِ الطَّائِعِ للحَرْنَائِيَّةِ، تُعْتَرَفُ فيها الخِلافةُ بِذِمَّةِ الحَرْنَائِيَّةِ، وَتَكْفُلُ لها حَقُوقُها في حُرِيَةِ العِبَادَةِ والعَقِيدَةِ.

ولا نَعْرِفُ الكثيرَ عن أَوْضَاعِ الصَّابِئَةِ بعد وفاةِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ، فلا تُفِيدُنَا المَصَادِرُ المُعاصرةُ بشيءٍ ذي بَالٍ في هذا الصَّدَدِ، كما أَنَّا نَفْتَقِدُ مَصْدَرًا مِنْ أَهمِّ مَصَادِرِنَا عن أَوْضَاعِ الطَّائِفَةِ؛ أَلَا وهي مَجْمُوعَةُ رِسَائِلِهِ بِالإِضافةِ إلى تلكِ المَجْمُوعَةِ مِنَ الرِّسَائِلِ المُتبادِلَةِ بينه وبين الشَّرِيفِ الرُّضِيِّ واللَّتَّانِ تَوَقَّفَتَا بِوفاةِ بَطْطِيعَةِ الحال، كما أَنَّ فُقْدانَ تاريخِ صِهرِهِ ثابتَ بنِ سِنانَ، وَكذلكَ تاريخِ حَفِيدِهِ هِلالَ بنِ المُحَسِّنِ الصَّابِيِّ، بِالإِضافةِ إلى تاريخِ مُحَمَّدِ غَرَسِ النِّعْمَةِ بنِ هِلالَ بنِ المُحَسِّنِ الصَّابِيِّ تُضَاعِفُ مِنْ صُعُوبَةِ دِرَاسَةِ أَوْضَاعِ الصَّابِئَةِ في أُخْرِيَّاتِ العَصْرِ البُويهيِّ.

وَرَبِّما آلتَ رِئَاسَةُ الطَّائِفَةِ لولدهِ المُحَسِّنِ بنِ إِبراهيمَ بنِ هِلالَ بعد وفاةِ أبيهِ لِأَنَّها آلتَ في نِهايَةِ الأمرِ لِحَفِيدِهِ هِلالَ بنِ المُحَسِّنِ الصَّابِيِّ<sup>55</sup>، والذي كانَ يَشْغَلُ مُنْصِبَ رِئِيسِ دِيوانِ الإِنشاءِ لِلخليفةِ القَائِمِ<sup>56</sup>. وَيُمْكِنُ القولُ إجمالًا بأنَّ نِهاياتِ العَصْرِ البُويهيِّ شَهِدَتْ أَقولَ نَجْمِ الصَّابِئَةِ الحَرْنَائِيَّةِ ببغداد، فَقَدْ أُسْلِمَ رِئِيسُ الطَّائِفَةِ نَفْسُهُ هِلالَ بنِ المُحَسِّنِ الصَّابِيِّ عامَ 403هـ/1012م<sup>57</sup>. وَاشْتَهَرَ آلُ بَيْتِهِ عَنِ اعْتِنَقُوا الإِسْلامَ - وَعَلَى رَأْسِهِمُ أَخْفادُهُ مِنْ نَسْلِ وَلَدِهِ مُحَمَّدِ المُلَقَّبِ بِغَرَسِ النِّعْمَةِ - كواحدَ مِنْ أَشْهَرِ بِيُوتاتِ بَغداد. وَاسْتَمَرُّوا في تَوَلَّى المَناصِبِ الرَّفِيعَةِ وَعَلَى رَأْسِها القَضَاءَ حَتَّى اجْتِياحِ المَغُولِ بَغدادَ عامَ 656هـ/1258م.

<sup>55</sup> التَّفْطِي: إخبارِ العِلَما، 108 - 193.

<sup>56</sup> الصَّفْدي: الوافي بِالوَفَيَّاتِ، 2: 141.

<sup>57</sup> ابنُ الجوزي: المُتَنَزَّم، 16: 13؛ ابنُ كثير: البِدايَةِ والنِّهايَةِ، 15: 739-740.

أَمَّا الْبَقِيَّةُ الْبَاقِيَةُ مِنْهُمْ مَنْ فَضَّلُوا الْبَقَاءَ عَلَى دِينِهِمْ؛ فَقَدْ رَحَّلَ بَعْضُهُمْ عَنْ بَغْدَادٍ، إِلَى الْقُرَى وَالْمُدُنِ الْمُحِيطَةِ بِبَابِلِ الْقَدِيمَةِ كَنُوقَانَ<sup>58</sup> وَأَنْدَمَجَ هُنَاكَ بِبَقَايَا النَّبَطِ، كَمَا تَشْهَدُ بِذَلِكَ خَاتَمَةُ مَخْطُوطِ شَوْقِ الْمُسْتَهَامِ لَابْنِ وَحْشِيَّةِ النَّبْطِيِّ<sup>59</sup>.

لَمْ تُقْلَتِ حَادِثَاتُ الدَّهْرِ بَنِي جِلْدَتِهِمْ بِحَرَّانَ نَفْسَهَا، فَقَدْ سَقَطَ آخِرُ مَعَاوِلِهِمْ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَيْدِي الْبَدُوِّ مِنْ بَنِي تُمَيْرٍ عَامَ 422هـ/ 1030م الَّذِينَ اسْتَوْلَوْا عَلَى هَيْكَلِ الْقَمَرِ آخِرَ هَيَاكِلِهِمُ الْمُقَدَّسَةِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى اعْتِنَاقِ عَدَدٍ مِنْهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فِيمَا فَرَّ مِنَ الْمَدِينَةِ عَدَدٌ آخَرٍ مِنْهُمْ وَتَشَتَّتُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْبُلْدَانِ الْمُجَاوِرَةِ، كَانَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْأَنْطَاكِيِّ الْمُرَّخَ الْوَحِيدَ الَّذِي أَبَى إِلَّا أَنْ يَقْصَّ عَلَيْنَا كَيْفَ آلَ مَصِيرِ مَدِينَةِ الْقَمَرِ وَقَطَّانِهَا مِنَ الصَّابَةِ الْحَرَّانِيَّةِ، يَقُولُ الْأَنْطَاكِيُّ<sup>60</sup>:-

«... وَكَانَ بَنُو تُمَيْرٍ قَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَى جَمِيعِ حِصُونِ  
الْجَزِيرَةِ، وَحَصَلَ كُلُّ مِنْهَا فِي يَدِ أَمِيرٍ مِنْ أَمْرَائِهِمْ، وَتَغَلَّبَ عَلَى  
حَرَّانَ بَعْضُ الْأَشْرَافِ فَاسْتَعَانُوا بِأَحْدَانِهَا وَتَقَوَّوْا بِهِمْ عَلَى  
غَيْرِهِمْ، وَاسْتَضَامُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَنَهَبُوهُمْ، وَأَفْسَدُوا أَخْوَاهُمْ،  
وَخَرَجَ أَكْثَرُهُمْ عَنْهَا هَارِبِينَ، وَأَخَذُوا أَيْضًا مَجْمَعًا لِلصَّابَةِ،  
وَهُوَ الْمُسَمَّى الْهَيْكَلِ الَّذِي عَلَى اسْمِ الْقَمَرِ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ هُمْ فِي  
الْمَسْكُونَةِ هَيْكَلُ سِوَاهُ، وَجَعَلُوهُ مَغْقَلًا، وَأَسْلَمَ كَثِيرُونَ مِمَّنْ فِي  
حَرَّانَ مِنَ الصَّابَةِ - وَكَانُوا جَمَاعَةً وَافِرَةً الْعَدَدِ - خَافَةً مِنْهُمْ».

<sup>58</sup> نُوقَانَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ بِإِقْلِيمِ بَابِلَ بِالْعِرَاقِ، اشتهرت بصناعة القدور، وخرج منها نفرٌ من أهل العلم، عنها انظر:- ياقوت الحموي: مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، 5: 360.

<sup>59</sup> شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ، 136.

<sup>60</sup> يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْأَنْطَاكِيِّ: تَارِيخُ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْأَنْطَاكِيِّ، تَحْقِيقُ عُمَرَ عَبْدِ السَّلَامِ تَدْمَرِي، بَيْروت 1990، 428-429.

لا نسمع عن الحرانية مرة أخرى قبل أن تقتحم جحافل هولاكو خان حران عام 657هـ/1258م، والتي أعملت القتل في سكانها، ثم سووا المدينة بالأرض، فلم تقم لها بعد ذلك في التاريخ قائمة<sup>61</sup>، حتى أعادتها معاول الأتاريين إلى سطح الأرض مرة أخرى. ويبدو أن قليلاً من الصابئة الحرانية فرّوا بأنفسهم من حران إلى دمشق مع استيلاء بني ثُمير على هيكل القمر، فمنشور الأمان لأهل دمشق الذي أصدره قازان قائد جيوش سلطان المغول غازان خان المؤرخ بعام 699هـ/1299م أشار إلى الصّابئة، حيث جاء في المنشور «...وأن لا يتعرّضوا [أي المغول] لأحد من أهل الأديان من اليهود والنصارى والصّابئة، فإنهم إنما يبدلون الجزية لتكون أموالهم كأموالنا»<sup>62</sup>. وهذه هي المرة الأخيرة التي تأتي فيها المصادر العربية على ذكر الصّابئة الحرانية.

أمّا عامة المندائيين فقد استمروا على حالهم، مُنعزلين عن جوارهم حول مجاري المياه بمنطقة الأهوار جنوبي العراق، ولم يعد المسلمون يعتبرونهم من أهل الذمة، بل نعموا بمعاملة المسلمين أنفسهم في نهايات العصر العباسي. ففي عصر الخليفة العباسي الناصر لدين الله - أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي - ورد ذكر المندائيين عند المؤلف المجهول صاحب كتاب الحوادث الجامعة - والذي يُسب على سبيل الخطأ لابن الفوطي - إذ نقل ذلك المؤلف وثيقة مهمّة بعث بها أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضالان مُتولي ديوان الجوالي إلى

<sup>61</sup> ابن شدّاد: الأغلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشّام والجزيرة، تحقيق يحيى زكريا عبارة، دمشق 1991، 1:

66؛ المكيّن ابن العميد: تاريخ ابن العميد، تحقيق كلود كاهن، Bulletin d' Etudes Orientales, Vol. 15،

p. 171.

<sup>62</sup> الذّهبي: تاريخ الإسلام، 52: 77؛ ابن أليك الدّوداري: الدّر الفاخر في سيرة الملك النّاصر، الجزء التاسع

من كتاب كنز الدّر وجامع الغرر، تحقيق هانس روبرت رويمر، منشورات المعهد الألماني للآثار، القاهرة

1983، 22.

الخليفة، وهذه الوثيقة عبارة عن تقرير عن أوضاع أهل الذمة في ذلك العصر، يقول ابن فضلان<sup>63</sup>:-

«الصَّابِئَةُ قَوْمٌ مِنْ عِبْدَةِ الْكُوكَبِ يَسْكُنُونَ فِي الْبِلَادِ  
الْوَاسِطِيَّةِ (يعني حول واسط وأعمالها) لَا ذِمَّةَ لَهُمْ، وَكَانَ فِي  
قَدِيمِ الزَّمَانِ لَهُمْ ذِمَّةٌ، فَاسْتَقَتَى الْقَاهِرُ أَبَا سَعِيدِ الْاِصْطَخَرِي  
مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ فِي حَقِّهِمْ، فَأَقْتَاهُ بِإِرَاقَةِ دِمَائِهِمْ وَأَنْ لَا  
تُقْبَلَ مِنْهُمْ الْجِزْيَةُ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِذَلِكَ لَهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ  
فَأَمْسَكَ عَنْهُمْ. وَهُمْ الْيَوْمَ لَا جِزْيَةَ عَلَيْهِمْ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ  
شَيْءٌ، وَهُمْ فِي حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْأَمْرُ أَعْلَى».

تَرَى السَّيِّدَةَ دِرَاورَ أَنَّ صَابِئَةَ حَرَّانَ - مِنْ الْعُلَمَاءِ الْمَرْمُوقِينَ ذَوِي النُّفُوزِ وَالْحُظُوفَةِ فِي  
الْبَلَاطِ الْعَبَّاسِيِّ - قَدْ كَسَبُوا لِإِخْوَتِهِمْ فِي أَهْوَارِ الْجَنْتُوبِ؛ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ بِدَائِيَّةٍ وَبِسَاطَةٍ - عَلَى  
حَدِّ وَصْفِهَا - دَرَجَةً مِنَ التَّسَامُحِ وَالْمُعَامَلَةِ الْعَادِلَةِ<sup>64</sup>، وَالْوَاقِعُ - وَعَلَى الْعَكْسِ تَمَامًا مِنْ  
تَكْهُنَاتِ السَّيِّدَةِ دِرَاورَ - فَقَدْ كَافَحَ صَابِئَةَ حَرَّانَ طَوِيلًا لِلْحَصُولِ عَلَى مُعَامَلَةٍ تُشَبِّهُ مُعَامَلَةَ  
إِخْوَانِهِمْ مِنْ سُكَّانِ أَهْوَارِ الْجَنْتُوبِ.

<sup>63</sup> الحوادث الجامعة، 69-70.

64 دراور: الصَّابِئَةُ الْمُتَدَائِيَّةُونَ، 56.

## الفصل

### التاسع



## الأعرافُ والعادات

## والتقاليد الاجتماعية

«ولأئنا أهلُ شريعةٍ نَد  
ضَاقَتْ حَلَقَتُهَا، وَغُدَّتْ  
جَمْرَتُهَا، فَلَيْسَ تَسْهَلُ عَلَيْنَا  
الْفَجَائِعُ سَهْلَ وَلَّيْنَا عَلَى زَوِي  
الكَثْرَةِ، وَلَا تَنْدُمُ نَدُوبُهَا فِينَا  
أَشَدَّ مَالِهَا مِنْ أُدْلِيِّ الْقُوَّةِ».

أبو إسحاق الصَّابِيُّ

## الزواج والحياة الأسرية

نظَر الصَّابِئَةُ المَندائِيُّونَ إلى الزَّوَاجِ على أَنَّهُ طَقْسٌ حَيَاتِي مُقَدَّسٌ، فالزَّوَاجُ بالنِّسبةِ لَهُم كانَ فرضًا دينيًّا، فَهُمَ لِيَسُوا مُخَيَّرِينَ في إِمْضَائِهِ، كما لا يَشْذُو الكَهَنَةُ ورجالُ الدِّينِ عن هذه القَاعَةِ، ففي الشَّرِيعَةِ المَندائِيَّةِ تُحْرَمُ العُرُوبَةُ مُطْلَقًا على الرِّجَالِ، كما يُحْرَمُ التَّبَتُّلُ على النِّسَاءِ أَيًّا كانتِ الأسبابُ، حتَّى ولو كانَ الهَدَفُ من ذلك هو الرُّزْهُدُ في متاعِ الدُّنْيَا، والرَّغْبَةُ في الانْقِطَاعِ للعبادةِ، فالمتزوِّجُ في العقيدةِ المَندائِيَّةِ سَيَكُونُ آمِنًا من حيثِ التَّحَاقُّهَ بِأَبْأَثَرٍ<sup>1</sup> في الحَيَاةِ الأبدِيَّةِ، كما إِنَّ الطَّقُوسَ الضَّرُورِيَّةَ لالتِّحَاقِهِ بِعالمِ الأَثْوَارِ «أَلْمِي دَنْهُورَا» سَتَجْرِي بَعْدَ وفَاتِهِ على أَكْمَلِ وَجْهِهِ<sup>2</sup>، ومن هذه الزَّاويَةِ تَخْتَلِفُ المَندائِيَّةُ عن النِّصْرَانِيَّةِ تَمَامًا في النُّظَرَةِ إلى الزَّوَاجِ، فبينما نَظَرَتِ النِّصْرَانِيَّةُ إلى الانْقِطَاعِ عن النِّسَاءِ على أَنَّهَا أحدُ مَظَاهِرِ التَّفَانِي والإِخْلَاصِ في العِبَادَةِ<sup>3</sup> حَرَّمَ المَندائِيَّةُ إلْحَاقَ الأَدَى بِالْجَسَدِ لِكِبْثِ الشَّهَوَاتِ كَالْخِصَاءِ وَالْخِتَانِ إلى درجَةِ الخُرُوجِ عن المِلَّةِ<sup>4</sup>.

فحتَّى المَلائِكَةُ والكائِنَاتُ الثُّورَانِيَّةُ (إِثْرِي) كانت تَتَزَوَّجُ من نِسَاءِ سَمَاوِيَّاتٍ<sup>5</sup> لَذا فالزَّوَاجُ خَارِجٌ نِطاقِ الطَّائِفَةِ بالنِّسْبَةِ للمَندائِيِّينَ يُعَدُّ خُرُوجًا عن الدِّينِ<sup>6</sup>، ومع ذلك فقد أَثَارَتِ مُلاحِظَاتُ الجاحِظِ<sup>7</sup> عن شِيُوعِ الخِصَاءِ في أَوْسَاطِ الصَّابِئَةِ بعضَ الازْتِيَاكِ في الدِّرَاسَاتِ الَّتِي تَنَاولَتِ الحَيَاةَ الاجْتِمَاعِيَّةَ لِلصَّابِئَةِ. كما يَتَحَدَّثُ عن شَخْصٍ بَعِيْنِهِ يُدْعَى أَبَا المُبَارَكِ الصَّابِئِ خَصَى نَفْسَهُ وَتَفَرَّغَ لِلنُّسْكِ والعِبَادَةِ، وكانَ الخُلَفَاءُ يَبْعَثُونَ إِلَيْهِ وَيَسْمَعُونَ مِنْهُ لِقَرَطِ عِلْمِهِ.

<sup>1</sup> أحد الملائكة الثورانيين، وهو الموكل بحساب النفوس الطيبة.

<sup>2</sup> دارور: الصَّابِئَةُ المَندائِيُّونَ، 93.

<sup>3</sup> جاء في إنجيل متى «لأنه يوجد خُصيان ولَدُوا هَكَذَا من بَطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، ويوجد خُصيان خُصَّاهُم النَّاسُ، ويوجد خُصيان خُصُّوا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، من اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فليَقْبَلْ» متى 19: 12.

<sup>4</sup> التَّدِيم: الفِهْرَسْتُ، 2: 360.

<sup>5</sup> دارور: الصَّابِئَةُ المَندائِيُّونَ، 119.

<sup>6</sup> دارور: نَفْسُهُ، 39.

<sup>7</sup> الجاحِظ: الحَيَوَان، تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُون، القَاهِرَةُ 1965، 1: 125. قَارَنَ أَيْضًا لِلْمُؤَلَّفِ نَفْسَهُ: -رِسَالَةُ الرَّدِّ عَلَى النِّصْرَانِيَّةِ، ضَمِنَ مَجْمُوعَ رِسَالَتِهِ، تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُون، القَاهِرَةُ 1964، 3: 323.



في الواقع يصعب القول بأن الجاحظ لم يكن على علم بتحريم المغتسلة أو صابنة البطائح للخصاء أو الختان، فهو ابن مدينة البصرة، أي أنه كان يعرف المندائيين عن كثب، بل إنه يشير إلى أنه كان على علاقة بذلك الصابي الذي تحدّث عنه<sup>8</sup>. كما يصعب القول أيضًا بأن المندائيين مارسوا هذه العادة حتى بالنسبة لكبار السن والمتزوجين منهم، وذلك ببساطة لأن العقيدة المندائية قد حرّمت تمامًا إلحاق الأذى بالجسد لأي سبب كان. فهل كان الجاحظ يتحدث عن قوم آخرين غير المندائيين عرفهم المسلمون أيضًا باسم الصابنة؟، أم كان مردّد هذا التناقض كامنًا في اختلاف المندائيين أنفسهم في النظر إلى ممارسة عادات كالخصاء واعتزال النساء، وهل كانت هناك تأثيرات مانوية ونصرانية مشتركة جعلت بعض المندائيين يقرّون الخصاء كأحد مظاهر التفاني والإخلاص في العبادة. في الواقع لدينا قرينة قويّة على ذلك، وإن كانت لا تنهض محلّ الدليل، فالنديم يتحدث عن أن الهاتف الذي أتى فتق والد ماني - حين حملت منه زوجته - أمره بأن يلتحق بالمغتسلة، وحرّم عليه أكل اللحم، وشرب الخمر، وإتيان النساء<sup>9</sup>.

قد يشير هذا بوضوح إلى أنه قد وجد بين المغتسلة أو المندائيين من اعتبر اعتزال النساء بمثابة نوع من أنواع الطهارة. هذا بالإضافة إلى أن تذييلات النساخ على الدواوين واللفائف الدينية توحى بوجود انشغاقات دينية حادة بين المندائيين وقعت خلال العصر العباسي، فعلى سبيل المثال يشير كتاب حرّان جويثا إلى انشغاق كبير حدث بزعامه كاهن يقال له قيقل، عمّد إلى تحريف المعتقدات المندائية، وأقدم على تدمير أفكاره هذه ووزّعها بين أتباعه من رجال الدين، ثم عاد عنها لاحقًا ودعا أتباعه إلى حرقها فاستجاب البعض ورفض البعض الآخر، وظلّ على قناعاته بهذه الأفكار والمعتقدات التي دعا إليها قيقل، والتي اعتُبرت في نظر المحافظين بمثابة خروج عن الدين المندائي القويم<sup>10</sup>، فهل كان الامتناع عن إتيان النساء أحد

<sup>8</sup> الجاحظ: الحيوان، 1: 126-128.

<sup>9</sup> الفهرست، 2: 379-380.

<sup>10</sup> سبأهي: أصول الصابنة، 199.

أَوْجِهَ هذه الحِلَافَات الدِينِيَّة؟! تَنْظُلُ هذه الأَسْئَلَة - وَغَيْرَهَا - مُعَلَّقَة لَحِينَ العُشُورِ عَلَى نَصُوصٍ أُخَر تَبَدَّدَ لَنَا ذَلِكَ الغَمُوضُ.

عَلَى أَيِّ حَالٍ فَقَدْ كَانَتْ رُسُومُ الزَّوَاجِ «قَائِمِينَ» عِنْدَ المُنْدَثَائِيِّينَ مِنَ البَسَاطَةِ بِمَكَانٍ، فَقَدْ كَانُوا يَعْرِفُونَ المَهْرَ، فَقَدْ وَرَدَ فِي كِتَابَاتِهِمُ المُقَدَّسَةِ أَنَّ هَيْبِلَ زِيوًا<sup>11</sup> حِينَ تَزَوَّجَ مِنْ زَهْرَيْلَ<sup>12</sup> أَعْطَاهَا ثَوْبًا مُرَصَّعًا بِالْأَخْجَارِ الكَرِيمَةِ<sup>13</sup>، وَتَقْتَضِي رُسُومُ الزَّوَاجِ عِنْدَ المُنْدَثَائِيِّينَ أَنْ يَتَقَدَّمَ العُرُوسَانِ إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ ثُمَّ يَقُومَ رَجُلُ الدِّينِ بِتَعْمِيدِ العُرُوسَيْنِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ بِالمَاءِ الْحَيِّ [الْجَارِي]، ثُمَّ يَعُودُ العُرُوسَانِ إِلَى الدَّارِ حَيْثُ تُعَدُّ «زِدْقَةُ بُرْجِيَّة» [الْوَجْبَةُ الطَّقْسِيَّةُ لِزَوَاجِ الأَسْلَافِ] وَهِيَ وَجْبَةٌ مُكَوَّنَةٌ مِنَ الجَوْزِ وَالزَّيْتِ وَالتَّمَرِ وَاللُّوزِ، وَرَبَّمَا يُضَافُ إِلَى تِلْكَ الْوَجْبَةِ السَّمَكُ المَشْوِيُّ وَبَعْضُ الحَمَرِ<sup>14</sup>.

وَلَمْ يَكُنِ الأَمْرُ لِيُخْتَلَفَ كَثِيرًا بِالنِّسْبَةِ لِصَابِنَةِ حَرَّانَ، فَالْحَرَنَانِيَّةُ كَانُوا يَزُوجُونَ أَبْنَاءَهُمْ فِي سَنٍّ صَغِيرَةٍ نَسَبًا، وَيَتَمَتَّعُ الزَّوَاجُ بِمَكَانَةٍ مُقَدَّسَةٍ أَيْضًا فِي عَقِيدَةِ الحَرَنَانِيَّةِ، فَلَمْ يَكُونُوا يَقيِّمُونَ بِأَلَا لِلْمَتَّعِ الحَسْبِ النَّاتِجَةِ عَنْ عِلَاقَةِ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ، فَالْوَطْءُ عِنْدَهُمْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَطَلْبُ الْوَلَدِ فَحَسَبَ<sup>15</sup>، وَعَلَى الأَرَجَحِ لَمْ تَنْتَشِرْ بَيْنَهُمْ عَادَةُ التَّسَرِّيِّ بِالْجَوَارِي، فَالْإِشَارَةُ

<sup>11</sup> أَحَدُ المَخْلُوقَاتِ التَّوْرَانِيَّةِ الْكِبَارِ فِي الْعَقِيدَةِ المُنْدَثَائِيَّةِ، فَهُوَ ابْنُ «مَنْدَا دِهِي» [عَارِفُ الْحَيِّ] وَهُوَ الْكَائِنُ الْإِثْرِيُّ الْوَحِيدُ الَّذِي يَعْرِفُ طَبِيعَةَ الْبَارِي «هِيَ مَلَكَةُ دَنْهُورَا» [الْحَيُّ، مَلِكُ النُّورِ] سَبَاهِي: المَرْجِعُ نَفْسَهُ، 156-155.

<sup>12</sup> زَهْرَيْلُ أُخْتُ الزُّوْهَا (مَلَكَةُ الظَّلَامِ)، خَطَبَهَا هَيْبِلُ زِيوًا لِنَفْسِهِ أَثْنَاءَ هُبُوطِهِ الاضْطِرَارِيِّ إِلَى مَلَكَةِ الظَّلَامِ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا وَأَنْجَبَ مِنْهَا ابْنَهُ بَثَامِيلَ، وَالَّذِي لَعِبَ الدُّورَ الْأَكْبَرَ فِي خَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَآذِيِّ. سَبَاهِي: المَرْجِعُ نَفْسَهُ، 156؛ WILLIS BARNSTONE, MARVIN MEYER: *The Gnostic Bible*, Boston 2003, pp 528-529.

<sup>13</sup> دَرَاوَرُ: الصَّابِنَةُ المُنْدَثَائِيَّةُ، 119.

<sup>14</sup> دَرَاوَرُ: المَرْجِعُ نَفْسَهُ، 128؛ أَحْمَدُ الْعَدَوِيُّ: الْمَرْأَةُ فِي الْعِرَاقِ خِلَالَ عَهْدَيْ الْجُيُوشِ وَالسَّلَاجِقَةِ، رِسَالَةٌ مَاجِسْتِرٍ غَيْرِ مَنْشُورَةٍ بِكُلِّيَّةِ الآدَابِ جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ، 2005، 111؛ مَلِيحَةُ رَحْمَةِ اللَّهِ: صُورٌ مِنَ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي المَجْتَمَعِ الْعَبَّاسِيِّ فِي الْعِرَاقِ، مَقَالٌ مَنْشُورٌ بِالمَجَلَّةِ التَّارِيخِيَّةِ الْمَصْرِيَّةِ، مَج 17، الْقَاهِرَةُ 1970، 32.

<sup>15</sup> الْمُقَدَّسِي: الْبَدءُ وَالتَّارِيخُ، 4: 23.

إلى امتلاك الحرثانية للعبيد والعلمان متعددة في رسائل أبي إسحاق الصّابي<sup>16</sup> لكن ليس هناك إشارة إلى جارية واحدة مطلقاً.

وفي اعتقادي أنّ وجوب الزواج على أبناء كلتا الطائفتين - مندائيين وحرثانية - وفي سنّ مبكرة - راجع بالأساس إلى كون كلتا الملتين قائمتين على أسس غير تبشيرية، ومن ثمّ فالأمر يتعلّق هنا بعشيرة تغتنق ديناً وليس العكس، من ثمّ فإنّ انتشار هذا الدّين - أو بعبارة أخرى زيادة أعداد من يعتنقون هذا الدّين - رهنّ بزيادة أفراده ذاتيّاً، وهذا في اعتقادي هو ما جعل كلتا الشريعتين - أعني المندائية والحرثانية - تنظران إلى الزواج على أنّه واجب الفرد تجاه عشيرته، وأنّه بدونه لا يكتوّل إيمان المرء، وربّما لهذا السّبب لم تحدّد شريعة الصّابئة المندائيين بشكل عام عدد النّسوة اللّائني يُمكن أن يجمّع الرّجل بينهنّ، فقد أبيع للمندائي الزواج بدون حدّ أقصى، فقط لم يكن الأمر يستلزم سوى أن يتعهّد الرّجل بالمساواة بين زوجاته اللّائني يجمّعهنّ في عصمته<sup>17</sup>.

وطقوس الزواج عند الصّابئة - مندائيين وحرثانية - تشابه إلى حدّ كبير، فلا زواج إلّا بطقوس وشهود، لكنهم أقرب للنّصارى في مسألة الطّلاق، فلا طلاق إلّا بحجّة عن فاحشة ظاهرة، ولا تُراجع المطلّقة البتّة<sup>18</sup>، فقط تُبيع العقيدة المندائية الزواج الثّاني للمطلّقة والأزمنة، وهناك مراسم خاصّة ومختصرة لهذا النوع من الزّيجات، بيد أنّه يُحرّم على أطفال من زيجّة كهذه أن يصيروا كهنّاء أو أن يمارسوا أي نشاط دينيّ لثلاثة أجيال على الأقل<sup>19</sup>، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على نظرة الاستيهجان تجاه الزواج من النّيب على الصّعيد الاجتماعي.

<sup>16</sup> رسائل أبي إسحاق الصّابي، نسخة تشيستر بيتي، ورقة 52و.

<sup>17</sup> دراور: الصّابئة المندائيون، 117؛ اليوزبيكي: تاريخ أهل الذمة، 380-381؛ العدوي: المرأة في العراق،

111.

<sup>18</sup> المقدسي: البّده والتّاريخ، 4: 23.

<sup>19</sup> دراور: الصّابئة المندائيون، 117.

وكان ميلادُ طفلٍ في مُجتمع الصَّابئة مُناسبة شديدة البُهجة، لا سيَّما إذا كان ذلك الطفل ذكراً، وأوَّل ما يستوقف النَّظر هو شدَّة إيمان الصَّابئة سواء المندائيين أو الحرنائيَّة بتأثير الكواكب والأفلاك على مصير البشر، فقد كان الصَّابئة المندائيون إذا وُلد لهم مولودٌ اعتقدوا أنَّ كوكباً من الكواكب السَّبعة هو المُتولِّي لسُعدِه ونَحسِه وأنَّه هو المُدبِّر له، فيأخذون طالع المولود ويسمُّونه باسم فلَكِيّ «ملواشة»، وهو الاسم الذي الذي يستخدمه صاحبه في كافة الطَّقوس الدِّينية بها فيها طَّقوس الزَّواج نفسه<sup>20</sup>.

كما كان الحرنائيَّة يعتقدون بتحكُّم النُّجوم والأجرام السَّماوية في حياة البشر بشكل تام، وكانوا يبيِّنون طالع المولود بالنَّظر في مواقع النُّجوم، فيستبشرون به إذا كان طالعه جيِّداً ويتشاءمون منه إن كان بعكس ذلك، فقد اعتقد الصَّابئة الحرنائيَّة أنَّ موجودات العالم السُّفلي - أي العالم المادي - مُرتبة على تأثير الكواكب والروحانيَّات التي هي مُدبِّرات للكواكب، وفي اتِّصالها يظهر النُّحس من السُّعد، وباستطلاعها يظهر الحُسن والقُبْح في الحُلُقِي والأخلاق<sup>21</sup>. ويروي السُّجستاني عن سنان بن ثابت أنَّ قُرَّة جدَّه رأى مناماً كأنه جاءه كتاب من حرَّان يشتمل على التَّهنئة بميلاده، فأخذ الجدُّ الطَّالع فكان سبع درجات للسُّرطان، وبعد أيَّام ورد عليه كتاب بالفعل بميلاد سنان يشتمل على يوم ميلاده، فأعاد أخذ طالعه فكان فيه ما أثبتَّه سابقاً في رُضده<sup>22</sup>.

ومن حُسن الحظِّ فإنَّ هناك رسالة أُرسلها أبو إسحاق الصَّابئ لأبي سعيد سنان ابنه يُهنِّئه فيه بميلاد ابنته له، وهذه الرِّسالة تُميط اللُّثام عن الكثير من مُعتقدات الصَّابئة الحرنائيَّة وعاداتهم الاجتماعيَّة المُرتبطة بتلك المُناسبة، ففي حالة ابنة أبي سعيد سنان فقد وُلدت والرَّصد يبيِّن أنَّ الزَّهرة في شرفها [أعلى مدارها] وهي علامة جيِّدة في حدِّ ذاتها، لكن المُرِيخ في الوقت ذاته كان شديد القُرب من القَمَر، وهي علامة من علامات النُّحس وسوء الطَّالع، ولهذا فقد

<sup>20</sup> دراور: المرجع نفسه، 118-119.

<sup>21</sup> الشَّهرستاني: نهاية الإقدام في عِلْم الكلام، باعْتَناء ألفريد جيوم، أكسفُورد 1931، 1: 110.

<sup>22</sup> السُّجستاني: صوان الحِكْمَة، 300.

كان هذا سبباً من أسباب الحزن والكآبة التي شاعت في الأسرة كلها، لا سيّما وأنّ والدة الصّبية أصابتها - فيما يبدو - حمى النفاس عقب ولادتها، وأشرقت على الهلاك، فتأكد بهذا للأسرة سوء طالع الفتاة، يقول أبو إسحاق الصّائبي لابنه أبي سعيد سنان:

«... ورأيتك - لا عدمتك - تطعن على مولدها؛ فإن كان هذا القول عن تأمل تأملته فقد ظلمت فيه، وإن كان حكاية عن بعض المنجمين فقد غلط في حكمه؛ لأنني وجدت الزهرة في درجة الطالع، ولو أن ناز<sup>23</sup> هذه الفضيلة كل عيب ورذيلة لعدّته وقومته، وقابلته وأصلحته، ولعلك كرهت قرب القمر من المريخ، وقد كان قاربه بدرجتين، وهو مأمون لكونه في برج العقرب، وهو بيته لا يفارقه في نوبة الليل التي يكف من عاديته، وليس مجاسداً ولا مربّعا، ولا مقابلاً للطالع، وبقي الكواكب وإن لم تكن برزت تبريز الزهرة فليست فائدة الأحوال، ولا مذمومة العواقب.

ودليلك منها رجل وهو سليم من كل ما ينحسه، فمن أين قلت ما قلت؟! وما هذا الجزع من بعد مولودة لعلها أبرك وأفضل من عدة ذكور؟! وأين يذهب بك عن حسن اليقين بالله، والشكر له، والصبر لحكمه، والقول بما يرضيه؟! وعن تسلية من يليك من حرّمتنا؟ - حفظهنّ الله - وتسكينهنّ وإظهار السرور لهنّ؟، فإن في ذلك استدامة للنعم، واستدفاعاً للنقم، ومسرّة للأولياء، ومكينة للأعداء<sup>24</sup>.

ويدلّ خطاب أبو إسحاق لابنه على أنّ التبكير بإنجاب الإناث لم يكن محبوباً عند الصّابئة الحرثانيّة، وهذا لا يعني هذا بالضرورة أن ميلاد الأنثى كان حدثاً سيّئاً في حدّ ذاته، لكنهم

<sup>23</sup> كذا، ولعله أراد «وإن قابلت».

<sup>24</sup> رسائل الصّائبي، نسخة مجلّي شوراي إيران، ورقة 20و.

كأنوا يتوقون إلى الذُّكور، فالذُّكور هم ضَمَانٌ تَحْلِيدِ اسْمِ الأُسْرة، وهم أَيْضًا الأَيْدِي العَامِلَةُ، كما أَنَّهُم المُدَافِعُونَ عَنِ العَشِيرَةِ، وَالضَّامِتُونَ لاسْتِمْرَارِهَا، وهو ما نفهمُهُ مِنْ جُزْءِ آخَرَ مِنَ الرِّسَالَةِ نَفْسَهَا، يَقُولُ أَبُو إِسْحَاق الصَّابِيُّ:-

«ووصل كتابك بما وهب الله لك من المولودة التي سوى الله خلقها، وضمن رزقها، وأسعد طالعها، وأيمن طائرها، وفهمته. وأقلقني ما دلَّ عليه ذِكْرُكَ إِيَّاهَا مِنْ كَرَاهَتِكَ لَهَا، وَوَجُومِكَ مِنْهَا. وأعوذ بالله من أن تذهب في ذلك عن صواب الرأي، وسبيل الحزم، وسداد القول، ورشاد الفعل، وأن يُخْفَى عَلَيْكَ مَوَاقِعُ صُنْعِ اللَّهِ لَكَ، وَلِي فَيْكِ، إِذْ كَانَ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ سَلَّمَ والدتها - صَانِئًا اللَّهُ - مِنَ الْخَطَرِ، وَوَقَّاهَا مِنَ الْحَذَرِ، بَعْدَ أَنْ أَشْفَقْتَ بِحَدَاثَةِ سِنِّهَا، وَبِرَفِّهِ جِسْمِهَا عَلَيْهَا، وَأَشْفَقْنَا عَلَيْهَا مِنْهَا. وَلَمْ يَقْتَصِرْ بِكَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى حَمَّاكَ فِيهَا مِنْ آفَاتِ الْخَلْقِ وَعَوَارِضِهِ، وَزِيَادَتِهِ وَنَقْصِهِ، فَلَمْ يَلْزَمْ<sup>25</sup> إِعَابَةَ نَعْرُهَا، وَلَا عِلَّةَ تَضَرُّرِهَا، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ ذَلِكَ بِهَا<sup>26</sup> حَدَثَ فَيَتَلَقَّاهُ النَّاسُ بِالصَّبْرِ لِلنَّازِلِ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ الْخَالِقِ، وَالثِّقَةِ مِنْهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ - بِالتَّعْوِيزِ مِنْ عَاجِلِ الْبَلَوَى بِأَجَلِ التُّعْمَى.

وَمَا أَرَاكَ تَدْعِي عِلْمَ مَا اسْتَسَرَّ وَانْطَوَى عَنْكَ مِنْ حُسْنِ الْاِخْتِيَارِ لَكَ، وَكَمْ مِنْ أَنْثَى أَصْلَحَهَا اللَّهُ وَأَصْلَحَ بِهَا، وَجَعَلَ الْخَيْرَ وَالْبَرَكَةَ فِيهَا، وَالكَثْرَةَ وَالنَّجَابَةَ مِنْهَا، وَمَنْ ذَكَرَ خَالَفَ مَذْهَبَ أَبِيهِ، وَبَايَنَ أَغْرَاقَهُ وَذَوِيهِ، فَلَمْ يُحَمَّدْ خَلِائِقَهُ وَلَمْ تُؤْمِنْ بِوَائِقِهِ. ثُمَّ أَنَّكَ وَقَرَيْتَكَ - أَبْقَاكُمَا اللَّهُ - فِي أَوَّلِ نَشِيئِكُمَا، وَعُنُقُوانِ شَبَابِكُمَا، وَمُقْتَبِلِ

<sup>25</sup> كَذَا، وَلَعَلَّهُ أَرَادَ «فَلَمْ يَزِدْ».

<sup>26</sup> كَذَا وَلَعَلَّهَا «إِذَا».

عُمْرُكُمَا، وَمُسْتَأْنَفُ أَمْرِكُمَا، وَالْأَيَّامُ بَيْنَ أَيْدِيكُمَا، وَالْأَمَلُ مُنْفِصِحٌ لَكُمَا، وَلَمْ تَنْسَا - وَلَا يَنْسَنَا فَيْكُمَا - مِنْ أَنْ يَتَّبِعَ هَذِهِ الْمَوْلُودَةُ أَخُوهُ يَكُونُ لَنَا مِنْهُمْ وَبِهِمْ زِيَادَةُ الْعَدَدِ، وَقُوَّةُ الْعَضْدِ، فَإِنْ جَدَّيْ أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَهْرُونَ، وَأَبَا سَعِيدَ سِنَانَ بْنِ ثَابِتٍ لَمْ يُرْزَقَا الذُّكُورَ إِلَّا بَعْدَ الْإِنَاثِ، وَلِلَّهِ فِي ذَلِكَ تَقْدِيرٌ هُوَ أَعْلَمُ بِهِ، وَتَدْبِيرٌ هُوَ أَحْكَمُ فِيهِ<sup>27</sup>.

ونستدلُّ من تلك الرِّسالة أيضًا على أنَّه كان من المُتَّبَعِ عند الحرنانيَّةِ عند ميلاد الأطفال دفع مُبلغ من المال للوالدة على سبيل الهدية، وكان من عادات الحرنانيَّةِ أيضًا أنَّه متى بلغ منهم صبيٌّ حدَّ الإذناك وقُدِّرَ على التَّصَرُّفِ أَثَرًا بِهِ إِلَى الْهَيْكَلِ، فَعَرَّضُوهُ عَلَى ضُرُوبِ الصَّنَاعَاتِ وَالْمِهَنِ الْمُخْتَلِفَةِ فَبِإِذَا اخْتَارَ وَاحِدَةً مِنْهَا سَلَّمُوهُ إِلَى الْمُتَخَصِّصِينَ فِيهَا، فَيَحْذَقُ فِي تِلْكَ الصَّنَاعَةِ<sup>28</sup>.

### الاعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية

اعتمد المندائيون التَّقْوِيمَ الشَّمْسِيَّ، فَقَسَّمُوا السَّنَةَ إِلَى اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، كُلُّ شَهْرٍ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، مَعَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ كَيْسَةَ أَطْلَقُوا عَلَيْهَا اسْمَ «الْبَنْجَةِ»، وَنَتِيجَةً لِأَنَّ الْمَنْدَائِيِّينَ لَمْ يَتَعَرَّفُوا عَلَى رُبْعِ الْيَوْمِ الَّذِي تُكْمِلُ الْأَرْضُ خِلَالَهُ دَوْرَتَهَا حَوْلَ الشَّمْسِ فَإِنَّ الْفُصُولَ الْأَرْبَعَةَ كَانَتْ تَفْقِدُ بِاسْتِمْرَارٍ تَرَاتُيبَهَا الْمُنَظَّمَةَ عَلَى شُهُورِهِمْ<sup>29</sup>.

ويحتفل المندائيون بعيد رَأْسِ السَّنَةِ «دَهْقَةَ رَبَّأ» وهو ذِكْرُ يَوْمِ الْخَلْقَةِ وَبِدْءِ الْحَيَاةِ، وَلِهَذَا السَّبَبُ لَمْ يَكُنْ يُسَمَّحُ لِلْمَنْدَائِيِّينَ بِالذَّبْحِ أَوْ إِنْهَاءِ حَيَاةِ أَيِّ كَائِنٍ مُطْلَقًا، لِذَا كَانُوا يُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبْحِ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ عَلَى الْعِيدِ، وَهُوَ آخِرُ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ، كَمَا كَانُوا يُعَدُّونَ الْحُبْزَ بِكَمِّيَّاتٍ

<sup>27</sup> رسائل الصَّابِئ، نُسخة مجلّسي شُوراي إيران، ورقة 20 و.

<sup>28</sup> الجُمَيْرِي: الرُّؤُوسُ الْمِغْطَارُ، 191؛ الْمَجْرِيطِي: غَايَةُ الْحَكِيمِ، 226 - 227.

<sup>29</sup> دراوَر: الصَّابِئَةُ الْمَنْدَائِيَّةُ، 144.

كافية للعيد. كما كانوا - في الوقت نفسه - يُسَلِّمُونَ قُطْعَانَ مَا شِيتَهُمْ لِجيرانهم، ثم يَخْبِسُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي دُورِهِمْ لِيَوْمٍ وَنِصْفِ الْيَوْمِ، لَا يَتَبَغْيِي خِلَالَهَا أَنْ يَغْمَضَ لِلْمُنْدَائِيِّ جَفَنَ، حَيْثُ يَخْتَقِدُونَ أَنَّ الْأَزْوَاحَ الْحَارِسَةَ تَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ فِي الثَّلَاثَةِ أَيَّامِ الْأَوَّلَى مِنَ السَّنَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ خَطِيرٌ فِي اعْتِقَادِهِمْ، فَالْعَالَمُ يُصْبِحُ بِدُونِ حِمَايَةٍ، وَتَظَلُّ قُورَى الشَّرِّ وَالظَّلَامِ حُرَّةً طَلِيقَةً، لَا يُوجَدُ مَا يَعُوقُهَا. بَعْدَهَا يَتَوَجَّبُ عَلَى الْجَمِيعِ الْخُرُوجُ إِلَى النَّهْرِ لِلتَّعْمِيدِ<sup>30</sup>.

وَفِي الْيَوْمِ السَّادِسِ مِنَ الشَّهْرِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الْمُنْدَائِيَّةِ عِيدُ «نُورُوز رُوطَه» وَيَعْتَقِدُ الْمُنْدَائِيُّونَ أَنَّ أَبْوَابَ أَبَاثَر - الْإِثْرِي الْمُوَكَّلَ بِالْأَزْوَاحِ الطَّاهِرَةِ - تُفْتَحُ أَمَامَ الْمُتَّقِينَ، فَيُجَابِ الدُّعَاءُ. وَمِنَ الْمُعْتَادِ فِي هَذَا الْيَوْمِ أَنْ تُطْفَأَ جَمِيعُ الْأَنْوَارِ وَالنَّيرَانِ، وَيُوزَّعُ الْمُنْدَائِيُّونَ الْأَطْعِمَةَ عَلَى الْفُقَرَاءِ مِنْهُمْ، كَمَا يَمُرُّ الْكَهَنَةُ عَلَى الدُّورِ لِيُوزَّعُوا عَلَيْهَا أَكَالِيلَ الْأَسْرِ وَالصَّفْصَافِ؛ لِتَقِيَهَا مِنَ الْأَخْطَارِ<sup>31</sup>.

وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ «نُورَا» [الشَّهْرِ الرَّابِعِ فِي التَّقْوِيمِ الْمُنْدَائِيِّ] يَقَعُ الْعِيدُ الصَّغِيرُ، «دَهْفَةُ حُشِيَّة» وَيَسْتَمَرُّ هَذَا الْعِيدُ لثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، تُقَامُ خِلَالَهَا مَرَايِسُ التَّعْمِيدِ وَالْأَذْيَعَةِ لِلْمُتَوَفِّينَ «لُوفَانِي»، وَهَذَا الْعِيدُ يُمَثَّلُ اخْتِفَالًا بِعَوْدَةِ هَيْبِلَ زِيوَا إِلَى عَالَمِ الْأَنْوَارِ مِنْ عَالَمِ الظَّلَامِ<sup>32</sup>. وَهَذَا الْعِيدُ يُبَاهِلُ عِيدَ الْكُرْمُوسِ عِنْدَ الصَّابِنَةِ الْحَرْنَانِيَّةِ كَمَا سَيَأْتِي، فَهُوَ إِخْيَاءٌ لِتَقْلِيدِ بَابِلَ قَدِيمٍ فِي الْاِخْتِفَالِ بِعِيدِ الْإِلَهِ تَمُوزَ، وَيَتِمُّ الْاِخْتِفَالُ بِهِ فِي أَوَّلِ تَمُوزَ عَلَى قَوْلِ ابْنِ وَحْشِيَّةِ<sup>33</sup> أَوْ فِي النِّصْفِ مِنْهُ عَلَى قَوْلِ النَّدِيمِ<sup>34</sup>، وَيَجُوزُ أَنْ صَابِنَةُ حَرَّانَ كَانُوا يَخْتِفِلُونَ بِهِ فِي النِّصْفِ مِنْ تَمُوزَ، أَمَّا الْمُنْدَائِيُّونَ فَمِنْ الصُّعُوبَةِ بِمَكَانٍ مُخَدِّدٍ تَارِيخَهُ نَظَرًا لِأَنَّ أَعْيَادَهُمْ لَيْسَتْ ثَابِتَةً عَلَى مَدَارِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ مَرْدُّ ذَلِكَ التَّنَاقُضِ.

<sup>30</sup> دراور: نفسه، 146.

<sup>31</sup> دراور: نفسه، 149.

<sup>32</sup> دراور: نفسه، 150.

<sup>33</sup> ابن وحشية: الفلاحة البطية، تحقيق توفيق فهد، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية،

دمشق 1993، 1: 397.

<sup>34</sup> النديم: الفهرست، 2: 368.



وعيدٌ تمَّوز هذا مأخوذٌ عن التراث البابليِّ القديم، وهو يُجسِّد مأساة الإله السُّومريِّ تمَّوز إله الخصب الذي اختطفته شياطين الجحيم السُّفلي - بإيعاز من زوجته عشتار - وعذِّبته ثم قتلته في نهاية الأمر، فتتج عن ذلك إصابة العالم بالجفاف، ورَّخفُ المَوْت على كُلِّ شَيْءٍ، فنَدِمَت عشتار على فعلتها واستنجدت بألهة سומר، وتمَّ التَّوصُّل إلى تسوية بين الآلهة وبين شياطين الجحيم تقضي بأن تُسَلِّم أخته الإلهة «جشتي أناثا» نفسها نصف العام وتقضيه في الجحيم، ويُسَلِّم تمَّوز نفسه لشياطين الجحيم في النصف الثاني من العام، وهو مؤسس الجفاف في الحريف والشتاء بطبيعة الحال، وأسطورة تمَّوز ترمز إلى ذلك الصراع الأبدي بين قُوى المَوْت والفناء، وقُوى الإخصاب والحياة.<sup>35</sup>

يقول ابن وخشية<sup>36</sup>:

«والصَّابُّون كُلُّهم في زماننا من  
البابليِّين والحرنايين جميعًا - إلى وقتنا هذا -  
يُؤخَّون ويكُون على تمَّوز في الشَّهر المُسمَّى تمَّوز  
في عيدٍ هم فيه منسوب إلى تمَّوز، ويعدِّدون تعديدًا  
عظيمًا وخاصَّة النساء فإنَّهن يُقمن هَا هُنَا ويحرَّران  
جميعًا فينؤخَّون ويكُون على تمَّوز».

<sup>35</sup> وتمَّوز هو الإله البابلي البديل لديموزي إله الإنثبات والإخصاب عند السُّومريِّين، والذي نزل إلى العالم السُّفلي ووجب على جميع النُساء أن يَكينه كُلَّ عام حتَّى يعود مجدِّدا في الرِّبيع التَّالي، وهو يُقابل أوزوريس المصري، هنري عبود: مُعجم الحضارات السَّامية، 406. وكانت تُقام في أعياده احتفالات صاخبة ومُكرسات جنسيَّة ترمز إلى الإخصاب. وفي سفر حزقيال ما يُشير إلى أنَّ نساء أورشليم كنَّ يُجَّين هذا اليوم بالنَّواح على تمَّوز بالهيكل نفسه، حز: 8-14. وقد انتقلت أسطورة تمَّوز إلى النُصرانيَّة عبر الاختفال بعيد القديس جورجِيوس الذي قتلُه الوثنيُّون وعاد من المَوْت فقتلوه عَشْرَ المَرَّات وكان يعود إلى الحَيَاة في كُلِّ مرَّة. عن تمَّوز وأسطورته وصداها الوايس في الشَّرق القديم راجع: ميرسيا إلياد: تاريخ الأفكار والمعتقدات الدِّينية، ترجمة عبد الهادي عبَّاس، دمشق 1987، 1: 87-91. وانظر أيضًا الفصل الطَّريف الذي عقده فراس السَّواح عن تمَّوز في دراسته الشَّيقة: -لُغز عشتار، 263-344؛ راجع أيضًا: -هنري س. عبود: مُعجم الحضارات السَّامية، مادَّا تمَّوز -أدونيس، 56.

<sup>36</sup> الفلاحة النبطيَّة: 1: 297-298.

وحالياً يحتفل المندائيون بهذا العيد بدون نوح أو عويل، وتدلُّ فقرة وردت في كتاب «الكنز ربا» على أنَّهم كانوا يذهبون إلى مكان يُدعى بيت تموز، حيث يقيمون هناك ثمانية وعشرون يوماً يجزؤون الأغنام ويمزجون الكتوس، ويصنعون الخبز ويندبون<sup>37</sup>.

واليوم الأوَّل من شهر سَرتانه [الشَّهر السَّادس من شهور السَّنة المندائية] يقع يوم «عاشوري»، وهو ذِكرى غرق المصريِّين الذين غرقوا أثناء مُطاردة النَّبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل بالبحر الأحمر، وقد مرَّ بنا من قبل كيف كان المندائيون يعتبرون المصريِّين القُدَّماء على دينهم<sup>38</sup>، لذا اعتادوا إحياء ذِكرى غرقى المصريِّين بإقامة وجبة طقسية على أزواجهم «لوفاني»<sup>39</sup>.

وتقعُ الأيام الخمسة الكبيسة [البُنجة] التي يكبس المندائيون السَّنة بها بين شهري سنبلته [الشَّهر الثَّامن] وشهر «قيناً» [الشَّهر التَّاسع]، وهي اختفالات دينية أكثر ممَّا هي أعياد، إذ يتجمَّع فيها المندائيون - وقد يأتون من أماكن بعيدة - لأقرب مندى، وذلك للعباد وتلاوة الأذعية وإقامة الصَّدقة المُباركة على الموتى «زُدقة بريخة». فحسب اعتقاداتهم تأتي تلك الأزواج من عوالم الأنوار لتُشارك في وجبات الطَّعام الطقسية وتُبارك المُختفلين<sup>40</sup>.

ونظراً لأنَّ أيام البُنجة تُعدُّ أياماً ثورانية مُباركة؛ فإنَّ المَرَضَى المُصابين بأمراض خطيرة، أو المُختَضرين الذين يترقَّبون موتهم بين لحظةٍ وأخرى كانوا يحضرون بمُساعدة ذويهم للتعميد بماء النَّهر، وكما لاحظت السيِّدة دَراور فإنَّ هذا العبَّاد في الماء الجَّاري لشخص عليل تُعدُّ بمثابة رغبةٍ حقيقيَّة في الوفاة في ظلِّ هذه الأيام المُباركة عند المندائيين، فالمرضى ويبار السنُّ منهم يتوقُّون لمُغادرة هذا العالم في هذا الوقت، حيث لا شياطين ولا وحوش مُفترسة تعرَّض طريق الأزواج لعالم الأنوار<sup>41</sup>.

<sup>37</sup> دراور: المرجع نفسه، 139.

<sup>38</sup> راجع الفصل الثالث.

<sup>39</sup> دراور: نفسه، 151.

<sup>40</sup> نفسه، 152.

<sup>41</sup> نفسه، 153.

والعيدُ الأوَّل الذي يأتي بعد البَنجة يتسعين يومًا هو عيد «دهفة ديانه» وهو يُوافق الأوَّل من شهر هِيطة [الشَّهر الحادي عشر] وهو عيد الاحتفال بتعميد آدم <sup>عليه السلام</sup>، وفيه يجبُ على الاتقياء القيام بالعماد أسوةً بأبي البشر، وهو مناسبةٌ سعيدة يُفضَّل فيها المندائيون عماد أبنائهم الصغار للمرَّة الأولى، وإهداءهم الملابس الطَّقسيَّة «الرَّسَّنة» التي ستُلازمهم حتى بلوغهم مبلغ الرُّجال، حيثُ ينبغي تغييرها لتواكب نموَّ الجسم، ومن تقاليد المندائيين في ذلك اليوم تخريم ذبح الحيوانات في اليوم الذي يلي العيد<sup>42</sup>.

أما الصَّابئة الحرَّانيَّة فقد اعتمدوا أيضًا التقويم السُّرياني السُّمسي، لكنَّ حساب أعيادهم وصيامهم اعتمد على أساس الشُّهور القمرية، بعبارة أخرى استخدموا مَرِيجًا من التَّقويمين السُّمسي والقمرِي، فقد احتفظوا من التَّقويم السُّمسي بأشياء الأشهر فحَسَب، لكنَّهم استخدموا الأهلَّة لحسابها<sup>43</sup>، ويبدأ العام عند الحرَّانيَّة بظُهُور هلال كائون الآخر [يناير]<sup>44</sup>. وبالرَّغم من أنَّ السَّنة القمرية أقصر من السَّنة السُّمسية بما يقرب من ثلث شهر تقريبًا، فإنَّهم لجأوا في سبيل تثبيت أعيادهم على التَّقويم السُّمسي إلى كَبَس شهر كاملٍ كُلَّ ثلاث سنوات، ويُعلِّقونه بعد آذار [مارس]، ويُطلقون عليه اسم آذار الثاني فتصير شُهُور تلك السَّنة الكبيسة ثلاثة عشر شهرًا<sup>45</sup>.

والعيد الكبير للحرَّانيَّة يقع في اليوم الأوَّل من شهر نيسان [أبريل] وفي الثلاثة أيام الأولى يُصلُّون ويضرعون للإلهة بِلثي [الزَّهرة] لتحفظهم وتقيهم من الشرور<sup>46</sup>. وكانت لهم

<sup>42</sup> نفسه، 154.

<sup>43</sup> الحميري: الرُّوض المغطار، 192؛ والبيروني يُلَفِّت النَّظَر إلى أنَّ كَلًّا من الماتورية والحرَّانيَّة يتشابهون في طريقة حساب صومهم اعتمادًا على الأهلَّة، القانون المسعودي، 1: 92.

<sup>44</sup> j. HJARPE: *The holy year of the Harranians, some remarks on the festival calendar of the Harranian*

*Sabians, in Orientalia Suecana, Vol. XXIII-XXIV, (1974-1975) p 73.*

<sup>45</sup> البيروني: الآثار الباقية، 319؛ j. HJARPE: op.cit, p 72.

<sup>46</sup> النَّدِيم: الفهرست، 2: 366.

طقُوس عند بدء العام، ففي اليوم السادس من نيسان يذبحون قرباناً - ويُفَضِّلون الثور - للإله سين إله القمر، ويحبُّ عليهم الصَّيام في اليوم الثامن، ويُستحبُّ أن يَفْطُروا بِلَحْم الضَّأن<sup>47</sup>.

كما اعتاد الحرنانيَّة في نيسان على الخروج إلى دير كاذي<sup>48</sup> وهو يقع إلى الشرق من حرَّان، ويَنتظرون في كُل عام عَودة صَمن الماء والذي - وفقاً للأساطير الحرنانيَّة - هَرَب بعد نزاع مع الآلهة إلى بلاد الهند، وأقسَم على ألا يدخل حرَّان مُجدِّداً، لكنَّهُ في الوقتِ نفسِه وعد بتفقد الحرنانيَّة بدير كاذي كُل عام<sup>49</sup>، وكان الحرنانيَّة يخرجون رجالاً ونساءً بأعدادٍ غفيرة مُتوقِّعين عَودة صَمن الماء من مَنفاه الاختياري، وجعل هذا التَّقليد الحرنانيَّ إخوان الصَّفا يتحدَّثون عن أنَّ اَنتظار الحرنانيَّة لعودة صَمن الماء يُشبه اَنتظار اليهود لخروج المسيح المُتَظَر<sup>50</sup>.

وكان الحرنانيَّة يذبحون ثلاثة ثيران، وتسعة خرفان تكريماً لصَمن الماء، كما كانوا يحرِّقون خرفاناً وديكاً كثيرة<sup>51</sup>. وفي اليوم الثامن والعشرين يخرجون إلى دِير هُم في قرية تُسمَّى «سَبْتِي» على بابٍ من أبواب حرَّان يُقال له باب السَّراب، ويذبحون ثوراً كبيراً لهَرْمِس النَّبِيِّ، ويذبحون تسعة خرفان كقربان لباقي الآلهة<sup>52</sup>.

وفي السَّابع والعشرين من حُزيران [يونيو] تُقام مراسِم تسميس السَّر للإله الشَّمال الذي يُطَيَّر النَّشَاب [؟!]<sup>53</sup>، ومعلوماً عن هذا العيد مُستمدَّة من التَّديم، فنحنُ نَعرِف أنَّ من شَعاثر الحرنانيَّة أنَّهم ينصبُّون في هذا اليوم مائدة، ويَجْعَلون عليها سَبعة أَقسام للآلهة السَّبعة، ويُخَضِّر الكَمَر (الكاهن) قَوساً ويُطلِّقُ منها اثنا عشر سَهْماً مُشتعلة، ثم يَمْشِي الكَمَرُ على يَدَيْهِ

<sup>47</sup> البيروني: الآثار الباقية، 320.

<sup>48</sup> البيروني: المصدر نفسه، 321.

<sup>49</sup> التَّديم: الفهرست، 1: 373.

<sup>50</sup> رسائل إخوان الصَّفا، 4: 306.

<sup>51</sup> التَّديم: الفهرست، 2: 367؛ إخوان الصَّفا: رسائل إخوان الصَّفا، 4: 306.

<sup>52</sup> التَّديم: المصدر نفسه، 2: 367-368؛ قارن البيروني: الآثار الباقية، 320.

ورجلينه مُحَاكِيًا مِشْيَةَ الْكَلْبِ حَتَّى يَرَدَّ تِلْكَ السَّهَامَ جَمِيعًا. وَيَتَشَاءَمُ الْحَرَنَانِيَّةُ إِذَا انْطَفَأَ أَحَدُ هَذِهِ الْأَنْهُمُ قَبْلَ وَصُولِ الْكَمَرِ إِلَيْهِ، وَإِذَا حَدَثَ ذَلِكَ فَمَعْنَاهُ أَنَّ الْكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ تَرْفُضُ مُبَارَكَةَ الْعِيدِ، وَإِنْ جَمَعَهَا الْكَمَرُ قَبْلَ انْطِفَائِهَا فَقَدْ بَارَكَتِ الْكَوَاكِبُ مَرَامِسَ الْعِيدِ.<sup>53</sup>

وعند حلول شهر تمّوز [يوليو] يحتفل الحرّنانيّة بِذِكْرَانِ تَمَّوزَ، أَوْ عِيدِ الْكُرْمُوسِ، وَفِيهِ يُنَوِّحُونَ وَيُنْجُونُ عَلَى تَمَّوزِ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ. وَمِنْ أَكْبَرِ أَعْيَادِهِمْ عِيدُ الْمُتَقَلِّبِ الصَّيْفِيِّ وَهُوَ الْعِيدُ الْكَبِيرُ عِنْدَ الصَّابَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ<sup>54</sup>، وَيَبْدَأُ مِنَ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ تَمَّوزَ وَيَسْتَمِرُّ حَتَّى مُتَنَصِّفِ الشَّهْرِ، وَيَسْبِقُهُ صِيَامٌ يُدْعَى صِيَامَ الْكُوجَكِ<sup>55</sup> وَمُدَّتُهُ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، وَيُسَمَّى الْبِيرُونِي هَذَا الْعِيدَ بَعِيدَ التَّهْرِيكِ<sup>56</sup>، وَكَانَ حُكَمَاءُ الصَّابَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ يَجْتَمِعُونَ فِي الْهَيْكَلِ وَهُمْ يَلْبَسُونَ زِيًّا خَاصًّا بِأَلْوَانِ مُعَيَّنَةٍ، وَيَأْكُلُونَ الشَّارَ الرَّطِيْبَةَ وَالْيَابِسَةَ، فَإِذَا قَضَوْا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ صَدَقَاتٍ لِلْمُعْبِدِ أَنْصَرَفُوا<sup>57</sup>. وَفِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ تَمَّوزَ يَحِثُّ عِيدُ بَيْتِ الْقَصَابِ<sup>58</sup>. وَلَا نَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ مَعْرِىِ الْأَخْتِفَالِ بِهَذَا الْعِيدِ، إِلَّا أَنَّهُ مِنَ الطَّقُوسِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُمَارَسَهَا النِّسَاءُ الْحَرَنَانِيَّاتُ فِي هَذَا الْيَوْمِ أَلَّا يَأْكُلْنَ شَيْئًا مَطْخُونًا فِي رَحَا، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَقْتَصِرْنَ عَلَى أَكْلِ الْحِنْطَةِ الْمَبْلُولَةِ، وَالْحُمُصِ وَالتَّمْرِ وَالزَّرْبِيبِ<sup>59</sup>.

ويحتفل الحرّنانيّة بعيد الاعتدال الحريفي، ويقام قرب نهاية أيلول [سبتمبر]، وعيد المتقلب الشتوي، ويقول إخوان الصفا عن مراسم الاحتفال به عند الحرّنانيّة: «كَانَ حُكَمَاءُ الصَّابَةِ تَتَّخِذُ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ حُزْنٍ وَكَآبَةٍ وَنَدَمٍ وَاسْتِغْفَارٍ، وَكَانُوا يَصُومُونَهُ وَلَا يُفْطِرُونَ»<sup>60</sup>.

<sup>53</sup> النديم: الفهرست، 2: 368.

<sup>54</sup> البيروني: المصدر نفسه، 321؛ القلقشندي: صبح الأغشى، 2: 429؛ حنين بن إسحاق: آداب الفلاسفة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، منشورات معهد المخطوطات العربية، القاهرة 1985، 51.

<sup>55</sup> رسائل أبي إسحاق الصّائبي، نسخة عاشر إنندي، ورقة 17 أ.

<sup>56</sup> البيروني: القانون المسعودي، 1: 267-268.

<sup>57</sup> إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، 4: 266-267.

<sup>58</sup> البيروني: الآثار الباقية، 321.

<sup>59</sup> النديم: الفهرست، 2: 368.

<sup>60</sup> إخوان الصفا: المصدر نفسه، 4: 266-267.

وفي تشرين الأول [أكتوبر] قُرب مُتَصَفِه يعملون إخراج الطَّعام للموتى، وهو ما يُشابه الوجبة الطَّقسية لأرواح الأسلاف عند المندائيين، وكان الحرثانية يشترون خلال ذلك العيد من كُلِّ شيء يؤكل من أصناف اللحوم والفواكه الرطبة واليابسة، ويطبِّخون مختلف أصناف الطَّعام والحلوى، ثم يُحرق جميع ذلك بالليل للموتى، ويُحرق مع هذا الطَّعام عظم من فخذٍ جَمَلٍ ويُجعل ذلك للكلب من الوحوش التي تُطارِد الأرواح في العالم الآخر، ويُدعى كَلب المُوذية [كذا] حتَّى لا يَنجَح على موتاهم فيفزعون، ويصبون أيضًا لموتاهم على النار خمرًا ليشربوه، كما يأكلون الطَّعام المَحروق<sup>61</sup>.

وفي السَّابع من كانون الأوَّل [ديسمبر] يُحتفل الحرثانية بعيد صَمن الزَّهرة، وينصبون خلالَه قُبَّةً يسمونها الحَدر، على الرُّخامة التي في محراب الهَيْكل، ويُعلِّقون عليها أصناف الفاكهة والرياحين، ويذبِّحون الذَّبائح كقرايين للزَّهرة، وتُستمرُّ هذه الاختفالات سبعة أيَّام، وفي أعقاب هذا العيد يجلسُ رئيس الكُمرين (الكهنة) على منبرٍ مُرتفع، ثم يخطِّب فيهم خطبة هم يدعوا فيها لجماعتهم بالبقاء وكثرة النسل، والعلو على جميع الأمم، ويردُّ دولتهم وإيَّام مُلكيهم إليهم، ثم ينزل عن المنبر، فيأكلون من الذَّبائح ويشربون، ويأخذ الرئيس من كُلِّ رَجُل دِرْهَمين في هذا اليوم لبيت مالهم<sup>62</sup>.

وفي رسالة من أبي إسحاق الصَّابئ إلى عضد الدولة يُهنئه فيها بمُناسبة يوم ميلاده يتحدَّث عن عيد من أعياد الصَّابئة الحرثانية الكُبرى ويُسمَّى «عيد السَّمع»، ولم تأتِ المصادر - التي أشهبت في الحديث عن أعياد الحرثانية - على ذكر عيد للحرثانية بهذا الاسم، وهو ما يشعُرنا بالدهشة، ويبدو ممَّا ذكره أبو إسحاق الصَّابئ أنَّه كان عيدًا كبيرًا، ويومًا من أيَّامهم

<sup>61</sup> النَّدِيم: الفهرست، 2: 370.

<sup>62</sup> البيروني: الآثار الباقية، 319.

«... وَأَمَّا الصَّابُّونَ؛ فَإِنَّهُ زَادَ خُصُوصًا  
بِهِمْ، وَعِظًا عِنْدَهُمْ، لِأَنَّهُ نَصَّ عَلَى يَوْمٍ بَعِيْنِهِ مِنْ  
الشَّهْرِ وَالسَّنَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ عِيْدُهُمُ الْمَعْرُوفُ بِعِيْدِ  
الشَّمْعِ، وَلَا انْتِقَالَ لَهُ عَنْهُ إِذْ كَانَ عِيْدًا شَمْسِيًّا لَا  
يُزُولُ عَنْ إِيَّانِهِ، وَلَا يُسْتَبَدَّلُ بِمَكَانِهِ، وَلَهُمْ فِي  
تَنْفِيزِهِ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ أَخْبَارٌ وَأَثَارٌ، حَتَّى أَنَّهُ إِذَا اتَّفَقَ  
أَنْ يُوَلَّدَ فِيهِ وَلَدٌ لِأَحَدِ الرِّعَايَا؛ تَوَسَّعُوا خَيْرِهِ  
وَرُشِدِهِ، وَرَشَّحُوا يَوْمَهُ وَغَدَهُ».

وَمِنْ الْمُلَاحَظَةِ أَنَّ الْجَلَالِيَةَ الْحَرَنَائِيَّةَ مِنَ الْمُقِيمِينَ بِبَغْدَادٍ قَدْ تَأَثَّرَتْ بِجَوَارِهَا مِنْ مُخْتَلَفِ  
الْمِلَلِ وَالطَّوَائِفِ، فَاخْتَفَلُوا مَعَهُمْ بِالْأَعْيَادِ ذَاتِ الطَّابَعِ الْاجْتِمَاعِيِّ، كَعِيْدِ النَّيِّرُوزِ<sup>64</sup>، كَمَا  
اخْتَفَلُوا أَيْضًا بِعِيْدِ الْمَهْرَجَانِ<sup>65</sup>، بَلِ الْمَدْهَشُ أَنَّهُمْ كَانُوا يُنَاسِبُونَ أَنْفُسَهُمْ بِعِيْدِ الْفِطْرِ الْإِسْلَامِيِّ،  
وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِرُكَّتِهِ<sup>66</sup>.

## الْمَاكِلُ وَالْمَلْبَسُ

كَانَ الصَّابَّةُ الْمُنْدَائِيَّةُ بِحَقِّ طَائِفَةٍ مُمَيَّزَةٍ مِنْ طَوَائِفِ الْمُجْتَمَعِ، فَقَدْ كَانَ يُمَكِّنُ التَّعَرُّفَ  
عَلَيْهِمْ مِنْ خِلَالِ لِبَاسِهِمْ، فَقَدْ كَانَ الْبِيَّاضُ هُوَ لَوْنُ اللَّبَاسِ الْمُفَضَّلِ لِأَغْلَبِ الْمُنْدَائِيِّينَ، إِذْ إِنَّ

<sup>63</sup> رسائل أبي إسحاق الصَّابِي، نُسخة عاشر أفندي، ورقة 198و.

<sup>64</sup> المصدر نفسه، نُسخة مجملِي شُوراي إيران، ورقة 148ظ. وعيد النيروز أو النَّوْرُوز (اليوم الجديد) هو عيد رأس السنة الفارسيَّة، يقع في اليوم الأول من شهر أفرودين ماه (الشَّهر الأول في التَّقْوِيمِ الفارسي)، وهو اليوم الذي يعتَقِدُ الزَّرَادُشْتِيَّةُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ النَّوْرَ فِيهِ، الْقَلْقَشْتَنَدِي: صُبْحُ الْأَعْشَى، 2: 408.

<sup>65</sup> نفسه، نُسخة الجامع الأزهر، ورقة 192، ونسخة عاشر أفندي ورقة 193و. وعيدُ الْمَهْرَجَانِ أَحَدُ الْأَعْيَادِ الْفَارْسِيَّةِ الْكُبْرَى، وَهُوَ عِيدُ الْاِخْتِفَالِ بِالْاِنْقِلَابِ الشَّتَوِيِّ، وَيُؤَافِقُ يَوْمَ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ مَهْرْمَاه (الشَّهْرِ الثَّامِنِ فِي التَّقْوِيمِ الْفَارْسِيِّ)، الْقَلْقَشْتَنَدِي، صُبْحُ الْأَعْشَى، 2: 410.

<sup>66</sup> رسائل أبي إسحاق الصَّابِي، نُسخة تشيستر بيتي، ورقة 60و.

البياض في العقيدة المندائية هو رمزٌ مملكة النور<sup>67</sup>. وكان الرداء الديني «الرسته» هو اللباس الذي يصاحب المندائي منذ صباه وحتى دفنه في قبره، فلا تصح الطقوس الدينية كالزواج والميلاد والتعميد بدونه، كما كان المندائي يكفن في رسته حال وفاته.

وتألف رسته العامة من المندائيين من خمس قطع، وهي: القميص، والدشة<sup>68</sup>، الشروال (الشروال)، التكة<sup>69</sup>، البرزقنا (العمامة)، التصفية<sup>70</sup>، الهميانة (الزئار)<sup>71</sup>، ورسته الكاهن أو رجل الدين المندائي تزيد بقطعتين عن رسته العامة، وهما: التاغة (التاج)<sup>72</sup>، الشوم ياور<sup>73</sup>. ويعدُّ عدم ارتداء المندائي للرسته مُبطلًا للطقوس الدينية التي يقوم بها كافة. كما إنَّ عدم ارتداء المتوفي لرسته حال دفنه يُعيقه عن بلوغه عالم الأنوار، بالرغم من أنَّ هناك طقوس بديلة يؤدِّيها الكهنة لمساعد المتوفين من غير مُرتديها على بلوغ عالم الأنوار<sup>74</sup>. والصَّابئة المندائيون يكرهون اللون الأزرق في لباسهم، ويعتبرونه محرَّمًا، رغم أنَّ كتبهم الدينية لا تُبج لنا بسبب كراهية هذا اللون في اللباس<sup>75</sup>، وفي حال الجنابة، أو مسَّ الطائم، فإنَّه يلزمهم الغسل، وتغيير الثياب كُلِّها<sup>76</sup>.

67 دراور: الصَّابئة المندائيون، 77.

68 رُقعة من نفس نوع القماش تُخاط من الخارج من أعلى الناحية اليمنى من فتحة الصدر، دراور: نفسه، 77.

69 الحيط الذي يشدُّ الشروال إلى البطن، دراور، نفسه، 78.

70 قطعة طويلة من القماش نفسه تُلقى على الكتفين، دراور، نفسه، 78.

71 نسيج مجوف، يُلف على الجسد بكيفية مُعيَّنة بحيث تتقاطع من الأمام، ثم تُربط بعقدتين، وتُدسُّ النهايتان في

الحقصر، دراور، نفسه، 79.

72 حلقة مجوفة من الحرير الأبيض أو القطن، دراور، نفسه، 80.

73 حلقة من ذهب تُلبس في خنصر اليد اليمنى، دراور، نفسه، 80.

74 دراور: مرجع سابق، 81.

75 وقد قيل الكثير في سبب تغليب كراهية المندائيين للون الأزرق، فقيل أنَّهم تأثروا بالعرب في كراهيتهم للزرق

«زُرق العيون»، إلى دخول مواد غير طاهرة تدخل في صناعة هذا اللون، وتُعتبر من مُسببات النجاسة عند

القوم، ويعتقد الكرَملي أنَّ العلة أقدم من ذلك بكثير، وترجع إلى اعتقادات الأمم السامية القديمة في علاقة

اللون الأزرق بالفناء والموت، الكرَملي: الصَّابئة المندائية، المشرق، مج 5: 496.

76 التديم: الفهرست، 2: 360.



أما الصَّابئة الحَرَنائية فقد اعتادوا على إطالة شعورهم على نحو مُبالغ فيه، بحيث يسترسل خلفَ ظهورهم، كما اعتادوا ارتداء الأقيية<sup>77</sup>، كما كانوا يلبسون خواتم مُميّزة منقوش عليها عجائب من رسوم الحيوانات، وهي تقوم مقام الأخراز لتقي المرء من الجنِّ وسائر الأرواح الحبيثة<sup>78</sup>.

وبالنسبة للمأكُل؛ فعند المندائيين تُنصّ عقيدتهم على أن هيبيل زيوا - بعد خلق العالم المادي - علّم آدم الحلال من الطعام، وهو كُل نبتٍ له بذر، وغيره يُعدُّ حراماً، ومن ثمَّ تُحرّم العقيدة المندائية أكلَ الفِطْر، كما دخل في دائرة التَّحريم كُل ما افتَرَس من الطَّير، بما فيها الطُّيور آكلة الأسماك، كما تُحرّم لحوم الجمال والخُيول والحنازير والكلاب والفئران والأرانب، والقِطط، والبقر والجاموس<sup>79</sup>. وأغلب أنواع السمك تُمثل لحماً طيباً طاهراً للمندائيين، ولو أنَّ العقيدة المندائية تُحرّم بعضها.

واللُّوفاني - أو الوجبة الطَّقسيّة التي تُقام على أرواح المُتوفّين من الأسلاف - تقومُ فلسفتُها على إنكان اتحاد أرواح السلف والأحياء في عشاءٍ مُبارك، أو قُداسٍ للطعام، وأنَّ القوّة التي يمنحها هذا الطعام تصبُّ في خدمة كليهما، أغني الأحياء في الدُّنيا، والموتى في الآخرة<sup>80</sup>، ويتكوّن اللُّوفاني من الحُبز وبعض السمك المشوي وقطعة من شحم الإلية، وبعض لحوم الطُّيور وبعض اللُّوز والرَّمّان والعنب والزَّبيب، وهذه الأصناف بذاتها هي أصناف ضروريّة لهذا الطَّقس، ويُطلق عليها «طُبوثة»، ويُمكن أن يُضاف إليها بعض الفواكه الموسميّة<sup>81</sup>.

<sup>77</sup> النديم: المصدر نفسه، 2: 362.

<sup>78</sup> المصدر نفسه، 2: 365.

<sup>79</sup> دراور: الصَّابئة المندائيون، 100.

<sup>80</sup> دراور: المرجع نفسه، 260.

<sup>81</sup> دراور: نفسه، 270.

أَمَّا الصَّابِئَةُ الحَرْنَانِيَّةُ فَقَدْ حَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ شَرِيعَتَهُمْ أَنْ يَأْكُلُوا ذَبِيحَةً أَوْ يَقْدُمُوا قَرْبَانًا إِلَّا كُلَّ ذَاتِ رِثَةٍ وَدَمٍ<sup>82</sup>، وَأَلَّا يَتَنَاوَلُونَ لَحْمًا ذَكَاهُ غَيْرُهُمْ، وَهُمْ فِي هَذَا يَتَشَابَهُونَ كَثِيرًا مَعَ الْمَنْدَثِيِّينَ، كَمَا كَانَ الحَرْنَانِيَّةُ يُحَرِّمُونَ كُلَّ مَا لَهُ أَسْنَانٌ فِي اللَّحْيَيْنِ، وَمِنَ الطَّيْرِ كُلِّ مَا لَهُ مِخْلَبٌ، فَحَرَّمُوا لَحْمَ الْكِلَابِ وَالْحَمِيرِ، وَالْحَيُولِ، وَسَائِرِ الْوَحْشِ، كَمَا حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَحْمَ الْحَنَازِيرِ وَبَعْضِ الْأَسْيَاكِ<sup>83</sup>، خَاصَّةً الْأَسْيَاكَ الرَّعَادَةَ<sup>84</sup>، كَمَا كَانُوا يُحَرِّمُونَ لَحْمَ الدَّجَاجِ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَصْرَحُونَ بِأَكْلِ كَبِدِهِ لِلتَّدَاوِي أَوْ لِصِنَاعَةِ الْأَذْوَةِ<sup>85</sup>، كَذَلِكَ كَانُوا يُعْلَقُونَ أَجْنِحَتَهَا بَعْدَ تَحْفِيفِهَا فِي أَغْنَاقِ الصَّبِيَّانِ كَحِرْزٍ وَوَقَايَةٍ مِنَ السَّخَرِ<sup>86</sup>، وَكَذَلِكَ حُرِّمَ عَلَيْهِمْ أَكْلُ لَحْمِ الْجِمَالِ، وَكَانُوا يُفَرِّطُونَ فِي كَرَاهِيَةِ الْجَمَلِ حَتَّى أَتَاهُمْ اعْتِقَادُ أَنَّ مَنْ مَشَى تَحْتَ خِطَامِ بَعِيرٍ لَمْ تُنْقَضْ حَاجَتُهُ<sup>87</sup>، كَذَلِكَ دَخَلَ فِي دَائِرَةِ التَّحْرِيمِ هَذِهِ فِرَاحُ الْحَمَامِ، وَالْجَرَادِ، وَبَعْضُ أَنْوَاعِ نَبَاتِ الْأَرْضِ كَالْبَاقِلَاءِ وَالثُّومِ وَاللُّوبِيَا وَالْقَنَبِيطِ وَالْكَرْنَبِ وَالْعَدَسِ<sup>88</sup>.

وَاعْتَقَدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ تِلْكَ الْأَنْوَاعَ الْأَخِيرَةَ وَالتِّي لَا غَبَارَ عَلَيْهَا فِي الْيَهُودِيَّةِ وَالْمَسِيحِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ قَدْ حُرِّمَتْ عَلَى الْحَرْنَانِيَّةِ بِشَكْلِ غَيْرِ عَقَائِدِي، وَإِنَّمَا كِمِيرَاثُ طَبِيِّ إِغْرِيقِي حَمَلُوهُ جِيلًا فَجِيلًا، فَالصَّفْدِي يَقُولُ أَنَّهُمْ حَرَّمُوا لِأَنَّ تِلْكَ الْأَطْعِمَةَ اشْتَهَرَ عَنْهَا تَبْلِيدُ الْحَوَاسِ وَإِفْسَادُ جَوْهَرِ الْعَقْلِ<sup>89</sup>، وَخَاصَّةً الْحَمَامِ، فَيُقَالُ أَنَّ فِي دِمَاغِهِ رَطُوبَاتٌ مُؤْذِيَةٌ لِلْأَجْسَادِ<sup>90</sup>،

<sup>82</sup> التَّدِيم: الْفَهْرَسْتُ، 2: 360.

<sup>83</sup> الشُّهْرَسَانِي: الْمِلَلُ وَالتَّحَلُّ، 1: 57.

<sup>84</sup> الْبَيْرُونِي: الْآثَارُ الْبَاقِيَّةُ، 205.

<sup>85</sup> الْفَقْطِي: إِخْبَارُ الْعُلَمَاءِ، 260.

<sup>86</sup> التَّدِيم: الْفَهْرَسْتُ، 2: 374.

<sup>87</sup> التَّدِيم: الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ، 2: 360؛ الْمَقْدِسِي: الْبَدَأُ وَالتَّأْرِيخُ، 4: 23؛ الْحُسَيْنِي الْعُلُوِي: بَيَانُ الْأَدْيَانِ، 30.

<sup>88</sup> التَّدِيم: الْفَهْرَسْتُ، 2: 360؛ الْقَلْقَشَنْدِي: صُبْحُ الْأَعْيُنِ، 1: 41-42.

<sup>89</sup> الْقَلْقَشَنْدِي: الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ، 5: 82.

<sup>90</sup> الصَّفْدِي: الْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ، 6: 101.

واعتقد ابن بطلان أيضًا أنها حُرِّمت لمَصْرَّة فيها على الطَّيِّعة الإنسانيَّة نَبَّيْنَهَا حُكْمًا وَهُمْ<sup>91</sup>، لكنِّي اعتقد أنَّ هُنَاكَ خَلْفِيَّةً دِينِيَّةً وَرَاءَ ذَلِكَ التَّحْرِيمِ، فقد ذكر النَّعَالِي أنَّ أَبَا إِسْحَاقَ الصَّابِيَّ حَضَرَ يَوْمًا مَائِدَةً الْمُهْلَبِيِّ، فامْتَنَعَ عَنِ الْأَكْلِ لِإِقْلَاءِ كَانَتْ عَلَيْهَا - لِأَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَى الصَّابَةِ كَيْفَمَا كَانَ مِنَ السَّمَكِ وَلَحْمِ الْحَتَّازِ وَلَحْمِ الْجَمَلِ وَفِرَاحِ الْحَمَامِ وَالْجَرَادِ - فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ الْمُهْلَبِيُّ بِتَنَاوُلِ الطَّعَامِ قَالَ الصَّابِيُّ: أَيُّهَا الْوَزِيرُ؛ لَا أُرِيدُ أَنْ أَغْصِي اللَّهَ فِي مَأْكُولٍ<sup>92</sup>.

وللأسف الشديد لَا نَسْتَطِيعُ تَحْرِيَّ الْخَلْفِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ وَرَاءَ الْحِكْمَةِ فِي تَحْرِيمِ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ، فقد قُيِّدَتِ الْكُتُبُ وَالرَّسَائِلُ الَّتِي صَنَّفَهَا ثَابِتُ بْنُ قُرَّةٍ عَنْ أَنْوَاعِ الْقَرَايِنِ الصَّحَابِيَا الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي تُذْبِحُ فِي الْهَيْكَلِ لِلتَّقَرُّبِ إِلَى الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ. لكنَّا نَعْرِفُ أَنَّ الْحَرَنَانِيَّةَ لَا يَقْرَبُونَ فِي ذَبَائِحِهِمْ مِنَ الْكِبَاشِ الْأَبْلَقِ وَالْأَسْوَدِ، وَلَا مُنْكَسِرِ الْعَظْمِ، وَلَا أَعْوَرَ الْعَيْنِ، وَإِذَا ذَبَحُوهُ أَخْرَجُوا الْكَبِدَ، وَنَظَرُوا فِيهَا فَإِنْ أَصَابَهَا خَذَشٌ مِنَ السَّكَنِ يَقُولُونَ أَنَّ صَاحِبَ الْأُضْحِيَّةِ يَنَالُهُ نَكْبَةٌ، ثُمَّ تُسَلَقُ الْكَبِدُ وَتُفَرَّقُ قِطْعًا عَلَى مَنْ يَحْضُرُ الصَّلَاةَ فِي الْهَيْكَلِ<sup>93</sup>.

وقد اختلفت الأقوال في شُرْعِيَّةِ أَكْلِ لَحْمِ الْقُرْبَانِ عِنْدَ الْحَرَنَانِيَّةِ، فإِخْوَانُ الصَّفَا يَقُولُونَ أَنَّ الْحَرَنَانِيَّةَ كَانُوا يَأْكُلُونَ الْقُرْبَانَ أَوْ الْأُضْحِيَّةَ وَسَائِرَ لَحُومِ ذَبَائِحِهِمْ كَيْفَمَا شَاءُوا إِلَّا لَحُومَ دُبُوكِ الدُّنُورِ، فَإِنَّهَا مُحْصَصَةٌ لِلْكَهَنَةِ وَمُتَنَاوَلِ السَّرِّ<sup>94</sup>. أمَّا ابْنُ الْعِزْبِيِّ فيَقُولُ أَنَّ الْحَرَنَانِيَّةَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ تَنَاوُلُ لَحْمِ الْقُرْبَانِ، وَأَنَّهُ قَرَأَ فِي كِتَابِ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةٍ ذِكْرَ فِيهِ مَا يَصْلُحُ مِنَ الْحَيَوَانِ لِتَقْرِيبِ الصَّحَابِيَا ذِكْرَ فِيهِ أَنَّ أَكْثَرَ قَرَايِينِهِمْ مِنَ الْبَقَرِ وَالْمَاعِزِ وَسَائِرِ ذَوِي الْأَرْبَعِ إِلَّا الْجُرُورَ مِنَ الْإِبِلِ، ثُمَّ قَالَ: «وَقَرَايِينُهُمْ كَثِيرَةٌ، لَا يَأْكُلُونَ مِنْهَا، بَلْ يَحْرِقُونَهَا»<sup>95</sup>. أمَّا ابْنُ الْمُطَهَّرِ الْمُقَدِّسِيِّ فَقَدْ

<sup>91</sup> ابن بطلان البغدادي: تحسُّ رسائل لابن بطلان، 38.

<sup>92</sup> النَّعَالِي: نَيْمَةُ الدَّهْرِ، 2: 234.

<sup>93</sup> الْمُجْرِيطِيُّ: غَايَةُ الْحَكِيمِ، 226.

<sup>94</sup> رسائل إخوان الصفا، 4: 304.

<sup>95</sup> ابن العيزبي: تاريخ مختصر الدول، 153.

وقفَ موقِّفاً وسَطاً بقوله: «أَتَمُّهُمْ يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ وَيَحْرِقُونَ الْعَظْمَ وَشَحْمُ الْكُلَى»<sup>96</sup>. واستناداً لابن العبري - والذي كانت مقولات ثابت بن قرة هي مضدُّه - فإنَّ قضيةَ شرعيةِ أكلِ لحوم القُرَّابين في الهيكل ربِّها كانت أحدَ أوجهِ الخلافِ بين ثابت بن قرة وبين كهنة الهيكل بحرَّان.

## الأوضاع الاقتصادية والمعيشية

عاش الصَّابئة المندائيُّون في أمنٍ في كنفِ الخلافةِ العبَّاسية، فنعمُوا بمعاملةِ أهلِ الذِّمةِ نتيجةَ اقترابِ عقائدهم من النصرانيةِ بشكلٍ ما كما سبق بيانه. وقد اشتغلُوا ببعضِ المهنِ التي أمَلَّتْها طبيعةُ بيئةِ البَطانحِ الجُغرافيَّة، فكان صيدُ السَّمَكِ<sup>97</sup> وصُنْعُ القَوَارِبِ والشِّبَاك، هذا بالإضافة إلى الزَّراعةِ من أهمِّ المهنِ التي اشتهَّوها.

أمَّا الصَّابئةُ الحِرنانيَّةُ فكانَ أيُّ طائفةٍ اجتماعيَّةٍ انقسمُوا إلى عدَّةِ طبقات، فكان عامَّتُهم يعملُون كاطبَّاءٍ بالبِيارستانات أو ككُتَّابٍ بالدَّواوين<sup>98</sup>. ونعرفُ أن دَخَلَ الطَّيِّيبُ الحِرنانيُّ المُبْتَدئُ ببِيارستاناتِ بَغداد كان عشرينَ ديناراً<sup>99</sup>، أما الصَّفوةُ منهم فقد ترتَّبَ على وضعهم كطبقةٍ من النُّخبة - بسببِ العلومِ التي أجادوها وتفتَّحُوا فيها - أن ازدادت ثرواتهم وبالتالي مكَّنتهم الاجتماعيَّة. حقًّا كانت الدَّولة تُصدرُ أملاكَهم بين الحين والآخر لأسبابٍ مُتعدِّدة، ولكنَّهم لا يلبثون أن يُعيدوا تكوينَها مرَّةً أُخرى، وقد تحدَّثَ هلال بن المُحسنِ الصَّابئ في مُقدِّمة كتابه رسومِ دارِ الخِلافةِ عن النِّعمِ التي غمَّرتُه وغمَّرتِ أسلافَه في ظلِّ الخِلافةِ العبَّاسيَّة<sup>100</sup>.

<sup>96</sup> البدء والتاريخ، 4: 23.

<sup>97</sup> رسائل الصَّابئ، نسخة ليدن، ورقات 77 ظ-78 و. وتضمَّت المصادرُ حيال مهنة كان المندائيُّون من أشهر رُوَّادها، وتسمَّيتُ بـهجرة أعدادٍ لا بأسَ منهم إلى الخارج، ألا وهي صناعةُ الفِضةِ والنَّقشِ عليها، وبراعة المندائيِّين في هذه المهنة كانت محطَّ إعجاب الرِّحالةِ الأوروبيِّين، لكن المصادر لا تحدِّثنا عن شيءٍ من ذلك، وإنَّ كان الظنُّ يغلبُ على أنَّ هذه المهنة كانت مُتوارثةً بينهم.

<sup>98</sup> التوحيد: المُقابسات، 52.

<sup>99</sup> ياقوت الحموي: مُعجم الأديباء، 1: 142.

<sup>100</sup> مقدمة هلال بن المُحسنِ الصَّابئ لرسومِ دارِ الخِلافة، 6.

والصَّفوة منهم خَدَمَ الخُلفاء بصنَّاعته كَتَّابَت بن قُرَّة الذي أَمَرَ له الخليفة المُعتضد بإقْطاعات جَليلة دَرَّت عليه ثُرُوات طَائِلَة<sup>101</sup>، وأبو الحَسَن الخِرَازي وثابت بن إبراهيم الخِرَازي الذين أفرَدَ لهما عَضُد الدَّولة رِزْقًا سَنِيًّا وَضَمَّهما إلى أَطْبائِهِ<sup>102</sup>. وأبو إِسحاق الصَّابِغ الذي تَضَاعَفَت ثروته جَرَّاءَ عمله بالدَّواوين وإِمارة المُدن حتَّى قَدَّرَ هو نَفْسُهُ أَمْواله التي صَادَرَتها الدَّولة مِنْهُ بِنِصْفِ مِليونِ دِرْهَمٍ<sup>103</sup>. كما يَتَحَدَّثُ في رِسائِلِهِ عن ضَيْعَةٍ لَهُ كَانَتْ تُعْرَفُ بِقَرْيَةِ الفُرس<sup>104</sup>، وفي رِسالةٍ أُخْرى يَتَحَدَّثُ عن ضَيْعَتَيْنِ لَهُ بِقَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا «يَالُوس» و«وَقَف مُزْنَة»<sup>105</sup>.

وعندما مَاتَ ابنُ عَمِّهِ أَبُو الخَطَّابِ الصَّابِغِ تَرَكَ عَدَّةً ضِياعَ لَوَرِثَتِهِ بِقَرْيَةِ «دِيرِ قُنِّي»، و«دِيرِ العَاقُول»<sup>106</sup>، وفي إِحدى رِسائِلِهِ يَتَحَدَّثُ عن ضَيْعَةٍ لَهُ بِوِاسِطٍ وَلَّى أَمْرَهَا أَحَدُ غِلْمَانِهِ<sup>107</sup>. وَكَذَلِكَ عَندَما مَاتَ هِلَالُ بنِ المُحَسَّنِ الصَّابِغِ قُدِّرَتْ تَرَكَتُهُ بِحِوَالِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ<sup>108</sup>، وَعَندَما مَاتَ وَلَدُهُ غَرْسُ النُّعْمَةِ قُدِّرَتْ تَرَكَتُهُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ<sup>109</sup>.

كما اسْتَشْتَمِرَ الحِرْنَانِيَّةُ أَمْوالَهُمْ في ضِمَانِ القُرَى والبِلدان، وَكَانَ دُخُولُ الصَّابِغَةِ الحِرْنَانِيَّةِ في ضِمَانِ خِراجِ البِلدانِ سَبَبًا في مُنازَعَاتٍ نَشِبَتْ بَيْنَهُمْ حَوْلَ أَحْقِيَّةِ كُلِّ مِنْهُمْ في ضِمَانِ بَعْضِ البِلدانِ<sup>110</sup>.

<sup>101</sup> ابن فَضْلِ اللَّهِ العُمَرِيُّ: مَسالِكُ الأَبْصارِ في مَمالِكِ الأَمْصارِ، مَنشُوراتُ المَجمعِ الثَّقافِيِّ، أَبُو طَبي 2003، 9: 307.

<sup>102</sup> العُمَرِيُّ: المَصْدَرُ نَفْسُهُ، 9: 312.

<sup>103</sup> راجِعِ الفِصْلَ الثَّامِنَ.

<sup>104</sup> رِسائِلُ أَبُو إِسْحاقَ الصَّابِغِ، نَسْخَةُ مَكْتَبَةِ جَامِعَةِ لِيدِن، وَرَقَةٌ 24و.

<sup>105</sup> المَصْدَرُ نَفْسُهُ، وَرَقَةٌ 70ط.

<sup>106</sup> نَفْسُهُ، نُسخَةُ لِيدِن، وَرَقَةٌ 94و.

<sup>107</sup> نَفْسُهُ، نُسخَةُ لِيدِن، وَرَقَةٌ 101و.

<sup>108</sup> ابنُ الجَوْزِيِّ: المُتَنَطِّمُ، 15: 269.

<sup>109</sup> الصَّفْدِيُّ: الوَافِي بِالوَفِياتِ، 5: 111.

<sup>110</sup> انْظُرِ الفِصْلَ العَاشِرَ.

وعلى صعيد وضع المرأة الصّابئة في المجتمع فقد نِعمت المرأة بمكانة اجتماعية مُتَمَازة في مُجتمع الصّابئة، لا سيّما المندائيين، فيحسب العقيدة المندائية لم يتزوَّج أبناء آدم من أخواتهم، وإنّما أُرسلت البنات إلى عالم آخر هو أرض العهد «مُشُوني كُشَطًا» [المملكة التورانية السّماوية] وجرى بفتيات من أرض العهد إلى أولاد آدم فتزوَّجوا منهن، بعبارة أخرى فإنّ المرأة - وفقًا لعقائد الصّابئة المندائيين - ليست من أصل هذا العالم المادي، بل أتت من عالم الطّهارة، وعلى هذا الأساس فتسميّة الابن باسم أمّه أرقى من تسميته باسم أبيه<sup>111</sup>.

وليس هناك أدلّ على الوضع المُميّز للمرأة من أنّه قد سُمح لها بأن تلي أعظم المناصب الكهنوتية عند المندائيين، فنوع الجنس لم يكن ليقف عائقًا أبدًا أمام تدشين المرأة ككاهنة، وليس هناك على الصعيد النظري أيّ موانع قد تحوّل إلى وُصول الكاهنة إلى أعلى المراتب الكهنوتية عند المندائيين، بل إنّ بعضهنّ بالفعل وصل إلى تلك المرتبة خلال العصر العبّاسي كما جاء في تذييلات النسخ في كتاب حرّان جويثا، ومنهنّ امرأة تُدعى «حونية» أو «حيونة»<sup>112</sup> ويوجد في كتاب الكُتْر رُبّا ذكر لكاهنات مندائيات، والمندائيون أنفسهم الآن يؤكّدون أنّه كان من بين أسلافهم كاهنات من النساء الموقّرات، يُذكرن بأسمائهنّ في دعائهم للأسلاف «أبا هاثان»<sup>113</sup>.

كما نِعمت المرأة عند الحرثانية أيضًا بمكانة مُتَمَازة، فقد سادت قيمُ احترام الرّجال للنساء، وعدم التّحقير من شأنهنّ، وعلى سبيل المثال فإنّ الرّسائل التي خَلَفَهَا أَبُو إِسْحَاق الصّابئ تُظهر بعض مظاهر هذا الاحترام الذي نالته المرأة في مُجتمع الصّابئة الحرثانية، فعند

<sup>111</sup> رشيد الحيّون: الصّابئة في الذّاكرة الإسلامية، مقال مُلحق على كتاب مندائي أو الصّابئة الأقدمون، 125.

<sup>112</sup> سباهي: أصول الصّابئة، 227-228.

<sup>113</sup> دراور: الصّابئة المندائيون، 225.

حديثه عن زوجه ابنه يقول «صَاتَهَا اللَّهُ»<sup>114</sup>، وعندما يذكر حريم داره يقول «حُرِّمْنَا حِفْظُهُنَّ»<sup>115</sup>، وفي حديثه لولده الذي حزن لعدم إِنْجَاب زوجته لطِفْل ذكر قال له عن الإناث وفضلهن: - «وَكُمُ مِنْ أُنْثَى أَصْلَحَهَا اللَّهُ، وَأَصْلَحَ بِهَا، وَجَعَلَ الْخَيْرَ وَالْبِرْكَهَ فِيهَا وَالْكَثْرَةَ وَالنَّجَابَةَ مِنْهَا». ويمكن أن نبيّن قِيَمَ اخْتِرَامِ الصَّابِئَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ لِلْمَرْأَةِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ رِسَائِلِهِ، فَهُوَ يُعَاتِبُ ابْنَ عَمِّهِ أَبَا الْخَطَّابِ الْمُفْضِلَ الصَّابِيَّ وَيَسْتَشْفَعُ لِنَفْسِهِ بِحُقُوقِ الْأُمَّهَاتِ وَالْحَالَاتِ وَالْعَمَّاتِ.

كَمَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مُكْتَمَلَةً الْأَهْلِيَّةِ، مِثْلُهَا مِثْلُ الرِّجَالِ، فَكَانَ لَهَا حَقُّ النَّصْرِفِ فِي الْأُمُورِ وَالْمُتَلَكَّاتِ نِيَابَةً عَنِ الزَّوْجِ، حَتَّى مَعَ وَجُودِ أَبْنَاءَ لَهَا بَلَّغُوا الرِّجَالِ، فَفِي رِسَالَةٍ مِنْ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ إِلَى ابْنِهِ أَبِي سَعِيدٍ سَنَانٍ يَتَنَبَّأُ فِيهَا بِقُرْبِ نَهَايَتِهِ - اعْتِمَادًا عَلَى رَصْدِهِ لَطَالِعِهِ وَتَوَعُّكِ صِحَّتِهِ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ - وَيَطْلُبُ مِنْهُ فِيهَا أَلَّا يُخْبِرَ أَحَدًا بِمَرَضِهِ بِسُوءِ زَوْجَتِهِ أَمْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَنْ يُسَلِّمَهَا كُلَّ مَا يَدُهُ مِنْ حِسَابٍ وَدَرَاهِمٍ. يَقُولُ أَبُو إِسْحَاقَ<sup>116</sup>: -

«وَأَوَّلُ مَا سَيَلِّكُ أَنْ تَعْمَلَهُ أَنْ تُسَلِّمَ إِلَى والدَيْكَ - أَبَقَامَا  
الله - كُلِّ مَالِي فِي يَدِكَ مِنْ حِسَابٍ وَدَرَاهِمٍ وَدَنَانِيرٍ وَقَلِيلٍ وَكَثِيرٍ،  
وَتَأْخُذَ خَطَّهَا بِحُصُولِ ذَلِكَ فِي يَدِهَا وَاحِلَهُ مَعَكَ لِتُسَلِّمَهُ إِلَيَّ».

كَمَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْعَبُ دَوْرًا اجْتِمَاعِيًّا نَشِطًا فِي أَوْسَاطِ الطَّائِفَةِ، نَسْتَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ بِمَا ذَكَرَهُ الْقِفْطِيُّ نَقْلًا عَنْ غَرَسِ النُّعْمَةِ بْنِ الصَّابِيِّ:

«وَحَكَى غَرَسُ النُّعْمَةِ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّئِيسِ أَبِي الْحَسَنِ هِلَالُ  
بْنِ الْمُحَسِّنِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ الصَّابِيِّ قَالَ: كَانَ وَالِدِي اعْتَلَّ فِي الْمَحْرَمِ فِي

<sup>114</sup> رسائل الصَّابِيِّ، نُسخة مجلّسي سُوراي إيران، ورقة 20و.

<sup>115</sup> المصدر نفسه، والورقة نفسها.

<sup>116</sup> رسائل أبي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 16 او.

سنة ست وثلاثين وأربعمئة علة صعبة وكان أبو الحسن بن سنان  
جاريًا على عادته في هجرانه، فراسلته وسألته الحضور فوعد  
وأخلف، ومضت إليه نسوة من أهله وأهلنا فبحوا عليه ما  
فعله<sup>117</sup>.

وليس أدل على مكانة المرأة في مجتمع الصابئة مما ورد على لسان أبي سعيد سنان بن  
إبراهيم بن هلال الصابي من عبارات عاطفية مؤثرة وردت في جواب منه على رسالة تغزية في  
وفاة زوجته<sup>118</sup>:-

«ولو شَرَحْتُ لك -أدام الله عزك- ما مسني من هذه  
اللوعة، وبرح بي من هذه اللذعة -خاصة مع مشاهدة من كانت  
الماضية -رضي الله عنها- تحضنهم وترأهم من ولدي -في  
الوخدة بعدها، والوحشة لها، والحنين إليها والחסرة عليها؛  
لا طنبت وأوردت عليك ما المشاركة تقتضيك التألم له، والازتماض  
منه، لكنني أرفهك عن طول الشكوى، وأعرك بجنبي هذه  
البلوى».

## المجالس الاجتماعية

شارك الصابئة -مندائين وحرنايين- في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، فكانوا  
يحضرون مجالس العلم والكلام، فكان أبو إسحاق الصابي وابن عمه أبو الخطاب المفضل أحد  
رواد حلقة السمر التي كانت تُعقد في دار أبي سليمان المنطقي إلى جانب أبي حيان التوحيدي  
وغیره من صفوة العلماء والمفكرين، وكانت تُطرح في تلك الحلقة قضايا فكرية وفلسفية  
ورياضية، وربما خُصصت للهو وسماع الغناء<sup>119</sup>.

<sup>117</sup> القفطي: إختيار العلماء، 260-261.

<sup>118</sup> رسائل أبي إسحاق الصابي، نسخة تيسر بيتي، ورقة 35و.

<sup>119</sup> التوحيدي: المقابسات، 326؛ السجستاني: صوان الحكمة، 342.



كما كان أبناء أبي إسحاق الصَّابِئ - وخاصةً المُحَسِّن - يَحْضُرُونَ مَجْلِسَ أَبِي بَكْرٍ الْخَرَّازِ ت 381هـ / 991م، وقَرَّطَهُم الصَّفْدي كَوْنُهُمْ كَانُوا الْمَصْدَرُ الْوَحِيدَ لِمَرْيَاتِهِ وَمَقَالَاتِهِ<sup>120</sup>. وكان هِلَالُ بْنُ الْمُحَسِّنِ الصَّابِئِ يَحْضُرُ مَجَالِسَ الْعِلْمِ وَخَاصَّةً الَّتِي لَهَا عِلَاقَةٌ بِالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ كَوْنَهُ كَانَ مُغْرَمًا بِهَذِهِ الْفُنُونِ<sup>121</sup>، كما كان يَحْضُرُ مَجَالِسَ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارِسِيِّ، وَعَلِيِّ بْنِ عِيْسَى الرَّمَّانِيِّ<sup>122</sup>. بل وَكَانَتْ لَهُ مَجَالِسُهُ الْعِلْمِيَّةُ الْخَاصَّةُ بِهِ - وَكَانَ يَحْضُرُهَا نَفَرٌ مِنْ أَجْلِ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ، وَعَلَى رَأْسِهِمُ الْحَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ وَالَّذِي حَضَرَ كَثِيرًا مِنْ مَجَالِسِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِئِ، وَكُتِبَ عَنْهُ، وَوَصِفَهُ بِالصَّدُوقِ الثَّقَةِ<sup>123</sup>.

وَلَمْ يَتَوَقَّفِ الْأَمْرُ عَلَى الصَّابِئَةِ الْخَرَنَاطِيَّةِ؛ فَغَرَسَ النَّعْمَةُ بْنُ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسِّنِ الصَّابِئِ يَتَحَدَّثُ عَنْ كَاتِبٍ يُدْعَى أَبَا سَعْدٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ الْمَعْرُوفِ بِأَبْنِ الْمَانْدَاقِيِّ، وَكَانَ يُشَارِكُ فِي حَلَقَاتِ السَّبْرِ الَّتِي يُشَارِكُ بِهَا بَعْضُ الْكُتَّابِ بِالْأَدْيَانِ، وَيَتَبَادَلُونَ الْأَسْتِخَارَ وَالنُّوَادِرَ، وَكَانَ نَدِيمًا لَغَرَسِ النَّعْمَةِ مُحَمَّدَ بْنِ هِلَالِ الصَّابِئِ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى صِلَةٍ وَثِيقَةٍ بِالْحَيَاةِ الثَّقَافِيَّةِ فِي عَصْرِهِ، فَهُوَ يُحَدِّثُ غَرَسَ النَّعْمَةِ تَأْرَةً عَنِ الْجُرْهُمِيِّ الشَّاعِرِ<sup>124</sup>، وَتَأْرَةً يُحَدِّثُهُ عَنِ الشَّرِيفِ الْمُرْتَضَى نَقِيبِ الْعُلُوِّيِّينَ<sup>125</sup>، وَتَأْرَةً يَحْدِثُهُ بِحَدِيثٍ وَقَعَ لَهُ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ ظُرَفَاءِ بَغْدَادَ بَيْنَهُمْ أَحَدُ الْعُلُوِّيِّينَ<sup>126</sup>، وَتَأْرَةً عَنْ بَعْضِ الْعَامِلِينَ بِالْأَدْيَانِ مِنَ الْكُتَّابِ وَالضُّمَنَاءِ<sup>127</sup>.

وَكَانَ الْعُلَمَاءُ الصَّابِئَةُ مُؤَلَّعِينَ بِحَضُورِ الْمُنَاطَرَاتِ وَالْإِفْتِرَاقِ فِيهَا<sup>128</sup>. وَعُرِفَ الْحَلِيفَةُ الْمَأْمُونُ وَلَعَهُ بِعَقْدِ الْمُنَاطَرَاتِ، فَكَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ رَأْسِ الْجَالُوتِ وَجَائِلِيقِ النَّصَارَى وَرَأْسِ

<sup>120</sup> الصَّفْدي: الرَوَاقِي بِالْوَفَايَاتِ، 8: 53.

<sup>121</sup> الْقِفْطِيُّ: إِنْبَاءُ الرُّوَاةِ عَلَى أَنْبَاءِ النُّحَاةِ، الْقَاهِرَةُ 1981، 1: 134.

<sup>122</sup> ابْنُ تَغْرِي بَرْدِي: التَّجْوِمُ الزَّاهِرَةُ، 5: 61.

<sup>123</sup> الْحَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ: تَارِيخُ بَغْدَادَ، 16: 117.

<sup>124</sup> غَرَسُ النَّعْمَةِ بْنُ الصَّابِئِ: الْحَقُوقَاتُ النَّادِرَةُ، 55.

<sup>125</sup> الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، 59.

<sup>126</sup> نَفْسُهُ، 60.

<sup>127</sup> نَفْسُهُ، 65.

<sup>128</sup> التَّوَحِيدِيُّ: أَخْلَاقُ الْوَزِيرِينَ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ بْنِ تَاوَيْتِ الطَّنْجِي، بَيْرُوتَ 1991، 301.

الصَّابِثِينَ فِي عَصْرِهِ وَكَانَ يُدْعَى عِمْرَانُ الصَّابِئِ - وَرُجِّحَ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُنْدَائِيًّا بِسَبَبِ مَا نَعَرَفَهُ عَنْ مَوْقِفِ الْمَأْمُونِ الْمُعَادِي لِصَابِئَةِ حَرَّانَ، وَبِسَبَبِ مَا يَذْكُرُهُ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِئِ مِنْ افْتِقَارِ الْحَرَنَائِيَّةِ بِبَغْدَادَ إِلَى رِجَالِ الدِّينِ<sup>129</sup>. وَقَدْ ذَارَتْ مُنَاطَرَةً طَوِيلَةً فِي الْإِلَهِيَّاتِ بَيْنَ الْإِمَامِ عَلِيِّ الرُّضَا وَبَيْنَ عِمْرَانَ الصَّابِئِ بِحَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ<sup>130</sup>.

كَمَا كَانَتْ هُنَاكَ مَغْنِيَّةٌ صَابِئِيَّةٌ ذَائِعَةُ الصِّيتِ، وَتُدْعَى تَرْفُ الصَّابِئَةِ كَانَتْ ذَاتَ صَوْتٍ نَدِيٍّ وَكَانَ يَطْرَبُ بِهَا النَّاسُ، وَكَانَ يَجْلِسُهَا بِحَيِّ الْكَرْخِ شَرْقِيَّ بَغْدَادَ<sup>131</sup>.

### الموت وشعائر الدفن

اعْتَقَدَ الْمُنْدَائِيُّونَ بِوُجُودِ حَيَاةٍ أُخْرَى بَعْدَ الْمَوْتِ، كَمَا آمَنُوا بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْحَيَاةِ الْأُخْرَى بَعْدَ الْوَفَاةِ، وَأَنَّ الْأَبْرَارَ مِنْهُمْ يَذْهَبُونَ بَعْدَ الْوَفَاةِ إِلَى عَالَمِ النُّورِ، بَيْنَمَا يَذْهَبُ الْمُذْنِبُونَ إِلَى عَالَمِ الظُّلَامِ، وَيَعْتَقِدُ الْمُنْدَائِيُّونَ بِنَهَايَةِ الْعَالَمِ<sup>132</sup> لَكِنَّهُمْ لَا يَعْتَرِفُونَ بِقِيَامِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ عَلَى انْتِفَاضِ الْحَيَاةِ الْأُولَى فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَإِنَّمَا يَعْتَرِفُونَ الْعَالَمَ الْآخَرَ بِأَنَّهُ عَالَمٌ مُوَاوِزٌ، أَيْ أَنَّهُ كَائِنٌ فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا كَمَا هِيَ الْحَالُ بِالنِّسْبَةِ لِعَالَمِنَا الْمَادِّيِّ، فَالرُّوحُ مُحَاسَبٌ بَعْدَ الْمَوْتِ مُبَاشَرَةً، وَلَا وَجُودَ لِلتَّبَرُّخِ وَلَا لِلْقِيَامَةِ فِي الْمُنْدَائِيَّةِ، فَالْمُنْدَائِيُّونَ يُؤْمِنُونَ بِنَهَايَةِ الْعَالَمِ وَلَكِنْ لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ قِيَامَ الدَّيْنُونَةِ لِأَنَّهَا قَائِمَةٌ الْآنَ بِالْفِعْلِ، لِذَا فَفِي اعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الرُّوحَ خَالِدَةً بَيْنَمَا الْجَسَدُ قَانَ<sup>133</sup>.

وَوَفَقًا لِلْعَقَائِدِ الْمُنْدَائِيَّةِ فَقَدْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبِ أَنْ يُجَهَّزَ الْمُخْتَضِرُ قَبْلَ الْمَوْتِ بِفَتْرَةٍ، حَيْثُ

<sup>129</sup> تفصيلًا انظر الفصل العاشر.

<sup>130</sup> عَنْ مُنَاطَرَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ الرُّضَا وَعِمْرَانَ الصَّابِئِ أَنْظِرْ تَفْصِيلًا: - الْمَجْلِسِيُّ: بِحَارِ الْأَنْوَارِ، بَيْرُوتَ 1983، 311: 10 وما بعدها؛ ابْنُ شُعْبَةَ الْحَرَّانِي: تَحْفُفُ الْعُقُولِ، تَحْقِيقٌ عَلَى أَكْبَرِ الْغَفَّارِيِّ، طَهْرَانَ 1363 هـ، 2: 424.

<sup>131</sup> التَّوْحِيدِي: الْإِمْتَاعُ وَالْمُؤَانَسَةُ، تَحْقِيقُ أَحْمَدَ أَمِينٍ؛ أَحْمَدُ الزَّيْنِ، بَيْرُوتَ د.ت، 2: 170؛ الْأَزْهَرِيُّ: حِكَايَةُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغْدَادِيِّ، تَحْقِيقُ آدَمَ مَيْتَزْ، هَيْدِلْبِرْجَ 1902، 81؛ الرِّسَالَةُ الْبَغْدَادِيَّةُ، الْمُنْسُوبَةُ إِلَى أَبِي حَيَّانَ التَّوْحِيدِيِّ، تَحْقِيقُ عَبْدِ الشَّالِجِيِّ، كُولُونِيَا 1997، 253.

<sup>132</sup> دِرَاوَر: الصَّابِئَةُ الْمُنْدَائِيُّونَ، 49.

<sup>133</sup> بَدَوِي: رُومِي: مُقَدِّمَةُ كِتَابِ الصَّابِئَةِ الْمُنْدَائِيُّونَ، 19.

يتم إغداد بضع طقوس، حيث يجب أن يُعمد المُختَصَر، أمّا من يدهمه الموتُ فجأةً بحيث لا يدرك العِمَاد وهو على قيد الحياة، فتؤدّى عنه طقوسٌ دينيّةٌ بديلةٌ للتعميد الأخير لتساعد رُوح المتوفّى إلى بلوغ عالم الأتوار، إذ لا يُعمد إلّا الجسد الذي لا زالت تنبض به الحياة، أمّا الجسد الذي تُفارقه الرُوح فهو نَجَس، يُلفّ ويُدفن على حاله بدون عِمَاد<sup>134</sup>.

لذا فقد كان المُختَصَر يُراقب باستمرار، ويُوضع بجانبه أثناء فيه ماءٌ يُجدّد باستمرار من أقرب نهر جار، فإذا حانت نهايته يتم تعميده وهو ما يزال على قيد الحياة، ويُسجى جثمانه بحيث يكون مواجهًا «لأواثر» [الملك الموكل بنجم القطب الشمالي]، كما يجب ألا يخيم الظلام على الغرفة التي يرقد فيها المُختَصَر، ويجب أن يلبس المُختَصَر رداءه الدّيني الكامل «الرّسّنة»، وأثناء ذلك يقوم الكهنة ببناء «المدلّة»<sup>135</sup>، وهي نعش يُصنع من أغواد القصب، ليُحمّل عليه الجثمان إلى مثواه الأخير، أمّا الكرسيّ أو التّابوت فيُصنع باستعمال أغواد القصب أيضًا، على شكل أحزمة عموديّة، والغرض منه هو ضمان تثبيت الجثمان وعدم سقوطه أثناء تحرك الجنازة<sup>136</sup>. فيما تشغل النساء في تخضير «اللّوفاني» (الوجبة الطّقسية على رُوح المتوفّى)<sup>137</sup>.

ومن العجيب أنّ أبا إسحاق الصّابيّ - وهو الحرثانيّ الأصل - قد دُفن فيما يبدو على الشّعائر المندائيّة، فقد نقل لنا الشّريف الرّضي في قصيدته التي رثا فيها أبا إسحاق الصّابيّ مشهدًا مهمّيًا وفريدًا لجنازته، ويُستتج منه بوضوح أنّ أبا إسحاق الصّابيّ قد دُفن وفقًا للشّعائر الدينيّة المندائيّة التّقليديّة، وربّما على أيدي رجال الدّين المندائيّين أنفسهم، يقول الشّريف الرّضي في مطلع قصيدته:-  
أرأيت من حملوا على الأغواد؟! أرأيت كيف خبا ضياء النّادي؟<sup>138</sup>

<sup>134</sup> الكرّملي: الصّابئة أو المندائيّة، مجلة المشرق، مع 5، 489.

<sup>135</sup> دراور: الصّابئة المندائيّون، 264.

<sup>136</sup> الكرّملي: المرجع نفسه، مع 5، 489.

<sup>137</sup> دراور: المرجع نفسه، 261-263.

<sup>138</sup> الشّريف الرّضي: ديوان الشّريف الرّضي، 155.

إذن فقد كان النعش الذي حمل جثمان أبي إسحاق الصّابئ يُشبه كثيراً «المنذلتا» المنذّية، وبالرغم من ذلك التّطابق في شعائر الدّفن بين المنذّيين والحرّانية فقد كان هناك - على ما يبدو - بعض الفروق الطّفيفة بينهما، منها: إيمان المنذّيين بعدم لطم الخدود أو البكاء على الميت، واعتبار ذلك ممّا يُعمّق الرّوح على بلوغ عالم الأتوار<sup>139</sup>.

أما الحرّانية فعلى العكس، فلا يُوجد في تقاليدهم ما يمنع البكاء واللطم على المتوفّي، فهلال بن المحسّن الصّابئ عندما اعتلّ علّة خطيرة، وظنّ أهل بيته أنّه يُختصر؛ اغترلت النساء الدّار إلى جناح منها، واشتغلن باللّطم والتّوايح عليه، وكان ما زال على قيد الحياة<sup>140</sup>، كما يختلّفون فيما بينهم أيضاً في ظاهرة بناء القبور ونصب الشّواهد عليها، فالمنذّيون لا يرحّبون بأيّ بناء فوق حفرة القبر، ذلك أنّ الجسد - وفقاً لعقيدتهم - فان، ولا فائدة تُرجى منه بعد خروج الرّوح، لذا لا يكرّثون بيناء المقابر أو وضع الشّواهد عليه<sup>141</sup> بينما نقل لنا ياقوت الحموي وصفاً قيماً للمقابر الحرّانية بحرّان على لسان الشّاعر ابن النّبيّة المضريّ<sup>142</sup>:-

«حدّثني ابن النّبيّة الشّاعر المضريّ قال: مرّرتُ مع الملك

الأشرف بن العادل بن أيّوب في يوم شديد الحرّ بظاهر حرّان على

<sup>139</sup> الكرّمي: الصّابئة المنذّية، مرجع سابق، 491.

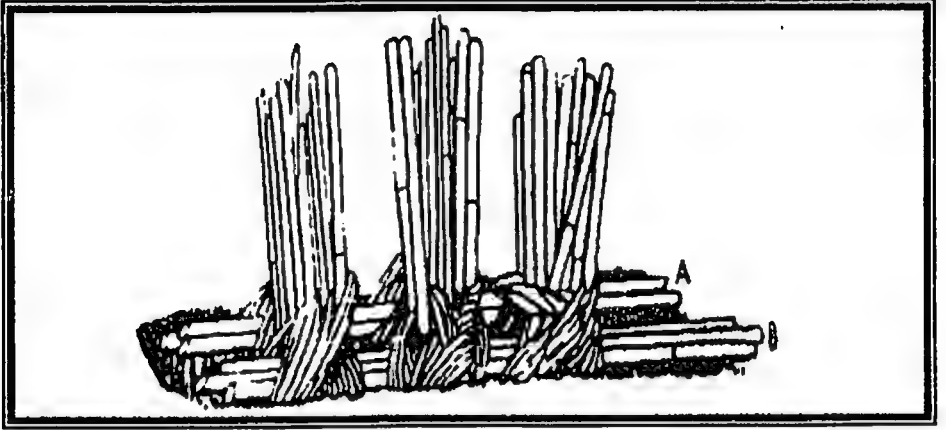
<sup>140</sup> غرس النّعمة بن الصّابئ: كتاب الرّبيع، ضمن كتاب شذرات مفقودة في التّاريخ، جمع وتحقيق إحسان عباس، بيروت 1998، 348. ومع ذلك لا يمكن أن نطمئن تماماً إلى أن عقائد الحرّانية الدينيّة كانت تمنع اللّطم والنّدب والتّعويل على المتوفّي، فالكرّمي يذكر أنّ عقائد المنذّية تمنع هذه المظاهر من الحرّان على المتوفّي منعاً باتاً إلا أن وجودهم بين العرب قد أدخل هذه العادات إليهم على حدّ قوله، الكرّمي: المرجع نفسه، نفس الصّفحة، وعلى ذلك فالقول بأن هذا خلاف بين الفرقتين قد لا يكون دقيقاً تماماً، فقد يكون الحرّانية قد تأثروا بالمسلمين والنّصارى واليهود الذين كانوا يُمارسون هذه العادات.

<sup>141</sup> ومع ذلك لاحظت دراور أنّ بعضاً من المنذّيين - محاكاة منهم للمسلمين والنّصارى - قد أخذوا ببناء حجري فوق القبور (طابوق)، ووضع الشّاهد عليه، ولكنها اقترنت بأن تلك العادة ليست شائعة، وأن المرء يدخل إلى مقابر المنذّيين فلا يرى إلا قبراً حجريّاً أو اثنين على الأكثر في المقبرة كلّها. دراور: الصّابئة المنذّيون، 265.

<sup>142</sup> ياقوت الحموي: مُعجم البلدان، 2: 272.

مقابرها، ولها أهداف طوال على حجارة كأنها الرجال القيام، وقال  
لي الأشرف بأي شيء تشبه هذه؟، فقلت ارتجالاً:

هَوَاءٌ حَرَّانِكُمْ غَلِيظٌ      مُكَدَّرٌ مُفْرَطُ الْحَرَارَةِ  
كأن أجداثها جحيمٌ      وقودها الناس والحجارة



المندلتا [النَّعْشُ المندائي] المصنوعة من أغواد القصب والبوص<sup>143</sup>

<sup>143</sup> المصدر: - دراور: الصَّابِئَةُ المندائيون.



الفصل

العاشر

10

## العلاقات بين الصابئة

### والطوائف الدينية الأخرى

«صَابِئَةُ الْبَطَائِعِ؛ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى  
مَذْهَبِ النَّبِطِ الْقَدِيمِ. يُعَظِّمُونَ النُّجُومَ،  
وَلَهُمْ أُتْلَةٌ وَأَصْنَامٌ. وَهُمْ عَائَةُ الصَّابِئَةِ  
الْعَرُوفِينَ بِالْمَرْتَانِيَّةِ. وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ  
غَيْرُهُمْ جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً».

مُحَمَّدٌ بِهِ إِسْمَاعِيلُ النَّدِيمُ

## علاقة الصابئة المندائيين بصابئة حران

مُنذ أن عبّر النَّدِيم عن حيرته بخصوص العلاقة التي تربط بين صابئة البطائح أو المندائيين بالحرثانية في معرض ذكره لصابئة البطائح من المندائيين<sup>1</sup> وحتى يومنا هذا ليس بمقدور أحد أن يفصل في هذه القضية بشكلٍ باتٍ وحاسم، فتلک القضية تنطوي على تعقيدات وإشكالات جمة، فمن جهة ساهم عدم العثور على أي أدبيات دينية تخص عقائد صابئة حران في دخول آراء الباحثين ونظرياتهم في علاقة المندائيين بالحرثانية باب التكهّنات والافتراضات. كما ساهمت التعقيدات التي خلقتها نظرية خوالسُون ومدرسته حول الصابئة الحقيقيين في زيادة الغموض واللبس والتشويش حول طبيعة تلك العلاقة، هذا بالإضافة إلى التعقيدات الأخرى التي خلقتها رواية إشع القبطي حول انتحال صابئة حران للمسمى في عصر المأمون كما سبق بيانه.

والأمر اللافت للنظر حقاً هو عدم وجود خلافات جوهرية بين معظم الباحثين في القول بأنّه لا دليل على وجود روابط بين المندائيين والحرثانية سواء على المستوى الإنشائي أو الديني العقائدي، فمُنذ أن عبّر خوالسُون عن شكّه في وجود أي علاقة حقيقية بين كلتا الطائفتين<sup>2</sup>، فلا خلاف بين الباحثين تقريباً حول صحّة ما ذهب إليه خوالسُون في هذا الصدد، وإجمالاً فنقّي وجود علاقة حقيقية بين المندائيين والحرثانية هو بمثابة رأي عام بين الباحثين الآن، إلا أنّ واحدة من أبرز دارسي المندائيّات - وهي السيدة دراور - عبّرت عن موقف مُحالف، فقد كانت ترى في صابئة حران طائفة من الصابئة المندائيين المثقفين المتأثرين بالفلسفة اليونانية<sup>3</sup>.

وقد يبدو في اعتقاد دراور الكثير من التساهل والتسطيح، فهو يبدو ضد الحقائق

<sup>1</sup> الفهرست، 2: 411.

<sup>2</sup> CHWOLSOHN: *Die Ssabier und der Ssabismus*, vol. 1, p 182.

<sup>3</sup> دراور: الصابئة المندائيون، 24.



الجغرافية والإثنية معاً. وهي متأثرة حتماً بمقولة النديم التي أورد أن صابئة البطائح هم عامة الصابئة الحرانية، وقيل أنهم غيرهم مجلةً وتفصيلاً<sup>4</sup>. كما أنها متأثرة بالأجواء الأسطورية في ديوان حرّان جويشا، والذي أشار بوضوح إلى وشائح قوية تربط المندائيين بالحرانية، فالأسطورة المندائية أشارت إلى حرّان على أنها المدينة التي هاجر إليها الناصورائي الأوائل القادمين من فلسطين هرباً من اضطهاد اليهود، وطبقاً للأسطورة المندائية فقد وصّف هؤلاء الناصورائي الحرانية بأنهم إخوة لهم في الدين<sup>5</sup>.

ورغم هذه الإشارة الواضحة إلى حرّان فإنه لا بدّ وأن نستوقفنا بعض الملاحظات، أولها: أننا إذا سلّمنا جدلاً بصحة الأسطورة المندائية وأن المندائيين قدّموا بالفعل من فلسطين إلى بلاد ما بين النهرين، وأنهم عرجوا على حرّان في طريقهم إلى جنوب العراق، وأنهم وجدوا الحرانية إخوة لهم في الدين، فهذا لا يعني بالضرورة اعتبار الفرقين طائفةً واحدة، إذ إن الأسطورة بذاتها تتحدّث عن مجرّد تشابه في العقائد فحسب.

وبعيداً عن الأساطير المندائية؛ فالمعطيات التاريخية بحدّ ذاتها لا تُشير إلى وجود علاقة بين كلتا النحلتين، فنحن نعرف كيف تبلورت معتقدات الحرانية، وكيف ظهرت تلك المعتقدات إلى النور، وبالرغم من أننا لا نعرف الكثير عن ظروف نشأة المندائية وتطورها، فمن المستبعد وجود صلات إثنية أو عرقية بين كلتا الطائفتين. مع ذلك يتعيّن علينا أن نبحث عن إجابة للسؤال الملح الذي يفرض نفسه وهو: كيف اتّفق ذكر اسم مدينة حرّان بالذات في ديوان حرّان جويشا؟! ولماذا لم تتكرّر الإشارة إليها في غيره من كتب المندائيين المقدّسة؟.

قد تكون الإجابة كاميّة في الظروف التاريخية التي دوّن هذا الديوان في أثنائها، فأقدم نسخة عُثر عليها من هذا الديوان يرجع تاريخ نسخها إلى عام 1088هـ/ 1677م، أمّا عن تاريخ تدوين الديوان نفسه فقد كان ذلك - وعلى وجه اليقين - بعد عصر الفتوحات

<sup>4</sup> الفهرست، 2: 411.

<sup>5</sup> راجع الفصل الثالث.

الإسلامية، فيُشير كاتب الديوان مرارًا إلى العرب الفاتحين في عدّة مواضع من الديوان، كما يُشير إلى مُعاملة هؤلاء الفاتحين المُتساحجة تجاه قومه<sup>6</sup>، وهناك من الدّارسين - اعتبارًا على قائمة تذييلات النّسخ في خاتمة الديوان - من يعتقد أنّ تاريخ تدوينه متأخّر عن عصر الفتوحات الإسلامية، ويرجعونه مباشرة إلى أواسط العصر العبّاسي<sup>7</sup>، أي بين القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين/ التّاسع والعاشر الميلاديين، وهي ذات الفترة التي شهدت هجرات مُكثّفة للحرّانية من حرّان إلى جوف العراق، إذن فربّما كانت الإشارة إلى حرّان والحرّانية في هذا الديوان رَجْع صدى للعلاقات الطّيبة التي ربّطت بين الطّائفتين آنذاك. بل وربّما فسّر ذلك عدم ورود إشارات أخرى عن حرّان والحرّانية في الكُتب المندائية الأقدم.

كذلك سنجد أنّ طبيعة المُعتقدات الدّينية لدى كلتا الطّائفتين تقفُ بذاتها حائلًا دون افتراض وجود علاقة حقيقة تربط بينهما، فبينما آمن الحرّانية بالكواكب السّبعة وبنوا لها الهياكل وقدموا لها القرايين؛ فإنّ فهم طبيعة تقديس المندائيّين للكواكب والنّجوم يُعدُّ أمرًا غاية في التّعقيد، فالعقيدة المندائية الكلاسيكية تعتبر الكواكب السّبعة رمزًا لقوى الشرّ والظلام، وهي تُلَعَن في أكثر الكُتب المقدّسة بوصفها تجسّدًا لقوى الشرّ في الكون<sup>8</sup>، فطبقًا للأساطير المندائية فالرّوها (ملكة الظلام) صاغت ابنها وأنجبت منه السّبعة الأشرار (الكواكب السّيارة السّبع)، ثمّ عادت وصاغت أختها وأنجبت منه اثنا عشر وخشًا (البروج الفلكية)<sup>9</sup>.

وفي ذات الوقت تُعتبرها بعض الكِتابات المندائية المقدّسة بمثابة منازل للملائكة السّبعة المُوكّلين بحفظ الكون<sup>10</sup>، وقد عثر الآثاريّون على العديد من الشّقف الفخّارية التي دُوّنت

<sup>6</sup> DROWER: op. cit., pp 14-15.

<sup>7</sup> عزيز سباهي: أصول الصّابئة، 133.

<sup>8</sup> Diwan Alma Risala Zuta, in: A pair of Nasorean commentaries: two priestly documents, Trans. &

edited by E. S. DROWER, Lieden 1963, Vol. I, p70.

<sup>9</sup> سباهي: المرجع نفسه، 72 وما بعدها.

<sup>10</sup> نعيم بدوي؛ غضبان رومي: مقدّمة كتاب الصّابئة المندائيّين لليدي دراوار، 21.

عليها أذعية كُتبت بالْمَدَائِيَّةِ القديمة لَتَمْجِيدِ هذه الكواكب وطلبِ العَوْنِ منها، كما عُثِرَ أَيْضًا على شُفَفٍ مُثَمِّلَةٍ صَبَّتِ اللُّعْنَاتُ عَلَى تِلْكَ الكَوَاكِبِ بِوَضْفِهَا رَمَزًا لِقُوَى الشَّرِّ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّهُ يَبْدُو هُنَاكَ تَنَاقُضٌ وَاضِحٌ مِنَ الْعَصِيِّ تَفْسِيرِهِ لَطَبِيعَةِ نَظَرَةِ الْمَدَائِيَّةِينَ لِلْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ، وَقَدْ أَثَارَ ذَلِكَ التَّنَاقُضَ السَّيِّدَةَ دِرَاوِرَ نَفْسِهَا حَتَّى أَتَتْهَا قَالَتْ بِأَنَّ الْمَفَاهِيمَ الْخَاصَّةَ بِتَقْدِيسِ الْكَوَاكِبِ أَوْ لَعْنِهَا فِي الْعَقِيدَةِ الْمَدَائِيَّةِ قَدْ اخْتَلَطَتْ كُلِّيًّا وَلَمْ يَبْدُ مِنْ السَّهْلِ فَهْمُهَا<sup>11</sup>.

فَهَلْ كَانَ مَرْدُ هَذَا التَّنَاقُضِ فِي طَبِيعَةِ نَظَرَةِ الْعَقِيدَةِ الْمَدَائِيَّةِ إِلَى الْكَوَاكِبِ هُوَ وَجُودُ تَأْثِيرِ حَرْنَانِيٍّ قَوِيٍّ فِي الْعَقَائِدِ الْمَدَائِيَّةِ؟. قَرِيبًا تَبَادَلَتِ الْعَقِيدَتَانِ التَّأْثِيرُ وَالتَّأَثَّرُ عَلَى نِطَاقٍ مُحْدُودٍ. لَكِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَمْضِيَ بَعِيدًا فِي هَذِهِ التَّكَهُنَّاتِ فِي ضَوْءِ افْتِقَارِنَا لِأَيِّ أدَلَّةٍ مَادِيَّةٍ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُؤَيِّدَ ذَلِكَ أَوْ تَنْفِيهِ.

أَمْرٌ آخَرٌ يَسْتَعِصِي عَلَيْنَا فَهْمُهُ فِي ضَوْءِ اعْتِبَارِ الْمَدَائِيَّةِينَ وَالْحَرْنَانِيَّةِ فِرْقَةً وَاحِدَةً، وَهُوَ أَنَّ الْحَرْنَانِيَّةَ لَمْ يَكُونُوا يُيَارِسُونَ التَّعْمِيدَ؛ فَلَا الطَّبِيعَةُ الْبَيْثِيَّةُ فِي حَرَّانٍ، وَلَا طَبِيعَةُ عِبَادَاتِ الْحَرْنَانِيَّةِ أَنْعَمَتْ اهْتِمَامًا يُذَكِّرُ لِهَذَا الطَّقُسِ، وَمَعَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُنَا إِهْمَالُ أَنَّ الْكَثْرَةَ الْكَاثِرَةَ مِنْ مَعْلُومَاتِنَا عَنْ الْحَرْنَانِيَّةِ وَصَلَتْ إِلَيْنَا بِغَيْرِ أَقْلَامِ الْحَرْنَانِيَّةِ أَنْفُسِهِمْ؛ إِلَّا أَنَّ افْتِرَاضَ أَنَّ الْحَرْنَانِيَّةَ كَانُوا يُيَارِسُونَ التَّعْمِيدَ، وَأَنَّ هَذَا الطَّقُسَ - الَّذِي كَانَ يُيَارَسُ عَلَى شَوَاطِئِ الْأَنْهَارِ نَهَارًا جَهَارًا - لَمْ

<sup>11</sup> تقول درارو: «إِنَّ الدَّوَاوِينَ الطَّلَسِيَّةَ كُلِّهَا فِي نَفْسِ الرُّوحِيَّةِ وَالْأُسْلُوبِ، وَقَدْ اسْتَنْسَخَتْ وَأَعِيدَ اسْتِنْسَاخُهَا مِنْ قُرُونٍ، وَغَالِبًا دُونَ إِذْرَاكِ؛ لِأَنَّ بَعْضَ الْأَسْمَاءِ وَالْأُرُوحِ الطَّلَسِيَّةِ الَّتِي لَا تَزَالُ تَذَكَّرُ فِيهَا قَدْ اخْتَفَتْ مِنَ الدِّينِ الْأَصْلِيِّ، وَهِيَ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي أَيِّ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِهِمُ الْمُقَدَّسَةِ، وَتُعْتَبَرُ هَذِهِ الْأَخْرَازُ الصَّغِيرَةُ وَاقِيًا ضِدَّ الْأَمْرَاضِ وَسُوءِ الطَّالِعِ وَالْعَيْنِ الشَّرِيرَةِ، وَلَا يُكَلِّفُ اسْتِنْسَاخُهَا مَا يُكَلِّفُهُ اسْتِنْسَاخُ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ، وَهِيَ عَلَى الْأَغْلَبِ عَادَةٌ وَثَنِيَّةٌ، وَيَجِدُ الْإِنْسَانُ فِيهَا - عَرَضًا - كَانِتَاتٍ تُعَامَلُ فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ كَشَيْاطِينٍ، وَلَكِنَهَا تَظْهَرُ فِي الْأَخْرَازِ كَكَانِتَاتٍ نَافِعَةٍ، فَمَثَلًا إِنَّ الْكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ وَعِلَامَاتِ الْبُرُوجِ الْإِنْسَانِيَّةَ عَشْرَ ثُلُغْنَ فِي أَكْثَرِ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ، إِلَّا أَنَّهَا تُعَامَلُ فِي الْأَخْرَازِ مُعَامَلَةَ الصَّادِقِ وَالْحَلِيفِ، وَأَنَا امْتَلِكُ جِرْزًا هُوَ تَعْوِذَةٌ حَبٍّ مَرْفُوعَةٌ إِلَى عِشْتَارِ (الزَّهْرَةِ) تَبْدَأُ هَكَذَا: «بِاسْمِ لَبِيَّاتِ سَيِّدَةِ الْآلِهَةِ وَالنَّاسِ» وَتَظْهَرُ مَعَ ذَلِكَ إِبَارَاتٍ عِدَائِيَّةٍ لِلْكَوَاكِبِ وَعِلَامَاتِ الْبُرُوجِ أحيانًا فِي نَفْسِ الْجِرْزِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ التَّقَالِيدَ الدِّينِيَّةَ الْأَصْلِيَّةَ وَالتَّعَاوِيزَ قَدْ اخْتَلَطَتْ اخْتِلَاطًا كُلِّيًّا». درارو: الصَّابِئَةُ الْمَدَائِيَّةُونَ، 71-72.

يُلفت نظر الكُتّاب الشَّريان ولا المسلمين الذين عرفوهم عن كُتب هُو أمرٌ بعيدٌ عن النُّصُور.

وكما أنَّه يُمكننا تقرير أنَّ الحُرانيَّة لم يَكُونوا يُمارسون التَّعميد، فإنَّه أيضًا لا وجودٌ لدليلٍ حول اعتقاد الحُرانيَّة في النِّبيِّ عيسى عليه السَّلام، فلا تُردَّد المصادِر شيئًا عن علاقةٍ للحُرانيَّة بالنِّبيِّ عيسى، في حين تنبَّه الكُتّاب المسلمون لعلاقة المندائيِّين بذلك النِّبيِّ، بل وأطلقوا عليهم اسم البُوحناسيَّة إلى جانب الأسماء التي عرفوهم بها كالصَّابئة والمُعْتَسِلة وصابئة البَطْايِح، وكانت تلك العلاقة إلى جانب التَّعميد بمثابة جِسرٍ قويٍّ ربط العقائد المندائيَّة بالأديان السَّماوية وعلى الأخصَّ النَّصرانيَّة والإسلام<sup>12</sup>، ومن ثَمَّ كان ذلك أحد الأسباب الجوهريَّة التي حدَّت بالمسلمين إلى مُعاملة المندائيِّين على أنَّهم أهلُ ذمَّة بالمعنى الكامل لذلك المُصطلح في الفقه الإسلامي<sup>13</sup>.

في حين أنَّ غياب تلك الرُّوابط نفسها والتي تُربط بين عقائد الحُرانيَّة والأديان السَّماوية كان من شأنها تعقيد علاقة الحُرانيَّة بالمسلمين، بل والسَّبب في مُعاملتهم على أنَّهم بقايا الوثنيِّين الذين لا يجرُّون مجرَى أهل الذِّمة. ومن منظورٍ تجريديٍّ - وبعيدًا عن مصادِر معلُوماتنا عن عقائد الحُرانيَّة ومدى دقَّتِها - فإنَّ وقوف المسلمين بجلاء على صِلَةٍ مُفترضة للحُرانيَّة بنبيِّ الله عيسى بن زكريَّا عليه السَّلام من المُفترض أن تَضَع الحُرانيَّة في كَفَّةٍ واحدة مع المندائيِّين في المُعاملة الشَّرعية، لكن انفراد المندائيِّين وحدهم بتلك المُعاملة لا يضعُّ لنا هامِشًا - ولو ضئيلاً - في افتراض أن هناك عقائد مُشتركة أو حتَّى مُتشابهة فيها يُحُصُّ التَّعميد والاعتقاد في بُوَّة عيسى عليه السَّلام.

<sup>12</sup> STEPHAN A. HOELLER: *Gnosticism: new light on the ancient tradition of inner knowing*, New York

NESTA H. WEBSTER: *Secret Societies and Subversive Movements*, New York، 2001، p 132. قارن أيضًا:

York 2007، p 89.

<sup>13</sup> أبو بكر الجصاص: *أحكام القرآن*، 3: 318.

أمر آخر من عوامل التَّبَاطُئ التي يُمكن رصدها والتي قد تساعد في ازدياد الشُّك في حقيقة الروابط التي كانت تربط الفريقين ببعضهما، ألا وهو طبيعة المَعْبَد أو الهَيْكَل في كلتا النّحلّتين، فبينما كان المَعْبَد المَندائي «الْمُنْدَى» بيتًا بسيطًا مَبْنِيًّا من الطِّين والقَصَب والبُوص، ويُشترط أن يُبنى قريبًا من النّهر الجاري وبمُوصَفَاتٍ مُعَيَّنة، كان الهَيْكَل الحِرنانيّ مَعْبَدًا حَجَرِيًّا مَهِيًّا مَبْنِيًّا على الطُّرُز الوثنيّة القديمة، وقد أَمَدَّنَا اثنان من العُلَمَاء المُسلمين الثَّقَات بوصفٍ عامٍّ له؛ فالمسعودي زارَهُ وقَدَّم وصفًا له<sup>14</sup>، والرَّحالة ابن جُبَيْر زار المسجد الذي كان فيها مَضَى هَيْكَلًا للحِرنانيّة استنزلهم عَنْهُ عِيَاضُ بن غَنَم وَحوَّله إلى مَسْجِدٍ جَامِعٍ لِلْمُسْلِمِينَ<sup>15</sup>، وهذا التَّبَاطُئ في شَكْلِ المَعْبَد عند كِلَا الفَرِيقين من شَأْنِهِ أَنْ يُلْقِي بِظِلَالٍ من الشُّك حول وَحْدَةِ العَقَائِد بين كِلْتَا الفِرَقَتَيْنِ.

هُنَاكَ أَيْضًا اخْتِلَافَاتٌ بَيْنَ الفِرَقَتَيْنِ تَتِمَثَّلُ في الاختِفَالِ بِالْأَعْيَادِ وَالسَّعَاتِ الدِّينِيَّةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ بَعْضَ التَّأثيرَاتِ الدِّينِيَّةِ الْمُشْرِقِيَّةِ وَعَلَى الأَخْصِ الْمَزْدَكِيَّةِ وَالزَّرَادُشْتِيَّةِ كَالْاِعْتِقَادِ فِي ثُنَائِيَّةِ النُّورِ وَالظُّلَامِ لَا نَلَحَظُ لَهَا أَثَرًا فِي عَقَائِدِ الحِرنانيّةِ، وبِالْمِثْلِ فَإِنَّ أَثَارَ الْفِيثَاغُورَسِيَّةِ

<sup>14</sup> مَرْوَجُ الذَّهَبِ، 1: 467-468.

<sup>15</sup> وَصَفَهُ ابْنُ جُبَيْرِ الَّذِي زَارَهُ إِيَّانَ قِيَامِهِ بِرَحْلَتِهِ أَوَاخِرَ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْمَجْرِي/الثَّانِي عَشَرَ الْمِيلَادِي بِقَوْلِهِ: «وَيَتَّصِلُ بِهَذِهِ الْأَسْوَاقِ جَمَاعِيهَا الْمَكْرَمُ، وَهُوَ عَتِيقٌ مُجَدَّدٌ، قَدْ جَاءَ عَلَى غَايَةِ الْحُسْنِ، وَلَهُ صَخْنٌ كَبِيرٌ فِيهِ ثَلَاثُ قِيَابٍ مُرْتَفَعَةٍ عَلَى سُورٍ رُخَامٍ، وَتَحْتَ كُلِّ قُبَّةٍ بِنَاءٌ عَذْبَةٌ، وَفِي الصَّخْنِ أَيْضًا قُبَّةٌ رَابِعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَدْ قَامَتْ عَلَى عَشْرِ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ، دَوَّرَ كُلُّ سَارِيَةٍ تِسْعَةَ أَشْبَارٍ، وَفِي وَسْطِ الْقُبَّةِ عَمُودٌ مِنَ الرُّخَامِ عَظِيمُ الْجَرَمِ، دَوَّرَهُ تَحْتَهُ عَشْرُ شِبْرٍ، وَهَذِهِ الْقُبَّةُ مِنْ بُنْيَانِ الرُّومِ، وَأَعْلَاهَا مُجَوَّفٌ كَأَنَّهُ الْبُرْجُ الْمَشِيدُ، يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يُخْرُجُ لِعُدَّتِهِمُ الْحَرِيَّةَ، وَاللَّهُ أَغْلَمُ. وَالْجَمَاعُ الْمَكْرَمُ سُقْفٌ بِجَوَائِزِ الْحَشَبِ وَالْحَتَايَا، وَخَشْبُهُ عِظَامٌ طَوَالَ لِسَعَةِ الْبَلَاطِ، وَيَسَعْتُهُ تَحْتَهُ عَشْرُ خُطُورَةٍ، وَهُوَ تَحْتَهُ أَيْلُطَةٌ، وَمَا رَأَيْنَا جَامِعًا أَوْسَعَ حَتَايَا مِنْهُ، وَجِدَارُهُ الْمُتَّصِلُ بِالصَّخْنِ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَدْخَلُ إِلَيْهِ مُفْتَحٌ كُلُّهُ أَبْوَابًا، عِدْدُهَا تِسْعَةٌ عَشَرَ بَابًا، تِسْعَةٌ يَمِينًا وَتِسْعَةٌ شِمَالًا، وَالتَّاسِعُ عَشْرُ مِنْهَا بَابٌ عَظِيمٌ وَسَطُ هَذِهِ الْأَبْوَابِ، يُمَسِّكُ قَوْسَهُ مِنْ أَعْلَى الْجِدَارِ إِلَى أَسْفَلِهِ، بِهِئُ الْمَنْظَرِ، جَمِيلُ الْوَضْعِ، كَأَنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْمَدَنِ الْكِبَارِ، وَهَذِهِ الْأَبْوَابُ كُلُّهَا أَغْلَاقٌ مِنَ الْحَشَبِ الْبَدِيعِ الصَّنُوعَةِ وَالنَّقْشِ، تَنْطَبِقُ عَلَيْهَا عَلَى شَبِّهِ أَبْوَابِ تَجَالِيسِ الْقُصُورِ، فَشَاهِدْنَا مِنْ حُسْنِ بِنَاءِ هَذَا الْجَمَاعِ وَحُسْنِ تَرْتِيبِ أَسْوَاقِهِ الْمُتَّصِلَةِ بِهِ مَرَأًى عَجِيبًا قَلَّمَا يُوجَدُ فِي الْمَدَنِ مِثْلَ انْتِظَامِهِ»، اِغْتِيَارُ النَّاسِكِ بِذِكْرِ الْآثَارِ وَالْمَنَاسِكِ، الْمَعْرُوفُ بِرَحْلَةِ ابْنِ جُبَيْرٍ، بِرُؤُوتِ 1964، 221.

والأفلاطونية المحدثنة والتراث الهللياني بصفة عامة تبدو غير ملحوظة تمامًا في المندائية، هذا إلى جانب اختلاف الشعائر والصلوات التي تتحدث عنها المصادر، والتي تُوحى بأننا بلإزاء نخلتين متباينتين بالمعنى الكامل لذلك التعبير.

حقًا هناك بعض النقاط التي تُجسد تشابهًا في الممارسات الدينية بين الفرقتين، تتمثل في الاختفال ببعض الأعياد التي لها سمات مشتركة بين الطائفتين كالاختفال بعيد تموز، وهناك أيضًا بعض نواحي التشابه في تحليل ألوان معينة من الطعام عند كلتا النخلتين وتخريمها كما رأينا من قبل<sup>16</sup>، لكن هذه التشابهات يُمكن ردّها إلى التراث البابلي المشترك بين كلتا الطائفتين، أو إلى التأثيرات الغنوصية التي تسلّلت إلى كلتا النخلتين في ظروف تاريخية مختلفة.

وربما يكون العامل الحاسم في هذا الصدد هو شكوى أبي إسحاق الصّابي - وهو الحرثاني المتشدد في دينه - من ذلك الفراغ الديني الذي تشكّوه طائفته ببغداد نتيجة غياب رجال الدين، وقد تكون هذه الأسطر القيمة التي دوّنها أبو إسحاق من الأهمية بمكان عند دراسة ارتباط العقائد المندائية بمثلتها الحرثانية، يقول أبو إسحاق في رسالته إلى نير بن حكيم بن يحيى الزعيم الروحي للحرثانية بحرّان<sup>17</sup>:

«... وبالله لو كنّا - معشر أهل هذا الدين قطيعًا من غنم، أو سرّحًا من نعم؛ حتى نخلو من رعاة ترعانا وحفظة تحفظنا!!، ولما جاز أن يجمع الله منا آيين، ولا يصلح لنا ذات بين، فكيف ونحن أمة - وإن قلّ عددها - لا بد أن تُفرض فيها الوصايا، والموارث، والمنازعات، والمداينات، والمناكحات، والمخالطات، والحاجة إلى تربية اليّتامى، وتزويج الأيتام، وإزقاد الضعفاء، ومواساة الغرباء، وإقامة الصلوات، وجباية الصدقات، وعمارة المساجد، وإحياء السنن، ونظرة الرسوم،

<sup>16</sup> راجع الفصل التاسع.

<sup>17</sup> رسائل أبي إسحاق الصّابي، نسخة مجلسي شوراى إيران، ورقة 82 ظ.

وتعييد الأعياد، وتُثبِت الدِّين في قُلُوب أصاغِرٍ ما عرِفُوا فضلُهُ، وأكابرٍ  
قد استتقلُّوا حملُهُ.

يبدو واضحًا في تلك الأسطر - وبشكل جليٍّ - ذلك الفَراغ الروحي الذي تشكُّوه  
طائفة الحرثانيَّة ببغداد نتيجة غياب رجال الدِّين والكهنة، وقد يجدر بنا التَّساؤل؛ إذا كانت  
الفرقتان حقًّا نِخلةً واحدة فلماذا يشكُّو أبو إسحاق الصَّابئ هذا الفَراغ الروحي نتيجة غياب  
رجال الدِّين؟!، في الواقع لن يستقيم فهم حديث أبي إسحاق الصَّابئ في ضوء اعتبار كلتا  
الطَّائفتين فرقةً واحدة، وعلى هذا فإنَّنا أقرب إلى التَّعاطي مع التَّيار الدَّاعي إلى اعتبار كلتا  
النَّحلتين مِلَّتَيْن مُتَّفِصِلَتَيْن.

رغم ذلك فهناك عددًا من الشُّواهد التي يَسْتَعِصِي فهمُها في ضوء اعتبار كُلٍّ من المندائيَّة  
والحرثانيَّة فرقتين دينيَّتين مُستقلَّتين كُلٌّ عن الأُخرى، من هذه الشُّواهد اسم «زهرُون» جدُّ أبي  
إسحاق الصَّابئ، فبالرغم من أنَّ أبا إسحاق الصَّابئ حرثانيُّ الأصل هاجرت عائلته من الرِّقَّة  
إلى بغداد وولَد هو نفسه بُعيد تلك الهجرة، فإنَّ اسم جدِّه «زهرُون» يستوقف النَّظر، فهذا  
الاسم مندائيٌّ صرف، وهو اسم أحد ملائكة النُّور في العقائد المندائيَّة، فطليقًا للأساطير  
المندائيَّة يستقلُّ هذا الإثري (الملاك) بُصْحبة «شامش» (الملك المُوكَّل بحِفْظ الشَّمس) فلك  
الشَّمس كلَّ صَباح وحتَّى غروب الشَّمس<sup>18</sup>، ولا يُمكن تفسير هذا التَّشابه في ضوء افتراض  
وجُود مجال قويٍّ للتَّأثير والتَّأثُّر في بيئة جنوب العراق حيث اختلط المهاجرون الحرثانيَّة  
بالمندائيَّين المُستوطنين بها. وذلك ببساطة لأنَّ زهرُون الجَد كان حرثانيًّا قح عاش ومات  
بحرَّان، قبل هجرة أحفاده إلى قِصبة الخِلافة العبَّاسية بزمانٍ طويل.

من تلك الشُّواهد أيضًا أنَّ هلال بن المُحسن الصَّابئ حفيد أبي إسحاق الصَّابئ - الذي

<sup>18</sup> دراور: الصَّابئة المندائيُّون، 26. ولا يزال الاسم يُستخدم بين المندائيَّين إلى اليوم كأحد الأسماء الشَّائعة

بينهم، نعيم بدوي؛ غضبان رومي: مقدمة كتاب الصَّابئة المندائيُّون لليدي دراور، 16.

أسلم وحسن إسلامه - كما تنصُّ على ذلك المصادر<sup>19</sup> عندما تزوج امرأةً مُسلمة وأنجب منها ولداً ذكراً أسماه مُحَمَّدًا غَرَسَ النُّعْمَةَ، وقد استغرقت الأوساط الإسلامية طبيعة ذلك الاسم، وفسره البعض بأنه كالاسم المصحوب بلقب<sup>20</sup>، تماماً كما استوقف داربي المندائيات، إذ إنَّ غَرَسَ النُّعْمَةَ هذه ربِّها كانت ترجمة عربية دقيقة للقب مندائي صرف وهو: «شَيْتِل طَابَا» وهو لقبٌ يُطلقه المندائيون على شَيْث بن آدم<sup>21</sup>.

ومن العجيب أنَّ أبا إسحاق الصَّابِي - وهو الحرثاني الأصل - قد دُفن على الشَّعَائِر المندائية، فقد نقل لنا الشَّريف الرضي (ت406هـ/1015م) في قصيدته التي رثا فيها أبا إسحاق الصَّابِي مشهداً فريداً لجنازته، يُستنتج من خلاله أنَّ أبا إسحاق الصَّابِي قد دُفن وفقاً للشَّعَائِر الدينية المندائية التقليدية كما رأينا من قبل<sup>22</sup>، بل وربِّها على أيدي رجال الدِّين المندائيين أنفسهم، طالما أنَّه كان دائم الشُّكوى من عدم وجود رجال دين حرثانيَّة ببغداد.

وهناك أيضاً بعض نواحي التَّشَابُه الأخرى بين كلتا الفِرقتين، منها على سبيل المثال ذلك التَّأثير الغنوصي المتفاوت الأثر في كلتا النُّحلتين، والمُتمثِّل بالإيمان بوجود الوسائط بين الباري وخلقِه، وقيام كلتا النُّحلتين على أساس غير تبشيري، وباطنيَّة كلتا النُّحلتين، وتَرْتِيب الكهنوت في كلتاهما، كما أنَّ كلتاهما تُقرَّان بحتميةٍ حِفْظ أسرار الدِّيانة وفق نظام صارم، يُحرَّم فيه على العامة الاطِّلاع على أسرار الدِّين، ولا يُخوِّز رجال الدِّين أنفسهم من المعرفة إلَّا على قدر رُتبهم التي ارتقوا إليها في سلك الكهنوت، ويُختصر فقط الكلام في الدِّين وممارسة الشَّعَائِر الدِّينية على طبقة الكهنة ورجال الدِّين فحسب، وكلتاهما تتشابهان أيضاً في إقرارهما بحظر اطلِّاع الأغيَّار على دَقَائِق الدِّين، ووجوب حِفْظ الكُتُب المقدَّسة بعيداً عنهم.

<sup>19</sup> ابن خُلِّكان: وفيات الأعيان، 6: 101.

<sup>20</sup> ابن ماكولا: إكمال الكمال، القاهرة د.ت، 5: 215. وربما كان ذلك بداية أفعاله التي شكَّت امرأته في أنَّ زوجها ما زال على دينه القديم، بل وأرادت أن تَفْتَرِّق عنه، انظر: ابن الجوزي: المنتظم، 16: 15.

<sup>21</sup> عزيز سيَّاهي: أصول الصَّابِنة، 165-166.

<sup>22</sup> تفصيلاً: راجع الفصل التاسع.



وليس أمامنا بإزاء تلك النقاط التي تبقى مُستعصيةً على الفهم إلا افتراض وجود مجالٍ مشتركٍ من العقائد ونقاط تماس عديدة بين كلتا النُحلتين، ساهمت في أن تنظر كلتاها إلى الأخرى نظرة الأخوة في الدين حسبما جاء في كتاب حرّان جويثا، حتّى وإن بدت هناك بعض الاختلافات الجوهرية بينهما. فالفقرات التي نقلها ابن العبري عن ثابت بن قُرة وحديثه عن الصّابئة المنتشرة في الدنيا<sup>23</sup> كفيّلة بتوضيح أنّ الحرّانية كانوا يقرّون بوجود فريقٍ أخرى تُشاركهم المعتقدات ذاتها مُنتشرة في أنحاء المعمورة، وأنّ الحرّانية - من وجهة نظره - كانوا هم الوارثون والمورثون لاعتقادات الصّابئة في الأرض<sup>24</sup>.

وفي المندائية هناك ما قد يُوازي اعتقاد الحرّانية في وجود إخوة لهم يتحلّون ديناً قريباً من دينهم، ففي ديوان حرّان جويثا نفسه عبارة مُلفتة للنظر، ففي معرض حديث النَّاسخ عن النَّاصورائي قال ما نصه: «كانت الأقوام تتجزّأ واللُّغات تتعدّد». ويُردف بقوله: «حتّى لغات النَّاصورائيين قد تضاعفت»<sup>25</sup>، فهل نستنتج من هذا أن المندائيين عاملوا صابئة حرّان كنَّاصورائيين مثلهم، حتّى وإن خالفوهم في الطُّقوس والاعتقادات؟ وهل اعتقد كل من المندائيين والحرّانية أنّ جوهر النُحلتين واحد في نهاية الأمر.

ورغم أنّنا لا نستطيع أن نُحيط بشكلٍ واضح بطبيعة العلاقات الاجتماعية التي ربطت بين المندائيين والحرّانية، وهل قويت إلى مرحلة الزّواج والمصاهرة، أم توقّفت عند حدّ الاستيعانة بالكهنة منهم لإجراء الطُّقوس الدينيّة كحلّ عملي لغياب رجال الدين الحرّانية، مع ذلك فزُود اسم أبي سعيد المندائي كأحد المصادر الرئيسيّة التي استقى منها غُرس النعمة بن هلال الصّابي مادّته في كتابه الهفوات النّادرة توضّح لنا أنّ الحرّانية كانوا يخلطون بالمندائيين ويحضرون مجالسهم العلميّة، وينقلون عنهم<sup>26</sup>.

<sup>23</sup> راجع الفصل الرابع.

<sup>24</sup> ابن العبري: تاريخ الزّمان، 48-49.

<sup>25</sup> 14. DROWER: Haran Gawaita, p 14، ويستنتج سباهي من هذه العبارة أنّ أقواماً أخرى انضمت إليهم من القُرس وغيرهم، أو أن المندائيين تورّعوا على مناطق مُتعدّدة وصاروا يتحدّثون بلهجاتٍ أخرى غير تلك التي دُونت بها مُعتقداتهم، سباهي: أصول الصّابئة، 221.

<sup>26</sup> راجع في ذلك غُرس النعمة بن الصّابي: الهفوات النّادرة، 55-59-60-62-65-73.

لا يُمكنني الجزم بشكل باتٍّ وحاسمٍ في قضية وحدة الطائفتين، مع ذلك فلإنني أقربُ إلى الشكِّ في وجود علاقةٍ إثنيَّة أو دينيَّة ما بينهما، لكن هذا لا يمنعُ من أنَّ كلَّتا الطائفتين نظرًا إلى بعضهما على أنَّهما أتباع ديانةٍ واحدةٍ في جَوهرها، وذلك بغضِّ النظر عن التباين في العقائد والممارسات الدينيَّة. ومع ذلك الموقِف المبدئيِّ فإنني أُعوِّلُ أن تُساعد الاكتشافات الأثريَّة في المستقبل في دفع التَّقضيِّ في تلك القضية إلى الأمام باستتاف التَّنقيب في موقع حرَّان الأثريِّ وما حوله، والعثور على بعض الكتابات الدينيَّة للحرانية والتي يُمكن أن نقف من خلالها بجلاء على طبيعة موقِف الحرانية الديني، كما أُمَلُّ في أن يكتشف الآثاريون موقع مدينة الطَّيب الغامضة، وأن يُستأنف التَّنقيب في نواحي ميسَّان لاكتشاف طبقات دسُميسَّان الأثريَّة. والأمل ليس ببعيد أن يظهر إلى النور - مُجدِّداً - عددٌ من النُّصوص سواء كانت متدايئة أو حرانيَّة من شأنها أن تُطيء اللثام بشكل أكبر عن طبيعة العلاقة بينهما.

### العلاقات الاجتماعية بين أبناء الجالية الحرانية في مجتمع بغداد

من المدهش حقاً أن نعرف أنَّ أوامر العلاقات بين أفراد الطائفة الحرانية على الصَّعيد الاجتماعي لم تكن على ما يُرام، فبخلاف ما عُرف عن الأقليات من شيوع رُوح المودة والترابط بينهم، حفاظاً على الهوية وخوفاً من الدَّوْبان في الآخر؛ فقد كان الأمر بالنسبة للحرانية على النقيض من ذلك، فقد ساد بينهم شعورٌ بالعداوة، ناتجٌ عن الغيرة والتَّحاسد، ولعلَّ هذا ما عبَّر عنه القفطي بقوله<sup>27</sup> «ولهؤلاء الصَّابئة من سُوء الأخلاق، ومُعادة الأهل بعضهم بعضاً ما لا يكون عليه أحدٌ غيرهم، حتَّى لا يُرى منهم اثنان مُتفقين ولا مُتجمعين، بل يسعى بعضهم في بغضٍ ويُقحِّح كل واحدٍ على الآخر بكل ما يجد إليه السَّيل».

ويُشوق القفطي مثلاً يُبرهن به على سيادة تلك الرُّوح العدائيَّة في مُجتمع الحرانية، وهو أنَّ أحد الأطباء الحرانية - ويُدعى أبا الحسن بن سنان - كان أخوه أبو الفضل بن سنان قد مَرِض وأُشرف على الهلاك، وكانت بينهما جفوةٌ قبل مَرَضه، فما كان من أخيه الطَّيب إلَّا أن

<sup>27</sup> إخبار العلماء، 260.

ذهب إليه، وأشرف على علاجه حتى برء من مرضه، فلما ذهب الأخ العليل ليشكر أخاه على إنقاذه لحياته، رفض الطبيب أن يفتح له داره، وقال له: «ارجع إلى دارك فقد عدنا إلى ما كنا عليه من المهاجرة»<sup>28</sup>.

كما يقص علينا عرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن الصابي كيف أن والده هلالاً كان قد مرض في المحرم من سنة 436هـ/ 1044م مرضاً أشرف به على الهلاك، وكيف امتنع أحد بني جلدتهم من الماهرين بالطب عن زيارته لمُشاهدة وقعت بينه وبين هلال، وكان آل هلال يسألونه الحضور فيعدُّ ويخلف، وهلال يزيد في مرضه إلى الحد ذهب معه إذرأكه وبقي كذلك عشرين يوماً حتى زاره الطبيب<sup>29</sup>.

ويؤكد أبو إسحاق الصابي على طبيعة العلاقات الاجتماعية المتردية بين مختلف فئات المهاجرين الحرانية ببغداد، ويُعدّد مظاهر هذا التردّي كسوء الطاعة، وفساد العادة، وتشبث الشمل والجماعة، وأن كل واحد منها يرى أن الأمر لا يتنظّم إلا به وحده، وأن قسطة الأقل منه<sup>30</sup>. والمتأمل فيما تخلف إلينا من سجلات ووثائق القوم ضمن رسائل أبي إسحاق الصابي سيلحظ بالفعل أن الحرانية لم يكونوا يقيمون كبير وزنٍ للراوابط الأسرية وشائج القرى، فأبو إسحاق الصابي يكتب إلى شقيقه أبي الفضل جابر بن هلال يلومه لأنه أرسل له رسالة مملوءة بالغلظة والجفاء بدلاً من أن يُهنئه بمولود رزقه، وفي المقابل يتهم أبو الفضل جابر شقيقه أبا إسحاق الصابي بالجفاء وإطراح حقوقه عليه كونه شقيقه الأكثر، ويُعيره بأن والده هلال بن زهرون مات ساخطاً عليه<sup>31</sup>.

وفي إحدى رسائله يلوم أبو إسحاق الصابي ابن عمه أبا الخطّاب المُفضّل لأنه طوال عهته المتعاقبة لم يسع لمكافئته أو مُعاصدته، ولا جرى منه ما يجري بين ذوي اللُحمة الواحدة

<sup>28</sup> القنطي: نفسه، نفس الصفحة.

<sup>29</sup> المصدر نفسه، 260-261.

<sup>30</sup> رسائل أبي إسحاق الصابي: نسخة مجلّي شُوراي إيران، ورقة 82و.

<sup>31</sup> المصدر نفسه، نسخة مكتبة تيسيريتي، ورقة 60ظ.

على حدِّ قوله<sup>32</sup>، كما كَتَبَ إلى ابْنِهِ أَبِي سَعِيدٍ سِتَانُ يَشْكُو إِلَيْهِ - مَرَّ السَّكْوَى - مِنْ جُورِ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي الْخَطَّابِ الْمُفَضَّلِ عَلَى صَمَانِهِ، وَدَخُولِهِ فِيهِ بِالْحِيلَةِ لِلانْتِيْلَاءِ عَلَى نَيْفٍ وَعَشْرِينَ جَرِيًّا<sup>33</sup> كَانَتْ تَدْخُلُ كُلَّ عَامٍ ضِمْنَ حُدُودِ صَمَانِهِ، وَنَفَهُمْ مِنْ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَنَّ رَئِيسَ الطَّائِفَةِ أَبَا الْحَسَنِ الْحَرَّانِي قَدْ دَخَلَ طَرَفًا فِي تِلْكَ الْخُصُومَةِ مُنْحَازًا إِلَى وَلَدِهِ الْمُفَضَّلِ، وَهُوَ مَا أَغْضَبَ أَبُو إِسْحَاقَ بَشِدَّةً، وَتَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ قَطِيعَةٌ دَامَتْ بَيْنَهُمْ إِلَى الْأَبَدِ<sup>34</sup>، وَأَدَّتْ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ إِلَى عَزُوفِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ عَنْ حَضُورِ جَنَازَةِ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي الْخَطَّابِ<sup>35</sup>، بَلْ وَعَمَّهُ نَفْسَهُ حِينَ مَاتَ عَامَ 365 هـ / 975 م<sup>36</sup>.

وعند وفاة أبي الخطَّابِ الْمُفَضَّلِ الصَّابِيِّ اسْتَحْكَمَتِ التَّزَاعَاتُ الْعَائِلِيَّةُ بَيْنَ آلِ زَهْرُونَ وَأَدَّتْ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الانْتِصَامَاتِ، فَقَدْ ادَّعَى ابْنُ عَمِّهِ أَبُو مَنْصُورِ ابْنَ جَابِرِ بْنِ هِلَالِ الصَّابِيِّ<sup>37</sup> الْحَقَّ فِي ضِيَاعِ أَبِي الْخَطَّابِ بِدِيرِ الْعَاقُولِ، وَقَدْ انْحَازَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ إِلَى وَرَثَةِ ابْنِ عَمِّهِ أَبِي الْخَطَّابِ وَقَدَّمَ صُكُوكًا لَوَالِي دِيرِ الْعَاقُولِ تُثَبِّتُ مِلْكِيَّةَ الصَّيَّاعِ لَوَرَثَةِ أَبِي الْخَطَّابِ، وَسَأَلَ الْوَالِي تَمْكِينَ وَكِبَلَ وَرَثَةَ أَبِي الْخَطَّابِ مِنْ أَمْثَلَاكِهِمْ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ لِأَبِي مَنْصُورٍ حَقٌّ فَلْيَقَاضِ بِهِ<sup>38</sup>. وَلَوْ تَقَصَّيْنَا تَفْصِيلًا طَبِيعَةَ الْعِلَاقَاتِ الْمُتَرَدِّبَةِ وَالْمُشَاحَنَاتِ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْجَالِيَّةِ الْحَرَّانِيَّةِ بِبَغْدَادَ لَطَالَ الْحَدِيثُ، لَكِنْ الْمُحْصَلَةُ أَنَّ الْمُطَالِعَ لِرِسَائِلِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ سَيَقِفُ بَوْضُوحٍ عَلَى كَثْرَةِ تِلْكَ التَّزَاعَاتِ وَالْمُشَاحَنَاتِ الْعَائِلِيَّةِ، وَكَيْفَ تَرَكْتَ أَثَرًا عَمِيقًا عَلَى الْأَوَاصِرِ الْعَائِلِيَّةِ بَيْنَ آلِ زَهْرُونَ

<sup>32</sup> نفسه، نُسخة مكتبة تشيستريتي، ورقة 66 ظ.

<sup>33</sup> الجريب (الجمع: جريان) وحدة قياس مساحة كانت تُستخدم لقياس مساحات الأراضي الزراعية، والجريب يساوي أثُلَّ في أثُل. والأثُل وحدة قياسها ستين ذراعًا مُرَبَّعة، أي أَنَّ الجريب كان يساوي 3600 ذراع. الحواززمي: مفاتيح العلوم، 77.

<sup>34</sup> رسائل الصَّابِيِّ، نُسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 19 و-23 ظ.

<sup>35</sup> المصدر نفسه، نُسخة تشيستريتي، ورقة 30 ظ.

<sup>36</sup> نفسه، نُسخة مكتبة تشيستريتي، ورقة 107 ا.

<sup>37</sup> نفسه، نسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 103 ظ.

<sup>38</sup> نفسه، نسخة مكتبة جامعة ليدن، ورقة 96 و.

الصَّابِئ، وهي العائلة التي اختكرت رئاسة الطائفة منذ وفاة سنان بن ثابت عام 331هـ/ 942م وحتى ذويان الطائفة نهائيًا في مجتمع بغداد المسلم.

على جانب آخر فقد ظلت علاقة الجالية الحرنائية ببغداد وطيدة بأصولها في حرّان، ولعل كثرة المكاتبات بين أبي إسحاق الصّابئ وبين شيوخ الطائفة أو رؤسائهم الدّينيين في حرّان كفيلة بتوضيح مدى الشعور بالاعتراب الذي عاشته الطائفة، فقد كانت صابئة حرّان يتبعون أخبار بني جلدتهم بالعراق، ويرسلون إليهم الرسائل بالتهنئة في الأعياد وبالمواساة في المحن<sup>39</sup>، بل ويطلبون منهم العون إذا ألت بهم ملّة، كما فعل أهل الرّقّة حين استنجدوا بأبي إسحاق الصّابئ ليطلب من الأمير سيف الدولة الحمداني الأمر بإخراج تركّة رجل يدعى قرّة بن هلال الصّابئ من دائرة الموارث الحشرية وتسليمه إلى ورثته<sup>40</sup>.

### العلاقات الاجتماعية بين الصّابئة والملل والطوائف الدينية الأخرى

بالنسبة لعلاقات الصّابئة بالمسلمين فيمكن القول بأن الصّابئة كانوا يتمتعون بمرونة فائقة في نفهم الآخر واستيعاب عقائده، وقد مرّ بنا عند التّعرّض لعقائدهم كيف أنّهم كانوا لا ينكروا النبوات، ويعتقدون أنّ دعوات الأنبياء جميعًا حق، وأنهم دعوا إلى ما فيه خير البشرية<sup>41</sup>، ومن ثمّ كان الحرنائية أبعد ما يكونون عن التعصب الدّيني، فقد كانوا ينظرون إلى الدّياناات الأخرى وعلى الأخصّ الدّياناات السّماوية على أنّها أدیان حقّة، فقط كان كلّ ما في الأمر - من وجهة نظرهم - أنّهم أصحاب الدّين القديم الحق.

ونستطيع أن نرصد ملامح تلك المرونة في مختلف عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعيّة، فقد كانوا يتسمون بأسماء المسلمين ويتكثّون بكُتّاهم، وأبرز مثال على ذلك اسم واحد من أشهر علمائهم وهو أبو عبد الله محمّد بن جابر بن سنان البتّاني، والذي تسمّى باسم النّبي ﷺ، كما كان أبو إسحاق الصّابئ يصوم مع المسلمين شهر رمضان، ويقرأ القرآن ويستشهد بآياته في غير

<sup>39</sup> نفسه، نسخة عاشر إندلي، ورقة 117 أ.

<sup>40</sup> نفسه، نسخة تشيستر بيتي، ورقة 96 ظ.

<sup>41</sup> راجع الفصل الرابع.

موضع من رسائله؛ بل كان أيضًا واسع الاطلاع على الأحاديث والآثار النبوية، وكان ذلك موضع عجب العديد من المؤرخين المسلمين<sup>42</sup>.

بل إنّه عندما كان يكتب لبني جلدته في أيام مباركة لدى المسلمين كان يسأل الله أن يؤتیه من فضل هذا اليوم، فعندما كتب لشقيقه أبي الفضل جابر بن هلال بن إبراهيم الصّابي رسالة وافقت يوم عيد الفطر عند المسلمين، افتتح رسالته بقوله: «كِتَابِي أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِكَ يَوْمَ الْفِطْرِ، نَسَأَلُ اللَّهَ لِأَنْفُسِنَا نَصِييًّا عَمَّا أُنْزِلَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَبَرَكَه، وَأَجْرٍ وَمُؤَبَّةٍ»<sup>43</sup>.

ولم يقتصر الأمر على الإسلام فحسب بل امتدّ ليشمل النصرانية وحتى الزرادشتية، ففي إحدى رسائل أبي إسحاق الصّابي لابن عمّه أبي الخطّاب وصف فيها كلاً من أبي العلاء صاعد بن ثابت النّضرائي وأبي سهل سعيد بن الفضل المجوسيّ بالتدني والصّلاح والتقوى<sup>44</sup>. وبالمجمل نستطيع القول بأنّه كان للصّابئة الحرنائية مقدرة كبيرة على التّعاض مع الآخر واستيعابه، فلم يكونوا يُعطون البعد الدّيني الأولوية عند التّواصل الاجتماعي مع غيرهم من أهل الملل والأديان الأخرى.

بل إننا نجد أنّه على الرّغم مما نعرفه عن العلاقات السيئة بين النّساطرة والحرنائية فمن المدهش أن نجد أن الحرنائية استطاعوا مدّ جسور الودّ بينهم وبين النّساطرة، وخاصّة في زمن رئاسة أبي سعيد سنان بن ثابت للطائفة، فقد شهدت علاقة الصّابئة الحرنائية بالنّساطرة في عهده تحسّناً كبيراً، تشهد بهذا واقعة اختلاف النّساطرة في تعيين جاثليق لهم بعد وفاة الجاثليق إبراهيم سنة 325هـ/936م، حيث اشتدّ التنافس بين مطارنة جنديسابور والبصرة على كرسي الجثقة بقصبة الخلافة، وتفاقم الأمر حتى أقسم جميع المطارنة على الزّهد في كرسي الجثقة، وظلّ نصارى بغداد بدون جاثليق لعدّة أشهر حتى قرّر سنان بن ثابت التّدخل في تلك الأزمة، فوصّف لهم راهباً رآه في أحد الأذيرة القريبة من الموصل، ومن المدهش أيضًا أن المطارنة

<sup>42</sup> ابن كثير: البداية والنهاية، 15: 449؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 4: 169.

<sup>43</sup> رسائل الصّابي، نسخة مكتبة تشيستر بيتي، ورقة 60 ظ.

<sup>44</sup> رسائل الصّابي، نسخة مكتبة جامعة الأزهر، ورقة 75 ظ.

فَوَضُّوا إِلَيْهِ أَمْرَ إِخْصَارِ ذَلِكَ الرَّاهِبِ، فَكَتَبَ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ بِنَفْسِهِ إِلَى نَاصِرِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِي أَمِيرِ الْمَوْصِلِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُرْسِلَ ذَلِكَ الرَّاهِبَ إِلَى بَغْدَادَ. فَأَخْضَرَهُ بَعْدَ أَيَّامٍ يَسِيرَةٍ<sup>45</sup>، وَبِذَلِكَ انْتَهَتْ تِلْكَ الْأُزْمَةُ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ سِنَانِ بْنِ ثَابِتٍ.

وَقَدْ اسْتَمَرَّتْ تِلْكَ الْعَلَاqَاتُ الطَّيِّبَةُ بَيْنَ النَّسَاطِيرَةِ وَالْحَرَنَانِيَّةِ، فِي زَمَنِ رِئَاسَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْحَرَّانِيِّ لِلطَّائِفَةِ، فَعِنْدَمَا سَأَلَ نَصْرُ بْنُ هَارُونَ وَزِيرَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ جَانَلِيْقَ النَّصَّارِيِّ أَنْ يُرْشِّحَ لَهُ طَبِيبًا حَاقِدًا لِيَتِمَّ تَنْصِيهِهِ كَطَبِيبٍ خَاصٍّ لِلْأَمِيرِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ رَشَّحَ لَهُ عَلَى الْفَوْرِ شَيْخَ الْحَرَنَانِيَّةِ بِيغْدَادِ الطَّبِيبَ أَبَا الْحَسَنِ ثَابِتَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَرَّانِيِّ<sup>46</sup>. وَلَعَلَّنَا لَا تَنْسَى فِي هَذَا الْمَقَامِ كَيْفَ رَبَطْتَ أَوَاصِرَ الصَّدَاقَةِ الْوُطَيْدَةِ بَيْنَ ثَابِتِ بْنِ سِنَانٍ وَالْوَزِيرِ عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى<sup>47</sup>، وَبَيْنَ الْوَزِيرِ الْمُهَلَّبِيِّ وَبَيْنَ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ حَتَّى قِيلَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَرَى الدُّنْيَا إِلَّا بِهِ<sup>48</sup>، وَكَذَلِكَ الصَّدَاقَةُ الْوُطَيْدَةُ الَّتِي رَبَطَتْ بَيْنَ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ وَبَيْنَ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ<sup>49</sup>.

حَقًّا وَجِدَ فِي أَوْسَاطِ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَّارِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنْ عَادَى الصَّابَةِ لُجَرَدَ الدِّينِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ مُجْتَمَعٌ يَخْلُو مِنْ سِيَادَةِ بَعْضِ مَظَاهِرِ التَّعَصُّبِ، وَشَيْوَعِ رُوحِ التَّحَاوُدِ خَاصَّةً مَعَ الْمَكَانَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي أَحْرَزَهَا عُلَمَاءُ الصَّابَةِ فِي بِلَاطِ الْخِلَافَةِ، وَلَعَلَّنَا لَا نَغْفُلُ فِي هَذَا الْمَقَامِ تِلْكَ الْاِئْتِقَادَاتِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي نَالَهَا الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ بَعْدَ كِتَابَتِهِ مَرِّيَّةً فِي أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ عَقِبَ

<sup>45</sup> مَارِي بْنُ سُلَيْمَانَ: أَخْبَارُ بَطَارِكَةِ كُرْسِيِّ الْمَشْرِقِ، 94-95؛ فِيهِ: أَحْوَالُ النَّصَّارِيِّ، 211.

<sup>46</sup> الْقَفْطُطِيُّ: إِنْخَبَارُ الْعُلَمَاءِ، 79؛ لُؤَيْسُ شَيْخُو: وَزَرَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ وَكُتَّابُهَا فِي الْإِسْلَامِ، حَقَّقَهُ وَزَادَ عَلَيْهِ وَقَدَّمَ لَهُ الْأَبُ كَمِيلُ حَنِيئِهِمِ الْيُسُوعِيِّ، بِيْرُوتَ 1987، 94.

<sup>47</sup> مِسْكُوتِيه: تَجَارِبُ الْأُمَمِ، 1: 29.

<sup>48</sup> يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ: مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ، 1: 132.

<sup>49</sup> الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ: رِسَالَتُ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ وَالشَّرِيفِ الرَّضِيِّ، 63-112. وَانْظُرْ أَيْضًا: -تَوْفِيقُ الْيُوزْبَكِيِّ: تَارِيخُ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الْعِرَاقِ، الرِّيَاضَ 1983، 428؛ عَمَّادُ مُحَمَّدٍ سَعْدَاوِي الدِّش: أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ وَرِسَالَتُهُ، رِسَالَةُ مَاجِسْتِيرٍ غَيْرِ مَنْشُورَةٍ، كَلِيبَةُ الْأَدَابِ جَامِعَةُ الْقَاهِرَةِ 1955، 131.

وفاته، كونه شريفاً يرثي أحد الصابئة، افتتحها بقوله «أَرَأَيْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ»<sup>50</sup>، فهاجمه بعض الحاضرين بقولهم: «كَلْبُ ابْنِ كَلْبٍ»<sup>51</sup>، وعلّق أخوه الشريف المرتضى وقال له: «نَعَمْ عَلِمْنَا أَنَّهُمْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ كَلْبًا كَافِرًا عَجَلُ بِهِ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ»<sup>52</sup>، فاشتعر الشريف الرضي الحرج، واضطر للدفاع عن نفسه بقوله «إِنَّمَا رَنَيْتُ فَضْلَهُ، لَا دِينَهُ»<sup>53</sup>. وإذا تأملنا تلك الأسطر التي كتبها أبو عليّ الحسّين بن محمّد الأنباريّ لأبي إسحاق الصّابئ وهو يُعرّض فيها بديانة أبي إسحاق بقوله:

«... والله لو نَحَلَيْتَ بالنجوم، وكتبْتُ بعُطارد، وركبت مَنَكِبَ  
الفرس، وطعنتُ بالسَّيْكِ الرامح»<sup>54</sup>، ومدحك زهيرٍ بمدح هرم<sup>55</sup>،  
وأنت - لعمر الله - ابنِ سَنان، ولكن عَدَمْتُ مثْلَ زُهير، ثم سَقَطَ عَنْكَ  
شُكري فضلاً عن أَنْ تَلَحَّكَ اسْتِزَادَتِي؛ لظَنَنْتُ أَنَّ قَلْبَكَ - عمّره الله  
بمَسَرَّتِكَ - لَا يَبْرُءُ مِنْ أَنَّ تِلْكَ الْفَضَائِلَ مُشَوِّبَةٌ مُتَقَصَّة، وتلك النعمة  
مُتَحَوِّنَةٌ مُنْغَصَّة».

ولا ريب أنّ الأنباري قصد الطعن بين السُّطور في ديانة أبي إسحاق الصّابئ بتذكيره بأنّه

<sup>50</sup> الشريف الرضي: ديوان الشريف الرضي، بُمباي 1306 هـ 155.

<sup>51</sup> الصّفيدي: الوافي، 6: 103.

<sup>52</sup> القفطي: إخبار العلماء، 55.

<sup>53</sup> الصّفيدي: الوافي، نفس الجزء والصفحة؛ القلقشندي: صُبح الأعشى، 1: 42.

<sup>54</sup> منكب الفرس والسَّيْكِ الرامح مجموعتان نجميتان في التّصنيفات الكلاسيكيّة للمجموعات النجميّة عند

النّجميين العرب، انظر: - ابن طاروس البغدادي: فرج المهموم، 114.

<sup>55</sup> الإشارة إلى قصائد زهير بن أبي سلمى الشهيرة في مدح هرم بن سنان المزني الملقّب بممدوح زهير وشقيقه

خارجة بن سنان الذي قبل حل الدية في قتل عيسى ودبيان، انظر: - أبو عبيد البكري: فصل المقال في شرح

كتاب الأمثال، تحقيق إحصان عباس، بيروت 1979، 126.



لا يعدُّو كونه أحد الوثنيين من عبَّاد الكواكب والنُّجوم، ومن ثمَّ يدعُّوه ألاَّ يتعلَّى عليه، حتى لو صار القائم بأمر الوزارة فعليًّا دون اسمها، وقد قرأ أبو إسحاق الصَّابي ما بين السُّطور فردَّ عليه بقوله<sup>56</sup>:-

«وَأَمَّا قَوْلُكَ - أَيُّدِكَ اللهُ - أَنَّنِي لَوْ تَحَلَّيْتُ بِالنُّجُومِ، وَكَتَبْتُ  
بُعْطَارِدَ، وَرَكِبْتُ مِنْكَبَ الْفَرَسِ، وَطَعَنْتُ بِالسَّيِّكِ الرَّامِحِ، وَمَدَخَنِي  
زُهَيْرٌ بِمَدْحِ هَرِمٍ؛ لَأَنْتَقِصَنِي سَقُوطُ شُكْرِكَ فَضْلاً عَنْ اطِّرَادِ عَيْتِكَ. فَإِنْ  
سَلِمَ هَذَا الْفَضْلُ مِنَ الْجُمُزِ، وَخُلِصَ مِنَ الطَّعْنِ وَالْغَمَزِ فَقَدْ صَدَّقَ  
قَائِلُهُ - صَدَّقَ اللهُ فَاهُ؛ وَأَطَالَ بَقَاهُ - وَاللهُ مَا تَسْلِمُ لِي فَضِيلَةٌ مَعَ ذِمَّتِكَ،  
وَلَا تَنْصَرِفُ عَنِّي شَائِنَةٌ مَعَ إِعْرَاضِكَ».

<sup>56</sup> رسائل أبي إسحاق الصَّابي، نُسخة مكتبة الجامع الأزهر، ورقة 57و.



## الفصل

### الحادي عشر

11

## دور الصابئة في

## تطور العلوم التجريبية

«وَقَدْ جَبُّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُعْنَى

بِنَفْسِهِ، وَيُكْسِبَهَا جَمَالَ الْأَدَبِ، وَفَضِيلَةَ

الْعِلْمِ مَا اسْتَطَاعَ وَقَدِرَ، وَيَعْرِضَهُ أَيْضًا

بَعْدَ هَذَا عَلَى إِفَادَةٍ غَيْرِهِ مَا اسْتَفَادَهُ مِنْهُ

زَلَك».

إبراهيم به ثابت به قُرَّة الصَّائِي

لا شكَّ أنَّ عقائد الحرنانية المرتبطة بعبادة الكواكب والنجوم قد جعلت لعلم الفلك مكانة متميزة بين العلوم التي عني العلماء الحرنانية بدراستها، فرصدُ الطالع، والتَّحَقُّق من التَّقويم ومواقيت الأعياد جعل صابئة حرَّان شغوفين بمراقبة السَّماء، ورصد حركات الأجرام السَّماوية، وقد ظلت حرَّان معقِل علم الفلك حتَّى هاجر إلى بغداد مجموعة من أبرع العلماء الحرنانية في علم الفلك، فنشِطت الدِّراسات الفلكية ببغداد، وأصبحت مدرسة بغداد تُضاهي مدرسة حرَّان الفلكية؛ لذا فليس من المُستغرب أن يذكر النَّدِيم أنَّ الاسطرلابات الجيدة لم تكن تُصنع إلَّا بحرَّان، ثم تعلَّم النَّاسُ في بغداد صناعتها<sup>1</sup>، إذ لا شكَّ أن النَّدِيم يُشير من طرف خفيٍّ إلى تأثير علماء الفلك من الحرنانية - الذين هاجروا إلى بغداد - في نهضة ذلك العلم بقصبة الخلافة العباسية.

ويُعدُّ ثابت بن قُرةً واحدًا من أمهر علماء الفلك الحرنانية وأشهرهم، فقد اتَّفَق قِسْمًا غير يسير من حياته في مراقبة حركة الشَّمس<sup>2</sup>، وله ملاحظات على التَّقويم الشَّمسي ضَمَّنَهَا كتابه الرَّئيس «رسالتان في سُنَّةِ الشَّمس»<sup>3</sup>، كما أنَّ له رسالةً في صَبْط مطالع الأبراج اعتمد عليها البيروني<sup>4</sup>.

وقد نقل الرَّازي - لحسن الحظ - بعضًا من آراء ثابت بن قُرة الفلكية، منها أنَّه كان يعتقد أنَّ حركة الفلك بوجه عام هي حركة واحدة لم تزل ولا تزال، وأنَّ الحركات التي تراها من كُلِّ جُرم على حدة هي حركات متوهمة<sup>5</sup>. ولعلَّ هذا ما عبَّر عنه ثابت في كتابه «إبطال

<sup>1</sup> الفهرست، 2: 264.

<sup>2</sup> ابن أبي أصيبعة: عيُون الأنباء، 299؛ ابن فضل الله العُمري: مسالك الأبصار، 9: 307.

<sup>3</sup> النَّدِيم: المصدر نفسه، 2: 228.

<sup>4</sup> البيروني: القانون المسعودي، 2: 81.

<sup>5</sup> فنَّد أبو بكر الرَّازي رأي ثابت بن قُرة عبر طرحه لقضية الزَّمن وحركة الكواكب، ورأى أن حركة الفلك لو

الحركة في بروج الفلك»<sup>6</sup>، لازتباط عنوانه بما نقله عنه الرّازي، وربّما كان ذلك هو السبب الكامن وراء إغراض ثابت عن القيام برصد كامل لحركات الفلك في زيّج باسمه.

ومن مؤلفات ثابت في علم الفلك أيضًا كتاب «تسهيل المجسطي»، المعروف بـ«المدخل إلى المجسطي» وهو كتاب كبير في اختصار وتبسيط عمل بطليموس القلودي الكبير في علم النجوم والمسمى بالمجسطي *Al-Magest*<sup>7</sup>، ومات ثابت دون أن يُتمّه، كما أن له رسالة «في حالة الفلك»، وكتاب «تركيب الأفلاك، وخلقها وعددها وعدد حركات الجهات لها، والكواكب فيها، ومبلغ سيرها، والجهات التي تتحرك إليها»، و«كتاب في الهيئة»، وكتاب في «أشكال المجسطي»، وكتاب «رؤية الأهلّة بالجنوب»، وكتاب «رؤية الأهلّة من الجداول»، وكتاب في «إبطاء الحركة في فلك البروج، وسرعتها وتوسطها بحسب الموضع الذي يكون فيه من الفلك الخارج المركز»، وكتاب في «محنة حساب النجوم»، ورسالة «فيما يظهر في القمر من آثار الكسوف وعلاماته»، وكتاب في «علّة كسوف الشمس والقمر»، أنجز أكثر أقسامه ومات دون

=

كانت واجدة لوجب أن يكون الرصد في زمن الرّازي هو عينه في زمن أرسطوطاليس، وهذا محال، ولو افترض صحته فإنه يتوجب أن يكون زمن الرّازي هو زمن أرسطوطاليس، وهذه ملاحظة ثابتة بالفعل، غير أن المثير للانتباه أن الرّازي يذكر أن الكندي كان يعتقد اعتقاد ثابت في أنّ حركة الفلك حركة واحدة لم تنزل ولا تزل، أي في البدء والديمومة، أبو بكر الرّازي: مقالة فيما بعد الطبيعة، ضمن كتاب رسائل فلسفة أبي بكر الرّازي، بيروت 1982، 130-131.

<sup>6</sup> النديم: الفهرست، 2: 228.

<sup>7</sup> المجسطي كتاب لبطليموس الفلكي، وهو في علم الفلك والهيئة، وظلّ حتى نهاية العصور الوسطى أهم مصدر في علم الفلك، والمجسطي كلمة يونانية تعني الفاخر أو العظيم، وكان سهل بن ربان الطبري هو أول من ترجم المجسطي، للعربية، ثم راجع ترجمته وأصلحها الحاج بن يوسف بن مطر المترجم، وأصلح حنين بن إسحاق ترجمة الحاج، ثم أصلح ثابت بن قرة إصلاح حنين بن إسحاق، وقام البتاني بإصلاح إصلاح ثابت بن قرة، عن المجسطي وترجماته وشروحاته انظر: حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، منشورات لجنة إحياء التراث العربي، بيروت د.ت، 1: 142، أوليري: علوم اليونان، 216؛

REGIS MORELON: *The Astronomy of Thabit Ibn Qurra*, in: *Thabit Ibn Qurra: Science and Gerald Grudzen, Shamsur Rahman: Spirituality and Science: Greek, Philosophy*, op. cit. p 601.

*Judeo-Christian and Islamic Perspectives*, Indiana 2007, pp 126-127.

أن يُتَمَّه، وكتاب في «طَبَائِعِ الْكَوَاكِبِ وَتَأْثِيرَاتِهَا»، وكتاب في «إيضاح الوجه الذي ذكر بطليموس أن به استخرج من تقدّمه مسيرات القمر الدّورية»، ورسالة «فيما أغفلهُ ثاؤن في حساب كسوف الشمس والقمر»، ومقالة في «حساب خسوف الشمس والقمر»، و«مُختَصَر في علم النّجوم»، ورسالة جوابيّة له عن «سبب الخلاف بين زيح بطليموس وبين المُتخَن»<sup>8</sup>.

ومن أشهر الفلكيّين الصّابئة والذين نالوا مكانة مُميّزة في تاريخ علم الفلك؛ الفلكيّ الشهير أبو عبد الله مُحَمَّد بن جَابِر بن سِنَان البَتَّانِي، وهو منسوب إلى بَتَّان من أعمال حرّان<sup>9</sup>، هاجر من الرّقّة إلى بغداد، وخدم الخليفة المُكتَفِي بصنّاعته، وأُغْرِمَ به وبعلمه ولده جَعْفَر بن المُكتَفِي، وتُوفِّي في طريق عودته من بغداد إلى الرّقّة على مقربة من قصر الجص عام 317هـ/929م<sup>10</sup>، وقد بلغ من تقدير القُدماء لإسهاماته في علم الفلك أن قيل: «ولا يُعلم أحدٌ من الإسلام بلغ مبلغه في تصحيح أَرْصاد الكواكب وامتحان حركاتها»<sup>11</sup>.

ومن أبرز أعماله كتابه «معرفة مَطَالع البروج فيما بين أَرْباع الفلك»<sup>12</sup>، ورسالة فلكيّة بعنوان «رسالة في تحقيق أقدار<sup>13</sup> الاتّصالات»، وهي في حساب اتّصالات الكواكب السّيّارة واقترابها من بعضها البعض في مَداراتها، أهداها للوزير عليّ بن الفُرات في زمن الخليفة المُقتدر<sup>14</sup>. ومن أعماله أيضًا كتاب «إصلاح إصلاح ثابت بن قُرّة للمَجَسْطِي»<sup>15</sup>، وكتاب المقالات الأربع في القضاء بالنّجوم<sup>16</sup>.

<sup>8</sup> ابن أبي أصيبعة: عيُون الأنباء، 299.

<sup>9</sup> ابن خَلِّكان: وفيات الأعيان 5: 164؛ البيهقي: تاريخ حُكّماء الإسلام، تحقيق مُحمد كُرْد علي، منشورات

جمع اللغة العربيّة، دمشق 1988، 20-29؛ WILLIAM BOYD: *The history of literature*, London 1889،

HENRY SMITH WILLIAMS: *The great astronomers*, London 1930، p 89.؛ vol. III، pp 286-287.

<sup>10</sup> الصّفدي: الوافي بالوفيات، 2: 209؛ الذّهبي: تاريخ الإسلام، 23: 546.

<sup>11</sup> ابن العبري: تاريخ مُختصر الدّول، 158.

<sup>12</sup> النّديم: الفهرست 2: 249؛ الصّفدي: الوافي بالوفيات، 2: 209.

<sup>13</sup> وعند الصّفدي «مقدار» راجع الوافي، 2: 209.

<sup>14</sup> النّديم: المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

<sup>15</sup> بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 214.

<sup>16</sup> بروكلمان: المرجع نفسه، 4: 214.

غير أن عمله الخالد - والذي بدوره خلّد اسمه في تاريخ علم الفلك - هو رصده الفلكي الذي قام به وأثبتته في كتابه «الزيج»<sup>17</sup> المعروف بين العلماء «بالزيج الصائبي»، ويبدو أنه أعاد النظر فيه ونقحه وزاد عليه في إصدار ثانٍ منه، ذلك لأن النديم يتصّن على أنه نُسختان: الثانية أجود من الأولى<sup>18</sup>. ويقال إن تلميذه جعفر بن المكتفي سأله عن ابتداء رصده فأخبره أنه بدأه منذ عام 264هـ/877م<sup>19</sup> واستمرّ يرصد الكواكب وميولها ونحوها بين مداراتها حتى عام 306هـ/918م<sup>20</sup>. ومن الواضح أن البتاني لم يكن راضياً عن نتائج الرصد الذي أمر المأمون علماء بيت الحكمة بإخراجه<sup>21</sup>، فقد تحبّب تماماً للاعتماد عليه أو حتى الإشارة له، بل ألح في مقدّمته إلى أن هذا الزيج قد شاب الخطأ وانعدام الدقة<sup>22</sup>.

وبالجُملة فإن البتاني أحد أشهر علماء الفلك في التاريخ بصفة عامّة، فقد كان زيجه أحد محطّات التطوّر الرئيسيّة للنظرية التي أطلقها كوبرنيكوس عن القطع الناقص فيما بعد، فقد وجد زيج البتاني الطّريق إلى التّرجمات اللاتينيّة إلى جانب مُصنّفات الخوارزمي والفرغاني، وعُرف بين علماء الغرب في العصور الوسطى ومطلع العصر الحديث باسم ALBATEGNIUS<sup>23</sup>،

<sup>17</sup> البيروني: تحديد نهايات الأماكن لتصحيح نهايات المساكن، تحقيق ب. بولجاكوف، منشورات معهد المخطوطات العربيّة، القاهرة 1995، 95؛ الصّفدي: الوافي بالوفيات، 2: 209.

<sup>18</sup> النديم: المصدر نفسه، والجزء والصفحة؛ قارن أيضاً: - الصّفدي: الوافي، 2: 209.

<sup>19</sup> الصّفدي: المصدر نفسه، والجزء والصفحة؛ أيدين صايبي: المراصد الفلكيّة في العالم الإسلامي، ترجمة عبد الله العمر، الكويت 1995، 168-169.

<sup>20</sup> ابن خُلّكان: المصدر نفسه، والجزء والصفحة.

<sup>21</sup> بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلاميّة، ترجمة نبيه أمين فارس، مثير التعليكي، بيروت 1968، 204.

<sup>22</sup> البتاني: الزيج الصائبي، تحقيق كارلو نابليو، نابولي 1899، 7-8.

<sup>23</sup> حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، بيروت 1996، 3: 403؛ إجناتيوس كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربيّة صلاح الدين عثمان هاشم، بيروت 1987، 29؛

HENRY SMITH WILLIAMS; EDWARD HUNTINGTON WILLIAMS: A History of Science, New York, 2008,

Vol. II, p 20; A. I. Sabra: The scientific enterprise, in: the world of Islam, faith, people, culture,

edited by Bernard Lewis, London 1992, p 186.

فقام أفلاطون التيفولي PLATON DE TIVOLI بترجمته إلى اللاتينية قرابة عام 535هـ/ 1140م، ثم تُرجم إلى الإسبانية خلال القرن الخامس عشر، ثم أعاد الفلكي الإيطالي جون رجيومونتانوس G. REGIOMONTANUS ترجمة الرّيج الصّابي إلى اللاتينية عام 1537 بمدينة نورنبرج<sup>24</sup>.

وظهرت أول نشرة عربية من كتاب الرّيج الصّابي للبتاني في أوروبا ببولونيا عام 1645 تحت عنوان: «كتاب البتاني في علم النجوم؛ مع قليل من الحواشي ليوحنا رجيومونتانوس»، ثم النشرة العربية المحققة والأشهر للرّيج الصّابي باعتناء الإيطالي كارلو نالينو بنابولي عام 1899، وظلّت ملاحظات البتاني الفلكية - وخاصة عن حركة جنوح سمّت الشمس، وظاهرة كسوف الشمس - أحد أهم مراجع علماء الفلك في أوروبا حتى بدايات القرن التاسع عشر<sup>25</sup>، وأفاد منها بشكل كبير العالم الفلكي دنثورن DENTORN عام 1749م في دراسته لتسارع القمر خلال قرن كامل من الزّمان<sup>26</sup>. كما اعتمد البرتغاليون نتائجهم في كشوفهم الجغرافية<sup>27</sup>.

ومن أشهر الفلكيين الحرانية الشيخ الرئيس أبو سعيد سنان بن ثابت، وله في هذا العلم رسالة في «قسمة أيام الجمعة على الكواكب السبعة»، كتبها إلى حفيده أبي إسحاق الصّابي<sup>28</sup>، ورسالة في النجوم<sup>29</sup>.

<sup>24</sup> سيجريد هونكه: أثر الحضارة العربية في أوروبا المعروف باسم: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون؛ كمال دسوقي، بيروت 1993، 146.

<sup>25</sup> سيجريد هونكه: المرجع نفسه، 146؛ M. DELAMBRE: *Histoire de l'astronomie au dix-huitième siècle*, Paris 1827, p 353.

<sup>26</sup> كراتشكوفسكي: المرجع نفسه، 116؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 213.

<sup>27</sup> محمد حبش: المسلمون وعلوم الحضارة، دمشق 1992، 60.

<sup>28</sup> القفطي: إخبار العلماء، 133.

<sup>29</sup> ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 304.



ومن الفلكيين الصّابئة والذين لم يُقدّر لنا معرفة شيء عنهم ابن رُوح الصّابئ، فقد ذكره النّديم بين من اشتهر بالكفاية في علم الفلك، لكنّه - ولسوء الحظّ - لم يذكر عنه شيئاً البتّة، وترك في مُسوّدَة كتابه الفهرست بيّاضاً بما يُشير إلى أنّه سوف يعود ليدوّن بعضاً من إسهامات ذلك الفلكي، لكنّه لم يفعل لسبب ما<sup>30</sup>.

ومن الفلكيين الصّابئة النّابيين إبراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة الحرّاني، وكان نابغاً في الفلك والرياضيات، فقد أنتم كتاباً صَحْحاً في علم صناعة آلات رصد النّجوم، وأطلق عليه اسم «كتاب آلات الظلال»، وكان ما زال في السّابعة عشرة من عُمره حين انتهى من الإصدار الأوّل منه، وظلّ يُضيف إليه حتى كره حَجْمه، فقسّمه إلى ثلاثة كُتُبٍ مُنفصلة فرغ منها جميعاً حين بلغ الخامسة والعشرين من عُمره<sup>31</sup>، أفرد القسم الأوّل لصناعة آلات الظلال، والثاني خصّصه لآلات الرّخام، والثالث في الظلّ وما يسأل العوام فيه، وأمر الرّخامة التي لا يطول فيها الظل ولا يَقْصُر<sup>32</sup>.

وترجع قيمة القسم الثاني من هذا الكتاب إلى أنّ إبراهيم بن سنان قد بيّن فيه بالبرهان الرّياضي بعض نواحي القصور في رسم الآلات المُسطّحة في عصره، خاصّة من ناحيتي الاسْتِواء والميل، كما أنّه فصل ببساطة الخطوط التي تقوم مقام دائرة مُعدّل النّهار ودائرة الفلك المائل ومواضع البروج وغيرها من الخطوط التي تُرسم على الرّخامات التي تُستخدم في صناعة آلات الرّصد، والتي كان تشابكها وتعقدها يُسبّب ضيقاً للفلكيين الذين يقومون بالرّصد<sup>33</sup>. وكان في نيّة إبراهيم بن سنان تكميلة ما بدأه جدّه ثابت بن قرة في مُراقبة حركة الشّمس، لكنّ نكبتّه ونكبة قومه في عهد الخليفة الفّاهر بالله حالّت دون ذلك، كما أوضح هو نفسه في مُقدّمة رسالته التي عَنوانها بـ«رسالة في النّجوم»<sup>34</sup>.

<sup>30</sup> النّديم: الفهرست، 2: 257.

<sup>31</sup> القفطي: إخبار العلّاء، 43.

<sup>32</sup> القفطي: المصدر نفسه، نفس الصّفحة.

<sup>33</sup> إبراهيم بن سنان: رسالة إبراهيم بن سنان في وصف المعاني التي اشتخرجها في الهندسة وعلم النّجوم، ضمن مجموع رسائله، 25.

<sup>34</sup> إبراهيم بن سنان: المصدر نفسه، 23.

كان إبراهيم بن سنان يتمتع بعقلية نقدية قوية، فقد رصد عدلة أخطاء في نظرية بطليموس الحكيم في قواعد الرصد في كتابه المجسطي، والتي كان جميع معاصريه يُسلمون بصحتها، بل وصفت مقالة في كيفية الرصد، وذكر أنه برهن على صحة الرصد بطريقة على بسيط كرة فلكية بطريق حسنة جداً على حدّ تغييره<sup>35</sup>. كما كان أجراً من سلفه البتاني في الإشارة دون حرج إلى خطأ علماء بيت الحكمة في أرسادهم، ولخص إبراهيم بن سنان الأسباب - التي برهن عليها رياضياً - التي جعلته لا يثق في رصد علماء بيت الحكمة<sup>36</sup>.

وتمّ اهتم بعلم الفلك من العلماء الحرثانية أبو إسحاق الصّابع، وكان ماهراً في صناعة الاسطرلابات وآلات الرصد، حتى اشتهر بصنع الدقيق جداً منها<sup>37</sup>. واستعان به شرف الدولة البويهى مشاركة مع أبي سهل الكوهي عندما أمر عام 378هـ/988م بتأجراء رصد كامل للكواكب في قبة السماء جرياً على سنة المأمون<sup>38</sup>، ودون بخطه شهادته على صحة الرصد<sup>39</sup>.

## الرياضيات

كان ثابت بن قرة أحد أروع من اشتغل بالهندسة<sup>40</sup>، ولم ينظر ثابت إلى الهندسة كعلم مستقلّ يُدرس لذاته، ولكنه نظر إليه على أنه أحد أهم العلوم المساعدة للنظر في علم النجوم

<sup>35</sup> أحمد سليم سعيدان: ملاحق على رسائل إبراهيم بن سنان بخاتمة مجموع رسائل إبراهيم بن سنان، 321.

<sup>36</sup> إبراهيم بن سنان: المصدر نفسه، 26.

<sup>37</sup> الثعالبي: يتيمة الدهر، 2: 269.

<sup>38</sup> ابن العبري: تاريخ الزمان، 37؛ المؤلف نفسه: تاريخ مختصر الدول، 176؛ القفطي: إخبار العلماء، 54؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، 271؛ سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان [الحقبة من 345-447هـ]، تحقيق جنان الحموندي، بغداد 1990، 235؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، 3: 403.

<sup>39</sup> القفطي: إخبار العلماء، 231.

<sup>40</sup> ابن الجوزي: المنتظم، 12: 418؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، 3: 404.

أي الفلك<sup>41</sup>. ومن أهم أعمال ثابت بن قرة في هذا الصدد رسالة في «استخراج المسائل الهندسية»<sup>42</sup>، وكتاب «الشكل القطع»<sup>43</sup>، وفي هذا الكتاب برهن على مسألتين أفردتهما بطليموس دون برهان، وتعلقان برسم الخط المستقيم على السطح المستوي<sup>44</sup>، وله أيضًا رسالة في تفنيد بعض البراهين الرياضية المنسوبة إلى سُقراط، عنوانها «الحجة المنسوبة إلى سُقراط»<sup>45</sup>، ورسالة في البرهان على أن الخطين المستقيمين المرسومين على سطح مستوي إذا ضُبطا على أقل من زاوية أقل من 180° كانا غير متوازيين، وتقابلًا معًا في نهاية الأمر، أطلق عليها اسم «رسالة في السطرين المستقيمين إذا ضُبطا على أقل من زاويتين مستقيمتين التحا معًا»<sup>46</sup>.

ومن مؤلفات ثابت في الهندسة أيضًا: كتاب في «عمل الكرة»، وكتاب في «قطع الأسطوانة»، وكتاب في «أعمال ومسائل إذا وقع خط مستقيم على خطين»، وكتاب في «المثلث القائم الزاوية»، وكتاب في «أشكال إقليدس»، وكتاب في «استخراج المسائل الهندسية»، ومقالة في «عمل شكل محمس ذي أربع عشرة قاعدة، محيط به كرة معلومة»، بالإضافة إلى كتابه «المدخل إلى كتاب إقليدس» الذي وُصف بأنه في غاية الجودة، وكتاب في «المربع وقطره»، وكتاب في «مساحة الأشكال المسطحة، وسائر البسط والأشكال»، وكتاب «القرسطون [الميزان]»، و«كتاب في أن سبيل الأثقال التي تعلق على عمود واحد منفصلة؛ هي سبيلها إذا جعلت ثقلاً واحداً مشبوتاً في جميع العمود على تساوي»، وكتاب في «آلات الساعات التي تُسمى

<sup>41</sup> ثابت بن قرة: رسالة ثابت بن قرة في الشكل القطع، تدقيق ريتشارد لوريش، منشورات معهد تاريخ العلوم الإسلامية، فرانكفورت 2001، 42.

<sup>42</sup> النديم: الفهرست، 2: 228.

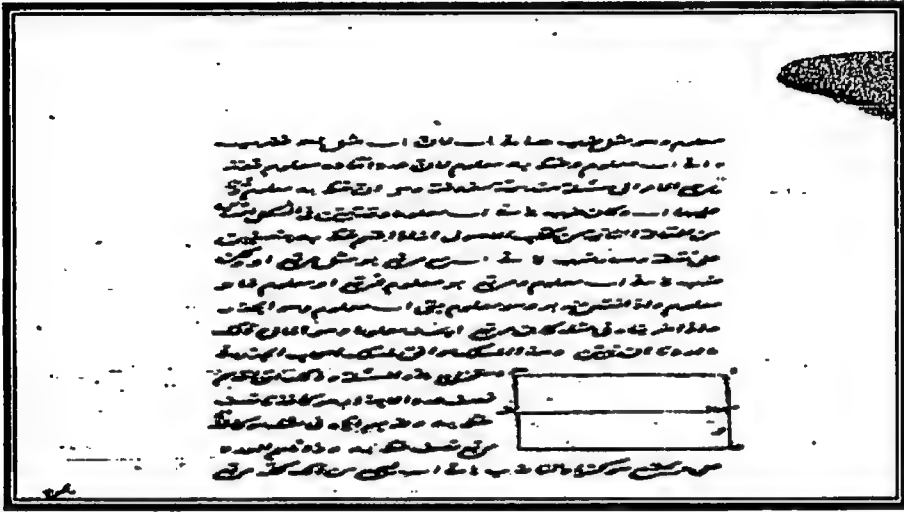
<sup>43</sup> ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 229، والشكل القطع هو قطعة من دائرة رأسها إماماً على مركزها وإماماً على محيطها، الخوارزمي: مفاتيح العلوم، 187.

<sup>44</sup> ثابت بن قرة: رسالة ثابت بن قرة في الشكل القطع، 60.

<sup>45</sup> النديم: المصدر نفسه، 2: 228.

<sup>46</sup> ابن العبري: تاريخ الزمان، 48.

رُخَامَات»، و«كتاب في صفة استواء الوزن واختلافه وشرائط ذلك»، وكتاب عنوانه «أشكال في الجبل»، وكتاب في «قطع المخروط المكافئ»، وكتاب في «مساحة الأجسام المكافئة»، وكتاب في «أشكال الخطوط التي يمرُّ عليها ظل المقياس»، ومقالة في الهندسة ألَّفها لإسماعيل بن بلبل حاجب المعتضد، وكتاب في «مساحة قطع الخطوط»، ومقالة في «تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية»، ومختصر في علم الهندسة، و«رسالة جوابية عن مسائل هندسية سألها عنها المعتضد بالله»<sup>47</sup>.



ظهر الورقة الثالثة من مخطوط: «رسالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية» لثابت بن قرة نسخة مكتبة أيا صوفيا

ومن مؤلفاته في الرياضيات: «جوامع كتاب نيقوماخس»<sup>48</sup> في الأرتماطيقى [علم خواص الأعداد]، وكتاب في «النسبة المولفة»، ورسالة أطلق عليها اسم «رسالة في الأعداد»<sup>49</sup>، ومن أعظم إسهامات ثابت بن قرة إدخاله نظرية الأعداد الوفاقية وإثباتها لأول مرة إلى الرياضيات

<sup>47</sup> ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، 230.

<sup>48</sup> نيقوماخوس NICOMACHUS DI GERASA فيلسوف إغريقي فيثاغورثي المذهب، كان حيًّا نحو سنة 100م،

راجع الفهرست للنديم، 2: 220.

<sup>49</sup> النديم: الفهرست، 2: 228.

العربية، عبر كتابه «رسالة في العدد الوفق»، وكتاب في «الأعداد المتحابّة [المتوافقة]»، وهي مجموعة من القيم الافتراضية، يتم التوصل إليها كمياً عبر معادلات معقّدة إذا عُرِفَت قيمة معلومة لتُغيّر واحد منها أو أكثر، وهي في الأصل نظرية رياضية صينية، ولا يُعرف بالضبط أين أُطْلِعَ عليها ثابت بن قُرة وكيف<sup>50</sup>. ومن أشهر تلاميذه ثابت عن أخذوا عنه في الرياضيات والهندسة أبو الحسين بن كُرتيب، وأبو العلاء ابنه<sup>51</sup>، وأبو مُحَمَّد الحسن بن وهب<sup>52</sup>.

وللبتاني - أيضاً - آثارٌ كبيرة في تقدّم الرياضيات والهندسة في الحضارة الإسلامية، فنحنُ ندين له بالكثير في مجال تقدّم الرياضيات خاصة في حساب التفاضل والتكامل، فقد اعتمد العالم الإيطالي رجيومونتانوس في القرن السادس عشر على نظريات البتاني فيما يتعلق بحساب المثلثات، ويعتقد كثير الرياضيين الآن أن البتاني ودراساته هي أساس معرفة الغرب بحساب المثلثات<sup>53</sup>.

كما اشتهر أيضاً سنان بن ثابت بن قُرة بالبراعة في الهندسة<sup>54</sup>، ومن تصانيفه فيها «رسالة في الاستواء»، كما أضحَ ترجمة كتاب أفلاطون في الأصول الهندسية، وزاد عليه وشرحه، وينسب إليه القفطي مقالة أنقذها إلى عضد الدولة في «الأشكال ذوات الخطوط المستقيمة متى تقع الدائرة عليها»، كما ينسب إليه إصلاحه لعبارة أبي سهل الكوهي في جميع كتبه إذ كان أبو سهل سألَه ذلك، وخاصة إصلاحه وتهذيبه لما نقله من كتاب يوسف القس من السريانية إلى العربية من كتاب أرسيميدس في المثلثات<sup>55</sup>، والصواب أن جميع هذه الأعمال إنَّما هي لأبي إسحاق الصابي، إذ إنَّ سناناً لم يُذكر عضد الدولة، ولم يُعاصر أباً سهل الكوهي.

<sup>50</sup> أوليري: علوم اليونان، 238.

<sup>51</sup> النديم: الفهرست، 2: 230.

<sup>52</sup> النديم: المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

<sup>53</sup> بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 213.

<sup>54</sup> ابن العبري: تاريخ مُختصر الدول، 162.

<sup>55</sup> القفطي: إخبار العلماء، 133.

ومن الرياضيين الصّابئة البارزين أبي إسحاق الصّابئ صاحب ديوان الرّسائل<sup>56</sup>، وكانت له اليد الطولى في علم الرّياضة والهندسة بحسب وصف القفطي<sup>57</sup>، والذي نسب بعضاً من آثاره إلى جدّه لأمه سنان بن ثابت، ويقول القفطي أنّه اطلع على رسالة بخطّه في حساب المثلثات<sup>58</sup>. وله رسائل ومخطّيات لأهل العلم في الرّياضيّات<sup>59</sup>.

وقد سلّمت لنا من عوادي الرّمن عدّة رسائل تبادلها أبو إسحاق الصّابئ مع الرّياضي الفارسي الشهير ويّجن بن رُسْتَم المعروف بأبي سهل الكوهي<sup>60</sup>، وهي تبيّني بمدى تقدّم أبحاث الرّياضيّين في تلك الحقبة، ففي الرّسالة الأولى يسأل فيها أبو إسحاق الصّابئ عن آخر ما توصّل اليه الكوهي من استنتاجات حول حساب مركز ثقل قوس الدّائرة<sup>61</sup>. وفي الرّسالة الرّابعة من هذه المراسلات يتحدّث فيها أبو سهل الكوهي عن حتميّة لقائه بأبي إسحاق لمناقشة نظريّة قطع النّسبة المحدودة، وفي الرّسالة الخامسة من مجموع هذه المراسلات يُعبّر فيها أبو إسحاق الصّابئ للكوهي عن عدم اقتناعه بأنّ نسبة الاسطوانة الدّائرية إلى الاسطوانة المربعة إذا تساوى ارتفاعهما هي نسبة معلومة، علاوة على ذلك فهو يُعبّر عن شكّه في بعض النتائج التي سبق وأن برهنها أرشميدس، وفي الرّسالة السّادسة يُناقش أبو سهل المعاني الكثيرة لمصطلح «معلوم» وفقاً لنظريّة أرشميدس<sup>62</sup>، ويؤكد لأبي إسحاق على صحّة نتائج أرشميدس المتعلّقة بقانون القويّ حول مركز الثقل لنصف دائرة، ويدعّوه إلى إعادة النّظر في شكّه لما سبق وأن أثبتّه أرشميدس من قبل في هذا الصّدّد<sup>63</sup>.

<sup>56</sup> ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، 176.

<sup>57</sup> القفطي: المصدر نفسه، 54.

<sup>58</sup> المصدر نفسه، والصّفحة نفسها.

<sup>59</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>60</sup> من غير المعروف بالضبط سنة وفاة أبي سهل الكوهي، لكنّه كان حيّاً على الأقل عام 381هـ/ 991م، عنه

انظر القفطي: إخبار العلّماء، 230-232.

<sup>61</sup> J. L. BERGGREN: *The correspondence of Abu Sahl Al-Kuhi and Abu Ishaq Al-Sabi*, Journal for The

History of Arabic Science, vol. 7, 1983, pp 40-41.

<sup>62</sup> Ibid.

<sup>63</sup> أبو إسحاق الصّابئ: رسالة أبي إسحاق الصّابئ إلى أبي سهل الكوهي وجوابها، تحقيق ج. ل. برغرن، مجلة

تاريخ العلوم العربيّة، مج 7، دمشق 1983، 103 وما بعدها.

ومن أبرع الرياضيين الصائبة أبو إسحاق إبراهيم بن سنان، وكان عالماً ناهياً بالفعل، قال

عن نفسه:

«وقد كُتبت منذ أتت لي خمس عشرة سنة  
وإلى حيث انتهينا؛ إذا وجدتُ قضية هندسية أو  
استخرجتُ مسألة أثبتها، فلما ميّزت هذه الكتب  
وصنّفتها، بقيت بقايا تلك المسائل لم تدخل في  
الكتب، وكان في بعض ما عملته منها في سنِّ  
الصبا بعض الاضطراب، فلم أحب أن أصيغ  
الزمان الذي كتبها فيه، فجمعتها، وأجمعتها

نحو ثلاثمائة ورقة»<sup>64</sup>

ويقول القفطي عن إبراهيم بن سنان ومكانته بين مهندسي عصره: «هو مُقدِّم في ذلك،  
ولم يرَ أذكى منه»<sup>65</sup>، ومن حسن الحظ أن القفطي ظفر برسالة له يُحصى فيها مؤلفاته في  
الرياضيات والهندسة، فمن مؤلفاته في الهندسة ثلاث عشرة مقالة منها إحدى عشرة مقالة في  
الدوائر المتماثلة، ومقالة أخرى أفردها لبرهان إحدى وأربعين مسألة هندسية من صعاب  
المسائل في الدوائر والخطوط والمثلثات والدوائر المتماثلة<sup>66</sup>. ومن تصانيفه أيضاً مقالة في «طريق  
التحليل والتركيب»<sup>67</sup>، بته فيها على إغفال مهندسي عصره لنظرية أبلونيوس في التحليل  
والتركيب، واقتضارهم على التحليل فقط<sup>68</sup>، وتابع أبحاثه في هذا الصدد، بكتابه «استخراج  
المسائل الهندسية بالتحليل والتركيب»، ومقالة بها ثلاث عشرة مسألة هندسية أسماها بـ«المقالة  
المختارة»، وكتاب في «مساحة القطع المكافئ»، و«رسالة في رسم القطوع الثلاثة».

<sup>64</sup> إبراهيم بن سنان: رسالة إبراهيم بن سنان في وصف المعاني التي استخرجها في الهندسة وعلم النجوم، 30.

<sup>65</sup> القفطي: إخبار العلماء، ص 43؛ أحمد تيمور: أعلام المهندسين في الإسلام، القاهرة 1957، 21.

<sup>66</sup> القفطي: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

<sup>67</sup> إبراهيم بن سنان: المصدر نفسه، 27.

كان الطب من أكثر العلوم التي أولاها العلماء الصَّابئة من الحرانيَّة جُلَّ اهتمامهم، فقد كان لاغْتقاد صابئة حرَّان أنَّهم ورثة حضارة الإغريق القدامى أن عملوا بجِدٍّ على إحياء ميراثهم العلمي، ومن ثم كان الطب على رأس تلك العلوم التي اهتمُّوا بدراسَتِها وبرعوا فيها. ويُعدُّ ثابت بن قُرَّة أحد أشهر الأطباء ليس فقط في العصر العبَّاسي وإنَّما في تاريخ الإسلام قاطبة، يقول ابن فضل الله العمري «لم يكن في زمانه من يُاثره في الطب»<sup>68</sup>، ووصفه ابن الجوزي بأنَّه كان غايةً في علم الطب<sup>69</sup>.

ومن مُصنَّفات ثابت بن قُرَّة في الطب كتاب «رسالة في الحصى المتولِّد في المثانة»<sup>70</sup> وكتاب «وجع المفاصل والنقرس»<sup>71</sup>، و«رسالة في البياض الذي يظهر في البدن»<sup>72</sup>، وكتاب «جوامع ثابت بن قُرَّة في الأدوية المفردة لجالينوس»<sup>73</sup>، ورسالة في «الجُدري والحُصبة»<sup>74</sup>، كما نال كتاب الذَّخيرة في الطب المنسوب إلى ثابت شهرة عريضة كأحد أفضل المراجع التي لا بُدَّ أن يعودَ إليها دارسو الطب في العصور الوسطى<sup>75</sup>.

ومن ضمن مُصنَّفات ثابت الطيِّبة أيضًا كتاب في «النَّبض»، وكتاب «أصناف

<sup>68</sup> ممالك الأبصار، 9: 307؛ صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، 51؛ ابن جُلجل: طبقات الأطباء والحُكماء، تحقيق فؤاد سيِّد، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقيَّة، القاهرة 1955، 75؛ الذَّهبي: تاريخ الإسلام، 21: 137.

<sup>69</sup> ابن الجوزي: المُتَّظَم، 12: 418.

<sup>70</sup> التَّنديم: الفهرست، 2: 228.

<sup>71</sup> التَّنديم: نفسه، والجزء والصفحة.

<sup>72</sup> المصدر نفسه، والجزء والصفحة.

<sup>73</sup> نفسه، والجزء والصفحة.

<sup>74</sup> نفسه، والجزء والصفحة.

<sup>75</sup> نظامي عروضي سَمَرْقندي: جَهَّار مقالة، ترجمه عن الفارسيَّة عبد الوهاب عزَّام؛ يحيى الخشَّاب، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1949، 76؛ البيهقي: تاريخ حُكماء الإسلام، 21.



الأمراض»، ورسالة في «الوقفات التي في السكون الذي بين حركتي الشريان المتضادتين» وهو في مقالتي، ألّفه ثابت باللغة السريانية وردّ على فيه على الكندي في بعض ما ذهب إليه، ونقله إلى العربية تلميذ له يُعرف بعبسي بن أسيد النّصراني. وأصلح ثابت بنفسه الترجمة العربية، ويروى أنه عندما بيّض ثابت هذا الكتاب أنفذه إلى إسحاق بن حنين فلقبي منه استحساناً كبيراً، وكتب في آخره بخطه «يقرّط أبو الحسن ثابت»، ودعا له ومدّحه<sup>76</sup>. ومما دونه ثابت بالسريانية أيضاً كتاب في «تفريح بعض الطيور»، ويُعتقد أنه الطائر المعروف ببالك الحزين، وكتاب في «أجناس ما تنقسم إليه الأدوية»، وهذا الكتاب صنّفه ثابت بالسريانية، ولم يُنقل إلى العربية، وكتاب في «أجناس ما تُوزن به الأدوية»، ولم يترجم إلى العربية أيضاً<sup>77</sup>.

ومن مؤلفات ثابت الطبيّة - أيضاً - كتاب في «مساءلة الطبيب للمريض»، وكتاب في «سوء المزاج المختلف»، ورسالة في «تذير الأمراض الحادة»، ومقالة في الصّفرة العارضة للبدن، وعدد أصنافها وأسبابها وعلاجها، ومقالة في «صفة كون الجنين»، وكتاب في «تذير الصّحة»، ورسالة في «اختيار وقت سقوط النّطفة»، وكتاب «الخاصّة في تشريف صناعة الطبّ، وترتيب أهلها، وتعزيز المنقوصين منهم بالنفوس والأخبار، وأنّ صناعة الطبّ أجلّ الصناعات»، ورسالة في «قوى الأغذية»، وكتاب «البصر والبصيرة في علم العين وعللها ومداواتها»، كما اختصر ثابت وشرح عدداً من أمّهات كتب الطبّ الكلاسيكية، أبرزها: «اختصار كتاب جالينوس»، «اختصار كتاب حيلة البرء لجالينوس»، «شرح كتاب السّماع الطّبيعي لجالينوس»، وقد مات دون أن يُتمّه، واختصار كتاب «جوامع كتاب الأغضاء الآلية لجالينوس»<sup>78</sup>. ومن أشهر تلاميذه ثابت في الطبّ ولده سنان بن ثابت بن قرة، وأبو الحسن الحرّاني<sup>79</sup>، وإبراهيم بن سنان الصّابي<sup>80</sup>، وابن أسيد النّصراني<sup>81</sup>.

<sup>76</sup> ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 298.

<sup>77</sup> المصدر نفسه، 300.

<sup>78</sup> ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، 298-300.

<sup>79</sup> التّديم: الفهرست، 2: 330.

<sup>80</sup> التّديم: المصدر نفسه، الجزء والصفحة.

<sup>81</sup> نفسه، 2: 229.

ومَن برع في الطب أيضًا سنان بن ثابت بن قُرة<sup>82</sup> والذي كان واحدًا من أعظم الأطباء في الإسلام، ففي عصر الخليفة المُقتدر تولى سنان الإشراف على جميع المؤسسات الصحيَّة ورُتب بها المُتطبِّين<sup>83</sup>، فقد قُلِّد الإشراف على جميع بيمارستانات بغداد<sup>84</sup>، ثم تقدَّم المُقتدر بمشور منع فيه جميع الأطباء من مُمارسة المهنة ومُداواة النَّاس إلَّا من أجازة سنان بن ثابت<sup>85</sup>، أي جمع سنان بن ثابت سلطات وزير الصِّحة كما نعرفه في عصرنا الحديث<sup>86</sup>.

أدخل سنان بن ثابت إصلاحات واسعة في مجال الرِّعاية الصحيَّة، فقد عَمِل على إعادة تنظيم البيمارستانات، وضمان دُخُل ثابت لها من خلال الأوقاف التي تُوقَف عليها، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل امتدَّت إصلاحات سنان الصحيَّة إلى الرِّعاية بمن في الجُوس من المساجين<sup>87</sup>، كما باذر بإرسال أوَّل بعثة طبَّية تعرفها في التَّاريخ، كانت وُجهتها إلى السَّود وسائر أنحاء العراق لمداواة الفقراء من الفلاحين والصيَّادين، وإمدادهم بالأدوية والأغذية، وطلب من الوزير علي بن عيسى بأن يُدخِل في اختصاص تلك البعثة علاج أهل الدِّمة أيضًا، فأجابهُ الوزير إلى ذلك، مُبهاً عليه وُضِع الأولويَّة للمناطق التي تنفِث فيها الأمراض<sup>88</sup>.

<sup>82</sup> الصُّولي: أخبار الرَّاضي بالله والمُتقي لله، مُترجمة عما تبقى من كتاب الأوراق للصُّولي، تحقيق ج. هيورث، بيروت 1983، 245؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السِّيامي، 3: 394.

<sup>83</sup> ابن أبي أصيبعة: عيُون الأنباء، 301-302؛ القفطي: إخبار العلماء، 132-133.

<sup>84</sup> ابن الجوزي: المُتظَّم، 13: 168؛ القفطي: إخبار العلماء، 132؛ ابن أبي أصيبعة: عيُون الأنباء، 300-302؛ بَابُو إسحاق: أخوال النَّصارى، 158؛ جُورج مقدَّسي: خُطَطُ بغداد في القرن الخامس الهجري،

ترجمة صالح العلي، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد 1985، 28.

<sup>85</sup> ابن العبري: تاريخ مُختصر الدُّول، 162؛ المُؤلف نفسه: تاريخ الرُّمان، 54؛ القفطي: إخبار العلماء، 130-

VICTOR ROBINSON: *The Story of Medicine*, New York 1943, p 185؛ 131

<sup>86</sup> يعتقد ماكس مايرهُوف بأنَّه من المُحتمل أن يكون سنان بن ثابت قد تَأكَّدتْهُ رئيس الأطباء في عهد المُقتدر، بما يعني إحياء السُّنة اليُونانيَّة القديمة بتقسيم العلماء إلى مراتب، وترقية كبيرهم إلى رئيس طائفة أو كبير المدرسة، مايرهُوف: من الإسكندرية إلى بغداد، 72.

<sup>87</sup> القفطي: إخبار الحُكَّماء، 132؛ سيجريد هُونكه: شمس العرب، 232.

<sup>88</sup> ابن فضل الله العُمري: مسالك الأبصار، ج 9، ص 311؛ HAROLD BOWEN: *The life and time of Ali*

*Ibn Issa*, Cambridge 1828, p 184.

توفي سنان عام 331هـ/942م مريضاً بالذرب (الدُّوسْتَارِيَا)، وكان مثار العجب بين الناس أنه لم يستطع مداواة نفسه من هذه العلة التي كان يشفي منها الكثيرين<sup>89</sup>، وقد ظلت الأمثلة تُضرب بمهارة سنان بن ثابت حتى بعد وفاته بقرُون<sup>90</sup>، ومَن تلمذ على يده أبي الحسن تلميذ سنان (ت 387هـ/997م)، ولا نعرف عنه سوى كنيته ولقبه الذي كان يُلقبه العامة به، وكان طبيبُ بغداد أيام بني بُوَيْه، وعُرف بجودة علاجه ونباهته بين الأطباء<sup>91</sup>، كما تلمذ على يده أبي الحسين بن كُشْكُرَايَا الطَّيِّب<sup>92</sup>.

اشتهر أيضاً شقيقه إبراهيم بن ثابت بن قُرَّة بالمهارة في الطب، وتبلغ من مهارته في الطب إن وُصف بأنه من حذّاق الأطباء، ومن مُتقدّمي أهل زمانه في هذه الصناعة، وله إائعة معروفة مع السري الرفاء الشاعر بعد أن شفي الأخير من مرض عُضال على يديه، فامتدحه بقصيدة قيل إنها أحسن أبيات قيلت في طبيب<sup>93</sup>، كما عُرف أبو الحسن ثابت بن سنان بن قُرَّة بالحدق في الطب، غير أنه لم يُصنّف فيه، وغالباً لأنه انشغل بكتابه التاريخ الذي عُرف بتاريخ ثابت بن سنان<sup>94</sup>، لكنّه خليف والده في الإشراف على بیمارستانات بغداد<sup>95</sup>، وأضحى مع والده سنان الطيب الحَاصِرَ للرّاضي بالله<sup>96</sup>.

<sup>89</sup> ابن الأثير: الكامل، 7: 177.

<sup>90</sup> ابن سبيد المغربي: النجوم الزاهرة في جُلِّي حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، القاهرة 2000، 258؛ بابو إسحاق: أحوال النصارى، 161.

<sup>91</sup> القفطي: إخبار العلماء، 259؛ وهو عند جلال بن المحسن الصائغ «أبو الحسين الطيب المعروف بتلميذ سنان». ووفاته عام 389هـ، انظر: جلال بن المحسن الصائغ: تاريخ جلال بن المحسن الصائغ [الجزء الثامن]، نشر مُلحقاً على كتاب تجارب الأسم لمُسكويه، بتحقيق المُستشرق أُميدروز، بغداد 1969، 8: 337.

<sup>92</sup> القفطي: إخبار العلماء، 263؛ لويس شيخو: علماء النصرانية في الإسلام، حققه وأعاد نشره الأب كميل حشمة البسوعي، منشورات المعهد البابوي، روما 1983، 67-83؛ فيه: أحوال النصارى، 242.

<sup>93</sup> ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1: 314.

<sup>94</sup> النديم: الفهرست، 2: 314.

<sup>95</sup> ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، 170.

<sup>96</sup> مجهول: العيون والحدايق، 4: 343.

ثم للمُتقي<sup>97</sup>، ثم طيبياً للمُطيع والأُمير مُعزَّ الدولة<sup>98</sup>، وبلغ من حُظوته عند مُعزَّ الدولة أَنَّهُ كان يُستدعى بين يديه ليقْرأ عليه كُتُب أَبقراط وجالينوس الطيِّبة<sup>99</sup>. ولا نَعرف الكثير عن السِّيرة المهنيَّة لِثابت بن سنان، لكنَّ مَّا يشهدُ بمهارة ثابت في التَّطبيب والعِلاج عِنايَتُهُ بالوزير ابن مُقْلَة بعد أَن أمر الخليفة الرَّاضي بِقَطْع يَدِهِ اليُمْنَى.

فقد رَقَّ الخليفة لِحال وزيره بعد أَن نَمَّا إلى عِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يَنَام من شِدَّةِ الأَلَمِ، وأنَّ جُرْحَهُ قد تَلَوَّثَ، فأمر طيِّبِهِ ثابت بن سِنان بالدَّخول عليه وعِلاج جُرْحِهِ، وَيُروى ثَابِتٌ مُلاحِظَاتِهِ عن حَالَةِ ابن مُقْلَة الَّتِي وَصَفَهَا بِأَنَّهَا كَانَتْ صَعْبَةً<sup>100</sup>، وَوَصَفَ حَالَهُ من تَوَرُّمٍ سَاعِدِهِ المَقْطُوعِ بِشَكْلِ كَبِيرٍ، وَأَلَمِ الصَّرْبَانِ [النَّشْر] الَّذِي أَنتَابَهُ، وَكَانَ يُعِيقُهُ عَنِ النَّوْمِ، وَمِمَّا ذَكَرَهُ ثَابِتٌ عَنِ عِنايَةِ الْوَزِيرِ ابن مُقْلَة نَسْتَشْفُ مِقْدَارَ مَا بَلَغَهُ الطَّبُّ فِي تِلْكَ الحِقْبَةِ من تَقَدُّمٍ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ هَذَا الطَّيِّبُ الْفَذُّ من مَهَارَةٍ وَتَمَكُّنٍ، فَقَدْ صَرَفَ عِنايَتَهُ أَوَّلًا بِالحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلْمَرِيضِ، فَقَدْ طَمَأَنَّهُ أَوَّلًا عَلَى وَلَدِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ مُسْتَرًا وَبَعِيدًا عَنِ عِيُونِ رِجَالِ الخليفة، وَعِنْدَ مَا شَعَرَ بِاطْمَئِنَانِ مَرِيضِهِ، وَسَكُونِ نَفْسِهِ إِلَى هَذِهِ الْأَخْبَارِ الطَّيِّبَةِ سَارَعَ إِلَى خَلْعِ الحِرْقِ الغَلِيظَةِ الَّتِي كُسِبَتْ بِالْأَمْلاَحِ لِمَنْعِ التَّزْرِيفِ، وَنَظَّفَ الجُرْحَ بِالكافُورِ والصَّنَدَلِ وَمَاءِ الْوَرْدِ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْوَزِيرِ يُحَادِثُهُ وَيُسَامِرُهُ، وَلَمْ يَتْرِكْ مَرِيضَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ سَكَنَ أَلَمُ الصَّرْبَانِ، وَأَقْنَعَهُ بِتَنَاوُلِ الْيَبِيرِ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَاهُ الْمَاءَ الْبَارِدَ، فَتَحَسَّنَتْ حَالَتُهُ، أَوْ بِتَعْبِيرِ الطَّيِّبِ الْمَأْهَرِ «رَجَعَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ»<sup>101</sup>.

لَمْ نَحْفَظْ لَنَا الْمَصَادِرَ أَسْمَاءَ تَلَامِيذَةِ ثَابِتِ بْنِ سِنَانٍ، وَلَعَلَّ هَذَا مَا جَعَلَ الصَّفْدي يَصِفُهُ - رَغْمَ اعْتِرَافِهِ بِمَهَارَتِهِ فِي الطَّبِّ - بِأَنَّهُ كَانَ ضَعِيفًا بِمَا يُحْيِسُ<sup>102</sup>، لَكِنْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ هُنَاكَ مِنَ الشُّوَاهِدِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ لِثَابِتٍ مَدْرَسَتُهُ، فَقَدْ كَانَ مِنْ تَلَامِيذَتِهِ أَحْمَدُ وَعُمَرُ ابْنَا يُونُسَ

<sup>97</sup> القِفْطِي: إِبْخَارُ الْعُلَمَاءِ، 73.

<sup>98</sup> القِفْطِي: الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ، 77؛ الذَّهَبِيُّ: تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، 26: 304.

<sup>99</sup> ابْنُ خُلِّكَانَ: وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، 1: 314.

<sup>100</sup> يَسْكُوهُ: تَجَارِبُ الْأُمَمِ، 1: 287.

<sup>101</sup> يَسْكُوهُ: الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ، 1: 388؛ ابْنُ خُلِّكَانَ: وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، 5: 115.

<sup>102</sup> الصَّفْدي: الْوَأَقِي بِالْوَفَيَاتِ، 10: 286.

ابن أحمد، وقد رحل من الأندلس إلى بغداد في عصر الخليفة الناصر عام 330هـ / 941م، ودرس الطب على يد ثابت بن سنان، ثم عادًا إلى الأندلس في خلافة الحكم المستنصر<sup>103</sup>.

كما اشتهر أيضًا شقيقه إبراهيم بن سنان بالمهارة في الطب<sup>104</sup>، ومن الأطباء الحرانية زهرون الطبيب، والأخير لا نعرف عنه شيئًا سوى ما رواه ابن أبي أصيبعة أنه تتلمذ على يد أبي الفرج بن عبد الله الطبيب النضري<sup>105</sup>.

ومن مشاهير الأطباء الصابئة أيضًا أبو الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني<sup>106</sup> (ت 369هـ / 979م)، الذي وُصف بأنه كان طبيبًا فاضلاً، كثير الدراية، وافر العلم، بارعًا في الصناعة<sup>107</sup>، موفقًا في المعالجة، مُطلعًا على أسرار الطب، بيد أنه كان من مثالبه ضنه بالعلم على غيره، فمات دون أن يترك تلامذة له<sup>108</sup>، اللهم إلا الطبيب النضري أبي الحسن بن بطلان البغدادي، والذي رثاه بقوله «فانطفأت بعده سرج العلم، وبقيت بعده العقول في ظلمة»<sup>109</sup>.

ولا نملك الكثير عن سجله المهني لكننا نعلم أن الوزير أبا محمد المهلب كان شديد الانبهار به ويعلمه<sup>110</sup>، كما نعلم أنه شفى الوزير أبا طاهر محمد بن بقیة وكان على شفا الموت بعد أن سلم الأطباء بأن حالته مُستعصية على العلاج، وله من المصنفات في الطب كتاب

<sup>103</sup> ابن أبي أصيبعة: عیون الأئباء، 487.

<sup>104</sup> الذهبي: تاریخ الإسلام، 26: 304-305.

<sup>105</sup> ابن أبي أصيبعة: عیون الأئباء، 324؛ شیخو: علماء النصرانية، 101.

<sup>106</sup> السجستاني: تنمّة صیوان الحکمة، 70-71.

<sup>107</sup> ابن كثير: البداية والنهاية، 15: 400.

<sup>108</sup> ابن الأثير: الكامل، 7: 392؛ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 9: 312.

<sup>109</sup> ابن أبي أصيبعة: عیون الأئباء، 327؛ قارن أيضًا مقدمة ماكس ماير هوف ويوسف شخت لكتاب خمس

رسائل لابن بطلان وابن رضوان المصري، 24.

<sup>110</sup> ابن العبري: تاریخ مختصر الدول، 173-174.

«إصلاح مقالات» يحيى بن مرفي<sup>111</sup>، وكتاب «جوابات مسائل سُئل عنها»<sup>112</sup>، وينقل القفطي رواية هلال بن الحسن الصَّابي عن شدة مهارته في الطب أثناء علاج الوزير محمد بن بَقِيَّة وزير عز الدولة بختيار، وكيف أنَّه أشار بفضده فصلح حاله بعد أن كان ميؤوساً من حالته، فتعافى بعد أن كان مُشرَّفاً على الهلاك، فأجزل كل من عز الدولة بختيار ومحمد بن بَقِيَّة عطاءً<sup>113</sup>. كذلك عندما سُئل جاثليق النصارى «عبد يسوع» عن طيب يرشحه لعُصْد الدولة قال «ها هنا جماعة لا نُعوّل عليهم، والمنظور إليه أبو الحسن الحرَّاني»<sup>114</sup>.

وكان أبو الحسن بن سنان الصَّابي يتمتع بالمهارة في التطبيب، ووُصف بأنه كان حكيماً فاضلاً وطيباً جاذباً وكان مُعاصراً لأبي الحسن الحرَّاني المُتقدِّم ذِكره<sup>115</sup>، وكان ساعوذاً<sup>116</sup> في السِّمَّاتِ العُصْدي، ووُصف بالتَّقدم في الطب والتَّوفيق في العلاج، وأنه لم يكن بالمُبْصِر في صناعته عن مَرَبَّة أسلافه من آباءه وأجداده<sup>117</sup>.

ومن مشاهير الكَحَّالين الصَّابئة - أو أطباء العيون - أحمد بن أبي الحسن الصَّابي، ولا نملك الكثير من المعلومات عنه، وقَعَ عليه اختيار الخليفة الرَّاضي له ليُقوم بكحل عين الخليفة القاهر بعد خلعه<sup>118</sup>. ومن الكَحَّالين الحرَّانية أيضاً أحمد بن وصيف الصَّابي وكان كَحَّالاً

<sup>111</sup> القفطي: إخبار الحكماء، 78؛ شيخو: علماء النصرانية، 69.

<sup>112</sup> التَّدِيم: الفهرست، 2: 315.

<sup>113</sup> القفطي: إخبار العلماء، 78.

<sup>114</sup> القفطي: المصدر نفسه، 79؛ ابن أبي أصيبعة: عُيون الأنباء، 310؛ ابن فضل الله العُمري: مسائل الأَبصار، 9: 312.

<sup>115</sup> البيهقي: تاريخ حُكماء الإسلام، 78؛ السُّجستاني: نَمَّة صِوان الحِكْمة، 70.

<sup>116</sup> السَّاعور كلمة سُرْيانية كان البَغْدَادَةُ يستخدمونها بمعنى مُقدِّم الأطباء، إلا أن معناها السُّرْياني المُباشِر هو مُتقدِّم المَرْضَى. انظر: المُرْتَضَى الزَّيْدِي: تاج العُرُوس في شرح جِوَاهِر القَامُوس، تحقيق مصطفى خجّازي، الكويت 1973، 12: 30-31.

<sup>117</sup> القفطي: إخبار العلماء، 260.

<sup>118</sup> مجهول: العيون والحدائق، 4: 277.

ماهرًا مُتَفَنًّا لَصْنَعَتِهِ<sup>119</sup>، وكانت تُشدُّ إليه الرُّحْلَة، ويفدُّ عليه التَّلَامِيذُ من أَفْصَى الْأَضْغَاعِ كالْأَنْدَلُسِ<sup>120</sup>.

وَمِنَ الْأَطِبَّاءِ الصَّابِئَةِ الْمَشَاهِيرِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَهْرُونَ الْحَرَّانِي (ت 309هـ / 921م) وَهُوَ جَدُّ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ، وَكَانَ بَارِعًا فِي الطَّبِّ<sup>121</sup>، وَتَرْجَمَ لَهُ ثَابِتُ بْنُ سِنَانٍ فِي تَارِيخِهِ<sup>122</sup>، وَوَرِثَ عَنْهُ وَلَدُهُ أَبُو الْحَسَنِ هَلَالُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زَهْرُونَ الصَّابِيِّ - وَالِدُ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ - صُنْعَتُهُ وَمَهَارَتُهُ، وَكَانَ يَنْظُرُ فِي أَمْرِ بِيَارِشْتَانَاتِ بَغْدَادَ وَيَقَرَّرُ بِهَا الْأَطِبَّاءَ<sup>123</sup>، وَوُصِفَ بِأَنَّهُ كَانَ طَبِيبًا حَازِقًا صَالِحَ الْعِلَاجِ، تَقَدَّمَ بِمَهَارَتِهِ عِنْدَ أَجْلَاءِ بَغْدَادَ، كَمَا كَانَ طَبِيبًا خَاصًّا لِأَمِيرِ الْأُمَرَاءِ أَبِي الْوَفَا تَوْزُونَ<sup>124</sup>.

وَمِنَ مَشَاهِيرِ أَطِبَّاءِ الصَّابِئَةِ أَيْضًا أَبِي النَّصْرِ هَارُونَ بْنُ صَاعِدِ بْنِ هَارُونَ الصَّابِيِّ (ت 444هـ / 1052م)، وَلَا يُعْرَفُ إِلَى أَيِّ بَيْتٍ مِنْ بَيُوتَاتِ الصَّابِئَةِ يَنْتَمِي، لَكِنْ الْقِفْطِيُّ يَقُولُ أَنَّهُ كَانَ مِنْ صَابِئَةِ بَغْدَادِ الْمُقِيمِينَ بِهَا، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّهُ وَصِفَ بِأَنَّهُ كَانَ لَهُ الْيَدُ الطُّوْلَى فِي التَّطْيِيبِ، وَاشْتَهَرَ بِالصَّلَاحِ، وَكَانَ سَاعُورًا فِي الْبِيَارِشْتَانِ الْعُضْدِيِّ<sup>125</sup>.

<sup>119</sup> ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 9: 316، ابن جُلُجُل: طبقات الأطباء، 81.

<sup>120</sup> القِفْطِيُّ: إخبار العلماء، 284.

<sup>121</sup> البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام، 79.

<sup>122</sup> القِفْطِيُّ: إخبار العلماء، 55.

<sup>123</sup> ياقوت الحموي: معجم الأديباء، 1: 142-143.

<sup>124</sup> ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، 167.

<sup>125</sup> القِفْطِيُّ: إخبار العلماء، 221-222.





## الفصل

### الثاني عشر

12

## إسهامات الصابئة

## في العلوم الاجتماعية

«وَنَقَلْتُ مِنْهُ خَطَّ أَبِي الْوَفَاءِ بِهِ  
عُقَيْلٌ قَالَ: حَضَرْنَا عِنْدَ بَعْضِهِ  
الْصَّدُورَ فَقَالَ: قُلْ بَقِيَ بِيَعْقَدُ  
مُؤَرِّخٌ بَعْدَ أَبِيهِ الصَّابِي؟!!!. فَقَالَ  
الْقَوْمُ: لَا، فَقَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا  
بِاللَّهِ، يَخْلُقُ هَذَا الْبَلَدَ الْعَظِيمَ مِنْهُ  
مُؤَرِّخٌ!!!».

أبيه المؤري

كانت الكتابة التاريخية أحد أبرز أوجه إسهامات الصّابنة في الحياة العلميّة والثقافية بوجه عام، ولعلّ ذلك راجع إلى فخر الصّابنة الحرّانية بميراث آبائهم وأجدادهم من الإغريق القدامى، لذا فقد كان من المعتاد أن يُفرد علماءهم عدّة مُصنّفات في تاريخ الآباء والأجداد، وذلك أمرٌ ملحوظ في تراثهم بصفة عامّة، بل قد يصل الأمر إلى التاريخ للعائلة فحسب، فقد صنّف ثابت بن قرة كتاباً في «تاريخ مشاهير أسرته وسلسلة آبائه»<sup>1</sup>، كما صنّف أيضاً عملاً أسماه «تاريخ ملوك السريان الأقدمين»<sup>2</sup>، وصنّف ابنه سنان بن ثابت «رسالة في أخبار آبائه وأجداده وسلفه»<sup>3</sup>، كما صنّف أيضاً «رسالة في تاريخ الملوك السريان»<sup>4</sup>، وصنّف أبو إسحاق الصّابي «رسالة في تاريخ آبائه وأجداده»<sup>5</sup>، وصنّف حفيده هلال بن المحسن الصّابي «رسالة في مآثر أهله»<sup>6</sup>.

كما كتب ثابت بن قرة كتاباً في «سيرة المعتضد بالله» بناءً على طلب الخليفة، لكن يبدو أن من بدأ تأليف هذا الكتاب ووضع نواته الأولى هو أحمد بن الطيّب السرخسي نديم المعتضد، وصديق ثابت بن قرة الحميم، ولم يكن قد اكتمل بعد حين أمر المعتضد بقتل السرخسي، فطلب الخليفة من ثابت بن قرة إكمالاً وأمدّه بما يحتاج إليه من وثائق، لكنه مات أيضاً دون أن يتمّه، فأكمل سنان ولده، ومن هنا نشأ الخلط حول نسبة هذا الكتاب<sup>7</sup>، فالأزدي ينسبه مباشرة إلى ثابت بن قرة<sup>8</sup>، والمسنودي والتوحي يشيران إلى أنه من تصنيف سنان بن ثابت<sup>9</sup>، وابن

<sup>1</sup> ابن العبري: تاريخ الزمان، 48.

<sup>2</sup> ابن العبري: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

<sup>3</sup> ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 304.

<sup>4</sup> القفطي: إخبار العلّماء، 133؛ ياقوت الحموي: معجم الأدياء، 3: 1405.

<sup>5</sup> ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 304.

<sup>6</sup> الصّفيدي: الوافي، 27: 219.

<sup>7</sup> شاکر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، بيروت 1979، 2: 64-65.

<sup>8</sup> الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، القسم الخاص بأخبار الدولة العباسية، تحقيق محمد بن مسفر الزهراني، المدينة المنورة 1407 هـ، 205.

<sup>9</sup> مروج الذهب، 1: 11-12؛ الفرج بعد السّدة، تحقيق عبود الشّالحي، بيروت 1978، 2: 354.

العديم ينسبه إلى سنان بن ثابت وإن أكّد أن سنان كان أميناً، فلم يشغل القسم الذي فرغ منه أحمد بن الطيّب، وكان يُشير بين الفينة والأخرى إلى أنّه ينقل من خطّه<sup>10</sup>.

ويُعدّ ثابت بن سنان من أبرز المؤرّخين الذين تصدّوا للتأريخ لعصرهم، بل وافق عمره كاملاً فيه، حيث لم يُعرف له مُصنّفات آخر غير تأريخه الذي أطلق عليه اسم «كتاب التأريخ» مجرّداً، فنُسب إليه وصار يُعرف بين المؤرّخين بـ«تأريخ ثابت بن سنان»، وهو تأريخ قيم في بابه، قصّد به مؤلّفه التّذييل على تأريخ الطّبري<sup>11</sup>، وافتتحه بأحداث عام 295هـ/907م<sup>12</sup> وحتى وفاته.

ولكن من غير المعروف بالضبط سبب اختيار ثابت لهذا العام دون غيره لبدأ منه تأريخه، على الرّغم من أنّ الطّبري قد أنهى تأريخه بحوادث عام 302هـ/914م، أي كان من المنطقي أن يفتتح ثابت تأريخه بأحداث عام 303هـ/915م، بدلاً من أن يتداخل مع تأريخ الطّبري في بعض السّنوات، فهل أراد ثابت أن يبدأ تأريخه من تأريخ تقليد المُقتدر الخلافة؟، هذا احتمال وارد بطبيعة الحال، فقد مرّت بنا من قبل تلك الصّلات الوطيّدة التي ربّطت الحرانيّة بالمُقتدر وآبائه<sup>13</sup>، لكن الالف للنظر في عادات المؤرّخين الصّابئة أنّ هلال بن المحسن الصّابئ عندما أراد التّذييل على تأريخ خاله ثابت بن سنان داخله أيضاً في بعض السّنوات، وبدأ تأريخه من سنة ميلاده المُوافقة لعام 361هـ/971م، فهل أراد ثابت بن سنان افتتاح تأريخه من سنة مولده والوصول به إلى آخر سنّ حياته؟. هذا هو الأرجح لديّ، وما أميل إليه، لا سيّما وأنّا نعرف أنّ ثابت لم يتوقّف عن التّأريخ حتى وفاته<sup>14</sup>.

<sup>10</sup> بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دمشق 1988، 3: 101.

<sup>11</sup> جان سوافاجيه؛ كلود كاهن: مصادر التاريخ الإسلامي، ترجمة عبد الستار خلوجي؛ عبد الوهاب علوب، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 1998، 218؛ GEORGE MAKDISI: *History and politics in*

*eleventh-century Baghdad*, New York 1990, p 4.

<sup>12</sup> ابن الجوزي: المتظم، 13: 79.

<sup>13</sup> راجع الفصل السابع.

<sup>14</sup> الذهبي: العبر في خبر من عبر، 2: 115.

على أي حال فالروايات تتضارب في السنة الحاتمة لتاريخ ثابت بن سنان، وتضطرب المصادر أيضًا في تحديد تاريخ وفاته، فالصفدي يتحدث عن أن تاريخ ثابت انتهى بأحداث سنة 360هـ/970م<sup>15</sup>، وغالبًا ما بنى الصفدي تقديره هذا على النسخة التي كانت بحوزته من تاريخ ثابت، ومن سنة افتتاح ذيل تاريخ ثابت لـلال بن المحسن الصابئ. بينما ذهب ابن الأثير إلى انتهاء تاريخ ثابت بن سنان بعام 363هـ/972م، لكنه أقر بوفاة ثابت عام 365هـ/975م<sup>16</sup>، أما القفطي، وابن أبي أصيبعة، وابن العبري، والذهبي، وابن العماد الحنبلي فقد ذهبوا جميعًا إلى وفاة ثابت عام 363هـ/972م وانتهاء تاريخه بالعام نفسه<sup>17</sup>، فيما ذهب كل من النديم وياقوت الحموي وابن تغري بردي إلى وفاة ثابت عام 365هـ/975م وانتهاء تاريخه في العام نفسه الذي توفي فيه<sup>18</sup>.

ومن الواضح أن ذلك الشوش والازتيك في تحديد سنة انتهاء تاريخ ثابت ووفاته راجع إلى نسخة المجلدة الأخيرة من تاريخ ثابت، والتي كانت متداولة في أسواق الوراقين، فقد كان هناك بعض النسخ التي تنتهي بأحداث عام 360هـ/970م وقد أدت إلى اجتهد الصفدي في تاريخ انتهاء كتاب التاريخ لثابت وزمن وفاته، في حين كان هناك نسخ أخرى أكثر كمالًا وتنتهي بأحداث عام 363هـ/972م، كالنسخة التي كانت بحوزة ابن الأثير واعتمد عليها في تاريخه، وهذا وحده كافٍ لاستبعاد رواية الصفدي، ويضعنا بين الاختمالين الثاني والثالث، وهو انتهاء تاريخ ثابت بعام 363هـ/972م، أو 365هـ/975م.

<sup>15</sup> الصفدي: الوافي، 10: 286.

<sup>16</sup> ابن الأثير: الكامل، 7: 363؛ وابن كثير ينقل عنه، قارن البداية والنهاية، 15: 364.

<sup>17</sup> القفطي: إخبار العلماء، 77؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 307؛ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، 170؛ المؤلف نفسه: تاريخ الزمان، 67؛ الذهبي: العبر في خبر من غير، 2: 115؛ المؤلف نفسه: تاريخ الإسلام، 26: 304؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، 4: 334، ورجح فؤاد سزكين ذلك العام لوفاة ثابت.

انظر: تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية عمود فهمي حجازي، الرياض 1991، 1: 1؛ 2: 164.

<sup>18</sup> الفهرست، 2: 314؛ معجم الأدباء، 2: 772؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 4: 114.

من المفارقات أنَّ الصَّفدي نفسه يزوي - دون أن يتَّبه إلى أن روايته هذه كفيّلة بدخض دغواه في وفاة ثابت عام 363هـ/ 972م - أن ثابت بن سنان دخل على عضد الدولة عندما دخل الأخير بغداد، فاعتمده عضد الدولة كطبيب له وصار يُنوب مع أطبائه<sup>19</sup>. ونحن نعرف أن عضد الدولة دخل العراق مرّتين، أولاً كانت عام 364هـ/ 973م، وهذا يُشير قطعاً إلى أن ثابت بن سنان كان حيّاً إلى عام 364هـ/ 973م.

وهذا يعود بنا مباشرة إلى رواية النديم وياقوت الحموي، وإذا كانت هناك ثمة ملاحظة على كلتا الروايتين فهي أن النديم يُعطي تاريخاً دقيقاً باليوم والشهر والعام لوفاة ثابت بن سنان وهو حادي عشر ذي القعدة سنة 365هـ/ 975م<sup>20</sup>، وهذه الدقة تُضفي الكثير من المصداقية على روايته، لا سيّما وأنه كان الوحيد الذي عاصره من بين جميع من ترجّوا له، أمّا رواية ياقوت الحموي فهي تتفق مع النديم في التاريخ نفسه، ولكنّه يعتمد على مصدر لا يُدخض في هذا الصدد، وهو تاريخ هلال بن المحسن الصائبي، والذي ترجم لحال والده بطبيعة الحال ضمن وفيات عام 365هـ/ 975م.

إذن فنستطيع أن نُقرّر بشكل حاسم وفاة ثابت بن سنان في أخريات عام 365هـ/ 975م لا قبلها بحالٍ من الأحوال، ولكن هذا لا يُجيب بالضرورة على التساؤل الآخر، وهو متى انتهت تاريخ ثابت؟، لحسن الحظ لدينا وثيقة نادرة من شأنها حسم هذا الجدل بشكل تام، وهي عبارة مجموع في تاريخ القرامطة استلّه وراق مجهول من تاريخي الطبري وثابت بن سنان، ينتهي بأحداث عام 365هـ/ 975م، ولحسن الحظ فقد ذُيل هذا الوراق المجموع بعبارة قاطعة الدلالة إذ يقول «إلى هنا انقطع المؤلف لمرضه أو لوفاته في هذه السنة». إذن فقد انتهت تاريخ ثابت في عام وفاته نفسه أي عام 365هـ/ 975م.

ورغم أن تاريخ ثابت بن سنان قد فقد بكامله، فقد وصل إلينا مختصر له، وإن نُسب إلى

<sup>19</sup> الرازي بالوفيات، 10: 286.

<sup>20</sup> الفهرست، 2: 314.

غيره، فمن الواضح تمامًا أن منسكويه قد قام بتلخيص تاريخ ثابت في القسمين الخامس والسادس من تاريخه المسمى بتجارب الأمم، والأدلة والقرائن في هذا الصدد كثيرة، أبرزها:

• منسكويه نفسه يتحدث في افتتاح أحداث عام 340هـ/ 951م بأن  
أكثر ما يحكيه بعد هذه السنة إنما عن مشاهدة وعيان، أو خبر  
محصل يجري عنده مجرى ما غايته<sup>21</sup>. وهذا قاطع الدلالة في أنه كان  
ينقل عن غيره قبل عام 340هـ/ 951م.

• منسكويه - أيضًا - يشير إلى أنه ينقل عن ثابت بن سنان ابتداءً من  
أحداث عام 295هـ/ 907م، وهي السنة نفسها التي افتتح بها  
ثابت بن سنان تاريخه، وحتى أحداث عام 340هـ/ 951م على  
الأقل، وطوال تلك النقولات الموسعة؛ فإن منسكويه أشار إلى أنه  
يستقي من تاريخ ثابت بن سنان في ستة عشر موضعًا مختلفًا، علمًا  
بأنه لم يشير إلى أي مصدر آخر استقى منه خبرًا واحدًا خلا ثابت بن  
سنان.

• حتى في الأخبار التي لا يصرح فيها منسكويه بشكل صريح بأنه  
ينقل عن تاريخ ثابت بن سنان فإنه يلجأ مباشرة إلى المصادر  
الشفاية نفسها التي استقى منها ثابت مادته، وهم كتاب  
الدواوين في أيام المقتدر والظاهر والراضي والمتقي، وبعض الوزراء  
من خدموا هؤلاء الخلفاء، كعلي بن عيسى، وابن الفرات، وأبي  
علي بن مقله، علمًا بأنهم جميعًا كانوا قد توفوا قبل ميلاد منسكويه  
نفسه، وهذا يعني أن هناك حلقة مفقودة بين هؤلاء الرواة وبين  
منسكويه، وهذا الحلقة لا يمكن أن تكون إلا تاريخ ثابت بن سنان،  
وهذه الملاحظة سبق وأن أقر بها المستشرق أميدروز والذي عمل

<sup>21</sup> منسكويه: تجارب الأمم، 2: 137.

على تحقيق القسمين الآخرين من تجارب الأمم، والذي نفى جملة وتفصيلاً أصالة القسم الخامس وأكثر السّادس من تجارب الأمم لمُسكويه، وأقرّ ينسبته إلى ثابت بن سنان<sup>22</sup>.

• ذلك التشابه الذي يصل إلى حدّ النّقل الحرفي بين تاريخ مسكويه وبين كتاب «نُحْفة الأمراء في تاريخ الوزراء» لهِلال بن المُحسّن الصّائبي<sup>23</sup>، خصوصاً عندما يُصرّح هلال بن المُحسّن الصّائبي بأن مصدره في مرويّاته هو ثابت بن سنان، بينما لا يُصرّح مسكويه بمصدره.

• الملاحظة السّابقة نفسها تنطبق عند المقارنة بين التّصوّص التي يستقيها سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الرّمان عن ثابت بن سنان، وبين مرويّات مسكويه خصوصاً عندما لا يظهر اسم ثابت بن سنان في تجارب الأمم.

• ذلك التّطابق أيضًا بين تاريخ مسكويه، وبين ذلك القسم الذي انتزعه الرّزاق المجهول من تاريخ ثابت والمتعلّق بأخبار القرامطة.

• وذلك التّطابق أيضًا بين اختصارات المؤرّخ السّرياني إيليا بر شتايا التي اختصرها عن تاريخ ثابت بن سنان من أحداث بدءاً من عام 320هـ/932م<sup>24</sup> مع الأحداث المطوّلة التي يرويها مسكويه في تجارب الأمم، فبالرغم من أن كتاب بر شتايا دوّن بالسّريانية فإنّ

<sup>22</sup> AMEDROZ: *The Tajarib Al-Umam of Abou-Ali Miskawayh*, Der-Islam, Vol. V, 1914. pp 24 - 25.

<sup>23</sup> DOMINIQUE SOURDEL: *L'originalité du Kitāb Al-Wuzarā' de Hīlāl Al-Sabī'*, Arabica, vol. V, 1958,

pp 276-277. وانظر أيضًا هاملتون جب: علم التّاريخ، بيروت 1981، 77. وهذا التشابه لفت نظر

الأستاذ عبد الستار أحمد فراج محقّق نُحْفة الأمراء لهِلال بن المُحسّن الصّائبي، فعمل على توضيح ومقابلة النّسخة الوحيدة التي عُثر عليها من كتاب نُحْفة الأمراء بتاريخ مسكويه المُسمّى تجارب الأمم.

<sup>24</sup> انظر: - إيليا بر شتايا: تاريخ إيليا بر شتايا، نقله إلى العربية يوسف حبي، منشورات مجمع اللغة السّريانية، بغداد 1975، 191، وما بعدها.

عين الناقد لا يمكن أن تُخطئ هذا التّطابق السّيافي بين الكتابين.

- شهادة ابن العبري بأنّ جميع من جاء بعد ثابت نقل عنه، ولولا تاريخه لأُست الفترة التي عاصرها ثابت في طيّ النّسيان، فهو الذي حفظها وعنه نقل المؤرّخون من بعده<sup>25</sup>.

وإذا كان هناك شيئاً يستحقّ التّنويه فهي ملاحظات المُستشرق مرجليوث التّقديرية على تاريخ مسكويه المُسمّى بتجارب الأمم، والذي وصفه بأنّ مؤهلاته في كتابة التّاريخ أعظم من سلفه الطّبري<sup>26</sup>، وامتدح عدم غلبة الميول الدّينية عليه لدرجة أنّ القارئ المُتعمّن في تجارب الأمم لا يمكن أن يعرف - سوى في فقرة واحدة - أنّ مؤلّفه مُسلم، واستغرابه كذلك من أنّ مسكويه الذي أضاع عمره في دراسة الكيمياء لا تبدو تلك الدّراسة واضحة في كتابه بقدر ما يبدو الطّب واضحاً بجلاء، على الرّغم من أنّ مسكويه لم يكن طبيباً على الإطلاق<sup>27</sup>!!.

ولا شك أنّ مرجليوث يستحقّ التّقدير على ملاحظاته الثّابتة إلى حدّ يثير الدهشة، ولو تمعّن مرجليوث في مصادِر مسكويه في تاريخه لأدرك أنّ الأجدَر بذلك الثّناء هو ثابت بن سنان نفسه، فهو ذلك المؤرّخ غير المُسلم الذي لم يكن متعصّباً لدين أو لمذهب، وهو الطّبيب الذي ترك التّأليف في الطّب وتفرّغ لكتابة التّاريخ. لكن هذا لا يعني أنّنا لا نشكر لِمسكويه صنيعة لقيامه بتلخيص تاريخ ثابت بن سنان، إذ لولاه هو وابن الأثير، وابن الجوزي، ويسبط ابن الجوزي، والذهبي لفقد تاريخُ ثابت جُملةً وتفصيلاً.

ورغم فقدان تاريخ ثابت، فإنّ نقولات المؤرّخين المتأخّرين عنه تبيّ بعض سِمات الكتاب ومصادر مادّته، وتربيته ومعالجته لها، فمن الواضح تماماً من خلال استقراء نقولات المؤرّخين عن تاريخ ثابت بن سنان أنّ مؤلّفه قد ربّب الأحداث حوليّاً بدءاً من أحداث عام

<sup>25</sup> ابن العبري: تاريخ الزّمان، 67.

<sup>26</sup> مرجليوث: دراسات عن المؤرّخين العرب، ترجمة حسين نصّار، القاهرة د. ت، 144.

<sup>27</sup> مرجليوث: المرجع نفسه، 146-147.



295هـ/ 907م، وحتى سنة وفاته، وجرياً على عادة الطبري كان ثابت يَحْتَمِ حِوَادِثَ السَّنَةِ بذكر الطرائف أو خوارق الطبيعة والنوادر مما عاينه بنفسه، أو تما إلى علمه بالسَّماع<sup>28</sup>، ثم يَحْتَمِ أحداث العام بذكر وفيات الأعيان.

ومن الواضح أيضاً أن ثابتاً قد اعتمد في تاريخه على مُشَاهَدَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ<sup>29</sup>، فقد كان طبيب الحلفاء، ومن الشَّخصِيَّاتِ المُهمَّةِ التي سَاهَمَتْ في صُنْعِ تلك الأحداث، فنحن نعرف أنه كان أحد أبرز أنصار الخليفة المتقي في صراعه مع تُوْزُون<sup>30</sup>، كما كان مُقَرَّباً من مُعَزِّ الدَّوْلَةِ حتَّى أنه رافقه في حُلَّتِهِ على الموصِل لحرب ناصِر الدَّوْلَةِ الحمداني<sup>31</sup>. كما كان يأخذ الأخبَارَ من مصادرها إذا لم يُعَايِنَهَا، فقد كان شديد الصِّلَةِ بالوزراء فهو يُجَالِسُ الوزير علي بن عيسى وزير المُقتدر<sup>32</sup>، وهو مُصدِّره المُبَاشِر في العديد من رواياته التي رَوَاهَا عَنْهُ<sup>33</sup>، كما كان ندياً للوزير أبي علي بن مُقْلَةٍ<sup>34</sup>، بالإضافة إلى تدوينه لشهادات عددٍ كبيرٍ من كُتَّاب الدَّوَاوِين، ومن ثمَّ كان أغلب تاريخه عبارة عن مادَّة شَفَاهِيَّةٍ اسْتَفَاهَا عَنْ عَايِنُوا الحَدَثَ نَفْسَهُ، أو وثائق أُطْلِعَ عَلَيْهَا هو بنفسه، وكان الوزير علي بن عيسى يُدْرِك شَغَفَ ثابت بالاطِّلاع على الوثائق، وكان يُمَدُّ دوماً بها<sup>35</sup>، وإذا كان ثَمَّةُ فَضِيلَةٍ تُنسَبُ إلى ثابت بن سنان فهي أنه لم يَكُنْ لِيُلقِي بالكلام على عَوَاهِنِهِ، بل كان دائم الإحَالَةِ إلى مصادره.

وكانت موضوعية ثابت بن سنان أحد أهم أسباب اختفاء المؤرخين اللَّاحِقِينَ وتقديرهم للجُهد الذي بذله في تاريخه، لا أدلَّ على ذلك من أنَّ نَقُولَاتِ المؤرِّخِينَ عَنْ تَارِيخِ

<sup>28</sup> ابن الجوزي: المُتَنَزِّه، 13: 93، 140: 251؛ ابن تغري بردي: النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ، 3: 384.

<sup>29</sup> ابن الجوزي: المُصَدِّرُ نَفْسَهُ، 13: 93-140-151.

<sup>30</sup> راجع الفُضْلُ السَّابِق.

<sup>31</sup> ابن الأثير: الكَامِلُ، 7: 283.

<sup>32</sup> مِسْكُوتِيَّة: تِجَارِبُ الأُمَمِ، 1: 29.

<sup>33</sup> مِسْكُوتِيَّة: المُصَدِّرُ نَفْسَهُ، وَاجْزَاءُ وَالصَّفْحَةُ.

<sup>34</sup> نَفْسَهُ، 1: 200.

<sup>35</sup> نَفْسَهُ، 1: 29.

ثابت فيما يخص تقسيمه للقاهر بالله - الذي أسهم في نكته أسرته وقومه، وبشيت عائلته وهرب والده - تأتي أكثر اعتدالاً وإنصافاً من تقييم أبي بكر الصولي الذي دون تاريخه في ظل خلافة أبناء المقتدر والذي لم يجد مثله إلا ونسبها إلى القاهر<sup>36</sup>، ومن ثم بقي تاريخ ثابت استحساناً كبيراً من جانب المؤرخين المسلمين اللاحقين، فقال عنه ابن كثير أنه أجاد في تاريخه وأحسن<sup>37</sup>، وقال ابن العبري بأنه لم يكتب في التاريخ أكثر مما كتب ثابت بن سنان، ولولاه لجهل شيء كثير من التاريخ<sup>38</sup>. ومع ثناء المؤرخين اللاحقين على تاريخ ثابت فإنهم ساعدوا بطريق غير مباشر على التقليل من أهميته، وذلك عن طريق اللجوء بشكل مباشر إلى المصادر التي لحقت عن تاريخه، وأبرزها تجارب الأمم لسكويه، والمنظّم لابن الجوزي، والكاميل لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ ابن خلدون<sup>39</sup>، ولم يشذ عن هذه القاعدة نسبياً إلا الذهبي في تاريخه الكبير المعروف بتاريخ الإسلام، وبسيط ابن الجوزي الذي نقل بتوسع عن ثابت، ولعل بقاء كتاب مرآة الزمان مخطوطاً حتى يومنا هذا قد ساعد على عدم تقدير تاريخ ثابت بن سنان حق قدره كمصدر رئيس للحقبة التي تمتد بين عامي 365/295هـ - 907م/975م.

ينسب إلى ثابت أيضاً كتاب في وفيات الأغنياء<sup>40</sup>، وكتاب عن الحلاج اعتمد عليه النديم<sup>41</sup>، وينسب له أيضاً كتاب في أخبار مصر والشام، كان في مجلدة واحدة<sup>42</sup>، ولعل هذه

<sup>36</sup> انظر على سبيل المثال ما رواه الذهبي عن الصولي في أخبار القاهر في كتابه: العبر في خبر من غبر، 2: 13-

14. قارن أيضاً: - التويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي؛ محمد مصطفى زيادة،

القاهرة: 1980، 23: 116.

<sup>37</sup> ابن خلكان: وفيات الأغنياء، 1: 314؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 14: 695.

<sup>38</sup> ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، 170.

<sup>39</sup> عبد الجبار ناجي: تاريخ مهم للمؤرخ المتسي ثابت بن سنان، مجلة المورد العراقية، مج 2، ع 2، بغداد 1973،

235.

<sup>40</sup> شاكر مصطفى: التاريخ العربي، 2: 66.

<sup>41</sup> شاكر مصطفى: المرجع نفسه، 2: 67.

<sup>42</sup> ياقوت الحموي: معجم الأديباء، 2: 773؛ الصفدي: الوافي، 10: 286.

المؤلفات جميعاً كانت تُنَمَّا استُلت من تاريخه الكبير، ربما استلها ثابت بنفسه، أو أحد الورّاقين كما فعل الورّاق صاحب «رسالة أخبار القرامطة من تاريخ ثابت بن سنان».

ومن المدونات التاريخية التي لها شأن كبير ومن سوء الحظ أنها لم تأتِنا كاملة كتاب «التاجي في أخبار الدولة الديلمية» لأبي إسحاق الصّائبي؛ والذي أطلق عليه أيضاً كتاب «تاريخ دولة بني بويه، وأخبار الديلم وإبتداء أمرهم»، على أن اسمه الأكثر تداولاً بين المؤرخين هو كتاب «التاجي» نسبةً للقب عُضد الدولة «تاج الملة»<sup>43</sup>، وهي نسبة عادلة بالفعل، إذ إنَّ عُضد الدولة كان مؤلفاً مشاركاً في تأليفه، فقد كان أبو إسحاق يكتب الفصل تلو الفصل في تحيسته ويرسله إلى عُضد الدولة، فينظر الأخير فيه، ويُضيف إليه أو يحدف منه<sup>44</sup>.

ومن المؤسف أنه لم يصلنا من هذا الكتاب إلا قسم يسير، أطلق عليه الورّاق الذي استلّه من أصله اسم «المتنوع من كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية»<sup>45</sup>، ويحتوي على عدة فصول؛ كلها جاءت في صدر الكتاب، وسوء الحظ هي أقل أجزائه أهمية، وهي على الترتيب فصل في مساكن الديلم والحيل ومقارحهم. فصل في ذكر إسلام الديلم والجبل على أيدي من صار إليهم من العلويين. وفصل في تسمية هؤلاء العلويين واحداً بعد آخر، ونبذ من أخبارهم. فصل في خبر جعفر بن ليلى بن النعمان الديلمي<sup>46</sup>.

<sup>43</sup> ويبدو مما يذكره السخاوي أنه عَرَف أيضاً بـ «أخبار الدولة البويهية» انظر: الإعلان بالتوثيق لمن ذم التاريخ، تحقيق محمد عثمان الحشت، القاهرة 1989، 118.

<sup>44</sup> عن الظروف التي دَوَّن خلالها أبو إسحاق الصّائبي كتابه «التاجي في أخبار الدولة الديلمية» راجع الفصل الثامن.

<sup>45</sup> شاكِر مُصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، 2: 61، وأول نشرة صدرت لهذا الكتاب صدرت باعتناء محمد صابر خان، بطهران عام 1976، ونشرة أخرى صدرت ببغداد بتحقيق محمد حسين الزبيدي ببغداد عام 1977، غير أن هاتين النشرتين جد نادرتين الآن، والنشرة الأشهر للمتنوع من كتاب التاجي هي للمستشرق الألماني فيلفرد ماديلونغ وصدرت كأول النصوص في كتابه «أخبار الأئمة الزيدية» ببسبادن عام 1988.

<sup>46</sup> أبو إسحاق الصّائبي: المتنوع من كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية، ضمن كتاب «أخبار الأئمة الزيدية»، تحقيق فيلفرد ماديلونغ، ببسبادن 1988، 9-51.

وبالرغم من أن هذا الكتاب قد يُصنّف ضمن كُتُب المآثر والمناقب، وهي كتابات تُسمّى بغلبة روح التّزلف والتّملّق والتّفاق، وكثرة المُبالغات والافتِئات على المَوْضُوعِيَّة، وتُصنّف بين المؤرّخين في مرتبة أَدْنَى من غيرها في سياق المصادر الأدبيّة؛ ومُصادقاً لهذه القاعدة فإنَّ أبنا إسحاق قد بالغ كثيرًا بالِفعل في ذكر مآثر الدّيلم وكرمهم، حتى روى ما قد يابّاه العقول في هذا الصّدّ<sup>47</sup>، كما بالغ أيضًا في وصف شجاعته ويطولانيهم<sup>48</sup>، وبالغ أيضًا في إطرء عضد الدولة ومُحتده، فنسب الشّرف كلّهُ إلى القبيلة الدّيلميّة التي ينتمي إليها<sup>49</sup>، مع أن المعروف عن جدّه بويه أنّه كان صيَّادًا فقيرًا من عامّة النّاس.

لكنّ هذا لا يعني أن ما وصلنا منه لا يخلو أيضًا من فائدة، فاهميّته لا تنبع من ذاته، وإنّما تنبع من ندرة الكتابات التّاريخيّة في أخبار بني بويه بصفة عامّة، لا سيّما في مرحلة النّشأة الأولى، فهو ينفرد بأخبار ما كُنّا لنعرفها دونه، فحتى في الشّدرة اليسيرة التي وصلتنا منه نُبذ من ذكر قبائل الدّيلم وصلتها ببعضها البعض، ونشاط الدّعاة العلويّين في ولاية جيلان ديلمان حتى اعتناق أغلب الدّيلم للإسلام<sup>50</sup>، وهو ما يُشعرنا بالأسف لضَياع الأقسام الأكثر أهميّة من الكتاب، لا سيّما وأنَّ مؤلّفه كان واحدًا من كبار رجالات دولة بني بويه.

ويقتضي الإنصاف القول بأنّه لولا نقولات المؤرّخين المتأخّرين - بصفة خاصّة - منسكويه وابن الأثير - عن كتاب التّاجي لأبي إسحاق الصّابيّ؛ لجهلنا الكثير عن دولة بني بويه ورجالاتها<sup>51</sup>. وهذه الأهميّة نفسها التي استشعرها المؤرّخون المعاصرون جعلتهم

<sup>47</sup> المصدر نفسه، 9.

<sup>48</sup> نفسه، نفس الصفحة.

<sup>49</sup> نفسه، 13.

<sup>50</sup> نفسه، 15 وما بعدها.

<sup>51</sup> انظر على سبيل المثال مقدمة كوركيس عوّاد لكتاب الشّابُشتي: الدّيارات، بغداد 1966، 19، حيث إنّ المعلّومة الجيدة التي نعرفها عن مؤلّف هذا الكتاب يستقيها المؤرّخون من كتاب التّاجي في أخبار الدولة الدّيلميّة، ومنه نعرف أن الشّابُشتي هذا كان حاجبًا لوشمكير بن زيار الدّيلمي، وأنه قُتل عام 326هـ/937م.

يغضون الطرف عن مثالبه، وتكفي ما هنا شهادة أبي حيان التوحيدي المعروف بآرائه النقدية الحادة تجاه العلماء والمفكرين من معاصريه، والذي قرط الكتاب ووصفه بأنه دليل على اطلاع أبي إسحاق الصابي على حقائق السياسة<sup>52</sup>.

ولا نستطيع إنهاء الحديث عن كتاب «التاجي في أخبار الدولة الدليمية» دون الإشارة إلى اتهام الوزير أبي شجاع الروذراوري لمسكويه بالنقل حرفياً عنه، يقول أبو شجاع<sup>53</sup>:

«وهو كتاب [أي التاجي] بديع  
الرّصيف حسيّن التّصنيف، فإنّ أبا إسحاق كان  
من فُرسان البلاغة الذين لا تكبو مراكيبهم، ولا  
تنبو مضاربهم، ووجدنا آخره موافقاً لآخر كتاب  
تجارب الأمم، حتى أنّ بعض الألفاظ تتشابه في  
خاتمتهما، وانتهى القولان في التاريخ بهما إلى أميد  
واحد، والكتاب موجودٌ يُغني تأمله عن الإخبار  
عنه».

إنّ الثقة التي يتحدث بها الروذراوري عن نقل مسكويه عن كتاب التاجي حرفياً - خاصة حديثه عن أنّ الكتاب بأيدي الناس، وتسهل المقارنة لمن أراد - لا تُعطي لنا مجالاً واسعاً لافتراض المبالغة، فالوزير الروذراوري - المعروف بورعه ونقواه - لم يكن ليغامر بمصادقته عند معاصريه بطرح اتهام كهذا يسهل دحضه دون أن يكون على حق، وهذا يعني أنّ الوزير الروذراوري لم يتجنّ على مسكويه، لا سيما وأنّه ثمن جهده وأنشئ عليه في ترتيب كتابه المعروف بتجارب الأمم وتنقيحه، بل ودعا له في مقدّمته<sup>54</sup>.

<sup>52</sup> التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، 1: 68، فارن أيضاً الهمداني: تكملة تاريخ الطبري، 189.

<sup>53</sup> الدّيل على تجارب الأمم، 3: 23.

<sup>54</sup> المصدر نفسه، 5.

وبصفة عامة فإنَّ النُّقل دون الإشارة إلى المصدر في التراث العربي كان أمرًا شائعًا، ولم يكن معيبًا، ولا مدعاة للنقد في أغلب الأحيان، ولم تكن تهممة الانتحال تُطلق إلا في أضيق نطاق، وفي حال ما إذا كان النقل حُذو النعل بالنعل، ومن الحِلَّة إلى الحِلَّة، وهو ما لم يفعله مسكويه بطبيعة الحال، فتاريخه واسع المجال يغطي الأحداث منذ بدء الخليقة وحتى عصره، بينما يقتصر التاجي على تاريخ دولة بني بُوَيْه فحَسْب، إذن فلماذا وجَّه الروذراوري هذا الاتِّهام والنقد لمسكويه بانتحال أقسام بكاملها من كتاب التاجي؟.

في اعتقادي أنَّ الروذراوري استفزَّه افتتاح مسكويه لأحداث عام 340هـ/ 951م بقوله إن جميع ما سيرويه بدءًا من هذا العام وحتى نهاية تاريخه، ممَّا عاينه مباشرة أو وقَّع عنده مجرى ما عاينه، وهذا الشرط الذي ألزم به مسكويه نفسه لم يتقيد به، وعاد إلى النقل عن غيره دون أن ينسب الأخبار إلى مصادرها التي نقلها عنه، وربَّما استفزَّ الروذراوري أيضًا طول الأقسام التي نقلها مسكويه عن التاجي دون أن يُشير ولو لمرة واحدة أنَّه ينقل عن أبي إسحاق الصَّابي، والأكثر من ذلك - وهو ما لا يُمكن التماس العذر فيه لمسكويه بالفعل - هو تشابه خاتمة تاريخه مع خاتمة كتاب التاجي.

ومن اشتغل بالتاريخ من العلماء الصَّابئة أيضًا هلال بن المُحسِّن الصَّابي، والذي أراد أن يُذيل على تاريخ خال والده ثابت بن سنان، فأرَّخ لأحداث السنوات من مولده 361هـ/ 970م وحتى وفاته عام 447هـ/ 1055م، ويبدو مَبْلَغ تأثره بخاله ثابت بن سنان في اختياره لسنة ميلاده لبدء تاريخه، لذا فقد تدخل تاريخه أيضًا مع تاريخ ثابت في الأحداث من عام 361هـ/ 971م وحتى 365هـ/ 975م، وتاريخ هلال بن المُحسِّن الصَّابي تاريخ كبير، نعرف أنَّه كان يتكوَّن من أربعين مجلدًا<sup>55</sup>، وفُقد بأكمله عدا قسَمًا يسيرًا من الجزء الثامن يتضمَّن أحداث الأعوام من 389هـ/ 998م وحتى عام 392هـ/ 1001م.

ومن الواضح أنَّ هلالًا حدَّا جُذو ثابت بن سنان في تَبْوِيب كتابه، فقد نظَّم حوَلِيَّاته على

<sup>55</sup> شاكر مصطفى: التاريخ العربي، 2: 100.

أن تبدأ بذكر السَّنة وموقعها من التَّقاويم السَّريانية والفارسيَّة، ثم أهم الأحداث والوقائع خلالها، ثم الحوادث الغربيَّة والنَّوادر، مُحتَثيًا العام بذكر من تُوفي خِلاله من الأعلام، ومن المُلاحظ أن مكانة هلال السَّياسِيَّة في عصره قد أَهَلَّتْه لأن يَكْتُب التَّاريخ من موقع المُعَاين والمُشَاهِد، تمامًا كخَال وإِدْه، كما كان دائِم الذِّكر لمُصادره التي يَسْتَقِي عنها مادَّة الشَّفاهِيَّة من كَبَّار رِجَال الدَّولة من الوُزراء والحُجَّاب ومُسْئولي الدَّواوِين<sup>56</sup>، وهو يَبْدُو في هذا شَدِيد التَّأثُّر بِثَابِت بن سِنان، فكان نادرًا ما يَتوقَّف عن سَرِّيه لِيُبدِي بِرَأْيِهِ، أو يَصِف أنطِبَاعَاتِهِ، وغالبًا ما كان هلال يَتَحاشى تِلْكَ التَّنْزَعَة التي تَفَشَّت في عَصْرِهِ في كِتَابَةِ التَّاريخ، ألا وهي الإغراق في المَحَلِّيَّة والاقْتِصار على أَخْبَار قِصَّة الخِلافة، فالأزدي يَنْقِلُ عَنْهُ أَخْبَارًا تَفْصِيلِيَّة في غَزْوَةِ مُحَمَّد الغزنوي لِلْهِنْد على نَحْوِ يَصْغُب مَعَهُ الاِعتقاد أَنَّ هلال تَعَرَّض لها ولأَمْثالِها من أَخْبَار الدُّوْنِيات الإسلاميَّة المُجاوِرة لِلخِلافة عَرَضًا<sup>57</sup>.

لقد أثار نُشر هذه الشَّدَرَات التي عُثِرَ عَلَيْهَا من تاريخ هلال أَسَى المؤرِّخين على فُقْدانِ مِثْلِ هذا الأَثَرِ الجَلِيل<sup>58</sup>، ولا شَكَّ أَنَّ وَصُولَ نُسخَةٍ كَامِلَةٍ من هذا العَمَلِ إلَيْنَا كان سَيَعْمَلُ على جَلَاءِ الكَثِيرِ من الغَوَامِضِ المُرتَبِطَةِ بِأَوَاخِرِ سِنِي بَنِي بُؤْيُهِ في العِراق. وما يُضَاعِفُ من ذَلِكَ الأَسَى هو فُقْدانُ آخِرِ سِلْسِلَةِ التَّدْيِيلَاتِ المُهِمَّةِ على تاريخ الطَّبْرِي بِفُقْدانِ تاريخِ عَرَسِ النُّعْمَةِ بن هلال بن المُحَسَّنِ الصَّابِي الَّذِي ذِيلَ بِدَوْرِهِ على تاريخ وإِدْه هلال بن المُحَسَّنِ الصَّابِي<sup>59</sup>، لِضَاعِفٍ بِذَلِكَ خَسَارَتَا بِفُقْدانِ تِلْكَ النُّصُوصِ النَّادِرَةِ.

ومن كُتَابَاتِ هلال التَّاريخِيَّةِ خِلالَ تاريخِهِ كُتَابُهُ «مُخْتَصَرُ الأَمْرَاءِ فِي تَارِيخِ الوُزَرَاءِ»، وَقَدْ أَرَادَ

<sup>56</sup> هلال بن المُحَسَّنِ الصَّابِي: تاريخ هلال بن المُحَسَّنِ الصَّابِي، 3: 458.

<sup>57</sup> الأزدي: أَخْبَارُ الدَّوَلِ الْمُتَقَطِّعَةِ، 260.

<sup>58</sup> يُسْرِي عبد الغني عبد الله: مُعْجَمُ المؤرِّخين المُسْلِمِينَ حَتَّى القَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ الهِجْرِي، بِيْرُوت 1991،

184-183.

<sup>59</sup> ابن الجوزي: المُتَنَزَّم، 16: 275.

هلال بعمله هذا أن يُذيل على كتاب الجُهشيارى «الوزراء والكتاب»<sup>60</sup>، وهو واحد من أهم المصادر التي وصلت إلينا وقدّمت لنا صورة واضحة عن الأوضاع الماليّة والاقتصاديّة والإداريّة خلال النصف الأوّل من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي<sup>61</sup>، وبخاصّة إبان وزارة علي بن عيسى بن الجراح، وأبي الحسن عليّ بن الفُرات<sup>62</sup>، ولدينا أدلّة عديدة أن الكتاب لم يصلنا كاملاً، فقد نقلت بعض المصادر من الكتاب أخباراً تتعلّق بوزراء من العصر البُويهي، كالصاحب بن عبّاد، وابن العميد<sup>63</sup>، والوزير أبي مُحمّد المهلّبي<sup>64</sup>، وهذه الأخبار لا وجود لها في النسخة الوحيدة التي عُثر عليها من هذا الكتاب.

ومن ضمن كتابات هلال بن المُحسن الصّابي التّاريخيّة كتابه الشّهير «رُسوم دار الخِلافة»، وهو كتابٌ فريدٌ في بابهِ، ولا أخسب أن أحداً من سابقيه قد صنّف في بابهِ، وهو يتناول الرُسوم [أي قواعد البروتوكول كما في عصرنا الآن] المتبعة في دار الخِلافة، وما يجب فعله عند المثول بين يدي الخليفة، وما يُستحب من القول، وما يُترك منه عند مخاطبة الخلفاء، وغيرها من أنواع الآداب المرعية عند دخول دار الخِلافة والتّجول فيها<sup>65</sup>.

ومن مؤلفاته في التّاريخ أيضاً كتاب «الأمائل والأعيان، ومُتسدى العواطف والإحسان»<sup>66</sup>، وهو كتابٌ في التّوادر والطّرف التي وقعت من الأعلام والشّخصيّات العامّة

<sup>60</sup> السّخاوي: الإعلان بالتّوبيخ، 119؛ ميخائيل عوّاد: نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس الجُهشيارى، بيروت 1964، 8، وقد وجّه هلال نقدًا للصّولي في كتابه الوزراء - وهو مفقود - وذكر أنّه حشاه بما لا فائدة منه، تحفة الأمراء، 4.

<sup>61</sup> رجاء جوهر: الحياة الاجتماعيّة كما يُصوّرها الصّابي في كتابه الوزراء، رسالة ماجستير غير منشورة، بكلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، بالجامعة اللبنانيّة، بيروت 1979، 24؛ حسن مُنيمة: تاريخ الدّولة البُويهيّة السّياسي والاقتصادي والاجتماعي، بيروت 1984، 27.

<sup>62</sup> DOMINIQUE SOURDEL: *L'originalité du Kitab Al-Wuzara'*, p 273.

<sup>63</sup> الأزدي: بدائع البِدائَة، تحقيق عماد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1970، 100-177-353.

<sup>64</sup> ياقوت الحموي: مُعجم الأدباء، 1: 133.

<sup>65</sup> مُقدّمة هلال بن المُحسن لكتاب رُسوم دار الخِلافة، 5-6.

<sup>66</sup> الذّهبي: تاريخ الإسلام، 12: 27؛ شاكِر مُصطفى: التّاريخ العربي، 2: 101؛ ابن العباد: شذرات الذّهَب، 5: 207؛ ابن خُلّكان: وفيات الأعيان، 6: 101.



في عصره كما نستقي ذلك من حديث ابن خلّكان عنه<sup>67</sup>. وقد نسج ابنه غرس النعمة على منوال كتاب أبيه هذا في كتابه الذي أسماه «الهفوات النادرة».

## الجغرافيا

يُعد ثابت بن قُرة من أكثر علماء الصّابئة اهتمامًا بهذا العلم، تشهد بذلك مُدُوناته في هذا العلم، فله رسالة عُنوانها «السَّبب الذي من أجله جُعِلت مِياه البَحْر مالحَة»<sup>68</sup>، اعتمد عليها البيروني<sup>69</sup>، ومن كتاباته الجغرافية الأخرى «رسالة في سبب كون الجبال»، وكتاب في الأقاليم السبعة أسماه «جوامع المسكونة»، وكتاب في «قسمة الأرض»، كتبه إلى الوزير أبي القاسم عبيد الله بن سليمان، ورسالة أخرى في الأزصاد الجوية بعنوان «الآثار التي ظهرت في الجو، وأحوال كانت في الهواء ممّا رصد بنو موسى وأبو الحسن ثابت بن قُرة»، وكتاب في «الأنواء»<sup>70</sup>، كما دوّن سينان بن ثابت رسالة في «مقدار خط الاستواء»<sup>71</sup>.

ومن علماء الجغرافيا الصّابئة رجلٌ يُسمّى قُرة بن قَمِيظًا الحَرَاني، رَسَم خريطة للعالم، وأطلق عليها اسم «صِفَةُ الدُّنْيَا»، ويقول النديم أنّ ثابت بن قُرة انتحلها لنفسه، وأنّه هو نفسه - أي النديم - رأى تلك الخريطة مرسومة على ثوبٍ دَبِيقي باسم صَانِعِهَا الأَصْلِي<sup>72</sup>.

ومن الجغرافيين الصّابئة هِلَال بن المُحَسَّن الصّابئ، وله كتابٌ في خِطَط بَغْدَاد أسماه «كتاب بَغْدَاد»، وهو من أهمّ المصادر التي رصّدت تطوّر خِطَط بَغْدَاد من النّاحية العُمُرانيّة<sup>73</sup>،

<sup>67</sup> وفیات الأعيان، 1: 330، 3: 427.

<sup>68</sup> النديم: الفهرست، 2: 228.

<sup>69</sup> البيروني: تحديد نهايات الأماكن، 51-52.

<sup>70</sup> ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 299.

<sup>71</sup> ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، نفس الصفحة.

<sup>72</sup> الفهرست، 2: 466؛ أحمد تيمور: أعلام المهندسين، 25.

<sup>73</sup> MARIUOS CANARD: Baghdad au IV<sup>e</sup> siècle de l'Hègire- X<sup>e</sup> siècle de l'Ère Chrétienne, Arabica, Vol.

III, 1962, p 19. جورج مقدسي: خِطَط بَغْدَاد في القرن الخامس الهجري، 29-30.

وقد فُقد هذا الكتاب، لكن لحسن الحظ اعتمد عليه الخطيب البغدادي في القسم الجغرافي من كتابه «تاريخ بغداد» بشكلٍ موسَّع<sup>74</sup>، كما كان من أهمِّ مصادر الرسالة المُسمَّاة «مناقب بغداد» والمنسوبة لابن الجوزي<sup>75</sup>. وكذلك ياقوت الحموي في مادة بغداد وضواحيها في كتابه مُعْجَم البلدان<sup>76</sup>.

ويبدو من استقراء النُّقولات التي استقاها كُلُّ من الخطيب البغدادي وابن الجوزي عن «كتاب بغداد» أنَّ هلال بن المُحسَّن الصَّامِي لم يكتفِ بالنُّقل عن غيره، بل حاول رَسْم خَريطة لبغداد بالمُعَايَنَةِ المباشِرة، فوصف الجانب الشرقي من بغداد، ثم اهتم بدراسة ما أصابه بعد الفتن التي أصابت بغداد إبَّان الأحداث التي أعقبت فتنة البساسيري، ليقدِّم لنا صورةً نابضةً بالحياة لمحلَّات الجانب الشرقي من بغداد كسوق السَّلاح، والرُّصافة، ومُربَّعة الخُرشي، وما استجدَّ عليها بعد تلك الأحداث<sup>77</sup>.

وفضلاً عن كتاب بغداد هناك مجموعة من الرسائل الجغرافيَّة الخاصَّة والنَّادرة المُتبادلة بين هلال بن المُحسَّن وبين الطَّبيب النَّصراني ابن بَطلان، في وصف أعالي الشَّام، اعتمد ياقوت على إحداهما في وصف مدينة أنطاكيَّة<sup>78</sup>، واعتمد عليها في موضع آخر في وصف حلب<sup>79</sup>، ووقفَ عليها القُفْطِي لحسن الخطِّ وأوزدها كامِلة<sup>80</sup>، وهي رسائل من الواضح أنَّ تاريخ تدوينها يَراوح بين عامي 440-450هـ/ 1048-1058م<sup>81</sup>، وهي على كُلِّ حالٍ تُظهر مدى سَعْفِها بالجُغرافيا ووصف البلدان، وكذا أدِّيان ساكنيها، وعاداتهم وتقاليدهم.

<sup>74</sup> الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، 1: 350-351، 416-417-420-425-439.

<sup>75</sup> ابن الجوزي: مناقب بغداد، تحقيق مُحمَّد بَهْجَة الأَثري، بغداد 1342هـ 33-34.

<sup>76</sup> مُعْجَم البلدان، 2: 289.

<sup>77</sup> ابن الجوزي: المُنتظم، 8: 82-83.

<sup>78</sup> ياقوت: المُصدر نفسه، 1: 316-317.

<sup>79</sup> نفسه، 2: 326-327.

<sup>80</sup> إختيار العُلَماء، 193-195؛ فيه: أحوال النُّصارى، 280.

<sup>81</sup> ياقوت: مُعْجَم البلدان، 2: 316-317؛ ابن شدَّاد: الأَعْلَاق الحَظِيرَة، 2: 358؛ ويعتقد كراتشكوفسكي

بأن هذه الرِّسائل كانت في الأصل رسالة واحدة تضمَّنت وصف الطَّرِيق من بغداد إلى مصر، تاريخ الأدب الجغرافي، 287-288.

وقد نشأ علم السياسة المدنية كأحد فروع الفلسفة الإغريقية، وكان أفلاطون PLATO وأرسطو طاليس ARISTOTELES من أبرز رواد ذلك الفن من الكتابات التي تخصصت في دراسة السبل المثلى لسياسة الرعية وصلاح المجتمع، وقد اهتم العلماء الصابئة بهذا الفن، فترجموا وزادوا بالشروحات على كتاب السياسة لأرسطوطاليس، ثم تفتنوا في إضافة الكثير مما رأوه يناسب طبيعة البيئة الشرقية وبنية المجتمع في عصرهم، وكانت جهودهم في هذا الصدد هي اللبنة الأولى في نشأة علم السياسة الشرعية فيما بعد، والذي يعد الفقيه الحنبلي أبو يعلى الفراء المؤسس الحقيقي له، والذي بلغ أوجهه على أيدي الماوردي، والوزير نظام الملك الطوسي.

على أي حال فقد صنف ثابت بن قرة «رسالة في السياسة»<sup>82</sup>، كما قدم شروحات على كتاب أفلاطون في السياسة في رسالته المسماة «حل رموز كتاب السياسة لأفلاطون»، كما صنف ثابت بن سنان «رسالة في السياسة» أهداها إلى الأمير بجكم، ورسالة أخرى في السياسة أهداها إلى أمير الأمراء ابن رائق، ورسالة أخرى في السياسة أهداها إلى الوزير علي بن عيسى<sup>83</sup>.

وثمة رسالة أخرى في السياسة وضعها أبو إسحاق الصائبي وأهداها لعضد الدولة، وأورد الثعالبي فقرات منها تتضمن بعض نصائح للملوك في طرق التعامل العادل والرّصين والحاظ مع الرعية<sup>84</sup>. ويبدو أن تلك الرسالة لم تكن الوحيدة لأبي إسحاق الصائبي في علم

<sup>82</sup> المصدر نفسه، والصفحة.

<sup>83</sup> القفطي: إخبار العلماء، 133؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي 6: 36.

<sup>84</sup> الثعالبي: آداب الملوك، تحقيق جليل العطية، بيروت 1990، 60.

السِّيَاسة، فالثعالبي يعود في موضع آخر ليزوي على لسان أبي الفتح البُستي الكاتب أنه اطلع على رسالة كتبها أبو إسحاق الصَّابئ وهي «في حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى في اِخْتِلاف طبَقَاتِ النَّاسِ، وافتقارهم إلى الملوك والوزراء، وحاجة بعضهم لبعض، واطِّراد العلم بهذا التدبير»<sup>85</sup>، كما دون هلال بن المحسن الصَّابئ كتابًا أطلق عليه اسم «كِتَابِ السِّيَاسة»<sup>86</sup>، ولا يملك المرء إلا أن يشعر بالأسى لضیاع ذلك الثَّراث الغني والذي لم يتبقَّ منه سوى أسماء دون مُسمَّيات.

<sup>85</sup> المصدر نفسه، 128.

<sup>86</sup> الصَّفدي: الوافي بالوفيات، 27: 219.

## الفصل

### الثالث عشر

13

## إسهامات الصابئة

### في الآداب والترجمة

بِرسائل الصَّابِي أَبِي إِسْحَاقِ  
ذُو الْبَرَاءَةِ سَلَوَةَ الْعُشَّاقِ  
يَحْيِي لَنَا الْأَطْرَافَ فِي الْأَعْيَانِ  
تَبَّتْ بِدَائِعُهُ عَلَى الْأَحْدَانِ

أَصْبَحْتُ مُشْتَاقًا حَلِيفَ صَبَابَةٍ  
صَوَّبُ الْبَلَاغَةِ وَالْمَلَاوَةِ وَالْجَمَى  
طَوْرًا كَمَا رَأَى النَّسِيمَ وَتَارَةً  
لَا يَبْلُغُ الْبُلْعَاءُ شَأْوَ مُبَرَّرٍ

الشَّعَالِي

يُعدُّ أبو إسحاق الصَّابِيُّ واحدًا من أبرز الأدباء في تاريخ الإسلام قاطبة<sup>1</sup>، إذ لا يُمكن أن تُذكر البلاغة من دون الإشارة إلى أبي إسحاق الصَّابِيُّ، ودوره في تطوُّر فنِّ النثر لا سيَّما خلال النِّصف الثاني من القرن الرَّابِع المُهجري/ العاشر الميلادي، ولعلَّ ولع أبي إسحاق في صباه بفنون العربيَّة وبصفة خاصَّة فنيِّ النثر والشعر هو ما جعله يُضرب عن صناعة أسلافه بدراسة الطُّب، ويتفرَّغ للتَّحصيل في الأدب، ويُقرأ بِنَهَمٍ كل ما يَصِل إلى يده من ذخائر البُلغاء<sup>2</sup>، فقد كان أبو إسحاق الصَّابِيُّ من أشدَّ المتأثرين بأسلوب مُحَمَّد بن عَبْدكَان<sup>3</sup> كاتب الدولة الطُّولونيَّة البليغ، ولطالما وصفه بأنَّه إمامه في كتابة المنشور وصناعة الإنشاء<sup>4</sup>.

وكانت بلاغة أبي إسحاق الصَّابِيُّ وسلاسة أسلوبه في الكتابة، وعذوبة ألفاظه، وإصابته للمعنى بأيسر الطُّرُق أبرز سماته، لذا كان مُعاصروه يتهافون على قراءة نماذج من نثره، وكان الورَّاؤون يتلهَّفون على رسائله، وعندما كان ورَّاق يظفر ببعض من رسائل الصَّابِيِّ كان يَنسخُها على القُور، ويتهافت عليها النَّاس في أسواق الورَّاقين، ومن حُسن الحظ أن وصلت إلينا معظم رسائله الدِّيوانية، ومُراسلاته مع الشَّريف الرُّضي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> النَّدِيم: الفهرست، 2: 416؛ ابن العِمْراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السَّامرائي، منشورات المعهد الهولندي للأثار الشرقيَّة، ليدن 1973، 183؛ العَبَّاسي: آثار الأول في ترتيب الدُّول، تحقيق عبد الرَّحْمَن عُميرة، بيروت 1989، 153؛ نظامي عُرُوضي سَمَرْقندي: جَهَّار مقالة، 23؛ ابن خلدون: العبر، 1: 796؛ ابن العِمَّاد: شذرات الذهب، 4: 439؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، 3: 380.

<sup>2</sup> ياقوت الحمَوي: مُعْجَم الأَدَباء، 1: 142-143.

<sup>3</sup> مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن مودود المعروف بابن عَبْدكَان (ت 270هـ/ 833م) تولى ديوان الإنشاء بمصر على أيَّام أحمد بن طُولون، وظل كاتبًا فيما بعد لابنه خوارويه، ووصف بالبلاغة والتَّقدم والحدِّق في صناعة الإنشاء، وله ديوان رسائله - الذي فُقد للأسف - وكان في عشر مجلدات، عنه انظر الصَّفدي: الوافي، 3: 255-256.

<sup>4</sup> التَّوحيدي: الإمتاع والمُؤانسة، 1: 67.

<sup>5</sup> أبو حَيَّان التَّوحيدي: أخلاق الوزيرين، 415.

جمع أبو إسحاق الصَّابِيُّ في حياته مجموع رسائله في ديوان واحد، بلغ نحو السَّبع مجلَّدات، أي قرابة الألف ورقة<sup>6</sup>، وقسمها موضوعيًا، فأفرد القسم الأوَّل لرسائل الدِّبوان في الفتوح والمناسير وأمثالها، والثاني للعهود والتَّقليدات، والثالث ما تُنفذ إلى الولاة وأصحاب النّواحي والمُتصرِّفين في الأعمال، والرَّابع في التَّعازي، والخامس في المُعَاتبات، والسادس في الشِّفاعات، والسَّابع في التَّهاني.

ورغم أنَّ بعض عناوين تلك الأقسام يُثير فضول المؤرخ قبل غيره من المهتمين بتطوُّر الأدب العربي في العصور الوسطى<sup>7</sup>، لا سيَّما أنَّ قسَمًا غير يسير من هذه الرسائل تعدُّ وثائق بالمعنى الحرفي لذلك التعبير، لكن هذه الرسائل ظلَّت تُعاني الإهمال حتَّى من جانب المؤرِّخين القُدما الذين لم يكثرُوا إلَّا لقيمتها الأدبيَّة، اللهمَّ إلا باستثناءات طَيفة، فاهمذاني أورد منها فقرات في وصف استقبال الطَّائع لِعُصْد الدَّولة بعد هزيمته للأتراك<sup>8</sup>، والذهبي لفتت نظره تلك الرِّسالة التي أمر فيها الحَلِيفَةُ المُطيع بدمج سستي 350هـ - 351هـ / 961-962م الحِراجيَّة وتَرْحِيلها إلى سنة 352هـ / 963م<sup>9</sup>، ورغم أنَّ القلقشندي توسَّع في نقل نصوص مُطوَّلة من رسائل الصَّابِي، وأحيانًا رسائل بأكملها، فإنَّه أيضًا في هذا لم يَكُنْ يَكثرُث إلَّا للجانب الأدبي من الرسائل، وذلك لِيَنسَج المُنَاخِرُونَ على مِنوالها<sup>10</sup>. ورغم ذلك فإنَّنا ندين

<sup>6</sup> النَّدِيم: الفهرست، 2: 416-417؛ ابن الجبري: تاريخ مختصر الدول، 176.

<sup>7</sup> M. VAN DAMME: *Les Quarante-Deux premieres lettres du Secetaire Buyide Abu Ishaq Al-Sabie leur repartition dans quelques Autres MS. Arabica*, tome XXI, 1974. pp. 184-186. وعن الأهمية التاريخية

لِلرسائل انظر: شَاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، 60-61؛ حسن مُنيمة: تاريخ الدولة البويهيَّة، 33. جان سُوفاجيَّة؛ كلود كاين: مصادر دراسة التَّاريخ الإسلامي، 217؛ كارل بُروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 2: 120؛ كلود كاين: بَنُو بُوِيه، 8: 476.

<sup>8</sup> اهِمَذاني: تَكْمِلَةُ تاريخ الطَّبْرِي، 438.

<sup>9</sup> الذَّهَبِي: تاريخ الإسلام، 26: 5.

<sup>10</sup> القَلْقَشَندي: مآثر الإِثافة في معالم الخِلافة، تحقيق عبد الستَّار أحمد فَرَّاج، بيروت 1980، 3: 12-151-158-170-175-212-254-284.

لافتيات المصادر المطوّلة من رسائل الصّابيّ، إذ إنّ بعض تلك الرسائل قد فقدت في المخطوطات التي وصلتنا من ديوان الرسائل وخاصة القسم الخاص باليهود<sup>11</sup>.

والتأمل في رسائل الصّابيّ يلحظ أنّ الرّجل يتمتّع بحسّ فلسفيّ راق، وعمق في الأفكار، وحكمة عميل ولعه بدراسة الفلسفة على صقلها، فالمسألة إذن ليست جزالة في الألفاظ وفخامة في التعبير فحسب، بل فكرة أو حكمة تُصاغ بأسلوب أدبيّ رفيع، ولعلّ تلك الحكمة المستترة في عباراته هي ما جعلت طالبي الأدب واللغة شغوفين بمطالعة كتاباته، من ذلك قوله في رسالة تعزية أرسلها إلى الوزير أبي الفتح بن العيميد وزير رُكن الدولة في وفاة والده الوزير أبي الفضل بن العيميد<sup>12</sup>:

«لكنّه [أي الإنسان] يتنقّل في هذه المراتب مُكرّها لا طائعا، ومُجبرّا لا مُختارا، فمن ذلك أنه يستقرّ في الرّجيم استقرار الموافقة، ويستوطنُ استيطان الملاءمة، فلو كان هناك عقل مع الحسّ لكره النّقلة عن موضعه؛ لظنّه أنّه أوطأ مواضعه، ولجهله بالأمر الذي فوقه، وهذه صورته في دُنياء، تُريه البصريّة أنها خيرُ مواطنه فيفارقها ضيّنا بها، مُتأسفا عليها، وهو إذا حصل في التي بعدّها حمد الله على ما صار إليه، ولم يُحبّ العود إلى ما كان فيه».

ومن ضمن ما يُلفتُ النّظر في أسلوب الصّابيّ الأدبي معرفته المُمتازة بالقرآن الكريم، وكثرة استشهاده بآياته، ونسجه على مُنواله، وهي ظاهرة لفتت أنظار مُعاصريه، خاصّة وأنّ

<sup>11</sup> ثمة رسائل انتخبها بعض الكتّاب لا وجود لها في المخطوطات التي وصلتنا للرسائل، انظر على سبيل المثال: - الخطيب البغدادي: التّطفيل وحكايات الطّفيّلين وأخبارهم ونوادير كلامهم وأشعارهم، القاهرة 1983، 76.

<sup>12</sup> رسائل أبي إسحاق الصّابيّ، نسخة مكتبة الجامع الأزهر، ورقة 30.



الرجُل كان ذميًّا<sup>13</sup>. وبرغم كل ما قد يُقال عن بلاغة الرَّجُل، ومهارته في صياغة عباراته واختيار ألفاظه، فإنَّ هناك سمةً سلبيةً تُلاحظ بسهولة في أسلوب الصَّابي في النَّثر، فهناك نزعة ملحوظة إلى السَّجع والتَّقفية، يحرص عليها الرَّجُل، حتى لو أدَّى ذلك إلى تَكَرُّر المَعْنى، وهذه السَّمة مُتفشِّية في رسائله ومثُوراته، من ذلك قولُه في رسالة استيعاب منه إلى عليِّ بن الحُسين بن إبراهيم عامل البصرة:-

«ولكنَّ اجتماع مُتفرِّقاتٍ من جهتك يا سيدي - كانت تسهل من غيرك - حرَّكني لهذه المخاطبة، وحلَّني على المعاببة، وقد كانت مغمورة في مواهب الله بك عندي، مغفورة في جنب قديم برك بي، غير موجودة في حُسباني، ولا داخلة في حسابي، فاضطررتني الإفلاس - وقتي هذا - من كل ما يرفع طرفًا، أو يبلِّ قلبًا، إلى التَّفَتُّيش عليها، وسلوك طريق اليهودي في نظره في دواوينه العتيق، حتى آثرتها، وما أهون أذاها إن نَضَضْتُ، وأذهب من همِّي إن استأنفت».

وكانت هذه السَّمة الواضحة مدعاةً لِنَقْدٍ وجَّهه ضياءُ الدِّين ابن الأثير لأبي إسحاق الصَّابي بسبب ولعه بالسَّجع والتَّقفية، واضطناعه ذلك حتى لو أدَّى إلى تَكَرُّر المعاني، لكنه لم يسعه إلا الإشادة به، وبأنَّه لم يقصد الوضع من مترلته، وكيف يعييه وهو إمَامُ ذلك الفنِّ، والواحد فيه - على حدِّ تعبيره<sup>14</sup>. لكن ابن خلدون ردَّ ابن الأثير وأتمسَّ العُذر لأبي إسحاق الصَّابي في إشرافه في السَّجع والتَّقفية، وبرَّر اضطرابه لذلك بأنَّ أبا إسحاق قد ألزِم ذلك

<sup>13</sup> ضُبِح الأَعشى، 1: 195؛ حسين ييُوض: فضل الكتابة وصلتها بالسياسة، مقال منشور ضمن كتاب أبحاث عربية، والمُهدى إلى المُستشرق فولفديريتش فيشر بمناسبة بلوغه الخامسة والسِّتين، تحرير إسماعيل الأثري، بيروت 1994، 303.

<sup>14</sup> ضياءُ الدِّين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكُتَّاب والشَّاعر، تحقيق أحمد الحُوفي؛ بدوي طبانة، القاهرة د.ت. 1: 217-218، 254.

بسبب غلبة العُجْمة على ملوك بني بويه، واستساعتهم السَّجع في العريَّة<sup>15</sup>. وقد يكون ابن خلدون مُحَقِّقاً بعض الشيء في اعتقاده هذا، لكن المسألة - في اعتقادي - أن الرَّجل كان يتماشى بصناعتِهِ مع موجة ذوق عام تَفَشَّت في عصره، وهو نظم النَّثر على مثال الشعر، وهو أسلوب عام تميَّز به فنُّ النَّثر في القرن الرَّابِع الهجري<sup>16</sup>.

ولكن بالمُجمل ظلَّ أبو إسحاق محلَّ تقدير الأدباء والكتَّاب والمؤرِّخين حتَّى أن ابن فضل الله العمري وصفه بأنه في فنِّ النَّثر بمنزلة امرئ القيس في الشعراء، فهو إمام القوم وحامل لوائهم<sup>17</sup>، وقال عنه الوزير أبو الفضل بن العميد «إنَّ الكتابة تدعِّيه بأكثر ممَّا يدعِّيها، والبلاغة تتحلَّى به بأكثر ممَّا يتحلَّى هو بها»<sup>18</sup>. وقرَّظه الثعالبي بقوله: «أوحَدُ العراق في البلاغة، ومن به تُنثِّي الحناصِر في الكتابة، وتُنْفِق له الشَّهادات له ببلوغ الغاية في البراعة والصَّناعة»<sup>19</sup>. وقال الوزير الصَّاحب بن عباد عنه «ما بقي لي أملٌ إلا أنِّي أدخل العراق، وأستكتبُ أبا إسحاق الصَّابِي»<sup>20</sup>.

وقد ذَكَر أبو حيَّان التَّوحيدي أنَّ لأبي إسحاق رسالة في تفضيل النَّثر والنَّظم<sup>21</sup>، لكن هذا الخبر لم يُؤكَّد من قِبَل مَصْدَرٍ آخر، ولعلَّ التَّوحيدي كان يُشير إلى رسالة «الفرق بين الشَّاعر والمُترسِّل»، والتي نُسبت على سبيل الخطأ لأبي سعيد سنان بن ثابت<sup>22</sup>. ولأبي إسحاق

<sup>15</sup> ابن خلدون: العبر، 1: 803.

<sup>16</sup> شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، القسم الخاص بالعضد العبَّاسي الثاني، 560.

<sup>17</sup> ابن فضل الله العمري: مسالك الأَبصار، 12: 9.

<sup>18</sup> التَّوحيدي: أخلاق الوزراء، 414-415.

<sup>19</sup> الثعالبي: يتيمة الدهر، 2: 233.

<sup>20</sup> الصَّفدي: الوافي بالوفيات، 6: 103.

<sup>21</sup> التَّوحيدي: المُقابسات، 261.

<sup>22</sup> ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 304.

أَيْضًا فِي مَجَالِ التَّرْسُلِ وَكِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ كِتَابٌ دَعَاهُ بِـ«الْإِخْوَانِيَّاتِ وَالسُّلْطَانِيَّاتِ»<sup>23</sup>، نُسِبَ أَيْضًا بِطَرِيقِ الْحَقَطَاءِ لِسِنَانِ بْنِ ثَابِتٍ<sup>24</sup>.

وَمِنْ رُؤَادِ فَنِ الثَّرِّ وَكِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ مِنَ الصَّابِئَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ أَبُو الْحَطَّابِ الْمُفَضَّلُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الصَّابِي، وَقَدْ خَلَفَ ابْنُ عَمِّهِ عَلَى رِثَاةِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ لَعْدَةَ سَنَوَاتٍ عِنْدَمَا تَوَلَّى أَبُو إِسْحَاقَ إِمَارَةَ الْبَصْرَةِ وَأَعْمَالَهَا<sup>25</sup>، كَمَا اسْتَكْتَبَهُ الْوَزِيرُ الْمُهَلَّبِيُّ عِنْدَمَا اسْتَخْلَفَ أَبَا إِسْحَاقَ لِنُوبِ عَنْهُ فِي الْوِزَارَةِ<sup>26</sup>، وَعَلَى الْأَرْجَحِ جَمَعَ أَبُو الْحَطَّابِ مَجْمُوعَ رِسَائِلِهِ أَوْ مُقْتَطَفَاتٍ مِنْهَا فِي كِتَابٍ، وَرَبَّمَا كَانَ هَذَا مَا يُبَرَّرُ الْاِقْتِبَاسَاتِ الْمُطَوَّلَةَ لِلْقَلَقَشَنْدِيِّ مِنْ رِسَائِلِهِ<sup>27</sup>. لَكِنَّهُ بَلَا شَكٍّ لَمْ يَبْلُغْ مَهَارَةَ ابْنِ عَمِّهِ الْأَدَبِيَّةِ، وَلَا ذَوْقَهُ الرَّفِيعِ فِي اخْتِيَارِ الْأَفَاطَةِ.

وَمِنَ الْمُلَاحَظَةِ أَنَّ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ وَابْنِ عَمِّهِ الْمُفَضَّلِ، وَالَّتِي لَمْ تَكُنْ تَتَّسِمُ بِالْوُدِّ قَدْ أَثَرَتْ الْحَيَاةَ الْأَدَبِيَّةَ فِي عَصْرِهِمَا، فَبَيْنَمَا كَانَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي يَمِيلُ لِلشَّاعِرَانِ الْمَعْرُوفَيْنِ بِالخَالِدَيْنِ، وَيَصِلُهُمَا وَيُعَادِي مِنْ يُعَادِيهِمَا، كَانَ الْمُفَضَّلُ يَدْعِمُ عَدُوَّهُمَا اللَّدُودَ السَّرِيَّ الرَّفَاءَ وَيَصِلُهُ بِالْجَلْعِ وَالْمُهْدَايَا، وَكَانَ كُلًّا مِنْهُمَا يَسْتَحِثُّ صَاحِبَهُ عَلَى مَذْجِهِ أَوْ هِجَاؤِهِ الْآخَرَ، مِمَّا أَثَرَى الْحَيَاةَ الْأَدَبِيَّةَ آنَ ذَاكَ<sup>28</sup>.

وَمَنْ كَتَبَ فِي أَصُولِ كِتَابَةِ الْإِنْشَاءِ سِنَانُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ قُرَّةَ الَّذِي أَلَفَ كِتَابًا جَعَلَهُ رِسَالَةً إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ مِنَ الْكُتَّابِ<sup>29</sup>. كَمَا صَنَّفَ الْبَتَّانِيُّ الْفَلَكي رِسَالَةً أَدَبِيَّةً بِعُتْرَانِ «دَوْرَةِ الْعُمَرِ فِي

<sup>23</sup> ابْنُ الصَّبْرِ فِي: الْقَائِنُونَ فِي دِيْوَانِ الرِّسَائِلِ، تَحْقِيقُ أَيْمَنُ فُؤَادِ سَيْدٍ، الْقَاهِرَةُ 1990، 24.

<sup>24</sup> ابْنُ أَبِي أَصْبَغَةَ: الْمَضْرُورُ نَفْسُهُ، 304.

<sup>25</sup> رَاجِعِ الْفَضْلَ الثَّامِنَ.

<sup>26</sup> التُّرْحِيدِي: الْإِنْتَاعُ وَالْمُؤَانَسَةُ، 3: 213.

<sup>27</sup> صُبْحُ الْأَعْشَى، 2: 442، 9: 127-128.

<sup>28</sup> انْظُرْ رِسَائِلَ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ: نُسخة تشيستر بيتي، ورقة 77 ظ وما يليها، قَارَنَ: - الصَّفْدِي: الْوَاقِي، 15:

87-88.

<sup>29</sup> الْمُسْعُودِي: مَرْوَجُ الذَّهَبِ، 1: 11-12.

الجار السوء، والولد العاق، والمرأة السيئة الأخلاق»<sup>30</sup>. وكان هلال بن المحسن الصّابي أحد رواد فنّ النثر، وإن لم يكن أيضًا يُقاس بجده، وكان يدرس على اللغويين ويخضّر مجالسهم قبل إسلامه<sup>31</sup>، ويُفهم ممّا ذكره هو نفسه أنّه كان يذهب وهو شابّ يافع مع جده لُيساعده في إدارة الديوان، وأنّه كان يكتب له أيام تولّي أبي إسحاق للديوان في عهد صمصام الدولة<sup>32</sup>.

وله بالإضافة إلى مجموع رسائله - التي فقدت لسوء الحظّ - كتاب «غرر البلاغة»، قصّد منه وضع عددٍ من النماذج الجاهزة لكتبة الإنشاء للنسج على منوالها، خاصّة في رسائل السُلطانيّات والإخوانيّات، والتعازي والتّهاني، وغيرها من فنون وضروب كتابة النثر<sup>33</sup>، على أنّ أهمّ ما في كتابه من الوجهة التّاريخيّة رسالة في وصف الحرب التي جرت بين مُشرّف الدولة وبين أحد الثّوار والّخارجين عليه، وبها وُصف تفصيلي للمعركة التي جرت بواسط سنة 411هـ/ 1020م<sup>34</sup>، وهي مُصدّر لا غنى عنه للمُهتمين بتطوّر الجيش في العصر البُويهي وكذا تطوّر التكتيكات العسكريّة بالعصر العبّاسي بصفّة عامّة.

## الشعر

ممن قرّض الشعر من الصّابئة رُوح بن سنان الحرّاني الشّاعر<sup>35</sup>، ولا نعرف عنه شيئاً سوى اسمه، وأنّه كان يجتمع بالبصرة مع بعض الشعراء والأدباء بالبصرة كالحليل بن أحمد الفراهيدي، والسّيد بن مُحمّد الجُميري الشّاعر، وصالح بن عبد القدّوس، وبشار بن بُرد،

<sup>30</sup> البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام، 15-16.

<sup>31</sup> ابن الأثيري: نزّهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق عمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1998، 303.

<sup>32</sup> هلال بن المحسن الصّابي: تحفة الأمراء، 170.

<sup>33</sup> القلقشندي: مآثر الإنافة، 2: 262.

<sup>34</sup> هلال بن المحسن الصّابي: غرر البلاغة، تحقيق عمّد الدياجي، الدّار البيضاء 1988، 401-420.

<sup>35</sup> ابن الجوزي: المُستظّم، 8: 82-83، ابن تغري بّردّي: النّجوم الزّاهرة، 1: 432.

وحمّاد عَجْرَد، وابن رأس الجألوت اليهودي الشاعر، وابن نظير النَّصْراني، وعُمر ابن أُخْتِ المؤيَّد<sup>36</sup>.

كما نعرف أن ثابت بن قُرة كان يقرض الشعر، بل وألّف رسالة في «العروض»<sup>37</sup>، ومن أشهر من أجاد قرض الشعر من الصّابئة أبي إسحاق الصّائب<sup>38</sup>، وكان شاعراً مُحسّناً<sup>39</sup>، وله ديوان شعره<sup>40</sup> والذي فقد للأسف، ولم يصلنا منه سوى ما نقلته المصادر منه، أغلبها عند الثعالبي في يتيمة الدهر، وتفرّق منه نتف في كتاب الفخري لابن الطقطقي، والمنتظم لابن الجوزي، كما توجد منه أجزاء متفرقة وردت في محاضرات الراغب الأصفهاني، وزهر الآداب للحصري، وبهجة المجالس لابن عبد البرّ، وفي إرشاد الأديب لياقوت الحموي، ونهاية الأرب للنويري، وكثر الدُرر للدواداري، ورسائله إلى الشريف الرضي، بالإضافة إلى ديوان رسائله بطبيعة الحال. ومَن قرض الشعر أيضًا من الأدباء الصّابئة وأجاد فيه هلال بن المحسن الصّائب، وكانت مرثيته التي رثى بها الشريف الرضي من أبرز إبداعاته الشعرية<sup>41</sup>.

ومن الملاحظ أن الموسيقى لم تحظَ بشكلٍ عام باهتمام الصّابئة، قياساً بغيرها من الميادين الفنية التي شهدت زخماً لإبداعاتهم، لكن هذا الفن استهوى ثابت بن قُرة، فصنّف فيه، وله في هذا الصّدّد كتاب في «الموسيقى»، و«رسالة إلى عليّ بن يحيى المنجّم فيما أمر بإثباته من أبواب

<sup>36</sup> ابن تغري بردي: المصدر نفسه، 2: 37.

<sup>37</sup> ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 299.

<sup>38</sup> ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1: 52-53.

<sup>39</sup> ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 1: 132.

<sup>40</sup> التّديم: الفهرست، 2: 416؛ وهناك مجموعة من أشعار الصّائب حواها ديوان أبي الفرج البغّاء، ونشرها ف.

ولف عام 1834 تحت عنوان: - Carminum Abul-Faragii Babaghiae specimen, Edited by Ph. WOLFF, Lipsia, 1834.

وانظر أيضًا مجموعة من الأبيات الشعرية المتبادلة بين الصّائب وبين أبي الفرج البغّاء عند:-

ابن عساكر: تاريخ دمشق، تحقيق محب الدين العمروي، بيروت 1995، 37: 283.

<sup>41</sup> الففطي: إخبار العلماء، 262.

عِلْمِ الْمَوْسِيقَى»، و«رسالة إلى بعض إخوانه في جواب ما سألَه عنه من أمورِ الْمَوْسِيقَى»، و«رسالة في آلة الزَّمر»<sup>42</sup>.

## الترجمة

لِعِبِّ الْعُلَمَاءِ الصَّابِئَةِ دَوْرًا بَارِزًا فِي حَرَكَةِ التَّرْجَمَةِ الَّتِي اَزْدَهَرَتْ بِصِفَةِ عَامَّةٍ خِلَالَ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، وَمِنْ أَشْهُرِ الْمُتَرْجِمِينَ الَّذِينَ لَعِبُوا دَوْرًا مَحَوْرِيًّا فِي حَرَكَةِ التَّرْجَمَةِ مِنَ الْيُونَانِيَّةِ وَالسَّرْيَانِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ كَانَ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ<sup>43</sup>. وَقَدْ كَانَتْ مَهَارَتُهُ بِالْيُونَانِيَّةِ وَالسَّرْيَانِيَّةِ هِيَ الطَّرِيقُ الَّذِي قَادَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى تِلْكَ الشُّهُرَةِ الَّتِي أَحْرَزَهَا<sup>44</sup>، فَقَدْ أَهْلَتْهُ إِجَادَتُهُ لِلْعَتَيْنِ أَنْ يَغْمَلَ عِنْدَ آلِ الْمُنْجَمِ إِلَى جَانِبِ حُنَيْنِ بْنِ إِسْحَاقَ وَحُبَيْشِ بْنِ الْحَسَنِ، وَكَانَتْ أَرْزَاقُهُمِ الشَّهْرِيَّةُ تَتَعَدَّى الْحُمُسَامَةَ دِينَار<sup>45</sup>، وَهُوَ مِبْلَغٌ كَبِيرٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَقَائِيسِ ذَلِكَ الْعَصْرِ.

بَرَزَ اسْمُ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ كَأَحَدِ أَعْلَامِ التَّرْجَمَةِ فِي وَقْتٍ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمْكِنِ لغير الْمُتَخَصِّصِينَ تَرْجُمَةَ أَعْمَالٍ شَدِيدَةِ التَّعْقِيدِ وَغَنِيَّةٍ بِالْمُصْطَلَحَاتِ فِي الْفَلَسَفَةِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَالطَّبِّ مَا لَمْ يَكُنِ الْمُتَرْجِمُ نَفْسَهُ مُتَخَصِّصًا فِي تِلْكَ الْعُلُومِ، وَعَلَى دَرَايَةِ وَاسِعَةٍ بِنَظَرِيَّاتِهَا وَمُصْطَلَحَاتِهَا، وَفِي الْحَقِيقَةِ فَإِنَّ ثَابِتَ بْنَ قُرَّةَ كَانَ أَحَدَ الْقَلَائِلِ الَّذِينَ أَلْمُوا إِلَى دَرَجَةِ التَّخَصُّصِ بِالْعُلُومِ آنَفَةَ

<sup>42</sup> ابن أبي أصيبعة: عيُونُ الْأَنْبَاءِ، 300.

<sup>43</sup> جوستاف فون جرونباوم: حَضَارَةُ الْإِسْلَامِ، نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ تَوْفِيقُ جَاوِيدَ، الْقَاهِرَةُ 1997، 77؛ وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنْ يُفْرَدَ أَحَدُ الْبَاحِثِينَ الْمَصْرِئِينَ دَرَاةً كَامِلَةً عَنِ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحَرَكَةِ النُّقْلِ وَالتَّرْجَمَةِ، وَلَا يُشِيرُ خِلَالَهَا إِلَى ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، بَيْنَمَا يَتَنَاوَلُ بِالْدَّرَاسَةِ دَوْرَ وَلَدِهِ سَيَّانِ بْنِ ثَابِتٍ؟!، وَلَبِئْسَ مَعَ هَذَا يَذْكُرُ اسْمَهُ بِشَكْلِ سَلِيمٍ بَلْ يَرِدُ عِنْدَهُ هَكَذَا «حَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ؟!»: انْظُرْ: عَصَامُ الدِّينِ مُحَمَّدُ عَلِيٌّ: بَوَاكِرُ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحَرَكَةُ النُّقْلِ وَالتَّرْجَمَةِ، الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ 1986، 62.

<sup>44</sup> AHMED Y. HASSAN; DONALD R. HILL: *Islamic technology, an illustrated history*, Cambridge

university press, 1986, p 10.

<sup>45</sup> النَّدِيمُ الْفَيْهَرِسْت، 2: 143؛ الْقِفْطِيُّ: إِبْخَارُ الْعُلَمَاءِ، 24؛ بَابُو إِسْحَاقَ: أَخْوَالُ النَّصَّارَى، 148.

الذكر<sup>46</sup>؛ حتى وُصِفَ بأنه واحدٌ ضمن أربعة من حُذَاق التَّرجمة في الإسلام، وهم بالإضافة إليه: حُثَيْن بن إِسْحَاق، ويعقوب بن إِسْحَاق الكِنْدِي، وعُمر بن الفَرخَان الطَّبْرِي<sup>47</sup>.

ترقَّى ثابت في سِلْك التَّرجمة حتى صار من رؤساء المترجمين، فكان يقوم هو وحُثَيْن بن إِسْحَاق بمُراجعة وإعادة صياغة أعمال المترجمين، خاصَّة الذين لا يتمتَّعون بطلاقة اللِّسان والبلاغة في العربيَّة<sup>48</sup>، أو ما كان يُسمَّى وقتذاك بعملية «إصلاح التَّرجمة» ولذلك كان البُعد عن الدِّقة في التَّرجمات العربيَّة من أهم الانتقادات التي كانت تُوجَّه إلى مدرسة التَّرجمة عمومًا في عهدي ثابت بن قُرة وحُثَيْن بن إِسْحَاق، إذ كانت عملية إصلاح التَّرجمة أو إعادة صياغة النِّص كثيرًا ما تُبعد المضمون المُصلَّح عن رُوح النِّص الأصلي.

ومن أشهر ما ترجمه ثابت كتاب مقالات أبولونيوس APOLLONIUS<sup>49</sup> في الهندسة، وقد عمل ثابت في ترجمة هذا المجموع من الرِّسائل مع هلال بن أبي هلال الحِمْصِي، فترجم المقالات الثلاث الأخيرة من مجموع المقالات الثمانية التي عُثر عليها لأبولونيوس وحقَّصها<sup>50</sup>، هذا بالإضافة إلى ترجمة كتابه «النَّسبة المخدودة» وإصلاحها<sup>51</sup>. ومن آثار أبولونيوس أيضًا ترجم ثابت إلى العربيَّة كتابه «المخروطات»<sup>52</sup>.

<sup>46</sup> SABRA: *The scientific enterprise*, p 182.

<sup>47</sup> ابن أبي أصيبعة: عيُون الأَثَباء، 286.

<sup>48</sup> مريم سلامة-كار: التَّرجمة في العصر العبَّاسي، نقله إلى العربيَّة نجيب غزَّوي، دمشق 1998، 35.

<sup>49</sup> أبولونيوس المُلقَّب «بالنَّجار» رياضي سَكندري، كان العرب يعتقدون خطأ أنه أقدم من إقليدس، عنه وعن آثاره انظر: - القِفْطِي: إخبار العلَّماء، 44-45؛ صاعد الأندلسي: طبقات الأُمم، 28.

<sup>50</sup> القِفْطِي: إخبار العلَّماء، 45؛ سيجريد هُونَك: شَمْس العرب، 125؛ WILBUR RICHARD KNORR: *Textual*

*studies in ancient and medieval geometry*, Stanford university press, 1989, p 277.

<sup>51</sup> ابن أبي أصيبعة: عيُون الأَثَباء، 300.

<sup>52</sup> بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 172، وهناك قسيان منه وهما: الخامس والسَّابع مُحْوَظين بمكتبة جامعة لِيْدن برقم 979، وتَدَلَّ على أنَّ أبناء موسى بن شَاكِر راجعًا ترجمة ثابت وصَحَّحوها.

ومن آثار أرشيميدس ARCHIMEDES<sup>53</sup> ترجم ثابت كتابه «في الأصول الهندسية»<sup>54</sup>، ونقله خصيصًا لأبي الحسن علي بن يحيى مولى أمير المؤمنين المعتضد كما نفهم مما جاء على غلافه<sup>55</sup>، كما ترجم أيضًا كتابه «الأمخوذات»<sup>56</sup>، ونقل إلى العربية أيضًا كتاب «أصول الهندسة» لمينالائوس MENELAUS<sup>57</sup>.

ونقل ثابت إلى العربية أيضًا بعض آثار إقليدس EUCLIDES<sup>58</sup> في الهندسة إلى العربية ككتاب «أصول الهندسة»<sup>59</sup>، وكتاب «الأزكان في الهندسة»<sup>60</sup>، وكتاب «الكرة والاسطوانات»، وكتاب «المعطيات»<sup>61</sup>، كما أعاد تهذيب كتاب «الأصول» لإقليدس مُعتمدًا على ترجمة حنين بن إسحاق<sup>62</sup>، بالإضافة إلى كتاب «عمل الدوائر المرسومة بسننق أقسام مُتساوية»<sup>63</sup>.

<sup>53</sup> أرشيميدس ت 212 ق.م رياضي إغريقي، صاحب نظرية الطفو الشهيرة، عنه انظر: - القفطي: إخبار العلماء، 47؛ التديم: الفهرست، 2: 210-211.

<sup>54</sup> عثر عليه ضمن مجموعة المخطوطات الرياضية الفريدة لثابت بن قرة في مجموعة «بانكي بور» ونشر باعثناء دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن 1947.

<sup>55</sup> نُشر أيضًا ضمن النشرة المذكورة بعاليه.

<sup>56</sup> بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 170.

<sup>57</sup> التديم: الفهرست، 2: 214، ومينالائوس رياضي سَكندري عاش بين سنتي 70-140م، عنه انظر: القفطي: إخبار العلماء، 211.

<sup>58</sup> إقليدس فيلسوف ورياضي إغريقي عاصر سُقراط وعرف بولائه له ولمذهبه، ولُقّب بالسُقراطي الصغير على اعتبار أن أفلاطون هو السُقراطي الكبير، يُوسَف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، 277-278.

<sup>59</sup> التديم: المصدر نفسه، 2: 214.

<sup>60</sup> ابن خلدون: العبر، 1: 639.

<sup>61</sup> بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 171.

<sup>62</sup> ابن خلكان: وفيات الأعيان، 5: 217.

<sup>63</sup> بروكلمان: المرجع نفسه، 4: 171.



وضمن ما ترجمه ثابت بن قُرة لأرسطو طاليس ARISTOTELES<sup>64</sup> كتابه «الكلام على بارمينيَّاس [الدال والمدلول]»<sup>65</sup>، كما عرَّب ثابت كتاب «المقالة الأولى» لأرسطو طاليس في الفلسفة وزاد عليها وشرَّحها<sup>66</sup>. بالإضافة إلى كتابه «في بعض مقالات أرسطو طاليس في كتابه «ما بعد الطبيعة» مما جرى الأمر فيه على ساقه البرهان»<sup>67</sup>، ومما ترجمه ثابت أيضًا ونقله إلى العربية كتاب أثافروديطوس ATHAFRODITUS في تفسير كلام أرسطو طاليس في «الهالة وقوس قزح»<sup>68</sup>.

أما بالنسبة لآثار الرياضي الإغريقي أوتولوقوس AUTOLYCUS<sup>69</sup> فمن ضمن ما ترجم ثابت له كتابه «الكرة المتحركة»، وكتاب «الطلوعات والغروبَات»<sup>70</sup>، كما ترجم ثابت كتاب «حكَاية ما استخرجه القدماء من خطين بين خطين حتى تتوالى الأربعة مُتناسبة»<sup>71</sup>. ومن آثار إسقلاوس HYPsikLES انتخب ثابت للنقل إلى العربية كتاب «المطالع»<sup>72</sup>، وفي

<sup>64</sup> أرسطو طاليس: فيلسوف وحكيم إغريقي ولد في مدينة اسطاغيرا على بحر إيجه عام 385 ق.م. تلمذ على يد أفلاطون، وبقي تلميذًا بأكاديميته إلى حين وفاة الأخير، وكان أفلاطون يُجِله ويسميه «العقل»، ورغم ذلك فقد كان معروفًا عنه مُناوئته لكثير من آراء أفلاطون، عنه وعن حياته ومدرسته الفلسفية راجع: صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، 24؛ يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، 141 وما بعدها.

<sup>65</sup> القفطي: إخبار العلماء، 27.

<sup>66</sup> القفطي: المصدر نفسه، 29.

<sup>67</sup> بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 172-716، DAVID C. RIESMAN; AMOS BERTOLACCI: *Thabit*.

*Ibn Qurra's Consise exposition of Aristotel's Metaphysics*, Text translation and commentary, in

THABIT IBN QURRA: *Science and Philosophy*, op. cit, p 716، وتدل النسخة الوحيدة التي بقيت منه أن

ثابت قام بجمعه بأمر من الوزير أبي القاسم بن عبيد الله أو قام بإهدائه له.

<sup>68</sup> النديم: الفهرست، 2: 178.

<sup>69</sup> أوتولوقوس: فيلسوف إغريقي عاش بين ستي 360-290 ق.م، عنه انظر: القفطي: إخبار الحكماء، 53؛

النديم: الفهرست، 2: 216.

<sup>70</sup> بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 171.

<sup>71</sup> بروكلمان: المرجع نفسه، والجزء والصفحة.

<sup>72</sup> نفسه، والجزء والصفحة.

الحقيقة فهي ليست ترجمة بقدر ما هي مُراجعة لترجمة حنين بن إسحاق لهذا الكتاب وإصلاح لها.

ومن آثار بطليموس القلودي CLAUDIUS PTOLEMAEUS الجغرافي والفلكي الإغريقي الشهير<sup>73</sup> نقل ثابت إلى العربية كتاب «اقتصاص جمل حالات الكواكب المتحركة»، وفي الحقيقة ندين بالفضل لثابت في هذه الترجمة كون الأصل اليوناني لم يصل إلى أيدي علماء الفلك، ولم يتبق منه سوى تلك الترجمة العربية، هذا بالإضافة إلى كتاب «جوامع لما قاله بطليموس في قسمة الأرض المسكونة على البروج والكواكب»<sup>74</sup>. كما عمل ثابت على إصلاح ترجمات غيره من المترجمين لآثر بطليموس الخالد في الفلك وهو كتاب «المجسطي»، فالنديم ينص على أن آخر إصدار عربي من كتاب «المجسطي» كان من إصلاح ثابت بن قرة، الذي أصلح إصلاح حنين بن إسحاق لترجمة هذا الكتاب، والنديم يؤكد إصلاح ثابت لأنه أجود<sup>75</sup>.

ومن آثار الفيلسوف الإغريقي أفلاطون PLATO<sup>76</sup> ترجم ثابت كتاب «جوامع كتاب بارمينياس [الدال والمدلول]»، «جوامع كتاب أنالوطيقا [تخليق القياس]»، «اختصار المنطق»، «نوادير محفوفة من طويقا [الجدل]»<sup>77</sup>.

<sup>73</sup> بطليموس الفلكي أو الجغرافي الملقب بالقلودي، صاحب كتاب المجسطي، والجغرافيا، أحد أشهر العلماء اليونانيين عند العرب، وينسبون إليه عمل أول رصد فلكي (زيج)، كما ينسبون إليه صنع أول اسطرلاب استخدم في الرصد، بالإضافة إلى العديد من آلات الرصد الأخرى، عنه انظر: - القفطي: إخبار العلماء، 67-69؛ صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، 29-30.

<sup>74</sup> نفسه، 4: 172.

<sup>75</sup> النديم: الفهرست، 2: 215.

<sup>76</sup> أفلاطون الفيلسوف الإغريقي الشهير، ولد بأثينا عام 437 ق.م وتلمذ على يد سقراط، وتوفي في سن الثمانين قرابة عام 357 ق.م عن حياته وأعماله انظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، 75-83.

<sup>77</sup> ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، 298.

أما بالنسبة لآثار الطَّيِّب الإغريقي العظيم جالينوس GALENUS<sup>78</sup> الطَّيِّب، فمن الملاحظ أن ثابت كان شديد الولع به وبآثاره، فقد نقل الكثير من أعماله إلى العربية، من أهمها: كتاب «جوامع جمعها ثابت بن قرة الحراني من كتب جالينوس»، ويمثل مقتطفات من كتب عدة لجالينوس، وكتاب «الكيموس [ما يتولد في البدن بفعل الغذاء من رطوبة أو حرارة]»، ومقالة واحدة من كتابه الكبير «محنة الطَّيِّب»<sup>79</sup>. كما ترجم أيضًا بعضًا من مقالات جالينوس في علامات الشُّحوب في كتابه «جوامع من كتاب جالينوس في الذُّبول»<sup>80</sup>، وكتاب «جوامع كتاب الأدوية المفردة»، «جوامع كتاب الميزة السوداء»، وكتاب «جوامع كتاب سوء المزاج المختلف»، وكتاب «جوامع كتاب الأمراض الحادة»، وكتاب «جوامع كتاب الكثرة»، وكتاب «جوامع كتاب تشريح الرِّجَم»، وكتاب «جوامع كتاب جالينوس في المؤلَّودين لسبعة أشهر»<sup>81</sup>، وكتاب «جوامع ما قاله جالينوس في كتابه في تشريف صناعة الطب»، وكتاب «جوامع كتاب الفصد»، وكتاب «جوامع تفسير جالينوس لكتاب أبقراط في الأهوية والمياه والبلدان»، وكتاب «اختصار كتاب النبض الصغير»<sup>82</sup>.

ومن عمل في الترجمة أيضًا من العلماء الصَّابئة أبو الحسن ثابت بن إبراهيم الحراني الذي نقل للعربية عدة مقالات للطَّيِّب فيلغريوس PHORPHYRIUS<sup>83</sup>، ومن المترجمين أيضًا ابن رُوح الصَّابئ الذي ترجم المقالة الأولى وبعض المقالة الثانية من كتاب السَّماع الطَّيِّبي

<sup>78</sup> كلوديوس جالينوس الطَّيِّب الإغريقي الشَّهير، ولد بمدينة فرغاموس عام 130م، وتوفي بأثينا عام 200م، وعاصر الإمبراطور الروماني نيرون. عنه انظر القفطي: إخبار العلماء، 85-92؛ صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، 28.

<sup>79</sup> النَّدِيم: الفهرست، 2: 280.

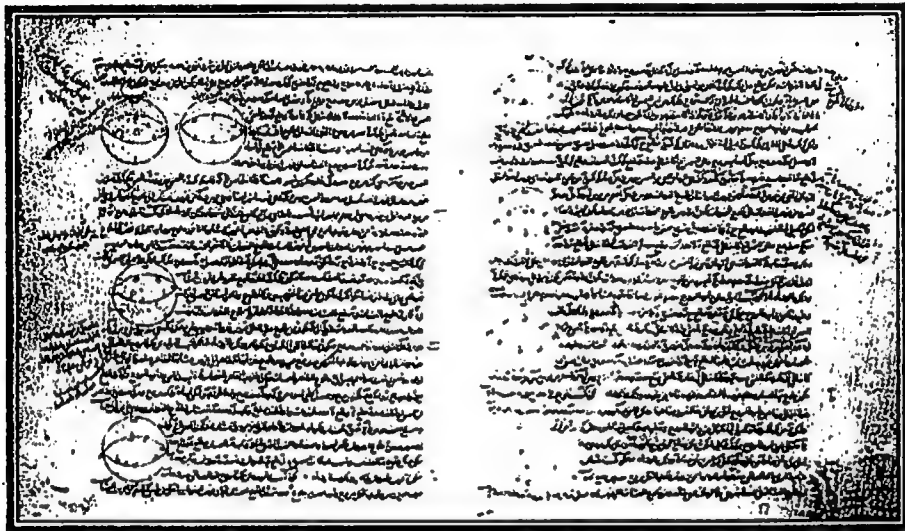
<sup>80</sup> بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، 4: 173.

<sup>81</sup> عُثر عليه ونُشر باعتناء أورسولا فيسر U. WEISSER في: مجلة تاريخ العلوم العربية، مج7، ع1-2، 1983.

<sup>82</sup> بروكلمان: المرجع نفسه، نفس الجزء والصفحة.

<sup>83</sup> طيِّب إغريقي عاصر الإمبراطور دقلديانوس، انظر: - حواشي أيمن فؤاد سيد على كتاب الفهرست للنَّدِيم، 175: 2.

للإنسكندر الأفروديسي <sup>84</sup> ALEXANDER APHRODISIAS، وقام يحيى بن عدي النضرائي بإصلاح تلك الترجمة <sup>85</sup>. كما قام ريسان بن ثابت بإصلاح ترجمة والده لكتاب «الأصول الهندسية» لإقليدس EUCLEIDES، وزاد على الترجمة بشرُوح وافية لمُختواه، كما قام أبو إسحاق الصَّابي بإصلاح ترجمة أبي سَهْل الكُوهي لكتاب أرسيميدس في المثلثات <sup>86</sup>.



الورقة الثالثة من مخطوط كتاب أوتولووقوس في تحرير الطلوعات والغروبات من ترجمة ثابت بن قرة (نُسخة مكتبة

أحمد الثالث).

<sup>84</sup> فيلسوف يوناني عاصر البطالة في مصر، عنه وعن أعماله انظر: - القفطي: إخبار العلماء، 40-41.

<sup>85</sup> النديم: المصدر نفسه، 2: 283؛ القفطي: المصدر نفسه، 29.

<sup>86</sup> ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، 304. وهو ينسب ذلك العمل على سبيل الخطأ إلى ريسان بن ثابت.

## الفصل

### الرابع عشر

# 14

## أثر الصابئة

## في المذاهب والفرق

«ومنهم [أي العلماء] من نسب الباطنية إلى الصابئين الذين هم بحرّان، واستدلّ على ذلك بأنّ حرّان قرّط - داعية الباطنية بعد ميّتون به ونيصان - كان من الصابئة المرائية، واستدلّ أيضاً بأنّ صابئة حرّان يكفّون أدیانهم ولا يُظهرونها إلّا لسه كان منّهم، والباطنية أيضاً لا يُظهرون دينهم إلّا لسه كان منّهم بعد إحتلافهم إياه على أن لا يذكر أسرارهم لغيرهم».

عبد القاهر البغدادي

نادرًا ما سَلَطَ البَاحِثُونَ في تَارِيخِ المَذَاهِبِ والحَرَكَاتِ الدِّينِيَّةِ الضَّوْءَ عَلَى أَثَرِ الصَّابِنَةِ في الحَيَاةِ الفِكْرِيَّةِ والمَذْهَبِيَّةِ في ظِلِّ الإسلام، وذلك على الرَّغْمِ من إقْرَارِهِم بِوُجُودِ مُؤَثَّرَاتِ ذاتِ طَبِيعَةٍ غَنُوصِيَّةٍ لَا شَكَّ فِيهَا، تَسَلَّلَتْ في ظُرُوفٍ مُتَّخِلِفَةٍ إِلَى العَدِيدِ من المَذَاهِبِ والحَرَكَاتِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي حَادَتْ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ والْجَمَاعَةِ<sup>1</sup>، سِوَاكَ تِلْكَ الَّتِي انْتَسَبَتْ مِنْهَا إِلَى الإسلام، أَوْ غَيْرِهَا مِمَّا صَنَفَهُ المُسْلِمُونَ في إِطَارِ الوَصْفِ العَامِ بِالزُّنْدَقَةِ<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الجدير بالذكر أن البَاحِثِينَ لم يَتَّفَقُوا فِيهِم بَعْدَ عَلَى تَعْرِيفِ مُعَدِّدٍ لِلْغَنُوصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَإِنَّمَا تَفَاوَتَتْ نَظَرُهُمْ إِلَى مَا اعتَبَرُوهُ غَنُوصِيًّا دَجِيلاً عَلَى الإِسْلَام، فَقَدْ كَانَ إِزْنِسْتُ بَلُوشِيستِ أَوَّلَ مُنْتَشِرٍ يُسْتَعْمَلُ مُصْطَلَحُ «الْغَنُوصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ» فِي دِرَاسَتِهِ الْمُعْتَوَنَةِ بِ«دِرَاسَاتِ حَوْلِ الْغَنُوصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ»، وَلَمْ يَكُنْ يَعْني بِهَا سِوَا استِمْرَارِ بَعْضِ التَّيَّارَاتِ ذاتِ الطَّبِيعَةِ المَرِيسَةِ في بَعْضِ المَذَاهِبِ الإِسْلَامِيَّةِ، أَمَّا جُولْدَتْسِيهَر فَلَمْ يَعْني بِالْغَنُوصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي دِرَاسَتِهِ: «عَنَاصِرُ أَفْلَاطُونِيَّةٍ مُخَدَّنَةٍ وَغَنُوصِيَّةٍ فِي الْحَدِيثِ» أَكْثَرَ مِنْ وَجُودِ بَضْعِ أَحَادِيثِ نَبَوِيَّةٍ وَقُدْسِيَّةٍ مُنْخَوَلَةٍ تُشِيعُ فِيهَا الرُّوحُ الْغَنُوصِيَّةُ، لَا سِوَا تِلْكَ الَّتِي تُعْجِدُ الْعَقْلَ وَتَدَّعِي أَنَّهُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ، وَتَعَدُّ دِرَاسَتُهُ هَذِهِ إِحْيَاءَ مَا سَبَقَ وَقَالَ بِهِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ مِنْ قَبْلُ، أَنْظَرُ: - بُغْيَةُ الرُّنَادِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُتَفَلِّسِفَةِ، الْقَاهِرَةِ د.ت، 41 وما بَعْدَهَا. وَبِالنِّسْبَةِ لِبَلَاثِيُوسِ فَقَدْ اسْتَعْمَلَ مُصْطَلَحَ الْغَنُوصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي دِرَاسَتِهِ: «ابْنُ مَسْرَّةٍ وَمَدْرَسَتُهُ» وَلَمْ يَعْني بِالْغَنُوصِيَّةِ المُسْلِمِينَ سِوَا الْمُتَصَوِّفَةِ فَحَسْبُ، كَمَا أَزَادَ هَانَسُ شِيْدَارُ بِالْغَنُوصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي دِرَاسَتِهِ لِلاتِّجَاهَاتِ العِرْقَانِيَّةِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ وَالإِسْمَاعِيلِيَّةِ فِي مَقَالِهِ «عَنَاصِرُ خُسْرُو وَالْغَنُوصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ» الْإِشَارَةُ إِلَى الْأَصُولِ الْغَنُوصِيَّةِ لِاعْتِقَادَاتِ فِرْقَةِ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ الشَّيعِيَّةِ. حَوْلَ مُصْطَلَحِ الْغَنُوصِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ عِنْدَ الْمُشْتَرِيقِينَ تَفْصِيلاً، أَنْظَرُ: - هَاينِسُ هَامِل: الْغَنُوصِيَّةُ فِي الإِسْلَام، تَرْجُمَةُ زَائِدِ الْبَاش، كُولُونِيَا 2003، 12 وما بَعْدَهَا.

<sup>2</sup> يَكْتَنِفُ الْغَنُوصُ أَصْلَ لَفْظَةٍ «زَنْدِيْق»، فَهِيَ لَيْسَتْ لَفْظَةً عَرَبِيَّةً كَمَا يَتَضَحُّ مِنْ التَّمَعُّنِ فِي وَرْثِهَا وَجَرَسِهَا، وَالْأَزْجَحُ أَنَّهَا مِنَ الْمُعْرَبَاتِ عَنِ الْفَارْسِيَّةِ، وَيَعْتَقِدُ ابْنُ مَنْظُورٍ أَنَّ لَهَا عِلَاقَةً بِالضَّبِيقِ ضِدَّ السَّعَةِ، لِسَانِ الْعَرَبِ، 21: 1871، وَقِيلَ إِنَّهَا تَعْرِيبُ كَلِمَةٍ فَارْسِيَّةٍ هِيَ «زَنْ دِيْق» وَتَعْنِي دِينَ الْمَرَأَةِ، كِتَابَةً عَنِ الْفَسَادِ وَالضَّعْفِ، آدِي شِير: الْأَلْفَاظُ الْفَارْسِيَّةُ الْمُعْرَبَةُ، 81-81. وَيَعْتَقِدُ دُوزِي أَنَّ كَلِمَةَ زَنْدِيْقِ فِي أَصْلٍ مَعْنَاهَا تَعْنِي مِنْ لَا يُرَاعِي حُرْمَةَ، وَلَا يَحْفَظُ مَوَدَّةً، تَكْمَلَةُ الْمَعَاجِمِ الْعَرَبِيَّةِ، 5: 367، وَالْأَزْجَحُ طَبَقًا مَا وَرَدَ عِنْدَ الْمُسْعَوْدِيِّ أَنَّهَا نِسْبَةٌ إِلَى كِتَابِ «الزُّنْد» الَّذِي وَضَعَ لِتَقْسِيرِ كِتَابِ الْبُشْتَا (الْأَيْسْتَا) لَزَرَادَشْتِ، حَيْثُ كَانَ الزُّرَادَشْتِيَّةُ الْأَصُولِيُّونَ يَنْتَعُونَ التَّمَسُّكِينَ بِتَأْوِيلِ كِتَابِ الْبُشْتَا بِاتِّبَاعِ الزُّنْدِ، وَرُبَّمَا عَرَبِيَّتِ الْكَلِمَةِ بَعْدَ دُخُولِ الإِسْلَامِ فَارَسَ لِتَضْبَحِ «زَنْدِيْق» مَرُوجُ الدُّهَبِ، 1: 190، وَهُوَ مَا أَخَذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ الدُّسُوقِيُّ شَتَاً فِي تَفْسِيرِهِ لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ، أَنْظَرُ: - الْمَعْجَمُ الْفَارْسِيُّ الْكَبِيرُ، الْقَاهِرَةُ 1992، 1: 1432. وَهُنَاكَ ثَمَّةُ صَعُوبَاتٍ تُحِيطُ بِتَحْدِيدِ مَنْ

ورغم الاعتراف بوجود تلك المؤثرات الغنوصية فقد عول الباحثون المعاصرون على البحث عن الأصول الهلنستية البعيدة لتلك العقائد، واعتادوا القول بأن أرباب تلك الحركات قد وقفوا على تلك المعتقدات بشكل أو آخر، ضارين صفحا عن حقيقة كون المندائيين والحرثانية كانوا آخر من تبقى من تلك الطوائف والنحل ذات الطابع الباطني الغنوصي، وأن المسلمين قد اختكوا بهم اختكا مباشرًا. ويتقضي الإنصاف القول بأن موقف الكتاب والعلماء المسلمين في العصور الوسطى كان أكثر موضوعية وواقعية ودقة عندما ردوا تلك المؤثرات الغنوصية الطابع مباشرة إلى التأثير الفكري للصابئة، مثيرين أيضا احتمالات اتصال أرباب هذه الحركات بهم، ووقوفهم على عقائدهم بشكل مباشر.

فقد انتقلت معتقدات الصابئة بأشكال متفاوتة إلى بغض المذاهب الشيعية ذات الطبيعة الباطنية، وبصفة خاصة عند الإسماعيلية<sup>3</sup>، فلا تكاد تخفى تلك المؤثرات المندائية ذات

انطبق عليهم هذا الوصف، ويستتج مما ذكره المسعودي أن المصطلح في أول أمره وخاصة في عصر خلفاء بني العباس الأوائل كان ينطبق فحسب على أتباع الديانات التأليفية غير ذات الأصول السماوية، وعلى رأسها المانوية والديسانية والمريونية، وهي الفرق التي حاولت المزج بين النصرانية وبين الزرادشتية والزرذكية، فامنوا بالتثوية، وبالصراع الأبدي بين النور والظلمة، واعتقدوا في قدم الدهر وخلوده، واعتقدوا أيضا في الصراع الأزلي بين الباري والشیطان، مروج الذهب، 2: 555، لكن الكتابات المتأخرة قليلا والتي تعود إلى القرنين الرابع والخامس الهجريين استخدمت لفظ «زنديق» لوصف المسلمين الذين يتظاهرون بالإسلام ويطنون الكفر والإلحاد أيًا ما كانت طبيعة تلك المعتقدات التي يطنونها، النديم: الفهرست، 2: 405 وما بعدها، ويعتقد بدوي أن اللفظ شمل أيضا أصحاب البدع، والمأجنين من الشعراء والكتاب؛ الذين لا يغنون بالحساب الأخرى بغض النظر عن إيمانهم بالبعث والحساب من عدمه، ثم انتهى به الأمر أخيرا إلى أن أطلق على كل من خالف مذهب أهل السنة والجماعة، عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، الطبعة الثانية، القاهرة 1993، 35-36. وبهذا المعنى الشامل استخدمها ابن حجر الهيتمي في عنوان كتابه الشهير «الصواعق المخرقة في الرد على أهل البدع والزندق».

<sup>3</sup> يرتبط ظهور فرقة الإسماعيلية الشيعية في التاريخ بالصراع الذي دار بين الشيعة حول الإمامة عقب وفاة الإمام جعفر الصادق (ت 148هـ/ 756م) فبينما ذهب الشيعة الإمامية إلى أن الإمام الصادق قد نص على ولده موسى الكاظم بعد أن أعلن وفاة ولده الأول إسماعيل في حياته، وقد خالفه بعض شيعته وقالوا إن الصادق أعلن ذلك على سبيل التخي، وأن إسماعيل كان ما يزال حيًا في حياة والده، وبذلك حصروا الإمامة

الطَّبِيعَةُ الْغَنُوصِيَّةُ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَعَلَاقَةُ الْمُنْدَائِيِّينَ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ رَغْمَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مُحَقَّقَةٌ بِسَبَبِ مَا يَكْتَنِفُ نَشَاطُ دُعَاةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْأَوَائِلَ مِنَ الْغُمُوضِ وَالسَّرِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ يَضَعُ الْقَوْلَ بِأَنَّ دُعَاةَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْأَوَائِلَ لَمْ يَتَعَرَّفُوا عَلَى الْمُنْدَائِيِّينَ وَعَنِ كَتَبِ أَيْضًا، فَنَشَاطُ دُعَاةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ فِي طَوْرِهَا الْبَاكِرِ تَرَكَّزَ مَا بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَارِ وَخَوْزِسْتَانَ<sup>4</sup>، وَهِيَ الْمَنَاطِقُ نَفْسُهَا الَّتِي كَانَ الْمُنْدَائِيُّونَ يُشْكُلُونَ قَلْبًا سَكَّانِيًّا بِهَا، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ الْمَظَاهِرَ الْغَنُوصِيَّةَ الَّتِي نَجِدُهَا عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ هِيَ مُتَعَمِّدَاتٌ مَنْدَائِيَّةٌ بِامْتِيَازٍ، فَتَجِدُ النَّزْعَةَ الْبَاطِنِيَّةَ السَّرِيَّةَ عِنْدَ كِلَا الطَّائِفَتَيْنِ نَفْسُهَا، فَكِلَاتُهُمَا تَقُومُ عَلَى قَاعِدَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ مَنَعَ الْأَغْيَارَ مِنَ الْاطَّلَاعِ عَلَى حَقَائِقِ الدِّيَانَةِ وَدَقَائِقِهَا، مَعَ فَارَقٍ جَوْهَرِيٍّ فَرَضَتْهُ طَبِيعَةُ طُمُوحِ الدَّعْوَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، فَالْمُنْدَائِيَّةُ لَيْسَتْ نِخْلَةً تَبْشِيرِيَّةً بِالْأَسَاسِ، عَلَى الْعَكْسِ مِنَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَطْمَحُ إِلَى تَوْسِيعِ قَاعِدَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِدَعْوَتِهَا، كَمَا نَجِدُ عِنْدَ الْفِرْقَتَيْنِ النَّظَرَةَ الْغَنُوصِيَّةَ الْمَعْرِفِيَّةَ نَفْسُهَا، وَالْقَائِمَةَ عَلَى

=

فِيهِ وَفِي دُرَيْتِهِ، وَمِنْ ثَمَّ نُسِبُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ أَنْ انْقَسَمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَاعْتَقَدَ بَعْضُهُمْ عَدَمَ صِحَّةِ مَا أَعْلَنَهُ الصَّادِقُ مِنْ وَفَاةِ إِسْمَاعِيلِ فِي حَيَاتِهِ، وَأَنَّ إِسْمَاعِيلَ هُوَ الْمَهْدِيُّ الْمُنْتَظَرُ، وَهُمْ الَّذِينَ عُرِفُوا فِي التَّارِيخِ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْخَالِصَةِ، أَمَّا الْفِرْقَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْهُمْ: فَهُمْ الَّذِينَ اعْتَقَدُوا صِحَّةَ مَا أَعْلَنَهُ الصَّادِقُ مِنْ وَفَاةِ إِسْمَاعِيلِ فِي حَيَاةِ الْوَلَدِ وَاعْتَقَدُوا بِإِمَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ طَبَقًا لِقَاعِدَةِ انْتِقَالِ الْإِمَامَةِ فِي الْعَقَبِ الْأَكْبَرِ، وَهَؤُلَاءِ عُرِفُوا فِي التَّارِيخِ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْمُبَارَكِيَّةِ، وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ بِالتَّحْدِيدِ هِيَ الَّتِي قُدِّرَ لَهَا أَنْ تَلْعَبَ الدُّورَ النَّاشِطَ فِي تَارِيخِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ سِيَاسِيًّا وَمَذْهَبِيًّا، وَعِنْدَ وَفَاةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ انْقَسَمَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ الْمُبَارَكِيَّةُ مُجَدِّدًا إِلَى فِرْقَتَيْنِ، رَفَضَتِ الْأُولَى الْاعْتِرَافَ بِوَفَاةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ أَصْلَافُ الْقَرَامِطَةِ الَّذِينَ ظَهَرَ نَشَاطُهُمُ بِالْبَحْرَيْنِ وَالْإِخْسَاءِ قُرْبَ نَهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْمِجْرِي/التَّاسِعِ الْمِيلَادِيِّ، أَمَّا الْفِرْقَةُ الْآخَرُ فَقَدْ حَضَرَ الْإِمَامَةَ فِي دُرَيْتِهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلِ، وَوَصَلَ الْعَمَلُ السَّرِّي مُتَّخِذًا مِنْ مَدِينَةِ «سَلَمِيَّة» عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْ حِمصَ بِالشَّامِ قَاعِدَةً لَهُمْ، وَهُمْ الَّذِينَ قُدِّرَ لَهُمُ النَّجَاحُ فِي إِقَامَةِ الْخِلَافَةِ الْفَاطِمِيَّةِ بِشَمَالِي إِفْرِيقِيَّةِ، وَلاحِقًا بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْيَمَنِ. عَنِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ تَفْصِيلًا، انْظُرْ: - الشَّهْرَسْتَانِي: الْمِلَلُ وَالتَّحُلُّ: 1: 191 وما بعدها؛ الرَّازِي: اعْتِقَادَاتُ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ، 54-55؛ عَبْدُ الْقَاهِرِ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرْقِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ بَدْرٍ، الْقَاهِرَةُ د.ت. 45-47؛ الْأَشْعَرِي: الْمَقَالَاتُ وَالْفِرْقُ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدِ جَوَادِ مَشْكُورٍ، طَهْرَانُ 1963، 80 وما بعدها؛ عَارَفُ تَامَرٍ: تَارِيخُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، لَنْدُنُ 1991، 1: 117 وما بعدها؛ أَيْمَنُ فَوَادِ سَيِّدٍ: الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ فِي مِصْرَ، تَفْسِيرٌ جَدِيدٌ، الْقَاهِرَةُ 2007، 93 وما بعدها.

<sup>4</sup> أَيْمَنُ فَوَادِ سَيِّدٍ: الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ فِي مِصْرَ، 96.



أَنَّ الْخَلَّاصَ يَكُونُ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ، وَقَدْ بَالَعَ الْإِسْمَاعِيلِيُّونَ فِي تَقْدِيرِ قِيَمَةِ تِلْكَ الْمَعْرِفَةِ حَتَّى قَالُوا  
بِأَنَّ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ تَسْقُطُ عَنْهُ الْفُرُوضُ وَالسُّنَنُ.<sup>5</sup>

تَأَثَّرَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ أَيْضًا بِالْمَنْدَائِيِّينَ بِشَكْلِ تَامٍ فِي تَرَانِيَّتِهِمْ فِي مَدَارِجِ الْعِلْمِ، فَتَحْنُ نَجِدُ  
الْمَبْدَأَ نَفْسُهُ عِنْدَ كِلْتَا الطَّائِفَتَيْنِ وَهُوَ تَحْرِيمُ إِطْلَاعِ الْعَامَّةِ عَلَى الْكُتُبِ الدِّينِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَنَجِدُ  
أَيْضًا هَيْكَلَ التَّرَانِيمِ الْكَهْنُوْتِيَّةِ عِنْدَ الْمَنْدَائِيِّينَ، قَائِمًا بِشَكْلِهِ الْمُفْتَرَضِ عِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، وَهِيَ تَرَانِيمُ  
تَبْدَأُ بِالتَّخْصِيلِ الْمُكْتَسَبِ وَالتَّمَوُّعِ الْعَقْلِيِّ الْمَعْرِفِيِّ التَّرَاكُمِيِّ. وَتَنْتَهِي بِالْعِلْمِ اللَّدُنِيِّ الْمَوْحُوبِ،  
فَالْكَهْنُوتِ عِنْدَ الْمَنْدَائِيِّينَ يَبْدَأُ تَصَاعُدِيًّا بِ«التَّرْمِيدَا» [التَّلْمِيذَا]، وَمِنْ حَقِّهِ الْإِطْلَاعُ عَلَى كُتُبِ  
الشُّرُوحَاتِ الدِّينِيَّةِ حَتَّى مُسْتَوًى مُعَيَّنٍ، وَلَا يُجُوزُ إِطْلَاعُهُ عَلَى كُتُبِ الْأَسْرَارِ الدِّينِيَّةِ الْخَاصَّةِ،  
لَأَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ بَعْدَ دَرَجَةِ الْإِسْتِيْعَابِ لِتِلْكَ الْأَسْرَارِ، وَتَقْتَصِرُ دِرَاسَتُهُ عَلَى بَعْضِ كُتُبِ الدِّينِ  
الْأَوَّلِيَّةِ، خَاصَّةً تِلْكَ ذَاتِ الطَّابِعِ الطَّقِيسِيِّ، وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى دِرَايَةِ بِهِ لِيُؤَدِّيَهُ عَلَى  
الْوَجْهِ الْإِكْمَلِ، ثُمَّ يُرْفَى التَّرْمِيدَا إِلَى رُتْبَةِ «الْكَنْزُفَرَه» [ابْنُ الْكَنْزِ]، وَبِالتَّالِيِ يَسْتَطِيعُ الْإِطْلَاعُ  
عَلَى كُتُبِ الشُّرُوحَاتِ وَالتَّفَاسِيرِ الدِّينِيَّةِ بِالإِضَافَةِ إِلَى وَجُوبِ حَفِظِهِ لِكِتَابِ «الْكَنْزُ رُبَا» عَنْ  
ظَهَرِ قَلْبٍ، ثُمَّ يُرْفَى بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى دَرَجَةِ «رِيَشْ أَمَه» [رَيْشُ أُمَّة] وَهُوَ مَنْصِبٌ رَفِيعٌ فِي سُلَّمِ  
الْكَهْنُوتِ الْمَنْدَائِيِّ، وَلَا حَدَّ لِّلْكُتُبِ الدِّينِيَّةِ السَّرِّيَّةِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا «الرَّيْشُ أَمَه»،  
وَمَنْ يَصِلُ إِلَى هَذَا الْمَنْصِبِ مِنَ الْكَهَنَةِ الْمَنْدَائِيِّينَ يُؤْخَذُ الدِّينُ مِنْ فَمِهِ<sup>6</sup>.

وَعِنْدَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ نَجِدُ مَثِيلًا مُطَابِقًا تَمَامًا مَعَ تِلْكَ التَّرَانِيمِ الْمَنْدَائِيَّةِ، فَيَتِمُّ إِعْدَادُ الدُّعَاةِ  
الْإِسْمَاعِيلِيِّينَ وَقَفًا لِتَرْتِيبِ مُثَاطِلِ يَبْدَأُ مِنْ مَرَحَلَةِ «الْمُجْتَهَدِ» وَفِيهَا يُطَالَعُ الطَّالِبُ الْمُتَبَدِّئُ مَا  
يُسَمَّى بِ«كُتُبِ الظَّاهِرِ»، وَهِيَ كُتُبٌ عَامَّةٌ فِي الْمَذْهَبِ لَا تُحَرِّمُ مُطَالَعَتَهَا بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ عَلَى

<sup>5</sup> الْأَذْفَوِي: الطَّالِعُ السَّعِيدُ الْجَامِعُ لِأَسْمَاءِ نُجَبَاءِ الصَّعِيدِ، تَحْقِيقُ سَعْدُ مُحَمَّدٌ حَسَنَ، الْقَاهِرَةُ 2000، 330-313.

<sup>6</sup> عَنْ رِجَالِ الدِّينِ الْمَنْدَائِيِّينَ وَدَرَجَاتِهِمْ وَكَيْفِيَّةَ صُعُودِهِمْ وَتَكَرُّبِهِمْ لِّلدَرَجَاتِ الدِّينِيَّةِ الْأَعْلَى، وَالْوَاجِبَاتِ  
الدِّينِيَّةِ وَالْحَقُوقِ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَى كُلِّ دَرَجَةٍ أَنْظَرَ تَفْصِيلًا الْفَضْلَيْنِ: الثَّاسِعَ وَالْعَاشِرَ مِنْ دِرَاسَةِ دَرَاوَر:  
الصَّابِنَةُ الْمَنْدَائِيَّةِ، 223-255.

اتِّبَاعَ الْمَذْهَبِ، لَكِنَّهَا تُحَرِّمُ مُطْلَقًا عَلَى الْأَغْيَارِ مِنْ خَارِجِ الطَّائِفَةِ، ثُمَّ يَرْتَفِي «الْمُجْتَهِد» فِي مَرَاتِبِ الْعِلْمِ لِيَصِلَ إِلَى مَرَحَلَةِ «الْمَأْدُون»، عِنْدُنَا يُضْبَحُ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَطْلُعَ عَلَى «كُتُبِ السَّرِّ»، وَهِيَ كُتُبٌ مُعَيَّنَةٌ يُجُوزُ أَنْ يَقرَأَهَا الْمَأْدُونُ وَيُمنَعُ مِنْهَا بَأَنًا عَلَى غَيْرِهِ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهَا وَعَلَى أَسْرَارِهَا، وَعِنْدَمَا يَصِلُ الْمُؤْمِنُ إِلَى مَرْتَبَةِ «الرَّاسِخِ فِي الْعِلْمِ» يُسَمَحُ لَهُ بِمُطَالَعَةِ «الْكُتُبِ الْمَكْتُومَةِ الْعُلْيَا»، وَهِيَ وَقُفٌّ عَلَى تِلْكَ الطَّبَقَةِ، وَلَا يُطَالِعُهَا غَيْرُهُمْ<sup>7</sup>.

وَمِنْ أَهَمِّ مَظَاهِرِ تَأَثُّرِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ بِالصَّابِنَةِ بَوَجهِ عَامِ تَقْدِيسِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ لِدَوَائِرِ الْفَلَكَ وَالْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ عُرِفُوا بِالمُسَبَّغَةِ نَتِيجَةَ تَقْدِيسِهِمْ لِلرَّقْمِ سَبْعَةٍ، وَالَّذِي يَتطَابَقُ مَعَ عَدَدِ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ الْمَعْرُوفَةِ وَفَتِيد<sup>8</sup> وَالتِّي اعْتَبَرُوهَا قُوَى كَوْنِيَّةَ فَعَالَةٍ ذاتِ تَأْثِيرٍ فِي مَصَائِرِ الْبَشَرِ، وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ يَتطَابَقُ مَعَ مُعْتَقَدَاتِ الْمُنْدَثَائِيَّينَ وَالْحَرَنَانِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ. وَقَدْ رَبَطَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةَ دَوْرَةَ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ فِي السَّمَاءِ بِدَوْرَةِ الْأُئِمَّةِ اللَّائِهِيَّةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَالتِّي تَبْدَأُ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَحْتُلُّ فِيهَا الْإِمَامُ السَّابِعُ دَوْرِيًّا مَكَانَةً رَفِيعَةً، فَجَمِيعٌ مِنْ سَبْقُوهُ مِنَ الْأُئِمَّةِ السَّنَةِ صَامِتُونَ، أَمَّا الْإِمَامُ السَّابِعُ فَهُوَ تَجْسِيدٌ لِلْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَهُوَ الْمُفَسِّرُ وَالنَّاطِقُ بِالْحَقِّ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى نَسْخِ شَرَائِعِ مَنْ سَبْقُوهُ مِنَ الْأُئِمَّةِ<sup>9</sup>. وَلَمَّا كَانَ لِلْفَلَكَ الْعُلُويِّ اثْنَا عَشَرَ مَنْزِلًا (بُرْجًا) فَإِنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ إِمَامٍ اثْنَا عَشَرَ نَقِيًّا يَتَشِيرُونَ فِي الْأَرْضِ بِأَمْرِ الْإِمَامِ، يَتَوَلَّوْنَ الدَّعْوَةَ لَهُ، وَهُمْ بِمَثَابَةِ حُجَجِ الْإِمَامِ النَّاطِقَةِ<sup>10</sup>.

لَقَدْ لَفَّتْ ذَلِكَ التَّشَابُهَ فِي الْعَقَائِدِ أَنْظَارَ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى أَنَّ أَبَا بَكْرَ الْجَصَّاصَ نَسَبَ الْإِسْمَاعِيلِيَّةَ بِالْجُمْلَةِ لِعِبَادَةِ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ<sup>11</sup>، وَبَطَّيْعَةَ الْحَالِ يَشُوبُ هَذَا الْاِتِّهَامَ

<sup>7</sup> عَادِلُ الْعَوَّا: مُتَخَبَاتِ إِسْمَاعِيلِيَّةٍ، دِمَشْقُ 1958، مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ.

<sup>8</sup> مَجْهُولٌ: كِتَابُ التَّرَاتِيبِ، وَهِيَ سَبْعُ تَرَاتِيبٍ عَلَى التَّامِّ وَالْكَمَالِ، تَحْقِيقُ سُهَيْلِ زَكَّارٍ، فِيْمَنْ كِتَابُ الْجَمَاعِ فِي أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ، 1: 288.

<sup>9</sup> عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَدَوِي: مَذَاهِبُ الْإِسْلَامِيِّينَ، الْقَاهِرَةُ 1971، 2: 907.

<sup>10</sup> بَدَوِي: نَفْسُهُ، 2: 909؛ مُصْطَفَى غَالِب: تَارِيخُ الدَّعْوَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ، بِيْرُوت 1965، 28.

<sup>11</sup> أَبُو بَكْرٍ الْجَصَّاصُ: أَخْكَامُ الْقُرْآنِ، 2: 412.

مُبَالِغَةً مُفْرِطَةً، لَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يُعَدُّ مِلَاحِظَةً دَقِيقَةً وَنَافِذَةً لِلْعَدِيدِ مِنْ عَوَامِلِ التَّشَابَهِ بَيْنَ عَقَائِدِ الْفِرَقَتَيْنِ، لَيْسَ هَذَا فَحَسْبَ بَلْ إِنَّ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ نَسَبِ الْقَرَامِطَةِ - وَهُمْ فِرْقَةٌ أُخْرَى مِنْ غُلَاةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ - بِرُمُوتِهِمْ إِلَى صَابِنَةِ حَرَّانَ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ حَمْدَانَ قَرَمَطَ دَاعِيَةَ الْقَرَامِطَةِ كَانَ يَنْحَدِرُ مِنْ أَصُولِ حَرَنَانِيَّةٍ<sup>12</sup>، وَاسْتَدَلَّ أَيْضًا عَلَى قَوْلِهِ هَذَا بِأَنَّ صَابِنَةَ حَرَّانَ يَكْتُمُونَ أَذْيَانَهُمْ وَلَا يُظْهِرُوهَا إِلَّا لَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ، وَالبَّاطِنِيَّةُ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَذَا<sup>13</sup>.

وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ لَا تَسْتَطِيعُ تَحْقِيقُ مَا إِذَا كَانَتْ أَصُولُ حَمْدَانَ قَرَمَطَ عُمَتْ بِصِلَةٍ إِلَى صَابِنَةِ حَرَّانَ أَمْ لَا، بِسَبَبِ مَا يَكْتَفِي الدَّعْوَةُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ - لَا سِيَّمَا فِي أَذْوَرَاهَا الْبَاكِيرَةِ - مِنْ طَابَعِ كَثِيفٍ مِنَ السَّرِّيَّةِ، لَكِنْ الشَّقُّ الثَّانِي مِنَ الْاِتِّهَامِ يَبْدُو مَنْطِقِيًّا تَمَامًا، فَالسَّيِّئَةُ الْبَاطِنِيَّةُ هِيَ مِنْ أَخْصَصِ سِمَاتِ دِيَانَةِ الْمُنْدَائِيَّةِ وَالْحَرَنَانِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ، لَا سِيَّمَا وَأَنَّ دَعْوَةَ الْقَرَامِطَةِ ظَهَرَتْ أَوَّلَ مَا ظَهَرَتْ بَلْ وَتَمَّتْ أَيْضًا فِي قَلْبِ سَوَادِ الْعِرَاقِ، أَيْ فِي الْمَنَاطِقِ نَفْسِهَا الَّتِي عَاشَ فِيهَا الْمُنْدَائِيُّونَ، وَلَيْسَ مِنَ الْمُدْهَشِ أَنْ يُشِيرَ حَمْدَانَ قَرَمَطَ فِي مَنْشُورِهِ الْأَوَّلِ الَّذِي أَضْرَهُ إِلَى اتِّبَاعِهِ يُشِيرُهُمْ فِيهِ بِبَدْءِ طَوْرِ الدَّعْوَةِ الظَّاهِرِ وَتَرْكِ «التَّيْفِيَّةِ» إِلَى أَنَّ رُوحَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عليه السلام قَدْ تَجَسَّدَتْ فِيهِ<sup>14</sup>.

أَمَّا عَنِ التَّصَوُّفِ فَلَقَدْ قِيلَ الْكَثِيرُ عَنِ نَشْأَتِهِ وَبِدَايَاتِهِ، وَأَصْلُ اسْتِثْقَاكِ الْكَلِمَةِ مَسْأَلَةٌ مُعْضِلَةٌ تَمَامًا بِالنِّسْبَةِ لِلْبَاحِثِينَ، فَقَدْ قَالَ الْبَعْضُ إِنَّهُ مِنَ الصَّفَاءِ، وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ مِنْ اِزْتِدَاءِ الصُّوفِ، وَهِيَ ظَاهِرَةٌ يَتَمَيَّزُ بِهَا الصُّوفِيَّةُ، وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ مِنْ كَلِمَةِ «صُوفِيًّا» الْيُونَانِيَّةِ بِمَعْنَى الْحِكْمَةِ، وَقِيلَ أَيْضًا إِنَّهُ عَلَى النَّسَبِ وَالتَّخْفِيفِ مِنْ «أَصْحَابِ الصُّفَّةِ»، كَمَا قِيلَ بِأَنَّهُ اسْمُ جَامِدٍ كَاللَّقَبِ، لَمْ يُسْتَقِ عَلَى قِيَاسٍ مِنْ أَقْسَى اللُّغَةِ وَإِنَّهُ كَاللَّقَبِ لَا تَقْسِيرَ لَهُ<sup>15</sup>، وَبِصِفَةِ عَامَّةٍ يَمِيلُ

<sup>12</sup> عَبْدُ الْقَاهِرِ الْبَغْدَادِي: الْفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ، 278.

<sup>13</sup> مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الدِّلَمِي: بَيَانُ مَذْهَبِ الْبَاطِنِيَّةِ وَبُطْلَانُهُ، مُتَرْجَمٌ مِنْ كِتَابِ قَوَاعِدِ عَقَائِدِ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام، تَحْقِيقُ شَيْخِ وَطْهَانَ، اسْتَنْبُولُ 1938، 95.

<sup>14</sup> ابْنُ فَضْلِ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ: مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ، 26: 86.

<sup>15</sup> الْقُشَيْرِيُّ: الرِّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةُ، تَحْقِيقُ مَعْرُوفُ رُزَيْقُ، بَيْرُوتُ 1990، 389. وَانْظُرْ أَيْضًا تِلْكَ الْمُعَالَجَةَ الشَّامِلَةَ لِلْآرَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا لِاسْتِثْقَاكِ لَفْظِ الصُّوفِي عِنْدَ: - عَلِيِّ سَامِي النَّشَّارِ: نَشْأَةُ الْفِكْرِ الْفَلَسْفِيِّ فِي الْإِسْلَامِ، الْجُزْءُ الثَّالِثُ، «الرُّهْدُ وَالتَّصَوُّفُ فِي الْقَرْنَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي الْمَجْرِيَيْنِ»، الْقَاهِرَةُ د.ت، 36-58.

ورغم كل تلك الاتجاهات المتباينة في التعريف بالتصوف وأصوله لم يناقش أحد من الباحثين رواية ابن وحشية المثيرة عن ممارسات بعض الزهاد الحرنائية والتي تتطابق مع ممارسات الصوفية وعاداتهم<sup>17</sup>، وما نخرج به من رواية ابن وحشية أن التصوف في أصله وأصوله ظاهرة صابئية بحتة، فقد كان الزهاد من الحرنائية يمارسون السلوكيات نفسها قبل ظهور الإسلام، وهي نفسها التي تميز بها الصوفية فيما بعد في ظل الإسلام لاحقاً<sup>18</sup>. ومع ذلك

<sup>16</sup> لويس ماسينيون: التصوف، بيروت 1984، 25-26؛ أناساري شميل: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة محمد إسماعيل السيد؛ رضا حامد قطب، كولونيا 2006، 19؛ Fritz Meier: *The*

*Mystic Path, in: the world of Islam*, p 117.

<sup>17</sup> ربما اتفق ذلك لعدم إتاحة كتاب الفلاح النبطية أمام الباحثين حتى وقت قريب للغاية.

<sup>18</sup> ونص حديث ابن وحشية: «... إن الفلاحين والأكره هم عبارة الأرض والممدون لمن على ظهرها من جميع الحيوان، والمفلحون للنبات، وإن أضدادهم الذين يتبطلون عن الأعمال، ويتركون التجارات والصنائع، ويقيمون في الصحاري، ويعجبون التفرد والتخلي، ويسمون أنفسهم الزهاد والعباد، ولا يحضرون الهياكل إلا في الأعياد فقط، وفيهم من لا يحضرها إلا في العيدين الكبيرين: عيد الميلاد الذي في أربعة وعشرين يوماً من كانون الأول، وعيد رأس السنة، ويقولون إنما نحضر في هذين العيدين لأن أحدهما عيد ميلاد الزمان وعجده، وعيد رأس السنة، لأنه أيضاً منسوب إلى الشمس، فهذان أفضل الأعياد، ويريدون منا أن نمدحهم ونقترب إلى الله بهم، ويدعون الكذب والزور والبهتان بقولهم نحن المسيهون بالملائكة، ونحن المرتنون فوق الماء بصحيح نيائنا، ولا يكفهم ذلك حتى يدعون لأنفسهم أنهم أبرار، وأنهم خير منا وأفضل، وإننا قصرنا عن منزلهم لعجزنا عن بلوغها، ولأنها طريقة حسنة لا نطيعها. فقد صدقوا في أننا لا نطيع أن نكون عقلاء؛ فنعمل بأنفسنا أعمال المجانين، ونصير في جملة المجانين بأن نلبس الثياب الصوف، كما يلبس المجانين، وندع شعورنا وأظفارنا طويلاً كأظفار المجانين وشعورهم، ولا ندخل حماماً، ولا نمس ماءً في برد ولا حر، ولا نتنظف من جيف أجناسنا، وهذا هو فعل المجانين الذين لا عقول لهم، فعمل هؤلاء الذين يسمون أنفسهم الزهاد وهم في حسانهم وعند أنفسهم عقلاء، ولقد رأيت منهم رجلاً شاباً حسن الوجه في هيكل الشمس يوم عيد ميلاد الزمان في كانون الأول، فرقيت له لشبابه وكهاله، فقلت له - لما زالت الشمس وفرغنا من الصلاة الثانية - إن يني وبينك خطاباً أريد أن تنفرد معي عن الجمع، فمال معي إلى ناحية بيت الصور العفلية، فقلت له: ما اسمك؟ فقال: سنبادي، فقلت له: فما يحملك على أن تُشقي نفسك وتترق عمرك في هذا الشقاء والشدة، وكان مسبلاً بغنيته كما يفعل هؤلاء القوم أبداً، يرون بذلك الخشوع والإغراق في الزهد،

فَإِنَّ الْأَخْذَ بِرِوَايَةِ ابْنٍ وَخَشْيَةَ عَلَى عِلَّاتِهَا لَيْسَتْ بِالْبَسَاطَةِ الَّتِي تَبْدُو بِهَا، فَبَعْضُ الْبَاحِثِينَ لَا يَرَوْنَ لِكِتَابِ الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ أَصُولًا قَدِيمَةً<sup>19</sup>، وَقَدْ يَكُونُ الْكِتَابُ كُلُّهُ مِنْ تَأْلِيفِ ابْنٍ وَخَشْيَةٍ وَمِنْ ثَمَّ نَحَلَهُ إِلَى أَصُولٍ قَدِيمَةٍ حَتَّى لَا يَتَحَمَّلَ وَخْدهُ مَسْئُولِيَّةَ مَا جَاءَ بِهِ، فَبِتَّتْهُمْ مِنْ قَبْلِ مُعَاصِرِهِ بِالزُّنْدَقَةِ أَوْ مَا شَابَهُ، وَرَبَّهَا كَانَ دَافِعُهُ لِكِتَابَةِ تِلْكَ الْأَسْطَرِ كَرَاهِيَتُهُ لِلصُّوفِيَّةِ وَلِلتَّصَوُّفِ بِوَجْهِ عَامٍ<sup>20</sup>، وَإِذَا مَا اسْتَطَاعَ أَحَدُ الْبَاحِثِينَ - يَوْمًا مَا - حَسَمَ مَسْأَلَةَ قِدَمِ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ وَأَصَالَتِهِ وَنَسَبَتِهِ إِلَى النَّبْطِ الْقَدَمَاءِ فَسَيَكُونُ ذَلِكَ مُلْزَمًا بِالضَّرُورَةِ بِقَبُولِ رِوَايَةِ

فَفَتَحَ عَلَيْهِ فَإِذَا هُمَا صَحِيحَتَيْنِ مَلِيحَتَيْنِ، وَيَرْفَعُهَا فِي عَيْنِي وَقَالَ: وَنَحْكَ! مَا أَجْهَلَكَ بَيَّا نَحْنُ فِيهِ أَنَا وَأَشْبَاهِي مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي لَا نَحْسُ بِهِ أَنْتَ وَلَا وَاحِدٌ مِنْ أَشْبَاهِكَ وَأَضْرَابِكَ مِنَ النَّاسِ!؟، فَقُلْتُ لَهُ: فَلِمَ تَكْذِبُ؟، وَفِي أَيِّ نَعِيمٍ أَنْتَ وَهَذَا لِيَاْسُكَ وَهَذَا بَدْنُكَ، وَهَذَا الْكُشْفُ عَلَى يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ وَذِرَاعَيْكَ ظَاهِرٌ بَيْنَ يَرَاهُ كُلُّ مَنْ يَرَاكَ!؟، فَمَا أَعْمَى قَلْبُكَ بِأَنْ تَدَّعِي مَعَ هَذَا الْبَلَاءِ الَّذِي عَمِلْتَهُ بِنَفْسِكَ أَنْكَ فِي نَعِيمٍ!!، فَأَسْبَلُ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَجْتَهِدُ فِي أَنْ يَسِيلَ مِنْهَا دُمُوعٌ، فَمَا نَقَطَ مِنْهَا نُقْطَةً وَاحِدَةً لِشِدَّةِ الْيَسِّ وَالْكَشْفِ وَالْخَفَافِ الَّذِي قَدْ نَالَهُ مِنَ الْبَرْدِ، ثُمَّ وَثَبَ وَثَبَةً فَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ أَمَامِي. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ فَوْقَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، وَأَنْ سَبِيلَ النَّاسِ جَمِيعًا أَنْ يَتَبَرَّكُوا بِهِمْ، وَيَقْبَلُونَ كَلَامَهُمْ، وَيَسْتَشْفِعُونَ بِهِمْ وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ فِي الْيَقِظَةِ مَا تُعَايِنُهُ نَحْنُ فِي النَّوْمِ، وَيَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ وَيَضْدُقُونَ، أَمَّا صِدْقُهُمْ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَقْوَى مِنَ الْجُوعِ وَضَعْفَ طَبَائِعِهِمْ لِدَلِّكَ، وَشِدَّةَ التَّقَشُّفِ وَالشَّوَاءِ وَالْجَهْدِ يُجْعِلُ هُمَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ خَيَالَاتٍ كَاذِبَةً يَقُولُونَ: نَرَى فِي الْيَقِظَةِ، وَهُمْ مَا رَأَوْا قَطُّ شَيْئًا، وَأَمَّا كَذِبُهُمْ فَفِي إِذْعَانِهِمْ أَنَّ الْكَوَاكِبَ تُكَلِّمُهُمْ، فَضَلَّاءٌ عَنِ الْأَصْنَافِ، وَأَنَّ الْأَصْنَافَ تُحِبُّهُمْ، وَيَسْمُوهُمْ - زَعَمُوا - الْأَحْيَاءَ. الْفَلَاحَةُ النَّبْطِيَّةُ، 1: 255-257.

<sup>19</sup> انظر تفاصيل الجدل بين الباحثين [خاصة خوالسُون وتولدكه] حول وجود أصول قديمة لكتاب الفلاحة النَّبْطِيَّةِ مِنْ عَدَمِهِ فِي مَقَالِ هـ. شوتر H. SUTER II. «ابن وحشية» دائرة المعارف الإسلامية، 1: 413-414.

<sup>20</sup> لَا يَبْدُو مَائِيسِيُونُ مُقْتَنَعًا بِقِدَمِ أَصُولِ كِتَابِ الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ، وَرَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ صَرَاحَةً فَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ ضَمْنًا عِنْدَمَا نَسَبَ إِلَى ابْنٍ وَخَشْيَةِ الْكَرَاهِيَّةِ وَالتَّعَصُّبِ ضِدَّ الصُّوفِيَّةِ، وَوَصَفَ رُوَايَتَهُ بِأَنَّهَا «مُتَافِقَةٌ مُتَعَاطِفَةٌ»، آلَامُ الْحَلَّاجِ، 194. وَمَعَ ذَلِكَ فَيَبْدُو أَنَّ تِلْكَ الرِّوَايَةَ تَرَكَّتْ فِي نَفْسِهِ اثْرًا وَاضِحًا بِشِدَّةٍ حِينَئِذٍ قَرَّرَ بِنَبْرَةٍ وَائِقَةٍ وَلَهْجَةٍ تَقْرِيرِيَّةٍ حَازِمَةً اسْتِعْمَادَ كُلِّ تَفْسِيرَاتٍ اشْتِقَاقٍ لَفْظَةِ الصُّوفِيَّةِ، وَالْقَوْلُ بِاشْتِقَاقِهَا فَحَسْبُ مِنَ «لِبَاسِ الصُّوفِ»، دُونَ أَنْ يُقَدِّمَ فِي ذَلِكَ أَيَّ إِیْضَاحَاتٍ أَوْ أَدْلَةٍ يُدْعِمُ بِهَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ، مَائِيسِيُونُ: التَّصَوُّفُ، 25. فِي حِينٍ يَذْهَبُ هِنْرِي كُورْتَانُ إِلَى أَنَّ ابْنَ وَخَشْيَةَ هُوَ اسْمٌ مُسْتَعَارٌ، اسْتَعْمَلَهُ نَائِيسُخُ الْكِتَابِ وَيُدْعَى أَبَا طَالِبِ أَحْمَدَ بْنِ الزِّيَّاتِ، وَيَعْتَقِدُ أَنَّهُ شِيعِيٌّ عَلَى الْمَذْهَبِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ، لَكِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ الدَّلِيلَ عَلَى مَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ، انظر: - تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ النبايع وحتى ابن رشد، ترجمة نصير مروة؛ حسن قبيسي، بيروت 1998، 201.

ابن وخشيّة على عِلاتها، واعتبار التّصوّف في أصوله مِراثًا صابئيًا بختًا، وليس مِراثًا هللينيًا، أو محاكاة إسلاميّة للرّهبة عند النّصارى، كما أنّه ليس محاكاة إسلاميّة للبُوذيّة<sup>21</sup>. ولكن بما أنّ تلك المسألة لم يتمّ حلّها حتّى يومنا هذا فليس أمامنا إلّا وضع احتمال أن تكون أصول التّصوّف صابئيّة كاحتمال قائم وقابل للدراسة ضمن باقي الفرضيّات الأخرى.

وكيفما كان الأمر فهناك العديد من مظاهر تأثر المتصوّفة بالصّابئة، على رأسها احتقار الصّوفيّة للعالم المادّي، وتصويرهم الجسد على أنّه عنصر شرّير، وإغلاؤهم من شأن الرّوح والرّوحانيّات، فالنّفس عند الصّوفيّة مُرادفة للجسد، وهي مُضادّة للرّوح، وعقبة مع الشّيطان وأغوانه في سبيل معرفة الله<sup>22</sup>. وهناك أثر لا يُنكر للأفلاطونيّة المُحدثة يتمثّل في اعتقادات الصّوفيّة في صفاء رُوح الصّوفي واستعدادها لتلقّي ما لا يتلقّاه العامّة، وإبصار ما وراء الحُجب وانكشاف الغيب والاتّصال بالأنبياء والملائكة المُقرّبين من الحضرة الإلهيّة<sup>23</sup>، وهو ما يُدعى في عُرف الصّوفيّة ومُصطلحاتهم بـ«الإشراق» أو «الكشف»، وهو في جوهره تحوير صوفيّ لجوهر نظرية الفيض في الأفلاطونيّة المُحدثة، وهو عنصر أصيل وجوهري في عقائد الصّابئة الحُرانيّة<sup>24</sup>.

ولا يمكننا أن نتجاهل هنا أنّ واحدًا من أبرز المتصوّفة الزّهاد وهو معروف الكرّخي كان مندائي الأصل، وكان مُتأثرًا إلى حدٍّ ما بعقائد قومه المندائيين، ومنها علاقة الموتى بالأحياء، والتي تتجلّى في قصّة الشاب الذي أتاه فأخبره أنّ والده المُتوفّى يأتيه في منامه ويطلب منه أن يُهدي إليه شيئًا، فتصحّه محفوظ بأن يُهدي إليه كما يُهدي الأحياء بعضهم بعضًا<sup>25</sup>، وفي

<sup>21</sup> بيكلسون: الصّوفيّة في الإسلام، 19-28.

<sup>22</sup> بيكلسون: نفسه، 48.

<sup>23</sup> المرجع نفسه، 69-70.

<sup>24</sup> هنري كوربان: السّهووردي الحلبي، مؤسس المذهب الإشرافي، في: - شخصيّات قلقة في الإسلام، ترجمة

عبد الرّحمن بدوي، القاهرة 1964، 110.

<sup>25</sup> ابن الجوزي: مناقب معروف الكرّخي وأخباره، 623-624.

هذا بعض ملامح طُقوس «اللوقاني»<sup>26</sup> المندائية. ومن ذلك أيضًا ممارساته التي كانت تُشير عَجَب مُعاصريه، من ذلك أَنَّهُ تَبَوَّلَ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الشَّاطِئِ فَنِيَّم، مُشِيرًا بِذَلِكَ عَجَب الْحَاضِرِينَ، وَهُوَ تَصَرَّفٌ لَا يَصِحُّ مِنَ الْوِجْهَةِ الدِّينِيَّةِ<sup>27</sup>، فَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّ الْمَاءَ قَرِيبٌ وَلَا مُبَرَّرٌ لِمَا فَعَلَ، فَقَالَ مَعْرُوفٌ: «أَخَافُ أَلَّا أَعِيشَ لَا بُلْغَهُ»<sup>28</sup>، وَقَدْ يُشِيرُ هَذَا إِلَى خَوْفِهِ مِنْ تَدْنِيسِ الْمَاءِ الْجَارِي وَإِلَى بَقَاءِ بَعْضِ الْمُؤَثِّرَاتِ الْمَدَائِنِيَّةِ فِي نَفْسِهِ.

وَنَجِدُ فِي بَعْضِ اعْتِقَادَاتِ الصَّابِيَةِ ذَاتِ الْأَصْلِ الْغَنُوصِيِّ كُنْفِي التَّشْبِيهِ عَنْ اللَّهِ مُطْلَقًا سِمَةً اِمْتَارَتْ بِهَا بَعْضُ دَعَوَاتِ غُلَاةِ الْمُتَصَوِّفَةِ كَالْحَلَّاجِ (ت309هـ/ 921م) فَقَدْ نَقَلَ اتِّبَاعُهُ عَنْ لِسَانِهِ قَوْلَهُ فِي صِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَضَفَهُ لَا صِفَةَ لَهُ، وَفَعَلَهُ لَا عِلَّةَ لَهُ، مَا تَصَوَّرَ فِي الْأَوْهَامِ فَهُوَ بِخِلَافِهِ»<sup>29</sup>. كَذَلِكَ اتَّهَمَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الشُّنَّةِ بَعْضَ هَؤُلَاءِ الْغُلَاةِ بِالْأَخْذِ مُبَاشَرَةً عَنِ الصَّابِيَةِ فَقَدْ اتَّهَمَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ابْنَ عَرَبِي (ت638هـ/ 1240م) أَنَّهُ اسْتَقْبَلَ النُّبُوءَاتِ الْخُرَافِيَّةَ وَمُدَّةَ بَقَاءِ الْعَالَمِ وَقِيَامَ الْقِيَامَةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي كِتَابِهِ «عَنْقَاءُ مُغْرِبٍ» مِنْ حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ وَنُبُوءَاتِ الصَّابِيَةِ<sup>30</sup>.

وَمِنَ الْمُؤَثِّرَاتِ الصَّابِيَّةِ الْبَارِزَةِ فِي مُعْتَقِدَاتِ الْمُتَصَوِّفَةِ ذَلِكَ الْاعْتِقَادُ الَّذِي يَعتَبِرُ الْأَرْضَ امْرَأَةً وَالسَّمَاءَ رَجُلًا، وَالْمَاءَ الْجَارِيَّ بِمِثَابَةِ التُّطْفَةِ، فَهُوَ الَّذِي يُلْقِحُ الْأَرْضَ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى إِخْصَانِهَا، وَهُوَ لَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى إِخْصَابِ الْأَرْضِ فَحَسَبَ؛ بَلْ إِخْصَابُ النِّسَاءِ أَيْضًا، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي سِيرَةِ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ الْمَدَائِنِيِّ، فَقَدْ أُعْطِيَ «أَنْثَى إِنْثَرَا»<sup>31</sup> «أَنْثِي» [إِلْيَا صَابَات

<sup>26</sup> عَنْ «اللُّوقَانِي» رَاجِعِ الْفَصْلِ التَّاسِعِ.

<sup>27</sup> وَعَقَّبَ ابْنُ الْجَوَزِيِّ عَلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ مُتَعَجِّبًا بِقَوْلِهِ إِنَّ الرَّاوِيَّ عَنْ مَعْرُوفٍ رُبَّمَا لَمْ يَفْهَمْ عَنْهُ، وَأَنَّهُ لَمَّا بَالَ اسْتَجْمَرَ، إِذْ أَنَّ التَّيْمُّ مَعَ قُرْبِ الْمَاءِ لَا يَصِحُّ. ابْنُ الْجَوَزِيِّ: مَنَاقِبُ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ وَأَخْبَارُهُ، 642.

<sup>28</sup> ابْنُ الْجَوَزِيِّ: نَفْسُهُ، نَفْسُ الصَّفْحَةِ.

<sup>29</sup> لُؤَيْسُ مَاسِينِيُون: أَخْبَارُ الْحَلَّاجِ الْمَعْرُوفِ بِشُنَاجِيَّاتِ الْحَلَّاجِ، يَارِيسَ 1936، 31.

<sup>30</sup> ابْنُ تَيْمِيَّةَ: الْفَتَاوَى الْكُبْرَى، 3: 123.

<sup>31</sup> أَحَدُ كِبَارِ الْمَلَائِكَةِ الثُّورَانِيِّينَ فِي الْعَقَائِدِ الْمَدَائِنِيَّةِ، وَهُوَ يَلْعَبُ فِي الْأَسَاطِيرِ الْمَدَائِنِيَّةِ دَوْرَ رَسُولِ «مَنْدَادِ هَيْبِي» [عَارَفِ الْحَقِّي] وَحَامِلِ رِسَالَتِهِ إِلَى بَنِي الْبَشَرِ.

كما في [الأناجيل] أم يوحنا ماء جاريا طاهرا للشرب، ومن ذلك الماء أصبحت حاملا؛ لأن زوجها زكريا كان شيخا هريما لا يقوى على الإنجاب.<sup>32</sup>

وقد شخص غلاة الصوفية الأسطورة المندائية في أسطورة تجسد الحلاج بعد مقتله، والتي تلخص في أنه لدى مقتل الحلاج ملأت أخته إناء من ماء النهر الجاري بأمر من أخيها عندما جاءها في منامها، فتجسدت روح أخيها في ذلك الإبريق، وحين شربت منه أصبحت حاملا به، ثم ولدت ولدا بعد تسعة أشهر، وبذلك تجسدت روح الحلاج ثانية لاتباعه في جسد المولود الصغير.<sup>33</sup>

نجد أيضا أن مختلف الفرق والمذاهب الإسلامية التي نأت عن مذهب أهل السنة قد تأثرت بشكل ما بمعتقدات الصابئة، فالجهمية<sup>34</sup> والنظامية<sup>35</sup> من أكثر الفرق تأثرا بمقولات الصابئة، فقد اتهم الجعدي بن دهرهم وجهم بن صفوان مؤسسا فرقة الجهمية بالاتصال بصابئة

<sup>32</sup> دزاور: الصابئة المندائيون، 167.

<sup>33</sup> دزاور: نفسه، 167.

<sup>34</sup> اتباع جهم بن صفوان (الموتى نحو عام 130هـ/747م)، وهو تلميذ الجعدي بن دهرهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري عام 124هـ/741م، والجهمية فرقة من غلاة الجبرية (القائلين بنفي الاستطاعات)، ومذهبهم يقوم على أن جميع الأفعال هي لله وحده، وأنها تُنسب للمخلوقين على سبيل المجاز، وبالتالي فإن جميع المخلوقات مسيرة لا محيرة، كما آمن الجهمية بتعطيل الصفات، وقالوا إن الباري أجل من أن يوصف، كما آمن الجهمية أيضا بفتاء الجنة والنار بعد تلذذ أهل الجنة وتألم أهل النار، وفسر قوله تعالى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ على المبالغة لا التحقيق، قتل جهم بن صفوان في حران في خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وللتفصيل عن الجهمية انظر: - الشهرستاني: الملل والنحل، 1: 86 وما بعدها؛ الأشعري: المقالات والفرق، 6؛ الرأزي: اعتقادات فرق المسلمين، 86.

<sup>35</sup> اتباع إبراهيم بن سيار النظام (ت 231هـ/845م)، وهو ابن أخت أبي هذيل العلاف شيخ المعتزلة في عصره، وعنه أخذ الاعتزال، والنظامية إحدى أهم فرق المعتزلة، وهم يؤمنون بقدرة المخلوقات على الفعل والاختيار مطلقا، وبالتالي في هذا حتى قالوا بأن المخلوق يقدر على فعل أشياء لا يقدر عليها الخالق، كما رفضوا الاجتماع والقياس ورواية الأخاد عند التشريع، عن النظامية انظر: - الشهرستاني: الملل والنحل، 1: 53 وما بعدها؛ الرأزي: اعتقادات فرق المسلمين، 41-42.



حَرَّانَ وَالْأَخْذَ عَنْهُمْ مُبَاشَرَةً<sup>36</sup>. كما اتَّهم إبراهيم بن سَيَّار النِّظَّام؛ مؤسِّس فِرْقَةِ النِّظَّامِيَّةِ أَيْضًا بِالتَّأَثُّرِ بِمَقُولَةِ الْفَلَّاسِغَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ، فَقَدْ اشْتَرَكُوا جَمِيعًا فِي الْإِيمَانِ فِيمَا يُسَمَّى اضْطِلَاحًا بِ«تَعْطِيلِ الصِّفَاتِ»، وَنَفْيِ الشَّرِّ عَنِ الْبَارِي<sup>37</sup>. وَيتَلَخَّصُ ذَلِكَ فِي الْقَوْلِ بِأَنَّ اللَّهَ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُوصَفَ، وَأَنَّ جَمِيعَ الْأَوْصَافِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسُهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ هِيَ مِنْ بَابِ التَّقْرِيبِ لِأَذْهَانِ الْبَشَرِ، لَكِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ صِفَاتٌ مُتَوَهِّمَةٌ، يَجِلُّ اللَّهُ عَنْ مُجَرَّدِ الْإِتِّصَافِ بِهَا، وَهِيَ مُعْتَقَدَاتٌ تَفَرَّدَ بِهَا الْحَرَنَانِيَّةُ الَّذِينَ وَصَفُوا الْبَارِي بِأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنِ الصِّفَاتِ، فَالْتَدِيمُ يَنْقُلُ عَنْ ابْنِ الطَّبِيبِ السَّرْحِييِّ قَوْلَهُ إِنَّ الصَّابِتَةَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْبَارِي لَا تَلْحَقُهُ صِفَةٌ<sup>38</sup>.

بل إنَّ ابنَ نَيْمِيَّةٍ اتَّهَمَ الصَّابِتَةَ عُمُومًا بِأَنَّ مُعْتَقِدَاتِهِمْ حَوْلَ قِدَمِ الْعَالَمِ وَأَزَلِّيَّتِهِ، وَالْقَوْلِ بِثَنَائِيَّةِ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَعِبَادَةِ الْكَوَاكِبِ وَالتَّجُومِ عَلَى أَنَّهَا قُوَى فَاعِلَةٌ وَمُؤَثِّرَةٌ فِي مَصَائِرِ الْبَشَرِ هِيَ وَرَاءَ مَا سُمِّيَ بِظَاهِرَةِ «الزَّنْدَقَةِ» فِي الْإِسْلَامِ، وَمِنْ ثَمَّ هَاجَمَ بِشِدَّةٍ سِيَاسَةَ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مُحَاطَاتِهِمْ وَتَقْرِيبِهِمْ<sup>39</sup>.

<sup>36</sup> الكرَمي المَقْدِسِي: أَفَاوِيلُ الثَّقَاتِ فِي تَأْوِيلِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ وَالْمُسْتَبْهَاتِ، تَحْقِيقُ شُعَيْبِ الْأَزْهَرَاوُط، بَيْرُوت 1406، ص 230. رَشِيدُ الْحَيُّون: مُعْتَرِزَةُ الْبَصْرَةِ وَبَغْدَاد، بَغْدَاد 1997، 54.

<sup>37</sup> عبد القَاهِر البَغْدَادِي: الْمِلَلُ وَالنَّحَلُ، تَحْقِيقُ أَلْبِيرِ نَضْرِي نَادِر، دَارُ الْمَشْرِقِ، بَيْرُوت د.ت، 91.

<sup>38</sup> التَّدِيم: الْفُهْرَسْتُ، 2: 361، CHWOLSOHN: op. cit, p 12.

<sup>39</sup> الْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا الْإِتِّهَامَ بِالْمُجْمَلِ لَهُ مَا يَبْرره، فَالزَّنْدَقَةُ خَلِيطٌ مِنَ الْمُعْتَقَدَاتِ ذَاتِ الطَّبِيعَةِ التَّلْفِيقِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنِ الْمَنْدَائِيَّةِ وَالْمَانَوِيَّةِ وَالنَّضْرَانِيَّةِ، وَتَقُومُ عَلَى الْإِعْتِقَادِ بِثَنَائِيَّةِ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَالصَّرَاحِ بَيْنَ الْبَارِي وَبَيْنِ الشَّيْطَانِ، وَهِيَ مُعْتَقَدَاتٌ جَسَّدَهَا الدِّيَانَةُ الْمَانَوِيَّةُ، وَلَكِنْ مَا تَمَيَّزَتْ بِهِ الْمَانَوِيَّةُ عَنِ الْمَنْدَائِيَّةِ هِيَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ دِيَانَةً بَاطِنِيَّةً مُطْلَقًا؛ لِذَا فَقَدْ تَعَرَّفَ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا عَنْ كُتُبٍ، وَأُطْلِقُوا عَلَى أَتْبَاعِهَا جَمِيعًا لِقَبِّ الزَّنَادَقَةِ. فَقَدْ نَشَأَتِ الْمَانَوِيَّةُ بَيْنَ أَحْضَانِ الْمَنْدَائِيَّةِ، فَقَدْ وُلِدَ مَانِي فِي دَسْتُمِيَسَانَ عَامَ 216م فِي بَيْتَةِ مَنْدَائِيَّةٍ صِرْفَةٍ، وَاعْتَنَقَ وَالِدُهُ دِيَانَةَ الْمَنْدَائِيَّةِ وَصَارَ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَأَغْلَبَ الظَّنُّ أَنَّ مَانِي نَفْسُهُ نَشَأَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَنْدَائِيِّينَ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يُيَسَّرَ بَدْيَاتِهِ الْخَاصَّةُ، وَالتِّي تُسَبِّتُ إِلَيْهِ، التَّدِيم: الْفُهْرَسْتُ، 2: 379-380؛ قَارَنَ أَيْضًا: أَرْزَرُ كَرِيْسْتِنْسَن: إِيْرَانُ فِي عَهْدِ السَّاسَانِيِّينَ، تَرْجَمَةُ يَحْيَى الْحَشَّابِ، الْقَاهِرَةُ 1998، 171؛ مُحَمَّدُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحَمْدُ: الدِّيَانَةُ الْيَزِيدِيَّةُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْمَانَوِيَّةِ، دِمَشْقُ 2001، 30؛ وَقَدْ لَفَّتَ التَّشَابُهَ فِي الْمُعْتَقَدَاتِ بَيْنَ الصَّابِتَةِ الْمَنْدَائِيِّينَ وَبَيْنَ الْمَانَوِيَّةِ أَنْظَارَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا بِالْفَعْلِ بِوُجُودِ أَصُولٍ وَاحِدَةٍ لِمُعْتَقَدَاتِ كِلْتَا

وَسَنَجِدُ تَأْثِيرًا مِندائِيًّا صَرَفًا فِي بَعْضِ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَفِرْقَةِ الْمُبِیْضَةِ<sup>40</sup>، وَقَدْ أُطْلِقَ

عَلَيْهِمْ هَذَا الْاسْمُ نَتِیْجَةً مُعَالَاتِهِمْ فِي ارْتِدَاءِ الْبِیَاضِ، وَهُوَ مَلِیس الصَّابِنَةِ الْمُغْتَسِلَةِ نَفْسُهُ، وَقَدْ اعْتَقَدُوا أَنَّهُ بَغِیْرُهُ لَا تَتَمُّ شَعَائِرُهُمُ الدِّیْنِیَّةُ، وَهِيَ مُعْتَقَدَاتُ الصَّابِنَةِ الْمِندَائِیِّیْنَ نَفْسَهَا فِي ارْتِدَاءِ الرَّسْمَةِ الْبِیْضَاءِ<sup>41</sup>.

وَيُعْتَبَرُ الْمُعْتَزِلَةُ<sup>42</sup> مِنْ أَكْثَرِ الْفِرَقِ تَأْثِرًا بِمَقُولَاتِ الصَّابِنَةِ، وَكَانَ فِكْرُ الْمُعْتَزِلَةِ أَثَرًا مُبَاشِرًا لَانْفِتَاحِ الْمُسْلِمِیْنَ عَلَى التَّنَاجِ الْفِكْرِيِّ لِلْفَلَسَفَةِ الْیُونَانِیَّةِ وَمُعْتَقَدَاتِ صَابِنَةِ حَرَّانَ عَلَى

الْفِرْقَتَيْنِ، انْظُر: الْجَمِیْرِي: الرُّوضُ الْمِغْطَارُ، 191؛ الْمَأْتَرِيدِي: التَّوْحِيدُ، تَحْقِيقُ فَتْحِ اللَّهِ خَلِیْفِ، الْإِسْكَندَرِيَّةُ د.ت، 171؛ الْبِیْرُونِي: الْقَانُونُ الْمُسْمُودِي، 1: 92. وَلَمْ یَكُنِ الْبَاحِثُونَ یَنْظُرُونَ بَعِیْنَ الْارْتِبَاحِ لِمَقُولَةِ النَّدِيمِ عَنْ نَشْأَةِ مَانِي فِي أَوْسَاطِ الْمِندَائِیِّیْنَ، وَعَنْ تَأْثَرِ الْمَانَوِيَّةِ بِالْمِندَائِیَّةِ، بَلْ كَانُوا یَعْزُونَ التَّشَابَهَ بَيْنَهُمَا إِلَى تَأْثَرِ الْمِندَائِیَّةِ بِالْمَانَوِيَّةِ وَلِیْسِ الْعَكْسُ، وَقَدْ ظَلَّ هَذَا الْمَوْضُوعُ عَلَلًا أَخَذَ وَرَدًا بَيْنَ الْبَاحِثِیْنَ حَتَّى حَسَمَ بَاحِثٌ سُویدی هَذَا الْجَدَلَ عَمَامًا، فَقَدْ لَاحَظَ سُوْدِرْبِرْغ S. SODERBERG أَثْنَاءَ دِرَاسَتِهِ لِلتَّرَاثِ الْمَانَوِي فِي مَجْمُوعَاتِ نَجْعِ حَمَادِي أَنَّ كِتَابَ التَّرَاتِیْلِ الْمَانَوِيَّةِ الْمُدَوَّنَ بِاللُّغَةِ الْقِبْطِیَّةِ یُقْتَبَسُ كَثِیرًا وَأَحْیَانًا یُتَرْجَمُ كَلِمَةً فَكَلِمَةً مِنْ كُتُبِ التَّرَاتِیْلِ الْمِندَائِیَّةِ، وَقَطَعَ عَزِیزُ سَبَاحِي خُطُوَّةً أُخْرَى أَكْبَرَ عِنْدَمَا نَوَّهَ إِلَى صَحَّةِ مَا جَاءَ عِنْدَ النَّدِيمِ بَعْدَ أَنْ أُطْلِعَ عَلَى مَخْطُوطَةٍ قَدِیْمَةٍ ضَمَّنَ مَجْمُوعَاتِ نَجْعِ حَمَادِي؛ اضْطَلَحَ الْبَاحِثُونَ عَلَى تَسْمِیَّتِهَا *The Cologne Mant Codex* وَضَعَتْ لِلدِّفَاعِ عَنْ مَانِي وَعَقَائِدِ الْمَانَوِيَّةِ، وَتَضَمَّ أَقْوَا أَلَا بَعْضُهَا مَنْسُوبٌ إِلَى مَانِي نَفْسُهُ وَأُخْرَى مَنْسُوبَةٌ إِلَى تَلَامِیْذِهِ، وَضَعَتْ عَلَى أَقْصَى تَقْدِیرٍ بَعْدَ قَرْنِیْنِ وَنِصْفِ الْقَرْنِ مِنْ وَفَاةِ مَانِي؛ أَيْ مَعَ دُخُولِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْبِرَاقِ، وَقَدْ وَرَدَ بِهَا تَأْصِیلٌ لِمَزَاجِ النَّدِيمِ مِنْ أَنَّ مَانِي كَانَ مِندَائِيًّا دِیَانَةً، وَعَاشَ بَيْنَ ظَهْرَانِي طَائِفَةِ الْمُغْتَسِلَةِ وَالَّذِیْنَ تُطْلَقُ عَلَيْهِمُ الْمَخْطُوطَةُ لِقَبِّ الْمُتَعَمِّدِیْنَ أَوْ الْمُعْمَدَانِیِّیْنَ، وَهُوَ لَقَبٌ یُوزَازِي مَا أَوْرَدَهُ النَّدِيمُ مِنْ تَسْمِیَّتِهِمُ بِالْمُغْتَسِلَةِ، سَبَاحِي: أَصُولُ الصَّابِنَةِ، 249-251.

<sup>40</sup> فِرْقَةٌ مِنَ الشَّیْعَةِ الْغُلَاةِ، الَّذِينَ غَالُوا فِي ائْتِمَاتِهِمْ وَنَسَبُوهُمْ إِلَى صِفَاتِ الْإِلَوهِيَّةِ، وَكَانَ مَرْكَزُهُمْ بِلَادَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ.

<sup>41</sup> الْبِیْرُونِي: الْآثَارُ الْبَاقِیَّةُ، 211. وَعَنْ الرَّسْمَةِ الْمِندَائِیَّةِ، رَاجِعِ الْفَصْلَ التَّاسِعَ.

<sup>42</sup> الْمَلْطَطِي الشَّافِعِي: التَّبْیِیْهِ وَالرَّدَّ عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ، تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ زَاهِدُ بْنُ الْحَسَنِ الْكُوثَرِي، الْقَاهِرَةُ 1991، 38؛ وَعَنْ الْاِعْتِزَالِ وَیَدَائِیَاتِهِ الْأَوَّلَى انْظُرِ الْفَصْلَ الْبَدِیْعِ الَّذِي عَقَدَهُ كَارُلُ الْفُونْسُو نِیلْسُونُ بِعَنْوَانِ: بَحْثٌ فِي الْمُعْتَزِلَةِ، ضَمَّنَ كِتَابَ التَّرَاثِ الْیُونَانِي فِي الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، تَرْجَمَهُ وَتَحْرِیرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدْوِي، 173-203.

السَّوَاءُ<sup>43</sup>. وَهُمْ أَوَّلُ فِرْقَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ عَرَضَتْ مَذْهَبَهَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ عَلَى نَحْوِ مَذْهَبِي مُتَكَايِلٍ، وَكَانُوا لَا يَقْفُونَ عِنْدَ النُّصُوصِ بِحَرْفَيْتِهَا كَمَا كَانَ دَابُّ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ، وَكَانُوا يُجَاوِلُونَ دَائِمًا التَّفَازَ إِلَى مَا وَرَاءَ النَّصِّ؛ لِذَا عُرِفُوا بِـ«أَهْلِ الْكَلَامِ» أَوْ «أَهْلِ الرَّأْيِ»<sup>44</sup>، أَخَذَ الْمُعْتَزَلَةُ عَنِ الصَّابِئَةِ اعْتِقَادَهُمْ فِيهَا بِتَعَلُّقِ بَعْدَمِ نِسْبَةِ الشَّرِّ إِلَى اللَّهِ<sup>45</sup>، وَاعْتَقَدُوا أَنَّ الْبَارِيَّ عَزَّ وَجَلَّ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يَخْلُقَ الشَّرَّ وَالْقَبَائِحَ وَالْأَقْدَارَ وَالْحَنَافِسَ وَالْحَيَاتِ وَالْعَقَارِبَ، بَلْ هِيَ ضُرُورَاتٌ تَنْبَجَتْ عَنِ اتِّصَالَاتِ الْكَوَاكِبِ سَعَادَةً وَنَحْسًا<sup>46</sup>، كَمَا نَقَلُوا عَنْهُمْ اعْتِقَادَاتِهِمْ ذَاتِ الطَّبِيعَةِ الْغُضُوبِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِنَفْيِ التَّشْبِيهِ أَوْ نَفْيِ الصِّفَاتِ عَنِ الْبَارِيِّ مُطْلَقًا<sup>47</sup>.

وَقَدْ لَاحَظَ عُلَمَاءُ الْمُعْتَزَلَةِ أَنْفُسَهُمْ تَطَابُقَ مُعْتَقَدَاتِهِمْ مَعَ عَقَائِدِ صَابِئَةِ حَرَّانَ فِي بَعْضِ الْجُزْئِيَّاتِ الدَّقِيقَةِ، وَقَدْ اسْتَشْعَرَ الْقَاضِي الْمُعْتَزَلِيُّ عَبْدَ الْجَبَّارِ - هُوَ رَأْسُ الْمُعْتَزَلَةِ فِي زَمَانِهِ - خَطُورَةَ ذَلِكَ الْاِتِّهَامِ الَّذِي يَضَعُ الْمُعْتَزَلَةَ فِي الْمُرْبَعِ ذَاتِهِ مَعَ الصَّابِئَةِ، فَقَالَ مُتَحَرِّجًا وَنَاصِحًا أَتْبَاعَهُ بِكَيْفِيَّةٍ دَفَعَ هَذَا الْاِتِّهَامَ عِنْدَ الْحُجَّاجِ «إِنْ قِيلَ أَيْنَ أَنْتُمْ [أَيِ الْمُعْتَزَلَةِ] عَنِ الْقَائِلِينَ بِالنَّفْسِ وَالْعَقْلِ؟، وَعَمَّنْ يَقُولُ بِإِبْنَاتِ عِلَّةٍ كُنِّيَ بِهَا عَنِ الْبَارِي؟، وَكَذَلِكَ أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ أَصْحَابِ النُّجُومِ الَّذِينَ أَضَافُوا هَذِهِ الْحَوَادِثَ إِلَى تَأْثِيرَاتِ الْكَوَاكِبِ؟...»<sup>48</sup>.

كَذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ بَعْضَ عَقَائِدِ الْمُنْدَثَائِيِّينَ الدِّيْنِيَّةِ وَجَدَتْ طَرِيقَهَا إِلَى الْكِتَابِ الْمُسْلِمِينَ،

<sup>43</sup> A. I. SABRA: *The scientific enterprise, in: world of Islam*, p 181.

<sup>44</sup> JOSEPH SCHACHT: *The origins of Muhammadan jurisprudence*, Oxford univ. press 1950, p 128.

<sup>45</sup> أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمُرْتَضَى: بَابُ ذِكْرِ الْمُعْتَزَلَةِ مِنْ كِتَابِ الْمُنْيَةِ وَالْأَمَلِ فِي شَرْحِ الْمِلَلِ وَالنَّحْلِ، بِاعْتِنَاءِ تَوْماسِ أَرْنُولِد، مَشْهُورَاتُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ، حَيْدَرُ آبَادِ الدُّكْنِ د.ت، 6.

<sup>46</sup> الشَّهْرِسْتَانِي: الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ، 1: 56.

<sup>47</sup> دُومِينِيكُ سُوْرْدِيل: الْإِسْلَامُ وَالْقُرُونُ الْوُسْطَى، 95؛ أَلْبِيرُ نَضْرِي نَادِر: فِلْسَفَةُ الْمُعْتَزَلَةِ؛ فِلَاسِفَةُ الْإِسْلَامِ الْاَفْدِيْمِيْنَ، الْقَاهِرَةُ د.ت، 1: 37 وما بعدها.

<sup>48</sup> شَرْحُ الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ، تَحْقِيقُ عَبْدِ الْكَرِيمِ عُثْمَانَ، الْقَاهِرَةُ 2009، 120-121.

فنظرية العالم الآخر الموزي هي نظرية مندائية صرفة<sup>49</sup>، حيث تستقل الروح الطاهرة إلى أرض العهد «مشوني كُشطا»<sup>50</sup>، وهي أرض تقع إلى الشمال وراء منطقة الجليد والثلج حيث النور الدائم، وحيث كل شيء أبيض نقي، وحيث يمكن لقاطنيها أن يروا الكائنات النورانية ويتحدثوا معها وحيث الجميع في تسييح الباري<sup>51</sup>. ومن المدهش أن نجد القزويني يتحدث عن أرض الأطهار؛ وهي أرض وصفها بأنها بيضاء، تسيّر فيها الشمس ثلاثين يوماً؛ محشوة من خلق الله تعالى لا يعلمون أن الله يعضى طرفه عين<sup>52</sup>. الاعتقاد نفسه عند العالم الصوفي السهروردي (ت 587هـ / 1191م) الذي يتحدث عن أرض بيضاء كالرُخام عرضها مسيرة الشمس أربعين يوماً طولها لا يعلمه إلا الله، تملوء بأطهار يقال لهم الروحانيون، وهم زجل بالتسييح والتهليل<sup>53</sup>.

كما انتقلت بشكل ما بعض موروثات المندائيين إلى عامة المسلمين، فالقُطب الشمالي قبلة المندائيين الدينية، يمكن للأزمد الناظر إليه يوم الأحد - وهو يوم المندائيين المقدس - أن يشفي من الرمد، وهو يشفي كذلك الأسود والذبية والثمور من أمراضها<sup>54</sup>. والطريف أيضاً في هذا الصدد أن التقليد الشرقي في تسمية الشخص باسم أمه فيما يخص الرقى والتعاوين والسعوذة والسحر الأسود هي مؤثرات مندائية صرفة.

<sup>49</sup> عن نظرية العالم الموزي راجع الفصل الثالث.

<sup>50</sup> مشوني كُشطا، تقول دراور أن معناها يحتمل أن يكون باللغة المندائية «الحق المرفوع من لدنا»، وهو عالم الأنوار عند المندائيين، فوفقاً للعقيدة المندائية فإن لدى الوفاة تشارك الروح الجسد الترابي الفان، وتلتحق بالجسم الأثيري لشيء الإنسان، وفي هذا الجسم الأخير تُعاني الروح آلام التطهير، أما الشيء في مشوني كُشطا فهو لدى وفاة صنوه الأضي يستعد جسده الأثيري لاستقبال روح المتوفى، وحين تكون النفس البشرية قد أتمت دورها التطهيري يتحد الشخص مع قرينه، تفصيلاً انظر: دراور: الصابئة المندائيون، 110-111.

<sup>51</sup> دراور: الصابئة المندائيون، 112.

<sup>52</sup> القفطي: إخبار العلماء، 133.

<sup>53</sup> السهروردي: كشف الفصائح اليونانية، ورشف النصائح الإيبانية، تحقيق عائشة يوسف المناعي، القاهرة 1999، 115.

<sup>54</sup> شيخ الربوة: عجائب الدهر، 73.

والطَّرِيفُ أَنْ نَجِدَ الْجُغْرَافِيَّاءَ عِنْدَ الْقَدَمَاءِ - بِشَكْلِهَا الْكَلَّاسِيكِيِّ - قَدْ تَأَثَّرَتْ كَثِيرًا بِمُعْتَقَدَاتِ الصَّابِنَةِ الدِّيْنِيَّةِ، حَتَّى أَنَّنَا لَا نَزَالُ حَتَّى الْيَوْمِ نَسْتَخْدِمُ فِي مُصْطَلَحَاتِنَا الْجُغْرَافِيَّةِ بَعْضًا مِنْ هَذَا الثَّرَاثِ، فَأَقَالِيمُ الْأَرْضِ سَبْعَةٌ، مَقْسُومَةٌ عَلَى الْكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ، ودَوَائِرُ الْعَرْضِ الْاِثْنَتَيْنِ عَشْرَ هِيَ ذَاتُهَا عِلَامَاتُ الْبُرُوجِ الْاِثْنَتَيْنِ عَشْرَ، فَالْاِقْلِيمُ الْأَوَّلُ وَهُوَ أَرْضُ الْهِنْدِ، وَلَهُ مِنْ الْكَوَاكِبِ رُحْلٌ، وَمِنْ الْبُرُوجِ الْجُذْيُ وَالذَّلْوُ<sup>55</sup>، وَالثَّانِي وَيُضَمُّ الْحِجَازَ وَالْحَبَشَةَ وَهُوَ لِلْمُشْتَرَى وَلَهُ مِنَ الْاِبْرَاجِ الْقَوْسُ وَالْحُوتُ<sup>56</sup>، وَالثَّلَاثُ مِضَرُ وَإِفْرِيقِيَّةٌ وَلَهُ مِنَ الْكَوَاكِبِ الْمِرْيَخُ، وَمِنْ الْاِبْرَاجِ الْحَمَلُ وَالْعَقْرَبُ<sup>57</sup>، وَالرَّابِعُ وَيَشْمَلُ بَابِلَ وَالْعِرَاقَ وَلَهُ مِنَ الْكَوَاكِبِ الشَّمْسُ، وَمِنْ الْبُرُوجِ الثَّوْرُ وَالْمِيزَانُ<sup>58</sup>، وَالْخَامِسُ وَيَشْمَلُ أَرْضَ الرُّومِ وَلَهُ مِنَ الْكَوَاكِبِ الزَّهْرَةُ، وَمِنْ الْبُرُوجِ الْجُوزَاءُ وَالسُّنْبُلَةُ<sup>59</sup>، وَالسَّادِسُ وَيَشْمَلُ أَرْضَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُوَ لِعُطَارِدَ، وَلَهُ مِنَ الْبُرُوجِ الشَّرْطَانُ وَالْأَسَدُ<sup>60</sup>، وَالسَّابِعُ وَيَشْمَلُ الصِّينَ وَهُوَ لِلْقَمَرِ<sup>61</sup>. وَمَا زِلْنَا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا نَجِدُ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْاِبْرَاجِ الْفَلَكَيَّةِ وَمَا يَحْدُثُ لِلْإِنْسَانِ جَرَاءَ تَبَدُّلِ أَحْوَالِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ وَاخْتِلَافِ مَنَازِلِهَا، وَيُؤْمِنُ أَيْضًا بِتَدْخُلِ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ وَحَرَكَاتِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ فِي مَصِيرِ الْإِنْسَانِ وَمَبُولِهِ وَصِفَاتِهِ وَعَادَاتِهِ، وَسَائِرِ مَا يَقَعُ لَهُ فِي حَيَاتِهِ.

<sup>55</sup> سُهْرَابُ: عَجَائِبُ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ، 12.

<sup>56</sup> نَفْسُهُ، 16.

<sup>57</sup> نَفْسُهُ، 20.

<sup>58</sup> نَفْسُهُ، 23.

<sup>59</sup> نَفْسُهُ، 31.

<sup>60</sup> نَفْسُهُ، 37.

<sup>61</sup> نَفْسُهُ، 41؛ قَارَنَ الْمُشْعُودِي: التَّثْبِيهِ وَالْإِشْرَافَ، 31.



## الفصل

### الخامس عشر

15

## أثر الصابئة

### في الفلسفة الإسلامية

«قال الكندي إنّه نظر في كتاب يُقرّ  
به هؤلاء القوم أيّني صابئة حرّان، وهو  
مقال لِهَرْمَسُ في التَّوْحِيدِ؛ كثيرها لابنه  
على غاية من الثّقانة في التَّوْحِيدِ، لا يمدُّ  
الفيلسوف - إذا اتّعب نفسه - مشوّحة  
عنّها والقول بها!!!».

محمد به إسحاق التّميمي

قَبْلَ الْوُلُوجِ فِي مُعَالَجَةِ أَثَرِ الصَّابِئَةِ فِي الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَجِبُ الْإِفْرَارُ مُسَبِّقًا بِأَنَّ  
 الْفَلَسَفَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَعَقَائِدَ صَابِئَةِ حَرَّانَ الدِّينِيَّةَ نَهَلَتْ مِنَ الْمَنَبَعِ نَفْسَهُ، وَهُوَ أَعْمَالُ حُكَمَاءِ يُونَانَ  
 الْقَدَامَى وَنَظَرِيَّاتِهِمْ وَأَفْكَارِهِمْ، وَعَلَى الْأَخْصَصِ فِثَاغُورَسَ وَأَفْلَاطُونَ وَبُروْقْلُسَ وَأَفْلُوطِينَ  
 الْمِضْرِيِّ<sup>1</sup>، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ الْقَوْلَ بِأَنَّ جَمِيعَ الْأَفْكَارِ وَالنَّظَرِيَّاتِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْهَلَلِيَّةِ الَّتِي  
 اسْتَعَارَهَا الْفَلَسَفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ مَثِيلَتِهَا الْيُونَانِيَّةِ هُوَ نَتَاجُ تَأَثُّرِ الْفَلَاسِفَةِ الْمُسْلِمِينَ بِالْفَلَاسِفَةِ  
 مِنْ صَابِئَةِ حَرَّانَ بِالْمُطْلَقِ، فَذَلِكَ يَدْخُلُ فِي حُكْمِ التَّعْمِيمِ الْجَائِزِ؛ حَتَّى وَإِنْ تَطَابَقَتْ الْأَفْكَارُ  
 وَالْمَقُولَاتُ وَالنَّظَرِيَّاتُ<sup>2</sup>. وَذَلِكَ لَسَبَبِ جَوْهَرِي يَكْمُنُ فِي أَنَّ الْفَلَاسِفَةَ الْمُسْلِمِينَ عَادُوا إِلَى  
 الْمَصَادِرِ الْإِغْرِيقِيَّةِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ نَفْسَهَا - وَالَّتِي تَرْجِمُ الْحَرَنَانِيَّةَ أَنْفُسَهُمْ جُزْءًا غَيْرَ يَسِيرٍ مِنْهَا -  
 وَحَاوَلُوا أَكْثَرَهُمْ - جَهْدَ الطَّاقَةِ - وَضَعَ تِلْكَ الْأَفْكَارِ وَالنَّظَرِيَّاتِ الْفَلَسَفِيَّةِ فِي قَالِبٍ إِسْلَامِيٍّ  
 لِيُثْلَاثِمَ الْعَقَائِدَ الْإِسْلَامِيَّةَ.

وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ دِرَاسَةَ عُنَاوِرِ التَّشَابُهِ وَدَوَائِرِ التَّحَاسُّسِ وَنَقَاطِ التَّلَاقِ بَيْنَ أَفْكَارِ  
 الْفَلَاسِفَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ وَبَيْنَ الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَجِبُ أَنْ تَتَمَّ بِعِنَايَةٍ وَجَرَحٍ شَدِيدِينَ، فَكَثِيرٌ مِنْ  
 تِلْكَ الْعُنَاوِرِ الَّتِي تَتَلَاقَى فِيهَا الْفَلَسَفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَأَرَآءُ الْفَلَاسِفَةِ مِنْ صَابِئَةِ حَرَّانَ يُمَكِّنُ  
 رَدُّهَا إِلَى الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ الْأُمِّ، وَالَّتِي لَمْ يَقِفِ الْفَلَاسِفَةُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى نَتَاجِهَا عَنْ طَرِيقِ  
 تَرْجَمَاتِ صَابِئَةِ حَرَّانَ فَحَسَبَ، بَلْ كَانَتْ هُنَاكَ أَيْضًا جُهُودٌ لَا تُنْكَرُ مِنْ جَانِبِ النَّصَّارِيِّ  
 السُّرِّيَّانِ بِالشَّامِ وَجُنْدِيسَابُور<sup>3</sup> فِي مَجَالِ إِحْيَاءِ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ.

<sup>1</sup> سَبَقَ وَأَنَّ وَصَفَ الْمُسْتَشْرِقِ إِرْزَنْتِ رَيْنَانَ الْفَلَسَفَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِأَنَّهَا فِلَسَفَةٌ يُونَانِيَّةٌ صِيغَتْ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ، انْظُرْ: -  
 كَامِلُ حَمُود: دَرَاثَاتُ فِي تَارِيخِ الْفَلَسَفَةِ الْعَرَبِيَّةِ، 24. وَعَنْ الْهَلَلِيَّةِ فِي الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ انْظُرْ: - كَارْلُ  
 هِينَرِشْ بِيكِر: ثُرَاتُ الْأَوَائِلِ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، ضَمِنَ كِتَابُ: الثَّرَاثُ الْيُونَانِيَّ فِي الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ،  
 مَرَجِعُ سَابِقٍ، 3-23.

<sup>2</sup> الْمُقَدِّمِي: الْبِدْءُ وَالتَّارِيخُ، 4: 24.

<sup>3</sup> ازدهرت المدارس الفلسفية الهلنستية في العصر الهلنستي، وعندما ظهرت الأفلاطونية المأخذة على يد  
 أفلوطين، تمكنت من إزاحة ما قبلها من مختلف المذاهب الفلسفية اليونانية، ثم لم تلبث أن انقسمت إلى



لهذا السبب سنكتفي هنا بمعالجة نواحي التشابه والتطابق بين آراء الفلاسفة المسلمين التي تخالط المعتقدات الدينية للحرثانية فحسب، وذلك لسببين منهجيين، أولهما: أنَّ صابنة حرّان مزجوا معتقداتهم الدينية المستمدة من الفلسفة اليونانية بمزيج من العقائد الدينية ذات الأصول الشّرقية كما سبق ومرّ بنا من قبل، وثانيهما: لأنّ هذه الأفكار والمعتقدات تتعارض مع العقيدة الإسلامية، وهنا فقط يبدو دور الفلاسفة من صابنة حرّان فاعلاً وعلى نحو أكثر وضوحاً.

ومن الملاحظ أنّه قد واكب انبهار مركزين رئيسيين من أكبر مراكز الثقافة الهلنستية التقليدية في العصر الأموي كالأشكندرية وأنطاكية<sup>4</sup> أن أضحت حرّان وجنديسابور هما

=

مدرستين إحداهما في الإسكندرية، والثانية في أثينا بزعامة بروفلس، وقد استمرت الأخيرة حتى أمر الإمبراطور جستنيان بإغلاقها في القرن السادس الميلادي، ومن ثمّ هرب روادها إلى حرّان وجنديسابور، وقد نشأت مدرسة جنديسابور في أعقاب الحرب التي وقعت عام 244م بين سابور بن أردشير والإمبراطور فاليريان، والتي تمكّن فيها الفرس من إيقاع هزيمة ساحقة بالرومان، وقد أحسن سابور إلى الأسرى الرومان، وحاول الإفادة من تخصصاتهم، فبنى بمعاونتهم مدينة «جنديسابور» [وتعني بالفارسية معسكر سابور] بالقرب من مدينة سوس، وحرص سابور على حرية الأسرى فيما يتعلق بالديانة والعقيدة، ولما كان أغلب هؤلاء الأسرى من سكّان القسم الشرقي من الإمبراطورية فقد اضطُغت المدينة منذ نشأتها بطابع يوناني، فانتعشت الثقافة اليونانية بالمدينة التي ازدهرت حتى أصبحت قصبة إقليم خوزستان، وعندما أغلق جستنيان مدارس الفلسفة الوثنية بأرجاء الإمبراطورية البيزنطية رحّب كسرى أنوشيروان هؤلاء الهلنستيين الفارين بأفكارهم ومعتقداتهم وفتح لهم أبواب جنديسابور نكابة في جستنيان، وكان يطمح أن تأخذ الأخيرة مكانة مدرسة الإسكندرية الرائدة في الفلسفة والرياضيات، عن جنديسابور وإنشائها ودورها في انتشار الفلسفة والثقافة الهلنستية في الإسلام انظر: أحمد فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفية، 117؛ أوليري: علوم اليونان، 19 وما بعدها؛ محمد علي أبو ريّان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، الإسكندرية 1990، 30. ومؤخراً نشر محمد محفوظ سوليز بحثاً قيماً عن تاريخ مدرسة جنديسابور الفلسفية وأهميتها، انظر:-

MEHMET MAHFUZ SÖYLEMEZ: *The Jundishapur School, its History, Structure, and Functions*, The

American Journal of Islamic Social Sciences, Vol. 22, Spring 2005, pp 1-27.

<sup>4</sup> يرجع الباحثون انبهار مدرسة الإسكندرية الفلسفية إلى انقطاع الإسكندرية عن بيزنطة بعد الفتح العربي وانزاعها، وانتشار الثقافة القبطية المعادية للروح الهلنستية، بالإضافة إلى تضاؤل دورها بعد أن أخذت دمشق عاصمة الدولة الأموية الريادة، أمّا مدرسة أنطاكية فقد أغلقت في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز في ظروف غامضة، تفصيلاً انظر:- ماكس مايرهوف: من الإسكندرية إلى بغداد، 67-69.

المركزين الوحيدين الباقيين من مراكز إحياء الثقافة اليونانية الكلاسيكية في العالم الإسلامي في العصر العباسي، وقد لعبت حرّان بالذات دوراً عظيماً في الحفاظ على التراث الهلنستي والذي اعتبره الحرثانية تراث أجدادهم المباشرين<sup>5</sup>.

من جهة أخرى لعب الصراع بين حرّان - مركز الثقافة الوثنية - وبين الرها مركز الثقافة المسيحية النسطورية المحافظة الدور الأكبر في نشأة ما سُمّي بـ «علم الكلام» عند المسلمين فيما بعد، ففي حرّان دارت أولى تلك المناظرات الجدلية بين النصارى من أهل الرها وصابئة حرّان حول صحة عقيدة كلٍّ منهما. وعندما انتشر الإسلام في تلك الربوع دخل العلماء المسلمون الحلبة يثقلهم في تلك المناظرات للرد على المطاعن التي أثارها المتشككون من أهل الذمة حول الإسلام، واقتضى ذلك تطرّق المتكلمين المسلمين إلى قضايا فلسفية ذات أبعاد دينية لم تكن مطروحة من ذي قبل في عصر صدر الإسلام، كقضايا الجبر والاختيار، والأسماء والصفات للباري، وتنزيه الله عزّ وجلّ عن خليق الشُّرور والأوصاف بها، وتلك العلاقة الجدلية بين مشيئة الله وسبق علمه بالغيب، وبين فُذرة البرايا على خلق الأفعال والاستطاعات، إلى جانب قضايا النفس والجسد والروح وغيرها ممّا كان الحرثانية والشريان قد أفاضوا فيه جدلاً وقت أن دخل المسلمون بلادهم فأنجحين.

ومن ثمّ نشأ علم الكلام الإسلامي الذي عُني بمباحث الإلهيات أو ما يضطلع عليه الفلاسفة اليوم بـ «الميتافيزيقا» أو «ماترانيات الإذراك» للرد على مطاعن الشريان والحرثانية جميعاً على الإسلام، وكان خلفاء بني أمية يُشجّعون تلك المناظرات، خاصة خلال الطُّور الأخير من خلافتهم عندما أضحت حرّان قصبة الخلافة الأموية<sup>6</sup>، وبالتالي مثلت حرّان جسراً لتلاقح الثقافات، ففيها تعرّف المتكلّمون المسلمون الأوائل عن كتب على اللاهوت المسيحي، وعلى ما تبقى من تراث الغنوصية، وعلى قواعد ونظريات الفلسفة اليونانية<sup>7</sup>، وظلّت حرّان

<sup>5</sup> كراتشوكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي، 93؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام الشيايبي، 1: 415.

<sup>6</sup> كارل بيكر: تراث الأوائل بين الشرق والغرب، 8؛ ماير هوف: من الإسكندرية إلى بغداد، 70.

<sup>7</sup> زهدي جار الله: المعتزلة، بيروت 1974، 25.

قاعدة لتلك المناظرات الجدلية حتى أن الحليفة المأمون عندما رآها في أخريات خلافته حرص على أن تجرى بعض من تلك المناظرات بحضرته<sup>8</sup>.

وقد تركت آراء الفلاسفة من الصابئة الحرثانية - لا سيما ثابت بن قرة - أثراً عميقاً على الفلاسفة الإسلامية، وعلى الأخص على رؤادها كآبي بكر الرازي، ويعقوب بن إسحاق الكندي، وأبي نصر الفارابي، وابن سينا وغيرهم، ولو لم يكن ثابت بن قرة - أعظم فلاسفة الصابئة الحرثانية - ينتمي إلى ديانة لطالما وصفت من قبل العلماء المسلمين بالوثنية لنال مرتبة متقدمة بين فلاسفة الإسلام، وليس أدل على ذلك من أن نقراً من تلاميذه نالوا شهرة كبيرة كمحمد بن زكريا الرازي، والذي كان أكثر الفلاسفة المسلمين تأثراً بفكره. مع ذلك فإن معاصري ثابت بن قرة عرفوا قدره وإسهاماته في الفلسفة، حتى جعلوه في مرتبة تلي بروقلس في عظماء الفلاسفة<sup>9</sup>، وهذا بحد ذاته يشير إلى إدراك الفلاسفة المسلمين لدور ثابت في تقديم الأفلاطونية المحدث - والتي نسبها المسلمون لبروقلس مباشرة حيث أنهم لم يتعرفوا على مؤسسها الحقيقي أفلوطين السكندري<sup>10</sup> - في قلبها العربي.

ويعد يعقوب بن إسحاق الكندي (ت 255هـ / 869م) واحداً ممن تأثروا بأفكار صابئة حران، ويروي النديم عبر ترجمته للكندي كيف كان الكندي يسرف في مطالعة كتب الصابئين<sup>11</sup>، ولذلك فإن النزعة الأفلاطونية المحدث تبدو واضحة تماماً لدى الكندي، يتجلى ذلك في اعتقاده أن الواحد واحد في ذاته، حي متكاثر فيما يصدر عنه، إذ لا يزال يتكاثر بكثرة الصور التي تفيض عنه<sup>12</sup>.

<sup>8</sup> القري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت 1997، 5: 291.

<sup>9</sup> السجستاني: صوان الحكمة، 199؛ وعن بروقلس راجع الفصل الرابع.

<sup>10</sup> راجع الفصل الرابع.

<sup>11</sup> النديم: الفهرست، 2: 362.

<sup>12</sup> الكندي: رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريده، القاهرة د.ت، 70.

وتتجلى مُعتقدات صابئة حرَّان الدِّينِيَّة بِشَكْلِ أَكْثَر وَضُوحًا فِي رَسَائِل الْكِنْدِي الْفَلَسَفِيَّةِ وَالَّتِي أَسَمَّاها بِـ «الرَّسَائِل الْحِكْمِيَّة فِي أَسْرَار الرُّوحَانِيَّة»، ففِي الرِّسَالَةِ الْأُولَى الَّتِي خَصَّصَها الْكِنْدِي لدراسة أحوال الْكَوَاكِب وَصِفَاتِها، وَحَاوَل فِيهَا الْبُرْهَانَ عَلَى أَنَّ الْكَوَاكِب أَشْخَاصٌ رُوحَانِيَّة نَاطِقَةٌ لَهَا عَقُولٌ مُتَكَلِّمَةٌ فَاعِلَةٌ، وَأَنَّها الْمُدَبِّرَةُ لِهَذَا الْعَالَمِ بِأَمْرِ الْحَالِقِ الْقَدِيمِ الْمُدَبِّرِ لَهَا كُلِّهَا<sup>13</sup>. كَمَا أَفْرَدَ الرِّسَالَةَ الثَّانِيَّة: «فِي صِفَةِ رُوحَانِيَّة الْكَوَاكِب»، وَالثَّالِثَةَ فِي اسْتِخْصَارِ الْأَرْوَاحِ. وَبَدَتْ عِنْدَهُ بِشَكْلِ جَلِيٍّ نَفْسُ مُمَارَسَاتِ الْحِرْنَانِيَّةِ ذَاتِ الطَّابِعِ الْبَاطِنِي فِي وَجُوبِ كَيْتَمَانِ ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ الْعِلْمِ، أَوْ مَا يُعْرَفُ اضْطِلَاحًا بِـ «الضَّنِّ بِالْعِلْمِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ»، ففِي خَاتِمَةِ رَسَائِلِهِ حَذَّرَ مِنْ طَالَعِ هَذِهِ الرِّسَائِلِ أَنَّ يُظْهَرُها أَوْ يُطْلَعُ عَلَيْها أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ!!<sup>14</sup>.

وَرَغِمَ أَنَّ الْكِنْدِي لَمْ يَغْتَنِقِ فِكْرَ الْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْمُخَدَّنَةِ فِي نَشْأَةِ الْكَوْنِ بِاعْتِبَارِهِ سِلْسَلَةً مِنَ الْفِيُوضَاتِ عَنِ الْعِلَلِ الثَّلَاثِ الْأُولَى، الْبَارِي وَالْعَقْلُ الْكُلِّي وَالنَّفْسُ الْكُلِّيَّةُ بِالْمُطْلَقِ، وَاعْتَقَدَ بِإِرَاءِ ذَلِكَ أَنَّ الْكَوْنَ نَشَأَ عَنْ إِبْدَاعِ الْعِلَّةِ الْأُولَى فَحَسَبَ، مُحَاوَلًا بِذَلِكَ الرِّبْطَ بَيْنَ الْفَلَسَفَةِ وَمُقْتَضِيَّاتِ الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ؛ كَمَا خَالَفَ فَلَاسِيفَةَ الصَّابِنَةِ أَيْضًا فِي نُقْطَةِ جَوْهَرِيَّةِ، تَتَجَلَّى فِي اعْتِقَادِهِ بِحُدُوثِ الْعَالَمِ وَعَدَمِ أَزَلِّيَّتِهِ<sup>15</sup>، فِيمَا اعْتَقَدَ صَابِنَةُ حَرَّانَ فِي أَزَلِّيَّةِ الْعَالَمِ وَقَدَمِهِ. إِلَّا أَنَّهُ - فِي الْمُقَابِلِ - حَاوَلَ أَيْضًا إِيجَادَ رَابِطٍ بَيْنَ الْمُعْتَقَدَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ الْمُطْلَقِ وَالْقُدْرَةِ الْمُطْلَقَةِ غَيْرِ الْمُقَيَّدَةِ لِلذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَبَيْنَ قُدْرَةِ الْفَلَكِ عَلَى الْفِعْلِ وَالتَّأثيرِ، فَقَالَ بِوُجُودِ فِعْلَيْنِ أَحَدُهُمَا حَقِيقِيٌّ مَوْجُودٌ وَهُوَ فِعْلُ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْآخَرُ فِعْلٌ بِالْمَجَازِ وَهَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ الَّتِي اخْتَصَّها اللَّهُ بِالْقُدْرَةِ فِي الْفِعْلِ بِغَيْرِهِ كَالْإِنْسَانَ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ إِذَا زَرَعَ أَوْ حَصَدَ، وَهَكَذَا فَإِنَّ الْفَلَكَ بِدَوْرَانِهِ يُحْدِثُ حَرَكَةً قَادِرَةً بِحَدِّ ذَاتِها عَلَى الْفِعْلِ بِغَيْرِها<sup>16</sup>.

<sup>13</sup> الْكِنْدِي: ثَلَاثُ رَسَائِلَ فِي الْكَوَاكِبِ وَاسْتِخْصَارِ الْأَرْوَاحِ، تَحْقِيقُ يُوسُفَ حَمِي؛ حِكْمَتِ نَجِيب، مَجْلَدُ الْمَوْزُودِ الْعِرَاقِيَّةِ، مَجْ 8، ع 1، بَيْدَاد 1970، 170.

<sup>14</sup> الْكِنْدِي: نَفْسُهُ، 199.

<sup>15</sup> الْكِنْدِي: رِسَالَةُ الْكِنْدِي فِي حُدُودِ الْأَشْيَاءِ وَرُسُومِها، ضَمَّنَ كِتَابَ رَسَائِلِ الْكِنْدِي الْفَلَسَفِيَّةِ، 114؛ مُحَمَّدٌ عَلَى أَبُو رِيَّان: تَارِيخُ الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ فِي الْإِسْلَامِ، 226.

<sup>16</sup> الْكِنْدِي: رِسَالَةُ الْفَاعِلِ الْأَوَّلِ الْحَقِّ النَّامِ، وَالْفَاعِلِ النَّاقِصِ الَّذِي هُوَ بِالْمَجَازِ، ضَمَّنَ كِتَابَ رَسَائِلِ الْكِنْدِي الْفَلَسَفِيَّةِ، 132-133.

إذن فهناك تطابق على نحو ما بين فلسفة الكندي وبين فكر صابئة حرّان، وقد لمس المستشرق هنري كوربان تلك الحقيقة فعلق قائلاً: «كل هذه الأمور إن هي إلا ملامح مشتركة بين فكر فيلسوف العرب، والفلاسفة الأفلاطونيين المحدثين كبروقلس وغيره، كما أن ذلك يظهر بعض الشبه بين أقواله وأقوال الصابئة من أهل حرّان»<sup>17</sup>.

كما يظهر تأثير المعتقدات الدينية لصابئة حرّان واضحاً جلياً في مؤلفات أبي معشر البلخي (ت 272هـ / 884م)، ومن الغريب أن أبا معشر بدأ حياته العلمية كفقيه سُنيّ مغنيّ بصفة خاصّة بدراسة الحديث النبوي، ويروى أنه نشأ بينه وبين الكندي عداءً مرير نتيجة دفاع الكندي عن علوم الأقدمين، فيما هاجمه البلخي بشدة وقال بأنها تورث الكفر والزندقة، ويقال إن الكندي احتال على البلخي ليكشف عنه؛ فأرسل من تلاميذه من احتال عليه وأخذ يحسن له النظر في تلك الكتب، فاطلع على كتب الفلك والتنجيم والطب وبعض مؤلفات علماء الصابئة فترك دراسة علوم الدين وازداد شغفاً بالفلسفة والفلك<sup>18</sup>. وكيفية كان الأمر فإن فلسفة صابئة حرّان تظهر واضحة جليّة عند البلخي، خاصّة في كتابه «الأسرار النجومية»، والذي عبّر فيه بجلاء عن اعتقاده بأن الفلك حيّ ناطقٌ مُدبّرٌ، وله تأثيرات على العوالم السفلى<sup>19</sup>.

كما تأثر أبو بكر الرازي (ت 320هـ / 925م) بفلسفة ثابت بن قرة وآرائه الفلسفية، ومن الغريب أن بعض هذه الآراء تُضادّ العقائد الإسلامية، كالقول بتدبير الكواكب والنجوم للكون، ويتجلى ذلك في كتابه الذي أطلق عليه اسم «العلم الإلهي»، والذي حاول التّدليل من خلاله على أن أجساد الكواكب والنجوم أحياء ناطقة مُنحازة لرأي ثابت بن قرة في هذا الصّدد ومؤيّدًا له<sup>20</sup>. كما كان الرازي يقول بالتناسخ، متأثراً بآراء الحرانانية الدينيّة حول عقاب الأرواح غير الطاهرة، وأنها لا تلبث وأن تعود في جسد كائن أقلّ مرتبة كصورة من صور

<sup>17</sup> هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، 239.

<sup>18</sup> القفطي: إخبار العلماء، 107؛ محمد علي أبو ريّان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، 224.

<sup>19</sup> البلخي: الأسرار النجومية، مخطوط ضمن مجموع محفوظ بخزانة المتحف البريطاني، برقم 918، ورقة 43و، وما بعدها.

<sup>20</sup> أبو بكر الرازي: شذرات من كتاب العلم الإلهي، ضمن كتاب رسائل الرازي الفلسفية، 178.

العِقَاب، فعِنْد الرَّازِي تَنْتَقِلُ رُوحُ الْمُسِيءِ إِلَى الْبَهَائِمِ وَسَائِرِ الْكَائِنَاتِ الدُّنْيَا الْمُرْتَبِطَةِ فِي الْأَقْدَارِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ <sup>21</sup>، وَفِي هَذَا أَيْضًا مَا يُشِيرُ إِلَى تَأَثُّرِهِ الْقَوِي بِآرَاءِ ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ.

كَذَلِكَ آمَنَ الرَّازِي بِقُدْرَةِ الْعَقْلِ عَلَى خَلَاصِ الْبَشَرِ بِالْمُطْلَقِ، لِهَذَا فَقَدْ شَكَّ فِي الثُّبُوتِ، وَقَالَ بِعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَمِنْ ثَمَّ فَقَدْ شَكَّ بِالتَّبَعِيَّةِ فِي الدِّيَانَاتِ وَوَجَّهَ لَهَا بِالْجُمْلَةِ نَقْدًا عَنِيفًا <sup>22</sup>، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْمَوْقِفَ الْفِكْرِي هُوَ مَوْقِفٌ هِرْمِسِيٌّ صَابِنِيٌّ ابْتِدَاءً، وَقَدْ أَرْجَعَ هِنْرِي كُورِبَانُ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ إِلَى تَأَثُّرِ الرَّازِي بِالْهِرْمِسِيَّةِ الصَّابِنِيَّةِ وَالَّتِي لَا تُكَذِّبُ الْأَنْبِيَاءَ بِالضَّرُورَةِ وَلَكِنْ يُمَكِّنُهَا الْاسْتِغْنَاءَ عَنْهُمْ، فَطَبَقًا لِعَقَائِدِ الصَّابِنَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ يُعَدُّ الْفِيلَسُوفُ أَرْقَى مِنَ النَّبِيِّ، إِذْ إِنَّ نَفْسَ الرُّوحِ لِلصُّعُودِ إِلَى الْأَفْلَاقِ الْعُلْيَا بِفَضْلِ التَّرَقِّي فِي الْمَعْرِفَةِ يُعَارِضُ نَزُولَ الْمَلَائِكَةِ مِنْ تِلْكَ الْأَفْلَاقِ الْعُلْيَا بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ نَفْسَهَا إِلَى الْبَشَرِ <sup>23</sup>. وَمِنْ ثَمَّ أَعْلَنَ الرَّازِي مَوْقِفَهُ صَرَاحَةً مِنْ أَنَّ الْفِيلَسُوفَ عِنْدَهُ أَرْقَى مِنَ النَّبِيِّ <sup>24</sup>.

تَجَلَّى أَيْضًا الْمُؤَثَّرَاتُ الْهِرْمِسِيَّةُ فِيمَا يُعْرِفُ بَيْنَ الْفَلَاسِفَةِ الْمُعَاصِرِينَ اضْطِلَاحًا بِ«تَشَاؤُمِ الرَّازِي»، وَهُوَ يَتَجَسَّدُ فِيمَا يَطْرَحُهُ الرَّازِي مِنْ أَنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ دَخَلَتْ هَذَا الْعَالَمَ عَنْ طَرِيقِ الْخَطَا وَأَنَّهَا تَتَخَبَّطُ فِيهِ، وَعِنْدَمَا تُذْرَكُ النَّفْسُ أَنَّهَا أَضْبَحَتْ أُسِيرَةً فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ، تَتَصَوَّرُ أَنَّهُ لَا فِكَكَ لَهَا مِنْهُ، وَهُنَا يُرْسِلُ الْحَاقِقُ جُزْءًا مِنْ جَوْهَرِهِ الْكُلِّيِّ وَهُوَ الْعَقْلُ لِكَيْ يَعُودَ بِالنَّفْسِ إِلَى رُشْدِهَا وَيُذَكِّرَهَا بِأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ لَيْسَ عَالَمُهَا، وَمِنْ هُنَا - عِنْدَ الرَّازِي - تَنْشَأُ رِسَالَةُ الْفِيلَسُوفِ، إِذْ إِنَّ رِسَالَةَ الْفَلَاسِفَةِ إِغْتِاقُ الْأَنْفُسِ وَالْعَمَلُ عَلَى نَجَاتِهَا بِوَايِسَةِ الْفَلَسَفَةِ، وَذَلِكَ كَيْ تَتِمَّكَنَ النَّفْسُ مِنَ النِّجَاحِ وَالْإِلْتِحَاقِ بِعَالَمِهَا الْحَقِيقِيِّ، وَهُنَا يَبْدُو تَأَثُّرُ الْفِكْرِ الدِّينِيِّ لَصَابِنَةِ حَرَّانَ عَلَى الرَّازِي وَاضِحًا بَيِّنًا، فَبِلَئِذَاكَ الْأَفْكَارَ ذَاتَهَا هِيَ مَعْلَمٌ رَّئِيسٌ مِنْ مَعَالِمِ مُعْتَقِدَاتِ الْحَرَنَانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ <sup>25</sup>.

<sup>21</sup> أبو بكر الرَّازِي: نَفْسُهُ، 173-174.

<sup>22</sup> عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَدَوِي: مِنْ تَارِيخِ الْإِتِّحَادِ فِي الْإِسْلَامِ، 230-248.

<sup>23</sup> تَارِيخُ الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، 198.

<sup>24</sup> عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَدَوِي: مِنْ تَارِيخِ الْإِتِّحَادِ فِي الْإِسْلَامِ، 261 وما بعدها.

<sup>25</sup> هِنْرِي كُورِبَانُ: تَارِيخُ الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، 217.

لم تغيب تلك المؤثرات الحررانية التي تظهر في فكر الرّازي عن مُعاصريه، فقد اتهمه المسعودي بأنّه يُبطن الفيثاغورسيّة، وأنّه على مذهب صابئة حرّان، وذكر - أي المسعودي - أنّه أطلع على كتاب له يضم ثلاث مقالات، وصف فيها ترتيب العوالم العلويّة على مذهب صابئة حرّان<sup>26</sup>، كذلك اتهمه صاعد الأندلسي بأنّه يعتنق آراء الصّابئة فيما يخص إبطال النّبوة والاعتقاد في التّناسخ<sup>27</sup>، كما لم تغيب أيضًا تلك المقاربات بين فكر الرّازي ومعتقدات صابئة حرّان الدّينيّة عن الباحثين المُعاصرين، فقد لاحظ المُستشرق پاول كِراوس تشابه فلسفة الرّازي مع عقائد الحررانية، وقال بأنّه يعتقد أنّه ليس ثمة فروق جوهريّة بين مذهب الرّازي والحررانية، بل إنّ الألفاظ المنسوبة إلى الرّازي وتلك المنسوبة إلى ثابت بن قُرة والحررانيّين تكاد تتفق اتفاقًا تامًّا<sup>28</sup>.

ويُعدُّ أبو نصر الفارابي (ت 339هـ/ 950م) واحدًا من تأثروا بفلسفة حُكماء حرّان من الصّابئة، ورغم أنّ معلومتنا عن مختلف المراحل التي مرّ بها الفارابي في حياته جدُّ قليلة فإنّ رجيل الفارابي - التركيّ الأصل<sup>29</sup> - إلى حرّان وتلقّيه أولى معارفه في الفلسفة هناك على أيدي علمائها وفلاسفتها يُعدُّ أمرًا مُحققًا، حيثُ تروي المصادر التي ترجمت له أنّه عاش قسماً من حياته بحرّان، وخالط علماءها وفلاسفتها، وعنهم حصل الكثير في الفلسفة والمنطق والموسيقى، ثمّ رحل إلى بغداد ومنها إلى حلب حيثُ استقرّ في بلاط سيف الدولة الحمداني<sup>30</sup>.

من ثمّ فإنّ المؤثرات الحررانية في فكر الفارابي تبدو أكثر وضوحاً من سابقيه، حيثُ يُمثّل الفارابي نقطة تباعد حقيقيّة وبشكلٍ تامّ بين الدّين والفلسفة، فقد اعتنق الفارابي

<sup>26</sup> الثّبيّة والإشراف، 138.

<sup>27</sup> طبقات الأئمّ، 33.

<sup>28</sup> مقدّمة پاول كراوس لرسالة «القول في القدماء الحنّسة»، ضمن كتاب رسائل الرّازي الفلسفيّة، القاهرة 1939، 191-192.

<sup>29</sup> تُمود جذور حُمد بن حُمد بن طرخان بن أوزلغ المعروف بالفارابي إلى «قازاب» وهي مدينة تقع وِراء نهر سيحون ببلاد التّرك، انظر: - ياقوت الحموي: مُعجم البلدان، 4: 254.

<sup>30</sup> الدّهبي: تاريخ الإسلام، 25: 182.

الأفلاطونية المحدثه بشكلٍ شبه كامل، فأمن بنظرية الفيض في خلق العالم كما طرحها أفلوطين، ومن ثمَّ طرح تصوُّره الذي يتلخَّص في أنَّ العالم انبثق عن الموجود الأوَّل، والذي خلق العقل الأوَّل، وعن العقل الأوَّل صدرت باقي الموجودات، وهو ما يُنافي العقائد الإسلامية من أنَّ الله وحده بقدرته خلق العالم من عدم.<sup>31</sup>

كما كان الفارابي يقول بالبعث على مثال عقائد الحرنائية، أي القيامة بالأرواح دون الأجساد، أو ما أطلق عليه اصطلاحاً «المعاد الروحاني» وهو ما يعني أنَّ البعث يكون قاصراً على الروح فحسب، أمَّا الجسد فيبلى وتتعدَّم الحاجة إليه بعد تحلُّله وتعفُّنه، وهو ما يُوافق صميم المعتقدات الدينية الحرنائية الخاصة بالبعث والمعاد<sup>32</sup>، كما كان الفارابي يعتقد في قدم العالم وأزليته، واعتقد أيضاً أنَّ الفيلسوف أكمل من النبي، وأنَّ الله تعالى لا يغرف الجزئيات، وإنَّما انفرد بعلم الكلِّيات فحسب.<sup>33</sup>

ويظهر التأثير بفلسفة الحرنائية واضحاً أيضاً عند السجستاني (توفي بعد عام 391هـ/1000م)، والذي صنَّف رسالة في أنَّ الأجرام العلوية ذوات أنفس ناطقة<sup>34</sup>، وقد حاول السجستاني في رسالته هذه التدليل العقلي على أنَّ الفلك حيٌّ ناطق، وأنَّ له تأثيراً عظيماً

<sup>31</sup> يجتبي هويدي: دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، القاهرة د.ت، 206-212.

<sup>32</sup> راجع الفصل الرابع.

<sup>33</sup> القفطي: إخبار الحكماء، 40.

<sup>34</sup> السجستاني: رسالة في أنَّ الأجرام العلوية ذوات أنفس ناطقة، نشرها عبد الرحمن بدوي ملحقه على كتاب صوان الحكمة، 367-371. ومن الملاحظ أنَّ قضية الفلك وما إذا كان حيّاً ناطقاً كانت من أكثر القضايا الفلسفية التي أخذها الفلاسفة المسلمون عن الفلاسفة الصابئة، فقد أفرد قابوس بن وشمكير (ت 403هـ/1012م) رسالة لتقدِّم مذهب الحرنائية ومن تابعهم من الفلاسفة المسلمين في أنَّ الكواكب حيَّة فاعلة وأنَّ الفلك فاعل مؤثر، ووصفاً ذلك بأنَّه يُشبه القول بأنَّما الله لشركاء في الخلق، وأنَّ القول بذلك يطعن في وحدانية الله جلَّ شأنه، انظر: - قابوس بن وشمكير: كمال البلاغة، المعروف برسائل قابوس بن وشمكير، بغداد 1341هـ 102-103، وانظر أيضاً في هذا الصدد: - السهروردي: كشف الفصائح اليونانية، 104.



على أحوال الحياة والعُمران على الأرض<sup>35</sup>. كما أشار السَّجِسْتَانِي بوضوح إلى اعتقاده في صدق الكاهن عما يُخبر عنه من أحوال القلِّك والكواكب، وتفضيله في ذلك عن المنجم، ذلك أنَّ المنجم - طبقاً للسَّجِسْتَانِي - يستقي الغيب ممَّا يراه واضحاً أمام عينيه من حركات النجوم، وهو أمرٌ يحتاجُ إلى صبرٍ طويل في الرصد قد لا يطيقه، أمَّا الكاهن فقوته لا تقوم على التتبع والرصد، فقد تنهبط عليه معرفة الغيوب كالوحي السَّانح والطَّارئ، وتكون الكهانة أقوى إذا كان صاحبها لا يشوبها بشيء من الحس، وكان يلقبها على صفائها، لأنَّ قوتها تنسكب من المحلِّ الأعلى - على حدِّ قوله<sup>36</sup>. وليس هناك من شكٍّ في أنَّ السَّجِسْتَانِي من خلال أفكاره تلك يُعبرُ بجلاء عن اعتقاداته ذات الأصل الأفلاطوني المحدث، وتتلخَّص في نظرية الإشراق أو الفيض السَّماوي على الأتفس الطاهرة، والتي لديها استعدادٌ للتواصل مع السَّماء وسماع الملائكة والاطلاع على الغيب، ولتلك الأفكار أصولها وجذورها الحِرانيَّة التي لا تكاد تخفى<sup>37</sup>.

أخذ ابنُ سينا (ت428هـ/1036م) - شديد التأثير بالفارابي - مُعظَّم آراء أستاذه، فقال بقدِّم العالم وأزليَّته، وتبنَّى نظرية الفيض في خلق العالم، كما قال أيضاً بنفي المعاد الجسماني وإنبات الروحاني فحسب، وقال أيضاً إنَّ الله لا يعلم الجزئيات، بل انفرد بالعلم الكلِّي<sup>38</sup>، ومن ثمَّ مثل كلِّ من الفارابي وابن سينا أولى حلقات التَّباعد التي فصَّمت الفلسفة الإسلاميَّة كلياً عن مباحث الدين وموجبات عقائده، وأصبح الهجوم على الفلاسفة ومعتقداتهم وعلوم الأقدمين دأب علماء السُّنَّة. واستمرَّ الأمرُ على هذا المنوال حتَّى وجَّه الإمام الغزالي

<sup>35</sup> السَّجِسْتَانِي: نفسه، 368.

<sup>36</sup> نفسه، 367-368.

<sup>37</sup> تظهر أيضاً الميرسية الصَّابئة عند أبي البركات البغدادي (ت560هـ/1164م) بشكل جلي حيثُ تأثَّر البغدادي بمعتقدات الصَّابئة، لا سيَّما أفكاره التي تحدَّثت عن الأتفس التَّوراتيَّة المُتفوقة، وهي تلك التي يُمكن أن تتَّصل بالأفلاك العلويَّة وتُستمع إلى الوحي السَّماوي المُجرَّد، وهو اعتقاد أصحاب نظرية الإشراق عند الصُّوفية والمنحدرة من أصول أفلاطونية محدثة، هنري كُوربان: تاريخ الفلسفة الإسلاميَّة، 270.

<sup>38</sup> هنري كُوربان: تاريخ الفلسفة الإسلاميَّة، 259-265.

(ت505هـ/ 1111م) صُرِبَ قَاصِمَةُ مَدْرَسَةِ الْفَارَابِيِّ وَابْنِ سِينَا، بَلْ بِالْأُخْرَى يُمَكِّنُ الْقَوْلَ  
ب أَنَّ هَذِهِ الصُّرْبَةُ أَصَابَتْ الْفَلَسَفَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ كُلَّهَا فِي مَقْتَلٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ صُنِّفَ كِتَابُهُ الْأَشْهَرُ  
وَالْمُسَمَّى بِ«تَهَافُتِ الْفَلَاسِفَةِ»<sup>39</sup>.

وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّ الْإِتِمَامَ الْغَزَالِيَّ وَقَفَ بِشَكْلِ جَلِيٍّ عَلَى طَبِيعَةِ الْمُؤَثِّرَاتِ الدِّينِيَّةِ  
الصَّابِغَةِ فِي فِكْرِ الْفَلَاسِفَةِ لَا سِيَّمَا الرَّازِيَّ وَالْفَارَابِيَّ وَابْنَ سِينَا، فَقَالَ بِتَكْفِيرِ الْفَلَاسِفَةِ مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ إِذَا اعْتَقَدُوا فِي ثَلَاثِ مَسَائِلَ، الْأُولَى: - الْاعْتِقَادُ فِي قَدَمِ الْعَالَمِ وَأَزَلِيَّتِهِ، وَهُوَ مَا يَطْعُنُ  
فِي قَضِيَّةِ الْوَحْدَانِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ وَقُدْرَةِ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ عَلَى الْخَلْقِ وَالْإِفْنَاءِ، وَالثَّانِيَّةُ: - الْاعْتِقَادُ فِي أَنَّ  
الذَّاتَ الْإِلَهِيَّةَ لَا تُحِيطُ عِلْمًا بِالْجُزْئِيَّاتِ، وَعِلْمُهَا يَقْتَصِرُ عَلَى الْكُلِّيَّاتِ فَحَسْبَ، وَهُوَ مَا يَطْعُنُ فِي  
عِلْمِ اللَّهِ الْمُطْلَقِ بِمَا كَانَ، وَمَا لَمْ يَكُنْ وَكَيْفَ يَكُونُ، وَالثَّالِثَةُ: - إِنْكَارُ الْبَعْثِ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ  
وَالْقَوْلُ بِفَنَاءِ الْأَجْسَادِ بِالْمُطْلَقِ وَخُلُودِ الْأَرْوَاحِ<sup>40</sup>، وَهُوَ مَا يُضَادُّ مَا نَصَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ  
صَرَاحَةً فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ أَنَّ الْبَعْثَ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ مَعًا، وَلَا شَكَّ أَنَّ تِلْكَ الْمَسَائِلَ الثَّلَاثَ  
الَّتِي أَفْتَى الْغَزَالِيَّ بِخُرُوجِ الْمُعْتَقِدِ فِيهَا عَنِ الْإِسْلَامِ هِيَ مِنْ صَمِيمِ مُعْتَقَدَاتِ الْحَرَنَانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ.

لَذَا يَبْعُدُ الْكَثِيرُونَ مِنَ الْمُتَمَتِّينَ بِدِرَاسَةِ الْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كِتَابَ الْغَزَالِيَّ «تَهَافُتِ  
الْفَلَاسِفَةِ» بِمَثَابَةِ صُرْبَةِ قَاصِمَةَ لِلْفَلَسَفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالَّتِي أَزْدَهَرَتْ لثَلَاثَ قُرُونٍ خَلَتْ قَبْلَهُ،  
فَبَعْدَ أَنْ ذَاعَتْ آرَاءُ الْغَزَالِيَّ الْفِقْهِيَّةُ - فِي الْفَلَسَفَةِ وَالتَّفَلْسُفِ - وَانْتَشَرَتْ فِي رُبُوعِ الْعَالَمِ  
الْإِسْلَامِيِّ تَحَرَّجَ الْفَلَاسِفَةُ كَثِيرًا مِنَ الْجَهْرِ بِالْاعْتِقَادِ فِيهَا تَطَرُّحُهُ عُلُومَ الْقَدَمَاءِ، وَخَاصَّةً هَؤُلَاءِ  
الْمُتَأَثِّرِينَ بِالْأَفْلَاطُونِيَّةِ الْحَدِيثَةِ وَالْقَائِلِينَ بِفِعْلِ الْفَلَكِ، وَأَنَّ الْقَدْرَ هُوَ مُوجِبَاتُ أَحْكَامِ حَرَكَاتِ  
النُّجُومِ<sup>41</sup>، وَحَافِلُوا الْعَوْدَةَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَنَهْجِ الْمَقَارِبَةِ بَيْنَ الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ وَقَوَاعِدِ الدِّينِ،  
وَمِنْ أَتَبَرَ هَؤُلَاءِ الْفَلَاسِفَةُ الَّذِينَ قَادُوا ذَلِكَ النُّهْجَ ابْنُ رُشْدٍ وَفَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي، فَقَدْ حَافِلُوا

<sup>39</sup> أَحْمَدُ فُؤَادُ الْأَخْوَافِي: الْمَدَارِسُ الْفَلَسَفِيَّةُ، 139؛ مُحَمَّدُ عَلِيٌّ أَبُو رِيَانٍ: تَارِيخُ الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ فِي الْإِسْلَامِ، 240.

<sup>40</sup> أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيَّ: تَهَافُتِ الْفَلَاسِفَةِ، تَحْقِيقُ مُورِيسُ يُوْجِسْ، بَيْرُوتَ 1987، 378. قَارَنَ أَيْضًا  
الشَّهْرُورُزِّيَّ: كَشَفُ الْفَضَائِحِ الْيُونَانِيَّةِ، 143-151.

<sup>41</sup> إِبْنُ جَنَابُوسَ جُولْدَزِيرٍ: مَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ الْقَدَمَاءِ مِنْ عُلُومِ الْأَوَائِلِ، 143.

ابن رشد (ت 520هـ / 1126م) التَّخْفِيفُ مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْفَلَكَ حَيٌّ وَقَادِرٌ عَلَى الْفِعْلِ  
وَالْتَأْيِيرِ، وَحَاوَلَ دِرَاسَتَهُ فَلَسَفِيًّا مِنْ حَيْثُ هُوَ ظَاهِرَةٌ طَبِيعِيَّةٌ، فَقَالَ بِأَنَّ الْفَلَكَ لَا يَظْهَرُ مِنْ  
فِعْلِهِ إِلَّا قُدْرَتُهُ عَلَى الْحَرَكَةِ<sup>42</sup>. فِيمَا لَمْ يَسْتَطِعْ إقْنَاعُ مُعَاصِرِيهِ بِسَطَطِ الْغَزَالِيِّ فِي أَحْكَامِهِ عَلَى  
الْفَلَّاسِفَةِ فِي كِتَابِهِ النَّقْدِيِّ الَّذِي أَعَدَّهُ لِلرَّدِّ عَلَى الْغَزَالِيِّ وَأَسَمَاهُ بِـ«مُتَافَتِ التَّهَافُتِ». وَانْتَهَى  
الْأَمْرُ بِالْفَلَّاسِفَةِ إِلَى الْأَنْزِوَاءِ، لَتُضَيِّحَ جُزْءًا مِنْ مَبَاحِثِ التَّوْحِيدِ الْمُسَمَّى بِعِلْمِ الْكَلَامِ<sup>43</sup>.

حَاوَلَ أَيْضًا فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي (ت 606هـ / 1209م) إِعَادَةَ الْكِرَّةِ وَالتَّقْرِيبَ بَيْنَ  
الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ، وَمِبَادِي الْفَلَّسَفَةِ وَمُقْتَضِيَّاتِ الشَّرِيعَةِ، وَهِيَ سِمَةٌ وَاضِحَةٌ فِي مُؤَلَّفَاتِهِ - لَا سِيَّامَا  
فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَسَمَاهُ «السِّرُّ الْمَكْتُومُ فِي أَسْرَارِ النُّجُومِ» - عِبْرَ تَقْرِيبِ الْبَوْنِ بَيْنَ عَقَائِدِ صَابِئَةَ  
حِرَّانَ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ مَا نَصُّهُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ الْمُسَارِ إِلَيْهِ آتِفًا: - «هَذَا كِتَابٌ يُجْمَعُ فِيهِ مَا  
وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ عِلْمِ الطَّلَسِمَاتِ وَالسَّحَرِيَّاتِ وَالْعَزَائِمِ وَدَعْوَةِ الْكَوَاكِبِ مَعَ التَّبَرُّؤِ مِنْ كُلِّ مَا  
يُخَالِفُ الدِّينَ وَتِلْمَ الْيَقِينِ»<sup>44</sup>. وَفِي مَعْرُضِ مُقَارِبَاتِهِ بَيْنَ عَقَائِدِ التَّوْحِيدِ الْمُطْلَقِ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -  
فِي الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ تَقْدِيسِ الْكَوَاكِبِ عِنْدَ الْحَرَنَانِيَّةِ بِاعْتِبَارِهَا قُوًى فَاعِلَةٌ فِي الْكَوْنِ وَمُفَوَّضَةٌ مِنْ  
قِبَلِ الْبَارِي بِتَذْيِيرِ هَذَا الْكَوْنِ قَالَ: «إِنَّ الْكَوَاكِبَ وَاقِعَةٌ بِفِعْلِ فَاعِلٍ مُحْتَارٍ؛ وَهُوَ إِلَهُ الْأَعْظَمِ،  
وَإِنَّ ذَلِكَ إِلَهُ خَلَقَ هَذِهِ الْكَوَاكِبَ وَأَوْدَعَ فِي كُلِّ أَحَدٍ مِنْهَا قُوَّةً مَخْصُوصَةً، وَفَوَّضَ تَذْيِيرَ هَذَا  
الْعَالَمِ إِلَيْهَا، وَهَذَا لَا يَفْدُخُ فِي جَلَالِ اللَّهِ وَكَيْرِيَانِهِ، فَأَيُّ خَلَلٍ فِي أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ لَهُ عَبِيدٌ  
مُنْقَادُونَ، ثُمَّ إِنَّهُ قَرَضَ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ قُوَّةً مَخْصُوصَةً، وَفَوَّضَ بِتَذْيِيرِ مَمْلَكَةٍ طَرَفٍ مُعَيَّنٍ،  
وَسُلْطَنَةً إِقْلِيمٍ»<sup>45</sup>.

كَمَا تَأَثَّرَ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي بِالْفَلَّاسِفَةِ الْحَرَنَانِيَّةِ، وَخَاصَّةً فِي تَصَوُّرِهِمُ لِلزَّمَانِ، وَقَدْ

<sup>42</sup> ابن رشد: تلخيص الآثار العلوية، تحقيق جمال الدين العلوي، بيروت 1994، 36.

<sup>43</sup> أحمد فؤاد الأهواني: المدارس الفلسفية، 147.

<sup>44</sup> الرَّايزي: السِّرُّ الْمَكْتُومُ فِي أَسْرَارِ النُّجُومِ، 1.

<sup>45</sup> الرَّايزي: نفسه، 110.

عَبَّرَ ثَابِتُ بْنُ قُرَّةَ فِي كِتَابِهِ «الزَّمان» والذي أهداه لمُحمَّد بن مُوسَى بن شاكِر<sup>46</sup> والذي قال فيه بأزليَّة الزَّمان، وأنَّ مَوْتَ الزَّمان يعني انجِلال العالم ومَوْتِه، وأنَّ الزَّمان أزليٌّ، ولكن بدرجَةٍ أقلَّ من أزليَّة الباري. ونجد فخر الذين يُؤيِّد قول ثابت بن قُرَّة في أنَّ الزَّمان هو الدَّهر، وهو غير قابلٍ للعدم، لأنَّ كُلَّ قابِلٍ للعدم يكون عدمه بعد وجوده<sup>47</sup>.

وكتَّيبتُ مُباشرةً لجهود الإمام الغزالي لتطهير علم الكلام والتَّصوُّف معاً ممَّا علقَ بهما من سَوَائِبِ الهلليَّة<sup>48</sup> فقد انزوت تلك العلوم التي أسماها المسلمون بـ«علوم الأوائل»، وأصبح تداولها يتمُّ سرّاً بين أوْساط القائلين باعْتقادات الصَّابئة في أنَّ الفلك حيٌّ ناطقٌ وأنَّه فاعِلٌ مؤثِّرٌ، فكانت تُنسخ ويحتفظ بها سرّاً بعض المسلمين المُهمِّين بالفلك والفلسفة، وذلك حتَّى بعد اختفاء الحرَّانية من مَشرح الأحداث بزمان، ففي القرن السَّابع الهجري/الثَّالث عشر الميلادي عُثِرَ على بعضِ تلك الكتب الخاصَّة بكيفيَّة دعوة الكواكب وقضاء الحاجَّات في حوزة أحد مُسلمي بغداد، ويُدعى عبد السلام بن عبد الوَّهاب الجيلي، فحوكِمَ، وأُفتى الفُقهَاءُ بحرقها، فأقيمت نارٌ عظيمةٌ على رءوس الأشهاد، وأُلقيت فيه تلك الكتب كتاباً بعد كتاب، أمَّا صاحِبُها الجيلي فقد استُشيب بعد أن رُجِّحَ به إلى السَّجن، ولم يُخرج إلَّا بعد أن أقرَّ بخطه أنَّه مُسلمٌ ومُوحَّد، وأنَّ الإسلام حقٌّ، ونبِيُّه حقٌّ، وكتَّابه حقٌّ، وأنَّه بريءٌ ممَّا كان يعتقده من علوم الأقدمين<sup>49</sup>.

<sup>46</sup> يتحدث القفطي عن هذا الكتاب ويقول أنَّه في حقيقته عبارة عن جوابين لسؤال مُحمَّد بن موسى بن شاكِر لثابت بن قُرَّة في أصل الزَّمان، انظر: إختبار الحكماء، 82.

<sup>47</sup> فخر الدين الرَّازي: مُحصِّل أنكار المُتقدِّمين، 89 - 91.

<sup>48</sup> عن أثر جهود الغزالي في مُكافحة التَّيار الهللي في التَّصوُّف والفلسفة انظر: - جولدزير: موقِف أهل السُّنة القُدماء بإزاء علوم الأوائل، 125 وما بعدها.

<sup>49</sup> ابن رجب الحنبلي: الذَّيل على طَبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، القاهرة 1952، 2: 71-72؛ وانظر أيضاً تحليلاً لهذه الحادثة ودلالاتها عند جولدزير: موقِف أهل السُّنة القُدماء بإزاء علوم الأوائل، 136-137.

## الفصل

### السادس عشر

## 16

### بين عقائد الصابئة

### وفكر إخوان الصفا

«لَا يَكْفِي الْبَيِّنَةُ فِي تَبْيَإِنِ حَقِيقَةِ أَىِّ فِلْسَفَةٍ زَكَرَ الْمَذَاهِبُ الَّتِي نَقُولُ بِهَا فَحَسَبَ، بَلِ الْأَمْرُ الْأَكْثَرُ أَهْمِيَّةً لَهُوَ فَحْصُ الرُّوْحِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي تُدْعَمُ بِهَا هَذِهِ الْفِلْسَفَةُ مَذَاهِبُهَا الْخَاصَّةُ، وَذَلِكَ بِدِرَاسَةِ الْبَيِّنَةِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي تُشْهِى إِلَيْهَا هَذِهِ الْفِلْسَفَةُ».

إميل برهيه

ليس هناك - في تاريخ المصنفات الفكرية العربية - قضية أعقد من قضية كتاب «رسائل إخوان الصفا» ذلك أن شخصيات مؤلفيه وهوياتهم المذهبية وغاياتهم ما تزال غامضة ومستعصية على التفسير، فقد اختلف الباحثون في تاريخ جماعة إخوان الصفا وهويتهم، وانقسموا في ذلك شيعة ومذاهب، بل واختلفوا أيضًا في معنى الاسم ودلالته، وربما كان أوثق تلك الآراء المتشعبة هو رأي المستشرق جولدزير والذي لا يخلو من الغرابة والطرافة في آن واحد، لكنه - في الوقت ذاته - لا يعوزه الدليل، فقد نوه إلى أن الاسم نفسه - أغني إخوان الصفا - يظهر في كتاب كليله ودمنة ونحديدا في قصة «الحمامة المطوقة»<sup>1</sup> مُسَبَّحًا بالرمزية حيث تتبادل الطيور والحوانات فيها المعرفة فتتجو جميعًا من شبكة الصياد<sup>2</sup>، وهذا المعنى الرمزي نفسه أشار إليه إخوان الصفا في غير موضع من رسائلهم<sup>3</sup>، كما إنهم كانوا يُشيرون إلى كتاب كليله ودمنة، ويقتبسون منه بعض الحكم والرمزيات التي يضمها بين دفتيه<sup>4</sup>.

أما عن مُصنَّفي تلك الرسائل؛ فإن أقدم خبر يصلنا عنها وعن مُصنِّفيها يأتي في ثانيا كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، والذي ذكر في معرض إجابته عن سؤال للوزير أبي عبد الله العارض وزير صمصام الدولة البويهى عن مفكر وفيلسوف يدعى زيد بن رفاعه<sup>5</sup> (ت بعد عام 400هـ / 1009م) وعن مذهبه الغريب الذي يدعو له، فأجابه التوحيدي بأنه -

<sup>1</sup> انظر باب الحمامة المطوقة من كتاب كليله ودمنة للفيلسوف الهندي بيدبا، نقله إلى العربية عبد الله بن المقفع، بولاق 1937، 177.

<sup>2</sup> دي بور: إخوان الصفا، مقال بدائرة المعارف الإسلامية، 2: 454.

<sup>3</sup> رسائل إخوان الصفا، 1: 43، 4: 18.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، 2: 124.

<sup>5</sup> أبو الخير زيد بن رفاعه الهاشمي، أحد كبار الفلاسفة بالبصرة، لا نعرف عن حياته الكثير، لكن الخطيب البغدادي يذكره وينسب إليه الكذب والوضع في الحديث، كما ينفي عنه أصله الهاشمي، انظر: - تاريخ بغداد، 9: 459، وقد سلّم من آثاره كتاب «أربعون حديثًا في المواعظ والأخلاق» وما يزال مخطوطًا بدار الكتب المصرية بال مكتبة التيمورية برقم 1/ 243 حديث تيمور، وكتاب «الأربعين في أحاديث النبي ﷺ»، [وأخسبه الكتاب نفسه المُتقدّم ذكره]، وهو مخطوط بالظاهرية بدمشق [مكتبة الأسد الآن] برقم 1236 حديث. وكتاب «إصلاح جوامع المنطق لابن الشكيت» وطبع ببيدر آباد الدكن 1354هـ / 1935م، وكتاب الأمثال، وطبع أيضًا ببيدر آباد الدكن عام 1358هـ / 1939م.

أي زيد بن رفاعه - يرى أن الشريعة قد تدنست بالجهالات، واختلطت بالضلالات، وأن السبيل لتطهيرها هو بالفلسفة، وأنه كَوْن بالاشتراك مع أبي سليمان محمد بن معشر البُستي والمعروف بالمقدسي<sup>6</sup>، وأبي الحسن علي بن هارون الزنجاني<sup>7</sup>، وأبي أحمد المهرجاني<sup>8</sup>، ورجل آخر يُدعى العَوَقي<sup>9</sup> أخوية سرية، أطلقوا عليها اسم «إخوان الصفا وخِلاَّن الوفا»، وأنهم

<sup>6</sup> لم تأت كُتب التراجم على ذكر له، لكن الشَّهرستاني يذكره باسمه وكنيته كما عند أبي حيان التَّوحيدي «أبو سليمان محمد بن معشر المقدسي»، ولم يذكر عنه شيئاً اللهم إلا أنه من فلاسفة الإسلام، ومن طبقة المتأخرين منهم، انظر: - الملل والنحل، 2: 158.

<sup>7</sup> لا ذكر للمهرجاني هذا في المصادر، وزنجان هذه التي يُنسب إليها بلدة كبيرة تقع قُرب أذربيجان، ياقوت الحموي: مُعجم البلدان، 3: 171، لكن الملاحظ أن نسبه وردت في إحدى النسخ الخطية لكتاب الإمتاع والمؤانسة «الزنجاني»، الإمتاع والمؤانسة، 2: 5، حاشية 1، لكن التَّوحيدي يعود في موضع آخر ويصفه بالقاضي صاحب المذهب، الإمتاع والمؤانسة، 2: 157، ويعتقد فؤاد مُعْصُوم أن الإشارة للمذهب في حديث التَّوحيدي هي إشارة مباشرة لمذهب إخوان الصفا، انظر: - إخوان الصفا، فلسفتهم وغايتهم، دمشق 1998، 57. واعتقد أنه حقٌ بدليل أن قصة اليهودي والمجوسي التي يستقيها عنه التَّوحيدي في هذا الموضع موجودة بنصها حرفياً في رسائل إخوان الصفا.

<sup>8</sup> هناك اختلافات بينة في المصادر في رسم اسم هذا الرَّجل، فمُحققا الإمتاع والمؤانسة يقولان بأن كلنا النسختين الخطيتين المُعتمدين في تحقيق نص الإمتاع والمؤانسة قد ورد الاسم فيها هكذا «المهرجوني»، وصحح المُحققان - أحمد أمين وأحمد الزين - الاسم إلى «المهرجاني» بدون سند، وذلك ظناً منهما أنه منسوب إلى مهرجان إحدى أعمال أسفرايين، الإمتاع والمؤانسة، 2: 5، حاشية 2، إلا أن البيهقي يُورد اسمه هكذا: «أبو أحمد النهرجوري»، تنمَّة حيوان الحكمة، لأهور 1351 هـ 11، وغالباً ما كانت الصيغة الأخيرة هي الأصح، فقد ورد رسم الاسم نفسه كما رسمه البيهقي في مُعجم الأدباء لياقوت الحموي، والذي وصفه بأنه كان قوياً في الفلسفة وعلوم الأوائل، مُتوسطاً في علوم العربية، وما يذكره ياقوت عنه يُنطبق إلى حد بعيد على من يذكره التَّوحيدي، فهو من أهل البصرة، وخدم جلال الدولة البُيُهي، وتوفي عام 403 هـ/ 1012 م، مُعجم الأدباء، 1: 523-524، وعلى هذا فمن المرجح بشدة أن يكون هو نفسه صاحبنا عضو جماعة إخوان الصفا، وذلك على الرغم من أن ياقوت لم يذكر شيئاً عن علاقته بإخوان الصفا.

<sup>9</sup> العَوَقي منسوب إلى عَوْقة، وهي حَمْلَة بالبصرة، ياقوت الحموي: مُعجم البلدان، 4: 190. وهو الوحيد من بين من يُشتبه بهم في أنهم أصحاب رسائل إخوان الصفا ممن ترجم لهم النديم، ولسوء الحظ فقد ترك النديم فراغات تحت اسمه وتأليفه في مُسودة كتابه على أمل أن يُستوفي ذكره لكنه لم يفعل، غير أنه لا يدع لنا مجالاً للشك في أنه هو نفسه من عنده التَّوحيدي بقوله: - «العَوَقي من أهل البصرة، في زماننا هذا، واسمه [يباض]، وله من الكتب [يباض]». الفهرست، 2: 206. على أن الملاحظ أن البيهقي يترجم لرجل يُدعى أبا الحسن علي بن زماس العَوَقي. ويُلقبه بالحكيم، ويُنسب له رسالة في تفسير الموجودات، وعُلق المُحقق للنص بالحاشية بقوله: «وورد في بعض النسخ أنه من أصحاب إخوان الصفا»، تنمَّة حيوان الحكمة، 82.

كَتَبُوا رَسَائِلَهُمُ الَّتِي نَسَبُوهَا لِلجَمَاعَةِ نَفْسَهَا، فِيمَا كَتَمُوا أَسْمَاءَهُمْ، ثُمَّ بَثُّوَهَا فِي أَسْوَاقِ الْوَرَّاقِينَ فَانْتَشَرَتْ بَيْنَ النَّاسِ<sup>10</sup>.

وواقع الأمر أَنَّ التَّوْجِيدِي لَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ الْحَدِيثَ عَنْ إِخْوَانِ الصِّفَا مُبَاشَرَةً وَإِنَّمَا جَاءَ حَدِيثُهُ عَنْهُمْ فِي سِيَاقِ رَدِّهِ عَلَى سُؤَالِ عَارِضٍ مِنَ الْوَزِيرِ، وَرَغِمَ أَنْ هَذَا بَحْدٌ ذَاتِهِ قَدْ يُضْفِي مِصْدَاقِيَّةً عَلَى رِوَايَةِ التَّوْجِيدِي - لَا سِيَّأَ إِذَا أَخَذْنَا فِي الْاِعْتِبَارِ أَنَّ لِلتَّوْجِيدِي خِبْرَتَهُ الْعَمِيقَةَ بِالْمُؤَلَّفَاتِ الْمُتَدَاوِلَةِ وَمُصَنِّفَيْهَا بِأَسْوَاقِ الْوَرَّاقِينَ كَوْنُهُ وَرَاقًا؛ بَلْ وَرَقٌ لَزِيدٌ بِنِ رِقَاعَةِ نَفْسِهِ وَنَسَخَ لَهُ بَعْضُ مُؤَلَّفَاتِهِ<sup>11</sup> - كَمَا إِنَّ التَّمَعُّنَ فِي رِوَايَتِهِ لَا يَبْشِي بِسَبَبٍ مَعْقُولٍ يُمَكِّنُ مِنْ خِلَالِهِ اتِّهَامَ التَّوْجِيدِي بِالْكَذِبِ الْعَمْدِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْبَاحِثِينَ لَا يَنْظُرُونَ بَعَيْنَ الْاِزْتِيحَاسِ كَثِيرًا إِلَى رِوَايَتِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ تِلْكَ الرِّسَالَتِ الْفِكْرِيَّةَ الْغَنِيَّةَ تُنْسَبُ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ غَيْرِ الْمَعْرُوفِينَ لَنَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَمِنْ ثَمَّ لَا نَعْرِفُ شَيْئًا يُذَكِّرُ عَنْ خَلْفِيَّاتِهِمُ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالْمَذْهَبِيَّةِ، وَلَوْ كَانَ أَحَدُهُمْ أَوْ بَعْضُهُمْ ذَا مَكَانَةٍ عِلْمِيَّةٍ مَرْمُوقَةٍ، أَوْ لَوْ تَوَفَّرَتْ لَنَا بَعْضُ الْمَعْلُومَاتِ الدَّقِيقَةِ وَالْمَوْثُوقَةِ عَنْهُمْ فَلَرَبَّمَا اخْتَلَفَتْ النُّظَرَةُ إِلَى الْأَمْرِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا<sup>12</sup>.

وَمَعَ مَا تَقَدَّمَ فَإِنَّ نَتَائِجَ الدِّرَاسَاتِ الَّتِي حَاولَتْ رَصْدَ تَوَقُّعِ ظُهُورِ الرِّسَالَتِ بَحْدٌ ذَاتِهَا تُضْفِي الْكَثِيرَ مِنَ الْمِصْدَاقِيَّةِ عَلَى رِوَايَةِ التَّوْجِيدِي، فَاَلْمُسْتَشْرَقُ لُؤيس مَاسِينِيونَ سَبَقَ وَأَنْ أَثْبَتَ عَمَلِيًّا عَوْدَةَ تِلْكَ الرِّسَالَتِ إِلَى أَجْوَاءِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ، فَقَدْ لَاحَظَ بِالرِّسَالَتِ أَشْعَارًا تَخُصُّ ابْنَ الرُّومِيِّ (ت 283هـ/ 896م)، كَمَا لَاحَظَ أَيْضًا أَنَّ تَعْرِيفَ إِخْوَانِ الصِّفَا لِحِسَابِ جَيْبِ الْمَثَلَتَاتِ مَأْخُوذٌ عَنِ الْبِتَّانِيِّ (ت 317هـ/ 929م). وَوَصَلَ فُؤَادَ مَعْصُومٍ مَا بَدَأَهُ مَاسِينِيونَ، وَوَقَّعَ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ فِي التَّدْلِيلِ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الرِّسَالَتِ قَدْ دَوَّسَتْ فِي النُّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ<sup>13</sup>، وَهَذَا مِصْدَاقًا لِمَا سَبَقَ وَأَنَّ قَالَ بِهِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ بِأَنَّ تِلْكَ

<sup>10</sup> أَبُو حَيَّانِ التَّوْجِيدِي: الْإِمْتِنَاعُ وَالْمَوَاسَّةُ، 2: 5؛ قَارَنَ أَيْضًا لِلْمُؤَلَّفِ نَفْسَهُ: - الْمَقَابِسَات، 46.

<sup>11</sup> التَّوْجِيدِي: الْإِمْتِنَاعُ وَالْمَوَاسَّةُ، 2: 4.

<sup>12</sup> MACDONALD: *Development of Moslim theology*, New York, 1926, p 168.

<sup>13</sup> وَيَسْتَحَقُّ مَعْصُومُ الثَّنَاءِ عَلَى مَا قَامَ بِهِ مِنْ جَهْدٍ فِي سَبِيلِ تَحْدِيدِ وَقْتِ ظُهُورِ رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا، وَأَهَمُّ



الرَّسَائِلُ قد صدرت في عَصْرِ دَوْلَةِ بَنِي بُوَيْنَةَ بَعْدَ الْمِائَةِ الثَّلَاثَةِ لِلْهَجْرَةِ وَقَرِيبًا مِنْ زَمَنِ بَنَاءِ الْقَاهِرَةِ<sup>14</sup>، وَمِنْ ثَمَّ نَسْتِطِيعُ الْقَوْلَ بِأَنَّ جَمَاعَةَ إِخْوَانَ الصِّفَا قَدْ تَأَسَّسَتْ فِعْلِيًّا فِي بَدَايَا النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهِجْرِيِّ/ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ، وَاسْتَفْرَقَ تَأْلِيفُ الرِّسَائِلِ عِدَّةَ سِنَوَاتٍ، وَبَدَأَتْ بِالتَّدْفُقِ عَلَى أَسْوَاقِ الْوَرَّاقِينَ قُبَيْلَ الرَّابِعِ الْآخِرِ مِنَ الْقَرْنِ نَفْسِهِ<sup>15</sup>.

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ جَاءَ الْبَاحِثُونَ - الَّذِينَ لَمْ يَطْمَنُّوا بِالْكُلِّيَّةِ إِلَى رِوَايَةِ التَّوْحِيدِ<sup>16</sup> - إِلَى

النِّقَاطِ الَّتِي انْتَقَطَ عَنْهَا حَدِيثُ إِخْوَانِ الصِّفَا: ذَكَرَهُمْ لِأَبِي أَحْمَدَ الْكَيْلَالِ الْعَالِمُ الرِّيَاضِيُّ الشَّغُوفُ بِالْأَرْقَامِ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْكَيْلَالَ تُوُفِيَ عَامَ 313هـ/ 925م، وَإِشَارَتُهُمْ الْعَارِضَةُ إِلَى كَيْفِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَحُسْبِهِمْ، وَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الْقَاهِرَ بَالَهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سُجِّلَ مِنْ الْخُلَفَاءِ فِي الْإِسْلَامِ وَتَمَّ هَذَا عَامَ 322هـ/ 933م، وَإِشَارَتُهُمْ إِلَى وَاقِعَةٍ حَدَثَتْ لِلْفَارَابِيِّ دُونَ النَّصِّ عَلَيْهِ بِالْإِسْمِ، وَالْفَارَابِيُّ تُوُفِيَ عَامَ 334هـ/ 945م، وَإِشَارَتُهُمْ إِلَى الْأَشَاعِرَةِ وَبِأَسْمِهِمْ، وَالْإِمَامُ الْأَشْعَرِيُّ تُوُفِيَ عَامَ 330هـ/ 941م، وَإِشَارَتُهُمْ إِلَى نِفَاقِ الْبُغْضِيِّ وَاسْتِثَارِهِ بِالتَّشْيِيعِ لِيَحْطَى بِعُطْفِ الْعُلُوِّينَ، وَيَعْتَقِدُ مَعْصُومَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْعُلُوِّينَ هُمُ بَنُو بُوَيْنَةَ، وَكَانَ الْحُلُّ وَالْعَقْدُ بِأَيْدِيهِمْ، وَقَبْلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِلشَّيْعَةِ ظَهْرٌ مَجْمُوعٌ، وَمُنَاكَ عِدَّةُ نِقَاطٍ أُخْرَى نَصَّ عَلَيْهَا مَعْصُومٌ قَدْ لَا تَرُقِي إِلَى دَرَجَةِ الْأَدَلَّةِ، لِلتَّفْصِيلِ: - فُؤَادُ مَعْصُومٍ: إِخْوَانُ الصِّفَا، فَلَسَفَتُهُمْ وَغَايَتُهُمْ، 63-57.

<sup>14</sup> بُغْيَةُ الْمُرْتَادِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُتَشَلِّفَةِ، 59.

<sup>15</sup> مِنَ الْعَرِيبِ أَنْ يَغْفَلَ النَّدِيمُ - وَهُوَ الْوَرَّاقُ الْمُحَرِّفُ - الْحَدِيثَ عَنْ هَذِهِ الرِّسَائِلِ بِالْجُمْلَةِ، رَغْمَ الْجَدَلِ الَّذِي أَثَارَتْهُ فِي عَصْرِهِ، وَالْأَدَلَّةُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ بِنَيْضِ كِتَابِ الْفَهْرَسْتِ عَامَ 377هـ/ 987م، انْظُرْ فِي ذَلِكَ مُقَدِّمَةُ آيَمَنَ فُؤَادٍ سَيِّدَ لِكِتَابِ الْفَهْرَسْتِ لِلْنَدِيمِ، 1: 35 وما بعدها. أَخَذْنَا فِي الْإِعْتِبَارِ أَنَّ رِوَايَةَ التَّوْحِيدِ تَقْطَعُ بِشَكْلِ حَاسِمٍ بِأَنَّ تِلْكَ الرِّسَائِلَ كَانَتْ مُتَدَاوِلَةً فِي أَسْوَاقِ الْوَرَّاقِينَ إِيَّانَ إِسَارَةِ صِنْفِصَامِ الدَّوْلَةِ الْبُويهي، وَوِزَارَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْعَارِضِ، وَتَحْدِيدًا عَامَ 373هـ/ 983م، وَالْمُبَرَّرُ الْمُنْطَلِقِيُّ الْوَحِيدُ أَنَّ النَّدِيمَ لَمْ يَكُنْ قَدْ فَرَّغَ بِشَكْلِ تَامٍ مِنْ كِتَابِهِ الْفَهْرَسْتِ عِنْدَمَا وَافَقَهُ مِثْنُهُ، بِدَلِيلِ كَثْرَةِ الْبَيَاضِ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ بِالْفَهْرَسْتِ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ كَانَ يَنْوِي الْعَوْدَةَ إِلَيْهَا وَتَبْيِضُهَا حَالِمًا يَسْتَوْفِي مَادَّتَهُ، كَمَا رَأَيْنَا فِيهَا سَبَقَ مَثَلًا عَلَى ذَلِكَ فِي تَرْجُمَتِهِ لِلْعَوَاقِبِ أَحَدَ أَعْضَاءِ جَمَاعَةِ إِخْوَانِ الصِّفَا، رَاجِعْ حَاشِيَةَ 9.

<sup>16</sup> يُنْسَبُ مِنْ ذَلِكَ أَحْمَدُ أَمِينُ الَّذِي صَدَّقَ عَلَى رِوَايَةِ التَّوْحِيدِ، بَلْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ أَبَا حَيَّانَ التَّوْحِيدِ نَفْسُهُ هُوَ أَحَدُ أَعْضَاءِ جَمَاعَةِ إِخْوَانِ الصِّفَا، ظَهَرَ الْإِسْلَامُ، الْقَاهِرَةُ 1962، 2: 99. وَفُؤَادُ مَعْصُومِ الَّذِي بَذَلَ جُهْدًا كَبِيرًا فِي مُحَاوَلَةِ إِبْنَاتِ صِحَّةٍ مَا جَاءَ عِنْدَ التَّوْحِيدِ وَوَقَّفَ فِي ذَلِكَ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ، إِخْوَانُ الصِّفَا؛ فَلَسَفَتُهُمْ وَغَايَتُهُمْ، 53-72. وَالْمُسْتَشْرِقُ مَأكْدُونَالْدُ الَّذِي أَبْدَى تَعَاطُفًا كَبِيرًا مَعَ رِوَايَةِ التَّوْحِيدِ، انْظُرْ: - MACDONALD: Ibid.، كَمَا إِنَّ مُحَمَّدَ إِسْمَاعِيلَ أَيْضًا يُبْدِي تَعَاطُفًا مَعَ رِوَايَةِ التَّوْحِيدِ، لَكِنَّهُ حَاوَلَ التَّدْلِيلَ عَلَى أَنَّ نَشَاطَ إِخْوَانِ الصِّفَا بَدَأَ قَبْلَ رِوَايَةِ التَّوْحِيدِ بِقَرْنٍ عَلَى الْأَقْلَ، وَأَنَّهُ اسْتَمَرَّ بَعْدَهُ بِمَا يَقْرُبُ مِنْ قَرْنٍ أَيْضًا، انْظُرْ، إِخْوَانُ الصِّفَا؛ رُؤَادُ التَّنْوِيرِ فِي الْفِكْرِ الْقَرِيبِ، الْمُصَوَّرَةُ 1996، 42 وما بعدها.

الرَّجْمَ بِالْغَيْبِ. فَمِنْهُمْ مَنْ نَسَبَ الرِّسَائِلَ بِرُمَّتِهَا إِلَى الْفَلَاسِفَةِ الْأَنْدَلُسِيِّينَ الَّذِينَ رَحَلُوا إِلَى الشَّرْقِ، كَسَلْسَلَةِ الْمَجْرِبِيِّ، وَالَّذِي يَقَالُ أَنَّهُ أَتَاهَا عَلَى تَلَامِيذِهِ وَمُرِيدِهِ عَقِبَ عَوْدَتِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، وَقَدْ اسْتَدَلَّ هُؤُلاءِ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَجْرِبِيَّ كَانَ يُلقَّبُ بِالْحَكِيمِ، مُبْنًى فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ عَلَى عِبَارَةِ «قَالَ الْحَكِيمُ» الَّتِي تَكَثَّرَ فِي الرِّسَائِلِ<sup>17</sup>. لَكِنَّ الدِّرَاسَةَ النَّقْدِيَّةَ لِتِلْكَ الرِّسَائِلِ تَكَادُ تُثَبِّتُ أَنَّ هَذِهِ الرِّسَائِلَ بِرُمَّتِهَا هِيَ نَتَاجُ عَمَلِ فَرِيقَ وَلَيْسَ فَرْدًا وَاحِدًا، فَهَنَّاكَ اخْتِلَافَاتٍ أُسْلُوبِيَّةً عَدِيدَةً، وَهُنَاكَ أَيْضًا تَنَاقُضَاتٍ حَادَّةٌ فِي بَعْضِ مَا مَحْتَوِيهِ مِنَ الْافْكَارِ<sup>18</sup>، وَعَلَى ذَلِكَ فَمِنْ السَّدَاجَةِ الْإِعْتِقَادِ بِأَنَّ تِلْكَ الرِّسَائِلَ مِنْ تَأْلِيفِ فَرْدٍ وَاحِدٍ، بَلْ هِيَ عَلَى الْأَرْجَحِ مِنْ تَصْنِيفِ فَرِيقٍ مِنَ الْمُؤَلِّفِينَ، صَنَّفَ كُلُّ مِنْهُمْ فِيمَا يُحْسِنُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْفُنُونِ.

الْبَعْضُ قَالَ يَنْسَبُهَا إِلَى بَعْضِ مُتَكَلِّمِي الْمُعْتَزَلَةِ، وَقَدْ لَفَتْ نَظَرُهُ وَضَفَّ إِخْوَانُ الصِّفَا لِأَنْفُسِهِمْ بِلقَبِ «أَهْلِ الْعَدْلِ وَأَبْنَاءِ الْحَمْدِ»<sup>19</sup>، وَهَذَا يَتَقَارَبُ مَعَ وَضَفِ الْمُعْتَزَلَةِ لِأَنْفُسِهِمْ بِـ«أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْعَدْلِ»<sup>20</sup>، وَفِي الْوَاقِعِ فَإِنَّ الْقِفْطِيَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَشَارَ إِلَى اخْتِيَالِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الرِّسَائِلُ مِنْ تَصْنِيفِ بَعْضِ مُتَكَلِّمِي الْمُعْتَزَلَةِ، وَالطَّرِيفُ أَنَّ الْقِفْطِيَّ نَصَّ صَرَاحَةً عَلَى أَنَّهُ تَرَاجَعَ عَنْ رَأْيِهِ هَذَا بَعْدَمَا وَقَفَ عَلَى حَدِيثِ أَبِي حَيَّانِ التَّوْحِيدِيِّ عَنْ إِخْوَانِ الصِّفَا<sup>21</sup>، كَمَا إِنَّ فَخْصَ الرِّسَائِلِ وَمَحْتَوَاهَا كَفَيْلٌ بِإِظْهَارِ الْبُعْدِ الشَّدِيدِ لِفَلْسَفَتِهَا عَنْ أَفْكَارِ الْمُعْتَزَلَةِ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَبْدَأَ أَحَدٌ يَغْتَدُّ بِهَذَا الرَّأْيِ الْآنَ.

<sup>17</sup> ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، حيدر آباد، الدكن 1331 هـ 2: 63-64، وكان الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد يرى ذلك الرأي، وقد رفضه أحمد زكي باشا رفضاً قاطعاً، انظر: - أحمد زكي باشا: موسوعات العلوم العربية؛ وبحث على رسائل إخوان الصفا، بولاق 1308 هـ 93.

<sup>18</sup> محمود إسماعيل: المرجع السابق، 44.

<sup>19</sup> جاء في آخر فهرست الرسائل قول إخوان الصفا: «هذه فهرست رسائل إخوان الصفا وبخلان الوفا، وأهل العدل، وأبناء الحمد»، رسائل إخوان الصفا، 1: 43.

<sup>20</sup> عمر الدسوقي: إخوان الصفا، القاهرة 1947، 44؛ عادل العوا: حقيقة إخوان الصفا، 100-101؛ E. G.

BROWNE: Literary history of Persia, London 1909, Vol. I, p 292; R. A. NICHOLSON: Literary history of the Arabs, London 1956, p 370.

<sup>21</sup> القفطي: إخبار الحكماء، 58.

وَمِنَ الْبَاحِثِينَ أَيْضًا مَنْ نَسَبَ تَضْيِيفَ تِلْكَ الرَّسَائِلِ بِرُمْتِهَا إِلَى صَابِئَةِ حَرَّانَ، بَلْ وَحَدَّدَ شَخْصِيَّةَ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّائِبِ كَمُضَنَّفٍ مُحْتَمَلٍ لَهَا، مُؤَسِّسًا رَأْيَهُ عَلَى التَّشَابُهِ بَيْنَ أُسْلُوبِ أَبِي إِسْحَاقَ الْأَدَبِيِّ وَبَيْنَ أُسْلُوبِ الرَّسَائِلِ الْأَدَبِيِّ<sup>22</sup>، وَالْوَاقِعُ أَنَّ هَذَا الْاِعْتِقَادَ جَذْوَرُهُ الْقَدِيمَةُ أَيْضًا، فَقَدْ سَبَقَ وَأَنَّ أَتَمَّهُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ صَابِئَةَ حَرَّانَ بِالذَّاتِ بِأَتَمِّهِمْ وَرَاءَ انْتِشَارِ تِلْكَ الرَّسَائِلِ الدَّاعِيَةِ إِلَى صِيَاغَةِ مَبَادِيِ الْفَلَسَفَةِ كَدِينٍ وَعَقِيدَةٍ مُحَلُّ مَحَلِّ الدِّينِ الْمُنْزَلِ مِنَ السَّمَاءِ<sup>23</sup>، وَفِي السِّيَاقِ نَفْسَهُ قِيلَ أَيْضًا بِأَنَّ أَبَا الْحَكَمِ عَمْرُو بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكُرْمَانِيَّ تَلْمِيزَ مُسْلِمَةَ الْمَجْرِيْطِيِّ كَانَ قَدْ رَحَلَ إِلَى حَرَّانَ فِي طَلَبِ الْهَنْدَسَةِ وَالْفَلَسَفَةِ، وَمِنْ هُنَاكَ عَادَ بِتِلْكَ الرَّسَائِلِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ<sup>24</sup>. لَكِنْ هَذَا يُعَدُّ اخْتِمَالًا بَعِيدًا عَنِ الصَّوَابِ، فَالْكُرْمَانِيُّ تُوُفِّيَ عَامَ 458هـ/ 1065م، وَالتَّوْحِيدِيُّ يَنْصُرُ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ مُتَدَاوِلَةً فِي أَسْوَاقِ الْوَرَّاقِينَ عَامَ 373هـ/ 983م، وَهَذَا الْبُعْدُ الزَّمَنِيُّ لَا يَسْمَحُ بِالْقَوْلِ بِأَنَّ الرَّسَائِلَ ظَهَرَتْ أَوَّلَ مَا ظَهَرَتْ عَلَى يَدِ الْكُرْمَانِيِّ، وَأَنَّهُ عَادَ بِهَا مِنْ حَرَّانَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ سَبَبٌ مَعْقُولٌ يَجْعَلُ التَّوْحِيدِيَّ يَنْسِبُ رَسَائِلَ صُنِفَتْ بِحَرَّانَ بِأَيْدِيِ فَلَايِفَتِهَا مِنَ الْحَرَّانِيَّةِ إِلَى جَمَاعَةٍ بِالْبَصْرَةِ، كَمَا إِنَّ الرَّسَائِلَ بِذَاتِهَا تَعَكِّسُ بَوُضُوحِ الرُّغْبَةِ فِي مَزْجِ الْأَدْيَانِ بِالْفَلَسَفَةِ، وَلَيْسَ مُجَرَّدَ الدَّعَايَةِ إِلَى دِينٍ بِذَاتِهِ، أَوْ تَرْكِيَةِ دِينٍ عَلَى دِينٍ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ تِلْكَ الرُّوحَ الشَّرْقِيَّةَ نَرَاهَا وَاضِحَةً بِأَجْلَى صُورِهَا فِي الرَّسَائِلِ الَّتِي تُشِيرُ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا إِلَى الزَّرَادُشْتِيَّةِ وَالْمَانَوِيَّةِ وَالتَّنْزَرَاتِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَالشَّيْعَةِ وَالسُّنَّةِ، وَتَبْدُو أَكْثَرَ تَنَاقُضًا مَعَ بَيْتَةِ الْبَصْرَةِ مُتَعَدِّدَةِ الدِّيَانَاتِ وَالْأَغْرَاقِ وَالطَّوَائِفِ وَالْمَذَاهِبِ<sup>25</sup>.

عَلَى أَنَّ التِّيَّارَ الْغَالِبَ عَلَى الْبَاحِثِينَ هُوَ نِسْبَةُ رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا إِلَى الشَّيْعَةِ

<sup>22</sup> مُحَمَّدٌ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْحَمْدُ: صَابِئَةُ حَرَّانَ وَإِخْوَانُ الصِّفَا، دِمَشْقُ 1998، 149-150، وَهُوَ يَتَّبِعُهُمْ بِوَضْعِهَا نَفَرًا مِنْ صَابِئَةِ حَرَّانَ بِدُونِ أَدَلَّةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ!!، وَيَسْتَطِرِدُ إِلَى الْقَوْلِ أَنَّ أُسْلُوبَ كُتَابِ الرَّسَائِلِ يُشَبِّهُ أُسْلُوبَ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّائِبِ، وَهَذَا فِي اعْتِقَادِي بِمَثَابَةِ الْقَاءِ لِلْقَوْلِ عَلَى عَوَاجِئِهِ، وَقَدْ تَمَرَّسْتُ كَثِيرًا بِأُسْلُوبِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّائِبِ الْأَدَبِيِّ أَثْنَاءَ عَمَلِي فِي تَحْقِيقِ رَسَائِلِهِ، وَبِمُكْنِي الْقَوْلَ - جَازِمًا - أَنَّهُ لَا صِلَةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ بَيْنَ أُسْلُوبِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّائِبِ وَبَيْنَ أُسْلُوبِ كُتَابِ رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا مِنَ الْوُجْهِ الْأَدَبِيِّ.

<sup>23</sup> ابْنُ تَيْمِيَّةٍ: بُغْيَةُ الْمُرْتَادِ، 13.

<sup>24</sup> عَقَبَ صَاعِدُ الْأَنْدَلُسِيِّ بِقَوْلِهِ «وَلَا تَعْلَمُ أَحَدًا أَذْخَلَهَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ قَبْلَهُ»، طَبَقَاتُ الْأُمَمِ، 71.

<sup>25</sup> عَمُودُ إِسْهَاعِيلَ: إِخْوَانُ الصِّفَا، 45.

الإسماعيلية<sup>26</sup>، وهو ادّعاء له أصوله القديمة أيضًا، فقد رَعَمَهُ دُعاة الإسماعيلية المتأخرون وأبرزهم الدّاعي الإسماعيلي عمادُ الدّين إندريس (ت 872هـ / 1467م)<sup>27</sup>، وهذا هو الاتجاه الغالب عند الباحثين اليوم، رغم أنّ هذا الرأي لا يَصُمَدُ أمام النّقد أيضًا، إذ إنّ نسبة الرّسائل إلى الشيعة الإسماعيلية جُمْلَةً وتفصيلًا ينطوي على تغميمٍ مُجْحِف، وقراءة مُتَعَسِّفَةٌ لظّاهر نصوص الرّسائل.

فإذا كان كُتّاب الرّسائل شيعةً على المذهب الإسماعيلي فإنّ السّؤال - أو بالأحرى الأسئلة التي تطرّح نفسها - لماذا يُكثِرُ إخوان الصّفا من الإلغاز والتّبشير بقُدوم خلاصٍ قَرِيب، والذي من المُفترض أنّه قد أتى بالفعل من وجهة نظر الإسماعيلية؟!، فالقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي - وهو زمن تصنيف تلك الرّسائل كما تقدّم - هو قرن النّفوذ الشّيعي بانيّناز، فالإسماعيلية كانوا قد نجحوا في إقامة دولة في مِصر والشّام وهي الدولة الفاطمية، وفي البحرين كان نفوذ القرامطة قد وصل إلى أوجِهِ، وكانوا أيضًا شيعةً إسماعيلية، وفي الجزيرة كان أمراء بني حُدان يَحْكُمُونَ باسم خلفاء بني العبّاس، وكانوا أيضًا من الشيعة، وفي العراق كان الحُلّ والعقْد بيد بني بُويه - وهم شيعةٌ زيديةٌ - ولم يُنْقِوا للخلافة العبّاسية سوى سُلْطَةٍ اسميّة، ثم لماذا يَسْخَرُ إخوان الصّفا من «الرّثيّة»<sup>28</sup> وهو أسلوبٌ طالما مارَسَهُ أئمّتهم في الدّعوة، إذا ما سلّمنا جدلًا بأنّهم شيعةٌ إسماعيلية، ولماذا يُهاجِمُ إخوان الصّفا أفكار المُسَبَّعة أو المُعتقدين في قدسية الرّقم سَبْعَة، ويُسَفِّهُون عقائدَهُم، ويصِفُون تفكيرَهُم بأنّه جُزْئي

<sup>26</sup> عارف تامر: حقيقة إخوان الصّفا وخیلان الوفا، بیروت 1947، 21؛ وانظر أيضًا مقدّمته لرسالة جامعة الجماعة من رسائل إخوان الصّفا، بیروت د.ت، 5-61؛ كامل مصطفى الشّبيبي: الفکر الشّيعي والتّزعات الصّوفيّة، بغداد 1966، 93؛ جبر عبد النّور: إخوان الصّفا، القاهرة 1971، 23، مصطفى غالب: في رحاب إخوان الصّفا، بیروت 1969، 425، وتجد مناقشة مُستفيضة لأراء جمهور الباحثين حول هويّة إخوان الصّفا في: - فؤاد معصوم: إخوان الصّفا؛ فلسفتهم وعايتهم، 45 وما بعدها؛ قارن أيضًا: - محمود إسماعيل: إخوان الصّفا، 53 وما بعدها؛ V. A. IVANOV: The alleged founder of Isma'ilism, Bombay 1946, p 146.

<sup>27</sup> عیون الأخبار وفنون الآثار، تحقیق مُصطفى غَالِب، بیروت 1984، 4: 367.

<sup>28</sup> رسائل إخوان الصّفا، 3: 72.

غَيْرُ كُلِّي، وَأَتَتْهُمْ مَا أَصَابُوا كَبِدَ الْحَقِيقَةِ؟<sup>29</sup>، عَلِمًا أَنَّ هَذَا الرَّقْمَ بِالذَّاتِ مَكَانَةٌ خَاصَّةٌ فِي عَقَائِدِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الدِّينِيَّةِ كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ.

كَذَلِكَ فَإِخْوَانُ الصِّفَا لَا يَكْتَرِثُونَ لِقَضِيَّةِ الْإِمَامَةِ بُرْمَتِهَا، وَهِيَ لَيْسَتْ لُبُّ دَعْوَى الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ فَحَسَبُ؛ بَلْ هِيَ لُبُّ دَعْوَةِ الشَّيْعَةِ بِوَجْهِ عَامٍ، فَعِنْدَ إِخْوَانِ الصِّفَا أَنَّ سُنَّةَ وَاضِعِ الشَّرِيعَةِ نَفْسُهُ تَكْفِي لِهِدَايَةِ أَتْبَاعِهِ، وَلَيْسَ ثَمَّ حَاجَةٌ إِلَى إِمَامٍ، فَإِخْوَانُ الصِّفَا أَنْفُسُهُمْ يُنْصَوْنَ عَلَى هَذَا بِقَوْلِهِمْ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعُقُلَاءَ الْأَخْيَارَ إِذَا أَنْصَافَ إِلَى عَقُولِهِمُ الْقُوَّةَ بِوَاضِعِ الشَّرِيعَةِ، فَلْيُسُوا يَخْتَابُونَ إِلَى رَئِيسٍ يَرَأُسُهُمْ، وَيَأْمُرُهُمْ وَيُزْجِرُهُمْ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ وَالْقُدْرَةَ لَوَاضِعِ الثَّامُوسِ يَقُومَانِ مَقَامَ الرَّئِيسِ»<sup>30</sup>.

بَلْ إِنَّ تَنْظِيمَهُمُ الَّذِي قَدَّمُوا مَخْطُطًا لَمَنْ بِيَدِهِ الْأَمْرُ وَالْعَقْدُ بِالْجَمَاعَةِ يَشِي بِأَتَمِّهِمْ كَانُوا يَرَوْنَ عَدَمَ جَوَازِ انْفِرَادِ رَجُلٍ وَاحِدٍ بِالْقَرَارِ فِي الْجَمَاعَةِ، فَفِي تَنْظِيمِهِمُ الَّذِي اقْتَرَحُوهُ هُنَاكَ تَدْرَجُ لِلسُّلْطَةِ يَتَكَوَّنُ مِنَ الْإِخْوَانِ الْفُضَّلَاءِ الْكَرَامِ - بِحَسَبِ تَغْيِيرِهِمْ - وَهُمْ الْقَادَةُ وَالْمُلُوكُ دَوُو السُّلْطَانِ، وَأُولُو الْأَمْرِ وَالتَّنْهِي وَالتَّصَرُّفِ، بَعْلُوهُمْ وَيُسْرِفُ عَلَيْهِمُ الْإِخْوَانُ الْفُضَّلَاءُ الْكَامِلُونَ، وَهُمْ طَبَقَةُ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى اللَّهِ، وَالَّذِينَ تَجَاوَزُوا الْحَقْمَسِينَ<sup>31</sup>، أَيْ أَشْبَهَ بِوَصَايَةِ مَجْلِسِ لِلْحُكَمَاءِ يُسْرِفُ عَلَى مَنْ بِيَدِهِ السُّلْطَةُ، وَمَنْ ثَمَّ يُمَكِّنُ الْقَوْلَ أَنَّ إِخْوَانِ الصِّفَا لَمْ يَكُونُوا يَكْتَرِثُونَ أَسَاسًا لِقَضِيَّةِ الْإِمَامَةِ، وَلَا يَنْتَظِرُونَ أَوْ يُبَسِّرُونَ بِقُرْبِ ظَهُورِ إِمَامٍ مُنْتَظَرٍ، وَلَا يَرَوْنَ وَجْهًا لِحُكْمِ الْفَرْدِ الْمَطْلُوقِ بِدَعْوَى الْإِمَامَةِ، وَلَا وَجْهًا يُبَرِّرُ ذَلِكَ التَّرَاعُ حَوْلَ تِلْكَ الْقَضِيَّةِ وَمَا تَرْتَّبَ عَلَيْهَا مِنْ تَبَعَاتٍ. وَهَذِهِ نَتِيجَةُ جَدِّ خَطِيرَةٍ وَيَتَرْتَّبُ عَلَى الْقَوْلِ بِهَا نَفْيُ الْأَصْلِ الشَّيْبِيِّ عَنْ كُتُبِ تِلْكَ الرَّسَائِلِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا.

وَمَنْ الْمُلَاحَظُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الرَّاغِبِينَ لِرَوَايَةِ التَّوْحِيدِي لَا يُجِيبُونَ بِدَقُوعٍ مُقْنِعَةٍ عَنْ

<sup>29</sup> المصدر نفسه، 1: 217.

<sup>30</sup> نفسه، 4: 137.

<sup>31</sup> نفسه، 4: 57.

أسباب ردهم لها، مع أن حديث التوحيدي عن أن مؤلفيها كان غرضهم الرئيسي ربط الشرائع على إجماعها وتنوعها بالفلسفة يبدو أقرب إلى المنطق من القول بنسبة الرسائل لفريق ديني أو مذهبي بعينه، فقارئ تلك الرسائل سيتشعر على الفور أن كتبة الرسائل لا تجمعهم وحدة دينية أو مذهبية ما، وخطأ الباحثين المتكرّر يكمن في افتراض وهمي مفاده أن كتبة تلك الرسائل على اختلافهم كانوا يعتقدون ديناً أو مذهباً بعينه، وهذا الافتراض الوهمي قادهم بدوره إلى نتائج مضلّة.

رغم أنه من الجلي أن جُلّ هدف إخوان الصفا كان هو التوفيق بين الأديان برمتها وبين مقاصد الفلسفة والحكمة - تماماً كما قال التوحيدي - أي هي في نهاية الأمر محاولة توفيقية للمزاوجة بين الإتيان بظهور الغيب وبين العقل والاستدلال بمنطق الأشياء، ولو تأملنا ما ورد على لسان إخوان الصفا أنفسهم في هذا الصدد فإننا سنخرج بنتيجة واحدة، وهي أن إخوان الصفا لم ينتصروا لمذهب على مذهب، بل قالوا صراحة بأنهم لا يتعصبون لمذهب من المذاهب، لأنّ رأيهم ومذهبهم يستغرق المذاهب كلّها<sup>32</sup>. وكان هذا هو رأي أبي سليمان المنطقي السجستاني أستاذ التوحيدي، والذي عكف عليها بالدرس ثم خلّص إلى أن مُصنّفي تلك الرسائل حاولوا الجمع بين الدين والفلسفة، وهما في رأيه ضدّان لا يجتمعان، لذا فقد رأى أن كتبة تلك الرسائل تعبوا حقاً أغنوا، وغنوا حقاً أطربوا<sup>33</sup>.

وقد يجدر التّساؤل حول ما إذا كان بغض من صابئة حرّان قد انتسبوا إلى تلك الجماعة متعدّدة الأديان والمذاهب أم لا؟ لا سيّما أننا سنجد أثراً قوياً لا يُنكر لأفكار الصّابئة - مندائيين وحرّائيين - وعقائدهم قد تسلّلت بشكل ملحوظ إلى فكر إخوان الصفا. قد تبدو الإجابة على هذا السؤال يسيرة إذا تمّ التّحقّق من هويّة شخص بعينه من بين تلك الشّخصيات التي أشار إليها التّوحيدي على أنّهم أصحاب تلك الرّسائل، ألا وهو «أبو الحسن عليّ بن

<sup>32</sup> نفسه، 4: 41 - 42.

<sup>33</sup> الإنشاع والمؤانسة، وانظر أيضاً نقد فؤاد معصوم القوي الذي وجهه للقائلين بالهويّة الإنشاعيّة لإخوان الصفا، لا سيّما الباحث الإنشاعيلي عارف تايبر، انظر: - إخوان الصفا، فلسفتهم وغايتهم، 46 وما بعدها.

هَارُونَ الرَّنْجَانِي، هَكَذَا وَرَدَ الْاسْمُ عِنْدَ التَّوْجِيدِي وَالْقِفْطِي، لَكِنَّ اللَّافَ لِلنَّظَرِ أَنَّهُ وَرَدَ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ هَكَذَا «أَبُو الْحَسَنِ عَلِي بْنِ زَهْرُونَ الرَّيْجَانِي»<sup>34</sup>، فَهَلْ هَارُونَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي نَصِّي التَّوْجِيدِي وَالْقِفْطِي هِيَ تَخْرِيفٌ لَزَهْرُونَ الْوَارِدَةِ فِي نَصِّ الْبَيْهَقِيِّ؟!.

لَقَدْ مَرَّتْ بَنَّا مِنْ قَبْلِ تِلْكَ الدَّلَالَةِ الدِّينِيَّةِ لِاسْمِ «زَهْرُونَ» عِنْدَ الْمُنْدَائِيِّينَ وَالْحَرَنَانِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ<sup>35</sup>، فَهَلْ كَانَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِي بْنُ زَهْرُونَ هَذَا يَنْتَمِي إِلَى أَصُولٍ صَابِئِيَّةٍ؟، هَذَا مُحْتَمَلٌ بِشِدَّةٍ، خَاصَّةً وَأَنْ افْتِرَاضَ وَقُوعِ التَّحْرِيفِ مِنْ قِبَلِ النَّسَاجِ مِنْ «زَهْرُونَ» إِلَى «هَارُونَ» وَارِدَ، أَمَّا الْعَكْسُ فَمُسْتَبَعَدٌ، فَهَذَا الْاسْمُ اخْتَصَّ بِهِ الصَّابِئَةُ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَلَهُ عِنْدَهُمْ مَغْزَى دِينِي يَرْتَبِطُ بِصُمِيمِ عَقَائِدِهِمْ، نَاهِيكَ أَنَّهُ لَا مَعْنَى لَهُ وَلَا مَبْنَى عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَتَسَمَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْاسْمِ، وَلَيْسَ ثَمَّةُ أَدَلَّةٍ عَلَى شَيْعُوعِ اسْمِ «زَهْرُونَ» فِي فِتْنَةِ مَا خَارَجَ الْأَوْسَاطِ الصَّابِئِيَّةِ.

وَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ قَبْلِ فِي مَعْرِضِ التَّصَدِّي لِرِوَايَةِ التَّوْجِيدِي عَنْ أَصْحَابِ رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا كَيْفَ أَنَّ أَبَا حَيَّانَ التَّوْجِيدِي نَعَتْ ذَلِكَ الشَّخْصَ بِأَنَّهُ «الْقَاضِي صَاحِبُ الْمَذْهَبِ»، وَهَذَا قَاطِعُ الدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ، وَأَنَّهُ كَانَ قَاضِيًّا، فَهَلْ كَانَ ذَلِكَ الشَّخْصُ يَنْتَمِي إِلَى أُرُومَةِ حَرَنَانِيَّةٍ أَوْ مُنْدَائِيَّةٍ، وَأَسْلَمَ أَحَدُ أَسْلَافِهِ؟، هَذَا وَارِدٌ بِشِدَّةٍ، وَمَا يُشْجَعُ عَلَى الْقَوْلِ بِذَلِكَ هُوَ إِثْبَاتُ الْبَيْهَقِيِّ نُسْبَتَهُ إِلَى تِجَارَةِ الرَّيْجَانِ، وَهَذَا بِحَدِّ ذَاتِهِ يَزِيدُ مِنَ الشُّبْهَةِ حَوْلَ الْأَصُولِ الصَّابِئِيَّةِ لِهَذَا الشَّخْصِ، فَنُسْبَةُ أَحَدِ الْحَرَنَانِيَّةِ إِلَى رَنْجَانِ الَّتِي تَقَعُ قَرِيبًا مِنْ أَدْرَبِجَانِ أَمْرٌ مُسْتَبَعَدٌ، لَا سِيَّيَا وَأَنَّا لَا نَمْلِكُ أَدَلَّةً عَلَى هِجْرَاتِ لِلْحَرَنَانِيَّةِ وَصَلَتْ إِلَى تِلْكَ الْأَمَاكِينِ مِنَ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ آنَذَاكَ.

وَكَيْفَمَا كَانَ الْأَمْرُ فَإِنَّ وَجُودَ شَخْصٍ ذِي أَصُولِ حَرَنَانِيَّةٍ ضَمَّنَ الْفَرِيقَ الَّذِي قَامَ بِتَصْنِيفِ الرِّسَائِلِ يَبْقَى فِي النِّهَايَةِ مُجَرَّدُ اخْتِمَالٍ لَا يُمَكِّنُ الْجَزْمَ بِهِ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَسَعُنَا أَنْ نَمْضِيَ

<sup>34</sup> تَمَّةُ صِرَافِ الْحِكْمَةِ، 235.

<sup>35</sup> رَاجِعِ الْفَصْلَ الْعَاشَرَ.

قُدَمَا وَرَاءَ هَذَا الاحْتِمَالِ، لَكِنَّ هَذَا لَا يَغْنِي - فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ - عَدَمُ وَجُودِ تَأْثِيرَاتِ حَرَنَانِيَّةٍ قَوِيَّةٍ فِي الرِّسَائِلِ، فَهُنَاكَ عَوَامِلٌ تَطَابُقُ عَدِيدَةً بَيْنَ فِكْرِ إِخْوَانِ الصِّفَا وَبَيْنَ مُعْتَقَدَاتِ الْحَرَنَانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، مِنْ ذَلِكَ تِلْكَ التَّرْعَةُ السَّرِيَّةُ فِي وَجُوبِ إِحَاطَةِ الْأَسْرَارِ الْخَاصَّةِ بِالْجَمَاعَةِ بَعِيدًا عَنِ الْعَلَنِ وَالذَّبُوحِ<sup>36</sup>، وَلِلْأَسْبَابِ نَفْسَهَا الَّتِي اعْتَقَدَ الْحَرَنَانِيَّةُ بِوَجُوبِ كَيْتَانِ الْمُعْتَقَدَاتِ مِنْ أَجْلِهَا، إِذْ تَحَدَّثَ إِخْوَانُ الصِّفَا صَرَاحَةً عَنْ أَسْبَابِ كَيْتَانِهِمْ لِأَسْرَارِهِمْ بِقَوْلِهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَتَكْتُمُونَ أَسْرَارَهُمْ وَلَا يَبْخُونُ بِأَسْمَائِهِمْ خَوْفًا مِنْ سَطْوَةِ الْمُلُوكِ ذَوِي السُّلْطَةِ، وَلَا حَذَرًا مِنْ شَعْبِ جُمْهُورِ الْعَوَامِ، وَلَكِنْ صِيَانَةً لِمَوَهِبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَزُودُونَ فِي ذَلِكَ قَوْلًا مَأْثُورًا عَنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ: «لَا تَضَعُوا الْحِكْمَةَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهَا فَتُظْلَمُوا، وَلَا تَمْنَعُوا أَهْلَهَا فَتُظْلَمُوا»<sup>37</sup>. وَهَذَا بَحْدٌ ذَاتُهُ يُلْخِصُ جَوْهَرَ إِيمَانِ إِخْوَانِ الصِّفَا بِقَاعِدَةِ «الضَّنِّ بِالْعِلْمِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ»، وَإِذَا قَارَنَّا مَا ذَكَرَهُ إِخْوَانُ الصِّفَا فِي سَبَبِ حَجْبِهِمْ لِأَسْرَارِهِمْ مَعَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ وَحْشِيَّةٍ عَنْ كَيْتَانِ الْحَرَنَانِيَّةِ لِأَسْرَارِهِمْ خَوْفًا عَلَى تِلْكَ الْأَسْرَارِ كَيْلًا تَضِيعُ مَع مَنْ هُمْ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا مِنْ أَوْلَادِ السُّفْلَةِ وَفُسَادِ الْعَالَمِ وَخُرَابِهِ عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ<sup>38</sup>، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ تُشْعِرَنَا تِلْكَ التَّقَالِيدَ الْمُشْتَرَكَةَ بِوَجُودِ جِسْرِ قَوِي تَسَلَّلَتْ مِنْ خِلَالِهِ عَقَائِدُ الْحَرَنَانِيَّةِ إِلَى إِخْوَانِ الصِّفَا.

هُنَاكَ أَيْضًا مُعْتَقَدَاتٌ تَشَارَكَ فِيهَا إِخْوَانُ الصِّفَا مَعَ الْحَرَنَانِيَّةِ، مِنْهَا ذَلِكَ الْأَثَرُ الْقَوِي لِلْفِيثَاغُورَسِيَّةِ وَالَّتِي اعْتَقَبَهَا فَلَا سِيفَةَ الْحَرَنَانِيَّةِ مِنَ الطَّبَائِعِيِّينَ وَالَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالْقِيَمَةِ الرُّوحِيَّةِ لِلْعَدَدِ، وَطَبِيعَةِ الْأَعْدَادِ وَعِلَاقَتِهَا بِحَقِيقَةِ الْعَالَمِ الْمَادِّيِّ، فَأَوَّلُ مَا يُلْفَتُ النَّظَرُ فِي رِسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا هُوَ جَرِصُهُمْ عَلَى افْتِتَاحِ رِسَائِلِهِمْ بِالْقِسْمِ الرِّبَاضِيِّ، وَذَلِكَ يُظْهِرُ مَا أَوَّلُوهُ لِلْأَعْدَادِ مِنْ اهْتِمَامٍ فِي فَلَسَفَتِهِمُ الَّتِي أَعْلَنُوهَا، فَقَدْ اعْتَبَرُوا الْعَدَدَ أَصْلَ الْمَوْجُودَاتِ، وَرَبَّبُوهُ عَلَى الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ وَهُوَ مَا يُمَثِّلُ تَبْنِيًا حَقِيقِيًّا لِمَبَادِئِ الْفِيثَاغُورَسِيَّةِ<sup>39</sup>، وَهُوَ مَا سَبَقَ وَلاَحَظَهُ

<sup>36</sup> فُؤَادُ مَعْصُومٍ: إِخْوَانُ الصِّفَا؛ فَلَسَفَتِهِمْ وَغَايَتِهِمْ، 45.

<sup>37</sup> رِسَائِلُ إِخْوَانِ الصِّفَا، 4: 166.

<sup>38</sup> ابْنُ وَحْشِيَّةٍ: شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ، 91.

<sup>39</sup> رِسَائِلُ إِخْوَانِ الصِّفَا، 1: 48، وَانْظُرْ أَيْضًا تَلْخِيصَهُمْ لِأَرَاءِ فِثَاغُورَسِ الْحَكِيمِ فِي الرِّسَالَةِ الْأُولَى مِنْ النُّسَخَاتِ الْعَقْلِيَّاتِ فِي مَبَادِئِ الْمَوْجُودَاتِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى رَأْيِ الْفِيثَاغُورَسِيِّينَ، (وَهِيَ الرِّسَالَةُ 32 مِنْ رِسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا) 3: 178-198.



الغزالي<sup>40</sup>. وليس أدل على تقدير إخوان الصفا لفيثاغورس وللفيثاغورية من مساوئهم بين هرمس الحكيم - نبي الحرنائية - وبين فيثاغورس في قدسية الروح وصفائها والاطلاع على أسرار الكون<sup>41</sup>.

هناك أيضًا صلة لا تُنكر بين تراثية إخوان الصفا للحُكماء مع التراثية المندائية، وكانت هذه التراثية نفسها هي ما جعلت الباحثين متحمسين أكثر للقول بأن مُصنفي تلك الرسائل شيعة على المذهب الإسماعيلي، إذ كما تعرّضنا من قبل تتطابق التراثية المندائية مع مثيلتها الإسماعيلية، إذن فليس من قبيل المصادفة أن يتبنّى تلك التراثية فصيلان انتميا إلى البصرة<sup>42</sup> وتعرّفا بها عن كتب على معتقدات المندائيين. فعند إخوان الصفا تبدأ تلك التراثية بمرتبة الإخوان الأبرار الرُحماء، وهم المريدون ذوو الصنائع، ويتميّزون بصفاء الجوهر والنفس، وجودة القبول وسرعة التصوّر. ثم مرتبة الإخوان الأخيار الفضلاء، وهم المعلمون من الرؤساء ذوي السياسات، وهم المتوطين بهم رعاية الإخوان، ويتميّزون بسخاء النفس، وجود العطاء والتحنّن على غيرهم. ثم مرتبة الإخوان الفضلاء الكرام، وهم القادة والملوك ذوو السلطان، وأولو الأمر والتّهي والتّصرف بين الإخوان، ثم مرتبة الكمال، وهم طبقة المقرّبين إلى الله، ينكشف أمامهم السّتر، فيصرون الحقائق، وينبسط عليهم العلم فيضًا من القدير<sup>43</sup>.

ولا يكاد يخفى ذلك الطابع الغنوصي للمعرفة اللدنية الهابطة من السماء على نفوس الأشخاص الذين بلغوا مرتبة الكمال، وهو ما يطابق فلسفة الفتح أو الكشف أو الإشراف عند الصوفية، المأخوذة عن نظرية الفيض في الأفلاطونية المحدثّة<sup>44</sup>، وهي سمة مشتركة أخرى بين

<sup>40</sup> الغزالي: المنقذ من الضلال، والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق كمال صليبا؛ كامل عياد، بيروت د.ت، 98؛ فؤاد مغصوم: إخوان الصفا، 50.

<sup>41</sup> رسائل إخوان الصفا، 1: 225.

<sup>42</sup> فؤاد مغصوم: المرجع نفسه، 65.

<sup>43</sup> وجيه أحمد عبد الله: الوجود عند إخوان الصفا، الإسكندرية 1989، 32-33.

<sup>44</sup> كارل هينرش بيكر: تراث الأوايل في الشرق والغرب، 13.

عقائد الحرانية وبين فكر إخوان الصفا، لكن ما يثير الدهشة حقاً هو حديث إخوان الصفا عن عبادات الحرانية وتزكيتهم لها، ووصفهم لعبدة الكواكب والملائكة بأنهم حكماء، وأنهم بذكاء نفوسهم وصفاء أذهانهم توصّلوا - عقلاً وبدون الحاجة إلى أنبياء - إلى أن للعالم صانعا حكيمًا، فاقروا له بالوحدانية وشهدوا له بالربوبية على حد قولهم، واتخذوا الكواكب كوسائط يتوسّلون بها إليه.<sup>45</sup>

كما يوجد في رسائل إخوان الصفا ما يدل على صلة عميقة هم يفكر الحرانية الديني، ففي رسائلهم ما يماثل ما قرأه المسعودي منقوشاً على مدقة باب تجمع الصابئة بحرّان كما مر بنا من قبل، وهي عبارة «من عرف ذاته فقد تآله»<sup>46</sup>، فقد ورد التعبير نفسه بمنغاه ومبناه في قول إخوان الصفا: «كما ذكر في حدّ الفلسفة أنّها تشبّه بالإله بحسب طاقة الإنسانية، أو بما رُسم في الناموس من الوصايا والأوامر والنواهي»<sup>47</sup>، وجاء وصفهم للفلاسيقة الحكماء بكونهم «متألهين»<sup>48</sup>، أخذًا في الاعتبار أنّ الفلسفة في حدّ ذاتها عند إخوان الصفا هي «العبادة الإلهية» كما يصفونها<sup>49</sup>، وهذا يعدّ تكريساً لا اعتقادات الحرانية الغنوصية عن المعرفة وعلاقتها بالخلاص.

ولا يملك المطالع لحديث إخوان الصفا عن خلق العالم إلا الإقرار بالتأثير الحراني القوي في فكر إخوان الصفا، حتّى أنّهم يستشهدون بالكتب الدينية المقدسة لدى الحرانية، فالهرمسية الحرانية لها مكانة متميزة في فكر إخوان الصفا، فقد كانوا كالحرانية يعتقدون في نبوة هرمس المثلث بالحكمة، واعتقدوا - كالحرانية أيضًا - أنّه صعد إلى فلك رُحل، ودار معه ثلاثين سنة حتّى شاهد جميع أحوال الفلك، وأنّه هو الذي خبر الناس بعلم النجوم.<sup>50</sup>

<sup>45</sup> رسائل إخوان الصفا، 3: 482.

<sup>46</sup> راجع الفصل الرابع.

<sup>47</sup> رسائل إخوان الصفا، 2: 454.

<sup>48</sup> المصدر نفسه، 4: 262.

<sup>49</sup> نفسه، 4: 34.

<sup>50</sup> نفسه، 1: 138.

ويُهْمَلُ إِيْخْوَانُ الصِّفَا عَمْدًا سَائِرَ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ فِي رِوَايَتِهَا لِنَشْأَةِ الْكَوْنِ، وَيَسْتَفْتُونَ مَا ذَتَّهْمُ عَنْهُ مِمَّا يَدْعُوْنَهُ بِـ«صُحُفِ هِرْمِس»<sup>51</sup>، وَتَتَلَخَّصُ نَظَرِيَّةُ خَلْقِ الْعَالَمِ عِنْدَ إِيْخْوَانِ الصِّفَا أَوْ كَمَا يَدْعُوْنَ أَتْهَمُ يَقْتَبِسُوْنَ مِنَ السَّفَرِ الرَّابِعِ مِنْ صُحُفِ هِرْمِس!! أَنَّ اللَّهَ عِنْدَمَا خَلَقَ الْعَالَمَ السُّفْلِيَّ - الَّذِي هُوَ دُونَ فَلَكَ الْقَمَرِ - خَلَقَ آدَمَ وَزَوَّجَهُ بِرُوحِ عَمِلَ عَلَى إِكْسَابِهَا مَزِيْجًا مِنْ رُوحَانِيَّاتِ الْكَوَائِبِ، ثُمَّ زَوَّجَهُ بِالْوَصَايَا النَّامُوسِيَّةِ وَالْفَلَسَفِيَّةِ الَّتِي بِوَاسِطَتِهَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْتَعِمَ بِالْخُلُودِ إِذَا مَا أَتْبَعَهَا أَبَدَ الْآبِدِينَ<sup>52</sup>، وَهُوَ مَا يُعَدُّ تَبَيَّنًا مُبَاشِرًا لِمَقُولَاتِ الْحَرَنَانِيَّةِ فِي نَشْأَةِ الْعَالَمِ، وَعِلَاقَةِ الْعَقْلِ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِالْخِلَاصِ.

كَمَا تَأْتُرُ إِيْخْوَانُ الصِّفَا عَلَى نَحْوِ وَاضِحٍ بِمَقُولَاتِ الصَّابِنَةِ مِنْ أَنَّ الْفَلَكَ حَيٌّ عَاقِلٌ، وَأَنَّ الْأَبْرَاجَ وَالنُّجُومَ مِرَآةً لِلسَّعْدِ وَالنَّحْسِ، حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ هَذِهِ الْكَوَائِبَ السَّيَّارَةَ كَالْأَزْوَاجِ، وَالْبُرُوجَ لَهَا كَالْأَجْسَادِ<sup>53</sup>، وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ الْاسْتِدْلَالَ بِحَرَكَاتِهَا عَلَى أَغْمَارِ الْمَوَالِيدِ<sup>54</sup> وَأَقْدَارِهِمْ وَسَائِرَ مَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ، فَعِنْدَ إِيْخْوَانِ الصِّفَا هُنَاكَ قَدَرٌ مَا يَسْتَوِلِي عَلَى الْمَوَالِيدِ مِنْ وَاقِعِ اتِّصَالِ الْكَوَائِبِ، فَالسَّعْدَيْنِ هُمَا الْمُشْتَرِي وَالزُّهْرَةُ، وَاسْتِيلَاءُ الزُّهْرَةِ عَلَى الْمَوَالِيدِ دَلِيلٌ عَلَى سَعَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَيْثُ حَظَّهُ مِنْ نَعِيمِهَا وَمِلْدَاتِهَا، وَأَمَّا اسْتِيلَاءُ الْمُشْتَرِي عَلَى الْمَوَالِيدِ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى سَعَادَتِهِ فِي الْآخِرَةِ، إِذْ إِنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ - عِنْدَ إِيْخْوَانِ الصِّفَا - عَلَى صَلَاحِ الْأَخْلَاقِ، وَصَحَّةِ الدِّينِ، وَصِدْقِ الْوَرَعِ، وَنَحْضِ التَّقَى، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مِنَ السَّعْدَاءِ فِي الْآخِرَةِ.

وَبِالْمُقَابِلِ هُنَاكَ أَيْضًا النَّحْسَانِ: زُحْلُ وَالْمِرْيَخُ، فَإِذَا اسْتَوَلَى زُحْلُ عَلَى الْمَوَالِيدِ دَلَّ عَلَى الشَّقَاءِ وَالْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ وَالْعُسْرِ فِي الْأُمُورِ، وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مِنَ

<sup>51</sup> نفسه، 1: 297-298.

<sup>52</sup> نفسه، 1: 119.

<sup>53</sup> نفسه، 1: 123.

الأشقياء فيها. وأمّا المَرِيخُ فَإِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى مَنَحْصَةِ أَتْبَاءِ الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْمَوَالِيدِ دَلَّ عَلَى الشُّرُورِ مِنَ الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ وَالْقَتْلِ وَالسَّرَقَةِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ؛ وَمِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهُ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ فِي الْآخِرَةِ<sup>54</sup>.

وَهُنَاكَ أَيْضًا بَعْضُ مِنَ الْأَفْكَارِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ ذَاتِ الْأَصْلِ الْحَرَنَانِيِّ قَالَ بِهَا إِنْخَوَانُ الصِّفَا، فَعِنْدَ الْحَرَنَانِيَّةِ فَإِنَّ الْبَارِي لَا يُبَايِرُ أُمُورَ الْكَوْنِ الَّذِي خَلَقَهُ بِنَفْسِهِ، وَأَنَّهُ يُوَكِّلُ مَنْ يُنُوبُ عَنْهُ فِي حِفْظِ نَامُوسِ الْعَالَمِ الَّذِي خَلَقَهُ وَسَوَاءَ، وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ، وَقَدْ نَصَّ إِنْخَوَانُ الصِّفَا عَلَى اعْتِقَادِهِمْ بِقَوْلِهِمْ «وَقَدْ تَبَيَّنَ بِدَلَائِلٍ عَقْلِيَّةٍ أَنَّ الْبَارِي - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - لَا يُبَايِرُ الْأَجْسَامَ بِذَاتِهِ، وَلَا يَتَوَلَّى الْأَفْعَالِ بِنَفْسِهِ إِلَّا الْإِخْتِرَاعَ وَالْإِبْدَاعَ فَحَسَبَ، وَأَمَّا التَّأْلِيفُ وَالتَّرْكِيبُ وَالصَّنَائِعُ وَالْأَفْعَالُ وَالْحَرَكَاتُ الَّتِي تَكُونُ بِالْأَلَاتِ وَالْأَدَوَاتِ فِي الْأَمَّاكِينِ وَالْأَزْمَانِ إِنَّهَا بِأَمْرِ مَلَائِكَتِهِ الْمُوَكَّلِينَ»<sup>55</sup>، وَهَذَا بَحْدٌ ذَاتُهُ يُظْهِرُ مَدَى عُمُقِ الْأَثَرِ الَّذِي خَلَقَتْهُ مُعْتَقَدَاتُ الصَّابَةِ الدِّينِيَّةِ فِي فِكْرِ إِنْخَوَانِ الصِّفَا.

وَفِي مَعْرُضٍ تَأَثَّرَ إِنْخَوَانُ الصِّفَا بِفِكْرِ الصَّابَةِ الدِّينِيِّ فَقَدْ عَبَّرُوا عَنْ حَقِيقَةِ اعْتِقَادَاتِهِمْ بِأَنَّ الْكَوَاكِبَ السَّيَّارَةَ هِيَ الْمَلَائِكَةُ نَفْسُهَا<sup>56</sup>، قَالُوا ذَلِكَ بِلَفْظٍ صَرِيحٍ: «فَاعْلَمْ يَا أَخِي - أَيُّدِكَ اللَّهُ وَإِنَّا بَرُوحٌ مِنْهُ - إِنَّ كَوَاكِبَ الْقَلَكِ هُمْ مَلَائِكَةُ اللَّهِ وَمُلُوكُ سَمَآوَاتِهِ، خَلَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادَةِ عَالَمِهِ، وَتَذْيِيرِ خَلَائِقِهِ، وَسِيَاسَةِ بَرِّيَّتِهِ، وَهُمْ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَفْلَاحِهِ، كَمَا أَنَّ مُلُوكَ الْأَرْضِ هُمْ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ»<sup>57</sup>.

وَهُنَاكَ أَيْضًا تَصَوُّرُ إِنْخَوَانِ الصِّفَا لِلْبَرَزَخِ وَالْعَالَمِ الْآخِرِ يُقَارِبُ تَصَوُّرَ الْمُنْدَائِيِّينَ وَالْحَرَنَانِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ، مِنْ ذَلِكَ اعْتِقَادُهُمْ أَنَّ الْأَرْوَاحَ حَيِّسَةً فِي ذِكِّ الْعَالَمِ الْمَادِّيِّ

<sup>54</sup> نفسه، 1: 141-142.

<sup>55</sup> نفسه، 2: 126.

<sup>56</sup> نفسه، 3: 190.

<sup>57</sup> نفسه، 1: 145.

الجُسماني، وهو بحسب ما عبّروا عنه «الدَّارُ الحَيَوَانِيَّةُ»، وأنَّ الأرواحَ تَظَلُّ تَوَاقَّةٌ لِلْحَقِّ بِالعَالَمِ الرُّوحَانِي<sup>58</sup>. كما شَارَكَ إِخْوَانُ الصِّفَا الصَّابِنَةَ عَامَّةً فِي الاعتِقَادَ أَنَّ البَعْثَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالأرواحِ فَحَسَبَ دُونَ الأَجْسَادِ الَّتِي تَبْلَى وَتُصَيِّبُهَا العَدَمُ، فَلَا بَعْثَ لِلأَجْسَادِ بَعْدَ فَنَائِهَا، وَإِنَّمَا البَعْثُ لِلرُّوحِ، ذَلِكَ أَنَّ الرُّوحَ هِيَ الَّتِي تُعَذِّبُ وَتُنْعِمُ، أَمَّا الجَسَدُ فَيَقَعُ بَعْدَ المَوْتِ وَقُوْعًا لَا يَقُومُ بَعْدَهُ، وَعَلَى ذَلِكَ فَسَرَّ إِخْوَانُ الصِّفَا قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ «مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ» بِأَنَّهُ تَحَرَّرَ الرُّوحُ مِنْ أَذْرَانِ الجَسَدِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَزَادَ أَنَّ المَعَادَ لِهَذِهِ الأرواحِ فَحَسَبَ دُونَ الأَجْسَادِ<sup>59</sup>.

كَمَا إِنَّ تَصَوُّرَ إِخْوَانِ الصِّفَا لِلدَّارِ الآخِرَةِ يَتَطَابَقُ مَعَ اعتِقَادَاتِ الصَّابِنَةِ فِيهَا، وَهُوَ يُقَارِبُ بِشِدَّةٍ تَصَوُّرَ المُنْدَثِّينَ لَهَا، فَالْجَنَّةُ عِنْدَ إِخْوَانِ الصِّفَا هِيَ عَالَمُ الأرواحِ، وَهِيَ حَيَاةٌ طَيِّفِيَّةٌ نُورَانِيَّةٌ وَلَيْسَتْ هَيُولِيَّةٌ [أَي لَيْسَتْ مُجَسِّمَةً كَعَالَمِنَا الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ]، تَجِدُ فِيهَا الرُّوحَ الرَّاحَةَ وَاللَّذَّةَ وَالشَّرَّورَ وَالْغِبْطَةَ الَّتِي لَا يَعْرِضُ لَهَا الفَسَادُ، أَمَّا النَّارُ عِنْدَ إِخْوَانِ الصِّفَا فَهِيَ هَيُولِيَّةٌ [أَي مُجَسِّمَةٌ] تَحْتَ فَلَكَ القَمَرِ الَّذِي هُوَ دَائِمٌ فِي الكَوْنِ وَالفَسَادِ، وَالتَّغْيِيرِ وَالاِسْتِحَالَةِ<sup>60</sup>.

كَمَا يُعَبِّرُ إِخْوَانُ الصِّفَا عَنْ تَصَوُّرَاتِهِمُ الْخَاصَّةَ بِالْعَذَابِ وَالتَّعْلِيمِ، فَالأرواحِ الطَّيِّبَةِ الْمُفْعَمَةِ بِالمَعْرِفَةِ الإِلَهِيَّةِ تَلْتَحِقُ بِالكَوَاكِبِ، وَتَصِيرُ مِنْهُمْ، وَتَلْتَدُّ بِالْأَنْضِمَامِ إِلَيْهِمْ فِي الْعَالَمِ النُّورَانِيِّ، أَمَّا تِلْكَ الأرواحِ الْحَبِيثَةُ الَّتِي أَفْعَمَتْهَا الشَّرُّورُ وَالجَهَالَاتُ وَسُوءُ الأَعْمَالِ فَإِنَّهَا تَعُودُ ثَانِيَةً إِلَى فَلَكَ مَا تَحْتَ القَمَرِ لَتَوَلَّى شَيَاطِينُهَا عَذَابَهَا بِإِذْكَاءِ الشَّهَوَاتِ الجُسمَانِيَّةِ، وَالأَرْاءِ الْفَاسِدَةِ، وَالاِهْتِمَامِ بِالأُمُورِ الهَيُولَانِيَّةِ [الجُسمَانِيَّةِ] وَأَسْرَ الطَّبِيعَةِ الجَسَدِيَّةِ<sup>61</sup>.

وَبِالإِضَافَةِ إِلَى مَا سَبَقَ؛ فَهُنَاكَ تَقَارُبٌ شَدِيدٌ بَيْنَ فِكْرِ إِخْوَانِ الصِّفَا وَتَصَوُّرِ الحَرَنَانِيَّةِ لِدَوْرِ النَّبِيِّ وَالحَكِيمِ أَوْ الفِيلَسُوفِ وَتِلْكَ المُفَاصِلَةُ الجَدَلِيَّةُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُمْ أَتْنَعُ لِلنَّاسِ، فَعَرَضُ الأَثْبَاءِ عِنْدَ إِخْوَانِ الصِّفَا هُوَ وَضْعُ النُّوَامِيسِ وَالشَّرَائِعِ فَحَسَبَ، وَذَلِكَ لِصَلَاحِ الدُّنْيَا وَعِمَارَةِ

<sup>58</sup> نفسه، 1: 210.

<sup>59</sup> نفسه، 2: 49-50.

<sup>60</sup> نفسه، 2: 60.

<sup>61</sup> نفسه، 3: 6-7.

الأرض. أمّا غرض الحكماء فهو وضع السياسات وإصلاح الدّين والدّنيا جميعاً. وعَرَضُهم الأقصى فهو نِجاةُ النّفوس من مِحْنِ الدّنيا، وإيصالها إلى معادِ الآخرة ونعيمِها<sup>62</sup>. وعند إخوان الصّفا فالشّريعة هي طبُّ المَرَضَى كي يعودُوا أصحّاء، والأنبيا يُطبِّون المَرَضَى حتّى لا يتزايد مَرَضُهم، وحتّى يعودُوا للعافية، أمّا الفلّسفة فهي طبُّ الأصحّاء الذي يَحْفَظُ عليهم الصّحة ويذَرُ عنهم المَرَضَ<sup>63</sup>. أي تماماً كما انتصرت هِرَمِسيّة صابنة حَرّان للفيلسوف على النّبي، فعَلَّ إخوان الصّفا الأمر ذاته.

صَفْوَةُ القَوْلِ فَإِنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ عَقَائِدِ الصَّابِنَةِ - مُنْدَائِيَّينَ وَحِرَنَائِيَّةَ - قَدْ تَسَلَّلَتْ إِلَى أَفْكَارِ إِخْوَانِ الصَّافَا وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ بِشَكْلِ بَيِّنٍ وَاضِحٍ، فَإِخْوَانُ الصَّافَا عَبَّرُوا بِوُضُوحٍ عَنْ اخْتِرَامِهِمْ لَعَبْدَةِ الْكَوَائِبِ، وَوَصَفُوهُمْ بِالْحِكْمَةِ وَذَكَاءِ النُّفُوسِ كَمَا مَرَّ بِنَا، وَهُنَاكَ أَيْضًا مُقَارِبَاتٌ هِيَ أَقْرَبُ لِلتَّطَابُقِ عِنْدَ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ مُعْتَقَدَاتِ الْفَرِيقَيْنِ. وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ هُنَاكَ جِسْرًا مَا عَبَّرَتْ تِلْكَ الْأَفْكَارَ مِنْ خِلَالِهِ إِلَى إِخْوَانِ الصَّافَا، فَهَلْ كَانَتْ بَيْتَةُ الْبَصْرَةِ هِيَ الْمَحْكُ بَيْنَ إِخْوَانِ الصَّافَا وَالصَّابِنَةِ بِوَجْهِ عَامٍ؟، أَمْ كَانَ بَعْضُ إِخْوَانِ الصَّافَا أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَحَدِّرِينَ مِنْ أَصُولٍ صَابِنِيَّةٍ، وَظَلُّوا يَدِينُونَ بِالْوَلَاءِ لِمُعْتَقَدَاتِ أَسْلَافِهِمْ حتّى بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ؟. أَمْ صَمَّ إِخْوَانُ الصَّافَا - الْمُتَفَتِحِينَ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ وَالْفِرَقِ - إِلَى عُضُوبَةِ الْجَمَاعَةِ بَعْضُ مُتَقَنِّي الصَّابِنَةِ مَن كَانَ لَا يَزَالُونَ عَلَى دِيَانَتِهِمْ؟. فِي غِيَابِ أدَلَّةٍ قاطِعةٍ عَلَى هَذَا الْأَتِّجَاهِ أَوْ ذَاكَ تَبْقَى الإِجَابَةُ الدَّقِيقَةُ عَلَى هَذَا التَّسَاوُلَاتِ مُفْتُوحَةً عَلَى كُلِّ الْفَرَضِيَّاتِ.

<sup>62</sup> نفسه، 1: 211.

<sup>63</sup> أبو حيان التّوحيدي: المُقابسات، 50-51.

---

## المصادر والمراجع

---





## المصادر والمراجع

### الكتب المقدسة

القرآن الكريم.

الكتاب المقدس

ترجمة أورشليم الفرنسية للكتاب المقدس، الإصدار العربي، دار المشرق، بيروت د.ت.

### الكتب المندائية المقدسة

*Diwan Alma Risaia Zuta,*

in: *A pair of Nasoraean commentaries, two priestly documents, Trans.*

& edited by E. S. DROWER, Lieden 1963.

*The Canonical Prayer Book of the Mandaeanes,*

edited by E.S. Drower. Lieden 1959

*The Haran Gawaita. and The Baptism of Hibil-Ziwa*

trans. By E. S. DROWER, cita del Vaticano 1953.

*The secret Adam,*

edited by E. S. DROWER, oxford 1960.

*The Nag-Hammadi library*

*trans. And edited by, JAMES RICHARD SMITH, et al., Leiden 1977.*

### مخطوطات قمران [وثائق البحر الميت]

النشرة العربية، ترجمة موسى ديب خوري، القسم الأول. التوراة: كتابات ما بين  
العهدين، دمشق 1998.

### المخطوطات

أبو إسحاق الصّابي (أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون الحرّاني الصّابي) المتوفى  
384هـ/994م.

«رسائل أبي إسحاق الصّابي»:

نسخة مكتبة الجامع الأزهر، برقم 561 خاص، 7156 أذب.

نسخة دار الكتب المصرية وتحويل عنوان «مُنشآت الصّابي»، برقم 32588 أذب.

نسخة مكتبة مجلس شورى إيران (مجلسي شوراى إيران)، برقم 4849.

نسخة مكتبة تشيستر بيتي، برقم AR.35/522.

نسخة مكتبة جامعة ليدن، برقم OR.766.

نسخة مكتبة عائش إلفندي، برقم 117 أذب عربي.

البلخي (أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر المنجم) المتوفى 272هـ/885م.

«الأنوار النجومية» مخطوط ضمن مجموع محفوظ بخزانة المتحف البريطاني، Cod

.918

ثَابِتُ بن قُرَّة (أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بن قُرَّة بن هَارُونَ بن ثَابِت بن كِرَايَا الصَّابِي) الْمُتَوَفَّى 288هـ/900م.

«رِسَالَةٌ فِي تَصْصِيحِ مَسَائِلِ الْجَبْرِ بِالْبَرَاهِينِ الْهِنْدَسِيَّةِ» نُسخة مَكْتَبَةِ آيَا صُوفِيَا، برقم 2457.

«كِتَابُ أَوَّلُ لَوْ قُوس فِي تَخْرِيرِ الطُّلُوعَاتِ وَالْغُرُوبَاتِ، مِمَّا تَرَجَمَهُ أَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بن قُرَّة» نُسخة مَكْتَبَةِ أَحْمَدِ الثَّالِثِ، برقم 676.

الطَّبْرِيُّ الْمُتَجَمِّعُ (!!) عَاشَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ / الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ.  
«رِسَالَةٌ فِي اسْتِجْلَابِ قُوَى الْكَوَاكِبِ عِنْدَ الصَّابِيِّينَ» مَخْطُوطٌ بِدَارِ الْكِتَابِ الْمِصْرِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ، برقم 1757 تَيْمُور.

(نُسخة مَنسُوخة عن الأَصْلِ الْمُحْفُوظِ برقم 177 غَيْبِيَّاتٍ تَيْمُور، يُرَاجَعُ

فِيهِرس نُزَاد سَيِّد، وَقَدْ قُيِّدَ الْأَصْلُ وَحُمِيَ ذِكْرُهُ مِنْ سِجَلَاتِ الدَّارِ)، وَلَمْ

يَبْقَ سِوَى تِلْكَ النُّسخة الَّتِي يُمُود تَارِيخِ انْتِسَاجِهَا إِلَى عَامِ

1355هـ/1937م.

ابْنُ وَخْشِيَّةٍ (أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ عَلِيِّ النَّبْطِيِّ الْكِلْدَانِي) الْمُتَوَفَّى بَعْدَ عَامِ 318هـ/930م.  
«سَوَقُ الْمُسْتَهَامِ فِي مَعْرِفَةِ رُمُوزِ الْأَقْلَامِ» نُسخة مَكْتَبَةِ مِينُونِخ، Cod. Ara. 789.

### المصادر العربية

إِبْرَاهِيمُ بن سَيَّانٍ (إِبْرَاهِيمُ بن سَيَّانٍ بن ثَابِتُ بن قُرَّة الْحَرَّانِي الصَّابِي) الْمُتَوَفَّى 335هـ/946م.  
«رِسَالَةُ إِبْرَاهِيمَ بن سَيَّانٍ فِي وَصْفِ الْمَعَانِي الَّتِي اسْتَخْرَجَهَا فِي الْهِنْدَسَةِ وَعِلْمِ النُّجُومِ» ضِمْنَ «مَجْمُوعِ رِسَائِلِ ابْنِ سَيَّانٍ الصَّابِي» تَحْقِيقُ أَحْمَدَ سَلِيمِ سَعْدَانَ، الْكُوَيْتِ 1983.

ابْنُ الْأَثِيرِ (ضِيَاءُ الدِّينِ نَصْرُ اللَّهِ بن مُحَمَّدٍ) الْمُتَوَفَّى 637هـ/1239م  
«الْمَثَلُ السَّائِرُ فِي أَدَبِ الْكَاتِبِ وَالشَّاعِرِ» تَحْقِيقُ أَحْمَدَ الْحَوْفِيِّ؛ بَدْوِي طَبَّانَةَ، الْقَاهِرَةُ 1983.

ابن الأثير (عليّ بن أبي الكرّم بن محمّد بن عبد الواحد الشَّيْبَانِي) المتوفّى 630هـ/ 1232م.

«الكامل في التاريخ» تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، بيروت 1987.

أحمد بن حنبل (أحمد بن محمّد بن عبد الله الشَّيْبَانِي الإمام) المتوفّى 241هـ/ 855م.

«مسند أحمد بن حنبل» تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت 2001.

إخوان الصفا وخلان الوفا (أخويّة سرّيّة يُعتقد أنهم عاشوا في النصف الثاني من القرن الرابع

الهجري/ العاشر الميلادي)

«رسائل إخوان الصفا» إعادة نشر بالأوفست لنشرة دائرة المعارف العثمانية بحيدر

آباد الدكن، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 1996.

الرسالة المسماة «جامعة الجماعة» المنسوبة لإخوان الصفا، تحقيق عارف تامر، بيروت

د.ت.

ابن الإخوة (بدر الدين محمّد بن أحمد بن محمّد) المتوفّى 729هـ/ 1328م.

«معالم القرية في أحكام الحسبة» تحقيق روبن ليفي، كمبودج 1937.

الإدريسي (أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عبد الله بن إدريس؛ الشريف الحسني) المتوفّى

560هـ/ 1164م.

«نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» إعادة نشر لطبعة رومًا الصادرة بين عامي

1971-1984، القاهرة د.ت.

الأذنوي (كمال الدين أبي الفضل جعفر بن تغلب [تغلب؟] بن جعفر الشافعي) المتوفّى

748هـ/ 1347م.

«الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد» تحقيق سعد محمّد حسن، القاهرة

2000.

الأزدي (أبو زكريّا يزيد بن محمّد بن إياس) المتوفّى 334هـ/ 945م.

«تاريخ الموصل» تحقيق عليّ حبيّبة، القاهرة 1967.

الأزدي (مُحمَّد بنُ أحمد بنُ أبي المُطَهَّر البَغْدَادِي) عاش في النِّصْف الثاني من القرن الرَّابِع الهِجْرِي / العَاشِر المِيلَادِي.

(يَحْتَمَلُ أَنَّهُ اسْمٌ مُسْتَعَارٌ لِأَبِي حَيَّان التَّوْجِيدِي)

«حِكَايَةُ أَبِي الْقَاسِمِ البَغْدَادِي» تَحْقِيقُ آدَمَ مِيتَر، هَيْدَلْبَرْج 1902.

أَبُو إِسْحَاقِ الصَّابِي (أَبُو إِسْحَاقِ إِبْرَاهِيمَ بنِ هِلَالِ بنِ زَهْرُونَ الحَرَّانِيُّ الصَّابِي) المُتَوَفَّى 384هـ/ 994م.

«رِسَالَةُ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِي إِلَى أَبِي سَهْلٍ الكُوهِي، وَجَوَابُهَا» تَحْقِيقُ ج. ل. بَرِغَرَن، مَجَلَّةُ تَارِيخِ العُلُومِ العَرَبِيَّةِ، مَج 7، دِمَشْق 1983.

«المُخْتَارُ مِنْ رِسَائِلِ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِي» تَحْقِيقُ شَكِيبِ أَرْسِلَان، بَعْدًا 1898.

«المُتَزَعُ مِنْ كِتَابِ التَّاجِي فِي أُنْبَاءِ الدَّوْلَةِ الدَّيْلَمِيَّةِ» ضِمْنَ كِتَابِ «أُنْبَاءِ الأَئِمَّةِ الزَّيْدِيَّةِ» تَحْقِيقُ فِيلْفَرْد مَادِيلُونغ، فَيْسْبَادِن 1988.

الْأُسْفَرَايِينِي (أَبُو إِسْحَاقِ إِبْرَاهِيمَ بنِ مُحمَّد) المُتَوَفَّى 418هـ/ 1027م.

«التَّبَصُّيرُ فِي الدِّينِ، وَتَمْيِيزُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ عَنِ الْفِرْقِ الْهَالِكِينَ» تَحْقِيقُ كَمَالِ يُوسُفِ الحُوت، بِيْرُوت 1983.

الْأَشْعَرِي (سَعْدُ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنُ أَبِي خَلْفٍ الْأَشْعَرِي الْقُمِّي) المُتَوَفَّى نَحْوَ عَامِ 300هـ/ 912م. «المَقَالَاتُ وَالْفِرَقُ» تَحْقِيقُ مُحمَّدِ جَوَادِ مُشْكُور، طَهْرَان 1963.

ابْنُ أَبِي أَصْبَغَةَ (مُوفَّقُ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بنِ الْقَاسِمِ الحَزْرَجِي) المُتَوَفَّى 668هـ/ 1269م. «عِيُونُ الْأَثْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ» تَحْقِيقُ نِزَارِ رِضَا، بِيْرُوت د.ت.

ابْنُ الْأَثْبَارِي (كَمَالُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ مُحمَّد) المُتَوَفَّى 577هـ/ 1181م.

«نُزْهَةُ الْأَثْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَدَبَاءِ» تَحْقِيقُ مُحمَّدِ أَبُو الْفَضْلِ إِبْرَاهِيمَ، الْقَاهِرَةُ 1998.

الْأَنْطَاكِي (يَحْيَى بنِ سَعِيدِ بنِ يَحْيَى) المُتَوَفَّى 458هـ/ 1067م.

«تَارِيخُ يَحْيَى بنِ سَعِيدِ الْأَنْطَاكِي» تَحْقِيقُ عُمَرَ عَبْدِ السَّلَامِ تَدْمُري، بِيْرُوت 1990.

البَيْغَاء (أَبُو الْفَرَج عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَزُومِي) الْمُتَوَفَّى 396هـ / 1005م.  
«ديوان أبي الفرج البَيْغَاء» تحقيق ف. فُولف، لَيْبَتْسج 1834.

الْبِتَّانِي (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرِ الْحَرَّانِي الصَّابِي) الْمُتَوَفَّى 317هـ / 929م.  
«الرَّيْجُ الصَّابِي» تحقيق كَارْلُو نَالِينُو، نَابُولِي 1899.

الْبُخَّارِي (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامُ) الْمُتَوَفَّى 256هـ / 869م.  
«الْجَامِعُ الصَّحِيحُ لِأَحَادِيثِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، الْمَعْرُوفُ بِصَحِيحِ الْبُخَّارِيِّ» بِإِعْتِنَاءِ  
مُحَمَّدِ زُهَيْرِ بْنِ نَاصِرِ النَّاصِرِ، الْمَدِينَةُ الْمُتَوَرَّةُ 1422هـ.

ابن بَطْلَانَ (أَبُو الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ دُونِ بْنِ سَعْدُونِ النَّصْرَانِي الطَّيِّبِ) الْمُتَوَفَّى 444هـ / 1052م.  
«مَقَالَةٌ فِي مُنَاقَضَاتِ عَلِيِّ بْنِ رِضْوَانَ، الْمَعْرُوفَةُ بِالْمَقَالَةِ الْمِصْرِيَّةِ»، ضِمْنَ كِتَابِ «خَمْسَ  
رِسَائِلَ لِابْنِ بَطْلَانَ وَابْنِ رِضْوَانَ الْمِصْرِيِّ» جَمَعَ وَتَضَعِيحَ يُونُسُفُ شَخْتِ، مَآئِسُ  
مَآيِرُهُوف، الْقَاهِرَةُ 1937.

الْبَكْرِي (عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْبَكْرِي الْأَنْدَلُسِيُّ) الْمُتَوَفَّى 478هـ / 1085م.  
«فَصْلُ الْمَقَالِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْأَمْثَالِ» تَحْقِيقُ إِحْسَانِ عَبَّاسٍ، بِيْرُوتُ 1979.  
«مُعْجَمُ مَا اسْتَعْجِمَ» تَحْقِيقُ مُصْطَفَى السَّقَّاءِ، بِيْرُوتُ د.ت.

الْبَلَادُرِيُّ (أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ جَابِرِ) الْمُتَوَفَّى 279هـ / 892م.  
«الْبِلْدَانُ، فَتُوْحُهَا وَأَحْكَامُهَا» تَحْقِيقُ سُهَيْلِ زَكَارٍ، بِيْرُوتُ 1992.

الْبَيْرُونِيُّ (أَبُو الرَّيْحَانِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْخُوارَزْمِيُّ) الْمُتَوَفَّى 440هـ / 1048م.  
«الْأَنْبَارُ الْبَاقِيَّةُ عَنِ الْقُرُونِ الْحَالِيَّةِ» تَحْقِيقُ إِذْوَارْدِ سَخَاوٍ، لِيْبِرْجُ 1923.  
«تَحْدِيدُ نِهَآيَاتِ الْأَمَآكِينِ لِتَضَحِيحِ نِهَآيَاتِ الْمَسَاكِينِ» تَحْقِيقُ ب. بُولْجَاكُوف،  
مَنْشُورَاتُ مَعْهَدِ الْمَخْطُوطَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ 1995.  
«الْقَانُونُ الْمَسْعُودِيُّ» مَنْشُورَاتُ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ، حَيْدَرُ آبَادِ الدِّكْنِ 1954.

البیهقي (ظهير الدين أبي الحسن علي بن زبد) المتوفى 565هـ/1169م.  
 «تاريخ حكماء الإسلام» تحقيق محمد كرد علي، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق  
 1988.

«تنمة صوان الحكمة» لأهور 1351هـ.

ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي) المتوفى  
 874هـ/1469م.  
 «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت  
 د.ت.

التنوخني (أبو علي المحسن بن علي القاضي) المتوفى 384هـ/994م.  
 «الفرج بعد السدة» تحقيق عبود الشالحي، بيروت 1978.

ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الحراني) المتوفى 728هـ/1327م.  
 «بغية المرناد في الرد على المتفلسفة والفراطة والباطنية» القاهرة د.ت.  
 «رسالة الرد على المنطقيين» بيروت، د.ت.  
 «مجموع فتاوى ابن تيمية، المعروف بالفتاوى الكبرى» بيروت د.ت.

ثابت بن قرة (أبو الحسن ثابت بن قرة بن هارون بن ثابت بن كرايا الصابي) المتوفى  
 288هـ/900م.

«جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر» باعثناء أوزسولا فيسر، مجلة  
 تاريخ العلوم العربية، مج7، ع1-2، دمشق 1983.  
 «رسالة ثابت بن قرة في الشكل القطاع» تدقيق ريتشارد لوريش، منشورات معهد  
 تاريخ العلوم الإسلامية، فرانكفورت 2001.

الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري) المتوفى 429هـ/1037م.  
 «آداب الملوك» تحقيق جليل العطية، بيروت 1990.  
 «تيممة الدهر في محاسن أهل العصر» تحقيق إبراهيم صقر، القاهرة د.ت.

الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر الكِنَاني اللِّثي) المتوفى 255هـ/ 868م.

«الحَيَّان» تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1965.

«رسالة الرد على النَّصَّاري» ضمن مجموع «رسائل الجاحظ» تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة 1964.

ابن جُبَيْر (أبو الحسين محمد بن أحد الكِنَاني الأندلسي) المتوفى 614هـ/ 1217م.

«اعتبار النَّاسِك يذكر الآثار والمنايسك، المعروف برحلة ابن جُبَيْر» بيروت 1964.

الجصاص (أبو بكر أحمد بن علي) المتوفى 370هـ/ 980م.

«أحكام القرآن» تحقيق عبد السلام شاهين، بيروت 1994.

ابن جُلجل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي) المتوفى بعد عام 377هـ/ 988م

«طبقات الأطباء والحكماء» تحقيق فؤاد سَيِّد، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1955.

الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس) المتوفى 331هـ/ 942م.

«نُصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب لمحمد بن عبدوس الجهشياري» جمع ونشر ميخائيل عواد، بيروت 1964.

«الوزراء والكتاب» تحقيق مصطفى السَّقا؛ إبراهيم الإتياري؛ عبد الحفيظ شلبي، القاهرة 1938.

ابن الجوزي (جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي) المتوفى

597هـ/ 1200م.

«بيان مذاهب الفرق الضالة» القاهرة 1999.

«تَلَيْس إبليس» بيروت 1991.

«مناقب بغداد» تحقيق محمد بهجة الأثري، بغداد 1342هـ.

«مناقب معروف الكرخي وأخباره» تحقيق صادق محمود الجميلي، مجلة المورد العراقية، ع4، مج9، بغداد 1980.

«المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» تحقيق محمد عبد القادر عطا؛ مصطفى عبد القادر عطا، بيروت 1992.



ابن أبي حاتم (أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرّازي) المتوفى 327هـ/948م.  
«تفسير القرآن العظيم، مُسنَدًا عن رسول الله ﷺ والصّحابة والتّابعين، المعروف  
بتفسير ابن أبي حاتم» تحقيق أسعد محمد الطيّب، الرياض 1997.

حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب چلبی) المتوفى 1067هـ/1656م.  
«كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون» منشورات لجنة إحياء التراث العربي،  
بيروت د.ت.

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي) المتوفى 852هـ/1448م.  
«فتح الباري في شرح صحيح البخاري» دار المعرفة، بيروت 1379هـ.  
«لسان الميزان» حيدر آباد، الدكن 1331هـ.

ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي) المتوفى 456هـ/1063م.  
«الفصل في الملل والأهواء والنحل» تحقيق محمد إبراهيم نصر؛ عبد الرحمن عميرة،  
بيروت د.ت.

حمزة الأصفهاني (أبو عبد الله حمزة بن الحسن) المتوفى 360هـ/970م.  
«تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء» بيروت د.ت.

الخميري (محمد بن عبد المنعم الصنهاجي) المتوفى 727هـ/1326م.  
«الروض المعطار في خبر الأقطار» تحقيق إحسان عباس، بيروت 1984.

حُنين بن إسحاق (أبو زيد حُنين بن إسحاق العبّادي) المتوفى 260هـ/873م.  
«آداب الفلاسفة» تحقيق عبد الرحمن بدوي، منشورات معهد المخطوطات العربيّة،  
القاهرة 1985.

ابن حوقل (أبو الفايص محمد بن علي النصّيبی) المتوفى بعد عام 366هـ/976م.  
«صورة الأرض» القاهرة د.ت.

أَبُو حَيَّان التَّوَحِيدِي (عَلِي بن مُحَمَّد بن العَبَّاس) المَتَوَفَّى 416هـ/ 1025م.

«أَخْلَاقُ الْوَزِيرِينَ» تَحْقِيقُ مُحَمَّد بن تَاوَيْت الطَّنْجِي، بِيْرُوت 1991.

«الْإِمْتِنَاعُ وَالْمُؤَانَسَةُ» تَحْقِيقُ أَحْمَدُ أَمِين؛ أَحْمَدُ الزَّيْن، بِيْرُوت د.ت.

«الرِّسَالَةُ الْبَغْدَادِيَّةُ» تَحْقِيقُ عَبَّود الشَّالْجِي، كُؤْلُونِيَا 1997.

«الْمُقَابَسَاتُ» بِاعْتِنَاءِ حَسَن السَّنْدُوبِي، الكُؤَيْت 1992.

ابن خُرْدَادِثَةَ (أَبُو الْقَاسِمِ عُبَيْدُ اللَّهِ بن أَحْمَد) المَتَوَفَّى بَعْدَ عَام 300هـ/ 912م.

«الْمَسَالِكُ وَالْمَمَالِكُ» تَحْقِيقُ مُحَمَّد جَابِر عبد العَالِ الْحَيْنِي، الْقَاهِرَةُ 2004.

الْحَفْطِيبُ الْبَغْدَادِي (أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بن عَلِي بن ثَابِت) المَتَوَفَّى 463هـ/ 1070م.

«تَارِيخُ بَغْدَادَ» تَحْقِيقُ بَشَّارُ عَوَّاد مَعْرُوف، بِيْرُوت 2001.

«التَّنْفِيلُ»، وَحِكَايَاتُ الطُّفْلَيْنِ، وَأَخْبَارُهُمْ وَنَوَادِرُ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ» الْقَاهِرَةُ

1983.

ابن خَلْدُون (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد الحَضْرَمِي) المَتَوَفَّى 808هـ/ 1405م.

«دِيْوَانُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ، وَمِنْ عَاَصِرِهِمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ

الْأَكْبَرِ الْمَعْرُوفِ بِتَارِيخِ ابْنِ خَلْدُون» نَشْرَةُ خَلِيل شَحَادَةُ؛ سُهَيْل زَكَار، بِيْرُوت

2000.

ابن خَلْكَان (شَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بن مُحَمَّد بن أَبِي بَكْرٍ) المَتَوَفَّى 681هـ/ 1282م.

«وَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أُنْبَاءِ الزَّمَانِ» تَحْقِيقُ إِحْسَانُ عَبَّاس، بِيْرُوت 1968.

الْخَوَّازِمِي (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بن أَحْمَدُ بن يُوسُف) المَتَوَفَّى 387هـ/ 977م.

«مِفْتَاحُ الْعُلُومِ» تَحْقِيقُ جَوْدَتُ فخر الدِّين، بِيْرُوت د.ت.

الدَّوَادِرِي (أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيكَ) المَتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ 736هـ/ 1335م.

«الدَّرَةُ السَّيِّمَةُ فِي أَخْبَارِ الْأُمَمِ الْقَدِيمَةِ» الْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ «كَتَرُ الدَّرَرِ وَجَامِعُ الْغُرَرِ» تَحْقِيقُ إِدْوَارْدُ بَكْدِين، بِيروت 1994.

«الدَّرُ الْفَآخِرُ فِي سِيرَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ» الْجُزْءُ الثَّالِثُ مِنْ كِتَابِ «كَتَرُ الدَّرَرِ وَجَامِعُ الْغُرَرِ» تَحْقِيقُ هَانِسُ رُوبِرْتُ رُويْمَر، مَشْهُورَاتُ الْمَعْهَدِ الْأَلْمَانِيِّ لِلْآثَارِ، الْقَاهِرَةُ 1983.

الدَّيْلَمِي (مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الرَّيْذِيِّ) المَتَوَفَّى نَحْوَ عَامِ 684هـ/ 1285م.

«بَيَانُ مَذْهَبِ الْبَاطِنِيَّةِ وَبُطْلَانُهُ» مُتَرْجَمٌ مِنْ كِتَابِ «قَوَاعِدُ عَقَائِدِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ» تَحْقِيقُ شَيْذُ وَطْهَان، اسْتَنْبُول 1938.

الدَّهْمِي (شَمْسُ الدِّينِ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قِيَمَازٍ) المَتَوَفَّى 748هـ/ 1344م.

«تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، وَوَقَايَاتُ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ» تَحْقِيقُ عُمَرُ عَبْدِ السَّلَامِ تَذْمُرِي، بِيروت 1990.

«سِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ» تَحْقِيقُ بَشَّارُ عَوَّادٍ مَعْرُوفٍ، بِيروت، د.ت.

«الْعَبْرُ فِي خَيْرٍ مِنْ غَيْرٍ» ضَبَطَ وَتَحْقِيقُ مُحَمَّدُ السَّعِيدُ بَشْيُونِي، بِيروت، د.ت.

الرَّازِي (أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا) المَتَوَفَّى 320هـ/ 925م.

«مَقَالَةٌ فِيَّ بَعْدَ الطَّبِيعَةِ» ضَمَّنَ كِتَابَ «رِسَائِلُ فَلَسْفِيَّةَ لِأَبِي بَكْرٍ الرَّازِي» بِيروت 1982.

الرَّازِي (فَخْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ) المَتَوَفَّى 606هـ/ 1209م.

«اعْتِقَادَاتُ فِرْقِ الْمُشْرِكِينَ» تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ عَبْدِ الرَّازِقِ، الْقَاهِرَةُ 1938.

«السَّرُّ الْمَكْتُومُ فِي أَسْرَارِ النُّجُومِ» نُسخة مطبوعة على الْحَجَرِ صَدَرَتْ بِاعْتِنَاءِ الْمُسْتَشْرِقِ فِرْمَايْش، الْقَاهِرَةُ د.ت.

(طُبِعَتْ عَنْ نُسخة خَطِيَّةٍ نَادِرَةٍ دَخَلَتْ فِي يَدِ مَلِكٍ شَخْصٍ يُدْعَى

مِيرْزَا مُحَمَّدُ شِيرَازِي، وَلَا يُعْرَفُ أَيْنَ يَسْتَقَرُّ الْاَضْلُ الْآنَ).

«مُحْصَلُ أَفْكَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ» رَاجِعُهُ وَقَدَّمَ لَهُ طَهُ عَبْدِ الرَّؤُوفِ سَعْدُ، الْقَاهِرَةُ د.ت.

ابن رَجَب الحَنَبِي (الحَافِظُ زَيْنُ الدِّينِ أَبِي الفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَجَبِ البَغْدَادِيِّ) المُتَوَفَّى 795هـ/1392م.

«الذَّيْلُ عَلَى طَبَقَاتِ الحَنَابِلَةِ» تحقيق مُحَمَّد حَامِد الفِيقِي، القَاهِرَة 1952.

ابن رُشد (أَبُو الوَلِيد مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ رُشد الأَنْدَلُسِيِّ) المُتَوَفَّى 520هـ/1126م.  
«تَلْخِصُ الآثارِ العُلُوِيَّة» تحقيق جَمال الدِّين العَلَوِي، بِيروَت 1994.

الرَّزَّخَشَرِي (جَارُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ) المُتَوَفَّى 538هـ/1144م.  
«أَسَاسُ البَلَاغَةِ» تحقيق مُحَمَّد بَاسِل عِيُون السُّود، بِيروَت 1998.

ابن زَنْجَوِيه (مُحمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ الأَزْدِيِّ) المُتَوَفَّى 251هـ/865م.  
«الأَمْوَالُ» تحقيق شَاكِر ذَيْب فَيَّاض، الرِّيَاض 1986.

ابن زُوَلَّاق (أَبُو مُحَمَّدَ الحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الحُسَيْنِ اللَّيْثِيِّ) المُتَوَفَّى 386هـ/966م.  
«فَضَائِلُ مِصْرَ وَأَخْبَارُهَا وَخَوَاصُّهَا» تحقيق عَلِي مُحَمَّد عَمْر، القَاهِرَة 1999.

سِبْطُ ابْنِ الجَوَزِيِّ (شَمْسُ الدِّينِ أَبُو المُنْظَرِ يُوسُفُ بْنُ قَزَاوُغْلِي) المُتَوَفَّى 654هـ/1256م.  
«مِرَاةُ الزَّمَانِ فِي تَارِيخِ الأَعْيَانِ» الحِقْبَةُ مِنْ 345-447هـ، تحقيق جِنَانِ الهُمُونْدِي،  
بَغْدَاد 1990.

السُّبْكِي (تَاجُ الدِّينِ أَبِي نَصْرِ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ عَلِي) المُتَوَفَّى 771هـ/1396م.  
«طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ الكُبْرَى» تحقيق مُحَمَّد مُحَمَّد الطَّنَاجِي؛ عَبْدِ الفَتَّاح مُحَمَّد الحَلَوِي،  
القَاهِرَة د.ت.

السَّجِسْتَانِي (أَبُو سُلَيْمَانَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ بَهْرَامٍ، المَعْرُوفُ بِأَبِي سُلَيْمَانَ المَنْطِقِيِّ) المُتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ  
391هـ/1000م.

«صَوَانُ الحِكْمَةِ» تحقيق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدَوِي، طَهْرَان 1974.  
«رِسَالَةٌ فِي أَنَّ الأَجْرَامَ العُلُوِيَّةَ ذَوَاتُ أَنْفُسٍ نَاطِقَةٍ» نَشَرَهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدَوِي مُلْحَقَةً  
عَلَى كِتَابِ صَوَانِ الحِكْمَةِ، طَهْرَان 1974.

السَّخَاوِي (شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) المُتَوَفَّى 902هـ/ 1496م.

«الإعلان بالتأريخ لمن دَمَّ التاريخ» تحقيق مُحَمَّدُ عُثْمَانُ الحُشْتِ، القاهرة 1989.

ابنُ سَعِيدِ المَغْرِبِيِّ (نُورُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مُوسَى الإفريقي المَغْرِبِيِّ) المُتَوَفَّى 685هـ/ 1286م.

«الجغرافيا» تحقيقُ إِسْمَاعِيلِ العَرَبِيِّ، بيروت 1970.

«النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ فِي حُلِيِّ حَضْرَةِ القَاهِرَةِ» تحقيقُ حُسَيْنِ نَصَّار، القَاهِرَةُ 2000.

السَّكْسَكِيُّ (عَبَّاسُ بْنُ مَنْصُورِ السَّكْسَكِيِّ الحَنْبَلِيِّ) المُتَوَفَّى 683هـ/ 1284م.

«البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» تحقيقُ خَلِيلِ الحَاجِّ، القَاهِرَةُ د.ت.

سَهْرَابُ (ابنُ سِيرَابِيُونِ النَّصْرَانِي) المُتَوَفَّى بعدَ عامَ 287هـ/ 900م.

«عجائب الأقاليم السبعة» تحقيقُ هَانزُ فُون مَرْيِك، فينَّا 1929.

السَّهْرَوَزِي (شَهَابُ الدِّينِ أَبِي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ) المُتَوَفَّى 632هـ/ 1234م.

«كُتُبُ الفُضَائِحِ اليُونَانِيَّةِ، وَرَشَفُ النِّصَانِحِ الإِيَّانِيَّةِ» تحقيقُ عَائِشَةُ يُونُسُفُ المَنَاعِي، القَاهِرَةُ 1999.

السِّيُوطِي (جَلَالُ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ) المُتَوَفَّى 911هـ/ 1505م.

«تاريخُ الخلفاء؛ أمراء المؤمنين القائمين بِأمرِ الأُمَّةِ» دمشق 1351هـ.

الشَّابُثْنِي (أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ) المُتَوَفَّى 388هـ/ 988م.

«الدِّيَارَات» تحقيقُ كُورِكَيْسِ عَوَّاد، بَغْدَاد 1966.

الشَّافِعِي (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الإِمَامُ) المُتَوَفَّى 204هـ/ 819م.

«كِتَابُ الأُمِّ» بيروت 1400هـ/ 1980م.

أَبُو شُجَاعِ الرُّوذَرَاوَرِي (ظَهْرُ الدِّينِ الرُّوذَرَاوَرِي المُلَقَّبُ بِالوَزِيرِ الأَجَلِ) المُتَوَفَّى

488هـ/ 1095م.

«الدَّلِيلُ عَلَى تَجَارِبِ الأُمَمِ» تحقيقُ ه. ف. أَمِيدُوز، بَغْدَاد 1969.

ابن شدّاد (عزّ الدّين محمّد بن علي بن إبراهيم) المتوفّى 684هـ/1285م.

«الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشّام والجزيرة» تحقيق يحيى زكريّا عبارة، دمشق 1991.

الشّريف الرّضي (أبو الحسن محمّد بن الحسين بن موسى الكاظم الهاشمي القرشي) المتوفّى 406هـ/1015م.

«ديوان الشّريف الرّضي» بومباي 1306هـ.

«رسائل الصّابي والشّريف الرّضي» تحقيق محمّد يوسف نجم، الكويت 1961.

ابن شعبة الحرّاني (الحسن بن علي بن الحسين) عاش في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. «نحف العقول عن آل الرّسول» تحقيق علي أكبر الغفاري، طهران 1363هـ.

الشّهريستاني (أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أحمد) المتوفّى 548هـ/1153م.

«الملل والنحل» تحقيق محمّد سيّد كيلاني، بيروت 1982.

«نهاية الإقدام في علم الكلام» باعثناء ألفريد جيوم، أكسفورد 1931.

شَيْخُ الرُّبُوعَةِ الدَّمَشَقِيّ (شمس الدّين محمّد بن أبي طالب الأنصاري الدّمَشَقِيّ) المتوفّى 727هـ/1326م.

«نخبة الدّهْر في عجائب البرّ والبحر» تحقيق أ. موهرين، ليبسج 1958.

صاعِدُ الأَنْدَلُسِيّ (أبو القاسم صاعد بن أحمد التّغْلِيّ) المتوفّى 462هـ/1069م.

«طبقات الأئم» تحقيق لؤيس شيخو اليسوعي، بيروت 1912.

الصّولي (أبو بكر محمّد بن يحيى) المتوفّى 335هـ/946م.

«أخبار الرّاضي بالله والمتّقّي بالله» مُتَزَعٌ مِمَّا تَبَقَّى مِنْ «كِتَابِ الْأَوْزَاقِ» لِلصّولي، تحقيق

ج. هيورث دن، بيروت 1983.

ابن الصِّيرفي (تاجُ الرِّئاسة أَمِينُ الدِّين أبي القَاسِم علي بن مُنْجِب بن سُلَيمان الكَاتِب) المُتوفَّى 542هـ/ 1147م.

«القائون في ديوان الرِّسائل» تحقيق أَيْمَن فُؤاد سيِّد، القاهرة 1990.

أَبُو طَالِب الزَّيْدِي (الإمام النَّاطِق بالحق) المُتوفَّى بعد عام 374هـ/ 984م.  
«الإفادَة من تاريخ الأئمَّة السَّادة» ضَمَّن كِتَاب «أخبار الأئمَّة الزَّيدِيَّة» تحقيق فيلْفِرْد مَادِيلُونغ، فَرَانز شَتَاينِر، فيسبادِن 1987.

ابن طَاوُوس البَغْدَادِي (رَضِي الدِّين عَلِي بن مُوسَى) المُتوفَّى 664هـ/ 1266م.  
«فَرَج المَهْمُوم بتاريخ عُلَمَاء النُّجُوم» النِّجَف د.ت.

الطَّبْرِي (أَبُو جَعْفَر مُحَمَّد بن جَرِير بن يَزِيد) المُتوفَّى 310هـ/ 922م.  
«تاريخ الرُّسل والملوك» تحقيق مُحَمَّد أبو الفَضل إبراهيم، القاهرة 1964.  
«جَامِع البَيَان عن تَفْسِير آي القرآن المَعْرُوف بِتَفْسِير الطَّبْرِي» تحقيق مُحَمَّد مُحَمَّد شَاكِر، أَحْمَد مُحَمَّد شَاكِر، القاهرة 1374هـ.

ابن طَيِّفُور (أَبُو طَاهِر أَحْمَد بن طَيِّفُور بن أَبِي طَاهِر الحُرَّاسَانِي) المُتوفَّى 280هـ/ 893م.  
«كِتَاب بَغْدَاد» تحقيق هِنْس كِلَر، بيروت د.ت.

ابن ظَاوِر (جَمَال الدِّين أَبُو الحَسَنِ عَلِي بن أَبِي مَنْصُور ظَاوِر الأَزْدِي) المُتوفَّى 613هـ/ 1216م.  
«أخبار الدُّول المُنْقَطِعة» القِسْم الخاص بأخبار الدُّولة العبَّاسِيَّة، تحقيق مُحَمَّد بن مُسْنُور الزَّهْرَانِي، المَدِينَة لِلنُّورَة 1407هـ.  
«بَدَائِعُ البَدَائِف» تحقيق مُحَمَّد أبو الفَضل إبراهيم، القاهرة 1970.

العبَّاسِي (أَبُو مُحَمَّد الحَسَن بن عبد الله بن عُمَر بن محاسِن العبَّاسِي) من أهل القرن السَّابِع الهِجْرِي/ الثَّالِث عَشْر المِيلَادِي.

«أَثَارُ الأوَّل في تَرْتِيب الدُّول» تحقيق عبد الرَّحْمَن عُمَيْرَة، بيروت 1989.

عبد الجبار (أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الحمذاني القاضي) المتوفى 415هـ/1024م.

«شرح الأصول الخمسة» تحقيق عبد الكريم عثمان، القاهرة 2009.

«المغني في أبواب التوحيد والعدل» تحقيق محمود محمد الحصري، القاهرة 1958.

عبد القاهر البغدادي (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي) المتوفى 429هـ/1037م.

«الفرق بين الفرق» تحقيق محمد بدر، القاهرة د.ت.

«الملل والنحل» تحقيق ألير نصري نادر، دار المشرق، بيروت د.ت.

عبد الله بن إسماعيل الهاشمي؛ عبد المسيح بن إسحاق النصراني الكندي، من أهل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

«رسالة الهاشمي إلى الكندي يدعوه فيها لاغتياق الإسلام، ورد الكندي عليها» لندن 1880.

عبد الله بن المقفع (عبد الله بن المقفع بن المبارك البغدادي) المتوفى 142هـ/759م.

«كَلِيلَة وَدِمْنَة» المنسوب للفيلسوف الهندي بيدبا، نقله إلى العربية عبد الله بن المقفع، بولاق 1937.

عبد الواحد المراكشي (عبي الدين عبد الواحد بن علي التميمي) المتوفى بعد عام 621هـ/1223م.

«المعجب في تلخيص أخبار المغرب» تحقيق محمد سعيد العربي، القاهرة 1963.

ابن العبري (المقرئ أبو الفرج جريجوري بن أهازون الملقبي) المتوفى 685هـ/1286م.

«تاريخ مختصر الدول» منشورات دير الآباء اليسوعيين، بيروت د.ت.

ابن العديم (الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جردة) المتوفى 588هـ/1192م.

«بغية الطلب في تاريخ حلب» تحقيق سهيل زكار، دمشق 1988.



ابن عساكر (الحافظُ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله) المتوفى 571هـ/ 1175م.  
«تاريخ دمشق» تحقيق محب الدين العمري، بيروت 1995.

ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الصالح) المتوفى  
1089هـ/ 1678م.

«سذرات الذهب في أخبار من ذهب» تحقيق عبد القادر الأرناؤوط؛ محمود  
الأرناؤوط، دمشق 1989.

عماد الدين إدريس (عماد الدين إدريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن حاتم القرشي  
الداعي الإسماعيلي) المتوفى 872هـ/ 1467.

«عيون الأخبار وفنون الآثار» تحقيق مصطفى غالب، بيروت 1984.

ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد) المتوفى بعد عام 580هـ/ 1184م.

«الإنباء في تاريخ الخلفاء» تحقيق قايم السامرائي، منشورات المعهد الهولندي  
للآثار الشرقية، ليدن 1973.

ابن العميد (جرجس بن العميد بن أبي الياسر بن أبي الطيب النضاري الكاتب الملقب بالشيخ  
المكين) المتوفى بعد عام 658هـ/ 1259م

«تاريخ ابن العميد» تحقيق كلود كاهن، في: *Bulletin d' Etudes orientales*,  
Damas Vol. XV, 1955-1957.

غرس النعمة بن الصابي (محمد غرس النعمة بن هلال بن المحسن الصابي) المتوفى  
480هـ/ 1078م.

«كتاب الربيع» ضمن نصوص كتاب «سذرات مفقودة في التاريخ» جمع وتحقيق  
إحسان عباس، بيروت 1998.

«الهفوات النادرة» تحقيق صالح الأشر، دمشق 1967.

الغزالي (زَيْنُ الدِّينِ أَبِي حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الطُّوسِيِّ الشَّافِعِيِّ) الْمُتَوَقَّى 505هـ/1111م.

«تَهَافُتُ الْقَلَابِسَةُ» تَحْقِيقُ مُورِيسُ يُونُجُس، بِيْرُوت 1987.

«الْمُنْفِذُ مِنَ الضَّلَالِ، وَالْمُوَصِّلُ إِلَى ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ» تَحْقِيقُ كِمَالُ صَلِيحَا، كَامِلُ عِيَاد، بِيْرُوت د.ت.

الْفَخْرِي (عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفَخْرِيِّ) مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الثَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ/الْحَامِسِ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ.

«تَلْخِيصُ الْبَيَانِ فِي ذِكْرِ فُرُوقِ أَهْلِ الْأَذْيَانِ» تَحْقِيقُ رَشِيدُ الْبَنْدَر، لَنْدَن 1994.

أَبُو الْفَيْدَا (الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ عِمَادُ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ صَاحِبُ حِمَاة) الْمُتَوَقَّى 732هـ/1331م.

«تَقْوِيمُ الْبِلْدَانِ» تَحْقِيقُ رَيْنُود؛ م. كُوكِين دِيسْلَان، بَارِيس 1840.

«الْمُخْتَصَرُ فِي أَخْبَارِ الْبَشَرِ» الْقَاهِرَةُ د.ت.

الْفَرَاهِيدِي (أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ) الْمُتَوَقَّى 170هـ/786م.

«كِتَابُ الْعَيْنِ» تَحْقِيقُ مَهْدِي الْمَخْزُومِي؛ إِبْرَاهِيمُ السَّامِرَائِي، بِيْرُوت د.ت.

ابن فَضْلِ اللَّهِ الْعُمَرِيُّ (شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى) ت 749هـ/1348م.

«مَسَالِكُ الْأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ» مَنُشُورَاتُ الْمَجْمَعِ الثَّقَافِيِّ، أَبُو ظَبْي 2003.

ابن الْقُوطِي (كِمَالُ الدِّينِ أَبِي الْفَضْلِ عَبْدِ الرَّازِقِ الْحَنْبَلِيِّ) الْمُتَوَقَّى 723هـ/1323م.

«الْحَوَادِثُ الْجَامِعَةُ، وَالتَّجَارِبُ النَّافِعَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ» تَحْقِيقُ مُصْطَفَى جَوَاد،

بَغْدَاد 1351هـ.

(وهو في الأصل تاريخ مجهول المؤلف والعنوان، ويُعتقد الآن أنَّ

مؤلفه ذِمِّي، وكان ذلك المخطوط بحوزة الأب الكرملِي، ولَفَت

نظر ناشره مُصْطَفَى جَوَاد حين رآه للمرة الأولى، فأخذه الكرملِي

مُصَوَّرَةً منه، فنشره ونحله لابن القُوطِي دُونِ أَيِّ مُسَوِّغٍ لذلِكَ،

بل وأعطاه عنوان أحد كُتُبهِ الصَّائِغَةِ، ربَّما لِاسْتِثْبَاتِ تِجَارَةٍ، نَمَ لَمْ

يَلْبِثَ أَنْ اغْتَدَرَ لِلأَوْسَاطِ الْعِلْمِيَّةِ عَنْ ذلِكَ الْخَطَأِ الْقَادِحِ بَعْدَ

الانتقادات الواجبة التي وُجِّهَتْ لَهُ)

قَابُوس بن وَشْمَكِير (شمس المَعَالِي أَبِي الْحَسَن قَابُوس بن وَشْمَكِير بن زِيَار بن وَزْدَان شَاه الجِيلِي؛ أَمِير جُرْجَان) المَتَوَفَّى 403هـ/1012م.

«كَمَالُ الْبَلَاغَةِ، الْمَعْرُوف بِرِسَائِلِ قَابُوس بن وَشْمَكِير» بَغْدَاد 1341هـ.

ابن قَاضِي شُهَبَةَ (تَقِيُّ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ أَحَد بن مُحَمَّد بن عُمَر الشَّافِعِي) المَتَوَفَّى 851هـ/1441م.

«طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّة» تَحْقِيقُ حَافِظ عبد العَلِيم حَاح، مَنُشُورَات دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّة، حَيْدَر أَبَاد الدِّكْنِ 1979.

ابن قُتَيْبَةَ (أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن مُسْلِم) المَتَوَفَّى 276هـ/889م.

«الْمَعَارِف» تَحْقِيقُ نَزْوَت عُكَّاشَةُ، الْقَاهِرَةُ 1981.

قُدَامَةُ بن جَعْفَر (أَبُو الْفَرَج قُدَامَةُ بن جَعْفَر بن زِيَاد الْكَاتِب) المَتَوَفَّى 329هـ/940م.

«الْحَرَجَاج وَصِنَاعَةُ الْكِتَابَةِ» تَحْقِيقُ مُحَمَّد حُسَيْن الرُّبَيْدِي، بَغْدَاد 1981.

الْقُرْطُبِي (أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْرٍ الْأَنْدَلُسِي) المَتَوَفَّى 671هـ/1261م.

«الْجَامِع لِأَحْكَامِ الْقُرْآن، الْمَعْرُوف بِتَفْسِيرِ الْقُرْطُبِي» تَحْقِيقُ عبد الله بن عبد الْمُحْسِن التَّرْكِي، بَيْرُوت 2006.

الْقَزْوِينِي (زَكَرِيَّا بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد) المَتَوَفَّى 628هـ/1230م.

«آثَارُ الْبِلَادِ وَأَخْبَارُ الْعِبَاد» بَيْرُوت د.ت.

الْقُسَيْرِي (زَيْنُ الْإِسْلَام عبدُ الْكَرِيم بن هَوَازِن بن عبدِ الْمَلِك بن طَلْحَةَ النَّيْسَابُورِي) المَتَوَفَّى 465هـ/1072م.

«الرِّسَالَةُ الْقُسَيْرِيَّة» تَحْقِيقُ مَعْرُوف رُزَيْق، بَيْرُوت 1990.

الْقِفْطِي (جَمَالُ الدِّينِ أَبِي الْحَسَن عَلِي بن يُونُس بن إِبْرَاهِيم) المَتَوَفَّى 646هـ/1248م.

«إِخْبَارُ الْعُلَمَاءِ بِأَخْبَارِ الْحُكَمَاء» بَيْرُوت د.ت.

«إِنْبَاءُ الرُّوَاةِ عَلَى آثِبَاءِ النُّحَاة» الْقَاهِرَةُ 1981.

الْقَلْقَشْنَدِي (شِهَابُ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ) الْمُتَوَفَّى 821هـ/ 1418م.

«صُبْحُ الْأَعْمَى فِي صِنَاعَةِ الْإِنْشَاءِ» دَارُ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ، الْقَاهِرَةُ 1922.

«مَأْتَرُ الْإِنْفَاقَةِ فِي مَعَالِمِ الْخِلَافَةِ» تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّتَّارِ أَحْمَدَ فَرَّاجَ، بَيْرُوتَ 1980.

ابن قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةِ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الدَّمَشْقِيُّ) الْمُتَوَفَّى 751هـ/ 1350م.

«أَحْكَامُ أَهْلِ الذِّمَّةِ» تَحْقِيقُ يُونُسَ أَحْمَدَ الْبَكْرِي؛ شَاكِرُ تَوْفِيقِ الْعَرُورِيِّ، الدَّمَّامُ

1997.

ابن كَثِيرٍ الدَّمَشْقِيُّ (الْحَافِظُ أَبُو الْفَدَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ الْقُرَيْشِيُّ الدَّمَشْقِيُّ) الْمُتَوَفَّى

774هـ/ 1372م.

«الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» تَحْقِيقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُحْسِنِ التُّرْكِيِّ، الْقَاهِرَةُ 1997.

«تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ» تَحْقِيقُ سَامِي بْنِ مُحَمَّدٍ السَّلَامَةِ، الرِّيَّاضَ 1997.

الكَرْمَانِيُّ (مُحَمَّدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ نَصْرِ) الْمُتَوَفَّى بَعْدَ عَامِ 505هـ/ 1111م

«أَسْرَارُ التَّكْرَارِ فِي الْقُرْآنِ» تَحْقِيقُ عَبْدِ الْقَادِرِ أَحْمَدَ عَطَا، الْقَاهِرَةُ 1396هـ.

ابن كَمُونَةَ (سَعْدُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ كَمُونَةَ الْيَهُودِيِّ) الْمُتَوَفَّى بَعْدَ عَامِ 683هـ/ 1284م.

«تَنْفِيحُ الْأَبْحَاثِ لِلْمِلَالِ الثَّلَاثِ» تَحْقِيقُ مُوشِي بِيرْلَمَان، مَشْهُورَاتُ جَامِعَةِ كَالِيفُورْنِيَا

1967.

الْكِنْدِيُّ (أَبُو يُونُسَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ الصَّبَّاحِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ) الْمُتَوَفَّى

255هـ/ 868م.

«ثَلَاثُ رِسَائِلٍ فِي الْكَوَاكِبِ وَاسْتَحْضَارِ الْأَزْوَاجِ» تَحْقِيقُ يُونُسَ حَبِيٍّ؛ حِكْمَتُ

نَجِيبٍ، مَجَلَّةُ الْمَوْرَدِ الْعِرَاقِيَّةِ، مَج 8، ع 1، بَغْدَادَ 1970.

«رِسَائِلُ الْكِنْدِيِّ الْفَلَسَفِيَّةُ» تَحْقِيقُ مُحَمَّدَ عَبْدِ الْهَادِي أَبُو رَيْدَةَ، الْقَاهِرَةُ د.ت.

الْمَأْتَرِيْدِي (أَبُو مَنْصُورِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدٍ) الْمُتَوَفَّى 333هـ/ 944م.

«التَّوْحِيدُ» تَحْقِيقُ فَتْحِ اللَّهِ خُلَيْفٍ، الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ د.ت.

ماري بن سُلَيْمَان (مار ماري السَّنْطُورِي) مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهِجْرِي/الْحَادِي عَشَرَ الْمِيلَادِي.

«أَخْبَارُ بَطَارِقَةِ كُرَيْبِيِّ الْمَشْرِقِ» قِسْمٌ مِنْ كِتَابِ «الْمَجْدِلِ الْكَبِيرِ» تَحْقِيقُ هَنْرِيْكُوسْ جِيْسْمُونْدِي، رُومِيَّةُ 1899.

ابن مأكولا (الأمير الحافظ أبي نصر مُحَمَّد بن أَحَد) الْمُتَوَفَّى 475هـ/ 1082م.  
«إِكْمَالُ الْكَمَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ» الْقَاهِرَةُ د.ت.

مَالِكُ بنِ أَنَسٍ (مَالِكُ بنِ أَنَسٍ الْأَضْبَجِي الْإِمَام) الْمُتَوَفَّى 179هـ/ 795م.  
«كِتَابُ الْمُوطَأ» دُبِّي 2003.

الْمَاوُزْدِي (أَبُو الْحَسَنِ عَلِي بن مُحَمَّد بن حَبِيب الْبَصْرِي) الْمُتَوَفَّى 450هـ/ 1058م.  
«الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةُ» تَحْقِيقُ أَحْمَدُ مُبَارَكُ الْبَغْدَادِي، الْكُوَيْتُ 1989.  
«الْحَاوِي الْكَبِيرُ» بِيْرُوت د.ت.

«الْوَرَاةُ» تَحْقِيقُ مُحَمَّدُ سُلَيْمَانُ دَاوُد، فُؤَادُ عَبْدِ الْمُنْعِمِ أَحْمَد، الْقَاهِرَةُ 1976.

الْمَجْرِيْبِي (أَبُو الْقَاسِمِ مَسْلَمَةُ بن أَحْمَد) الْمُتَوَفَّى 398هـ/ 1007م.  
«غَايَةُ الْحَكِيمِ وَأَوَّلَى التَّيَجِّتِينَ بِالتَّقْدِيمِ» تَحْقِيقُ هَيْلْمُوتُ رِيْتِر، هَامْبُورْج 1927.

الْمَجْلِسِي (مُحَمَّدُ بَاقِر) الْمُتَوَفَّى 1111هـ/ 1699م.  
«بَحَارُ الْأَنْوَارِ» بِيْرُوت 1983.

مَجْهُولٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهِجْرِي/الْحَادِي عَشَرَ الْمِيلَادِي.  
«الْعِيُونُ وَالْحَدَائِقُ فِي أَخْبَارِ الْحَقَائِقِ» تَحْقِيقُ عُمَرُ السَّعِيدِي، مَنَشُورَاتُ الْمَعْهَدِ الْفَرَنْسِييِ لِلدِّرَاسَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، دِمَشْقُ 1973.

مَجْهُولٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهِجْرِي/الرَّابِعِ عَشَرَ الْمِيلَادِي.  
«كِتَابُ التَّرَاتِيْبِ؛ وَهِيَ سَبْعُ تَرَاتِيْبٍ عَلَى التَّامِ وَالْكَمَالِ» تَحْقِيقُ سُهَيْلُ زَكَّار، ضَمْنُ كِتَابِ الْجَمَاعَةِ فِي أَخْبَارِ الْقَرَامِطَةِ، دِمَشْقُ 1987.

ابن المحلّي: (حميد بن أحمد الزيّدي) المتوفّى بعد عام 502هـ/1108.

«الحدائق الوزديّة في مناقب الأئمّة الزيّديّة» ضمن كتاب «أخبار الأئمّة الزيّديّة» تحقيق فيلغرد ماديلونغ، فرانز شتاينر، فيسبادن 1987.

ابن المرتضى (الإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى بن الفضل العلوي الزيّدي) المتوفّى 840هـ/1436م

«باب ذكر المعتزلة» قسم من كتابه المسمّى «المنية والأمل في شرح الملل والنحل» باعثناء ثوما أرنولد، منشورات دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن د.ت.

المرتضى الزيّدي (محبّ الدين أبي الفيض محمد بن المرتضى الحسيني) المتوفّى 1205هـ/1790م.

«تاج العروس في شرح جواهر القاموس» تحقيق مصطفى حجازي، الكويت 1973.

المزّي (أبو الحجاج يوسف بن الزّكي بن عبد الرحمن) المتوفّى 742هـ/1341م.

«تهذيب الكمال في أسماء الرجال» تحقيق بشار عواد معروف، بيروت 1980.

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين) ت 346هـ/957م.

«أخبار الزّمان، ومن أباده الحدّثان، وعجائب البلدان، والغامر بالماء والعُمران» القاهرة 1938.

«التنبية والإشراف» بيروت 1968.

«مروج الذهب ومعادن الجوهر» تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة 1966.

مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب) المتوفّى 421هـ/1030م.

«تجارب الأمم وتعاقب الهمم» تحقيق ه. ف. أميدروز، القاهرة 1914.

مُسْلِم (مُسْلِم بن الْحَجَّاج الْقُسَيْرِي النَّيْسَابُورِي الْإِمَام) الْمُتَوَفَّى 346هـ/ 957م.  
«الْجَامِع الصَّحِيح الْمَعْرُوف بِصَحِيح مُسْلِم» بِاِغْتِنَاءِ نَظَرِ مُحَمَّدٍ الْقَارِيَّابِي، الرَّيَاضِ  
1426هـ.

الْمُقَدِّسِي (أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيلِ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَلِي الرَّمْلِي) الْمُتَوَفَّى 888هـ/ 1483م  
«رِسَالَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الرَّافِضَةِ» تَحْقِيقُ عَبْدِ الْوَهَّابِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، بُومَبَايَ 1983.  
الْمُقَدِّسِي (شَمْسُ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْبَشَّارِي) الْمُتَوَفَّى بَعْدَ عَامِ  
377هـ/ 987م.  
«أَحْسَنُ التَّقَاسِيمِ فِي مَعْرِقَةِ الْأَقَالِيمِ» بِاِغْتِنَاءِ دِي غَوِيهِ، لَيْدِنَ 1909.

الْمُقَدِّسِي (مَرْعِي بْنُ يُوسُفَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ أَحْمَدَ الْكُرْمِيِّ الْحَنْبَلِي) الْمُتَوَفَّى  
1033هـ/ 1623م.  
«أَقَاوِيلُ الثَّقَاتِ فِي تَأْوِيلِ الْأَسْمَاءِ وَالصُّغَاتِ وَالْآيَاتِ الْمُحْكَمَاتِ وَالْمُسْتَبْهَاتِ» تَحْقِيقُ  
شُعَيْبِ الْأَرْزَنْبَاوُطِ، بَيْرُوتَ 1406.  
الْمُقَدِّسِي (الْمُطَهَّرُ بْنُ طَاهِرٍ) الْمُتَوَفَّى 355هـ/ 965م.  
«الْبَدَأُ وَالتَّارِيخُ» الْقَاهِرَةُ (د.ت.).

الْمُقَرِّبِي (شِهَابُ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْعَيْشِ بْنِ مُحَمَّدِ التِّلْمَسَانِي)  
الْمُتَوَفَّى 1041هـ/ 1631م.  
«نَفْحُ الطَّيِّبِ مِنْ غُصْنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ» تَحْقِيقُ إِحْسَانَ عَبَّاسٍ، بَيْرُوتَ 1997.

الْمُقَرِّبِي (تَقِيُّ الدِّينِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِي بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ) الْمُتَوَفَّى 845هـ/ 1441م.  
«السُّلُوكُ لِمَعْرِقَةِ دَوْلِ الْمُلُوكِ» تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ مُصْطَفَى زِيَادَةَ، الْقَاهِرَةُ 1934.  
«الْمَوَاعِظُ وَالْإِعْتِبَارُ بِذِكْرِ الْخِطَطِ وَالْآثَارِ، الْمَعْرُوفُ بِخِطَطِ الْمُقَرِّبِي» نُسخةٌ مُصَوَّرةٌ  
بِالْأَوْفَسْتِ عَنْ طَبْعَةِ بُولَاقٍ، مَنَشُورَاتُ الْهَيْئَةِ الْعَامَّةِ لِقُصُورِ الثَّقَافَةِ، الْقَاهِرَةُ  
1999.

الملطي (أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العسقلاني الشافعي) المتوفى 377هـ/387م.

«التنبيه والرّد على أهل الأهواء والبدع» تحقيق محمد زاهد بن الحسن الكوثري، القاهرة 1991.

ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري) المتوفى 711هـ/1311م.

«لسان العرب» بيروت 1981.

التديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد) المتوفى 383هـ/993م.

«الفهرست» حققه وقابله على أصوله أيمن فؤاد سيد، لندن 2009.

التويزي (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) المتوفى 733هـ/1332م.

«نهاية الأرب في فنون الأدب» تحقيق أحمد كمال زكي؛ محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1980.

هلال الصّابي (أبو الحسن هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصّابي الملقب بالشّنيخ الرئيس) المتوفى 448هـ/1056م.

«تاريخ هلال بن المحسن الصّابي» الجزء الثامن، نُشر مُلحقاً على كتاب «تجارب الأمم» لأبي علي مسكويه، بتحقيق المستشرق أميدروز، بغداد 1969.

«مُحقّة الأمراء في تاريخ الوزراء» تحقيق عبد الستار أحمد قراج، القاهرة 1958.

«رُسوم دار الخلافة» تحقيق ميخائيل عواد، بغداد 1964.

«عُرر البلاغة» تحقيق محمد الديباجي، الدار البيضاء 1988.

الهمداني (محمد بن عبد الملك) المتوفى 521هـ/1127م.

«تكملة تاريخ الطبري» تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1982.



ابن وخشيّة النبطي ( أبو بكر أحمد بن علي النبطي الكِلْداني) المتوفى بعد عام 318هـ/ 930م.

«شوقُ المُستَهام في معرفة رموز الأَقلام» تحقيق جوزيف هامر، لندن 1806.

«الفلاحة النبطية» تحقيق توفيق فهد، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق 1993.

الْيَافِعِي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سُلَيْمَانَ) المتوفى 768هـ/ 1366م.

«مرآة الجنان وعبرة اليقظان، في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان» تحقيق خليل المنصور، بيروت 1997.

يَاقُوتُ الحَمَوِي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومِي الحَمَوِي) المتوفى 626هـ/ 1228م.

«إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمُعْجَم الأَدَبَاء» تحقيق إحسان عباس، بيروت 1993.

«مُعْجَم البُلْدَان» تحقيق فريد عبد العزيز الجُنْدِي، بيروت 1990.

يَحْيَى بن عَدِي (يحيى بن عدي التكريتي اليعقوبي النُصْراني) المتوفى 364هـ/ 974م.

«مقالة في التَّوْحِيد» نشر وتحقيق الأب سمير خليل اليسوعي، روما 1980.

الْيَعْقُوبِي (أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح) المتوفى 284هـ/ 897م.

«تاريخ اليعقوبي» ليدن 1883.

أَبُو يَحْيَى القَرَاء (أبو الحسين محمد بن خلف الحنبلي البَغْدَادِي) المتوفى 560هـ/ 1164م.

«الأحكام السلطانية» تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت 2000.

يُوحَنَّا بن البَطْرِيْق، عاش في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

«كتاب سرُّ الأسرار، المعروف بكتاب السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة» المنسوب

إلى أرسطو طاليس، نقله إلى العربية يوحنا بن البطريرق، طبعة حجرية د.م. د.ت.

## المصادر السريانية والعبرية والفارسية

إِيلْيَا النَّصِّيي (مَار إِيلْيَا بَرَشْتَايَا [إِيلْيَا بَنُ السَّنِي] المعروف بإِيلْيَا النَّصِّيي مُطْرَان نَصِّييَن) المتوفى 438هـ/1046م.

«تَارِيخُ إِيلْيَا بَرَشْتَايَا» نقله إلى العربية يُوسُفُ جَبِّي، مَنُشُورَات مَجْمَعِ اللُّغَةِ السُّرْيَانِيَّة، بَغْدَاد 1975.

بَنِيَامِين التُّطَيْلِي (الرَّبِّي بَنِيَامِين بَنُ يُونَةَ النَّبَارِي الْأَنْدَلُوسِي الرَّحَّالَةَ) المتوفى 569هـ/1173م. «رِخْلَةُ بَنِيَامِين التُّطَيْلِي» ترجمها عن العبرية عِزْرَا حَدَّاد، يَرُوت 1996.

الرُّهَّائِي المَجْهُول (مُؤَرِّخٌ سُريَانِي مَجْهُولٌ مِنْ أَهْلِ الرُّهَّا) المتوفى بعد عَامِ 635هـ/1237م. «تَارِيخُ الرُّهَّائِي المَجْهُول» عَرَّبَهُ عَنْ السُّرْيَانِيَةِ الْأَب. أَلْبِير ثُونَا، بَغْدَاد 1986.

ابْنُ الْعَبْرِي (المُفَرَّبَانُ أَبِي الفَرَجِ جَرِيحُورِي بَنُ أَهَّارُونَ المَلْطُطِي) المتوفى 685هـ/1286م. «التَّارِيخُ السُّرْيَانِي المَطْوَلُ المعروف بِتَارِيخِ الرُّمَّان» نقله إلى العربية الْأَب. إِسْحَاقُ أَرْمَلَةُ السُّرْيَانِي، يَرُوت 1986.

يَعْقُوبُ الرُّهَّائِي (مَار يَعْقُوبُ الرُّهَّائِي مُطْرَان الرُّهَّا) المتوفى 90هـ/708م. «الْأَيَّامُ السَّتَّة» نقله إلى العربية مَار غَرِيغُورِيُوسُ صَلْبِيَا شَمْعُون، ضَمِنَ مَنُشُورَاتِ التَّرَاثِ السُّرْيَانِي (الْكِتَابُ الرَّابِع) حَلَبَ 1990.

مِيخَائِيلُ السُّرْيَانِي MICHAEL LE SYRUS (مَار مِيخَائِيلُ الْأَوَّلُ الْكَبِيرُ بِطْرِكُ أَنْطَاكِيَّة) المتوفى 596هـ/1199م.

*Chronique de Michael le Syrus, tr. By J. B. Chabot, Paris 1899.*

نِظَامِي عَرُوضِي سَمَرْقَنْدِي (أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَلِي) المتوفى 550هـ/1155م. «جَهَّارُ مَقَالَةٍ أَوْ الْمَقَالَاتُ الْأَرْبَعُ» ترجمه عن الفَارْسِيَّةِ عَبْدُ الْوَهَّابِ عَزَّامٌ؛ يَخْبِي الْحَشَّاب، مَنُشُورَات لَجْنَةِ التَّأْلِيفِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالنَّشْرِ، الْقَاهِرَةُ 1949.

آدي شير

«الألفاظ الفارسيّة المعرّبة» بيروت 1908.

آرثر كريستensen

«إيران في عهد السّاسانيّين» ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة 1998.

آنا ماري شميل

«الأبعاد الصّوفية في الإسلام وتاريخ التّصوف» ترجمة محمّد إسماعيل السيّد؛ رِصًا حامد قطب، كُولُونِيَا 2006.

آيدين صنايلي

«المراصد الفلكيّة في العالم الإسلاميّ» ترجمة عبد الله العمر، الكويت 1995.

إبراهيم الدسوقي شتا

«المعجم الفارسي الكبير» القاهرة 1992.

إبراهيم السامرائي

«دراسات في اللّغة» بغداد 1961.

إجناتيوس كراتشكوفسكي

«تاريخ الأدب الجغرافي العربي» نقله إلى العربيّة صلاح الدّين عثمان هاشم، بيروت 1987.

إحسان عبّاس

«تاريخ دولة الأتباط» عمّان 1987.

أحمد أمين

«ظهور الإسلام» القاهرة 1962.

«جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة» الإسكندرية 1997.

أحمد تيمور

«أعلام المهندسين في الإسلام» القاهرة 1957.

أحمد حجازي السقا

«الصّابّين [الصّابّون؟!»، الأُمّة المُقتَصِدة في التّوراة والإنجيل والقرآن» القاهرة 2003.

أحمد زكي باشا

«موسوعات العلوم العربيّة؛ وبحثٌ على رسائل إخوان الصّفا» بُولاق 1308هـ.

أحمد شُوسَة

«مَلايح من تاريخ اليهود القديم في العراق» عمّان 2000.

أحمد فؤاد الأهواني

«الكِندي فيلسوف العرب» سُلَيْمَة أعلام العرب، رقم 26، القاهرة د.ت.  
«المَدارس الفَلَسَفيّة» القاهرة 1965.

إسرائيل ولفنسُون

«تاريخ اليهود في بلاد العرب، في الجاهليّة وصَدْر الإسلام» القاهرة 1927.

أليير نصري نادر

«فَلَسَفة المُعْتَزَلَة؛ فَلَاسِفة الإسلام الأَقْدَمِين» القاهرة د.ت.

أيمن فؤاد سيّد

«الدَّوْلَة الفَاطِمِيّة في مِصر؛ تَفْسيرٌ جَدِيدٌ» القاهرة 2007.

«تَارِيخُ الْعَرَبِ الْقَدِيمِ» دِمَشْق 1996.

تَوْفِيقُ الْيُوزْبَكِي

«تَارِيخُ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الْعِرَاقِ» الرِّيَّاض 1983.

بَحَّانُ سُوقَاجِيَه؛ كَلُودُ كَاهِن

«مَصَادِرُ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ» تَرْجَمَةُ عَبْدِ السَّاتَرِ حَلُوجِي؛ عَبْدِ الْوَهَّابِ عَلُّوب،  
مَنْشُورَاتُ الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلتَّقَاةِ، الْقَاهِرَةُ 1998.

جَبُورُ عَبْدِ النُّور

«إِخْوَانُ الصَّفَا» الْقَاهِرَةُ 1971.

جَوَّادُ عَلِي

«الْمُفَصَّلُ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ» الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، بَغْدَاد 1993.

جُوزُجُ مَقْدِسِي

«يُخَطِّطُ بَغْدَادُ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهِجْرِيِّ» تَرْجَمَةُ صَالِحِ الْعَلِي، مَنْشُورَاتُ الْمَجْمَعِ  
الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ، بَغْدَاد 1985.

جُونِسْتَفُ فُونْ جُرونبَاوم

«حَضَارَةُ الْإِسْلَامِ» نَقْلُهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ عَبْدِ الْعَزِيزِ تَوْفِيقِ جَاوِيد، الْقَاهِرَةُ 1997.

حَسَنُ إِبْرَاهِيمَ حَسَن

«تَارِيخُ الْإِسْلَامِ السِّيَاسِيِّ» بِيْرُوت 1996.

حَسَنُ مُنِيْمَنَة

«تَارِيخُ الدَّوْلَةِ الْبُيْهِيَّةِ السِّيَاسِيِّ وَالْاِقْتِصَادِيِّ وَالْاجْتِمَاعِيِّ» بِيْرُوت 1984.

«تاريخ الكنيسة الأنطاكية المارونية» بيروت 1900.

خير الدين الزركلي

«الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين» بيروت 1980.

دراور (ليدي إثيل اشتيفانا دراور)

«الصابئة المندائيون» نقله إلى العربية نعيم بدوي؛ غضبان رومي، بيروت 2005.

دي لاسي أوليري

«علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب» ترجمة وهيب كامل، القاهرة 1962.

رشيد الخيون

«مُعْتَزِلَةُ البَصْرَةِ وبغداد» بغداد 1997.

رينهارت دوزي

«تكملة المعاجم العربية» ترجمة محمد سليم النعيمي، بغداد 1980.

رُهلدي جار الله

«المُعْتَزِلَةُ» بيروت 1974.

سعيد الدبويه جدي

«بَيْتُ الحِكْمَةِ» بغداد 1972.

سُهَيْل قاشا (الأب)

«أثر الكتابات البابلية في المدونات التوراتية» بيروت 1998.

سيبجريد هونكه

«أثر الحضارة العربية في أوربا المعروفة باسم: شمس العرب تنطع على الغرب» ترجمة فاروق بينصون؛ كمال دسوقي، بيروت 1993.

«التَّاريخُ العَرَبِيّ والمُؤرَّخون» بِيروَت 1979.

شَوَقِي أَبُو خَلِيل

«أَطْلُسُ التَّاريخِ العَرَبِيّ الإِسْلامِيّ» دِمَشق 2005.

شَوَقِي صَنِيف

«تَاريخُ الأدبِ العَرَبِيّ، العَصْرُ العَبَّاسِيّ الثَّانِي» دارُ المَعَارِفِ، القَاهِرَة 1973.

شَوَقِي صَنِيف، وآخَرُونَ

«المُعْجَمُ الوَجِيزُ، مَنشُوراتُ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ» القَاهِرَة 1995.

صُبْحِي الصَّالِح

«دِرَاسَاتُ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ» بِيروَت 1968.

طَه بَاقِر

«مُقَدِّمَة فِي تَاريخِ الحَصَارَاتِ القَدِيمَةِ، تَاريخُ الفُرَاتِ القَدِيمِ» الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة، بَغدَاد

1955.

عَادِلُ العَوَّا

«حَقِيقَةُ إِخْوَانِ الصِّفَا» دِمَشق 1993.

«مُتَخَبَّاتُ إِسْمَاعِيلِيَّةٍ» دِمَشق 1958.

عَارِفُ تَامِر

«تَاريخُ الإِسْمَاعِيلِيَّةِ» لَنَدَن 1991.

«حَقِيقَةُ إِخْوَانِ الصِّفَا، وَخِلَانِ الوَفا» بِيروَت 1947.

عبّاس محمّد العقّاد

«إبراهيم أبو الأنبياء» القاهرة 1958.

عبد الحكيم الدّنون

«تاريخُ الشّام القديم» دِمَشق 1999.

عبد الحميد عبّادة (إفندي)

«مُندائي، المعروف بالصّابئة الأقدمين» باعِثَاء رَشِيد الحُثيُون، لُنْدُن 2003.

عبد الرّحمن بدوي

«خريفُ الفِكر اليُوناني» القاهرة 1979.

«مذاهب الإسلاميين» القاهرة 1971.

«من تاريخ الإتحاد في الإسلام» الطبعة الثانية، القاهرة 1993.

عبد الله سمّك

«الصّابئون» القاهرة 1995.

عزّيز سبّاهي

«أصول الصّابئة وعقائدهم الدّينيّة» الطبعة الثالثة، دِمَشق 2003.

عزّيز سُوزِنال عطية

«تاريخُ المَسيحيّة الشّرقية» ترجمة إسحاق عبيد، منشُورات المَجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2005.

عصّام الدّين محمّد علي

«بواكير الثقافة الإسلاميّة وحركة النّقل والترّجمة» الإسكندريّة 1986.

علي سامي النّشار

«الرُّهد والتّصوف في القرنين الأوّل والثّاني الهجريين» القاهرة د.ت.



علي محمد عبد الوهاب  
«الصَّابِئَةُ» القاهرة 1996.

عمر الدسوقي  
«إخوان الصِّفا» القاهرة 1947.

عمر رضا كحالة  
«مُعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ» بيروت د.ت.

فراس السَّواح  
«لُغَزُ عِشْتَار» الطبعة الثَّامِنَةُ، دِمَشْق 2008.

فَنِينُك  
«الْمُعْجَمُ الْمُفْهَرَسُ لِأَلْفَاظِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ» لَيْدِن 1936.

فؤاد سزُغِين  
«تَارِيخُ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ» نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ مُحَمَّدُ فَهْمِي حَبَّازِي، الرِّيَّاض 1991.

فؤاد مَعْصُوم  
«إِخْوَانُ الصِّفَا؛ فَلَسَفَتُهُمْ وَغَايَتُهُمْ» دِمَشْق 1998.

كارل بروكلمان  
«تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ» نَقَلَهُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ عَبْدُ الْحَلِيمِ النَّجَّار، الْقَاهِرَةُ 1959.  
«تَارِيخُ الشُّعُوبِ الْإِسْلَامِيَّةِ» تَرْجَمَهُ نَبِيَّةُ أَمِين فَارَس، مُنِيرُ الْبَغْلَبِكِي، بِيْرُوت 1968.

كامل حمود  
«دِرَاسَاتُ فِي تَارِيخِ الْفَلَسَفَةِ الْعَرَبِيَّةِ» بِيْرُوت 1991.

كامل مُصْطَفَى الشَّيْبِي  
«الْفِكْرُ الشَّيْعِي وَالتَّرْعَاتُ الصُّوفِيَّةُ» بَغْدَاد 1966.

«بُلْدَانِ الْخِلَافَةِ الشَّرْقِيَّة» تَرْجَمَةُ بَشِيرِ فَرْنُسِيْس، كُوزْكِيْس عَوَّاد، بِيْرُوت 1985.

لُويْس شِيخُو

«عُلَمَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ فِي الْإِسْلَام» حَقَّقَهُ وَأَعَادَ نَشْرَهُ الْأَبُ كَمِيْلُ حِشْمَةِ الْيَسُوْعِي،  
مَنْشُورَاتُ الْمَعْهَدِ الْبَابَوِي، رُوما 1983.

«وُزَرَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ وَكُتَّابُهَا فِي الْإِسْلَام» حَقَّقَهُ وَزَادَ عَلَيْهِ وَقَدَّمَ لَهُ الْأَبُ كَمِيْلُ حِشْمَةِ  
الْيَسُوْعِي، بِيْرُوت 1987.

لُويْس مَاسِيْنِيُون

«أَخْبَارُ الْحَلَّاجِ الْمَعْرُوفِ بِمُنَاجِيَّاتِ الْحَلَّاجِ» بَارِيْس 1936.  
«آلَامُ الْحَلَّاجِ» تَرْجَمَةُ الْحُسَيْنِ مُصْطَفَى حَلَّاج، دِمَشْقُ 2004.  
«التَّصَوُّفُ» بِيْرُوت 1984.

مَاجِدُ فَعْرِي

«تَارِيخُ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ» بِيْرُوت 1991.

مَازَجِرِيْتُ رُوْتِن

«تَارِيخُ بَابِلَ» تَرْجَمَةُ زَيْنَةُ عَاوَزْ؛ مِيْشَالُ أَبِي فَاضِلْ، بَارِيْس 1984.

مُحَمَّدُ حَبَشْ

«الْمُسْلِمُونَ وَعُلُومُ الْحَضَارَةِ» دِمَشْقُ 1992.

مُحَمَّدُ عَبْدُ الْحَمِيدِ الْحَمْدُ

«الدِّيَانَةُ الْيَزِيدِيَّةُ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْمَانَوِيَّةِ» دِمَشْقُ 2001.  
«صَابِئَةُ حَرَّانَ وَإِخْوَانُ الصَّفَا» دِمَشْقُ 1998.

مُحَمَّدُ عَبْدُ الْحَيِّ شَعْبَان

«الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ» بِيْرُوت 1981.

«تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام» الإسكندرية 1990.

مُحمَّد عُمر حمادة

«تاريخ الصابئة المندائيين» بيروت 1992.

مُحمَّد إسماعيل

«إخوان الصفا؛ رؤاد التنوير في الفكر العربي» المنصورة 1996.

مُحمَّد عرفة مُحمَّد

«العرب قبل الإسلام» القاهرة 1998.

مراد كايل؛ مُحمَّد حمدي البكري؛ زكية مُحمَّد رُشدي

«تاريخ الأدب الشرياني، من نشأته إلى العصر الحاضر» القاهرة د. ت.

مَرْجُلِيُوث

«دراسات عن المؤرخين العرب» ترجمة حُسين نصار، القاهرة د. ت.

مَرْيَم سلامة-كار

«الترجمة في العصر العباسي» نقله إلى العربية نجيب غزاوي، دمشق 1998.

مُصطفى عَالِب

«تاريخ الدعوة الإسماعيلية» بيروت 1965.

«في رحاب إخوان الصفا» بيروت 1969.

مُوريس لُومبار

«الإسلام في مجده الأول من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري» ترجمة إسماعيل

العربي، الدار البيضاء 1990.

«تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية» ترجمة عبد الهادي عباس، دمشق 1987.

ميشيل تازديو

«صائبة القرآن وصائبة حرّان» ترجمة سلمان حَرْفُوش، دمشق 1999.

نيكلسون

«الصُوفية في الإسلام» ترجمة نُور الدين شَريبَة، الطبعة الثالثة، القاهرة 2002.

هاميلتون جب

«علم التاريخ» بيروت 1981.

هاينس هالم

«الغنوصية في الإسلام» ترجمة رائد الباش، كولونيا 2003.

هنري س. عبود

«مُعْجَم الحضارات السَّامِيَّة» بيروت 1991.

هنري كُوربان

«تاريخ الفلسفة الإسلامية منذ اليونان وحتى ابن رشد» ترجمة نُصير مروة؛ حسن

قُبيسي، بيروت 1998.

وجيه أحمد عبد الله

«الوجود عند إخوان الصفا» الإسكندرية 1989.

يحيى هويدي

«دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية» القاهرة د.ت.

يُسْرِي عَبْدُ الْغَنِيِّ عَبْدُ اللَّهِ

«مُعْجَمُ الْمُؤَرِّخِينَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ الْهِجْرِي» بيروت 1991.

يُوسُفُ رِزْقُ اللَّهِ غَنِيمَةَ

«نُزْهُةُ الْمُشْتَأَقِ فِي تَارِيخِ يَهُودِ الْعِرَاقِ» بغداد 1924.

يُوسُفُ كَرَم

«تَارِيخُ الْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ» القاهرة 1936.

يُونْيُوسُ فِلْهَافُوزِن

«تَارِيخُ الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ إِلَى نَهَايَةِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ» تَرْجَمَهُ مُحَمَّدُ عَبْدُ

الْمُهَادِي أَبُو رَيْدَةَ، القاهرة 1968.

### المراجع الأجنبية

AHMED Y. HASSAN; DONALD R. HILL

*Islamic technology, an illustrated history*, Cambridge university press, 1986.

ALASTAIR LOGAN

*Gnostic truth, and Christian Heresy*, Glasgow 1996.

BROWNE E. G.

*Literary history of Persia*, London 1909.

BUCKLEY

*The great stem of souls: reconstructing Mandaean history*, New Jersey 2005.

BURKITT F. C

*Church and Gnosis*, Cambridge University press, 1932.

CHRISTIAN DAVID GINSBURG

*The Essenes, their history and doctrines*, London 1955.

CHWOLSOHN D.

*Die Ssabier und der Ssabismus*, St. Petersburg 1856.

**DELAMBRE M.**

*Histoire de l'astronomie au dix-huitième siècle*, Paris 1827.

**DOLORES CANNON**

*Jesus and the Essenes*, New York 1992.

**DOZY R.**

*Dictionnaire des Noms des Vetementes Chez Les Arabes*.  
Amsterdam 1854.

**EDWARD GIBBON**

*The Decline and Fall of the Roman Empire*, London 2004.

**EDWARD GRESWELL**

*The history of the primitive calendar*, Oxford 1862.

**EDWIN M. YAMAUCHI**

*Gnostic ethics and Mandaean origins*, Cambridge 1970.

**EVERETT FERGUSON**

*Baptism in the Early Church, History, Theology, and Liturgy in the  
First five centuries*. Cambridge 2009.

**FRANCIS E. PETERS**

*The Arabs and Arabia on the eve of Islam*, New York 1999.

**GEORGE MAKDISI**

*History and politics in eleventh-century Baghdad*, New York 1990.

**GERALD GRUDZEN; SHAMSUR RAHMAN**

*Spirituality and Science: Greek, Judeo-Christian and Islamic  
Perspectives*, Indiana 2007.

**HAROLD BOWEN**

*The life and time of Ali Ibn Issa*, Cambridge 1828.

**HENRY SMITH WILLIAMS**

*The great astronomers*, London 1930.

**HENRY SMITH WILLIAMS; EDWARD HUNTINGTON WILLIAMS**

*A History of Science*, New York, 2008.

**JACOBSEN BUCKLEY J.**

*The Mandeans; ancient texts and modern people*, Oxford university press, 2002.

**JOHN J. DONOHUE**

*The Buwayhid dynasty in Iraq 334 H./945 to 403 H./1012*, Leiden 2003.

**JONATHAN PORTER BERKEY**

*The formation of Islam, religion and society in the Near East*, Cambridge 2003.

**JOSEPH SCHACHT**

*The origins of Muhammadan jurisprudence*, Oxford univ. press 1950.

**JULIUS LEVY**

*The late Assyro – babyliokian, cult of the moon and its Culmination of the time of Nabonidus*, Hebrew Union college annual, Vol. XIX, 1945 - 1946.

**HAJARPE J.**

*Analyse critique des traditions Arabes sur les Sabeens Harraniens*, Upsala 1972.

**HOROVITZ J.**

*Koranische Untersuchungen*, Berlin 1926.

*Proper Names and derivatives in the Koran*, Berlin 1930.

**IVANOV V. A.**

*The alleged founder of Ismailism*, Bombay 1946.

**KURT RUDOLPH**

*Gnosis, the nature and history of Gnosticism*, London 1998.

*Mandaeism*, Leiden 1978.

*Problems of a history of the development of the Mandaean religion*, Leiden, 1966.

*die Gnosis*, Leipzig 1977.

MACDONALD

*Development of Moslim theology*, New York, 1926.

MAHMOUD AYOUB

*The Qur'an and its interpreters*, New York 1984.

MARGOLIOUTH D. S

*Mohammad. What did they teach?*, London 1939.

*The relation between Arabs and Israaelites prior to the rise of Islam*,  
London 1924.

MEAD G. R

*The Gnostic, John the Baptizer*. London 1924.

MICHAEL G. MORONY

*Iraq After the Muslim Conquest*, Gorgia 2005.

MINORSKI S.

*La domination des Daylamites*, Paris, 1932.

MONTGOMERY WATT W.; RICHARD BELL

*Introduction to Qura'n*, Edinburgh university press, 1970.

MUHAMMAD M. PICKTHALL

*The meaning of the glorious Qur'an: text and explanatory translation*, <sup>2</sup> edition New york 1996.

NESTA H. WEBSTER

*Secret Societies and Subversive Movements*, New york 2007.

NICHOLSON

*Literary history of the Arabs*, London 1956.

NOLDEKE TH.

*Mandaean bibliography*, Oxford university press, 1933.



*Essays on the Nag-Hammadi texts, edited by PAHOR LABIB, MARTIN KRAUSE, Leiden, 1975*

**PHILIP FRANCIS ESLER**

*The early Christian world, London 2000.*

**SELMA TIBI**

*The medicinal use of Opium in ninth-century Baghdad, Leiden 2006.*

**SINGH N.K.; AGWAN A. R.**

*Encyclopedia of the Holy Qur'an, New Delhi, 2000.*

**SINGH N.K.; M. ZAKI KIRMANI**

*Encyclopaedia of Islamic science and scientists, New Delhi 2005.*

**SIOUFFI. M. N.**

*Etudes sur la religion des soubbas ou sabéens leurs dogmes, leurs moeurs, Paris 1880.*

**SPRENGER**

*des Leben und die des Mohammed nach bisher grossenteils unbenutzten quellen bearbeitet, Berlin 1865.*

**STEPHAN A. HOELLER**

*Gnosticism: new light on the ancient tradition of inner knowing, New York 2001.*

**TAMARA M. GREEN**

*The city of the Moon god, religious traditions of Harran, Leiden 1992.*

**VICTOR ROBINSON**

*The Story of Medicine, New York 1943.*

**VON GRUNEBaum G. E.**

*Classical Islam. a history. 600 AD to 1258 AD, 4<sup>th</sup> Printing, New Jersey 2009.*

**WALTER WINK**

*John the Baptist in the Gospel tradition, Cambridge 1968.*

**WAYNE A. MEEKS**

*The prophet-king; Moses traditions and the Johannine Christology, Leiden 1976.*

## المقالات والدوريات العربية

أحمد عبد المنعم العدوي

«وثائق قمران» مقال منشور بمجلة تراث، ع 112، إصدارات مركز زايد للتاريخ والتراث، دبي 2009.

إجناتيوس جولدتسيهر

«موقف أهل السنة القدماء من علوم الأوائل» مقال منشور ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، دراسات لكارل المستشرقين، ترجمة عبد الرحمن بدوي، الكويت (د.ت.).

أديبة الحميسي

«علاقة المندائية بالعربية» مجلة المورد العراقية، مج 4، ع 2، بغداد 1975.

أينستاس ماري الكرمل

«الصابئة المندائيون» مقال منشور بمجلة المشرق البيروتية، مج 4، بيروت 1902.

بذري محمد فهد

«المجتمع العراقي في العصر العباسي» مقال منشور ضمن موسوعة حضارة العراق، بغداد 1985.

حسين بيوض

«فضل الكتابة، وصلتها بالسياسة» مقال منشور ضمن كتاب أبحاث عربية، المهدي إلى المستشرق فولفديريتش فيشر بمناسبة بلوغه الخامسة والستين، تحرير إسحاق الأيوبي، بيروت 1994.

«إنحوان الصّفا» مقال بدائرة المعارف الإسلاميّة، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، الطبعة الثانية، القاهرة 1969.

رُشدي عليّان

«أصحاب الرّوحانيّات، أو الصّابئة المندائيّين» مقال منشور بمجلة المورد العراقيّة، مج5، ع2، بغداد 1976.

رشيد الخيّنون

«الصّابئة في الذاكرة الإسلاميّة» مقال مُلحق على كتاب مندائي أو الصّابئة الأقدمون لعبد الحميد إقندي عبّادة، لندن 2003.

صمويل زويمر

«الصّابئة والصّابئون» مقال منشور بمجلة المُقتطف، مج23، القاهرة 1899.

عبد الجبار ناجي

«تاريخ مُهم للمؤرّخ النّسبي ثابت بن سنان» مجلة المورد العراقيّة، مج2، ع2، بغداد 1973.

عزيز سباهي

«إلى أيّ قوم يتّحي الصّابئة المندائيّون؟» مقال منشور ومُتاح على الشّبكة الدّولية للمعلّومات على الرّابط التّالي: -

[http://www.mandaeanunion.org/History/AR\\_History\\_033.htm](http://www.mandaeanunion.org/History/AR_History_033.htm)

كارا دي فو

«الصّابئة» مقال بدائرة المعارف الإسلاميّة، ترجمة إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، الطبعة الأولى، القاهرة 1933.

«تُراث الأوائِل بين الشَّرْق والغَرْب» ضمن كُتاب: «التُّراث اليُوناني في الحضارة الإسلامية، دِراسات لِكيار المُستشرقين» تَرْجمة وتحرير عبد الرَّحمن بدوي، الكُويت (د.ت).

كارلو ألفُونسو نِيلُونُو

«بُحوث في المُعتزلة» ضمن كُتاب: «التُّراث اليُوناني في الحضارة الإسلامية، دِراسات لِكيار المُستشرقين» تَرْجمة وتحرير عبد الرَّحمن بدوي، الكُويت (د.ت).

كُلود كاهِن

«بَنُو بُوَينَه» مَقال بِدائِرَةِ المَعارف الإسلامية، تَرْجمة إِبْراهيم زَكِي خُورشيد، وآخَرُونَ، دار الشَّعب، القَاهِرة 1970.

ماتس مَآيرهُوف

«مِن الإسْكَندَرِيَّة إلى بَغْداد» مَقال مَنشُور ضَمَن كُتاب التُّراث اليُوناني في الحضارة الإسلامية، دِراسات لِكيار المُستشرقين، تَرْجمة عبد الرَّحمن بدوي، الكُويت (د.ت).

مَليحَة رَحمة الله

«صُورٌ من الحَيَاة الاجْتِماعِيَّة في المُجْتَمع العَبَّاسي في العِراق» مَقال مَنشُور بالمَجلة التَّاريخِيَّة المِصرِيَّة، مَج 17، القَاهِرة 1970.

هِنري كُوربان

«السَّهَروردي الحَلبي؛ مُؤسِّس المَذْهَب الإِسْراقِي» ضمن كُتاب: شَخْصِيَّات قَلِقَة في الإسلام، تَرْجمة عبد الرَّحمن بدوي، القَاهِرة 1964.

### المَقالات والدوريات الاجنبية

AMEDROZ

*The Tajarib Al- Uman of Abou Ali Miskawayh, Der Islam, Vol. V.*  
1914.

**BERGGREN J. L**

*the correspondence of Abu Sahl al-kuhi and abu Ishaq al sabi,  
journal for the history of arabic Science, vol 7. 1983.*

**BRANDT W.**

*El-Kesaites, Encyclopedia of Religion and Ethics. edited by James  
Hastings & others Edinburgh, non date, Vol. IX.*

*Mandaeans, in Encyclopedia of religion and ethics, edited by James  
Hastings & others Edinburgh, non date. Vol. VIII.*

**DAVID C. RIESMAN; AMOS BERTOLACCI**

*Thabit Ibn Qurra's Concise exposition of Aristotel's Metaphysics,  
Text translation and commentry in: Thabit Ibn Qurra: Science and  
Philosophy in Ninth-Century Baghdad, edited by Roshdi Rashed,  
Berlin 2009.*

**DAVID PINGREE**

*The Sabians of Harran and the classical tradition, international journal  
of the classical tradition, Vol.9, No.1, 2002.*

**DOMINIQUE SOURDEL**

*L'originalité du Kitāb Al-Wuzarā' de Hilal Al- Sābi', Arabica, vol. V,  
1958.*

**HJARPE J.**

*The holy year of the Harranians, some remarks on the festival  
calendar of the Harranian Sabians, in Orientalia Suecana, Vol.  
XXIII-XXIV, 1974-1975.*

**JACOBSEN BUCKLEY J.**

*Mandaean religion, in: the encyclopedia of religion, edited by Mircea  
Elide, London-New York, Non date. Vol. VIII.*

**JOHS PEDERSEN**

*The Sabians, in: "Agab-Nama" a volume of oriental studies presented  
to Edward Brown, 1922.*

**MARGOLIOTH D. S.**

*Harranians, in Ency. of religion and ethics. edited by James Hastings & others Edinburgh, non date, Vol. V.*

**MARIUOS CANARD**

*Baghdad au IV<sup>e</sup> siècle de l'Hègire- Xe siècle de l'Ère Chrétienne, Arabica, Vol. III, 1962.*

**MEHMET MAHFUZ SÖYLEMEZ**

*The Jundishapur School, its History, Structure, and Functions, The American Journal of Islamic Social Sciences, Vol. 22. Spring 2005.*

**REGIS MORELON**

*The Astronomy of Thabit Ibn Qurra, in: Thabit Ibn Qurra: Science and Philosophy in Ninth-Century Baghdad, edited by Roshdi Rashed, Berlin 2009.*

**ROSHDI RASHED**

*Thabit ibn Qurra, from Harran to Baghdad, in: Thabit Ibn Qurra: Science and Philosophy in Ninth-Century Baghdad, edited by Roshdi Rashed, Berlin 2009.*

**SABRA A. I.**

*The scientific enterprise, in: the world of Islam, faith, people, culture, edited by Bernard Lewis, London 1992.*

**SEGAL J. B.**

*Pagan Syriac Monuments in the Vilayet of Urfa, in Anatolian studies, Vols. 3-4. 1953.*

**VAN DAMME M.**

*Les Quarante-Deux premières lettres du Secrétaire Buyide Abu Ishaq Al-Sabie et leur répartition dans quelques Autres MS. Arabica, tome XXI, 1974.*

**WIDENGREN G.**

*Manichaeism and its Iranian background, in: The Cambridge history of Iran, Cambridge University Press, 2<sup>e</sup> edition, Cambridge university press, 1983.*

*Jewish Gnosticism. The prologue of John Mandaean parallels, in: Studies in Gnosticism and Hellenistic religions, presented to Gilles Quispel, Leiden 1981.*

ZAVI RADAY; CHAIM RABIN

*Saba. in: The new Bible dictionary, Jerusalem 1989.*

## الرسائل الجامعية

أحمد عبد المنعم العدوي

«المرأة في العراق خلال عهدَي البوئين والسلاجقة» رسالة ماجستير غير منشورة  
بكلية الآداب جامعة القاهرة، 2005.

رجاء جوهر

«الحياة الاجتماعية كما يصورها الصابي [هلال بن المحسن الصابي] في كتابه  
«الوزراء» رسالة ماجستير غير منشورة، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالجامعة  
اللبنانية، بيروت 1979.

محمد محمود سعداوي الدش

«أبو إسحاق الصابي ورسائله» رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة  
القاهرة 1955.





---

## الكشافات التحليلية

---



## كشاف آي القرآن الكريم

﴿وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران 68]	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى﴾ [الحج 17] 41، 76
﴿وَمَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر 3] 69	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾ [المائدة 69] 41، 42
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ﴾ [البقرة 62] 41، 42، 76	﴿وَمَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر 3] 69
﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال 39] 154	﴿وَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة 29] 136
﴿وَقَاتِلُوا أَكْثَرُكُمْ هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة 135] 68	﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران 95] 68
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة 5] 69	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ.....﴾ [الكافرون 1-6] 69
﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْمُولَاءُ﴾ [سبا 40] 81	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة 256] 154

## كشاف عناوين الكتب والرسائل والمؤلفات

قُرّة 291	الأَنْثَارُ الْبَاقِيَةُ عَنْ الْقُرُونِ الْحَالِيَةِ 19
أَدَمُ الْحَقِيقِي 34	أَنْثَارُ الْبِلَادِ وَأَخْبَارُ الْعِبَادِ 24
أَلَا رِيْشَا رُوْطَةٌ 6، 83	الأَنْثَارُ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي الْجَوِّ، وَأَحْوَالُ كَانَتْ فِي
أَلَا رِيْشَا رُوْطَا 34، 83	الْهَوَاءِ بِمَا رَصَدَ بَنُو مُوسَى وَأَبُو الْحَسَنِ ثَابِتُ بْنُ

- آلات الساعات التي تُسمى رُخامات 262
- الإبانة عن أصول الديانة 18
- إبطاء الحركة في بروج الفلك، وسرعتها وتوسطها
- بحسب الموضع الذي يكون فيه من الفلك
- الحارج المركز 255
- ابن مَرَّة ومدرسته 312
- أعطاء الحنفاً بأخبار الأئمة الخلفاء 67
- أجناس ما تنقسم إليه الأذوية 267
- أجناس ما تُوزن به الأذوية 267
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم 23
- أحكام القرآن 24
- أحكام أهل الدمة 25
- أخبار الأئمة الزيدية 195، 285
- أخبار الدولة البويهية = الناجي في أخبار الدولة
- الدَّيلمِيَّة.
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء 23
- أخبار مصر والشام 284
- اختصار الأسطقسات 293
- اختصار المتعلق 308
- اختصار كتاب النبضي الصغير 309
- اختصار كتاب جالينوس 267
- اختصار كتاب ما بعد الطبيعة 293
- اختيار وقت سقوط النطفة 267
- الإخوانيات والسلطانيات 301
- آداب الملوك 24
- أزبمون حديثاً في المواعظ والأخلاق 344
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب = معجم
- الأدباء.
- الأزكان في الهندسة 306
- استخراج المسائل الهندسية 261، 265
- أشراق الصابئة الخمسة 167
- الأسرار النجومية 335
- أشكال إقليدس 261
- أشكال الخطوط التي يمر عليها ظل المقياس 262
- الأشكال ذات الخطوط المستقيمة متى تقع
- الدائرة عليها 263
- أشكال في الحيل 262
- إصلاح إصلاح ثابت بن قرة للمجسطى 256
- إصلاح جوامع المتعلق 344
- إصلاح مقالات يحيى بن سرافيون 272
- أصناف الأمراض 267
- الأصول 306، 310
- أصول الهندسة 306
- اعتقادات فرق المشركون 25
- الأعداد المتحابة 263
- الأغلاط الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة 22
- أعمال ومسائل إذا وقع خطأ مستقيم على خطين
- 261
- أغاليط السوفسطائيين 293
- اقتصاص جمل حالات الكواكب المتحيرة 308
- ألف ترير شيالة 83
- ألف وثلاثون سؤالاً = ألف ترير شيالة
- الأمثال والأعيان، ومُتدى العواطف والإحسان
- 290
- الإنتاع والمؤانسة 24، 344، 345، 346
- الأتاجيل 322

- إنجيل لوقا 93  
 إنجيل متى 97، 98، 202  
 إنجيل يوحنا 97  
 الأفيستا 312  
 البداية والنهاية 22، 284  
 البُستاه = الأفيستا  
 بُغْيَةُ الطَّلَبِ فِي تَارِيخِ حَلَب 22  
 بُغْيَةُ الْمُرتَادِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُتَفَلِّسَةِ وَالْقَرَامِطَةِ  
 وَالْبَاطِنِيَّةِ 25  
 بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ 303  
 بَيَانُ مَذَاهِبِ الْفِرَقِ الصَّالَةِ 25  
 بَيُوتُ الْعِبَادَاتِ 19  
 النَّاجِي فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الدِّيْلَمِيَّةِ 195، 285،  
 286، 287، 288. وانظر أيضًا: الْمُتَرَعُّ مِنْ  
 كِتَابِ النَّاجِي فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الدِّيْلَمِيَّةِ.  
 تَارِيخُ ابْنِ خَلْدُون 284  
 تَارِيخُ الْإِسْلَامِ، وَوَقَايَتِ الْمَشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ 22،  
 284  
 تَارِيخُ الدَّوْلِ الْمُتَقَطِّعَةِ 22  
 تَارِيخُ الزَّمَانِ 15، 140  
 التَّارِيخُ الشَّرِيَانِي الْمَطْوَلُ = تَارِيخُ الزَّمَانِ  
 تَارِيخُ الطَّبْرِي 277  
 تَارِيخُ إِبِلِيَا بَرِ شِنَابَا 15  
 تَارِيخُ بَغْدَادِ = تَارِيخُ مَدِينَةِ السَّلَامِ  
 تَارِيخُ ثَابِتِ بْنِ سَيَانَ 197، 269، 277، 278،  
 279، 280، 281، 282، 284، 285، 288  
 تَارِيخُ حُكْمَاءِ الْإِسْلَامِ 23  
 تَارِيخُ دِمَشْقَ 22  
 تَارِيخُ دَوْلَةِ بَنِي بُوَيْهِ، وَأَخْبَارِ الدِّيْلَمِ وَأَبْتِدَاءِ  
 أَمْرِهِمْ = النَّاجِي فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ الدِّيْلَمِيَّةِ  
 تَارِيخُ سِنِّي مُلُوكِ الْأَرْضِ وَالْأَنْبِيَاءِ 22  
 تَارِيخُ غَرْسِ النُّعْمَةِ بْنِ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسَّنِ الصَّابِيِّ  
 197  
 تَارِيخُ مُخْتَصَرِ الدَّوْلِ 22  
 تَارِيخُ مَدِينَةِ السَّلَامِ 23  
 تَارِيخُ مَشَاهِيرِ أَسْرَتِهِ [ثَابِتِ بْنِ قُرَّةَ] وَسُلَيْلَةِ  
 آبَائِهِ 276  
 تَارِيخُ مُلُوكِ الشَّرِيَانَ الْأَفْنَدِيِّينَ 276  
 تَارِيخُ مِيخَائِيلِ الشَّرِيَانِيِّ الْكَبِيرِ 15  
 تَارِيخُ هِلَالِ بْنِ الْمُحَسَّنِ الصَّابِيِّ 197  
 تَارِيخُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْإِنطَاكِيِّ 22  
 التَّبَصِيرُ فِي الدِّينِ، وَتَمَيِّزُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ عَنِ الْفِرَقِ  
 الْهَالِكِينَ 25  
 تَجَارِبُ الْأُمَمِ وَتَعَاوُبُ الْهَيْمَمِ 21، 280، 281،  
 282، 283، 284، 287  
 تَحْدِيدُ نِهَايَاتِ الْأَمَّاكِنِ لِتَضْحِيحِ نِهَايَاتِ الْمَسَاكِينِ  
 20  
 تُحْفَةُ الْأَمْراءِ فِي تَارِيخِ الْوُزَرَاءِ 16، 281، 289،  
 290  
 تَرْكِيبُ الْأَفْلَاكِ، وَخُلُقَتُهَا وَعَدَدُهَا وَعَدَدُ  
 حَرَكَاتِ الْجِهَاتِ لَهَا، وَالْكَوَاكِبِ فِيهَا، وَمَبْلَغُ  
 سَيْرِهَا، وَالْجِهَاتِ الَّتِي تَحْرُكُ إِلَيْهَا 255  
 تَسْهِيلُ الْمَجَسُّطِيِّ 255  
 تَشْرِيحُ بَعْضِ الطُّيُورِ 267  
 تَضْحِيحُ مَسَائِلِ الْجَبَرِ بِالْبَرَاهِينِ الْهَنْدَسِيَّةِ 262  
 التَّصَرُّفُ فِي أَشْكَالِ الْقِيَاسِ 293

التَّطْفِيلُ، وَحِكَايَاتِ الطُّفْلَيْنِ، وَأَخْبَارُهُمْ وَتَوَادُّرُ

كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارُهُمْ 24

تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ 24

تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ 25

تَلْسِيسُ إِبْلِيسَ 25

التَّلْمُودُ 99

التَّيَّةُ وَالْإِشْرَافُ 17

تَنْفِيعُ الْأَبْحَاثِ لِلْمِلَلِ الثَّلَاثُ 25

تَهَاقُتُ التَّهَاقُتُ 347

التَّوْرَةُ 115

الجغرافيا 308

جَوَابَاتُ مَسَائِلَ سُئِلَ عَنْهَا أَبُو الْحَسَنِ نَابِتُ بْنُ

قُرَّةَ 272

جَوَابَانِ عَنْ كِتَابِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى بْنِ شَاكِرٍ فِي أَمْرِ

الزَّمانِ 293

جَوَامِعُ الْمُسْكُونَةِ 291

جَوَامِعُ تَفْسِيرِ جَالِينُوسَ لِكِتَابِ إِبْقَرَاتٍ فِي

الْأَهْوِيَّةِ وَالْمَاءِ وَالْبِلْدَانِ 309

جَوَامِعُ جَمَعَهَا نَابِتُ بْنُ قُرَّةَ الْحَرَاوِيُّ مِنْ كُتُبِ

جَالِينُوسَ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ الْأَدْوِيَةِ الْمُفْرَدَةِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ الْأَغْضَاءِ الْآلِيَةِ لَجَالِينُوسَ 267

جَوَامِعُ كِتَابِ الْأَمْرَاضِ الْخَائِنَةِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ الْقَعْدِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ الْكَثَرَةِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ الْمِرَّةِ السَّودَاءِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ أَنْالُوطِيْقَا 308

جَوَامِعُ كِتَابِ بَارِيْمِيْنِيَّاسَ 308

جَوَامِعُ كِتَابِ تَفْرِيحِ الرِّجَمِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ سُوءِ الْمِزَاجِ الْمُخْتَلِفِ 309

جَوَامِعُ كِتَابِ نِقْوِ مَأْخُصَ 262

جَوَامِعُ مَا قَالَهُ بَطْلَيْمُوسُ فِي قِسْمَةِ الْأَرْضِ

الْمُسْكُونَةِ عَلَى الْبُرُوجِ وَالْكَوَاكِبِ 308

جَوَامِعُ مَا قَالَهُ جَالِينُوسُ فِي كِتَابِهِ فِي تَشْرِيفِ

صِنَاعَةِ الطَّبِّ 309

الْحِجَّةُ الْمُنْسُوْبَةُ إِلَى سُقْرَاطَ 293

حَرَآنُ جُورِيْنَا 6، 84، 85، 122، 203، 224،

243، 235

حَسَابُ خُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ 256

حِكَايَةُ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغْدَادِيِّ 24

حُلُّ رُمُوزِ كِتَابِ السِّيَاسَةِ لِأَفْلَاطُونِ 294

الْحَوَادِثُ الْجَامِعَةُ، وَالتَّجَارِبُ النَّافِعَةُ بَعْدَ الْمَانَةِ

السَّابِعَةُ 22

دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْيَهُودِيَّةِ 30

دَائِرَةُ مَعَارِفِ الدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ 30

دِرَاشَةُ دِيْنِيَا 30، 84، 89

دَوْرَةُ الْعُمُرِ فِي الْجَنَارِ السُّوءِ، وَالْوَلَدُ الْعَاقِي، وَالْمَرَاةُ

السَّيِّئَةُ الْأَخْلَاقُ 302

الدِّيَّارَاتُ 286

دِيَوَانُ أَبَانَتَرِ 34، 84

دِيَوَانُ أَبِي الْفَرَجِ الْيَبْلَغَاءِ 24

دِيَوَانُ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ 24

دِيَوَانُ الْقَلَسْتَا 6

دِيَوَانُ رَسَائِلِ إِبْنِ إِسْحَاقَ الصَّائِي = رَسَائِلُ إِبْنِ

إِسْحَاقَ الصَّائِي

دِيَوَانُ مَصْبُتَا دِهْيَلِ زِيوَا 83

- ديوان ملكوتنا إلينا 83  
الذيل على تجارب الأمم 21  
رؤية الأهله بالجَنُوب 255  
رؤية الأهله من الجدال 255  
رحلة إلى الشرق 29  
الرد على من قال أن النفس مزاج 293  
رسائل أبي إسحاق الصائبي 9، 10، 138، 182،  
183، 185، 186، 188، 193، 195، 197،  
205، 215، 225، 296، 297، 298، 303.  
وانظر أيضًا: المختار من رسائل أبي إسحاق  
الصائبي.  
رسائل أبي الخطّاب الصائبي 301  
رسائل إخوان الصفا 350  
الرسائل الحكيمية في أسرار الروحانيّة 334  
رسائل الشريف الرضي وأبي إسحاق الصائبي  
303  
رسائل الكندي الفلسفيّة 334  
رسائل ثابت بن قرة في الرياضيات 16  
الرسالة الخاصّة في تشريف صناعة الطب،  
وترتيب أهلها، وتعزيز المنقوصين منهم  
بالتفوس والأخبار، وأنّ صناعة الطب أنجل  
الصناعات 267  
رسالة العلّم الإلمّي 335  
رسالة إلى بعضي إخوانه [ثابت بن قرة] في جواب  
ما سأل عنه من أمور الموسيقى 304  
رسالة إلى علي بن يحيى المتّجّم فيما أمر [ثابت بن  
قرة] بإثباته من أبواب علم الموسيقى 304  
رسالة جوايية عن مسائل هندسيّة سألها [ثابت بن  
قرة] عنها المتّجّم بالله 262  
رسالة في أخبار أبائه [سنان بن ثابت] وأجداده  
وسلفه 12، 171، 276  
رسالة في أخبار أهله [أبو إسحاق الصائبي] وولّد  
أبيه 12  
رسالة في استخلاص قوى الكواكب عند الصائبين  
21  
رسالة في اعتقاد الصائبين 171  
رسالة في الانبواء 263  
رسالة في الأصول الهندسيّة 306  
رسالة في الأعداد 262  
رسالة في البياض الذي يظهر في البدن 266  
رسالة في آلة الزمر 304  
رسالة في الحقّى المتولّد في المئنة 266  
رسالة في الذبول 309  
رسالة في الرُسُوم والفروض والسُنن 171  
رسالة في السبب الذي لأجله ألغز الناس 293  
رسالة في السبب الذي من أجله جعلت مياه  
البحر مالحة 291  
رسالة في السطّرين المُستقيمين إذا ضُبطا على أقلّ  
من زاويتين مُستقيمتين التّحاشيًا 261  
رسالة في السور والصلوات التي يُصلي بها  
الصّابئون 12  
رسالة في السياسة 294  
رسالة في الشكل القطّاع 261  
رسالة في الطّهارة والنّجاسة 171  
رسالة في العدد الوَفَق 263  
رسالة في العَرُوض 303

## بالصَّابَةِ 18

رسالة في المُرُودين لسبعة أشهر 309

رسالة في النُّص 266

رسالة في النُّجُوم 171، 259

رسالة في أوقات العبادات 171

رسالة في إيضاح الوجه الذي ذكر بطلَيْمُوس أنَّ  
به استخرج من تقدُّمه مسيرات القمر الدَّورِيَّة  
256

رسالة في تاريخ آبائه [أبو إسحاق الصَّابِي]

وأجداده 276

رسالة في تاريخ الملوك الشَّريان 276

رسالة في تحقِّيقي أقدار الاتِّصالات 256

رسالة في ترتيب القراءة في الصَّلَاة 171

رسالة في تكفين المَوْتَى ودفنهم 171

رسالة في جواب ما سُئِلَ عنه [ثابت بن قُرَّة] عن

البُخَّاريِّين وكم مبلغ عدِّهم 293

رسالة في حالة الفلك 255

رسالة في حِكْمَةِ الله تعالى في اختلاف طبَقَات

النَّاس، وافتقارهم إلى الملوك والوزراء، وحاجة

بعضهم لبعض، وإطراد العلم بهذا التَّنْذِير 294

رسالة في رسم القُطُوع الثلاثة 265

رسالة في سبب كون الجبال 291

رسالة في شرح مذهب الصَّابِيَّين 12، 171

رسالة في صِفَةِ رُوحَانِيَّةِ الكَوَاكِبِ 334

رسالة في قِسْمَةِ أَيَّامِ الجُمُعَةِ على الكَوَاكِبِ السَّبْعَةِ

12، 171، 258

رسالة في مآثر أهلِه [إِلهال بن المُحَسِّن الصَّابِي]

276

رسالة في مَذاهِبِ الحَرَنَانِيَّين المُعَرُوفِينَ في عَصْرِنَا

رسالة في مَقْدَارِ خَطِّ الاسْتِواءِ 291

رسالة في نَوَامِيسِ هِرْمَسِ والصَّلَوَاتِ الَّتِي يُصَلِّي

بِهَا الصَّابِئُونَ 171

رسالة في وَصْفِ مَذاهِبِ الصَّابِيَّين 12، 18

رسالة في وَصْفِ نَحْلَةِ الصَّابِيَّين 12

رسالة فيما اغْفَلَهُ نَاوُنٌ في حِسَابِ كُثُوفِ الشَّمْسِ

والقَمَرِ 256

رسالة فيما بعد الطَّبِيعَةِ ممَّا جَرَى الأَمْرُ فِيهِ عَلَى

سَاقَةِ البُرْهَانِ 307

رسالة فيما يَتَوَلَّدُ في البَدَنِ بِفِعْلِ الغِذَاءِ مِنْ رَطُوبِيَّةِ

أَوْ حَرَارَةٍ 309

رسالة فيما يَصْلُحُ مِنَ الْحَيَوَانِ لِلصَّحَابِيَا وَمَا لَا

يَصْلُحُ 171

رسالة فيما يَظْهَرُ فِي القَمَرِ مِنْ آثَارِ الكُثُوفِ

وَعَلَامَاتِهِ 255

رسالتان في سُنَّةِ الشَّمْسِ 254

رُسُومُ دَارِ الخِلَافَةِ 16، 222، 290

الرَّوْضُ المِغْطَاظُ فِي خَبَرِ الأَقْطَارِ 24

الرَّيْبُورُ 41، 44، 46

زَهْرُ الأَدَابِ 303

الرَّيْجُ الصَّابِي 16، 257، 258

زَيْجُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ الهَاشِمِيِّ 19

السَّرُّ المَكْتُومُ فِي أَسْرَارِ النُّجُومِ 341

سِفْرُ إِسْتِير 49

سِفْرُ الأَخْبَارِ الثَّانِي 49

سِفْرُ البُرُوجِ 34

سِفْرُ الصِّيَادِ وَقِصَّةِ الأَنْفُسِ 89



- سِفْرُ الْمُلُوكِ الثَّانِي 49  
 سِفْرُ حَزَقِيَال 211  
 سِفْرُ طُونِيَا 49  
 سِفْرُ عِزْرَا 49  
 سِفْرُ مَلُوَاثَة 84  
 سِفْرُ نَحِيْمِيَا 49  
 سِفْرُ يَهُودِيَت 49  
 سُوءُ الْإِزْجِ الْمُخْتَلِفِ 267  
 سِيَرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ 23  
 سِيرَةُ الْمُعْتَصِدِ بِاللَّهِ 276  
 شَذَرَاتُ الذَّهَبِ فِي أَخْبَارٍ مِنْ ذَهَبٍ 23  
 شَرْحُ دُبُرِ وَأَنِيَا 83  
 شَرْحُ دَقَائِنِ شَيْشَلَامِ رُبَا 83  
 شَرْحُ طِرَاسَةِ دَنَاعَةِ شَيْشَلَامِ رُبَا 83  
 شَرْحُ كِتَابِ السَّمْعِ الطَّبِيعِيِّ لِجَالِيْنُوسٍ 267  
 شُرُوقُ الْمُسْتَهَامِ فِي مَعْرِفَةِ رُمُوزِ الْأَفْلَامِ 17، 131،  
 198  
 صُحُفُ الْحَرَنَانِيَّةِ 146  
 صُحُفُ هِرْمِسٍ 357  
 صِفَةُ الدُّنْيَا [خَارِطَة] 291  
 صِفَةُ كَوْنِ الْجَنِّينِ 267  
 صَلَوَاتُ الْإِنِّيَهَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ 171  
 الصَّلَوَاتُ الْكَهَنُوتِيَّةُ = الْفَلَسْتَا  
 صَوَانُ الْحِكْمَةِ 23  
 صُورَةُ الْأَرْضِ 23  
 طَبَائِعُ الْكَوَاكِبِ وَتَأْثِيرَاتِهَا 256  
 طَبَقَاتُ الْأَطْبَاءِ وَالْحُكَمَاءِ 23  
 طَبَقَاتُ الْأُمَمِ 23  
 طَرِيقُ التَّحْلِيلِ وَالتَّرْكِيبِ 265  
 الطَّرِيقُ إِلَى احْتِسَابِ الْفَضِيلَةِ 293  
 الْعَالَمُ الرَّئِيسُ الصَّغِيرُ = أَلْمَا رِيَشَارْتَا  
 الْعَالَمُ الرَّئِيسُ الْكَبِيرُ = أَلْمَا رِيَشَارُوطَة  
 عَجَبُ نَايِهِ 30  
 عِلَّةُ كَسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ 255  
 عَنَاصِرُ أَفْلَاطُونِيَّةٍ مُحَدَّثَةٍ وَغُثُوصِيَّةٍ فِي الْحَدِيثِ  
 312  
 عُنُقَاءُ مُغْرِبٍ 321  
 الْعَهْدُ الْقَدِيمُ 49  
 عَيُونُ الْأَنْبِيَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ 23  
 الْعَيُونُ وَالْحَدَاتِقُ فِي أَخْبَارِ الْحَقَائِقِ 21  
 غَايَةُ الْحَكِيمِ وَأَوَّلَى التَّيَجِّينِ بِالتَّقْدِيمِ 21، 143،  
 144  
 غُرُورُ الْبَلَاغَةِ 16، 302  
 الْفَخْرِيُّ فِي الْأَدَابِ السُّلْطَانِيَّةِ 303  
 الْفَرَقُ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَالْمُرْسَلِ 300  
 الْفَرَقُ بَيْنَ الْفِرَقِ 25  
 الْفَصْلُ فِي الْمَلَلِ وَالْأَهْوَاءِ وَالتَّحْلِيلِ 25  
 الْفِلَاحَةُ النَّبَطِيَّةُ 16، 17، 106، 318، 319  
 الْفَهْرَسْتُ 18، 90، 91، 137، 149، 151،  
 254، 255، 256، 259، 261، 262، 263،  
 266، 267، 269، 272، 345، 347  
 الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ 39، 40، 41، 43، 44، 45،  
 48، 49، 50، 51، 52، 53، 56، 58، 59،  
 60، 61، 62، 63، 64، 66، 67، 69، 70،  
 76، 93، 141، 150، 152، 170، 238،  
 247، 298، 340

- القُسْنَا 6، 29، 34، 83، 124  
 الكتابُ الكاملُ في التاريخ 22، 284  
 كتابُ أبقراط في الأهوية والمياه والبلدان 309  
 كتابُ آليات الظلال 259  
 كتابُ الأخلاق 293  
 كتابُ الأمثال 344  
 كتابُ الأنواء 291  
 كتابُ الأيامِ السَّنة 15، 64  
 كتابُ البَيَّانِ في عِلْمِ النُّجُوم؛ مع قَلِيلٍ من  
 الحواشي لِيُوحِنَّا رَجِيؤُ مَوْتَنَا نُوس 258. وانظر  
 أيضًا: الزَّيْجُ الصَّابِي.  
 كتابُ البُشْتَاء = الأَفِيْسْتَا  
 كتابُ البَصَرِ والبَصِيرَةِ في عِلْمِ العَيْنِ وعِلْمِهَا  
 ومُدَاوِيهَا 267  
 كتابُ التَّارِيخِ = تَارِيخُ ثَابِتِ بْنِ سِنَانٍ  
 كتابُ التَّاسُوعَاتِ 105  
 كتابُ الجَدْرِ والحَصْبَةِ 266  
 كتابُ الحَرَّاجِ 142  
 كتابُ الزَّمانِ 342  
 كتابُ السِّيَاسَةِ 293، 294  
 كتابُ العَرُوضِ 156  
 كتابُ القَرَسَطُونِ 261  
 كتابُ الكُرَّةِ والاسْطِيوَانَةِ 306  
 كتابُ الكَلَامِ عَلَى بَارِيعِيْنِيَّاسِ 307  
 كتابُ الكَيْمُوسِ 309  
 كتابُ المَأْخُوذَاتِ 306  
 كتابُ المَثَلِ القَائِمِ الزَّائِيَةِ 261  
 كتابُ المَجْسطِي 308  
 كتابُ المَغْطِيَّاتِ 306  
 كتابُ إِبْنَانِي 83  
 كتابُ أَوَطُولُوقُوسِ في تَحْرِيرِ الطَّلُوعَاتِ  
 والغُرُوبَاتِ 310  
 كتابُ أَوَلُوجِيْنِ 109  
 كتابُ تَذْيِيرِ الأَمْرَاضِ الحَادَّةِ 267  
 كتابُ تَذْيِيرِ الصَّحَّةِ 267  
 كتابُ سَبَبِ الخِلَافِ بَيْنَ زَيْجِ بَطْلِيمُوسِ وَبَيْنِ  
 الْمُتَمَحِّنِ 256  
 كتابُ سَمْعِ الكَيَّانِ 107  
 كتابُ شَبَانِي شَبَابِي 84  
 كتابُ عَمَلِ الدَّوَانِرِ المَرْسُومَةِ بِسَبْعِ أَقْسَامٍ مُتَسَاوِيَةٍ  
 306  
 كتابُ عَمَلِ الكُرَّةِ 261  
 كتابُ عَمَلِ شَكْلِ مُخْمَسٍ ذِي أَرْبَعِ عَشْرَةِ قَاعِدَةٍ،  
 مُخَيَّطٌ بِهِ كُرَّةٌ مَعْلُومَةٌ 261  
 كتابُ فِي المَوْسِيقَى 303  
 كتابُ فِي النُّفْسِ 293  
 كتابُ فِي الهَيْئَةِ 255  
 كتابُ فِي أَنَّ سَبِيلَ الأَثْقَالِ الَّتِي تُعَلَّقُ عَلَى عُمُودٍ  
 وَاحِدٍ مُتَفَصِّلَةٌ؛ هِيَ سَبِيلُهَا إِذَا جُعِلَتْ ثِقَلًا  
 وَاحِدًا مَبْنُوتًا فِي جَمِيعِ العُمُودِ عَلَى تَسَاوٍ 261  
 كتابُ فِي صِفَةِ اسْتِواءِ الوِزْنِ وَاختِلَافِهِ وَشَرَايِطِ  
 ذَلِكَ 262  
 كتابُ فِي طَبَائِعِ الكَوَاكِبِ وَتَأْثِيرَاتِهَا 17:1  
 كتابُ فِيهِ أَذْعِيَّةٌ وَتَزَاتِيلٌ وَطِلْسَنَاتٌ لِلآلِهَةِ الَّتِي  
 يَغْبِدهَا صَابِنَةُ حَرَّانٍ 167  
 كتابُ قِسْمَةِ الأَرْضِ 291

- كتاب قطع الأسطوانة 261  
 كتاب قطع المخروط المكافئ 262  
 كتاب قوى الأغذية 267  
 كتاب وجع المفاصل والقرص 266  
 كُتِبَ الحديث السنة 44  
 كَلِيلَة وَدُمْنَة 344  
 كُنْزُ الدُّرَرِ وَجَامِعُ الْغُرَرِ 303  
 الْكُنُزُ رُبَاً 28، 30، 32، 82، 84، 136، 212، 224، 315  
 الْمَجَسَّطِي 255، 260، 308. وانظر أيضاً:  
 تَسْهِيلُ الْمَجَسَّطِي.  
 مَجَلَّةُ الْمُتَتَفَتِّ 38  
 مَجْمُوعَاتُ نَجْعِ حَمَادِي 324  
 مَخَاضِرَاتُ الرَّاعِبِ الْأَصْفَهَانِي 303  
 مَحْصَلُ أَفْكَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ  
 وَالْحُكَمَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ 25  
 مِحْنَةُ الطَّبِيبِ 309  
 مِحْنَةُ حِسَابِ النُّجُومِ 255  
 الْمُخْتَارُ مِنْ رِسَالِ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ 10، 11.  
 وانظر أيضاً: رِسَالَةُ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِيِّ.  
 مُخْتَصَرٌ فِي عِلْمِ النُّجُومِ 256  
 الْمَخْرُوطَاتُ 305  
 الْمَدْخُلُ إِلَى الْمُنَظِقِ 293  
 الْمَدْخُلُ إِلَى كِتَابِ إِفْلِيدَسِ 261  
 مِرَاةُ الزَّمَانِ فِي تَارِيخِ الْأَعْيَانِ 22، 281، 284  
 مَرَاتِبُ الْعُلُومِ 293  
 الْمُرْبَعُ وَقَطْرُهُ 261  
 مَرُوجُ الذَّهَبِ وَمَعَادِنُ الْجَوْهَرِ 14، 17  
 مُسَاءَلَةُ الطَّبِيبِ لِلْمَرِيضِ 267  
 مَسَاحَةُ الْأَجْسَامِ الْمُكَافِئَةِ 262  
 مَسَاحَةُ الْأَشْكَالِ الْمُسَطَّحَةِ، وَسَائِرِ الْبُيُوطِ  
 وَالْأَشْكَالِ 261  
 مَسَاحَةُ الْقَطْعِ الْمُكَافِئِ 265  
 مَسَاحَةُ قِطْعِ الْخَطُوطِ 262  
 الْمَسَالِكُ وَالْمَمَالِكُ 23  
 مُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ 44  
 الْمَضْبُطَاتُ: دَرَسَاتُ فِي طَقْسِ التَّعْمِيدِ الْمُتَدَانِي 36  
 مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ 303، 345  
 مُعْجَمُ الْبِلْدَانِ 7، 24، 292  
 مَعْرِفَةُ مَطَالِعِ الْبُرُوجِ فِيمَا بَيْنَ أَزْبَاعِ الْفَلَكَ 256  
 مَقَالَاتُ أَبُو نُيُوسٍ فِي الْهَنْدَسَةِ 305  
 مَقَالَاتُ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ 19  
 الْمَقَالَاتُ فِي أَصُولِ الدِّيَانَاتِ 18  
 الْمَقَالَةُ الْأُولَى لَارِسْطُو طَالِيسٍ فِي الْفَلَسَفَةِ 307،  
 309  
 الْمَقَالَةُ الْمُخْتَارَةُ فِي الْهَنْدَسَةِ 265  
 مَقَالَةٌ فِي الصُّفْرَةِ الْعَارِضَةِ لِلْبَدَنِ، وَعَدَدُ أَصْنَافِهَا  
 وَأَسْبَابُهَا وَعِلَاجُهَا 267  
 مَقَالَةٌ فِي الْهَنْدَسَةِ الْفَنَاءِ [نَابِتُ بْنُ قُرَّةٍ لِإِسْحَاقَ  
 بْنِ بُلْبُلٍ حَاجِبِ الْمُتَنَصِّدِ 262  
 مُقَدِّمَاتُ إِفْلِيدَسِ 293  
 الْمِلَلُ وَالنَّحْلُ 25  
 الْمُتَرَعُّعُ مِنْ كِتَابِ النَّاجِي فِي اخْتِيارِ الدَّوْلَةِ الدِّيْلِمِيَّةِ  
 16، 195، 285. وانظر أيضاً: النَّاجِي فِي  
 اخْتِيارِ الدَّوْلَةِ الدِّيْلِمِيَّةِ.  
 الْمُتَنَزُّعُ فِي تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ 22، 303

مُنَشَّاتُ الصَّابِيْنَ = رسائلُ أبي إسحاق الصَّابِيْ

مَوْطَأًا مَالِكٌ ٤٤

النَّجُومُ الزَّاهِرَةُ فِي مَلُوكِ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةِ ٢٢

نُحْبَةُ الدَّهْرِ فِي عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ١٤٤، ٢١

نُزْهَةُ الْمُشْتَاكِ فِي اخْتِرَاقِ الْأَفَاقِي ٢٣

النَّسْبَةُ الْمَوْلَفَةُ ٢٦٢

النَّسْبَةُ الْمَحْدُودَةُ ٣٠٥

النَّظَرُ فِي أَمْرِ النَّفْسِ ٢٩٣

نَهَايَةُ الْأَرْبِ فِي فَنُونِ الْأَدَبِ ٣٠٣

نَهَايَةُ الْإِقْدَامِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ ٢٥

نَوَائِدُ عَفْوَطَةٍ مِنْ طُوبَيْقًا ٣٠٨

الْمَالَةُ وَقَوْسُ قَرْحٍ ٣٠٧

الْمَقَوَّاتُ النَّادِرَةُ ١٦، ١٢٦، ٢٤٣، ٢٩١

الْوَزْرَاءُ وَالْكِتَابُ ٢٩٠

وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، وَأَنْبَاءُ أَبْنَاءِ الزَّمَانِ ٢٣

الْوَقَاتُ الَّتِي فِي السُّكُونِ الَّتِي بَيْنَ حَرَكَتَيْ

الشُّرْيَانِ الْمُضَادَّتَيْنِ ٢٦٧

يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ فِي عَمَاسِ أَهْلِ الْعَصْرِ ٢٤، ٣٠٠،

٣٠٣

## كشافُ المصطلحات وألفاظ الحضارة

الأجرام العلوية = الأجرام السماوية

الإجماع ٣٢٢

الأخراز ٢٣٧

إخراقُ الطعامِ للمَوْنَى ١١٦، ٢١٦. وانظر أيضًا:

الوجهة الطَّقْسِيَّةُ لِأَزْوَاجِ الْأَسْلَافِ

أَحْكَامُ السَّبْتِ ٩١

أَخَوِيَّاتُ الرَّهْمَانِ ١٠٤

أَدُونَايَ ٩٧

الْأَرَسِيَّةُ ١٠٧

الْأَرْضَاذُ الْجَرِيَّةُ ٢٩١

أَرْضَاذُ الْكَوَاكِبِ ٢٥٦

أَرْضُ الْعَهْدِ = مَشُونِي كُشَطًا

الْأَزْوَاجُ ٢١٢، ٢١٦، ٣٥٩

الْأَزْوَاجُ الْحَارِسَةُ ٢١٠

أَذَاؤُ الثَّانِي ٢١٣

الْآلَاتُ الْمُسَطَّحَةُ ٢٥٩

أَبَاهَاتَانِ ٢٢٤

الْأَبْجَدِيَّةُ الْعِلَامِيَّةُ ٩٩

الْأَبْجَدِيَّةُ النَّبَطِيَّةُ ٩٩

الْأَبْرَاجُ الْفَلَكيَّةُ ٣٢٧

إِنْطَالُ النَّبْوَةِ ٣٣٧

أَبْوَابُ أَبَا نُرٍ ٢١٠

الْأَتَجَاهَاتُ الْعِرْقَانِيَّةُ ٣١٢

الْإِنْفَرِي ٢٠٢، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٤١

الْإِنْفَرِي الْمُوَكَّلُ بِالْأَزْوَاجِ الطَّاهِرَةِ ٢١٠

الْإِحَانَةُ ١٦٨

الْأَجْرَامُ السَّامِيَّةُ ١٧٤، ٢٠٦، ٢٥٤، ٣١٦،

٣٣٨، ٣٢٧

الأزواحُ الحثيئة ٢١٩	٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٥
أزواح السلف ٢١٩	الأفلاك العلوية ٣٣٩، ٣٣٦
الأزواحُ المُنقمة بالمرقة الإلهية ٣٥٩	الأقنية ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٦، ٢١٩
الأزواحُ غير الطاهرة ٣٣٥	الإقطاع ١٨١
أزليةُ الباري ٣٤٢	ألمبي د نهورا ٨٢، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٨
الأساطيرُ المندائية ٨٤	٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٣٢٦، ٣٥٩
الاستشراق ٣٣	إله إذ من نافشي أفريش ٨٠
أسرار الإيمان ٢٧	إلهُ الحضب ٢١١
الأسرارُ الحفنة ١٦٨	إلهُ الشمال الذي يُطيرُ النشاب ٢١٤
الأسطيرلاب ٢٥٤، ٢٦٠، ٣٠٨	الآلهة السبعة ٢١٤
الأنساء والأزواحُ الطلسمية ٢٣٧	آلهة سומר ٢١١
أنساء وصفاتُ الباري ٣٣٢	إلهي هضبوت ٤٩
الأشخاصُ الروحانية ٣٣٤	الألوهية الملقنة للكهنة ٧٧
الأشخاصُ العلوية ١١١	الإمام السابع ٣١٦
الأشراق السبعة ٢٣٦	الإمامة ١٨٨، ٣١٣، ٣١٤، ٣٥١
الأسئل ٢٤٦	الإمبراطور ٣٠٩
الاضطراك ١٤٦	الإمبراطورية الرومانية ٧٢، ١٠٣
إصلاحُ الترجمة ٣٠٥	إمرةُ الأمراء ١٧٦، ١٨٠، ٢٧٣، ٢٩٤
الأصنام ٢٣٣، ٣١٩	إمرةُ الجيش ١٨٨
الأصاحبي البشرية = القرابين البشرية	إمرةُ المؤمنين ١٣٥، ١٩١
الأعدادُ الوفاقية ٢٦٢	أنجلالُ العالم ٣٤٢
الأعطيات ١٧٢	الإنسانُ الأثيري ١١٥
الأغتيال = التعميد. وانظر أيضًا: التطهر	الإنسانُ السماوي = الإنسانُ الأثيري
الجنساني	الإنسانُ الكامل = الإنسانُ الأثيري
أفرودين مائه ٢١٧	الأنفسُ الطاهرة ٣٣٩
الأفلاطونية المُنحدثة ١٠٤، ١٠٥، ١١٢، ٢٣٩	الأنفسُ الناطقة ٣٣٨
١١٧، ٣٢٠، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٨	الأنفسُ النورانية المتفوقة ٣٣٩

أُورَانُ الْجَنِيْزَةِ ٩٦، ٩٧	التَّائِلُ الصُّوفِي ٢٦
الْأَيَّامُ الْخَمْسَةُ الْكَيِّسَةُ ٢٠٩، ٢١٢	التَّالِيْتُ الْمَسِيحِي ١٠٥
الْأَيُونَاتُ ٢٦	الْأَرَائِيَّةُ الْكَهْنُوْتِيَّةُ ٣١٥
الْبَاطِنِيَّةُ ١١، ١٢	الْأَرَاثُ الْإِغْرِيقِي = الْأَرَاثُ الْيُونَانِي
بَال ١١٤	الْأَرَاثُ الْبَابِلِي ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٨، ١١٥،
بُرْجُ الْأَسَدِ ٣٢٧	١٢٢، ٢٤٠
بُرْجُ الْجَدِّي ٣٢٧	الْأَرَاثُ الشَّرِيَانِي ٦٤، ٧٥، ١٦١
بُرْجُ الْحَمَلِ ٣٢٧	الْأَرَاثُ الْمِصْرِي ١٠٥
بُرْجُ الْحَوْتِ ٣٢٧	الْأَرَاثُ الْمَلْطِيْنِي ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢
بُرْجُ الدَّلْوِ ٣٢٧	الْأَرَاثُ الْمَلْطِيْنِي ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٩،
بُرْجُ السَّرَطَانِ ٣٢٧	١١٥، ١٣٠، ٢٣٩، ٣١٣، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤٢
بُرْجُ الْعَقْرَبِ ٢٠٧، ٣٢٧	الْأَرَمِيْدَا ٣١٥
بُرْجُ الْقَوْسِ ٣٢٧	تَسَارُعُ الْقَمَرِ ٢٥٨
الْبَرْزُخُ ٢٢٨، ٣٥٨	تَشْيِيْسُ الشَّرِّ ٢١٤
الْبُرْزَنْقَا ٢١٨	الْبَصُوْفُ ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠
الْبُرُوجُ الْاَثْنَى عَشْرَةُ ٢٣٦، ٣٢٧	التَّطَهُّرُ الْجَسَدَانِي ٨٢، ٩٦، ٩٧
الْبَعْثُ بِالْجَسَدِ = الْمَعَادُ الْجَسَدَانِي	التَّعَاوِيْذُ ١٠٩، ٣٢٦. وانظر أَيْضًا: الرُّقَى
الْبَعْثُ بِالرُّوْحِ = الْمَعَادُ الرُّوْحَانِي	تَعْطِيْلُ الصِّفَاتِ ٣٢٣
بَلَاطُ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ٢١، ٢٤، ١٦٥	التَّعْمِيْدُ ٢٧، ٢٩، ٣٦، ٨٢، ٨٣، ٨٨، ٨٩، ٩٠،
الْبَنْجَةُ ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣	٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٤٠، ٢١٠،
بَيْتُ الْمَالِ ١٢٦	٢١٢، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٣٨
بَيْتُ مَالِ الْحَرَنَانِيَّةِ ٢١٦	التَّغْيِرَاتُ الزَّمَانِيَّةُ ١٠٨
الْبِيَارِشْتَانُ ١٦٦، ١٨٤، ٢٢٢، ٢٦٨، ٢٦٩،	تَقْدِيْسُ الْكَوَاكِبِ ٣٤١
٢٧٣	تَقْدِيْسُ الْمَاءِ الْجَارِي ١٢٠
تَابُوتُ السَّرِّ ١٤٦، ٢٢٩	تَقْوِيْمُ الْإِسْكَنْدَرِ = التَّقْوِيْمُ الشَّرِيَانِي
تَاْجُ الْمُلُوكِ = شَيْكْرُكُ	التَّقْوِيْمُ الْجَوْلِيَانِي ١٣٨
التَّاعَةُ ٢١٨	التَّقْوِيْمُ الشَّرِيَانِي ١٣٨، ١٤٠، ١٤٤، ١٤٧،

حَدُّ الرَّدَّة ١٥٧	٢٨٩، ٢١٣
حَرَسُ السَّوَاتِ ٤٩	التَّقْوِيمُ السَّنِي ١٣٨، ٢٠٩، ٢١٣، ٢٥٤
الْحَرَكَاتُ الْمَكَانِيَّةُ ١٠٧	التَّقْوِيمُ الْفَارِسِي ٢٨٩
حِسَابُ جَنْبِ الثَّلَاثِ ٢٦٣، ٣٤٦، ٢٦٤	التَّقْوِيمُ الْمُنْدَانِي ٢١٠
الْحِسْبَةُ ١٥٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٩١	التَّقْوِيمُ الْمِيلَادِي ١٣٨
حَشِيشَةُ الزَّهْرَةِ = شَيْبَرَكَ	التَّقِيَّةُ ١٢٨، ٣١٣، ٣١٧، ٣٥٠
الْحَصَارَةُ الْأَشُورِيَّةُ ٩٨	التَّكَّةُ ٢١٨
الْحَصَارَةُ الْبَابِلِيَّةُ - الْفَارِسِيَّةُ ٩٦	تَمْجِيدُ الْعَقْلِ ٣١٢
الْحَصَارَةُ النَّبَطِيَّةُ ١٢٢	التَّنَاسُخُ ١٠٤، ١١٦، ١١٧، ٣٣٥، ٣٣٧
الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ ٢٠٢، ٢٢٨	تَنْزِيهِ الْبَارِي عَنْ خَلْقِ الشُّرُورِ وَالْإِتِّصَافِ بِهَا
خَاتَمَةُ الدِّيَّانِ ٢٣٦	٣٣٢
الْخِتَانُ ٢٠٢	تُورَا ٢١٠
الْخِرَاجُ ١٩١	الثَّقَافَةُ الْقَيْطِيَّةُ ٣٣١
الْخِصَاءُ ٢٠٢، ٢٠٣	الثُّوبُ الْبَيْضِيُّ ٢٩١
الْخِلَافَةُ الْأُمَوِيَّةُ = الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ	الْجَائِلِيُّ ٢٠٢، ٢٢٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٨، ٢٦٩
الْخِلَافَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ = الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ	٢٧٢
الْخِلَافَةُ الْفَاطِمِيَّةُ = الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ	الْجَرِبُ ٢٤٦
خُلُودُ الْأَرْزَاحِ ٣٤٠	الْخَزِيَّةُ ١٠٤، ١٢٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٦
خَلِيفَةُ الْوَزِيرِ ١٨٦	١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢
دَائِرَةُ الْفَلَكَ الْمَائِلِ ٢٥٩	١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢
دَائِرَةُ مُعَدَّلِ النَّهَارِ ٢٥٩	١٧٥، ١٩٩
دَارُ الْإِمَارَةِ الْبُوشَنِيَّةُ ٩	جِسْمُ الْفَلَكَ الْأَعْلَى ١٠٧
الدَّارُ الْحَيَوَانِيَّةُ ٣٥٩	الْجُسْهَانِيَّةُ ٣٥٨
دَارُ الْخِلَافَةِ ٩، ١٦	الْجُؤَيْسِسُ ٢٦
الدُّخْنُ ١١٢، ١١٣، ١١٤	الْجَوْهَرُ الْكُلِّيُّ ٣٣٦
الدَّوْهَمُ ١٩٥، ١٩٦، ٢٢٣، ٢٢٥	الْجُبُوسُ ٢٦٨
الدُّشَّةُ ٢١٨	الْحُجْجُ النَّاطِقَةُ ٣١٦

الدَّعْوَةُ الظَّاهِرَةُ ٣١٧

دَعْوَةُ الْكَوَاكِبِ ٣٤٢

دَهْقَةُ حُجَيْنَةَ ٢١٠

دَهْقَةُ دِيَّانِهِ ٢١٣

دَهْقَةُ رُبَا ٢٠٩

دَوَائِرُ الْعَرْضِ الْاِثْنَى عَشَرَ ٣٢٧

الدَّوَائِرُ الْمُتَمَامَةُ ٢٦٥

الدَّوَاوِينُ الطَّلَسِيَّةُ ٢٣٧

الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ ٣٣٢، ٣٣١

الدَّوْلَةُ الْبُيُوتِيَّةُ ١٨٠، ١٩٠

الدَّوْلَةُ الرُّومَانِيَّةُ ١٠٥

الدَّوْلَةُ الرُّحَلِيَّةُ ١٤٧

الدَّوْلَةُ السُّيُوتِيَّةُ ١٣٨

الدَّوْلَةُ الطُّوْلُونِيَّةُ ٢٩٦

الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ١٥١، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣،

٢٢٢، ٣٥٠

الدَّوْلَةُ الْفَاطِمِيَّةُ ١٨١، ٣١٤، ٣٥٠

الدِّيَّانَرُ ١٠٧، ١٧٢، ١٧٥، ١٨٤، ٢٢٢، ٢٢٣،

٢٢٥، ٣٠٤

الدِّيَّانُونَةُ ٨١، ٢٢٨

الدِّيَّانُ ١٦٠، ١٨١، ٢٢٢، ٢٢٣

دِيَّانُ الْإِنشِيَاءِ ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨،

١٩٤، ١٩٧، ٢٩٦، ٣٠١

دِيَّانُ الْجَوَالِي ١٩٩

دِيَّانُ الْحَاتِمِ ١٥٥

دِيَّانُ الرَّسَائِلِ ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧،

٢٩٨، ٣٠١

دِيَّانُ الْمَوَارِيثِ الْحُسْرِيَّةُ ١٩١، ١٩٢، ٢٤٧

دِيَّانُ الْوَزَارَةِ ٢٠

الدَّزْبُ ٢٦٩

رَنَاسَةُ الطَّائِفَةِ ١٩٧

رَأْسُ الْجَالُوتِ ٢٢٧

رَأْسُ الصَّائِينَ ٢٢٨

رَأْسُ الْكَمَرِينَ ٢١٦

رَأْسُ الْمَذْبَعِ ١٤٦

الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ٣١٦

رَبُّ الْجَنُودِ ٤٩

الرَّخَامَاتُ ٢٥٩

الرَّسَائِلُ الدِّيَّانِيَّةُ ١٨٦، ٢٩٦

رَسَائِلُ السُّلْطَانِيَّاتِ وَالْإِخْوَانِيَّاتِ ٣٠٢

رَسَائِلُ الشَّفَاعَاتِ ٢٩٧

رَسَائِلُ الْعُهُودِ وَالتَّقْلِيدَاتِ ٢٩٧، ٢٩٨

الرَّسْتَةُ ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٩، ٣٢٤

رَسْتَةُ الْعَامَّةِ ٢١٨

رَسْتَةُ الْكَاهِنِ ٢١٨

الرُّسُومُ ٢٤٠

الرَّصْدُ ١٧٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠، ٣٠٨.

وانظر أيضًا: الزَّيْجُ - أَرْصَادُ الْكَوَاكِبِ

الرُّقُومُ ١٠٩

الرُّقَى ١٠٩، ٣٢٦

الرَّهْبَةُ ٣٢٠

رِوَايَةُ الْأَخَادِ ٣٢٢

الرُّوحُ ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠

الرُّوحَانِيَّةُ ٢٦، ٨٠، ٣٢٠



شَمْبَلَتَه ٢١٢	الرُّوْحَا ٨١، ٩٧، ٢٠٤، ٢١٠، ٢٢٨، ٢٣٦
الشُّهُورُ الْقَمَرِيَّةُ ٢١٣	الرَّيْشُ أُمَهُ ٣١٥
الشُّومُ يَاوَر ٢١٨	الرَّزْدَقَةُ يَرِيحًا ٨٢، ٢٠٤، ٢١٢
الشَّيْخُ الرَّئِيسُ ١٧٥، ٢٤٨	الرَّزْمَانَةُ ١٩٦
شُيْكْرُك ١٤٦	الرَّزْمَانَةُ ١٤٨، ١٤٩، ٢١٨
صَاحِبُ دِيوَانِ الرِّسَالِ ١٨٥، ٢٦٤	الرَّزْدَقَةُ ٣١٢، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٣٥
صَبُؤُوتُ هَسْمَائِم ٤٩	الرَّزْجُ ٢٥٥، ٢٥٧
صِكُوكُ الْبُحْرِيَّةِ ١٢٠	السَّاعُور ٢٧٢، ٢٧٣
الصَّلَاةُ الْكُبْرَى ١٤٦	السَّامِيَّات ٣٤
صِنَاعَةُ الْإِنْتِشَاءِ ٢٩٦	السَّبِيُّ الْبَابِلِيُّ الْأَوَّلُ ٨٦
الصَّنْدَل ٢٧٠	السَّخَرُ الْأَشْوَدُ ٢٢٠، ٣٢٦، ٣٤١
صَنَمُ الْمَاءِ ٢١٤	سَرَطَانُهُ ٢١٢
صُوفِيًا ٣١٧	السَّطْحُ الْمُسْتَوِي ٢٦١
صِيَامُ الْكُوجِك ٢١٥	السَّغْدَانُ ٥٧
الصَّحَايَا الْحَيَوَانِيَّةُ ٢٢١	السَّمَاكُ الرَّامِحُ ٢٥٠، ٢٥١
الصَّرَبَانُ ٢٧٠	سَمْتُ الشَّنْسِ ٢٥٨
صَرِيَّةُ الرَّاسِ ١٠٤	السَّنَةُ الْخَرَجِيَّةُ ٢٩٧
صَمَانُ خَرَاكِ الْبُلْدَانِ ١٦٧، ٢٢٣	السَّنَةُ الشَّرْيَانِيَّةُ = الْبَقْوِيمُ الشَّرْيَانِي
الصَّنُّ بِالْعِلْمِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ١٠٦، ٣٣٤، ٣٥٤	السَّنَةُ الشَّمْسِيَّةُ ٢١٠، ٢١٣
الطَّابُوقُ ٢٣٠	السَّنَةُ الْقَمَرِيَّةُ ٢١٣
طِبُّ الْأَجْسَادِ ٧٧	السَّيَّارَاتُ السَّيِّعُ ١٠٨، ١٤٦
طِبُّ النَّفْسِ ٧٧	سِينُ (إِلَهُ الْقَمَرِ) ٨، ١٠٢، ١١٢، ١١٤، ١٢٨،
الطَّبَوْنَةُ ٢١٩	٢١٤
الطَّبِيعَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ ٢٢١	الشُّرُوَالُ ٢١٨
الطَّقُوسُ الرَّئِيسَةُ ١١٢، ١٦٢	الشُّرُوطُ الْعُمَرِيَّةُ ١٤٨، ١٦٠
الطُّوْقَانُ ١١٥	الشُّعُودَةُ ٣٢٦
طِينَةُ الْعَالَمِ = الْهَيُولِي	الشُّكْلُ الْقَطَاعُ ٢٦١

العصور الوسطى ١٢٠، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٦،

٢٩٧، ٣١٣

العقْط ١٢٢

العقل الأول ١٠٥، ٣٣٨

العقل الكلي ٣٣٤

العلائق ١٤٧

العِللُ الثلاث الأولى ٣٣٤

علمُ السَّياسَةِ الشرعية ٢٩٣

علمُ الطَّلَسَّات ٨٤، ٣٤١

علمُ الفلكِ والهيئة ٢٥٥

علمُ الكلام ٣٢٥، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤٢

علمُ خواصِّ الأعداد ٢٦٢

علومُ الأقدمين = علومُ الأوائل

علومُ الأوائل ١٦١، ١٦٢، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٢،

٣٤٥

العبادُ = التَّعْمِيد

العبامة ١٤٨

العنبر ١٤٦

عهدُ الأمان ١٩٧

عيدُ الاغتِسالِ الحُرَيفي ٢١٥

عيدُ الانقلابِ الشُّتوي ٢١٥، ٢١٧

عيدُ الانقلابِ الصَّيفي ٢١٥

عيدُ التَّبريك ٢١٥

عيدُ الشَّمع ٢١٦، ٢١٧

عيدُ الفِطر ٢١٧، ٢٤٨

عيدُ الكَرْمُوس ٢١٠، ٢١٥

عيدُ المَهْرَجان ٢١٧

العالمُ المادِّي ٢٦، ٨١، ٢١٩، ٢٢٤، ٣٢٠،

٣٥٨، ٣٥٤

العالمُ المُوَازي ٨١

العالمُ الثُّوراني = إلمي دَنْهُورا

العالمُ الآخر ٣٥٨

عالمُ الآتوار = إلمي دَنْهُورا

العالمُ الرُّوحاني ١٠٥، ٣٥٩

العالمُ السُّفلي ١٠٥، ٢٠٦، ٣٣٥

عالمُ الطَّهارة ٢٢٤

عالمُ الظَّلام = الرُّوحا

العبرية ٦٤

العَدَم ١٠٧، ٣٤٢

العزائمُ ودَعْوَةُ الكَوَاكِب ٣٤١

العَسَلِيَّات ١٤٨

العَشَاءُ المُبارك ٢١٩

عِشْتار (الرَّيَّة) ٢١١، ٣٢٧

العَصَا المُثَلَّثَة ١٤٦

العَصْرُ الأموي ٣٣١. وانظر أيضًا: الدولة

الأموية

العَصْرُ البُويِّي ٩، ١٨٢، ١٩٧، ٣٠٢. وانظر

أيضًا: الدولة البُويِّيَّة

العَصْرُ الحَدِيث ٢٥٧

العَصْرُ العبَّاسي ٣٠٠، ٣٠٢. وانظر أيضًا: الدولة

العبَّاسية

العَصْرُ الهَلَلِينِسِي ١٠٣، ١١٥

العَصْرُ المَسِيحِيَّة ٦٤

- عِيدُ التَّوَرُوز ٢١٧  
عِيدُ بَيْتِ الْقَصَاب ٢١٥  
عِيدُ تَمُوز ٢٤٠  
عِيدُ رَأْسِ السَّنَةِ ٣١٨  
عِيدُ صَنْمِ الزُّهْرَةِ ٢١٦  
عِيدُ صَنْمِ الْمَاءِ ١٢٩  
عِيدُ مِيلَادِ الزَّمان ٣١٨  
الْفِيَّارُ ١٤٨، ١٦٠. وانظر أيضًا: العسلية -  
العهد العمرية.  
الْفَاعُ ١٦٨  
الْفَحَار ١٤٦  
فَحْصُ كَبِدِ الْأَصْحِيَةِ ١٤٧  
الْفَرْسُخُ ١١٠  
الْفَلَسَفَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ٣٣٠  
الْفَلَسَفَةُ التُّرَاثِيَّةُ ٩٧  
الْفَلَسَفَةُ الْيُونَانِيَّةُ ٣٢٤، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢  
فَلَكُ الْمُشْتَرَى ١١٠، ٣٢٧  
فَلَكُ زُحَل ١١٤، ١٤٦، ٣٢٧  
فَلَكُ عُطَّارِد ١٠٨، ١١٤  
فَنَاءُ الْأَجْسَادِ ٣٤٠  
فَنَاءُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ٣٢٢  
الْفِيثَاغُورِيَّةُ الْمُحَدَّثَةُ ١٠٤، ١٠٦، ١١٢، ١١٧،  
٢٣٩، ٣٣٧، ٣٥٤، ٣٥٥  
الْفَيَوضَاتُ السَّاوِيَّةُ ٣٣٤، ٣٣٩  
قَابِينَ ٢٠٤  
الْقَبَاءُ ١٤٨، ١٥٦  
قَبَّةُ السَّمَاءِ ٢٦٠  
قُدَّاسُ الطَّعام ٢١٩  
قُدَّسُ الْأَقْدَاسِ ٨٩  
قُدْسِيَّةُ الرُّوحِ ٣٥٥  
قِدْمُ الْعَالَمِ وَأَزَلَّتِيَّةُ ٣٣٩  
قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ٦٦  
الْقَرَّائِنُ ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٤٦، ٢٢١،  
٢٢٢، ٢٣٦  
الْقَرَّائِنُ الْبَشَرِيَّةُ ١٤، ١٤٣، ١٤٥  
الْقَرَّائِنُ الْحَيَوَانِيَّةُ ١٢  
قُرْئُسُ ١١٤  
قَضَايَا الْجَبْرِ وَالْإِخْتِيَارِ ٣٣٢  
قَضِيَّةُ الرَّأْسِ = وَقْعَةُ الرَّأْسِ  
الْقِطْعُ النَّاقِصُ ٢٥٧  
الْقُلْنُسُورَةُ ١٤٨  
قَمِيصُ الرِّسْنَةِ ٢١٨  
قَوَاعِدُ الْوَلَايَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ١٨٨  
قُوَّةُ الْخَلْقِ ٢٦  
قُوَى الْإِخْصَابِ وَالْحَيَاةِ ٢١١  
القُوَى التُّرُوحَانِيَّةُ ٨٤  
قُوَى الشَّرِّ وَالظَّلَامِ ٢٣٦  
قُوَى الْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ ٢١١  
الْقِيَّاسُ ٣٢٢  
الْقِيَّامَةُ = الدِّينُونَةُ  
الْقِيَّامَةُ بِالْأَزْوَاجِ ٣٣٨  
قِيْنَا ٢١٢  
الْكَاثَنَاتُ الدُّنْيَا الْمُتَطَمَّةُ فِي الْأَقْدَارِ ٣٣٦  
الْكَاثَنَاتُ السَّبْعَةُ ١٦٨

- ٣٠٤، ٢٦٣، ١٣٠، ١١١، ١٠٩  
 اللغة القبطية القديمة ٩٥  
 اللغة اليونانية ٦٦، ٣٠٤  
 اللهجة الأخميمية الجنوبية ٩٦  
 اللهجة القبطية الصعيدية ٩٦  
 اللوات ١٤٦  
 اللوقاني ٨٢، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٦، ٢١٩،  
 ٢٢٩، ٣٢١  
 ليات (سيدة الآلهة) ٢٣٧  
 ما ورائيات الإذراك ٣٣٢  
 الماء الحي ٢٠٤  
 المأذون ٣١٦  
 مباحث الإلهيات ٢٢٨، ٣٣٢  
 متناول السر ٢٢١  
 مجالس العلم والكلام ٢٢٦  
 المجتهد ٣١٥، ٣١٦  
 المجسطى ٢٥٥  
 غطوطات البحر الميت = وثائق قفران  
 غطوطات نجع حمادي ٩٦  
 المدارس الفلسفية ١٠٤، ١٠٦  
 المسخنة ٨٧  
 المسيح المخلص ٩٣  
 المشكن ١٢٢، ١٢٣، ١٤٧  
 مشوي كسطا ٢٢٤، ٣٢٦  
 المصادرات ١٩٥  
 المصبطا ٣٦  
 مطالع الأبراج ٢٥٤  
 كُتب السر ٣١٦  
 كُتب الظواهر ٣١٥  
 الكتب المكتومة العليا ٣١٦  
 الكتب النفيسة ١٦٢  
 الكرة الفلكية ٢٦٠  
 كرسي الجلفقة ٢٤٨  
 كرسي رئاسة الحرنانية ٢٢٩، ١٣٧  
 كسوف الشمس ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٨  
 الكشف = نظرية الإشراف  
 الكسوف الجغرافية ٢٥٨  
 الكفر والإلحاد ٣١٣  
 كلب المودبة ٢١٦  
 الكمز ١٦٧، ٢١٤، ٢١٥  
 كهانة المرأة ٢٢٤  
 الكهنوت ٢٤٢، ٣١٥، ٣٣٩  
 الكهنوت المندائي ٣١٥  
 الكواكب السبع السيارة ٨١، ١٠٨، ١١٢،  
 ١١٣، ١١٤، ١٤٣، ١٧١، ٢٠٦، ٢٢١، ٢١٥،  
 ٢٣٦، ٣١٦، ٢٣٦، ٣٢٧، ٣٥٧، ٣٥٨  
 الكثرثرة ٣١٥  
 اللات (الرئة) ١١٣  
 لاريس ١١٤  
 اللاهوت المسيحي ٣٣٢  
 لحق القرينان ٢٢١  
 اللغة الآرامية ٦٤، ١٠٤  
 اللغة السريانية ١٤، ١٥، ١٩، ٦٦، ١٠٣، ١٠٤،

- المطرائي ٨٢  
 المتأذ الجنسي ٣٣٩، ٣٤٠  
 المتأذ الروحاني ٣٣٨، ٣٤٠  
 المعرفة اللدنية ٣٥٥  
 معرفة الله ٢٦  
 مكتبة نجع حمادي = مخطوطات نجع حمادي  
 الملايكة السبعة العظام ٨١، ٢٣٦  
 الملاك = الإنري  
 ملك النور ٢٠٤  
 ملكة الظلام = الروما  
 ملكوت السماوات ٢٠٢  
 الملائكة ٢٠٦  
 الملكة النورانية السماوية ٢١٨، ٢٢٤  
 المندل ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١  
 المندى ٨٨، ٢١٢، ٢٣٩  
 منكب القوس ٢٥٠، ٢٥١  
 مهرماه ٢١٧  
 المواد الجنسية ١٠٧  
 مواضع البروج ٢٥٩  
 الموجود الأول ٣٣٨  
 الموجودات ٣٣٨  
 الميتافيزيقا ١٠٤، ١١٧، ٣٣٢  
 نابي ١١٤  
 الناموس ٣٥١، ٣٥٦  
 النبوات ٢٤٧، ٣٣٦  
 النحسان ٣٥٧  
 النصية ٢١٨  
 نظرية الإشراف ٣٢٠، ٣٣٩  
 نظرية الأصل الشرقي ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢  
 ٩٤، ٩٨، ١٠٠، ٩٨  
 نظرية الأصل الغربي ٨٦، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨  
 ٩٩، ١٠٠  
 نظرية الطفو العام ٣٠٦  
 نظرية الفيض الإلهي ٨٠، ١٠٥، ١١٧، ٣٢٠  
 ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٥  
 نظرية قطع النسبة المحدودة ٢٦٤  
 النفس المتداني = المندل  
 النفس الكلية ٣٣٤  
 نوروز روطه ٢١٠  
 النيرين ١٠٨  
 الهيمانة ٢١٨  
 الهياكل ٢٣٦  
 هيطة ٢١٣  
 الهيكل الحرناني ١٦١، ١٦٢، ٢٣٩  
 الهولانية ٣٥٩  
 الهولي ١٠٧، ٣٥٩  
 همي ملكه دنهورا ٢٠٤  
 وثائق قمران ٣٤، ٣٥، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩

الوجبة الطقسية لأزواج الأسلاف = اللوفاني

الوصايا التأموسية ٣٥٧

الوخي السائح والطاري ٣٣٩

وقعة الرأس ١٢٨، ١٤٤، ١٥٧

الوخي الساوي ٣٣٩

الولايات الصغرى ١٨٨

الوزارة ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨،

الولايات الكبرى ١٨٨

١٩٥، ٢٥٠، ٣٠١

ولاية المعونة ١٩١

الوسائط ٦٩

يسورا ١٦٨

## كشاف الملل والفرق والمذاهب

الاعتقاد في ثنائية قوى النور والظلمة = الشنوية	اتباع الديانات التليفية ٣١٣
الاعتقاد في علم الذات الإلهية بالجزئيات ٣٤٠	اتباع الزند ٣١٢
الاعتقاد في قدرة أزواج الأنسلاف ٨٢	أديان الأمم القديمة ٧٣، ٧١
الاعتقاد في قدم العالم وأزليته ٣٤٠	الأديان السأوية ٢٣٨، ١١٥، ٨٢، ٤٠
أهل التوحيد والعدل = المعتزلة	أديان العالم القديم = أديان الأمم القديمة
أهل الذمة ١٣٦، ١٤٨، ١٩١، ٢٣٨، ٢٤٩، ٢٦٨	الإسلام ١٠٥، ٢٢٠، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٢، ١٥٤، ١٥٣، ١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٥
أهل السنة والجماعة ١٧١، ١٨١، ١٨٢، ٣١٢، ٣٢٢، ٣١٣	١٥٥، ١٥٧، ١٦١، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٨
أهل الكتاب ٤١، ٤٤، ١٣٦، ١٤١، ١٤٢، ١٧٠، ١٥٢، ١٥٠	١٩٣، ١٩٧، ١٩٩، ٢٣٨، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢
أهل المرفقة ٨٠	٢٧٣، ٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٣
أهل الملل القديمة ٧٣، ٧٤، ٧٦	٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣١
أهل الملل والأديان ٢٤٨	٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٠
البارية ٨٧، ١١٥	٣٤١، ٣٤٢، ٤٠، ٤٢، ٥٨، ٥٩، ٦٣، ٦٤
الباطنية ٨٠، ١٠٤، ٢٤٢، ٣١١، ٣١٣، ٣١٤	٦٥، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٦
٣١٧	الإسماعيلية ١٨٢، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥
البوذية ٣٢٠	٣١٦، ٣١٧، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٥
التصوف ٣٤٢	الإسماعيلية الخالصة ٣١٤
التوحيد ١٠٧، ١٠٨، ١١٧، ٣٢٩، ٣٤١	الإسماعيلية المباركية ٣١٤
التوحيد الخالص ٦٧	الآسيية ٩٦
الشنوية ٩٦، ١٢٤، ٢٣٩، ٣١٣، ٣٢٣	الآسينيون ٣٤، ٣٥، ٩٦، ٩٧
الجهمية ٣٢٢	أصحاب الديانات السأوية التوحيدية ١١٧
الحرانية = الحرثانية	أصحاب الميثاق = الآسينيون
الحرثانيون = الحرثانية	الاغترال ٣٢٢، ٣٢٤

١٥٥، ١٥١، ١٠٦، ١٠٣، ٧٥، ٧٤، ٧٣	الحرثانيات ٢١٥
الحثوفون = الحثفاء	الحرثانية ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥،
الخيفية ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٣	١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٩، ٣٦،
دعاة الإنساعيلية المتأخرون ٣٥٠	٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣،
الديانات السماوية الثلاث الكبرى ٧١، ٧٤، ٧٥،	٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٧٠،
٢٤٧	٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣،
الديانات الوثنية ٦٩	١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١،
الديانات غير التبشيرية ١٢٣	١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٧،
الديانة البابلية الأولى ٩٨	١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٦، ١٣٧، ١٤١،
الديسانية ٣١٣	١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨،
الدين القديم الحق ٢٤٧	١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥،
الدين المندائي القويم ٢٠٣	١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥،
الزرادشتية ٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٦٣،	١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣،
٧١، ٨٦، ٨٧، ١٠٨، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٦،	١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢،
١٤٩، ١٧٠، ١٨١، ٢١٧، ٢٣٩، ٢٤٨، ٣١٢،	١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧،
٣٤٩، ٣١٣	٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦،
الزنادقة ٣٢٣	٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤،
الزنادقة ١٤٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٣٥،	٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٣، ٢٣٤،
السامرة ١٥٣	٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١،
الشرك ٦٧، ٦٨	٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨،
الشيعة ١٢٣، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ٣١٢، ٣١٣،	٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٧٦، ٢٧٧، ٣٠١،
٣٥١، ٣٥٠، ٣٤٩، ٣٢٤	٣١١، ٣١٣، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٣،
الشيعة الإمامية ١٨٢، ٣١٣	٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣،
الشيعة الزيدية ١٨٠، ١٨٢، ١٩٥، ٣٥٠،	٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠،
الصابئات ١٥٠	٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥،
الصابئة ٥، ٦، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٧،	٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠،
١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦،	الحثفاء ٢٥، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢،



صَابُنَةُ الْبَطَائِحِ ٨٠، ٩٠، ٩٢، ١٥٢، ٢٠٣، ٣٦٠، ٣٥٩، ٣٥٨	٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٩، ١١١، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٧
صَابُنَةُ الْبَطَائِحِ ٨٠، ٩٠، ٩٢، ١٥٢، ٢٠٣، ٣٦٠، ٣٥٩، ٣٥٨	
صَابُنَةُ الْحَنَاءِ ٧٤	
صَابُنَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٢٩، ٢٩	
صَابُنَةُ الْمُشْرُكُونَ ٧٥، ٧٤	
صَابُنَةُ الْمُنْدَائِيَّةِ = الْمُنْدَائِيَّةِ	
صَابُنَةُ الْمُوَحِّدُونَ ٧٥	
صَابُنَةُ حَرَّانَ = الْحَرْنَانِيَّةِ	
صَابُونُ = الصَّابُنَةُ	
صَابُونِيَّاتِ ٧، ١٣، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٤٠، ٣٥٣، ٣٤٠، ٣٣٩، ٣٢١، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٥٩	
صَابُونُ = الصَّابُنَةُ	
الصُّبَاةُ = الصَّابُنَةُ	
الصُّبَّةُ = الصَّابُنَةُ	
الصُّبُوءَةُ = الصَّابُنَةُ	
الصُّوفِيَّةُ ٣١٢، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٩، ٣٢٢	
الطَّبَائِعِيُّونَ ١١٧	
الطَّوَائِفُ الْغُرُوصِيَّةُ ٨٠، ٩٥	
عِبَادَةُ الْأَضْنَامِ ٦٧	
الْعِبَادَةُ الْإِلَهِيَّةُ ٣٥٦	
عِبَادَةُ الشَّمْسِ ١١٣	
عِبَادَةُ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ ٤٠، ٤٨، ١٠٤، ١٠٨، ٣٢٣، ١٧٠، ١٥٢، ١١٧، ١١٢	
عِبَادَةُ الْمَلَائِكَةِ ١٣٧	
عَبْدَةُ الْأَضْنَامِ وَالْأَوْثَانِ ١٤٩، ٧٤	

عَبْدَةُ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ ٤٠، ٧٤، ١٠٤، ١٠٨،

١١٢، ٢٠٠، ٢٥٠، ٣٥٦، ٣٦٠،

الْعِرْقَانِيُّونَ ٨٠

الْعَلَوِيُّونَ ٢٨٥، ٣٤٧

الْعُلَاةُ ٣٢١، ٣٢٤

عُلَاةُ الْجَزِيرَةِ ٣٢٢

عُلَاةُ الشَّيْطَةِ ٢٨

الْغَنُوصِيَّةُ ٣١، ٣٦، ٦٩، ٧٢، ٨٠، ٨١، ٨٩،

٩٠، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١١١، ٢٤٠، ٢٤٢،

٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٣٢، ٣٥٥،

٣٥٦

الْغَنُوصِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ٣١٢

الْغَنُوصِيُّونَ ٦، ٢٦، ٣١، ٧٢، ٩٦، ١٠٥، ٣١٣،

الْغِيَاغُورِيُّونَ ٣٥٤

الْقَائِلُونَ بِالْأَشْخَاصِ ٧٤

الْقَائِلُونَ بِالتَّوْحِيدِ وَابْتِغَاءُ ٧٦

الْقَائِلُونَ بِالْهَيْكَلِ ٧٤

الْقَائِلُونَ بِنَفْيِ الْإِسْطِطَاعَاتِ ٣٢٢

الْقَرَامِطَةُ ١٨٥، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٥، ٣١٤،

٣١٦، ٣١٧، ٣٥٠

الْكَلْدَانُ ١٠٣

اللَّاعَانِيَيْنِ بِالْحِسَابِ الْأُخْرَوِيِّ ٣١٣

الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ٧٦

الْمُؤْمِنُونَ بِقُدْرَةِ الْبَرَاءَا عَلَى خَلْقِ الْأَفْعَالِ

وَالْإِسْطِطَاعَاتِ ٣٢٢، ٣٣٢، ٣٤٠

الْمُؤْمِنُونَ بِنَفْيِ الشَّرِّ عَنِ الْبَارِي ٣٢٣

الْمَانَوِيَّةُ ٨٦، ٩١، ١٤٤، ٢٠٣، ٢١٣، ٣١٣،

٣٢٢، ٣٢٤، ٣٤٩

الْمَيْقَصَةُ ٣٢٤

الْمُتَصَوِّفَةُ ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢١

الْمُتَعَمِّدُونَ ٣٢٤

مُتَكَلِّمُ الْمُتَعَزِّلَةِ ٣٤٨

الْمُتَسَكِّنُونَ بِالتَّأْوِيلِ ٣١٢

الْمُجُوسُ = الزَّرَادَشْتِيَّةُ

مُجُوسٍ هَجَرَ ١٣٦

الْمُحْبِرُونَ لِلشَّرِّ وَالتَّخْلِي ٣١٨

الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ السَّنِيَّةُ ١٧٣

الْمَرْقُورِيَّةُ ٣١٣

الْمَزْدَكِيَّةُ ٨٧، ٢٣٩، ٣١٣

الْمُسَبَّةُ ٣١٦، ٣٥٠

الْمُسْلِمُونَ ٦، ٩، ١٣، ١٤، ١٧، ٢٥، ٤٠، ٤١،

٤٢، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٤، ٦٧،

٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٠، ٨٣،

٨٦، ٩٣، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١١٥،

١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٧، ١٤١، ١٤٥، ١٤٨،

١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧،

١٦٩، ١٨٠، ١٨١، ١٩١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣،

٢٣٠، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٧، ٣١٢، ٣٣٢، ٣٣٣،

٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٨٩، ٢٨٤،

٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٣،

٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٥٣،

٣٦٠

الْمَسِيحِيَّةُ = النَّصْرَانِيَّةُ

الْمَسِيحِيَّةُ - الْيَهُودِيَّةُ الْأُولَى ٢٦، ٢٧، ٣٥، ٨٢،

٩٥. وانظر أيضًا: النصرانية.

المسيحيون = النصارى

المُشْرِكُون ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٦٠،

٦٩، ٧٠، ٧٥،

المُعْتَرِلة ٣٢٢، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٤٨

الْمُعْتَدِثُونَ ٣٢٤

الْمُنْجِلَةُ ١٨، ٨٠، ٩٠، ٩٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٤١،

١٥٢، ٢٠٣، ٢٣٨، ٣٢٤

مُقَدِّمُو الْقَرَايِينِ وَالذُّخْنِ ١١٢

الْمِلَلُ الْكِتَابِيَّةُ ٧٣

الْمَنَادِي = الْمُتَدَائِرُونَ

الْمَنَادِيَا = الْمُتَدَائِرُونَ

الْمَنَادِيَّاتُ ٢٣٤، ٢٤٢

الْمَنَادِيَّةُ ٦، ٧، ٨، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢،

٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٢٧، ٤٠، ٥٠، ٥٢، ٥٤،

٥٥، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٤، ٧٠، ٧٧، ٨٠، ٨١،

٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠،

٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩،

١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠،

١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥،

٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٨،

٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٣١٣، ٣١٤،

٣١٥، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٦،

الْمَنَادِيُّونَ ٦، ٧، ٨، ١٢، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩،

٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢،

٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٨،

٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٨،

٥٩، ٦٢، ٦٤، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣،

٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤،

٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١١٦، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٤١، ١٥٢،

١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٤١، ١٥٢،

١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩،

٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩،

٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠،

٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١،

٢٤٢، ٢٤٣، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧،

٣٢٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣١٧، ٣٢٦،

٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٥٩

الْمَنَادِيُّونَ الْأَوَائِلُ ١٢٠

الْمَنَادِي = الْمُتَدَائِرُونَ

الْمَنَادِي = الْمُتَدَائِرُونَ

الْمُنْتَحِرُونَ عَلَى الْأَدْيَانِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ ٣٦٠

الْمُرْحَدُونَ ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦،

النَّاصُورَانِي ٢٨، ٢٣٥، ٢٤٣

النَّاصُورَانِي الْأَوَائِلُ ٩٣، ٢٣٥، ٢٤٣

النَّاصُورَانَا ٢٨

النَّاصُورَانِيَّينَ = النَّاصُورَانِي

النَّسَاطِرَةُ ١٨، ١٧١، ١٤٣، ٢٤٨، ٢٤٩

النَّسْطُورِيَّةُ ٢٠، ٨٧، ٣٣٢

النَّصَارَى ١٣، ١٤، ١٨، ١٩، ٢٦، ٤١، ٤٥،

٤٧، ٦٣، ٧٤، ٧٦، ٨٣، ١٠٣، ١٠٤، ١٢٨،

١٣٦، ١٤١، ١٤٢، ١٤٠، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩،

١٧٠، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٣٠، ٢٤٩،

٢٦٨، ٢٦٩، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٣٢،

الوثنيّة ١٣، ٧٣، ٧٥، ١٥١، ١٤٤، ١٤٥، ١٨٠،

٣٣٣، ٣٣٢، ٣٣١

الوثنيّة القديمة ١١٧، ٢٣٩

الوثنيون ٧٣، ١٠٣، ١٠٤، ١١٠، ٢٣٨، ٢٥٠،

الوحدانيّة المطلقة ٣٤٠

اليهود ٢٧، ٣٤، ٣٥، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٦٣،

١٤٢، ١٣٦، ١٢٣، ٩٢، ٩١، ٨٦، ٨٥، ٧٦،

١٤٧، ١٤٩، ١٧٠، ١٩٩، ٢١٤، ٢٣٠، ٢٣٥،

اليهوديّة ٤٩، ٥١، ٥٤، ٦٨، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٨٢،

٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٦،

٩٧، ١٠٤، ١١٥، ١٢٨، ٢٢٠، ٢٤٩،

اليهوديّة الأصوليّة ٩١

اليهوطيني = اليهود

اليوحناسيّة = المندائيون

النصارى الشريان ١٣، ١٤، ١٩، ١٠٣، ١٧١،

١٢٨، ٣٣٢، ٣٣٠، ٣٣١

نصارى تغلب ١٥٤

النصرانيّة ١٣، ٢٠، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٥،

٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٢،

٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٨،

١٢٩، ١٤٥، ١٥٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٨،

٢٢٠، ٢٢٢، ٢٣٨، ٢٤٨، ٣١٣، ٣٢٣، ٣٣٢،

٣٤٩

النصيريون ٢٨

النظاميّة ٣٢٣، ٣٢٢

المزطقة ٨١

الميرسيّة ١٠١، ١١٥، ٣١٢، ٣٥٦، ٣٦٠،

الميرسيّة الصابيّة ٣٣٦

## كشاف الشعوب والقبائل والجماعات

١٨٩، ١٨٣

آل قرّة ١٣٠، ١٣١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٣،

١٨٩

آل قيطران ١٥٧

آل موسى بن شاكر = بنو موسى بن شاكر

آل هرقليس ١٣٨

الأئمة ٤٧، ٣١٦

الأئمة الزيدية ١٨٢

الاباطرة الرومان ١٠٤

الآباء ٢٧٦

آباء أبي الحسن بن سنان ٢٧٢

آباء الكنيسة ٩٦، ١٠٤

الآثاريون ١٩٩، ٢٣٦، ٢٤٤

الآراميون ٨٦

آل أبلوط ١٥٧

آل أبي إسحاق الصّابي ١٨٧

آل المنجم ٣٠٤

آل زهرون ١٢٩، ١٣٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦،

الأشرف ١٩٨	الأبالسة ١٦٧
الأصحَاء ٣٦٠	الأبرار ٣١٨، ٢٢٨، ٨١
أصحاب الرأس ١٥٣، ١٤٩، ١٤٣	الأنبياء ١٤٦
أصحاب السلطان ١٥٠	أبناء الأخيرة ٣٥٨
أصحاب الشافعي ٢٠٠	أبناء موسى بن شاكر = بنو موسى بن شاكر
أصحاب الصفة ٣١٧	الأنراك ٧٢، ٧٤، ١٨١، ٢٩٧
أصحاب التواحي ٢٩٧	الأنقياء ٢١٣
أصحاب نظرية الإشراق ٣٣٩	الأجداد ٢٧٦
الأصوليون ٣١٢	أجداد أبي الحسن بن سنان ٢٧٢
الأطباء ١٦٦، ١٨٣، ٢٢٢، ٢٤٤، ٢٦٦، ٢٦٨	أجداد البويهيين ١٨٠
٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣	الأجباء ٣١٩
الأطفال ٢٠٥، ٢٠٩	أحفاد زهرون الصابغ ٢٤١
الأطهار ٣٢٦	الأخياء ٢١٩، ٣٢٠
الأعداء ٢٠٧	الإخوان الأبرار الرُحماء = إخوان الصفا
الأعلام ٢٨٩، ٢٩٠	إخوان الصفا وخلان الوفا ٢١٥، ٢٢١، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩
الأعيان ١٦٥، ١٩٣، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩١	٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦
الإغريق ٧٤، ٧٥، ٧١، ٧٣، ١٠٨، ٢٧٦، ٢٦٦	٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠
٢٧٦	الإخوان الفضلاء الكرام ٣٥١، ٣٥٥
الأغنيار ١٢، ٣١، ٨٠، ١٤١، ١٧١، ٢٤٢	الأخيار ٣٥١، ٣٥٥
٣١٤، ٣١٦	الأدباء ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣
الأقرباء ١٦٧	أزتاب الحركات ٣١٣
الأقليات الدينية ١٢٠، ١٨١	الأنسرى الرومان ٣٣١
الأقوام ٢٤٣	الأنسلاف ٢٢٤
الأكيرة ٣١٨	أنسلاف أبي إسحاق الصابغ ٢٩٦
الأمراء ١٤٨	أنسلاف أبي الحسن بن سنان ٢٧٢
أمراء بني بويه ١٨٠، ١٨١، ١٩٤	الأنشاعرة ٣٤٧
أمراء بني حمدان ٣٥٠	

أَهْلُ الشَّيْءِ ٨٤	الْأُمَمُ ٢١٦، ١٥١
أَهْلُ الصَّيْنِ ٧٢، ٧٤	الْأُمَمُ السَّامِيَّةُ الْقَدِيمَةُ ٢١٨، ٧٢
أَهْلُ الْعَدْلِ وَأَبْنَاءُ الْحَمْدِ = إِخْوَانُ الصِّفَا	الْأُمَمَاتُ ٢٢٥
أَهْلُ الْعِرَاقِ ٧١	الْأُمُورُ ١٣٧
أَهْلُ الْعِلْمِ ١٩٨، ٢٦٤	الْإِنْفَاتُ ٢٢٥، ٢٠٩، ٢٠٧
أَهْلُ الْكَلَامِ ٣٢٥	الْإِتْبَاطُ ١١٣
أَهْلُ الْمَدِينَةِ ١٩٨	الْأَنْبِيَاءُ ٨٢، ٢٤٧، ٣٢٠، ٣٣٦، ٣٥٦، ٣٥٩
أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ ٦	٣٦٠
أَهْلُ النَّارِ ٧٦، ٣٢٢	أَنْصَارُ نَظَرِيَّةِ الْأَصْلِ الشَّرْقِيِّ ٩٣
أَهْلُ الْمُنْدِ ٧٤	أَنْصَارُ نَظَرِيَّةِ الْأَصْلِ الْغَرْبِيِّ ١٢٠
أَهْلُ دِمَشْقَ ١٩٩	أَنْقِيَاءُ الرُّوحِ ٢٦
أَهْلُ سَبَا ٢٨	الْأَهْلُ ٢٤٤
الْأَوْلَادُ ١٦٢	أَهْلُ الْأَدْيَانِ ٨٣، ١٤٩، ١٩٩
أَوْلَادُ السَّقَلَةِ ١٠٦، ٣٥٤	أَهْلُ الْإِسْلَامِ ١٧٩
أَوَّلُو الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّصَرُّفِ ٣٥١، ٣٥٥	أَهْلُ التَّأْوِيلِ ٤٧
أَوَّلُو الْقُوَّةِ ٢٠١	أَهْلُ الْجَنَّةِ ٣٢٢
الْأَوَّلِيَاءُ ٢٠٧	أَهْلُ الْجَهْلِ ٣٣٤
الْأَيَّامُ ٢٤٠	أَهْلُ الْخَضَارَاتِ الْقَدِيمَةِ ٧٧
الْأَيْدِي الْعَامِلَةُ ٢٠٨	أَهْلُ الدِّينِ ٢٤٠
الْبَابِلِيُّونَ ٢٧، ٧٥، ٨٧، ٩٥، ١٠٠، ١٠٤	أَهْلُ الذَّمَّةِ ٤٠، ٦٤، ٧٢، ٨٣، ٩٣، ١٠٦، ١٢٧
١٢٠، ١٥١، ٢١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٨، ٣٢٤	١٣٥، ١٣٦، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩
٣٤٤، ٣٤٧	١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٦، ١٧٢، ١٧٣
الْبَاحِثُونَ ٤٠، ٤١، ٤٣، ٥٢، ٥٧، ٥٨، ٥٩	١٧٥، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١
٦٠، ٦١، ٨٣، ٩٩، ١٦٤، ٢٣٤، ٣٠٤، ٣١٢	١٩٩، ٢٠٠، ٢٢٢، ٢٣٨
٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٧	أَهْلُ الرَّأْيِ ٣٢٥
٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٥	أَهْلُ الرُّمَاهُ ٣٣٢
الْبَاحِثُونَ الْعَرَبُ ٣٣، ٣٨	أَهْلُ الشَّرَائِعِ ١١٦، ٢٠١

البازئون المعاصرون ٣٣٧، ٦٥	البيزنطيون ١٤٥
الباشيون ٨٧	التابعون ٧٠، ٤٥، ٤٤
البارعون ٢٦٤	التاركون للتجارات والصنائع ٣١٨
البدر ١٩٨، ٣٤	تجار الآثار ٩٥
البرايمكة ١٤٤	تجار العاديات ٣٤
البرغاليون ٢٥٨، ٢٦	الترك ١٩٢، ١٩٣
البريديون ١٧٦	تلاميذ ماني ٣٢٤
البشر ٣٢٣، ٣٢١، ٣١٦، ٨٢	تلاميذ يوحنا المعمدان ٩٨
البطارقة ٨١	الثقات ٢٣٩
البطالة ٣١٠	الشملة الضعيفة ١١٩
البعادة ٢٧٢	الثوار العلويون ١٨١
بقايا النبط ١٩٨	جباة الخراج ١٨١
البلاء ٢٩٦، ٢٩٥	جحافل هولاء ١٩٩
البسات ٢٢٤	الجغرافيون ٢٩١، ١٨٠، ١٢٢، ١٠٢، ٧٩
بنو أبلاط ١٥١	الجغرافيون المسلمون ١٢٠
بنو إسرائيل ٢١٢، ٩٧، ٨٥	الجماعات الآرامية ١٠٠
بنو البوغداريين ١٦٨، ١٦٧	الجماعات اليهودية ٨٦
بنو العباس = العباسيون	جُهور القوام ٣٥٤
بنو بويه = البويهيون	جموع الجند ٤٩
بنو قيطران ١٥١	الحن ٢١٩
بنو موسى بن شاكر النجم ٣٠٥، ١٦٣، ١٦٢	الجند ١٧٧، ١٧٢
٣٩١	جُند السماء ٤٩
بنو نعيم ١٩٩، ١٩٨، ١٣١	الجواري ٢٠٤
بنو هرقليس ١٤٠، ١٣٨	جيوش الإمام الداعي إلى الحق المهدي لدين الله
البويهيون ٨٢، ١٥٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣	الزبدى ١٨٢
١٨٩، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٥، ٢٦٩، ٢٨٥	حذائق الترجمة ٣٠٥
٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٤٧، ٣٥٠	الحرائية ٣١١، ١١١

الحُرُم ١٩١، ٢٠٧، ٢٢٥	الدَّيْلَم ١٨٠، ١٨١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ٢٨٥،
حَسَوِيَّةُ الْفَلَّاسِقَةِ ١٠٩	٢٨٦
الحُكَّام ١١٣	ذُبْيَان ٢٥٠
حُكَّامُ بَنِي بُوَيْه ١٨٢	الدُّكُور ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩
الحُكَّام ٣٥١، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠	ذَوُ السُّلْطَان ٣٥١، ٣٥٤، ٣٥٥
حُكَّامُ الْحَرَنَانِيَّةِ ١١٢، ٢٢١	ذَوُ الْكَثْرَةِ ٢٠١
حُكَّامُ الطَّائِفَةِ ١١٢	الرُّؤَسَاء ١٨٤
حُكَّامُ الْيُونَانِ ١١٢، ٣٣٠	رُؤَسَاءُ الْحَرَنَانِيَّةِ ١٣٦، ١٥٤
حَلِيفُ الرُّوْحَةِ ٨٥	الرُّؤَسَاءُ الدِّينِيِّينَ ١٥٢، ٢٤٧
الْحَمْدَانِيُّونَ ١٧٦، ١٧٧، ١٨١، ١٩٢، ١٩٠،	رُؤَسَاءُ الصَّابِغِينَ ١٣٧
١٩٤، ١٩٢	رُؤَسَاءُ الْقَوْمِ ١٢٥
الْحَوَارِيُّونَ ٨٥	الرَّاهِبَات ١٠٤
الْحَارِجِيُّونَ ٣٠٢	الرَّجَالُ ١٤٦، ١٦٧، ١٧٥، ٢٠٢، ٢١٣، ٢١٤،
الْحَالَات ٢٢٥	٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣١
الْخِصْيَان ٢٠٢	رَجَالُ الْإِكْلِيْرُوسِ ١٠٤
الْخِلْفَاءُ ١٥، ١٢٦، ١٣٨، ١٥١، ١٥٩، ١٦٠،	رَجَالُ الدِّينِ ٢٨، ٣١، ١٢٧، ١٧٠، ١٧٢،
١٦٥، ١٦٦، ٢٠٢، ٢٢٣، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٠،	٢٠٢، ٢٠٣، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢،
٣٤٧	٢٤٣
خُلَفَاءُ اللَّهِ ٣٥٨	الرَّحَالَةُ ٢٨، ٢٩، ٣٣
خُلَفَاءُ بَنِي الْعَبَّاسِ ١٧٩، ٣١٣، ٣٢٣، ٣٥٠	الرَّحَالَةُ الْأَوْرَبِيُّونَ ٢٢٢
خُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةٍ ١٥٦، ٣٢٢، ٣٣٢	رُعَاءُ الشَّاةِ ٣٤
الْحَوَاصُّ ١١٢	الرَّعَايَا ٢١٧
دَارِسُو الطَّبِّ ٢٦٦	الرَّعْفَانُونَ ١٦٧
الدَّارِسُونَ ٢٣٦	الرَّغْنُ ١٦٧
الدُّعَاءُ الْإِسْأَاعِيلِيُّونَ ٣١٥	الرَّعِيَّةُ ٢٩٤
الدُّعَاءُ الْعَلَوِيُّونَ ٢٨٦	الرَّعِيَّةُ الْمَرْوُوسَةُ ١٨٩
الدُّعَاءُ الْعَلَوِيُّونَ الزَّيْدِيَّةُ ١٨٢	الرَّهْبَانُ الْآتَقِيَاءُ ١٠٤



الشَّيَاطِينُ ٢٣٧	الرُّوَاةُ ٣٨، ١٥٢، ٢٨٠
شَّيَاطِينُ الْجَحِيمِ السُّفْلِي ٢١١	رَوَادُ الْفَلَسَفَةِ الْأَوَائِلِ ٢٩٣
الشَّيْعَةُ الدَّلِيلُ ١٨٠	الرُّوحَانِيُّونَ ١٠٧، ٣٢٦
شَيْخُ الطَّائِفَةِ ٢٤٧	الرُّومُ ٧١، ٢١٨، ٢٣٩
الصَّبِيَّانُ ٦٥، ٢٢٠	الرُّومَانُ ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ١٠٨، ٣٣١
الصَّحَابَةُ ٤١، ٤٢، ٤٤	الرِّيَاضِيُّونَ ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥
الصَّدُورُ ٢٧٥	الرَّائِعُونَ ٦٧، ٦٩، ٧٤، ٧٥
الصَّغَارُ ٢١٣	رُزْقُ الْعِيُونِ ٢١٨
الصَّفْوَةُ ٢٢٢، ٢٢٣	الرُّعَمَاءُ التَّقْلِيدِيُّونَ ١٨٣
الصَّقَالِيَةُ ٧٢	الرُّهَادُ ٣١٨، ٣٢٠
الصَّيَادُونَ ٢٦٨	الرُّهَادُ الْحَرَنَانِيَّةُ ٣١٨
الصَّالِرُونَ ٦٧، ٧٥	السَّيُّونَ ٢٧، ٢٨
صَامَتُ الضِّيَاعِ ١٨١، ٢٢٧	السَّدَنَةُ ١١١
الضُّعَفَاءُ ٢٤٠	السَّرِيَّانُ ١٣، ١٤، ١٩، ٦٦، ٦٧، ٧١، ٧٤
الطَّبَائِعِيُّونَ ٣٥٤	١٤٣، ١٤٤، ١٤٥
الطَّرَائِفُ ١٢٠، ١٨٠، ١٨١	السُّكَّانُ ١٢١، ١٢٢، ١٢٧
العَامَّةُ ٢٣، ٢٨، ١١٢، ١٦٠، ١٧٢، ١٨٩	سُكَّانُ الْأَصْقَاعِ ٧٢
٢١٨، ٢٤٢، ٢٦٩، ٣١٥، ٣٢٠	سُكَّانُ الْمُدُنِ ١٢٢
عَامَةُ الْمُنْدَائِينَ ١٩٩	سُكَّانُ أَهْوَالِ الْجَنُوبِ ٢٠٠
الْعَامِلُونَ بِالذِّبْيَانِ ٢٢٧	السَّلَفُ ٢١٩
الْعَبَادُ ٣١٨	السَّيِّئُونَ ١٥١
الْعَبَاسِيُّونَ ١٤٠، ١٧٢، ٣٤٧	السُّورَانِيُّونَ ٧١
الْعَبِيدُ ٢٠٥	السُّورِيُّونَ ٣٤
الْعَجَمُ ١٢٧، ١٣٦، ١٤٨	السُّومَرِيُّونَ ٢٧، ٢١١
الْعَرَبُ ٤٢، ٥٠، ٥٥، ٥٨، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧	الشَّخَصِيَّاتُ الْعَامَّةُ ٢٩٠
٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ١٢٤، ١٢٥	الشُّعْرَاءُ ٣٠٠، ٣٠٢، ٣١٣
٢١٨، ٢٣٠، ٣٠٥، ٣٠٨	الشُّعُوبُ الْهِنْدُو-أُورُويَّةُ ١٨٠

العرب الفاتحون ٢٣٦

العلويون ٢٢٧

عرب شبه الجزيرة ١١٣

العَمَّات ٢٢٥

العُشَّاق ٢٩٥

عَمَّال التُّوكُل ١٦٠

العَفْطِيُّونَ ١٢٢

العَوام ٢٥٩، ١١٢

العُقلاء ٣٥١، ٣١٨

العُرَبَاء ٢٤٠

الْعُلَمَاء ١٦، ٣٦، ٦٥، ٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٨٤،

عَلَاءُ التَّصَوُّفِ ٣٢١

٩٩، ٩٦، ١٣٠، ١٣٧، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨،

الْغِلْمَان ١٦٧، ١٦٨، ٢٠٥،

١٧١، ١٧٢، ١٧٥، ١٨٣، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٢٠،

غِلْمَانُ أَبِي الْخَطَّابِ الصَّابِغِ ٢٢٣

٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٧٦، ٢٧٨،

الْفَاتِحُونَ ٢٣٦

٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٣، ٣٠٤،

فَاحِصُوا أَحْشَاءَ الْحَيَوَانَاتِ ١٤٧

٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣،

الْفُرْس ٧١، ٨٦، ٨٧، ١٠٥، ٢٤٣، ٣٣١،

٣١٦، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٥،

فُرسَانُ الْبَلَاغَةِ ٢٨٧

الْعُلَمَاءُ الْأَجَانِبُ ٩٥

الْفِرَق ١٨٦

الْعُلَمَاءُ الْأَمْرِيكِيُّونَ ٣٥

فُسَادُ الْعَالَمِ وَخُرَابُهُ ١٠٦، ٣٥٤،

عُلَمَاءُ الْجُغْرَافِيَا ٢٩١

الْفُقَرَاء ١٤٢، ٢١٠، ٢٦٨،

عُلَمَاءُ الْحَدِيثِ ٤١

الْفُقَهَاء ١٠، ٤٠، ١٢٦، ١٤١، ١٤٨، ١٥١،

عُلَمَاءُ الْحَرَنَانِيَّةِ ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٦، ٢٧١،

١٥٤، ١٥٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣،

٢٧٢

١٨٨، ١٩١، ٣٤٢،

عُلَمَاءُ السَّامِيَّاتِ ٤٣، ٩٩،

فُقَهَاءُ الْحَقِيقَةِ ١٥٤

عُلَمَاءُ السُّنَّةِ ٣٢١، ٣٣٩،

فُقَهَاءُ الشَّافِعِيَّةِ ١٦٩، ١٥٤،

عُلَمَاءُ الْعَرَبِ ٢٥٧

فُقَهَاءُ الْمَالِكِيَّةِ ١٥٤

عُلَمَاءُ الْفَلَكَ ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٨،

فُقَهَاءُ الْمُسْلِمِينَ ١٤١، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٥٥،

عُلَمَاءُ اللَّغَةِ ٤١، ٦٦،

١٥٧

عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ ١٧، ٤٨، ١١٥، ١٢٦، ١٧١،

الْفَلَاحُونَ ١٢٢، ٢٦٨، ٣١٨،

٣٣٢، ٣٣٣،

الْفَلَاسِيفَةُ ٧٤، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٩، ١١٢، ١١٣،

عُلَمَاءُ بَنْدَادِ ٢٢٧

٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩،

عُلَمَاءُ بَيْتِ الْحِكْمَةِ ٢٥٧، ٢٦٠،

٣٤٠، ٣٤١،

الفلاسیفة الأفلاطونیون المحدثون ٣٣٥	الکتاب المسلمون ١٥
الفلاسیفة الاتندلیسیون ٣٤٨	کتاب النصرانية ١١٥
الفلاسیفة الحکماء ٣٥٦	الکحّالون ٢٧٢
الفلاسیفة الطبائعون ١٠٧	الکسدان ٧١
الفلاسیفة المسلمون ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٨	الکسیحون ٨٥
٣٤٥	الکلدان ٦٤، ٧١، ١٥١
فلاسیفة یونان العظماء ٢٩٣	الکُهان ٨٤، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ١٢٤، ١٣١، ١٤٢،
الفلکیون ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩	١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٠، ٢١٦،
القائلون باعتقادات الصّابة ٣٤٢	٢١٨، ٢٢١، ٢٢٩، ٢٤١، ٢٤٣،
القائلون بالنفس والعقل ٣٢٥	الکهنه المتدائسون ٣١٥
القائلون بنظرية الأرض الغربي ٩٤	کهنه الهيكل بحرّان ٢٢٢
القادة ٣٥١، ٣٥٥	اللغويون ٤٢، ٤٣، ٦٥، ٣٠٢
القبائل العربيّة ٦٩	المورخون ٧، ١٥٢، ٢٧٧، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤،
قبط مضر ٧٢	٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٧، ٣٠٠،
قتلى عبس ٢٥٠	المورخون المعاصرون ١٨٣، ٢٨٦،
القديماء ٢٥٦، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣٢٧	المؤلفون ٣٤٨
قرنيس ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥٩، ٦٠، ٦٥، ٦٩	المؤمنون ٣١٤
القساوسة ٩٥	المائلون ٦٩، ٧٤، ٧٥
قوى الشر والظلام ٢١٠	الماجنون ٣١٣
الکائنات التوراتية ٢٠٢، ٣٢٦	المارقون ١١٦، ١٣١
الکاهنات المتدائيات ٢٢٤	المبشرون ٢٦، ٢٧
کبار السن ٢٠٣	المتأخرون ٢٩٧
کیار الملائكة التوراتيون ٣٢١	المتأهون ٣٥٦
الکتاب ١٥٢، ١٨١، ١٨٤، ٢٢٢، ٢٢٧، ٣٠٠،	المتبطلون عن الأعمال ٣١٨
٣٠١، ٣١٣	المتخصصون ٢٠٩، ٣٠٤
کتاب الدواوين ٢٨٠، ٢٨٣	المترجون ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٨
الکتاب الشريان ٢٣٨	المترجون الشريان ١٦٧

الْمُرِيدُونَ ذَوُو الصَّنَاعِ ٣٥٥	الْمُرُوجُونَ ٢٠٣
الْمُزَارِعُونَ ١٤٢	الْمُتَشَدُّونَ ١٧٢
الْمَسَاجِينُ ٢٦٨	الْمُتَشَكِّكُونَ ٣٣٢
الْمُسْتَأْزُونَ ١٦٥، ١٦٦	الْمُتَصَرِّفُونَ فِي الْأَعْمَالِ ٢٩٧
الْمُسْتَشْفَرُونَ ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٨، ٤٠،	الْمُتَصَوِّفَةُ ٣٢٠
٤٨، ٥٠، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٤، ٣١٢	الْمُتَطَبِّبُونَ ٢٦٨
الْمُسْتَعِيرُونَ ٢٦	الْمُتَعَصِّبُونَ ١٧٢
الْمُسْلِمُونَ الْقَاطِعُونَ ١٢٤	الْمُتَغَلِّبِيُّونَ ٣٤٠
الْمُسَبِّحُونَ بِالْمَلَايِكَةِ ٣١٨	الْمُتَّقُونَ ٢١٠
الْمُصَابِئُونَ بِأَمْرَاضٍ خَطِيرَةٍ ٢١٢	الْمُتَكَلِّمُونَ ٣٣٢
الْمُصْرِيُونَ ٧٣، ٧٥، ٨٥، ١٠٨، ٢١٢، ٣٠٤	الْمُتَمَسِّكُونَ بِالشَّرِيعَةِ ١٦٢
الْمُصْرَبِيُّونَ الْقُدَمَاءُ ٧٢	الْمُتَوَفُّونَ ٢١٠، ٢١٨، ٢١٩
مُصَنَّفُو رَسَائِلِ إِخْوَانِ الصِّفَا ٣٤٤، ٣٥٢، ٣٥٥	الْمُتَقَفُّونَ ١٨٣، ٢٣٤
الْمُطَارِنَةُ ٢٤٨	الْمُجَانِبِينَ ٣١٨
مُطَارِنَةُ جُنْدِيَسَابُورَ ٢٤٨	الْمُحَافِظُونَ ١٦٢، ٢٠٣
الْمُطَهَّرُونَ ١٠٧	الْمُحَضَّرُونَ ٢١٢
الْمُعَارِضُونَ ٦٧	الْمُخْفِلُونَ ٢١٢
مُعَاصِرُو أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِئِ ٢٩٦، ٢٩٨	الْمُحَدَّثُونَ ٤٨
مُعَاصِرُو نَابِيتِ بْنِ قُرَّةَ ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٢	الْمُخَالَفُونَ ١٩١
الْمُعَزَّمُونَ ١٦٧	الْمُخْتَارُونَ ٢٦
الْمُعْلَمُونَ ١٠٦	الْمَخْلُوقَاتُ التَّوْرَانِيَّةُ ٨٠، ٢٠٤
الْمُعْلَمُونَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ ذَوِي السِّيَاسَاتِ ٣٥٥	الْمَخْلُوقُونَ ٣٢٢
الْمَقُولُ ١٣١، ١٩٧، ١٩٩	الْمَلْذِيُونُ ٨١، ٢٢٨
الْمَقْسُرُونَ ٢٤، ٣٨، ٤١، ٧٦	الْمُرْتَرَقَةُ ١٨١
الْمُقَكَّرُونَ ٢٢٦، ٢٨٧	الْمُرْتَقُونَ فَوْقَ الْمَاءِ ٣١٨
الْمُقَدَّسُونَ ١٠٧	الْمُرْصَى ٢١٢، ٣٦٠
الْمُقَرَّبُونَ إِلَى اللَّهِ ٣٥١، ٣٥٥، ٣٢٠	الْمُرِيدُونَ ٢٦

الْمَقْرَبُونَ مِنَ الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ = الْمَقْرَبُونَ إِلَى اللَّهِ	النَّاصُورَانِي ٢٨، ٨٥، ٩٢
الْمَلَائِكَةُ ٢٦، ٤٦، ٤٩، ٥٧، ٨٠، ٨١، ٢٠٢،	النَّبْتُ ٧١، ١٠٦، ١٢٢، ١٢٤، ١٥١، ٢٣٣،
٣٥٨، ٣٣٩، ٣٣٦، ٣٢٠	٣١٩
الْمَلَائِكَةُ السَّبْعَةُ الْعِظَامُ ٤٩	النَّبْتُ الْقُدَمَاءُ ١١٧
مَلَائِكَةُ النُّورِ ٢٤١	النَّجْمَةُ ١١٣، ١٦٥، ٢٢٢،
الْمَلُوكُ ١٤٦، ١٤٨، ٢٧٦، ٢٩٤، ٣٥١، ٣٥٤،	النِّسَاءُ ٩٦، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١١،
٣٥٥	٢١٤، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣٠، ٣٢١،
مُلُوكُ الْأَرْضِ ٣٥٨	النِّسَاءُ الْحَرَّانِيَّاتِ ١٥٠
مُلُوكُ الدَّيْلَمِ ١٧٩	النِّسَاءُ السَّهَوِيَّاتِ ٢٠٢
مُلُوكُ السَّيَاوَاتِ ٣٥٨	نِسَاءُ أُورُشَلِيمَ ٢١١
مُلُوكُ بَنِي بُيُوتِهِ ٣٠٠	نِسَاءُ تَرْعُوزَ ١٥٣
مُنَادِمُو الْخُلَفَاءِ ١٦٥، ١٨٣،	النِّسَاءُ ٦، ٩٠، ١٥١، ٢٠٣، ٢٢٤، ٢٣٦، ٣٥٣،
النُّوُورُونَ ٦٧، ١٣١،	النِّسَاءُ طَيْرَةُ ٨٦
النُّجُومُونَ ١٦١، ١٦٢، ٢٠٧، ٢٥٠،	النُّقَبَاءُ الْإِثْنَى عَشَرَ ٣١٦
الْمُهَاجِرُونَ ٩٥، ٩٨، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١،	الْهَرَامِسَةُ الْخَاصَّةُ ١٠٦
٢٤١	الْمَلَلِيَّيْنُونَ ١٠٣، ٣٣١،
الْمُهْتَمُونَ بِالْفَلَكِ وَالْفَلَسْفَةِ ٣٤٢	الْهُنُودُ ٧١
الْمَوْلِدُ ٣٥٧، ٣٥٨،	الْوَارِثُونَ ٢٤٣
الْمَوْتَى ٢١٦، ٣٢٠،	الْوَرَاثُونَ ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٩٦، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩،
الْمُورُثُونَ ٢٤٣	الْوُرُزَاءُ ٢٨٠، ٢٨٣،
المُوقِرَاتُ ٢٢٤	الْوَلَاةُ ٢٩٧
النَّاسُ ٦٤، ٦٨، ١١٥، ١٢٢، ١٤٦، ١٤٩،	وَلَاةُ الْخَرَجِ ١٩١
١٦٨، ٢٠٢، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٥٤، ٢٦٨، ٢٦٩،	وَلَاةُ الْمُتَوَكَّلِ ١٦٠
٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣١٩، ٣٤٦، ٣٥٦،	وَلَدُ أَبِي سَعِيدِ سِتَانِ ٢٢٦
٣٥٩	الْيُونَنانُ ٥، ٧١، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١٤٧، ٣٠٨،

## كشاف الأعلام

- أَبْنَى دُرَيْتُون ٩٥  
أَبْنَى (الرَّيَّة) ١١٣  
أَنَافَرُودِيَطُوس ٣٠٧  
أَنَاسِيُوس صَنْوَيْل (مَار) ٣٤  
أَبْنِ الْأَيْر = ضِيَاءُ الدِّينِ أِبْنِ الْأَيْر - عَلِيٌّ بَنِ أَبِي  
الْكَرَمِ بَنِ الْأَيْرِ الْمُؤَرِّخِ  
إِسْلَافُ سَيْفَنُشُون دَرَاور = دَرَاور (لَيْدِي)  
أَخْوَانُ أ. ر ٦٧  
أَبُو أَحْمَد الْحُسَيْنِ بَنِ مُوسَى الْعَلَوِيِّ (النَّقِيب) =  
الْحُسَيْنِ بَنِ مُوسَى الْعَلَوِيِّ النَّقِيبِ  
أَحْمَدُ الزَّيْن ٣٤٥  
أَبُو أَحْمَد الْكِيَال ٣٤٧  
أَبُو أَحْمَد الْمَهْرَجَانِي ٣٤٥  
أَبُو أَحْمَد الْمَهْرَجُونِي ٣٤٥  
أَبُو أَحْمَد النَّهْرَجُورِي ٣٤٥  
أَحْمَدُ أَمِين ٩٠، ٣٤٥، ٣٤٧  
أَحْمَدُ بَنِ أَبِي الْحَسَنِ الصَّابِيِّ الْكَحَّالِ ٢٧٢  
أَحْمَدُ بَنِ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِي ١٨١  
أَحْمَدُ بَنِ الزَّيَّاتِ (أَبُو طَالِب، تَلْمِيزُ بْنُ وَحِيشَةَ)  
١١٧، ٣١٩  
أَحْمَدُ بَنِ الطَّيِّبِ السَّرَخْسِيِّ ١٣، ١٨، ١٠٧، ٢٧٦،  
٢٧٧، ٣٢٣  
أَحْمَدُ بَنِ بُخْتِيارِ الْمَنْدَانِيِّ الْوَاسِطِيِّ ١٢٦  
أَحْمَدُ بَنِ طُولُون ٢٩٦  
أَحْمَدُ بَنِ مُوسَى بَنِ شَاكِر ١٦٢  
أَحْمَدُ بَنِ وَصِيفِ الصَّابِيِّ ٢٧٢  
أَدَمُ ٣٤، ٨٢، ١١٥، ١٤٦، ١٥١، ٢١٣،  
٢١٩، ٢٢٤، ٣١٦  
أَزَر ١١٠  
أَبَانُورُ الْمَنْدَانِي (الْإِنِّي) ٨٧، ٢٠٢  
الْأَبْجَرُ أَرْيُو ١١٣  
إِبْرَاهِيمُ ٣٨، ٤٠، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٣،  
٧٤، ٧٥، ١٠٢، ١١٠  
إِبْرَاهِيمُ الدُّسُوقِي شَيْخًا ٣١٢  
إِبْرَاهِيمُ الْقُرَشِيُّ ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧  
إِبْرَاهِيمُ بَنِ الْوَلِيدِ ١٣٩  
إِبْرَاهِيمُ بَنِ ثَابِتِ بَنِ قُرَّةِ الْحَرَّانِي الصَّابِي ٢٥٣  
إِبْرَاهِيمُ بَنِ زَهْرُونِ الْحَرَّانِي الصَّابِي ١٦٥  
إِبْرَاهِيمُ بَنِ سَيَّانِ بَنِ ثَابِتِ الْحَرَّانِي الصَّابِي ١٦،  
٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٧١  
إِبْرَاهِيمُ بَنِ سَيَّارِ النَّظَّامِ ٣٢٢، ٣٢٣  
إِبْرَاهِيمُ بَنِ مُحَمَّدِ الْأَسْفَرَايِنِيِّ (أَبُو إِسْحَاق) ٢٥  
إِبْرَاهِيمُ بَنِ هِلَالِ بَنِ إِبْرَاهِيمِ الْحَرَّانِي الصَّابِي  
١٧٦  
إِبْرَاهِيمُ بَنِ هِلَالِ بَنِ زَهْرُونِ الصَّابِي = أَبُو  
إِسْحَاقِ الصَّابِي  
أَبُقَرَّاط ٢٧٠  
أَبُولُيُوس ٢٦٥، ٣٠٥  
أَبْنَةُ أَبِي سَعِيدِ سَيَّانِ ٢٠٦، ٢٠٧  
أَبْنُ أَبِي أَصْبَحَةَ ٢٣، ٢٧١، ٢٧٨  
أَبْنُ أَبِي حَاتِمِ الرَّازِي ٢٤  
أَبِيْفَانُوس ٩٦، ١٤٤



ألبير توتا (الأب) ١٥

إليصابات المندائية (أم يوحنا المغمدان) = أنشبي

أم أبي سعيد سينان ٢٢٥

إمبريوس (أسقف الرها) ١١٢

امرؤ القيس ٣٠٠

امراة أبي سعيد سينان بن إبراهيم بن هلال الصابئ

٢٢٦، ٢٠٧

أمونيوس ١٠٥

أميدروز ٢٨٠

إميل برهيه ٣٤٣

أنس بن مالك ؓ ٦٥

أينتناس ماري الكرمل ٢٣٠، ٢٢٩، ٢١٨، ٣٨

إنش إثرا (الأنري) ٣٢١، ١١٥

أنش بن دنقا ١٣٦، ١٢٥

أنشبي (إليصابات المندائية) ٣٢١

أواثر (الأنري) ٢٢٩

أورسولا فيسر ٣٠٩

أوردريس المضري ٢١١، ١١٥. وانظر أيضا:

إدريس النبي عليه السلام - هريس المثلث

بالحكمة

ابن أليك الصفدي (صلاح الدين) ١٣٠، ١٥٦،

٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٧٠، ٢٧٦،

٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٩٤، ٢٧٨

إيتنغ ٢٩

إيجيريا الراية ١٠٤، ١١٠

إيجلييس ٢٨

إيريناوس ٩٦

إيشع القطيعي النصراني الكاتب (أبو يوسف)

١٨، ٦٤، ٧٣، ١٢٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣،

١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤،

١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ٢٣٤

إيليا النصيبي = إيليا بر شتانيا

إيليا بر شتانيا ١٥، ٢٨١

إيليوس ١١٤

أيمن فؤاد سيد ١٤، ٩٠

بابا الحارثي (الملقب بنبي حران) ١١٥

البتائي الصابئ = محمد بن جابر البتائي الصابئ

بتاهيل ٢٠٤

بجنكم التركي ١٨٠، ٢٩٤

البخاري = محمد بن إسماعيل البخاري

برقلس ١٠٥، ١٠٦، ١١٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣،

٣٣٥

أبو البركات البغدادي ٣٣٩

بركيت د. ٣١، ٩٩

البسايري ٢٩٢

بشار بن برد ١٥٦، ٣٠٢

ابن بطلان = أبو الحسن بن بطلان البغدادي

(الطبيب)

بطليموس الجفرائي الملقب بالقلوذي الكبير

١٠٢، ١٨٠، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٣٠٨

أبو بكر الجصاص ٢٤، ٣١٦

أبو بكر الخزاز ٢٧٧

أبو بكر الدوافري ٣٠٣

أبو بكر الصولي ٢٨٤



١٧٥، ١٧٦، ١٨٨، ٢٤٩، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥،

٣٠٩

ثابت بن أخوسا ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩

ثابت بن إيليا ١٣٧، ١٣٩

ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي ١٥،

١٠٦، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧،

١٩٧، ٢٤٩، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٧،

٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤،

٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٤

ثابت بن طبرون ١٣٧، ١٣٩

ثابت بن قرة الحراني الصابي ١٢، ١٨، ٢٥، ٧٦،

٧٧، ١٠٧، ١١٣، ١١٦، ١١٧، ١٢٩، ١٣١،

١٥٤، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤،

١٦٥، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٧، ١٨٣، ١٩٦، ٢٢١،

٢٢٢، ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩،

٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨،

٢٦٩، ٢٧٦، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٣، ٣٠٤،

٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٧،

٣٤٢

ثابت بن قزثيا ١٣٧، ١٣٩

الغالي ٢٤، ١١٤، ٢٢١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٠،

٣٠٣

ثيودور نولدكه ٩٩، ٣١٩

جابر بن زيد ٤٤

جابر بن قرة بن ثابت ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩

ابن جابر بن هلال الصابي (أبو منصور) ٢٥،

٢٤٦

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي = محمد بن زكريا

الرازي

بلاطوس ٣١٢

البلاذري = أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري

بلخي (الرّبة) ٢١٣، ١١٤

بهرام بن أردشير المجوسي الكاتب (أبو سعيد)

١٨١، ١٩٤

بيزمان ج. ٢٨، ٢٩، ٣٣

البيروني ١٣، ١٥، ١٩، ٢٠، ٣٧، ٦٧، ٧٣،

٨٠، ١٠٢، ١٠٨، ١١٤، ١١٦، ١٢٥، ١٤٣،

١٤٤، ١٥١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠،

٢٥٤، ٢٥٧، ٢٩١

البيهقي = علي بن زيد البيهقي (أبو الحسن)

پاول كزاس ٣٣٧

ابن تغري بردي الأتابكي ٢٢، ٢٧٨

أبو تغلب الحمداني ١٩٣، ١٩٤

يقين بن قسرونا ١٣٨

تموز ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٥

التنوشي = المحسن بن علي التنوشي القاضي (أبو

علي)

توفيق فهد ١٧

تيمور لنگ ٩

ابن تيمية الحراني ٢٥، ١٧٣، ٣١٢، ٣٢١، ٣٢٣،

٣٤٦، ٣٤٩

ثيودور نولدكه ١٧، ٣٠

ثابت بن إبراهيم الحراني ٢٢٣

ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني الصابي

جابر بن هلال بن إبراهيم الصَّابِغ (أبو الفضل) .

٢٤٨، ٢٤٥، ٩

الجاحِظ ٢٠٣، ٢٠٢

جاليثوس الطَّيِّب ٢٦٦، ٢٧٠، ٢٦٧، ٣٠٩

جان هارب ٣٦، ٣٧، ٧٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٦٢

ابن جبير (الرَّحالة) ١١٠، ٢٣٩

جرميورثوس الصُّوري ١٠٥

جسنتيان (الإمبراطور) ٣٣١

جسنتي أناثا ٢١١

الجعد بن دزهم ٣٢٢

أبو جعفر الرَّايزي ٤٤، ٤٦

جعفر الصَّادق ٣١٣، ٣١٤

أبو جعفر الصَّيغري ١٨٥

أبو جعفر المنصور (الخليفة) ٢٥، ١٣٠، ١٣٩،

١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٥، ١٥٦

جعفر بن المكثفي ٢٥٦، ٢٥٧

جعفر بن ليلى بن النعمان الذَّيْلَمي ٢٨٥

جعفر بن يحيى البرمكي ١٤٤

أبو جعفر عبيد الله بن القاسم = عبيد الله بن

القاسم

جلال الدولة البرنبي ٣٤٥

الجهشياري = ابن عبدوس الجهشياري

جهم بن صفوان ٣٢٢

جواد علي ٤٠، ٤٢، ٦٤، ٦٩

جودليان ١٠٥

جورجيوس القديس ٢١١

ابن الجوزي ٢٢، ٢٥، ٣٧، ١١٦، ١٤٤، ٢٦٠،

٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٩٢، ٣٢٠، ٣٢١

جوس بيليسين ٣٠، ٣٧، ٦٣، ٧٠

جوستاف فلوجل ٩٠

جولدتسيهر ٣١٢، ٣٤٤

جولييان (الملقب بالمرتد) ١٠٣

جون رجيوموثانوس ٢٥٨

أبو حامد الغزالي ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢،

٣٥٥

حبشي بن معز الدولة أحمد بن بويه ١٨٧

حبيش بن الحسن ٣٠٤

الحجاج بن يوسف بن مطر ٢٥٥

ابن حزم الأندلسي ٢٥

الحنج ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٤

الحنج = الحنج

أبو الحسن الأشعري (الإمام) ٣٤٧

الحسن البصري ٤٦

أبو الحسن الحراني الصَّابِغ (الطَّيِّب) ١٢٩،

٢٢٣، ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٢

أبو الحسن الطَّيِّب (تلميذ سنان) ٢٦٩

أبو الحسن المحاملي القاضي (الملقب بالمحاملي

الكبير) ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣،

١٧٥، ١٧٧

أبو الحسن ابن بطلان البغدادي الطَّيِّب ١١،

٢٢١، ٢٧١، ٢٩٢

أبو الحسن بن سنان الحراني الصَّابِغ الطَّيِّب

٢٢٦، ٢٤٤، ٢٧٢

أبو الحسن بن سُجْلا (الكاتب) ٢٠

- أبو الحسن بن شاذان ١٢٦  
الحسن بن علي بن الحسين الأطروش ١٨١  
حسن بن فرج بن علي بن دؤاد بن سنان بن ثابت  
بن قرة ١٣١  
الحسن بن محمد المهلب (أبو محمد) ١٨٥، ١٧٦، ١٨٥،  
١٨٦، ٢٢١، ٢٤٩، ٢٧١، ٢٩٠، ٣٠١  
الحسن بن موسى بن شاكر ١٦٢  
الحسن بن وهب (أبو محمد) ٢٦٣  
حسن حسني عبد الوهاب ١١  
أبو الحسن علي بن الفرات ٢٥٦، ٢٨٠، ٢٩٠  
أبو الحسن علي بن زيد البيهقي = علي بن زيد  
البيهقي (أبو الحسن)  
أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح (الوزير) =  
علي بن عيسى بن الجراح  
أبو الحسن هلال بن إبراهيم بن زهرون الصابي =  
هلال بن إبراهيم بن زهرون الصابي  
الحسيح = الحسيح  
أبو الحسين بن إسحاق المحاملي (القاضي) ١٧٠  
الحسين بن سعيد بن حمدان ١٧٧  
أبو الحسين بن كرتيب ٢٦٣  
أبو الحسين بن كشكرايا الطيب ٢٦٩  
الحسين بن محمد الأتباري (أبو علي) ١٨٦، ٢٥٠  
الحسين بن موسى العلوي الثقفي (أبو أحمد)  
١٨٦  
الحصري ٣٠٣  
الحكم المستنير ٢٧١  
أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرماني
- عمرو بن عبد الرحمن الكرماني  
حكيم بن يحيى آل هرقليس ١٣٨، ١٤٠  
حماد عجرد ١٣٠، ١٥٦، ٣٠٣  
حمدان قرمط ٣١١، ٣١٧  
حمزة الأصفهاني ٢٢، ١٥١  
الخميري = عبد المنعم الخميدي  
أبو حنيفة النعمان ٢٥، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢،  
١٥٣، ١٥٥  
حنين بن إسحاق ٢٥٥، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦،  
٣٠٨  
حواء (زوج آدم عليه السلام) ١١٥  
ابن حوقل النصيبي ٢٣  
حونية الكاهنة ٢٢٤  
أبو حيان التوحيدي ٢٤، ١٠٦، ٢٢٦، ٢٨٧،  
٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧،  
٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٠  
خارجة بن سنان ٢٥٠  
خالد بن عبد الله القسري ٣٢٢  
الخالديان ٣٠١  
ابن خرداذبة ٢٣  
أبو الخطّاب الفضل بن إبراهيم الحراني الصابي =  
الفضل بن إبراهيم الحراني الصابي  
الخطيب البغدادي ٢٣، ٢٤، ١٢٥، ٢٢٧، ٢٩٢،  
٣٤٤  
ابن خلدون ٢٢، ٧٣، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٦  
خلف بن المثنى ١٥٦  
ابن خلكان ٢٣، ٧٥، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ٢٨٤،

ابن رأس الجائول اليهودي الشاعر ١٥٦، ٣٠٣

راشئو البابي ٨٧

الراضي بالله ١٣٧، ١٣٩، ١٧٥، ١٨٠، ٢٦٨،

٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٠

الربيع بن أنس ٤٤

رجيئو متناؤوس ٢٦٣

رسول متناد هبي = أنش إنرا

ابن رشد ٣٤٠، ٣٤١

رضا مجدد ٩٠

رفقة (زوج إبراهيم) ١١٠

رُكن الدولة بن بويه ١٩٢، ١٩٣، ٢٩٨

الرُهاوي المجهول ١٥، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٧،

رُويرت مأكوخ ٩٩

ابن رُوح الصابي ٢٥٩، ٣٠٩

رُوح بن سنان الحراني الشاعر ١٣٠، ١٥٦، ٣٠٢

رُودلف مأكوخ ٣٤، ٩٤

الرُوذراوري = أبو سُجَاع الرُوذراوري

ابن الرُومي ٣٤٦

ريتشارد بيل ٦٨

رينهارت دُوزي ٣١٢

رُرادشت ٣١٢

أبو رُزارة (الفقيه الحراني) ١٥٠

زكريّا ٣٢٢

أبو زكريّا القزويني ٢٤، ٣٢٦

أبو زكريّا يزيد بن عمّاد بن إياس الأزدي ٢٢،

١٤٢، ٢٧٦، ٢٨٩

الرّهرة (الرّبة) ١١٣، ١١٤

خليفة بن علي السّمان ٩٥

الحليل بن أحمد الفراهيدي ١٥٦، ٣٠٢

حمارويه ٢٩٦

الدّارقطني ٦٥

دارور أ. س (ليدي) ٦، ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦،

٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٣،

٩٤، ٩٩، ١٥٢، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥،

٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٤،

٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧،

٢٤١

الدّاعي إلى الحقّ = المهدي لدين الله الرّيدي

دانيال خوالشون ١٧، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٧،

٧٧، ٨٦، ٩١، ١٠٦، ١٥١، ١٦٢، ٢٣٤،

٣١٩

أبو داؤد سليمان بن جُلجل ٢٣

دجيل (الكتوفه) ١٥٢

دقْلديائوس ١٤٧، ٣٠٩

دنتورن الفلكي ٢٥٨

دواناي الصّابع ١٠٩

دي لاسي أوليري ٢٨، ١٥١

دي لوجليو ٢٧

ديمُوزي (الإله) ٢١١. وانظر أيضًا تموز

أبو دُرّ الفقاري ٤٤

الدّهبي ٢٢، ٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ٢٧٧، ٢٧٨،

٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩٧

الرّازي = مُحمّد بن زكريّا الرّازي (أبو بكر)

- زَهْرُون الصَّابِغ (عميدُ آل زَهْرُون) ١٢٩، ٢٤١،  
 ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٧١  
 زَهْرِيل (زَوْجُ هَيْلِ زِيَا) ٨٩، ٢٠٤  
 زُهَيْر بن أَبِي سُلَيْمَى ٦٨، ٢٥٠، ٢٥١  
 ابن الزِّيَات = أحمد بن الزِّيَات تلميذُ ابن وَخْشِيَّة  
 زِيَاد بن أَبِيهِ ١٣٧  
 زِيَاد بن فَيْرُوز البَصْرِيّ ٤١، ٤٤  
 زيد بن رِفَاعَةَ الهَاشِمِيّ ٣٤٤، ٣٤٦  
 زَيْدُ بن عَمْرُو بن نَقِيل ٦٨  
 زَيْمَر ٨٦  
 زَبُور بن أَرْدَشِير ٣٣١  
 سَاوَرَة (زَوْجُ إِبْرَاهِيمَ) ١١٠  
 سَامُ بن نُوح ٨٢  
 سَبْطُ ابن الجَوَزِيّ ٢٢، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤  
 سُبْحَتِكِين الحَاجِب ١٩٢  
 سَتِيفُ سُوْدَرْبِرْغ ٣٢٤  
 السَّجِسْتَانِي = أَبُو سُلَيْمَانَ المَنْطِقِي السَّجِسْتَانِي  
 السَّخَاوِي ٢٨٥، ٢٩٠  
 السَّرِي الرِّقَاء ٢٦٩، ٣٠١  
 سَعْدُ بن أَبِي وَقَّاص ١٣٦  
 سَعْدُون بن خَيْرُون ١٣٨، ١٤٠  
 أَبُو سَعِيد الأَكْسَج ٤٥  
 أَبُو سَعِيد الاَصْطَخْرِي ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨  
 ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧  
 ١٩٢، ١٩٧، ٢٠٠  
 أَبُو سَعِيد الحَسَن بن أَبِي الحَسَن البَصْرِيّ = الحَسَن  
 البَصْرِيّ
- أَبُو سَعِيد التَّنَدَائِي ٢٤٣  
 سَعِيد بن الفَضْل المَجُوسِي (أَبُو سَهْل) ١٨١  
 ٢٤٨  
 سَعِيدُ بن جُبَيْر ٤٥  
 أَبُو سَعِيد بُرَام بن أَرْدَشِير المَجُوسِي الكَاتِب =  
 بُرَام بن أَرْدَشِير المَجُوسِي الكَاتِب  
 أَبُو سَعِيد سِنَان بن إِبْرَاهِيم بن هِلَال الصَّابِغ =  
 سِنَان بن إِبْرَاهِيم بن هِلَال الحَرَانِي الصَّابِغ  
 أَبُو سَعِيد وَهْبُ بن إِبْرَاهِيم النُّصْرَانِي ١٩، ١٤٤  
 سُفْيَان الثَّوْرِي ٤٥  
 سُفْيَان بن عُيَاض ١٥٦  
 سُقْرَاط ٢٦١، ٣٠٦، ٣٠٨  
 سَكِينَك ٣٤١  
 سَلْمَانَ القَارِسِيّ ٧٦  
 سَلْمَانَ خَرْقُوش ٣٧  
 سُلَيْمُوس نِيكَائُور ١٣٨  
 أَبُو سُلَيْمَانَ المَنْطِقِي السَّجِسْتَانِي ٢٣، ١٣٩  
 ١٦٤، ٢٠٦، ٢٢٦، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٢  
 أَبُو سُلَيْمَانَ مُحَمَّدُ بن مَعْمَرِ البُسْتِي المَقْدِسِي =  
 مُحَمَّدُ بن مَعْمَرِ البُسْتِي المَقْدِسِي  
 سِنَانُ بن إِبْرَاهِيم بن هِلَال الصَّابِغ (أَبُو سَعِيد) ٩  
 ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٢٥، ٢٢٦  
 سِنَانُ بن ثَابِت بن قُرَّة ١٥٣، ١٥٤، ١٦٣، ١٦٥  
 ١٦٦، ١٦٩، ١٧١، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧  
 ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨  
 ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٩١  
 ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٤، ٣١٠

سُبَّادِي النَّبْطِي ٣١٨

ابن سُنْجَلَا النَّصْرَانِي ١١٠، ٢٠

سُهْرَابُ الْجُغُرَانِي ٢٣

السَّهْرُوزْدِي ٣٢٦

أَبُو سَهْلٍ الْكُوَيْمِي ١١، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤، ٣١٠

سَهْلُ بْنُ رُبَانَ الطَّبْرِي ٢٥٥

أَبُو سَهْلٍ سَعِيدُ بْنُ الْقَضَلِ الْمَجُوسِي = سَعِيدُ بْنُ

الْقَضَلِ الْمَجُوسِي

سُور (جَدُّ أَفْلَاطُون) ١١٦

سُوَيْدُ بْنُ عَامِرٍ الْمُصْطَلِقِي ٦٨

سِيحَالُ ج. ب ٩٢

السَّيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَمِيرِي الشَّاعِر ١٥٦، ٣٠٢

ابن سِيرَابِيُون = سُهْرَابُ

سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِي ١٩٠، ٣٣٧، ٢٤٧

سِينُغ ٦٧

الشَّابُئْسَنِي ٢٨٦

شَابُوتُ ج. ب ١٥

شَانَش (الإثري) ٩٧، ٢٤١

أَبُو شُجَاعِ الرَّوْدَرَاوَرِي (الوزير) ٢١، ٢٨٧،

٢٨٨

ابن شَدَاد ٢٢

شَرَفُ الدَّوْلَةِ الْبُونِي ٢٦٠

الشَّرِيفُ الرَّضِي ١١، ٢٤، ١٢٧، ١٩٦، ١٩٧،

٢٢٩، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٩٦، ٣٠٣

الشَّرِيفُ الْمُرتَضَى ٢٢٧، ٢٤٩

شَرِيكُ بْنُ جُرْنَج ٤٥، ٤٧

شُعَيْبُ الصَّابِي ١٥٥

شُعَب (أَمُ الْمُقْتَدِر) ١٧٢

شَكِيبُ أَرْسِلَان ١٠، ١١

شَلْمَا نَاصِرُ الثَّالِث ١٠٢

شَمْعُون (تَلْمِيذُ الْحَنَنْج) ٩١

الشَّهْرَشَتَانِي ٦٦، ٢٥، ٧٣، ٣٤٥

شَيْتَلُ طَابَا = شَيْثُ بْنُ آدَمَ

شَيْثُ بْنُ آدَمَ ١١٥، ١٤٦، ١٥١، ٢٤٢

شَيْخُ الرِّبْوَةِ الدَّمَشْقِي ١٥، ٢١، ٣٧، ١٤٤

ابن شِيرَزَادِ الْكَاتِب ١٧٦، ١٧٧

الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ (الوزير) ١٩٦، ٢٩٠

صَاعِدُ الْأَنْدَلُسِي ٢٣، ٧٣، ٣٣٧، ٣٤٩

صَاعِدُ بْنُ ثَابِتِ النَّصْرَانِي (أَبُو الْعَلَاء) ٢٤٨

صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ١٥٦، ٣٠٢

صِفْصَامُ الدَّوْلَةِ ١٩٦، ٣٠٢، ٣٤٤، ٣٤٧

صَمُونِيلُ رُؤَيْمِر ٣٧

الصُّوْلِي = أَبُو بَكْرِ الصُّوْلِي

ضِيَاءُ الدِّينِ ابْنُ الْأَثِيرِ ٢٩٩

الطَّائِعُ لِلَّهِ ٩، ١٠، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٠، ١٩٧،

٢٩٧

أَبُو طَاهِرٍ طَيْفُور ١٥٦

أَبُو طَاهِرٍ مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةٍ = مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةٍ (أَبُو

طَاهِر)

الطَّبْرِي = مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبْرِي - الطَّبْرِي

الْمُنَجِّم

الطَّبْرِي الْمُنَجِّم ٢١، ١٦٩

ابن الطُّقْطُقَى ٣٠٣

عَادِلُ الْعَرَّاءِ ١٥٢

- عَارِفُ الْحَيِّ = مَنَادِ هِي  
عَارِفُ تَائِر ٣٥٢  
أبو العباس الإبراهيمي ١٩  
أبو العباس السفاح ١٣٩  
أبو العباس الماندائي ١٢٦  
العباس بن الحسين الشيرازي (أبو الفضل) ١٨٦،  
١٨٨، ١٨٧  
العباس بن عبد المطلب ٤٤  
عباس محمود العقاد ٣٨، ٤٠  
ابن عبد البر ٣٠٣  
عبد الجبار (القاضي المعتزلي) ١٥١، ٣٢٥  
عبد الحميد بن عبادة أفندي ١٥٢  
عبد الرحمن بن مهدي ٤٦  
عبد الرزاق الحسني ٣٢، ٣٨  
عبد الستار أحمد فراج ٢٨١  
عبد السلام بن عبد الوهاب الخليلي ٣٤٢  
عبد الصمد بن مغفل ٤٥  
عبد القاهر البغدادي ٣١١، ٣١٧  
أبو عبد الله البريدي ١٨٠  
أبو عبيد الله الطهراني ٤٥  
أبو عبد الله العارض ٣٤٤، ٣٤٧  
أبو عبد الله القرطبي ٢٥، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٦٥،  
٦٦  
عبد الله بن إسماعيل الهاشمي ٢٠  
عبد الله بن جحش ٦٨  
عبد الله سمك ٣٨  
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي =  
محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي  
أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري = محمد بن  
إسماعيل البخاري  
أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس الشَّريف  
الحسني = محمد بن محمد بن إدريس الشَّريف  
الحسني  
أبو عبد الله محمد بن يحيى بن فضال = محمد بن  
يحيى بن فضال  
عبد المسيح بن إسحاق الكندي النُّصراني ٢٠،  
١٤٤  
عبد الملك بن مروان ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩  
عبد النعم الجُميري ٢٤  
عبد يشوع الجاثليق ٢٧٢  
ابن عبد كان = محمد بن عبد الله بن محمد بن  
مودود  
ابن عبدوس الجهشياري ١٤٤، ٢٩٠  
ابن العبري ١٢، ٢٢، ٧٦، ١٤٠، ١٤٦، ١٦٠،  
٢٢١، ٢٢٢، ٢٤٣، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤،  
٢٧٨  
عبيد الله بن القاسم (أبو جعفر) ١٧٤  
عبيد الله بن سليمان (أبو القاسم) ٢٩١، ٣٠٧  
عُثْمَانُ بن الحُوَيْرِث ٦٨  
عُثْمَانُ بن مَالِي الحراني الصَّابِغ ١٣٨، ١٣٩، ١٦٢  
ابن العديم ٢٢، ٢٧٧  
ابن عربي ٣٢١  
ابن عَرَقَة ٦٩  
أبو عَرُوبَة الفقيه الحراني ١٥٠

عز الدولة بُختيار ١٧٩، ١٨١، ١٨٤، ١٨٦،

١٨٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٧٢

عزیز سباهی ٢٦، ٢٧، ٣٨، ٧٩، ٩١، ٩٢، ٩٣،

٩٧، ١١٥، ١٢٤، ١٥٢، ٣٢٤

ابن عساکر الدمشقي ٢٢

عصام بن رواد ٤٤، ٤٦

عصّد الدولة ١١٤، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥،

١٩٦، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٤٩، ٢٦٣، ٢٧٩، ٢٨٥،

٢٨٦، ٢٩٧

عطاء بن أبي رباح الفهري ٤٥، ٤٧، ٤٨

أبو العلاء بن أبي الحسين بن كزيب ٢٦٣

العلاء بن الحضرمي ١٣٦

أبو العلاء صاعد بن ثابت النضري = صاعد بن

ثابت النضري

أبو عليّ الحسين بن عمّد الأتباري = الحسين بن

عمّد الأتباري

عليّ الرضا ٢٢٨

عليّ السمان ٩٥

أبو عليّ الفارسي ٢٢٧

أبو عليّ المحسن بن إبراهيم بن هلال الصّابي =

المحسن بن إبراهيم بن هلال الحرّاني الصّابي

أبو عليّ المحسن بن عليّ التّوخيّ القاضی =

المحسن بن عليّ التّوخيّ القاضی

عليّ بن أبي الكرم الشّيبانيّ المعروف بابن الأثير

المؤرخ ٢٢، ١٦٠، ١٧٦، ١٧٧، ٢٧٨

عليّ بن الحسين بن إبراهيم ٢٩٩

عليّ بن رضوان المصريّ الطّيب ١١

عليّ بن زهرون الرّنجانيّ ٣٥٣

عليّ بن زيد البيهقيّ (أبو الحسن) ٢٣، ٣٤٥،

٣٥٣

عليّ بن ظافر الأزديّ ٢٢، ٢٧٦، ٢٨٩

عليّ بن عيسى الرّمانيّ ٢٢٧

عليّ بن عيسى بن الجراح (أبو الحسن) ١٩،

١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٣، ٢٤٩، ٢٦٨، ٢٨٠،

٢٨٣، ٢٩٤

عليّ بن هارون الرّنجانيّ ٣٥٣، ٣٤٥

أبو عليّ بن مُريرة ١٧٠

عليّ بن يحيى النّجم ٣٠٣، ٣٠٦

أبو عليّ ابن سينا ٣٣٣

عليّ عمّد عبد الوهاب ٣٨

أبو عليّ مسكويه = مسكويه

أبو عليّ ابن مقلّة ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٣

عليّ يوسف (صاحب المؤيد) ٣٤٨

ابن العباد الحنبليّ ٢٣، ٢٧٨

عماد الدولة بن بويه ١٨٢

عماد الدين إدریس (الملقب بالداعي المطلق) ٣٥٠

عمر بن الخطاب ؓ ٤٤، ٥٥، ٦٥، ١٣٦، ١٤٠،

١٤٨، ١٥٤

عمر بن القرخان الطبري ٣٠٥

عمر بن عبد العزيز ١٣٩، ٣٣١

عمر بن يؤنس بن أحمد ٢٧١

عمران الصّابيّ ٢٢٨

عمران بن شاهين ١٩٥

عمرو ابن أخت المؤيد ١٥٦، ٣٠٣



- عَمْرُو بن عبد الرحمن الكَرْمَانِي (أبو الحكم) ٣٤٩  
 عَمْرُو بن حُجِّي ٦٨  
 عَمْرُوس بن طَيْبًا ١٣٨، ١٣٩  
 عُمَيْر بن جُنْدُب الجَنْهَنِي ٦٨  
 العَوَاقِي ٣٤٥، ٣٤٧  
 عِيَاض بن عَنَمٍ الْفَهْرِي ١٠٤، ١٠٨، ١٣٦، ٢٣٩  
 عَيْسَى بن أَسِيد النُّصْرَانِي الطَّبِيب ٢٦٧  
 عَيْسَى بن يُوسُف المعروف بابن العَطَّارَة ١٦٩  
 ابن عَيْشُون الْحَرَّانِيُّ الْقَاضِي ١١٨، ١١١  
 غَازَان حَاح ١٣١، ١٩٩  
 غَرْسُ النُّعْمَة عَمَّادٌ هِلَال بن المحسِّن بن إبراهيم  
 الصَّابِي ١٦، ١٩٧، ١٢٦، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٥،  
 ٢٣٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٨٩، ٢٩١  
 غِرْيَغُورْيُوس صَلِيحًا شَمْعُون (مار) ١٥  
 غَضْبَان رُومِي ٣٣، ١٥٢  
 فُؤَاد سَيْد ٢١  
 فُؤَاد مَعْصُوم ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٢  
 ٣٥٤، ٣٥٥  
 الْفَارَابِي ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٧  
 فَالِيرِيَان (الإمبراطور) ٣٣١  
 أَبُو الْفَتْح الْبُسْتِي ٢٩٤  
 أَبُو الْفَتْح بن العَمِيد (الوزير) ٢٩٨، ٢٩٠  
 أَبُو الْفَتْح عُمَد بن أَحْمَد الْمَدَائِنِي الْوَاسِطِي = عُمَد  
 بن أَحْمَد الْمَدَائِنِي الْوَاسِطِي  
 فَتْح ١٢٣، ٢٠٣  
 فخر الدِّين الرَّازِي ٢٥، ١٠٧، ١١٣، ٣٤١  
 ٣٤٢
- أَبُو الْفَيْدَا الدَّمَشْقِي ٣٧، ٧٣  
 أَبُو الْفَرَج الْبَغْدَادِي ٣٠٣  
 أَبُو الْفَرَج الزَّيْنَبِي ٢٠  
 أَبُو الْفَرَج بن عبد الله النَّصْرَانِي الطَّبِيب ٢٧١  
 الْفَرَّغَانِي (الْفَلَكِي) ٢٥٧  
 فِرْمَانِيش (الْمُسْتَشْرِق) ١٠٩  
 ابن فضل الله الْعُمَرِي ٢٥٤، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧١،  
 ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٠٠  
 أَبُو الْفَضْل بن الْعَمِيد ٢٩٨، ٣٠٠  
 أَبُو الْفَضْل بن سَيَّان الْحَرَّانِي النَّصَّابِي ٢٤٤  
 فَنَسْنَك ٦٦  
 فُوشُولْدِر ٣٥  
 ابن الْفُوطِي ٢٢، ١٩٩  
 فَيثَاغُورَس الْحَكِيم ١٠٤، ١١٥، ١١٧، ٣٣٠،  
 ٣٥٤، ٣٥٥  
 فِيلَغُورْيُوس ٣٠٩  
 فِيلْفُرد مَادِيلُونغ ١٩٥، ٢٨٥  
 الْقَانَم بِأَمْرِ اللَّهِ ١٩٧  
 قَابُوس بن وَشْمَكِير ٣٣٨  
 قَازَان الْقَانَد ١٩٩  
 أَبُو الْقَاسِمِ الْمُطَهَّر بن عبد الله = الْمُطَهَّر بن عبد الله  
 الْقَاسِم بن الْقَوَّاقِي ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠  
 أَبُو الْقَاسِمِ عَمِيدُ اللَّهِ بن سُلَيْمَان = عَمِيدُ اللَّهِ بن  
 سُلَيْمَان  
 الْقَاهِر بِالله ١٦، ١٣٩، ١٥٤، ١٦٧، ١٦٨،  
 ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٣، ٢٠٠،  
 ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣٤٧

قُرَّة (جدِّ سَنان بن ثَابِت) ١٤٩، ١٥٣، ٢٠٦

قُرَّة بن الْأَشْتَر ١٣٨، ١٣٩

قُرَّة بن قُمَيْطَ الْخَرَّانِي ٢٩١

قُرَّة بن هِلَال الصَّابِئ ٢٤٧

الْقُرْطُبِي = أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِي

الْقُرْزُونِي = أَبُو زَكَرِيَّا الْقُرْزُونِي

قَسْطَاس بن عَمِي بن زونق ١٣٩

قُسْطَنْطِين الْكَبِير ٧١

الْقَطِيعِي = إِشْعَاقُ الْقَطِيعِي

الْقِفْطِي ٢٣، ١٢٩، ١٩٢، ١٩٦، ٢٢٠، ٢٢٥

٢٤٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥

٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٩٢

٣٤٢، ٣٤٨، ٣٥٣

الْقَلْقَشْنَدِي ٧٣، ١٧٩، ٢٩٧، ٣٠٢

قَيْقِل (الْكَاهِن) ٢٠٣

ابن قَيْمِ الْجَوْزِيَّة ٢٥، ٤٧

كَارَادِيْفُو ١٥١

كَارُلُو الْقُونْسُونِيَّة ٢٥٨، ٣٢٤

ابن كَيْبَر الدَّمَشْقِي ٢٢، ٧٣، ٢٨٤

كَرَاتَشْكُوفْسْكِي ٢٩٢

الْكَرَّامِي = عَمْرُو بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَرَّامِي

كِسْرَى أَنْوِشِرَوَان ٣٣١

كَلُود كَاهِن ١٨٢

كَلُودْيُوس ٣٠٩

ابن كَثُونَةُ الْيَهُودِي ٢٥

كُوبِرْنِيْكُوس ٢٥٧

كُوزِت رُودُلْف ٣٤، ٣٦، ٩٤، ٩٩

كُورْكيس عَوَّاد ٢٨٦

كُورْنِيْن ٩٩

كِيْسَلَر ٨٦

لُويْس مَاسِينِيُون ١٣، ١١٧، ٣١٩، ٣٤٦

لِيْثُ بن أَبِي سُلَيْم ٤٥

لِيلِيْث الشَّيْطَانَة ٨٩

مُونْس الْقَانَد ١٦٩

مَارِك لِيْدزِيَارْسْكِي ٦، ٣٠، ٣٥، ٨٦، ٩٤

مَارِي بن سُلَيْمَان الْكَاتِب النَّصْرَانِي ١٤٣، ١٤٥

مَأكُودُنَالْد ٣٤٧

مَأكْس مَآيِرْهُوف ١٥١

مَالِك بن عَقْبُون ١٤، ١٧، ١٠٩

الْمَآمُون ٢٠، ٢٩، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٩

١٤٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢

١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢

٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٥٧، ٢٦٠، ٣٣٣

ابن الْمَآندَانِي = مُحَمَّد بن عَلِي بن الْحَسَن

مَآنِي (نَبِيُّ الْمَآنُونَةِ) ١٢٣، ٢٠٣، ٣٢٣، ٣٢٤

الْمَآوَزْدِي ٢٩٣

أَبُو الْمُبَارَك الصَّابِئ ٢٠٢

الْمُتَّقِي لله ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٣

الْمُتَوَكِّل عَلَى اللَّهِ ١٣٩، ١٦٠

مُجَاهِد بن جُبَيْر الْمَخْزُومِي ٤٥

الْمَحْسَح = الْحَسَج

الْمُحْسَن بن إِبْرَاهِيم بن هِلَال الصَّابِئ (أَبُو عَلِي)

١٧٦، ١٨٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧

عُمَدُ بْنُ جَابِرِ الْبَلَّاحِ الصَّامِي ١٦، ١٢٩، ١٣٠،

٢٤٧، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٣،

٣٠١، ٣٦٤

عُمَدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبَرِيِّ ٢٤، ٤١، ٤٥، ٤٧،

٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٩،

عُمَدُ بْنُ رَافِقٍ ١٨٠، ٢٩٤

عُمَدُ بْنُ زَكَرِيَّا الرَّازِيِّ (أَبُو بَكْرٍ) ١٨، ١١٦،

٢٥٤، ٢٥٥، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٠،

٣٤١، ٣٤٢

عُمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرَظِيِّ ٤٦

عُمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَدُ بْنُ مَوْدُودِ الْمَلَقِبِ بَابِن

عَبْدُكَانَ ٢٩٦

عُمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْهَمْدَانِيِّ ٢٩٧

عُمَدُ بْنُ عَلِيِّ السَّيَّانِ ٩٥

عُمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ الْمَعْرُوفِ بَابِن الْمَانْدَانِيِّ

١٢٦، ٢٢٧

عُمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسِ الشَّرِيفِ الْحَسَنِيِّ (أَبُو

عَبْدُ اللَّهِ) ٢٣

عُمَدُ بْنُ مَعْمَرِ الْبُسْتِيِّ الْقُدْسِيِّ (أَبُو سُلَيْمَانَ)

٣٤٥

عُمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ شَاكِرٍ ١٦١، ١٦٢، ١٦٣،

٣٤٢

عُمَدُ بْنُ يَتِيمٍ بْنِ فَضْلَانَ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ) ١٩٩

عُمَدُ بْنُ يَكْنَالَ ٦٩

عُمَدُ بْنُ حُسَيْنِ الزَّيْدِيِّ ٢٨٥

عُمَدُ بْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٧،

٦٣، ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٧٦، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٠،

الْمُحْسَنُ بْنُ عَلِيِّ التَّوْحِيدِيِّ الْقَافِي (أَبُو عَلِيٍّ) ٢٧٦

عُمَدُ الْأَمِينِ ١٣٩، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦،

١٤٧، ١٥٧، ١٦٠

أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ = الْحَسَنُ بْنُ

مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيِّ

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْمُقَدَّمِيِّ ٤٦

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَنْدَانِيِّ الْوَالِصِيِّ (أَبُو الْفَتْحِ) ١٢٦

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ بُخَيْرَانَ الْمَنْدَانِيِّ ١٢٧

عُمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ الْخَوَارِزْمِيِّ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ)

١٥١، ٢٥٧، ٢٦١

عُمَدُ بْنُ إِدْرِيسِ الشَّافِعِيِّ الْإِمَامِ ١٧٠

عُمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ النَّدِيمِ ١٥، ١٨، ١٩، ٣٧، ٩٠،

٩١، ٩٢، ٩٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٧،

١٣٨، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١،

١٥٢، ١٥٣، ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥،

١٦٧، ١٦٨، ١٧٣، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٠، ٢١٣،

٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٣٣،

٢٣٤، ٢٣٥، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩،

٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٢،

٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٠٨، ٣١٣، ٣٢٣،

٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٤٧

مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَحْمَسِيِّ ٤٥

مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ (أَبُو عَبْدِ اللَّهِ) ٤١،

٤٢، ٤٤، ٦٨، ٧٠

مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ ٣١٤

مُحَمَّدُ بْنُ بَقِيَّةَ (أَبُو طَاهِرٍ) ١٩٣، ٢٧١، ٢٧٢

١٧٢، ١٩١، ٢٣٨، ٢٤٧، ٣٤٤، ٣٥٩، ٣٦٠

مُحَمَّد صَابِر خان ٢٨٥

مُحَمَّد عَمَر حمادة ٣٨

مُحَمَّد غَرَسُ النُّعْمَةِ بن هِلَال بن المَحْسَن الصَّابِيع

= غَرَسُ النُّعْمَةِ مُحَمَّد بن هِلَال بن المَحْسَن

الصَّابِيع

مُحَمَّد يُونُسُ بن نجم ١١

عمود إسماعيل ٣٤٧، ٣٥٠

عمود الغزنوي ٢٨٩

مرجانيوث ٤٨، ١١٠، ٢٨٢

مروان بن محمد ١٣٩، ١٥٦، ٣٢٢

المستعين بالله ١٣٩

المستكفي بالله ١٧٦

المسعودي ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠،

٣٧، ٦٨، ٧٣، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢،

١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٦٥، ٢٣٩، ٢٧٦، ٣١٢،

٣١٣، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٣٧، ٣٥٦،

مُسْكُوبَةُ ٢١، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤،

٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨

مَسْلَمَةُ المَجْرِيطِي ١٥، ٢٠، ٢١، ٣٧، ١٤٣،

١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٦٩، ٣٤٨، ٣٤٩،

المُصْبِحُ ٢٠، ٢٨، ٣٥، ٨٥، ٩٠، ٩٧، ٩٨،

١٣٨، ١٤٤، ٢١٤، ٣٥٤

مُشْرِفُ الدَّوْلَةِ ٣٠٢

مُصْطَفَى جَوَاد ٢٨

مُطَرِّف بن طَرِيف الحَارِثِي ٤٦

ابن المُطَهَّر الأَزْدِي ٢٤

المُطَهَّر بن طَاهِر المَقْدِسِي ٣٧، ٢٢١

المُطَهَّر بن عبد الله (أَبُو القَاسِم) ١٩٤

المُطِيع لله ١٧٩، ١٨٥، ٢٧٠، ٢٩٧

مُتَاوِيَةُ بن أَبِي سُفْيَان ١٣٧

مُتَاوِيَةُ بن عَبْدِ الكَرِيم ٤٦

المُعْتز بالله ١٣٩

المُعْتَصِم بالله ١١٣، ١٣٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣،

١٦٤، ١٦٥، ١٧١، ١٧٢، ٢٢٣، ٢٧٦،

المُعْتَمِد على الله ١٣٩، ١٦٣

مَعْرُوف الكَرْخِي ١٢٥، ١٢٦، ٣٢٠

مُعْزُ الدَّوْلَةِ بن بُويهِ ١٧٩، ١٨٢، ١٧٦، ١٨٤،

١٨٥، ١٨٦، ٢٧٠، ٢٨٣

أَبُو مَعْشَرِ البُلْخِي ١٩، ٣٣٥

مِغْلَس بن طَيِّبًا ١٣٨، ١٣٩

المُقْضَلُ بن إِبْرَاهِيمَ الحَرَّانِي الصَّابِيع (أَبُو الحَطَّاب)

١٠، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦،

٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٣٠١

المُقْتَدِر بالله ١٩، ٢٠، ٢١، ١٣٩، ١٦٦، ١٦٧،

١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧،

١٨١، ٢٥٦، ٢٦٨، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤،

المُقْدِسِي البَشَّارِي ٢٣، ١٨٠

المُقْرِيزِي ٦٧، ١٥١

المُكْثَفِي بالله ١٣٠، ١٦٥، ٢٥٦

الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِحِفْظِ الشَّمْسِ = شَافِس (الإثري)

الْمَلِكُ الْمُوَكَّلُ بِنَجْمِ الْقُطْبِ الشَّمَالِي = أَوَّاثِر (الإثري)

الْمُنْتَصِر بالله ١٣٩

مَنْدَاد هَمِي ٢٠٤، ٣٢١

- أبو منصور الحلاج ٣٢٢، ٣٢١، ٣١٩، ٢٨٤  
ابن منظور ٣١٢، ٦٩، ٦٧، ٦٥  
المُهْدِي بالله ١٣٩  
المُهْدِي المُتَنَظَّر ٣١٤  
المُهْدِي بالله ١٣٩، ١٢٥  
المُهْدِي لدين الله الزَّيْدِي؛ الإمام الملقب بالدَّاعِي  
إلى الحق ١٨٢  
مُوسَى ٢١٢، ٩٧  
مُوسَى الكَاظِم ٣١٣  
مُوسَى بن كَعْب التَّيْمِي ١٤١  
المُوقَّع طَلْحَة ١١٣، ١١٤، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥،  
١٨٦، ١٨٥  
مُونُجُمَرِي وات ٦٨  
ميشيل تاردِيو ١١١  
ميخَائِيل السَّرِيَانِي الكَبِير ١٤٥، ١٥  
ميخَائِيل بن أَمْر بن بُقْرَارِيس ١٣٨، ١٣٩  
بيدج. ر. ٣١، ٣٣  
ميرزا مُحَمَّد شِيرَازِي ١٠٩  
ميرتاي ابنة هيرودس ٩٢  
ميشَا = مُوسَى  
ميشيل تاردِيو ٣٧، ٣٩، ١٠٤، ١٠٩، ١١٠،  
١١١، ١١٢، ١١٣  
مَيْمُون بن دِيصَان ٣١١  
مينا لأوس ٣٠٦  
مينورسكي ١٨٠  
ناصر الدَّولَة الحَمْدَانِي ٢٤٨، ٢٨٣  
ناصر خُسْرُو ٣١٢
- النَّاصِر لدين الله (الإمام الزَّيْدِي) = الحسن بن  
الأطروش  
النَّاصِر لدين الله (الخليفة العبَّاسي) ١٩٩، ٢٧١  
ابن ناعمة الجَنْصِي ١٠٥  
نَافِع المَدَنِي ٦٦  
نَبِي حَرَّان = بابَا الصَّابِغ الحَرَّانِي  
ابن النِّبْيَة المِصْرِي الشَّاعِر ٢٣٠  
النَّدِيم = مُحَمَّد بن إِسْحَاق النَّدِيم  
نِسْطَاسُ بن يَحْيَى بن زَوْتَن ١٣٨  
أبو نَصْر الفَّارَابِي ٢٤٩، ٣٣٣، ٣٣٧  
أبو النَّصْر هَارُون بن صَاعِد بن هَارُون الصَّابِغ  
٢٧٣  
نِظَام المُلْك الطُّوسِي ٢٩٣  
ابن نظير النُّصْرَانِي ١٥٦، ٣٠٣  
نعيم بدوي ٣٣، ١٥١، ١٥٢  
نقبن بن قَضْرُونَا ١٣٩  
نُجَيْر بن حَكِيم بن يَحْيَى ٩، ١٣٨، ١٤٠، ٢٤٠  
نُوزِير غ. م. ٢٨، ٣٠  
نومنيوس ١٠٥  
النُّومَرِي ٣٠٣  
نيرُون ٣٠٩  
نيفيه ٩٩  
نَيْقُولَا سِيُونِي ٢٩، ٣٣  
مُوسَى الهَادِي ١٣٩  
هَارَان ١٠٢  
هارون الرَّشِيد ١٢٨، ١٣٥، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢،  
١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠،

هَارُونُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَزْدِيِّ

١٧٣، ١٦٨، ١٦٧، ١٩

هَانِسٌ شِيدَارٌ ٣١٢

هَابِيلُ بْنُ آدَمَ ١١٥

أَبُو الْهَذِيلِ الْعَلَّافُ ٣٢٢

هَرَمُ بْنُ سَيَّانَ ٢٥١، ٢٥٠

هَرِمِسُ الْمَثَلُ بِالْحِكْمَةِ ١١٥، ١٤٦، ٢١٤،

٣٥٦، ٣٥٥، ٣٢٩

هَرِمِسُ الْهَرَامِسَةِ = هَرِمِسُ الْمَثَلُ بِالْحِكْمَةِ

هَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ١٣٩

هَلَالُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ زُهْرُونَ الصَّابِغِ (أَبُو الْحَسَنِ)

١٨٤، ٢٧٣

هَلَالُ بْنُ أَبِي هَلَالٍ الْحِمَصِيِّ ٣٠٥

هَلَالُ بْنُ الْمُحَسَّنِ الصَّابِغِ ١٦، ١٣١، ١٨٣،

١٨٤، ١٩٤، ١٩٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٤١،

٢٤٥، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩،

٢٨١، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٤،

٣٠٢، ٣٠٣

هِنْرِي فِيلْد ٨٦

هِنْرِي كُورْتَان ٣١٩، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٩

هُوْلَاكُو خَان ٨، ٩، ١٣١

هَيْلُ زِيَا ٨٣، ٨٩، ٩٣، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٩

هَيْبُولَيْسُ ٩٦

هَيْرُودُسُ الْمَلِكُ ٩٢

الْوَاقِعُ بِاللَّهِ ١٣٩

وَالْتَرِ وَنُكْ ٩٣

ابن وخشيبة النبطي ١٦، ١٧، ١٠١، ١٠٦، ١٠٩،

١١٦، ١١٧، ١٣١، ١٤٦، ١٩٨، ٢١٠، ٢١١،

٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٥٤

جُوسْتَفَافُونُ جُرونبَاوم ٦٧

وَشْمَكِيرُ بْنُ زِيَارِ الدَّيْلَمِيِّ ٢٨٦

وَصِيفُ التُّرْكِيِّ ١١٣، ١٦٥

أَبُو الْوَقَافِ تَوْرُونُ (أَمِيرُ الْأَمْرَاءِ) ١٧٦، ١٧٧،

١٨٠، ٢٧٣، ٢٨٣

أَبُو الْوَقَافِ بْنِ عَقِيلِ الْحَنْبَلِيِّ ٢٧٥

وَلِيَامُ بَرَانْت ٣٠

الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ١٣٩، ١٥٥

الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ١٣٩

وَهْبُ بْنُ مَتْبَه ٤٥

وُولَفُ ف. ٣٠٣

وَيْجَنُ بْنُ رُسْتَمُ = أَبُو سَهْلِ الْكُوهِيِّ

وِيلِيَامُ بَرَانْدِي ٨٦

يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ ٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٠،

١٧٦، ١٨٣، ١٨٦، ١٩٣، ١٩٤، ٢٣٠، ٢٧٨،

٢٧٩، ٢٩٢، ٣٠٣، ٣٤٥

يَحْيَى بْنُ بَشِيرِ النَّهْأَوْنْدِيِّ ١١٦، ١٤٤

يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ٢٧، ٣١، ٨٢، ٨٣، ٨٤،

٨٥، ٨٩، ٩١، ٩٣، ٩٧، ٩٨، ١٤٠، ١٤١،

٢٣٨، ٣١٧، ٣٢١

يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْأَنْطَاكِيِّ ٢٢، ١٩٨

يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ الْحَرْثِيِّ ١٤٢

يَحْيَى بْنُ عَدِيِّ النَّصْرَانِيِّ ١٠٧، ٣١٠

يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ١٣٩

يُوسُفُ الْقَسْ ٢٦٣	يَسُوعُ الْمَسِيحُ = الْمَسِيحُ ﷺ
أَبُو يُوسُفَ إِشْعَاقَ الْقَطِيعِيِّ النَّصْرَانِيِّ الْكَاتِبِ =	يَعْقُوبُ الرُّهَاوِيُّ (تَمَار) ١١٢، ٦٤، ١٥
إِشْعَاقُ الْقَطِيعِيِّ النَّصْرَانِيِّ الْكَاتِبِ	يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ الْأَنْصَارِيِّ الْقَاضِي
يُوسُفُ بْنُ أَبِي السَّاجِ ١٦٥	(أَبُو يُوسُفَ) ١٤٢، ١٤١، ١٣٥
يُوسُفُ حَبِيبِ (الْأَبُ) ١٥	يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيِّ ٣٠٥، ٢٦٧، ٢٥٥
أَبُو يُوسُفَ يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَبِيبِ	٣٣٥، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٢٩
الْأَنْصَارِيُّ الْقَاضِي = يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ	أَبُو بَعْلَى الْقَرَاءِ ٢٩٣
حَبِيبِ الْأَنْصَارِيِّ الْقَاضِي	يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ﷺ
يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ٤٨، ٤٦	يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ = يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ﷺ

### كشاف الأماكن والبلدان والمدن والبقاع

أَزْمِينَةَ ١٦٥	أَسْيَا الْوُسْطَى ١٨٠
إِسْرَائِيلَ ٣٥، ٣٤	أَسْطَلَا ٣٦، ٣٥
أَسْطَاغِيرَ ٣٠٧	الْأُبْلَةَ ١٢٥
أَسْفَرَايِينَ ٣٤٥	أَيْثَا ٣٠٨، ٣٠٩
الْإِسْكَندَرِيَّةَ ١٠٥، ٣٣١، ٣٣٢	الْإِحْسَاءَ ٣١٤
أَسْطُوطَ ١٠٥	أَذْرَبَيْجَانَ ٣٤٥، ٣٥٣
أَسْطَخَرَ ١٦٩	الْأَزْدُنَ ٨٩، ٩٣، ٩٤، ٩٧
إِفْرِيقَةَ ٣٢٧	أَزْدَوَانَ ٨٥
إَقْلِيمُ الْجَبَالِ ١٨٠	الْأَرْضَ ٣١٦، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٧
آيِلَ ١٨١	أَرْضُ الْأَطْهَارِ ٣٢٦
الْأَنْصُولَ ١٠٢، ١٠٣	أَرْضُ الْجَبِينَةِ ١٢٧
الْأَنْبَارَ ٨٦، ١٠٢	أَرْضُ الرُّومِ = بِلَادُ الرُّومِ
الْأَنْدُلُسَ ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٢٧٣، ٣٤٨، ٣٤٩	أَرْضُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ٣٢٧

أَنْطَاكِيَّة ١٠٥، ١١٣، ١٦٥، ٢٩٢، ٣٣١

أَهْرَامُ مِصْر ١٠٨

الْأَهْوَاؤُ ٢٩، ٤٨، ٨٠، ٨٩، ١٢١، ١٩٩، ٢٠٠،

٣١٤. وانظر أيضًا: البطائح

أَوْزُسْلِيم ٣٤، ٤٩، ٨٥، ٩١، ٩٢

أَوْزُقًا = الرِّهَّا

أَوْزُونِيَّا ٢٨، ١٠٢، ١٠٣، ٢٥٨

أَوْكُسْفُورْد ٣٤

إِيرَان ٧، ١٠، ١٢٤

آيرلندا ١٠

بَابُ الزَّهْرَةِ ١٢٨

بَابُ السَّرَابِ ٢١٤

بَابِلُ ٤٩، ١٠٢، ١٩٨، ٣٢٧

بَابِلُ السَّقْلِ ٩٩

بَابِلُ الْعُلَيَّا ٩٩

الْبَادِيَةِ ٤٤

بَيْتَان ١٢٩، ٢٥٦

الْبَيْتَاءُ ١١٣

الْبَحْرُ الْأَخْمَرُ ٢١٢

بَحْرُ الْخَزَرِ ١٨٠

الْبَحْرُ الْمَيِّتُ ٣٤، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨

بَحْرُ إِيجه ٣٠٧

الْبَحْرَيْنِ ١٣٦، ٣١٤، ٣٥٠

الْبَذَنْدُونُ ١٥٠

الْبُرْتَقَالُ ٢٧

بِرْلِين ٣٤

بَرِّيَّةُ الْكُوفَةِ ١٦٢

الْبَصْرَةُ ٧، ٢٦، ٢٧، ٦٤، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢،

١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٠، ١٥٦، ١٨٦، ١٨٧،

١٩٢، ٢٠٣، ٢٤٨، ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٤، ٣٢٣،

٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٦٠

الْبَطَائِحُ ٧، ٤٨، ٥٤، ٥٩، ٨٠، ٩٠، ١٢٠،

١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٩٢، ١٩٥،

٢٢٢. وانظر أيضًا: الأهوار

بَعْدًا ١٠

بَغْدَادُ ٩، ١٠، ١٢، ١٥، ١٦، ١٨، ١٩، ٢١،

٢٢، ٣٣، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩،

١٣٠، ١٣١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٨،

١٥١، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢،

١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩،

١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧،

١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩،

١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧،

١٩٨، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٤٠، ٢٤١،

٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩،

٢٥٤، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٣،

٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩١،

٢٩٢، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٢



ثُغُور الشَّام ١٦٥	بِلَادُ التُّرْك ١٠٢، ٣٣٧
الْجَامِعُ الْأَزْهَرُ ١٠	بِلَادُ الرَّافِدِينَ = الْعِرَاقُ
جَامِعُ حَرَّانَ ٢٣٩	بِلَادُ الرُّومِ ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٦١، ١٦٢،
جَامِعَةُ أُنْثُسُفُورْد ٣٥	٣٢٧
جَامِعَةُ الْقُدْسِ ٣٤	الْبِلَادُ الْوَاسِطِيَّةُ ٢٠٠
جَبَلُ الطَّرِيفِ ٩٥	بِلَادُ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ ٢٦، ٣٥، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩١،
جَبَلُ مَادَايَ ٨٥	٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠٢، ١٢٠، ١٨١، ٢٣٥.
الْجَزِيرَةُ الْفَرَاتِيَّةُ ١٤، ١٠٢، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢،	وَانْظُرْ أَيْضًا: الْعِرَاقُ
١٥٤، ١٨١، ١٩٨، ٣٥٠. وَاَنْظُرْ أَيْضًا: الْعِرَاقُ	بِلَادُ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ ٧٢، ١٨١، ٣٢٤
- بِلَادُ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ - حَوْضُ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ	بَلْخَ ١٠٨
الْجَلِيلُ ٢٨	بُولُونِيَا ٢٥٨
الْجَمْعِيَّةُ الْمَلَكِيَّةُ الْآسِيَوِيَّةُ ٣٥	بَيْتُ الْبُوْغْدَارِيِّينَ ١٦٧، ١٦٨،
جُنْدِسَابُور ٣٣٠، ٣٣١	بَيْتُ الْحِكْمَةِ ١٣٠، ٢٦٠
جُؤَا ٢٧	بَيْتُ الصُّوْرِ الْعَقْلِيَّةِ ٣١٨
جِيلَانُ دِيلْمَانِ ١٨٠، ٢٨٦	بَيْتُ الْمُقْدِسِ ١٠٨
الْحَبَشَةُ ٣٢٧	بَيْتُ مُغْلِنَا ١١٠
الْحِجَازُ ١١٣، ٣٢٧	بَيْرُوتُ ١٥، ٣٣
حَرَّانُ ٦٥، ٧٠، ٨٠، ٩٠، ١٠٠، ١٢٠، ١٣٠، ١٤٠، ١٧٠،	بَيْرُزْنَةُ ٣٣١
٢٢، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٧، ٦٧، ٧٥، ٧٦،	الْبِيَارِشْتَانُ الْعَصْدِي ٢٧٢، ٢٧٣
٧٧، ٨٤، ٨٥، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦،	بُيُوتُ الْأَصْنَامِ ١١٠
١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥،	تُرَعَاثَا = تَرَعُوزُ
١١٧، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١،	تَرَعُوزُ ١١٣، ١٢٨، ١٥٠
١٣٦، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥،	تُرْكِيَا ١٠
١٤٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥،	تُلُ الْعِمَارَةِ ٦٧

دير العاقول ٢٤٦، ٢٢٣	١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٧،
دير القديس باخوم ٩٥	١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٨٩،
دير القديس مرقس ٣٤	١٩٠، ١٩٢، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٣،
دير قنّى ٢٢٣	٢٠٦، ٢١٠، ٢١١، ٢١٤، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٣٥،
دير كاذي ٢١٤، ١٢٨	٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧،
ديلمان ١٨١، ١٨٠	٢٥٤، ٢٥٦، ٣١١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٣١، ٣٣٢،
رأس العين ١٠٢	٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٩،
الرّصافة ٢٩٢، ١٢٢	حلب ١٥، ٢٧٧، ٢٩٢، ٣٣٧،
الرّقة ١٠٢، ١٢٩، ١٣٠، ١٤٤، ١٤٥، ١٦٠،	جخص ٣١٤
١٦٩، ١٩٠، ١٩٢، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٥٦،	حوض ما بين النهرين = بلاد ما بين النهرين.
الرّها ١٥، ٦٤، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١١٢،	وانظر أيضًا: العراق
١٢٩، ١٣٦، ١٥١، ٣٣٢،	خيدر آباد ١٦، ٣٤٤،
روسيا ٢٩	خراسان ١٧٤، ١٨١،
روما ٢٨، ١٠٥، ١٠٧،	خربة قمران ٣٤، ٩٦،
زنجان ٣٤٥	الخليج العربي ١٠٢، ١٢١،
سامراء ١٣١، ١٦٣،	خوزستان ٨، ١٢٤، ٣١٤، ٣٣١،
سان بطرس برج ٢٩	دار الخلافة ١٦٥، ١٦٦، ١٧٢،
سبني (قرية) ٢١٤	دار الكتب المصرية ٣٤٤،
السرايب الأربعة ١١١	دستميسان ٨، ١٢٣، ٢٤٤، ٣٢٣،
سلمسين ١١٣، ١٢٨، ١٥٠، ١٥٣،	الدكن ٣٤٤،
سلمية ٣١٤	دمشق ١٧، ٣٧، ٣٨، ١٠٢، ١٠٨، ١١٠، ١١٣،
سواد العراق ٤٧، ٤٨، ٨٠، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٢،	١١٥، ١١٧، ١٣١، ١٩٩، ٣٣١، ٣٤٤،
٣١٧، ٢٦٨، ١٣٦	ديار مقرر ١٠٢، ١٢٩، ١٨١، ١٩٠، ١٩٢،
سوس ٣٣١	١٩٧

سُوق السِّلَاح ٢٩٢	١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤١،
سُوقُ الرَّاقِينَ ٢٩٦	٢٤٧، ٢٤٩، ٢٦٨، ٢٧٩، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٢٤،
الشَّام ١٠٢، ١٣١، ١٦٥، ٢٩٢، ٣١٤، ٣٣٠،	٣٥٠، ٣٢٧
شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ٤٠، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ٦٩،	العِرَاقُ الْأَعْلَى ١٠٢
٧٣، ٧٥، ٨١، ٩٨	الْعِمَارَةُ ٨، ١٢٤
الشَّرْقُ الْأَذْنَى ٩٦، ٩٨، ١٠٣، ١٠٤	عُمَان ١٨٥، ١٨٦
شَرْقِي أُرُوبًا ١٨٠. وانظر أيضًا: أُرُوبًا	عَوَقَةُ ٣٤٥
شَسَالِي إِفْرِيقِيَّة ٣١٤. وانظر أيضًا: إِفْرِيقِيَّة	عَيْنُ زُرْبَةِ ١٦٥
الشُّونِيزِيَّة ١٢٧	فَارَاب ٣٣٧
صَحْرَاءُ سِنْجَار ١٦٢	فَارِس ٩٩، ١٠٥، ١٢٣، ١٥١، ١٦٩، ١٨١،
صَعِيدُ مِصْر ١٠٥. وانظر أيضًا: مِصْر	١٨٢، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦
صَلْمُسِين = سَلْمُسِين	الْفُرْس (قَرِيَّة) ٢٢٣
صَنْمُ الْقَمَر (قَرِيَّة) = سَلْمُسِين	فِرْعَاوُس ٣٠٩
الصَّيْن ٣٢٧	قَرْعَانَةُ ١٠٨
طَبْرَسْتَان ١٨٠، ١٨١	فَلَسْطِين ٣٥، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩٥، ٩٧،
طَرُسُوس ١٥٠، ١٦٠	٩٨، ١٢٠، ١٣٨، ٢٣٥
طَهْرَان ٩٠	القَادِسيَّة ١٣٦
الطَّيْبُ ٨، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٦، ١٤٦، ٢٤٤	القَاهِرَةُ ١١، ٣٢، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٥٠، ٥٣،
العِرَاق ٥، ٧، ٩، ٢٥، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٤٨،	٥٨، ٥٩، ٩٠، ٩٥، ٩٩، ١٩٥، ٢٤٧
٥٢، ٧٤، ٧٩، ٨٠، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ٩٢،	الْقُدْسُ الشَّرْقِيَّة ٣٤
٩٣، ٩٤، ٩٨، ١٠٢، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣،	قُرَى بَابِلِ النَّائِيَةِ ١٣١
١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٣٦، ١٣٧، ١٥١،	قَرِيَّةُ الزَّهْرَةِ = تَرْعَانَا
١٥٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤،	قِصْبَةُ الْخِلَافَةِ ٢٤٨
	قِصْبَةُ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّة = بَغْدَاد

قصر الجص ١٩٤، ٢٥٦

القطب الشمالي ٣٢٦

القطعة ١٤٨

قطعة أبي النجم ١٤٨

قطعة إسحاق ١٤٨

قطعة الربيع ١٤٨

قطعة الرقيق ١٤٨

قطعة العكي ١٤٨

قطعة أم جعفر ١٤٨

قطعة بني جدار ١٤٨

قطعة ريسانة ١٤٨

قطعة عيسى ١٤٨

الكرخ ١٢٧، ٢٢٨

كردستان ٨٦

كسكر ١٢٢، ١٢٥

الكعبة المشرفة ٦٨، ١٠٨

كفر ثوثا ١٢٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣

كينرذج ٣١

الكوث ١١

لُبْنان ١٠

لندن ١٧، ٢٠، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٩٠

ليسيج ٣٦، ٩٠

لیدن ٣٤

المتحف القبطي ٩٥، ٩٦

المتحف المصري ٩٥

مجلسي شوراى إيران ١٠

مجمع الحرنائية بحرّان ١٦١

مجمع الفلايصة بحرّان ١٧

مجمع اللغة العربية ٤٠

المحيط الهندي ٢٧

مدينة القمر = حرّان

مربعة الخرشي ٢٩٢

المسجد الأموي ١٠٨

مضر ١٠، ٧٤، ٨٥، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٨، ١٧٣،

١٨١، ٢٨٤، ٢٩٢، ٢٩٦، ٣١٠، ٣١٤، ٣٢٧،

٣٥٠

مُصَلِّ الصَّائِبِينَ = هيكل القمر

معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ١٩٥

مقابر الشونيزية ١٢٧

مكتبة أحمد الثالث ٣١٠

مكتبة الأسد ٣٤٤

المكتبة التيمورية ٣٤٤

المكتبة الظاهرية = مكتبة الأسد

مكتبة تيشتريتي ١٠

مكتبة جامعة ليدن ١٠

مكتبة عاشر إفتندي ١٠

المملكة المتحدة ٣١

مهرجان ٣٤٥

الموصل ٤٧، ٤٨، ١٠٢، ١٧٧، ١٨١، ١٩٣،

١٩٤، ٢٤٨، ٢٨٣

مَيْسَان ٨، ١٢٣، ٢٤٤	الْهِنْد ٧٤، ٨٧، ٢١٤، ٢٨٩، ٢٣٧
نَابُولِي ٢٥٨	هُورُ الْمُحَمَّدِيَّة ١٢١
النَّاصِرَة ٢٨، ٧٧	هُورُ بَخْصِي ١٢١
نَجْعُ حَمَادِي ٩٥، ٩٦، ٩٩	هُورُ بَصْرِيَّانَا ١٢١
نَهْرُ أَبِي الْأَسَد ١٢١	هُورُ بُكْمِيَّي ١٢١
نَهْرُ الْأُرْدُن ٢٧، ٨٩، ٩١	هُولَنْدَا ١٠
نَهْرُ الصَّلَة ١٢٥	الْهَيْكَلُ السَّبْعَة ١٠٨
نَهْرُ الْفُرَات ١٠٢، ١٢٠، ٨٩، ٩٢، ١٢١، ١٢٧،	هَيْكَلُ آزَر ١١٠
١٢٩	هَيْكَلُ اسْقَلَابِيُوس ١١٣
نَهْرُ الْمَحَامِدَة ١٢٥	هَيْكَلُ الزَّهْرَة ١٢٨
نَهْرُ النَّيْل ٩٥	هَيْكَلُ الشَّمْس ٣١٨
نَهْرُ بَانِيَّاس ١٠٢	هَيْكَلُ الْقَمَر ١٧، ٩١، ٩٦، ١٠٨، ١٩٨، ١٠٢،
نَهْرُ بَرْبِيَه ١٢٦	١٤٣، ١٤٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٦،
نَهْرُ جَعْفَر ١٢٥	٢٢١، ٢٢٢. وانظر أيضًا: مَجْمَعُ الْحَرَنَانِيَّة بِحَرَّان
نَهْرُ دِجْلَة ١٢٥، ١٤٨	هَيْكَلُ مَغْلِيَّا = بَيْتُ مَغْلِيَّا
نَهْرُ سَيْحُون ٣٣٧	وَاسِط ٨، ٨٠، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣،
نَهْرُ طَابِق ١٢٦، ١٤٨	١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٢، ٢٠٠،
نَهْرُ كَرْخَايَا ١٢٧	٢٢٣، ٣٠٢
نَهْرُ مَغْفِل ١٢٥	وَقْفُ مَرْنَة ٢٢٣
نَهْرِيَّان ١٢٥	يَالُوس ٢٢٣
نُورَنْبِيرَج ٢٥٨	الْيَمَن ٢٨
نُوقَان ١٣١، ١٩٨	الْفَانِيكَّان ٣٤
هَالِه ٣٠	فِيْشَادُون ٢٨٥
هَمَجَر ١٣٦، ١٤٠	

